



الجزء الثاني



من تفسير الحافظ ابن كثير
وهو الامام الجليل الحافظ عماد الدين أبو الفراء محمد بن
ابن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٤٠

قال الحافظ الذهبي في المعجم المختص : الامام المفتي المحدث البارع ، فقيه متقن ، محدث متقن ، ومفسر ... وله تصانيف مفيدة . وذكر الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة أنه كان من محدثي الفقهاء . قال سارت تصانيفه في البلاد في حياته ، وانتفع بها بعد وفاته طبع عن نسخة المطبعة الاميرية وصحيح مقابلة على نسخة مكتبة الحرم المكي الشريف المصححة على نسخة المؤلف .

ويليه في أدنى الصحائف
معالم التنزيل

تفسير الامام البغوي المرفى سنة ٥١٦

قال التاج السبكي في طبقات الشافعية : الحسين بن مسعود القرطبي المشيخ أبو محمد البغوي صاحب التهذيب الملقب « بحبي السنة » من مصنفاته شرح السنة والمصايح والتفسير المسمى معالم التنزيل . . . كان اماماً جليلاً ورعاً زاهداً فقيهاً محدثاً مفسراً جامعاً بين العلم والعمل ، سالكاً سبيل السلف

من مطبوعات صاحب الجلالة السعودية ، وحيي السنة الحميدة

إلى عبد العزيز السعدي
ملك النجاشي وخبير وخلقها

الطبعة الاولى في مطبعة المزار بمصر في سنة ١٣٤٧ هـ

﴿ فهرس المسائل المهمة في الجزء السابع من تفسير ابن كثير والبغوي ﴾

صفحة	صفحة
٣٦	٢ ﴿ تفسير سيرة سبأ ﴾
٣٨	٣ حلف النبي ﷺ بربه العظيم على وقوع المعاد
٣٩	٤ مشاهدة العلماء في الآخرة ما كانوا يؤمنون به في الدنيا
٤٠	٥ زعم الكفار أن الرسول مفر على الله أو به حنة
٤١	٦ تأويب الجبال والطير مع داود (ص) وآلانة الحديد له
٤٢	٧ عمل داود للدروع السابغات
٤٣	٨ تسخير الريح لسليمان غدوها شهر ورواحها شهر
٤٤	٩ اسالة عين القطر لسليمان وعمل الجن بين يديه
٤٦	١٠ عمل الحارث والهمائل والجنان والقصور
٤٧	لسليمان عليه السلام
٤٨	١١ قيام آل داود بشكر الله تعالى على نعمه عليهم
٤٩	١٢ موت سليمان بن داود واخفاؤه على الجن
٥٠	١٥ خبر سبأ وما كانوا فيه من النعم وأصل نسبهم
٥١	١٩ جزاء سبأ على كفرانهم نعم الله وعدم القيام بشكرها
٥٢	٢٢ جعل سبأ عبرة لغيرهم وتمزيقهم كل ممزق
٥٣	٢٥ اغواء إبليس للكفار وصدق ظنه فيهم
٥٤	٢٦ دعاء الكفار من دون الله ما لا يملك لهم مقال ذرة
٥٥	٢٧ فزع قلوب الملائكة عند سماع كلام الله تعالى
٥٦	٢٨ كيفية نزول وحي الله إلى السماء وسماع الملائكة له
٥٧	٣٠ انفراد الله بالخلق والرزق والالوهية
٥٨	٣١ عموم رسالة نبينا محمد (ص) إلى الاسود والاحمر
٥٩	٣٢ تمادي الكفار واصرارهم على عدم الايمان بالقرآن
٦٠	٣٣ مخاصمة الاتباع والمتبوعين من الكفار يوم القيامة
٦١	٣٤ سنة الله في اتباع المستضعفين للرسول وكفر المتربين
٣٦	بسط الرزق وتضييقه واخلاف الله على المنفقين في سبيله
٣٨	استنكار الملائكة لعبادة الكفار لهم وتبرؤهم منهم
٣٩	عتو الكفار وجحودهم آيات الله
٤٠	دعوة الكفار إلى التفكر والنظر في نبوة محمد (ص)
٤١	كون الانبياء لا يطلبون على أداء الرسالة أجراً
٤٢	ظهور الحق على الباطل وازهاقه له
٤٣	إيمان الكفار بالبعث بعد معاناة العذاب ولات حين مناص
٤٤	الحيلولة بين الكفار وبين ما يشتهون في الآخرة
٤٦	﴿ تفسير سورة فاطر ﴾
٤٧	لامانع لما أعطى الله ولا معطي لما منع
٤٨	تسليم النبي ﷺ وتأسيه بالرسول قبله في تكذيب قومهم لهم
٤٩	جزاء الضالين الذين زين لهم سوء عملهم فأروهم حسناً
٥٠	إحياء الله للأرض الميتة دليل على البعث والنشور
٥١	كون العزة جميعاً لله وحده
٥٢	الكلم الطيب لا يرفع الا بالعمل الصالح
٥٣	شمول علم الله لكل شيء من الكائنات
٥٤	تقدير الأجل في الكتاب واحاطة علم الله بها
٥٥	قدرة الله في خلق العذب القرات والملح الاجاج
٥٦	تسخير الله للشمس والقمر وجريانها لأجل مسمى
٥٧	اهتمام كل امرئ بشأن نفسه عن غير يوم القيامة
٥٨	صنع الله في اختلاف ألوان الثمرات والحيال
٥٩	والسود الغرايب
٦٠	خشية العلماء لله تعالى وكون العلم ليس بكثرة الرواية

صفحة	صفحة
٦٣ اعطاء الله القرآن المصطفين من عباده	١٠٨ الحتم على أفواه الكفار وشهادة أيديهم وأرجلهم عليهم
٦٤ الاحاديث الواردة في أفواج هذه الامة الثلاثة	١١٢ كون النبي (ص) لم يعلم الشعر ولا ينبغي له قوله
٦٩ الاشقياء في نار جهنم لا يموتون ولا يخفف العذاب عنهم	١١٥ خلق الله الانعام وتذليلها للبشر ومنافعهم فيها
٧٠ الأحاديث والآثار في الأجل الذي يتذكر فيه من تذكر	١١٩ اراء الله للشيء وإيجاده بقوله «كن»
٧٤ جعل الله البشر خلائف في الارض جيلا بعد جيل	١٢١ ﴿تفسير سورة الصافات﴾
٧٥ إسماء الله للسموات والارض وحفظها من الزوال	١٢٣ جعل الكواكب زينة للسماء وحفظا من الشياطين
٧٧ الاعتبار بالامم المتقدمة التي أهلكها الله بكفرها	١٢٥ خلق البشر من طين لازب
٧٨ ﴿تفسير سورة يس﴾	١٢٦ رجوع الكفار على أنفسهم باللائمة في يوم الدين
٧٩ الاحاديث في فضل سورة يس	١٢٩ تخاصم أهل النار وتلاوهم واشتراكهم في العذاب
٨١ جعل الاغلال في أعناق الكفار	١٣١ رزق أهل الجنة من الفواكه وكرامهم ونعيمهم
٨٣ احياء الله للموتى وكتابة آثار الخلائق	١٣٣ حال أهل الجنة في الجنة وحديثهم فيما كانوا عليه في الدنيا
٨٥ الاحاديث في كتابة الآثار في طاعة الله تعالى	١٣٨ مطعم أهل النار وكونه من شجرة الزقوم
٨٧ خبر المرسلين الذين أرسلوا الى أهل انطاكية	١٤٠ ضلال أكثر الامم الاولين وتكذيبهم رسل الله اليهم
٨٩ خبر الرجل الذي وعظ قومه باتباع المرسلين	١٤١ اجابة دعاء نوح ونجاته من الكرب العظيم
٩١ جزاء المؤمن الذي آمن وحده بالمرسلين	١٤٢ توجه ابراهيم عليه السلام الى ربه بقلب سليم
٩٢ اهلاك الله لاهل القرية الذين كذبوا المرسلين	١٤٣ تكبير ابراهيم للاصنام وتأييب قومه على عبادها
٩٣ الاقوال في اسم القرية التي جاءها المرسلون	١٤٧ رؤيا ابراهيم ذبح ابنه وقول العلماء في الذبيح
٩٥ آية الله تعالى في احياء الارض الميتة	١٥١ امتثال ابراهيم لامر الله وجزاؤه على ذلك
٩٧ سير الشمس لمستقرها وحركتها والاحاديث في ذلك	١٥٢ الآثار الواردة عن السلف في هل الذبيح اسماعيل أو إسحاق
١٠٠ آية الله في حمل البشر في الفلك المشحون	١٥٧ منة الله على موسى وهارون واعطاؤهما الكتاب المستبين
١٠٢ استعجال الكفار بعذاب الله واتيانه فجأة	١٥٨ إرسال الياس عليه السلام ونهيه قومه عن عبادة الاوثان
١٠٣ النفخ في الصور وخروج العالم من الاجداث ينسلون	١٦١ خبر الياس واليسع عليهما السلام
١٠٤ كون أصحاب الجنة في شغل فاكهون	١٦٥ إرسال اوط الى قومه ونجائه وأهله إلا امرأته
١٠٥ تسليم الله على أهل الجنة	
١٠٦ امتياز الجرمين عن المؤمنين في الموقف	
١٠٧ بروز الجحيم للكفار يوم القيامة	

صفحة	صفحة
٢١٧	١٦٦ خبر يونس عليه السلام ومساعدته في الخروج
٢٢٠	١٦٨ من القائل المشحون
٢٢٢	١٦٩ إنكار الله على المشركين في زعمهم أن الملائكة
٢٢٤	بنات الله
٢٢٧	١٧١ لا ينقاد للضالين ويقلد هم إلا من هو أهل منهم
٢٢٩	١٧٤ نزول العذاب بساحة الكافرين وسوء صباحهم
٢٣١	١٧٧ ﴿تفسير سورة ص﴾
٢٣٣	١٧٩ تعجب المشركين من كون الرسول بشراً منهم
٢٣٥	١٨١ إنكار المشركين لكون الآلهة إلهاً واحداً
٢٣٧	١٨٢ إنزال الكتاب على محمد (ص) وشك كفار مكة في ذلك
٢٣٩	١٨٤ هلاك جميع العالم بصيحة واحدة ما لها
٢٤١	من فواق
٢٤٣	١٨٧ إعطاء الله داود عليه السلام الحكمة
٢٤٥	وفصل الخطاب
٢٤٧	١٩٠ خبر الخصمين الذين تسورا الحراب على داود
٢٤٩	عليه السلام
٢٥١	١٩١ استغفار داود وركوعه لربه وإنيابته له
٢٥٣	١٩٣ قول الأنبياء في أن سجدة ص من عزائم السجود
٢٥٥	١٩٥ غفران الله لداود وعلو مكانته وحسن ما به
٢٥٧	١٩٧ جعل الله داود خليفة في الأرض وحكمه بين
٢٥٩	الناس بالحق
٢٦١	١٩٨ ثناء الله على سليمان بن داود عليه السلام
٢٦٣	١٩٩ عرض الصافات الحياض بالعشي على سليمان (ص)
٢٦٥	٢٠١ ما قبل في ابتلاء سليمان وقتلته عليه السلام
٢٦٧	٢٠٧ إلقاء الجسد على كرسي سليمان وما قيل فيه
٢٦٩	٢٠٩ الأحاديث الواردة في ملك سليمان وتسخير
٢٧١	الشياطين له
٢٧٣	٢١١ بناء سليمان عليه السلام بيت المقدس
٢٧٥	٢١٣ ابتلاء الله لأيوب عليه السلام ثم رفع الضر عنه
٢٧٧	٢١٥ فضائل أنبياء الله تعالى وتناؤه عليهم
٢٧٩	٢١٧ بيان ما لالاشقياء يوم الجزاء وأنه شر ما ب
٢٨١	إثبات الإلهية لله تعالى وحده
٢٨٣	استكبار إبليس عن السجود لآدم
٢٨٥	﴿تفسير سورة الزمر﴾
٢٨٧	تكوين الجنين في بطن أمه أدواراً خلقاً من بعد
٢٨٩	خلق
٢٩١	درجتا الرجاء والخوف وما ورد فيها
٢٩٣	إثبات المقاب الأخروي والتحذير منه
٢٩٥	الأحاديث الواردة في وصف قصور الجنة
٢٩٧	آية الله في إنزال الماء من السماء وجعله ينابيع في
٢٩٩	الأرض
٣٠١	كون كتاب الله تعالى متشابهاً مثاني
٣٠٣	الفرق بين أهل الجنة وبين من يتقي بوجهه سوء
٣٠٥	العذاب
٣٠٧	ثبوت البعث لجميع البشر وجزاء كل أحد بعمله
٣٠٩	تخصم الخلق بين يدي الله تعالى
٣١١	من عبد الله وتوكل عليه كفاه ما أمه
٣١٣	توفي الله للأفئدة حين موتها وعند منامها
٣١٥	اختصاص فاطر السموات والأرض بالعبادة
٣١٧	تضرع الإنسان إلى ربه في حال الضراء ونسيانه
٣١٩	عند النعماء
٣٢١	ترغيب الصاة والمسر في على أنفسهم في رحمة الله
٣٢٣	فضل التوبة إلى الله واستغفاره من الذنوب
٣٢٥	الأحاديث الواردة في عدم القنوط
٣٢٧	طاب المبادرة بالتوبة والالتوبة قبل حلول العذاب
٣٢٩	مقاليد السموات والأرض وأزمة الامور بيد الله
٣٣١	كون الأرض جميعاً قبضة الله وما ورد في معناها
٣٣٣	التفخ في الصور وموت جميع الأحياء في السموات
٣٣٥	والأرض
٣٣٧	إشراق الأرض بنور ربها يوم القيامة
٣٣٩	سوق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً

صفحة	صفحة
أبواب الجنة وعددها والداخلون منها ٢٧١	بدء خلق السموات والارض وما بينهما ٣٢٣
﴿ تفسير سورة المؤمن ﴾ ٢٧٥	إنذاركم بمكة صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ٣٢٦
القول بأن حم من أسماء الله تعالى ٢٧٦	استجاب ثمود للعمى على الهدى وإهلاكهم بالصاعقة ٣٢٩
تكذيب الأمم المتقدمة لرسالهم وجدالهم بالباطل ٢٧٩	شهادة الجوارح والحواس على الانسان ٣٣١
استغفار الملائكة للمؤمنين من أهل الارض ١٨١	كون الكفار لا تقبل أعذارهم ولا تقال عزائمهم ٣٣٣
مقت الله للكافرين أكبر من نعمهم لأنفسهم ٢٨٣	تبشير الملائكة للذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ٣٣٥
آيات الله تعالى والاعتبار بها والتفكر فيها ٢٨٥	ولاية الله للمؤمنين به في الحياة الدنيا وفي الآخرة ٣٣٨
تفرد الله تعالى بالملك والوحدانية والفهر ٢٨٧	أحسن القول الدعوة إلى عبادة الله والعمل الصالح ٣٢٩
طلب السير في الارض والاعتبار بالأمم الماضية ٢٨٩	دفع الاساءة بالاحسان يجعل العدو ولياً حمياً ٣٤١
عزم فرعون وقومه على قتل موسى خوفاً من ٢٩١	الاحاد في آيات الله وجزاؤه الالقاء في النار ٣٤٣
تبديل دينهم ٢٩٢	القرآن هدى وشفاء للمؤمنين ووقر في آذان الكافرين ٣٤٥
دفاع الذي آمن من آل فرعون عن موسى ٢٩٢	تطاب الانسان للخير وقنوطه إذا مسه الشر ٣٤٧
ومحاجته له ٢٩٤	ظهور آيات الله في الآفاق وفي أنفس البشر ٣٤٨
تحذير المؤمن لآل فرعون بأس الله ونقمته ٢٩٤	﴿ تفسير سورة الشورى ﴾ ٣٥٠
أمر فرعون لهامان ببناء الصرح وتكذيبه ٢٩٧	إنذار الناس وتخويفهم يوم الجمع وهو الحشر ٣٥٣
بآيات الله تعالى ٢٩٩	إنكار الله على المشركين في اتخاذهم آلهة من دونه ٣٥٥
نهى المؤمن قومه عن دعاء من لا يسمع ولا يجيب ٢٩٩	دين الانبياء واحد وهو توحيد الله وعبادته ٣٥٧
عرض آل فرعون على النار غدواً وعشيا ٣٠١	استعجال الكفار بالساعة وإشفاق المؤمنين منها ٣٦٠
نصر الله تعالى لرسوله والذين آمنوا به ورساله ٣٠٣	مودعة قرابة النبي (ص) وما ورد فيها ٣٦٣
دليل البعث خلق السموات والارض وهن ٣٠٦	امتنان الله على عباده بقبول توبتهم إذا تابوا اليه ٣٦٩
أكبر من خلق الناس ٣٠٨	آية الله في خلق السموات والارض وخلق الدواب فيها ٣٧٢
استجابة الله تعالى لمن يدعوه وحده لا يشرك به شيئاً ٣٠٨	« » « تسخير البحر للسفن الجوارى فيه كالحيات ٣٧٥
جعل الليل سكناً والنهار مبصراً ٣١١	تحقير شأن الدنيا وزينتها وفتنها وزهرتها ونعيمها ٣٧٦
التعجب من الذين يجادلون في آيات الله بالباطل ٣١٣	جواز الانتصار من الظالم وما ورد فيه ٣٧٨
أمر الله لرسوله بالصبر على تكذيب قومه ٣١٥	نفاذ مشيئة الله تعالى بالاضلال والهداية ٣٨٠
ووعده بالنصر عليهم ٣١٦	كلام الله للبشر إما وحياً أو من وراء حجاب أو بواسطة الملك ٣٨١
منة الله على عباده في خلق الانعام وما فيها من ٣١٦	
المنافع ٣١٨	
﴿ تفسير سورة فصات ﴾ ٣١٨	
كون قلوب الكفار في أكنة وفي آذانهم وقر ٣٢٠	
عند سماع القرآن ٣٢٠	

صفحة	صفحة
٣٨٥ ﴿تفسير سورة الزخرف﴾	٤١٩ إنزال القرآن العظيم في ليلة مباركة
٣٨٧ اعتراف المشركين بأن الله هو الذي خلق السموات والارض	٤٢٠ وعيد الله بانزال دخان مبين
٣٨٩ الاحاديث الواردة فيما يقال عند ركوب الدابة	٤٢١ الاحاديث والآثار في إنزال الدخان من السماء
٣٩١ إنكار الله على الكافرين نسبتهم البنات اليه تعالى وتقدس	٤٢٥ ابتلاء قوم فرعون بأرسال رسول كريم اليهم
٣٩٤ تبرؤ ابراهيم عليه السلام من أبيه وقومه في عبادتهم الاوثان	٤٢٦ دعاء موسى ربه باهلاك قوم فرعون بسبب إجرامهم
٣٩٦ جزاء المتقين مدخر لهم في الآخرة	٤٢٧ إرث بني إسرائيل لملك فرعون وقومه
٣٩٨ لا يتعاضى عن ذكر الله إلا فرين الشيطان	٤٢٨ بكاء السماء والارض على الصالحين من العباد
٤٠٠ طلب الاستمساك بما أوحى الله إلى نبيه	٤٣٠ إنكار المشركين للبعث والمعاد وإنكار الله عليهم
٤٠١ ارسال موسى إلى فرعون ومثله واستنزأهم	٤٣١ خبر اهلاك قوم تبع وهم سبأ
٤٠٢ طغيان فرعون واغتراره بملك مصر وأنهارها	٤٣٣ ترجمة تبع وإيمانه بمحمد ﷺ وشعره فيه
٤٠٣ تمرد فرعون واستكباره وادعاؤه أنه خير من موسى	٤٣٤ تنزيه أفعال الله تعالى عن العبث
٤٠٤ انتقام الله من فرعون ومائه وغضبه عليهم وإغراقهم أجمعين	٤٣٥ طعام أهل النار وكونه من شجرة الزقوم
٤٠٥ تعنت كفار قريش وجدالهم في عيسى بن مريم عليه السلام	٤٣٦ مقام المتقين في الجنة ولباسهم وأزواجهم
٤٠٩ نزول عيسى عليه السلام وكونه من علامات الساعة	٤٣٧ لباس أهل الجنة وكونه من سندس واستبرق
٤١٠ عداء الاخلاء لبعضهم يوم القيامة ماعد المتقين	٤٣٩ تيسير القرآن وتبينه للناس رجاء أن يعملوا به
٤١٢ جزاء أهل الجنة بكل ما تشتهي النفس وتلذذ الاعين	٤٤٠ ﴿تفسير سورة الجاثية﴾
٤١٣ خلو أهل الجنة وإدخالهم لها بما عملوا من الصالحات	٤٤١ آيات الله الظاهرة في السموات والارض
٤١٤ طلب أهل النار للموت من شدة العذاب	٤٤٢ إنزال القرآن بالحق واستكبار الكفار عن سبائه
٤١٥ نفي الولد عن الله تعالى بأبلغ عبارة	٤٤٣ تسخير البحر لجرىان الفلك فيه بأمر الله
٤١٧ شكوى النبي (ص) الى ربه من قومه بأنهم لا يؤمنون	٤٤٤ تسخير ما في السموات والارض لمصالح البشر
٤١٨ ﴿تفسير سورة الدخان وفضل قراءتها﴾	٤٤٤ إيتاء بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة وبغيم واختلافهم
	٤٤٥ نفي المساواة بين المؤمنين والكافرين
	٤٤٦ من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم
	٤٤٧ النهي عن نسبة أفعال الله إلى الدهر
	٤٤٨ الانكار على الدهريين والنهي عن سب الدهر
	٤٤٩ أهوال قيام الساعة وخمران المبطلين
	٤٥٠ وضع كتاب الاعمال وإشفاق الجرمين مما فيه
	٤٥١ تأنيب المشركين وتقريعهم على استكبارهم

صفحة	صفحة
٤٩٠	وكفرهم بآيات الله
٤٩١	٤٥٢ إنفراد الله بالربوبية والكبرياء في السموات والأرض
٤٩٢	﴿تفسير سورة الاحقاف﴾
٤٩٤	٤٥٣ انزال القرآن بالحق وإعراض الكفار عن إنذاره
٤٩٥	٤٥٤ إتفاق جميع الكتب السماوية على انفراد الله تعالى بالربوبية
٤٩٦	٤٥٥ بهتان الكفار في قولهم آيات الله سحريين
٤٩٧	٤٥٦ تفصل النبي (ص) من ادعاء علم الغيب
٤٩٨	٤٥٨ شهادة الكتب المتقدمة بصحة القرآن وأنه من عند الله
٥٠٠	٤٦١ بر الانسان بوالديه ومدة حملهِ وفصاله
٥٠٢	٤٦٣ بلوغ الانسان أشده وبلوغه أربعين سنة وتوبته بعد ذلك
٥٠٣	٤٦٤ الثابتون يتقبل الله منهم أحسن ما عملوا ويتجاوز عنهم
٥٠٤	٤٦٥ النهي عن عقوق الوالدين وعن اتأفیف وما ورد فيه
٥٠٥	٤٦٨ عرض الذين كفروا على النار واستحقاقهم عذاب الهون
٥٠٦	٤٦٩ تأسي النبي (ص) بالانبياء قبله
٥٠٨	٤٧٠ إهلاك عاد بريح فيها عذاب اليم
٥٠٩	٤٧٣ تمكين الله الامم السالفة في الارض وجحودهم آياته
٥١١	٤٧٤ استماع الجن للقرآن من النبي (ص) وإيمانهم به
٥١٢	٤٧٥ الاحاديث الواردة في وفود الجن على النبي (ص)
٥١٣	٤٨٣ المرات التي سمع الجن فيها القرآن من النبي (ص)
٥١٤	٤٨٤ الأقوال في عدد الجن الذين وفدوا على النبي (ص)
٥١٥	٤٨٥ علم الجن بمبعث النبي (ص) وإيمانهم به
٥١٦	٤٨٦ وفود الجن على النبي (ص) بعد الهجرة
٥١٧	٤٨٩ عموم بعثة النبي (ص) إلى الثقلين الجن والانس
٥١٨	
٥١٩	
٥٢٠	

دخول المؤمنين من الجن الجنة
عدم تفكير المنكرين للبعث في مخلوقات الله الدالة على قدرته
صبر النبي (ص) كما صبر أولو العزم من الرسل
﴿تفسير سورة القتال﴾
بطلان أعمال الصادين عن سبيل الله
إرشاد المؤمنين إلى ما يعتمدونه في حروبهم
ما ينبغي للإمام فعله في أسارى الكفار
الحث على الجهاد وما فيه من العز والنصر
فضل الجهاد وفضل الشهداء وما ورد فيها
طلب السير في أرض الله للاعتبار بالأمم الغابرة
الفرق بين من هو على بينة من ربه ومن زين له سوء عمله
ما ورد في نعت الجنة التي أعدت للمتقين
استماع الكفار للقرآن بغير فهم ولا تدبر في معانيه
كون بعثة محمد (ص) من أنوار الساعة
الامر بالتوحيد والاستغفار من الذنوب
مشروعية الجهاد ونكوص كثير من الناس عنه
فضل صلة الارحام وما ورد فيها
عدم تدبر القرآن دليل على استغلاق القلوب
إظهار الله لفضائح المنافقين وتبيينه أمرهم
حبوط أعمال الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
ما ورد في الامور المحبطة للأعمال
تحقير الله للحياة الدنيا وتهوين شأنها
فضل الاتفاق في سبيل الله وعود منفعتة على المنفقين
﴿تفسير سورة الفتح﴾
أقوال العلماء في المراد بالفتح المذكور في الآية الكريمة
الاحاديث والآثار في الفتح المراد من الآية
غفران ما تقدم من ذنب النبي (ص) وما تأخر

صفحة	صفحة
٥٣٧	٥٢١ إنزال الله السكينة على قلوب المؤمنين
على الكافرين	٥٢٢ الحكمة في مشروعية الجهاد للمؤمنين حصول
٥٣٨	الثواب لهم
منة الله على عباده المؤمنين في كفى أيدي	٥٢٣ بيعة الرضوان والاحاديث الواردة فيها
المشركين عنهم	٥٢٤ عدد أهل بيعة الرضوان وما ورد في ذلك
٥٤٣	٥٢٥ ذكر السبب في بيعة الرضوان والاحاديث في ذلك
صد المشركين للمؤمنين عن المسجد الحرام	٥٢٩ اعتذار الخلفين من الاعراب عن الغزو مع
٥٤٥	النبي (ص)
إنزال السكينة على الرسول والمؤمنين والزامهم	٥٣٠ تقريب الخلفين من الاعراب على تخلفهم عن
كلمة التقوى	الجهاد
٥٤٦	٥٣١ رغبة الخلفين في المغانم ونكوصهم عن الجهاد
صلح الحديبية والاحاديث الواردة فيه	٥٣٢ دعوة الخلفين الى قتال قوم أولي بأس شديد
٥٦٠	٥٣٤ رضوان الله عن المؤمنين الذين بايعوا النبي (ص)
تصديق رؤيا النبي (ص) في دخول المسلمين	تحت الشجرة
المسجد الحرام	٥٣٥ المغانم التي وعد بها الله المسلمين بسبب جهادهم
٥٦١	
عمرة القضاء والاحاديث الواردة فيها	
٥٦٥	
الثناء على المؤمنين وصفاتهم وأحوالهم	
٦٦٦	
وصف المؤمنين بكثرة العمل والركوع والسجود	
وابتغاء رضوان الله	
٥٦٧	
ظهور أثر العمل الصالح على الوجوه	



بيان الخطأ المطبعي الواقع بالجزء السابع من تفسيرى ابن كثير والبعوى

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢	١٥	السما	من السماء
٢٣	١٥	عمر	عمرو
»	٢	بطريق	لطريق
٥٠	٧	علم لله	علم الله
٥٧	٦	منقلة	منقلة
٦٦	١٩	والساق	والسابق
»	١٨	آبؤهم	آبأؤهم
٨٧	١١	الملك	الملك
»	٢٥	فوقينا	فقوبنا
١٠٠	٢٣	راد	أراد
١٠١	»	أزق	أرزق
»	٢٦	ما يتمسك	مما يتمسك
١٢٠	١	وكا	وكان
١٣٢	١٥	سعد بن جبير	سعيد بن جبير
١٣٣	١١	لهو الفضل	لهو الفوز
١٤٨	١٧	فأبشره	فلما بشره
١٤٩	٢٤	لم تجرى	فلم تجر
١٨٢	١٩	إذ لا مسكم	إذ لا مسكم
١٨٧	١	لعشي	بالعشي
٢٣٢	٢٣	فبشر عبادي	فبشر عباد
٢٣٣	٢١	»	»
٢٨٢	١٥	والذين اتبعهم	والذين آمنوا واتبعهم
٣٩٣	٢٠	وية	قرية

obeykandi.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(المجلد السابع من تفسير الحافظ ابن كثير)

تفسير سورة سبأ وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم

الخبير (١) يعلم ما يابح في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها

وهو الرحيم الغفور (٢)

يخبر تعالى عن نفسه البركة أن له الحمد المطلق في الدنيا والآخرة لأنه المنعم المتفضل على أهل الدنيا والآخرة، المالك لجميع ذلك، الحاكم في جميع ذلك كما قال تعالى (وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون) ولهذا قال تعالى ههنا (الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض) أي الجميع ملكه وعبيده ونحمت تصرفه وقهره كما قال تعالى (وان لنا الآخرة والأولى) ثم قال عز وجل (وله الحمد في الآخرة) فهو المعبود أبداً، الحمود على طول المدى. وقوله تعالى (وهو الحكيم) أي في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره (الخبير) الذي لا يخفى عليه خافية ولا يغيب عنه شيء.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سورة سبأ مكية وهي أربع وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض﴾ ملكا وخائفا ﴿وله الحمد في الآخرة﴾ كما هو له في الدنيا لأن النعم في الدارين كلها سر قبل الحمد لله في الآخرة هو حمد أهل الجنة كما قال الله تعالى (وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن - والحمد لله الذي صدقنا وعده) ﴿وهو الحكيم الخبير﴾

وقال مالك عن الزهري خير مخلقه حكم أمره ، ولما قال عز وجل (يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها) أي يعلم عدد القطر النازل في أحرار الأرض والحب المذور والسكان فيها ، ويعلم ما يخرج من ذلك عدده وكيفية وصفاته (وما ينزل من السماء) أي من مطر ورزق ، وما يخرج فيها أي من الأعمال الصالحة وغير ذلك (وهو الرحيم الغفور) أي الرحيم بعباده فلا يعاجل عصاتهم بالعقوبة الغفور عن ذنوب التائبين إليه المتوكلين عليه

وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم علم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتب مبين (٣) ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم (٤) والذين سمعوا في آياتنا معجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم (٥) ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد (٦)

هذه إحدى الآيات الثلاث التي لاراع لمن مما أمر الله تعالى رسول الله ﷺ أن يقسم برب العظيم على وقوع المعاد، لما أنكره من أنكره من أهل الكفر والعناد، فأحداهن في سورة يونس عليه السلام وهي قوله تعالى (وبسنتيؤنك أحق هو قل إني وربي أنه لحق وما أنتم بمعجزين) والثانية هذه [وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم] والثالثة في سورة النعبان وهي قوله تعالى [زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي ليعمن ثم لنتيون بما علمتم ذلك على الله بسير] فقال تعالى [قل بلى وربي لتأتينكم] ثم وصفه بما يؤكد ذلك ويقرره فقال [عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين] قال مجاهد وقتادة لا يعزب عنه لا يغيب عنه أي الجيم مندرج تحت علمه فلا يخفى عليه شيء ، فالعظام وإن تلاشت وتفرقت وتمزقت فهو عالم أين ذهبت وأين تفرقت ثم يعيدها كما بدأها أول مرة فإنه بكل شيء عليم ، ثم بين حكمته في

يعلم ما يلج في الأرض (أي يدخل فيها من الماء والاموات) وما يخرج منها (من النبات والاموات إذا حشروا) وما ينزل من السماء (من الأمطار) وما يصعد (فيها) من الملائكة وأعمال العباد (وهو الرحيم الغفور * وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم) الساعة (عالم الغيب) قرأ أهل المدينة والشام عالم الرفع على الاستئناف ، قرأ الآخرون بالجر على امت الرب أي وربي عالم الغيب ، وقرأ حمزة والكسائي علام على وزن فعال ، جزم الميم (لا يعزب) لا يغيب (عنه مثقال ذرة) وزن ذرة (في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك) أي من الذرة (ولا

٤ مشاهدة العلماء في الآخرة ما كانوا يؤمنون به في الدنيا (تفسير ابن كثير والبقوي)

إعادة الأبدان وقيام الساعة بقوله تعالى (يعجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم) * والذين سعوا في آياتنا معاجزين [أي الذين سعوا في آياتنا من أجل أن يصد عن سبيل الله تعالى وتكذيب رسله] أولئك لهم عذاب من رجز أليم [أي لهم العذاب من المؤمنين ويعذب الأشقياء من الكافرين كما قال عز وجل] لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون [قال تعالى] أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالفاسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار [

وقوله تعالى (ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق) هذه حكمة أخرى معطوفة على التي قبلها وهي أن المؤمنين بما أنزل على الرسل إذا شاهدوا قيام الساعة ومجازاة الأبرار والفجار بالذي كانوا قد علموه من كتب الله تعالى في الدنيا رأوه حينئذ عين اليقين ويقولون يومئذ أيضاً (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) ويقال أيضاً (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث (ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد) العزيز هو المنيع الخائب الذي لا يغالب ولا يمانع بل تقدر كل شيء وغلبه الحميد في جميع أقواله وأفعاله وشرعه وقدره وهو المحمود في ذلك كله جل وعلا

وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقكم كل ممزق إنكم لفي خلق

جديد؟ (٧) أفترى دلي الله كذبا أم به جنة؟ بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب

والضلال البعيد (٨) أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم السماء والأرض؟ إن نشأ نخسف

بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء ان في ذلك لآية لكل عبد منيب (٩)

هذا أخبار من الله عز وجل عن استبعاد الكفرة للملحدين قيام الساعة واستهزائهم بالرسول ﷺ

أ كبر إلا في كتاب مبين * يعجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك (يعني الذين آمنوا وعملوا الصالحات) (لهم مغفرة ورزق كريم) حسن (يعني في الجنة) * والذين سعوا في آياتنا (في إبطال أدلتنا معاجزين) بحسبون أنهم يموتوننا (أولئك لهم عذاب من رجز أليم) قرأ ابن كثير وحفص ويعقوب أليم بالرفع ههنا وفي الجائزية على نعت العذاب وقرأ الآخرون بالخفض على نعت الرجز وقال قتادة الرجز سوء العذاب

قوله تعالى (ويرى الذين) أي ويرى الذين (أوتوا العلم) يعني مؤمني أهل الكتاب عبد الله ابن سلام وأصحابه وقال قتادة هم أصحاب محمد ﷺ (الذي أنزل إليك من ربك) يعني القرآن (هو الحق) يعني أنه من عند الله (ويهدي) يعني يهدي القرآن (إلى صراط العزيز الحميد) وهو الإسلام (وقال الذين كفروا) منكرين للبعث متعجبين منه (هل ندلكم على رجل ينبئكم) أي يخبركم

في اخباره بذلك (وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل يبشركم اذا مرقتم كل مرق (أي تفرقت اجسادكم في الارض وذعبت فيها كل يدب وتزقت كل مرق) انكم أي بعد هذا الحال (اني خلقت جديد) أي تعودون أحياء ترزقون بعد ذلك وهو في هذا الاخبار لا يخلو أمر من قسمين إما أن يكون قد تعمد الاقتراف على الله تعالى أنه قد أرجى اليه ذلك أو أنه لم يتعمد لكن ابس عليه كما يلبس على المعتوه والمجنون ولهذا قولوا (افترى على الله كذباً أم به جنة) قال الله عز وجل راداً عليهم (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد) أي ليس الامر كما زعموا ولا كما ذهبوا اليه بل محمد ﷺ هو الصادق البار الراشد الذي جاء بالحق، وهم الكذبة الجهلة الاغبياء (في العذاب) أي الكفر المفضي بهم الى عذاب الله تعالى والضلال البعيد من الحق في الدنيا، ثم قال تعالى منها لهم على قدرته في خلق السموات والارض فقال تعالى (أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض) أي حينما توجهوا وذهبوا فالسما مظة عليهم والارض تحتمهم كما قال عز وجل | والسماء ببنيناها بأيدي وانا لموسعون * والارض فرشناها فنعم الماهدون |

قال عبد بن حميد أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة (أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض) قال انك إن نظرت عن يمينك أو عن شمالك أو من بين يديك أو من خلفك رأيت السماء والارض

وقوله تعالى (إن نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفا من السماء) أي لو شئنا لفعلنا بهم ذلك بظلمهم وقدرتنا عليهم ولكن تؤخر ذلك لحملنا وعفونا ثم قل | إن في ذلك لآية لكل عبد منيب | قال معمر عن قتادة منيب تائب، وقال سفيان عن قتادة المنيب المقبل إلى الله تعالى أي إن في النظر إلى خلق السموات والارض لدلالة لكل عبد فطن لبيب رجاء إلى الله، على قدرة الله على

يعنون محمداً ﷺ (إذا مرقتم كل مرق) قطعتم كل قطع وفرقتم كل فرق وصرتم تراباً (إنكم اني خلق جديد) أي يقول لكم إنكم اني خلق جديد (افترى) أي استهفهم دخلت على ألف الوصل ولذلك نصب (على الله كذباً أم به جنة) يقولون أزعج كذباً أم به جنون قال الله تعالى رداً عليهم (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد) من الحق في الدنيا

قوله تعالى (أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض) فيعلموا انهم حيث كانوا فان ارضي وسمائي محيطه بهم لا يخرجون من أقطارها وأنا المقادر عليهم (إن نشأ نخسف بهم الارض) قرأ الكسائي نخسف بهم بادغام الفاء في الباء (أو نسقط عليهم كسفا من السماء) قرأ حمزة والكسائي ان يشأ نخسف أو يسقط بالياء فيهن لذكر الله من قبل وقرأ الآخرون بالنون فيهن (إن في ذلك) أي فيما ترون من السماء والارض (لآية) تدل على قدرتنا على البعث (لكل عبد منيب) تائب راجع إلى الله بقلبه

بعث الاجساد ووقوع المعاد لان من قدر على خلق هذه السموات في ارتفاعها واتساعها. وهذه الارضين في انخفاضها، وأطوالها وأعرضها، انه لقادر على إعادة الاجسام، ونشر الرميم من العظام، كما قال تعالى [أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بل] وقال تعالى [لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون]

ولقد آتينا داود منا فضلا يَجِبَالُ أُوْبِيَّ مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَننَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنْ اعْمَلْ

سَبْعَ فَنَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١)

ينخير تعالى عما أنعم به على عبده ورسوله داود عليه الصلاة والسلام مما آناه من الفضل المبين وجمع له بين النبوة والملك المتمكن، والجنود ذوي العدد والعدد، وما أعطاه ومنحه من الصوت العظيم الذي كان اذا سبج به تسبج معه الجبال الراسيات، النجم الشاخات، ونقف له الطيور السارحات، والغاديات والرائحات، وتجاوبه بأنواع اللغات، وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع صوت أبي موسى الاشعري رضي الله عنه يقرأ من الليل فوق فاستمع لقراءته ثم قال صلى الله عليه وسلم « لقد أوتي هذا زمزماً من زمزيم آل داود » وقال أبو عثمان النهدي مسمعت صوت صنجد ولا يربط ولا وتر أحسن من صوت أبي موسى الاشعري رضي الله عنه، ومعنى قوله تعالى (أُوْبِي) أي سبجي قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد وزعم أبو ميسرة أنه بمعنى سبجي بلسان الحبشة وفي هذا نظر فان التأويب في اللغة هو الترجيم فأمرت الجبال والطير أن ترجم معه بأصواتها وقال أبو القاسم عبد الرحمن ابن اسحاق الزجاجي في كتابه (الجل) في باب النداء منه (يا جبال أُوْبِيَّ مَعَهُ) أي سيري معه بالنهار كله والتأويب سير النهار كله، والاسآد سير الليل كله وهذا الفظه وهو غريب جداً لم أره لغيره وإن كان له مساعدة من حيث اللفظ في اللغة لكنه بعيد في معنى الآية ههنا والصواب أن المعنى في قوله تعالى (أُوْبِيَّ مَعَهُ) أي رجمي مسبحة معه كما تقدم والله أعلم

قوله تعالى ﴿ ولقد آتينا داود منا فضلاً ﴾ يعني النبوة والكتاب وقيل الملك وقيل جميع ما أوتي من حسن الصوت وتايين الحديد وغير ذلك مما خص به ﴿ يا جبال ﴾ أي وقلنا يا جبال ﴿ أُوْبِيَّ ﴾ أي سبجي ﴿ مَعَهُ ﴾ اذا سبج وقال الفتيبي أصله من التأويب في السير وهو ان يسير النهار كله فينزل ليلاً كأنه قال أُوْبِيَّ النهار كله بالنسب سبج معه وقال وهب نوحى معه ﴿ والطير ﴾ عطف على موضع الجبال لان كل منادى في موضع النصب . وقيل معناه وسخرنا وامرنا الطير أن تسبج معه، وقرأ يعقوب والطير بالرفع رداً على الجبال أي أُوْبِيَّ أنت والطير وكان داود اذا نادى بالنياحة أجابته الجبال بصداها وعكفت الطير عليه من فوقه فصدى الجبال الذي يسمعه الناس اليوم من ذلك، وقيل كان داود اذا

وقوله تعالى (وألنا له الحديد) قال الحسن البصري وقتادة والاعمش وغيرهم كل لا يحتاج أن يذخه ناراً ولا يضربه مطرقة ، بل كان ينفذه يده مثل الخيوط ولذا قال تعالى (أن اعمل سابغات) وهي الدروع قال قتادة وهو أول من عملها من الخلق وإنما كانت قبل ذلك صفائح

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا ابن جماعة حدثنا ابن ضمرة عن ابن شوذب قال : كان داود عليه السلام يرفع في كل يوم درعا فيبيعها بستة آلاف درهم ألفين له ولأهله وأربعة آلاف درهم بطعم بها بني إسرائيل خبز الحواري (وقدر في السرد) هذا إرشاد من الله تعالى لبيه داود عليه السلام في تعليمه صنعة الدروع ، قل مجاهد في قوله تعالى (وقدر في السرد) لا تدق المسامير فيملاق في الحلقة ولا تغلظه فيقصمها واجعله بقدر ، وقال الحكم بن عيينة لا تغلظه فيقصم ولا تدقه فيملاق ، وهكذا روي عن قتادة وغير واحد ، وقل علي بن أبي طلحة عن ابن عباس السرد هو الحديد ، وقال بعضهم يقال درع مسرودة إذا كانت مسورة الحلق واستشهد بقول الشاعر

وعاينها مسرودتان مضاهما داود أو صنع السوايح تبع

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة داود عليه الصلاة والسلام من طريق اسحاق بن بشر وفيه كلام عن أبي الياس عن وهب بن منبه ما يضمنونه أن داود عليه السلام كان يخرج متكرراً فيسأل الركبان عنه وعن سيرته فلا يسأل أحداً إلا أثنى عليه خيراً في عبادته وسيرته وعدله عليه السلام ، قال وهب حتى بعث الله تعالى ملكاً في صورة رجل فقيه داود عليه الصلاة والسلام فسأله كما كان يسأل

تخلل الجبال فسبح الله جعلت الجبال تحجابه بالتسبيح نحو ما يهيج وقيل كان داود عليه السلام إذا لحقه فتور أسمعته الله تسبيح الجبال تنشط له (وألنا له الحديد) حتى كان الحديد في يده كالشمع والعاجين يعمل فيه ما يشاء من غير نار ولا ضرب مطرقة . وكان سبب ذلك على ما روي في الأخبار أن داود عليه السلام لما ملك بني إسرائيل كان من عادته أن يخرج للناس متكرراً فإذا رأى رجلاً لا يعرفه يقدم إليه ويسأله عن داود ويقول له ما تقول في داود واليكم هذا أي رجل هو ؟ فيقولون عليه ويقولون خيراً فقيض الله له ملكاً في صورة آدمي ، فلما رآه داود تقدم إليه على عادته فسأله فقال الملك نعم الرجل هو لولا خصلة فيه ، فراع داود ذلك وقال ماهي يا عبد الله ؟ قال انه يأكل ويطعم عياله من بيت المال ، قال فتنبه لذلك وسأل الله أن يسبب له سبباً يستغني به عن بيت المال فينقوت منه ويطعم عياله فألان الله تعالى له الخريد وعلمه صنعة لدروع وانه أول من اتخذها ويقال إنه كان يبيع كل درع بأربعة آلاف درهم فيأكل ويطعم منها عياله ويتصدق منها على الفقراء والمساكين ويقال إنه كان يعمل كل يوم درعا يبيعها بستة آلاف درهم فينفق ألفين منها على نفسه وطياله ويتصدق بأربعة آلاف على فقراء بني إسرائيل قال رسول الله ﷺ « كان داود عليه السلام لا يأكل إلا من عمل يده » (أن اعمل سابغات) دروعاً كوامل واسعات طوالا تسحب في الارض (وقدر في السرد) والسرد

غيره فقال هو خير الناس لنفسه ولأمنته إلا أن فيه خصاصة لو لم تكن فيه كال كابل ، قال ما هي ؟ قال يأكل ويطعم عياله من مال المسلمين يعني يت مال فعند ذلك نصب داود لميعة السلام إلى ربه عز وجل في الدعاء أن بعلمه عملا بيده يستغني به وبغني به عياله قالان الله عز وجل له الخايد وعلمه صنعة الدروع فعمل الدروع وهو أول من عملها فقال الله تعالى (أن عمل سابعات وقدر في السرد) يعني مسامير الخلق ، قال وكان يعمل الدرع فإذا ارتفع من عمله درع باعها فتصدق بثلاثها واشترى بثلاثها ما يكفيه وعياله ، وأمسك الثلث يتصدق به يوما بيوم إلى أن يعمل غيرها ، قال إن الله تعالى أعطى داود شيئا لم يعطه غيره من حسن الصوت أنه كان إذا قرأ الزبور تجتمع الوحوش إليه حتى يؤخذ بأعناقها وما تنفر وما صنعت الشياطين المرامير والبرابط والصنوج إلا على أنصاف صوته عليه السلام ، وكان شديد الاجتهاد ، وكان إذا افتتح الزبور بالقراءة كأنما ينفخ في المزامير ، وكان قد أعطى سبعين مزمرا في حلقه ، قوله تعالى (واعملوا صالحا) أي في الذي أعطاكم الله تعالى من النعم (إني بآئعمالكم بصير) أي مراقب لكم بصير بأعمالكم وقوالكم لا يخفى علي من ذلك شي .

ولسلیمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسأله عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بأذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير (١٢) يعملون له ما يشاء من محاريب وتمثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور (١٣)

لما ذكر تعالى ما أنعم به على داود عطف بذكر ما أعطى ابنه سليمان عليها الصلاة والسلام من تسخير الريح له تحمل بساطه غدوها شهر ورواحها شهر ، قال الحسن البصري كان يغدو على بساطه من دمشق فينزل باصطخر يتغدى بها ويذهب رائحا من اصطخر فيبيت بكابل ، وبين دمشق واصطخر شهر كامل المسموع ، وبين اصطخر وكابل شهر كامل المسموع

نسج الدروع يقال لصانعه الممراد والزراد ، يقول قدر المسامير في حلق الدرع أي لا تجعل المسامير دقاقا فتتلق ، ولا غلاظا فتكسر الحلق ويقال السرد الممار في الحقة يقال درع مسرودة أي مسورة الحلق (وقد في السرد) اجعله على القصد وقدر الحاجة (واعملوا صالحا) يريد داود وآله (إني بما تعملون بصير) وسلیمان الريح (أي وسخرنا لسلیمان الريح وقرأ أبو بكر عن عاصم الريح بالرفع أي له سخر الريح (غدوها شهر ورواحها شهر) أي سير غدوها شهر الريح المسخرة له مسيرة شهر وسير رواحها مسيرة شهر وكانت تسير به في يوم واحد مسيرة شهرين قال الحسن كان يغدو من دمشق فيقبل باصطخر وبينهما مسيرة شهر ثم يروح من اصطخر فيبيت بكابل وبينهما مسيرة شهر المراكب

وقوله تعالى (وأسلنا له عين القطر) قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة وعطاء الخراساني وقتادة والسدي ومالك عن زيد بن أسلم وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد القطر النحاس قال قتادة وكانت باليمن فكل ما يصنع الناس مما أخرج الله تعالى لسليمان عليه السلام ، قال السدي وإنما أسبلت له ثلاثة أيام وقوله تعالى (ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه) أي وسخرنا له الجن يعملون بين يديه بإذن ربه أي بقدره وتسخره لهم بمشيئته ما يشاء من البنائيات وغير ذلك (ومن يزغ منهم عن أمرنا) أي ومن يعدل ويخرج منهم عن الطاعة (نذقه من عذاب السعير) وهو الحريق وقد ذكر ابن أبي حاتم هذا حديثا غريبا قال حدثنا أبي حدثنا أبو صالح حدثنا معاوية بن صالح عن أبي الزهراء عن جبير بن نفير عن أبي ثعلبة الحشني رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « الجن على ثلاثة أصناف صنف لهم أجنحة يطبرون في الهواء وصنف حيات وكلاب وصنف يحملون ويظعنون » رفعه غريب جدا . وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا حرمله حدثنا ابن وهب أخبرني بكر بن مضر عن محمد بن بحير عن ابن أنعم أنه قال : الجن ثلاثة أصناف صنف لهم الثواب وعابهم العقاب ، وصنف طيارون فيما بين السماء والأرض ، وصنف حيات وكلاب . قال بكر بن مضر ولا أعلم إلا أنه قال حدثني أن الانس ثلاثة أصناف ، صنف بظلمهم الله بظال عرشه يوم القيامة ، وصنف كالانعام بل هم أضل سبيلا ، وصنف في صور الناس على قلوب الشياطين . وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا علي بن هاشم بن مرزوق حدثنا سلمة يعني ابن الفضل عن اسماعيل عن الحسن قال الجن ولد ابليس والانس ولد آدم ومن هؤلاء مؤمنون ومن هؤلاء مؤمنون وهم شركاؤهم في الثواب والعقاب ومن كان من هؤلاء وهؤلاء مؤمنا فهو ولي الله تعالى ومن كان من هؤلاء وهؤلاء كافرا فهو شيطان

وقوله تعالى (يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل) أما المحاريب فهي البناء الحسن وهو أشرف

المسرع وقيل إنه كان يتعدي بالري ويتعشى بسمرقند ﴿ وأسأنا له عين القطر ﴾ أي أذنا له عين النحاس والقطر النحاس قال أهل التفسير أجريت له عين النحاس ثلاثة أيام ليلا حين تجري الماء وكان بأرض اليمن وإنما ينفع الناس اليوم بما أخرج الله سليمان ﴿ ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ﴾ بأمر ربه قال ابن عباس سخر الله الجن سليمان وأمرهم بطاعته فيما يأمرهم به ﴿ ومن يزغ ﴾ أي يعدل ﴿ منهم ﴾ من الجن ﴿ عن أمرنا ﴾ الذي أمرناه به من طاعة سليمان ﴿ نذقه من عذاب السعير ﴾ في الآخرة وقال بعضهم في الدنيا وذلك أن الله عز وجل وكل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ منهم عن أمر سليمان ضربه ضربة أحرقتة ﴿ يعملون له ما يشاء من محاريب ﴾ أي المساجد والابنية المرتفعة وكان مما عملوا في بيت المقدس ابتداء داود ورفعاه قدر قامة رجل فأوحى الله إليه إني لم أقض ذلك على يدك ولكن ابن لك أملاكه بعدك اسمه سليمان أقضي تمامه على يده ، فلما توفاه الله استخلف سليمان فأحب أن يابن بيت المقدس فخدم الجن والشياطين وقسم عليهم الأعمال فخص

شيء في المسكن ومصدره وقال مجاهد المحارِبِ بَيَانٌ دُونَ الْقُصُورِ ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ هِيَ الْمَسَاجِدُ وَقَالَ قَتَادَةُ هِيَ الْقُصُورُ وَالْمَسَاجِدُ قَالَ ابْنُ زَيْدٍ هِيَ الْمَسَاكِنُ . وَأَمَّا النَّمَائِلُ فَقَالَ عَطِيَّةُ الْعَوْفِيِّ وَالضَّحَّاكُ وَالسَّدي النَّمَائِلُ الصُّورُ قَالَ مجاهد وكانت من نحاسٍ وقال قَتَادَةُ من طينٍ وزجاجٍ وقوله تعالى (وجفان كالجواب وقُدُورُ رَاسِيَاتٍ) الجواب جمع جابية وهي الحوض الذي يجبي فيه الماء كما قال الأعشى ميمون بن قيس

كل طائفة منهم يعمل يستصاحبه لهم فارسٌ الجن والشیاطين في تحصيل الرخام والمينا الأبيض من معادنه وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفاح وجعلها اثني عشر ربضاً وأنزل كل ربض منها سبطاً من الأسباط وكانوا اثني عشر سبطاً فلما فرغ من بناء المدينة ابتداءً في بناء المسجد فوجه الشياطين فرقا فرقا يستخرجون الذهب والفضة والياقوت من معادنها والدر الصافي من البحر وفرقا يقامون الجواهر والحجارة من أماكنها وفرقا بأنونه بالمسك والعنبر وسائر الطيب من أماكنها فأني من ذلك بشيء لا يحصىه إلا الله عز وجل ثم أحضر الصنّاعين وأمرهم بنحت تلك الحجارة المرتفعة وتصييرها ألواحاً وإصلاح تلك الجواهر وثقب اليواقيت والآلي، فبنى المسجد بالرخام الأبيض والأصفر والأخضر وعمده بأساطين المينا الصافي وسقفه بالواح الجواهر الثمينة وفصص سقفه وحيطانه بالآلي والياقوت وسائر الجواهر وبسط أرضه بالواح الفير وزج فلم يكن يومئذ في الأرض بيت أبهى ولا أنور من ذلك المسجد وكان بضی في الظلمة كالقمر ليلة البدر، فلما فرغ منه جميعاً إليه أخبار بني إسرائيل فاعلمهم أنه بناه الله عز وجل وأن كل شيء فيه خالص لله وأخذ ذلك اليوم الذي فرغ منه عيداً . وروى عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ قال « لما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس سأل ربه ثلاثاً فأعطاه اثنين وأنا أرجو أن يكون أعطاه الثالثة سأل حكماً بصاف حكماً فأعطاه إياه وسأله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه إياه وسأله أن لا يبني هذا البيت أحد بصلي فيه ركعتين إلا أخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وأنا أرجو أن يكون قد أعطاه ذلك » قالوا فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان حتى غزاها بختنصر فحرب المدينة وهدمها ونقض المسجد وأخذ ما كان في سقفه وحيطانه من الذهب والفضة والدر والياقوت وسائر الجواهر فحملة إلى دار مملكته من أرض العراق، وبني الشياطين لسليمان باليمن حصوناً كثيرة عجيبة من الصخر

قوله تعالى ﴿ وتمايل ﴾ أي كانوا يعملون له تمايل أي صوراً من نحاسٍ وصفرٍ وشبهٍ وزجاجٍ ورخامٍ وقيل كانوا بصورون السباع والطيور وقيل كانوا يتخذون صور الملائكة والأنبياء والصالحين في المسجد ليراهم الناس فيزدادوا عبادةً ولعلها كانت مباحة في شربعتهم كما أن عيسى كان يتخذ صوراً من الطين فينفخ فيها فتكون طيراً باذن الله ﴿ وجفان ﴾ أي قصاع واحدها جفنة ﴿ كالجواب ﴾ كالحياض التي يجبي فيها الماء أي يجمع واحدها جابية يقال كان يقعد على الجفنة الواحدة ألف رجل

تروح على آل المحقق جفنة كجانية الشيخ العراقي تفهق

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما (كل جواب) أي كالجوبة من الأرض وقال العوفي عنه كالحياض وكذا قال مجاهد الحسن وقتادة والضحاك وغيرهم. والقذور الراسيات أي الثابتات في أماكنها لا تتحرك ولا تتحول عن أماكنها لعظمها كذا قال مجاهد والضحاك وغيرهما وقال عكرمة أنا فيها منها وقوله تعالى (اعملوا آل داود شكراً) أي وقلنا لهم اعملوا شكراً على ما أنعم به عليكم في الدين والدنيا، وشكراً مصدر من غير الفعل أو انه مفعول له وعلى التقديرين فيه دلالة على أن الشكر يكون بالفعل كما يكون بالقول والنية كما قال الشاعر

أفاد تسكماً النعماء مني ثلاثة * يدي واسأني والضمير المحجبا

قال أبو عبد الرحمن السلمي الصلاة شكر والصيام شكر وكل خير عمله لله عز وجل شكر وأفضل الشكر الحمد. رواه ابن جرير وروى هو وابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي قال الشكر تقوى الله تعالى والعمل الصالح، وهذا يقال لمن هو متلبس بالفعل. وقد كان آل داود عليهم السلام كذلك قائمين بشكر الله تعالى قولاً وعملاً. قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن أبي بكر حدثنا جعفر يعني ابن سليمان عن ثابت البناني قال كان داود عليه السلام قد جزأ على أهله وولده ونسائه الصلاة فكان لا تأتي عليهم ساعة من الليل والنهار إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي ففهمهم هذه الآية (اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور) وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ انه قال «ان أحب صلاة الى الله تعالى صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه، وأحب الصيام الى الله تعالى صيام داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يفر اذا لاقى»

وقد روى أبو عبد الله بن ماجه من حديث سعيد بن داود حدثنا يوسف بن محمد بن المنكدر عن أبيه عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «قالت أم سليمان بن داود عليهم السلام سليمان يا بني لا تكثر النوم بالليل فان كثرة النوم بالليل تترك الرجل فقيراً يوم القيامة» وروى ابن أبي حاتم عن داود عليه الصلاة والسلام ههنا أثر آخر يماطولا جداً، وقال أيضاً حدثنا أبي حدثنا عمران ابن موسى حدثنا أبو زيد قبيصة بن اسحاق الرقي قال قال فضيل في قوله تعالى (اعملوا آل داود شكراً) قال داود يارب كيف أشكرك والشكر نعمة منك؟ قال «الآن شكرتني حين قلت إن النعمة مني» وقوله تعالى (وقليل من عبادي الشكور) اخبار عن الواقع

يأكلون منها (وقذور راسيات) ثابتات لها قوائم لا تحركن عن أماكنها لعظمها ولا ينزلن ولا يقلعن وكان يصعد عليها بالسلايم جميع السلم وكانت باليمن (اعملوا آل داود شكراً) أي وقلنا اعملوا آل داود شكراً مجازة اعملوا يا آل داود بطاعة الله شكراً له على نعمه (وقليل من عبادي الشكور) أي العادل بطاعتي قبل المراد من آل داود هو داود نفسه وقيل داود وسليمان وأهل

فلما قضينا عليه الموت مادلهم على موته إلا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن

أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب المهين (١٤)

يذكر تعالى كيفية موت سليمان عليه السلام وكيف عمى الله موته على الجن المسخرين له في الاعمال الشاقة فانه مكث متوكتنا على عصاه وهي منسأته كما قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والحسن وقتادة وغير واحد مدة طويلة فحوا من سنة فلما أكلتها دابة الارض وهي الارضة ضعفت وسقطت الى الارض وعلم أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة، وتبينت الجن والانس أيضا ان الجن لا يعلمون الغيب كما كانوا يتوهمون ويوهمون الناس ذلك. وقد ورد في ذلك حديث مرفوع غريب وفي صحته نظر

قال ابن جرير حدثنا أحمد بن منصور حدثنا موسى بن مسعود حدثنا أبو حذيفة حدثنا ابراهيم ابن طهمان عن عطاء عن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال « كان نبي الله سليمان عليه السلام إذا صلى رأى شجرة نابتة بين يديه فيقول لها ما اسمك؟ فتقول كذا فيقول لأي شيء أنت فان كانت تفرس غرست وان كانت لدواء كتبت ، فينهاهو يصلي ذات يوم إذ رأى شجرة بين يديه فقال لها ما اسمك؟ قالت الخروب قال لأي شيء أنت؟ قالت لخراب هذا البيت فقال سليمان عليه السلام اللهم عم على الجن موته حتى يعلم الانس أن الجن لا يعلمون الغيب، ففتحها عصا فتوكتا عليها حولاً يتأولان العمل، فأكلتها الارضة فتبينت الانس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا حولاً في العذاب المهين، قال وكان ابن عباس يقرأها كذلك قال فشكرت الجن الارضة فكانت تأتيها بالماء، وهكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث ابراهيم بن طهمان به وفي رفعه غرابية ونكارة والاقرب أن يكون موقوفاً وعطاء بن أبي مسلم الخراساني له غرابيات وفي بعض حديثه نكارة، وقال السدي في حديثه نكارة. وقال السدي في حديث ذكره عن أبي مالك عن أبي

بيته وقال جعفر بن سليمان سمعت ثابتاً يقول كان داود نبي الله عليه السلام قد جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم يكن تأتي ساعة من ساعات الليل والنهار إلا وانسان من آل داود قائم يصلي ﴿ فلما قضينا عليه الموت ﴾ أي على سليمان قال أهل العلم كان سليمان عليه السلام يتحرر في بيت المقدس السنة والستين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر يدخل فيه طعامه وشرابه فادخل في المرة التي مات فيها وكان بدء ذلك أنه كان لا يصبح يوماً إلا نبتت في محراب بيت المقدس شجرة فيسألها ما اسمك فتقول اسمي كذا فيقول لأي شيء أنت فتقول لكذا وكذا فيأمر بها فتقطع فان كانت نبتت لغرس غرسها، وان كانت لدواء كتبت، حتى نبتت الخروب فقال لها ما أنت؟ قالت الخروب قال لأي شيء نبت؟ قالت لخراب مسجدك فقال سليمان ما كان الله ليخر به وأناحي أنت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس فزعموا غرسها في حائطه ثم قال اللهم عم على الجن موته حتى يعلم الانس أن الجن لا يعلمون الغيب

صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود رضي الله عنه وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم قال : كان سليمان عليه الصلاة والسلام يتحرر في بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر فيدخل فيه ومعه طعامه وشرابه فادخله في المرة التي توفي فيها فكان بدء ذلك أنه لم يكن يوم يصبح فيه إلا يبيت الله بيت المقدس شجرة فيأتيها فيسألها فيقول ما اسمك فتقول الشجرة اسمي كذا وكذا فان كانت اغرس غرسها وان كانت تثبت دواء قالت ثبت دواء كذا وكذا فيجعلها كذلك حتى نبتت شجرة يقال لها الخروبة فسألها ما اسمك قالت أنا الخروبة قال ولاي شيء نبت؟ قالت نبت لحراب هذا المسجد قال سليمان عليه الصلاة والسلام ما كان الله ليخربه وأنا حي أنت التي على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس فزعا وغرسها في حائط له ثم دخل المحراب فقام يصلي متكئا على عصاه فمات ولم تعلم به الشياطين وهم في ذلك يعملون له يخافون أن يخرج عليهم فيعاقبهم ، وكانت الشياطين تجتمع حول المحراب وكان المحراب كوى بين يديه وخافه فكان الشيطان الذي يريد أن يخلع يقول ألسنت جلدنا ان دخلت فخرجت من ذلك الجانب فيدخل حتى يخرج من الجانب الآخر فدخل شيطان من أولئك فمر ولم يكن شيطان ينظر الى سليمان عليه السلام في المحراب الا احترق فمر ولم يسمع صوت سليمان ثم رجع فلم يسمع ثم رجع فوقع في البيت ولم يحترق ونظر الى سليمان عليه السلام قد سقط ميتا فخرج فاخبر الناس أن سليمان قد مات ففتحوا عليه فاخرجوه ووجدوا منسأته وهي العصا بلسان الحبشة قد اكتمت الارضة ولم يعلموا منذ كم مات فوضعوا الارضة على العصا فأكلت منها يوما وليلة ثم حسبوا على ذلك النحر فوجدوه قد مات منذ سنة وهي في قراءة ابن مسعود رضي الله عنه، فكشوا يدينون له من بعد موته حولا كاملا ، فأيقن الناس عند ذلك أن الجن كانوا يكذبونهم ولو أنهم يظلمون على الغيب لعلوا بموت سليمان ولم يلبثوا في العذاب سنة يعملون له ، وذلك قول الله عز وجل (مادهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خرت تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب لالبثوا في العذاب المهين) يقول تبين أمرهم للناس

وكانت الجن تخبر الانس أنهم يعلمون من الغيب أشياء ويعلمون مافي غد، ثم دخل المحراب فقام يصلي متكئا على عصاه فمات قائما وكان للمحراب كوى بين يديه وخلفه وكانت الجن يعملون تلك الاعمال الشاقة التي كانوا يعملون في حياته وينظرون اليه يحسبون انه حي ولا ينكرون احتباسه عن الخروج الى الناس اطول صلاته قبل ذلك فكشوا يدأبون له بعد موته حولا كاملا حتى أكلت الارضة عصا سليمان فخر ميتا فلهوا بموته ، قال ابن عباس فشكرت الجن الارضة فهم يأتونها بالماء والطين في جوف الحشب فذلك قوله تعالى ﴿ مادهم على موته الا دابة الارض ﴾ وهي الارضة التي ﴿ تأكل منسأته ﴾ يعني عصاه قرأ أهل المدينة وأبو عمرو منسأته بغير همز وقرأ الباقر بالهمز وهما لغتان ويسكن ابن عامر الهمز وأصلها من نسأت الغنم أي زجرتها وسقتها ومنه نسأ الله في أجله أي أخره ﴿ فلما خر ﴾

أنهم كانوا يكذبونهم ، ثم إن الشياطين قالوا للارضة لو كنت تأكلين الطعام أتيتك بأطيب الطعام ولو كنت تشربين الشراب سقينك أطيب الشراب ولكننا سنقل إليك الماء والطين قال فهم ينقلون بها ذلك حيث كانت ، قال ألم تر إلى الطين الذي يكون في جوف الحشب فهو مانأيتها به الشياطين شكراً لها ، وهذا الاثر والله أعلم إنما هو مما تلقى من علماء أهل الكتاب وهي وقف لا يصدق منه الا ما وافق الحق ولا يكذب منها إلا ما خالف الحق والباقي لا يصدق ولا يكذب ، وقال ابن وهب وأصبع بن الفرج عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تبارك وتعالى (ماد لهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته) قال : قال سليمان عليه السلام لملك الموت إذا أمرت بي فأعلمني فأتاه فقال : يا سليمان قد أمرت بك قد بقيت لك سويعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحاً من قوارير وليس له باب فقام يصلي فاتكأ على عصاه ، قال فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متكئ على عصاه ولم يصنع ذلك فراراً من ملك الموت ، قال والجن تعمل بين يديه وينظرون اليه يحسبون أنه حي قال فبعث الله عز وجل دابة الارض قال والدابة تأكل العيدان يقال لها القادح فدخلت فيها فاكلتها حتى إذا أكلت جوف العصا ضعفت وثقل عليها فخرميتا ، فلما رأت ذلك الجن انفضوا وذهبوا قال فذلك قوله تعالى (ماد لهم على موته الى دابة الارض تأكل منسأته) قال أصبع بلغني عن غيره أنها قامت سنة تأكل منها قبل أن يخر وذکر غير واحد من السلف نحواً من هذا والله أعلم

لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له

بلدة طيبة ورب غفور (١٥) فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي

أي سقط على الارض ﴿ تبينت الجن ﴾ أي علمت الجن وأيقنت ﴿ أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ﴾ أي في التعب والشقاء مسخرين لسليمان وهو ميت يظنونونه حياً أراد الله بذلك أن يعلم الجن أنهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا يظنون أنهم يعلمون الغيب لغلبة الجهل عليهم . وذكر الازهري أن معناه تبينت الجن أي ظهرت وانكشفت الجن للانسان أي ظهر أمرهم أنهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا قد شبهوا على الانسان ذلك وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس (تبينت الانس أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) أي علمت الانس وأيقنت ذلك وقرأ يعقوب تبينت بضم التاء وكسر الياء أي علمت الانس الجن ذكر بلفظ مالم يسم فاعله وتبين لازم ومتعد وذكر أهل التاريخ أن سليمان كان عمره ثلاثاً وخمسين سنة ومدة ملكه أربعون سنة وملك يوم ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ في بناء بيت المقدس لاربع سنين ماضين من ملكه

قوله عز وجل ﴿ لقد كان لسبأ ﴾ روى أبو سبرة النخعي عن فروة بن مسيك الغطيفي قال :

قال رجل يارسول الله أخبرني عن سبأ كان رجلاً أو امرأة أو أرضاً ؟ قال : كان رجلاً من العرب

أكل كل خبط وأثل وشيء من سدر قليل (١٦) ذلك جزينهم بما كفروا وهل نجزي إلا الكفور (١٧)

كانت سبا ملوك اليمن وأهلها وكانت التبابعة منهم وبلقيس صاحبة سليمان عليه الصلاة والسلام من جملتهم وكانوا في نعمة وغبطة في بلادهم وعيشتهم وانساع أرزاقهم وزروعهم ونمازهم وبعث الله تبارك وتعالى اليهم الرسل تأمرهم أن يأكلوا من رزقه ويشكروه بتوحيده وعبادته فكانوا كذلك ما شاء الله تعالى ثم أعرضوا عما أمروا به فعوقبوا بارسال السيل والتفرق في البلاد أيدي سبا شذر مذر كما سيأتي ان شاء الله تعالى تفصيله وبياناً قريباً وبه الثقة

قال الامام احمد رحمه الله حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة عن عبد الرحمن بن وعلة قال سمعت ابن عباس يقول ان رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن سبا ما هو أرجل أم امرأة أم أرض؟ قال ﷺ «بل هو رجل ولد له عشرة فسكن اليمن منهم ستة والشام منهم أربعة فاما اليمانيون فمذحج وكندة والازد والاشعريون وأنمار وحمير، وأما الشامية فلختم وجذام وعاملة وغسان» ورواه عبد عن الحسن بن موسى عن ابن لهيعة به وهذا اسناد حسن ولم يخرجوه وقد رواه الحافظ أبو عمر بن عبد البر في كتاب (القصص والامم بعرفة أصول انساب العرب والعجم) من حديث ابن لهيعة عن علقمة بن وعلة عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكر نحوه. وقد روي نحوه من وجه آخر وقال الامام أحمد أيضاً وعبد بن حميد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا أبو خباب يحيى بن أبي حية الكلبي عن يحيى بن هارون عن عروة عن فروة بن مسيك رضي الله عنه قال أتيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله أقاتل بمقبل قومي مدبرهم؟ قال رسول الله ﷺ «نعم فقاتل بمقبل قومك مدبرهم» فلما ولبت دعائي فقال «لا تقاثلهم حتى تدعوهم الى الاسلام» فقلت يا رسول الله أرأيت سبا أواد هو أوجبل أو ماهو؟ قال ﷺ «لا بل هو رجل من العرب ولد له عشرة فتيامن ستة وتشام أربعة تيامن الازد والاشعريون وحمير وكندة ومذحج وأنمار الذين يقال لهم بجيلة وخشم، وتشام لحم وجذام وعاملة وغسان» وهذا أيضاً اسناد حسن وان كان فيه أبو خباب الكلبي وقد تكلموا فيه لكن رواه ابن جرير عن أبي كريب عن العنقزي عن أسباط بن نصر عن يحيى بن هاني، المرادي عن عمه أو عن أبيه شك - أسباط - قال قدم فروة بن مسيك رضي الله عنه على رسول الله ﷺ فذكره

طريق أخرى لهذا الحديث. قال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا ابن وهب حدثني ابن لهيعة عن توبة بن نمير عن عبد العزيز بن يحيى أنه أخبره قال كنا عند عبيدة بن عبد الرحمن بافريقية فقال يوماً ما أظن قوما بأرض الا وهم من أهلها فقال علي بن أبي رباح كلا قد حدثني فلان أن

وله عشرة من الولد تيامن منهم ستة وتشام أربعة فاما الذين تيامنوا فكندة والاشعريون والازد ومذحج وأنمار وحمير - فقال رجل وما أنمار؟ - فقال الذين منهم خشم وبجيلة، وأما الذين تشاموا

فروة بن مسيك الفطيفي رضي الله عنه قدم على رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إن سبأ قوم كان لهم عز في الجاهلية واني أخشى أن يرتدوا عن الاسلام فأفانهم فقال ﷺ « ما أمرت فيهم بشيء بعد » فأنزلت هذه الآية (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية) الآيات فقال له رجل يا رسول الله ما سبأ فذكر مثل الحديث الذي قبله أن رسول الله ﷺ سئل عن سبأ أبلد أم رجل أم امرأة ؟ قال ﷺ « بل رجل ولد له عشرة فسكن اليمن منهم ستة والشام أربعة اما البمايون فمذحج وكندة والازد والاشعريون وأنمار وحمير غير ما حملها وأما الشام فلخم وجذام وغسان وعاملة » فيه غرابة من حيث ذكر نزول الآية بالمدينة والسورة مكة كلها والله سبحانه وتعالى أعلم

(طريق أخرى) قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا أبو أسامة حدثنا الحسن بن الحكم حدثنا أبو سبرة النخعي عن فروة بن مسيك الفطيفي رضي الله عنه قال : قال رجل يا رسول الله أخبرني عن سبأ ما هو أرض أم امرأة ؟ قال ﷺ « ليس بأرض ولا امرأة ولكنه رجل ولده عشرة من الولد ثيمان ستة وأنمار أربعة فاما الذين نشأوا فلخم وجذام وعاملة وغسان. وأما الذين تيامنوا فكندة والاشعريون والازد ومذحج وحمير وأنمار » فقال رجل ما أنمار ؟ قال ﷺ « الذين منهم خثعم وبجيلة »

ورواد الترمذي في جامعه عن أبي كريب وعبد بن حميد قال حدثنا أبو أسامة فذكره أبسط من هذا ثم قال هذا حديث حسن غريب . وقال أبو عمر بن عبد البر حدثنا عبد الوارث بن سفيان حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا أحمد بن زهير حدثنا عبد الوهاب بن نجدة الحوطي حدثنا ابن كثير هو عثمان بن كثير عن الألب بن سعد عن موسى بن علي عن يزيد بن حصين عن تميم الداري رضي الله عنه قال إن رجلا أتى رسول الله ﷺ فسأله عن سبأ فذكر مثله فقوى هذا الحديث وحسن

قال علماء النسب منهم محمد بن إسحاق اسم سبأ عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان وإنما سمي سبأ لانه أول من سبأ في العرب وكان يقال له الرائش لانه أول من غم في الغزو فأعطى قومه فسمي الرائش ، والعرب تسمي المال ريشا ورياشا ، وذكروا أنه بشر برسول الله ﷺ في زمانه المتقدم وقال في ذلك شعراً

سبملك بعدنا ملكا عظيما نبي لا يرخص في الحرام
ويملك بعده منهم ملوك يدينون القياد بغير ذام

فعاملة وجذام ولخم وغسان « وسبأ هو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان » (في مسكنهم) قرأ حمزة وحفص مسكنهم بفتح الكف على الواحد وقرأ الكسائي بكسر الكاف وقرأ الآخرون مساكنهم على الجمع وكانت مساكنهم بأرب من اليمن (آية) دلالة على وحدانيتنا وقدرتنا ثم فسر الآية فقال

وبئلك بعددم منا ملوك يصير الملك فينا باقسام
وبئلك بعد قحطان نبي تقي مخبت خير الانام
بسمي أحداً يا ليت أني أعر بعد مبعثه بعام
فأعضده وأجوده بنصري بكل مدحج وبكل رام
متى يظهر فكونوا ناصريه ومن يلقاه يبلغه سلامي

ذكر ذلك الحمذاني في كتاب (الاكلیل) واختلفوا في قحطان على ثلاثة أقوال (أحدها) أنه من سلالة أرم بن سام بن نوح واختلفوا في كيفية اتصال نسبه به على ثلاث طرائق (والثاني) أنه من سلالة عابر وهو هود عليه الصلاة والسلام واختلفوا أيضاً في كيفية اتصال نسبه به على ثلاث طرائق أيضاً (والثالث) أنه من سلالة اسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام، واختلفوا في كيفية اتصال نسبه به على ثلاث طرائق أيضاً. وقد ذكر ذلك مستقصى الامام الحافظ أبو عمر بن عبد البر النمري رحمه الله تعالى عليه في كتابه المسمى (الانباه على ذكر أصول القبائل الرواه)

ومعنى قوله ﷺ «كان رجلاً من العرب» يعني العرب العاربة الذين كانوا قبل الخليل عليه الصلاة والسلام من سلالة سام بن نوح، وعلى القول الثالث كان من سلالة الخليل عليه السلام وليس هذا بالمشهور عندهم والله أعلم. ولكن في صحيح البخاري أن رسول الله (ص) مر بنفر من أسلم ينتضلون فقال «ارموا بني اسماعيل فإن أباكم كان رامياً» فأسلم قبيلة من الانصار - والانصار أوسها وخزرجها من غسان من عرب اليمن من سبأ - نزولوا يئثر لما فرقت سبأ في البلاد حين بعث الله عز وجل عليهم سيل العرم ونزلت طائفة منهم بالشام، وانما قيل لهم غسان بما نزولوا عليه قيل باين، وقيل انه قريب من المشلل كما قال حسان بن ثابت رضي الله عنه

إما سألت فانا معشر نجب الازد نسبنا والماء غسان

ومعنى قوله ﷺ «ولد له عشرة من العرب» أي كان من نسله هؤلاء العشرة الذين يرجع اليهم أصول القبائل من عرب اليمن لأنهم ولدوا من صلبه بل منهم من بينه وبينه الابوان والثلاثة والاقبل والاكثر كما هو مقرر مبين في مواضعه من كتب النسب. ومعنى قوله ﷺ «فتيامن منهم ستة ونشام منهم أربعة» أي بعد ما أرسل الله تعالى عليهم سيل العرم منهم من أقام ببلادهم ومنهم من نزع عنها الى غيرها. وكان من أمر السد أنه كان الماء يأتيهم من بين جبلين وتجمع اليه أيضاً سيول أمطارهم وأوديتهم فعمد ملوكهم الاقدام فينوا بينهما سدا عظيما محكما حتى ارتفع الماء وحكم على حافات ذبلك الجليلين

(جنتان) أي هي جنتان بستانان (عن يمين وشمال) أي عن يمين الوادي وشماله وقيل عن يمين من أنهما وشماله وكان لهما واد قد أحاطت الجنتان بذلك الوادي (كلوا) أي وقبل لهم كلوا (من)

فغرسوا الاشجار واستغلوا الثمار في غاية ما يكون من الكثرة والحسن كما ذكر غير واحد من السلف منهم قتادة ان المرأة كانت تمشي تحت الاشجار وعلى رأسها مكمل أو زنبيل وهو الذي نحترف فيه الثمار فيتساقط من الاشجار في ذلك ما يملؤه من غير أن يحتاج الى كلفة ولا قطاف لكثرة ونضجه واستوائه ، وكان هذا السد بأرب بلدة بينها وبين صنعاء ثلاث مراحل ، ويعرف بسدمأرب. وذكر آخرون انه لم يكن يبلدهم شيء من الذباب ولا البعوض ولا البراغيث ولا شيء من الهوام وذلك لاعتدال الهواء وصحة المزاج وعناية الله بهم ليوحدهم وبعدهم كما قال تبارك وتعالى (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية) ثم فسرهما بقوله عز وجل (جنتان عن يمين وشمال) أي من ناحيتي الجبلين والبلدة بين ذلك كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور أي غفور لكم ان استمررتم على التوحيد . وقوله تعالى (فاعرضوا) أي عن توحيد الله وعبادته وشكره على ما أنعم به عليهم وعدلوا الى عبادة الشمس من دون الله كما قال المدهد لسليمان عليه الصلاة والسلام (وجنتك من سبأ نبأ يقين * إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم * وجنتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون)

وقال محمد بن إسحاق عن وهب بن منبه بعث الله تعالى اليهم ثلاثة عشر نبيا ، وقال السدي أرسل الله عز وجل اليهم اثني عشر ألف نبي والله أعلم . وقوله تعالى (فأرسلنا عليهم سيل العرم) المراد

رزق ربكم) يعني من ثمار الجنتين قال السدي ومقاتل كانت المرأة تحمل مكملها على رأسها وتمر بالجنتين فيمتلي . مكملها من انواع الفواكه من غير أن تمس شيئا بيدها (واشكروا له) أي على ما رزقكم من النعمة والمعنى اعملوا بطاعته (بلدة طيبة) أي أرض سبأ بلدة طيبة ليست بسبخة قل ابن زيد لم يكن يرى في بلدتهم بعوضة ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية ، وكان الرجل يمر ببلدهم في ثيابه القمل فيموت القمل كله من طيب الهواء . فذلك قوله تعالى (بلدة طيبة) أي طيبة الهواء (ورب غفور) قال مقاتل وربكم ان شكرتموه فيما رزقكم رب غفور الذنوب (فاعرضوا) قال وهب أرسل الله الى سبأ ثلاثة عشر نبيا فدعواهم الى الله وذكرهم نعمه عليهم وانذروهم عقابه فكذبوهم وقالوا ما نعرف الله عز وجل علينا نعمة فقولوا لربكم فليحبس هذه النعم عنا ان استطاع فذلك قوله تعالى (فاعرضوا) (فأرسلنا عليهم سيل العرم) والعرم جمع عرمة وهي السكر الذي يحبس به الماء . وقال ابن الاعرابي العرم السيل الذي لا بطق وقيل كان ماء أحمر أرسله الله عليهم من حيث شاء ، وقيل العرم الوادي وأصله من العرامة وهي الشدة والقوة ، وقال ابن عباس ووهب وغيرهما كان ذلك السد بنته بلقيس وذلك انهم كانوا يقتتلون على ماء ، وادبهم فامرت بوادبهم فسد بالعرم وهو المسناة بلغة حمير فسدت بين الجبلين بالصخر والقار وجعلت له أبوابا ثلاثة بعضها فوق بعض وبنيت من درنه بركة ضخمة وجعلت فيها اثني عشر مخرجا على عدة انهارهم يفتحونها اذا احتاجوا الى الماء واذا استغنوا

بالعرم المياء ، وقيل الوادي وقيل الحرد وقيل الماء الغزير فيكون من باب اضافة الاسم الى صفته مثل مسجد الجامع وسعيد كرز حتى ذلك السبيل، وذكروا غير واحد منهم ابن عباس ووهب بن منبه وقتادة والضحاك ان الله عز وجل لما أراد عقوبتهم بارسال العرم عليهم بعث على السد دابة من الارض يقال لها الجرذ فبعثه قال وهب بن منبه وقد كانوا يجدون في كتبهم ان سبب خراب هذا السد هو الجرذ فكانوا يرصدون عنده السنابير برهة من الزمان فلما جاء القدر غلبت الفأر السنابير وولجت الى السد فتقبته فانهار عليهم . وقال قتادة وغيره الجرذ هو الخلد تقبست أسافله حتى اذا ضعف ووهى وجاءت أيام السيول صدم الماء البناء فسقط فانساب الماء في أسفل الوادي وخرب ما بين يديه من الابنية والاشجار وغير ذلك ونضب الماء عن الاشجار التي في الجبلين عن يمين وشمال فيست وتخطمت وتبدلت تلك الاشجار المثمرة الانيقة النضرة كما قال الله تبارك وتعالى (وبدلناهم بجنهم جنتين ذواتي أكل خبط)

قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وعطاء الخراساني والحسن وقتادة والسدي وهو الاراك وأكله البربر (وأئل) قال العوفي عن ابن عباس هو الطرفاء ، وقال غيره هو شجر يشبه الطرفاء وقيل هو السمر والله أعلم . وقوله (وشي من سدر قليل) لما كان أجود هذه الاشجار المبدل بها هو السدر

سدوها فاذا جاء المطر اجتمع اليه ماء أودية اليمن فاحتبس السيل من وراء السد فامرت بالباب الاعلى ففتح فجرى ماؤه في البركة ، فكانوا يسقون من الباب الاعلى ثم من الثاني ثم من الثالث الباب الاسفل فلا ينفذ الماء حتى يشوب الماء من السنة المقبلة فكانت تقسمه بينهم على ذلك فبقوا على ذلك بعدها مدة فلما طغوا وكفروا سلط الله عليهم جرذاً يسمى الخلد فتقب السد من أسفله ففرق الماء جنانهم وخرب أرضهم . قال وهب ومما كانوا يزعمون ويجدون في علمهم وكهانتهم انه يخرب سددهم فأرة فلم يتركوا فرجة بين حجرين إلا ربطوا عندها هرة ، فلما جاء زمانه وما أراد الله عز وجل بهم من التغريق أقبلت فيما يذكرون فأرة حمراء كبيرة الى هرة من تلك الهرر فساورتها حتى استأخرت منها المرة فدخلت في الفرجة التي كانت عندها فتغلغلت في السد فتقبته وحفرت حتى أوهنته للسيل وهم لا يدرون بذلك فلما جاء السيل وجد خللاً فدخل فيه حتى قطع السد وقاض على أموالهم ففرقها ودفن بيوتهم الرمل فتفرقوا وتفرقوا حتى صاروا مثلاً عند العرب يقولون صار بنو فلان ايدي سبأ وأيدي سبأ أي تفرقوا وتبددوا فذلك قوله تعالى (فارسلنا عليهم سيل العرم) (وبدلناهم بجنهم جنتين ذواتي أكل خبط) قرأ العامة بالتثنية وقرأ أهل البصرة أكل خبط بالاضافة والا كل النمر والخط الارك ، ونمره يقال له البربر وهذا قول أكثر المفسرين ، وقال المبرد ولزجاج كل نبت قد اخذ طعماً من المرارة حتى لا يمكن أكله هو خبط . وقال ابن الاعرابي الخط نمر شجر يقال له فسوة الضبيع على صورة الخشخاش يتفرك ولا ينتفع به . فمن جعل الخط اسماً للمأكول فالتثنية في أكل حسن ومن جعله أصلاً وجعل الاكل عمرة فالاضافة فيه ظاهرة والتثنية سائغ، تقول العرب في بستان فلان اعناب كرم يترجم عن الاعناب

٢٠ جزء سبأ على كفرانهم نعم الله وعدم القيام بشكرها (تفسير ابن كثير والبغوي)

(قال وشيء من سدر قليل) فهذا الذي صار أمر تينك الجنة اليه بعد الثمار النضيجة والمناظر الحسنة والظلال العميقة والانهار الجارية تبدلت الى شجر الاراك والطرفاء والسدر ذي الشوك الكثير والتمر القليل، وذلك بسبب كفرهم وشركهم بالله وتكذيبهم الحق وعدوهم عنه الى الباطل، ولهذا قال تعالى (ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور) أي عاقبناهم بكفرهم قال مجاهد ولا يعاقب الا الكفور . وقال الحسن البصري صدق الله العظيم لا يعاقب بمثل فعله الا الكفور . وقال طاووس لا يناقش الا الكفور . وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أبو عمر ابن النحاس الرمي حدثنا حجاج بن محمد حدثنا أبو البيداء عن هشام بن صالح التلعبي عن ابن خيرة وكان من أصحاب علي رضي الله عنه قال : جزء المعصية الوهن في العبادة والضيق في المعيشة والتعسر في اللذة قيل وما التعسر في اللذة ؟ قال لا يصادف لذة حلالة الا جاءه من ينقصه اياها

وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها

ليالي وأياما آمنين (١٨) فقالوا ربنا بعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث

ومزقنهم كل ممزق إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور (١٩)

يذكر تعالى ما كانوا فيه من النعمة والغبطة والعيش الهنيئ الرغيد ، والبلاد الرخية ، والاماكن الآمنة والقرى المتواصلة المتقاربة بعضها من بعض مع كثرة أشجارها وزروعها وثمارها بحيث أن مسافرهم لا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء ، بل حيث نزل وجد ماء ونمرا ، ويقبل في قرية ويبيت في أخرى بمقدار ما يحتاجون اليه في سيرهم ولهذا قال تعالى [وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها]

بالكرم لانها منه ﴿ وأثل وشيء من سدر قليل ﴾ فالأثل هو الطرفاء وقيل هو شجر يشبه الطرفاء إلا انه أعظم منه والسدر شجر النبق ينتفع بورقه لغسل اليد وبغرس في البساتين ولم يكن هذا من ذلك بل كان سدرأ برأ لا ينتفع به ولا يصلح ورقه لشيء قال قتادة كان شجر القوم من خير الشجر فصيره الله من شر الشجر بأعمالهم

قوله تعالى ﴿ ذلك جزيناهم بما كفروا ﴾ أي ذلك الذي فعلنا بهم جزيناهم بكفرهم ﴿ وهل نجازي الا الكفور ﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب وهل نجازي بالنون وكسر الزاي الكفور نصب لقوله ذلك جزيناهم ، وقرأ الآخرون بالياء وفتح الزاي الكفور رفع أي وهل يجازى مثل هذا الجزاء إلا الكفور ، وقال مجاهد يجازى أي يعاقب ويقال في العقوبة يجازى وفي المثوبة يجزى . قال مقاتل هل يكافأ بعمله السيئ إلا الكفور لله في نعمه قال الفراء المؤمن يجزى ولا يجازى أي يجزي الثواب بعمله ولا يكافأ بسبأته ﴿ وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها ﴾ بالماء والشجر وهي قرى الشام ﴿ قرى

قال وهب بن منبه هي قرى بصنعاء ، وكذا قال أبو مالك ، وقال مجاهد والحسن وسعيد بن جبير ومالك عن زيد بن أسلم وقناة والضحاك والسدي وابن زيد وغيرهم يعني قرى الشام يعنيون أنهم كانوا يسرون من اليمن إلى الشام في قرى ظاهرة متواصلة ، وقال العوفي عن ابن عباس القرى التي باركنا فيها بيت المقدس ، وقال العوفي عنه أيضاً هي قرى عربية بين المدينة والشام (قرى ظاهرة) أي بيئة واضحة يعرفها المسافرون يقولون في واحدة ويبيتون في أخرى ولهذا قال تعالى (وقدرنا فيها السير) أي جعلناها بحسب ما يحتاج المسافرون إليه (سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين) أي الأمن حاصل لهم في سيرهم ليلاً ونهاراً (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم) وقرأ آخرون (بعد بين أسفارنا) وذلك أنهم بطروا هذه النعمة كما قاله ابن عباس ومجاهد والحسن وغير واحد وأحبوا مفارز ومهامه يحتاجون في قطعها إلى الزاد والرواحل والسير في الحرور والخوف ، كما طلب بنو إسرائيل من موسى أن يخرج الله لهم مما تنبت الأرض من قبلها وقناتها وقومها وعدسها وبصلها مع أنهم كانوا في عيش رغيد في من وسوى وما يشتهون من مآكل ومشرب وملابس مرتفعة ولهذا قال لهم [أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وبآوا بغضب من الله] وقال عز وجل [وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها]

وقال تعالى [وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون]
وقال تعالى في حق هؤلاء (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم) أي يكفروهم (فجعلناهم

ظاهرة) متواصلة تظهر الثانية من الأولى لقرىها منها ، وكان متجرهم من اليمن إلى الشام فكانوا يبيتون بقرية وبقيلون بأخرى وكانوا لا يحتاجون إلى حمل زاد من سبا إلى الشام وقيل كانت قراهم أربعة آلاف وسبعائة قرية متصلة من سبا إلى الشام (وقدرنا فيها السير) أي قدرنا سيرهم بين هذه القرى وكان سيرهم في الغدو والرواح على قدر نصف يوم فاذا ساروا نصف يوم وصلوا إلى قرية ذات مياه وأشجار . وقال قناة كانت المرأة تخرج معها مغزها وعلى رأسها مكتلها فتمتن بمغزها فلا تأتي بيتها حتى يمتلئ مكتلها من الثمار وكان ما بين اليمن والشام كذلك (سيروا فيها) أي وقفنا لهم سيروا فيها وقيل هو أمر بمعنى الخبر أي مكنامهم من السير فكانوا يسرون فيها (ليالي وأياماً) أي بالليالي والأيام أي وقت شتئهم (آمنين) لا يخافون عدواً ولا جوعاً ولا عطشاً ، فبطروا وطفوا ولم يصبروا على العافية وقالوا لو كانت جناتنا أبعد مما هي كان أجدر أن نشتهي (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا) فاجعل بيننا وبين الشام فلات ومفاوز نركب فيها الرواحل وننزود الأزواد فاجعل الله لهم الاجابة وقال مجاهد بطروا النعمة وشتموا الراحة قرأ ابن كثير وأبو عمرو (بعد) بالتشديد من التباعد وقرأ الآخرون باعد بالالف وكل على وجه الدعاء والسؤال ، وقرأ يعقوب ربنا برفع الباء ، باعد بفتح العين

أحاديث ومزقناهم كل ممزق) أي جعلناهم حديثاً للناس وسمرأ يتحدثون به من خبرهم وكيف مكر الله بهم وفرق شملهم بعد الاجتماع والالفة والعيش الهنيء ، تفرقوا في البلاد ههنا وههنا ، ولهذا تقول العرب في القوم اذا تفرقوا تفرقوا أيدي سبأ وأيادي سبأ وتفرقوا شذر مذر

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد بن يحيى بن سعيد القطان حدثنا إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال سمعت أبي يقول سمعت عكرمة يحدث بحديث أهل سبأ قال (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال — إلى قوله تعالى — فأرسلنا عليهم سبل العرم) وكانت فيهم كهنة وكانت الشياطين يسترقون السمع فأخبروا الكهنة بشيء من أخبار السماء ، فكان فيهم رجل كاهن شريف كثير المال وإنه خبر أن زوال أمرهم قد دنا وأن العذاب قد أظلم فلم يدر كيف يصنع لأنه كان له مال كثير من عقار فقال لرجل من بنيده وهو أعزهم أخوالا يابني اذا كان غداً وأمرتك بأمر فلا تفعل فاذا انتهرتك فاتبرني ، فاذا اطمتك فالطمني ، قال يابنت لا تفعل ان هذا أمر عظيم وأمر شديد ، قال يابني قد حدث أمر لا بد منه فلم يزل به حتى وافاه على ذلك ، فلما أصبحوا واجتمع الناس قال يابني افعلك كذا وكذا فأبى فاتهره أبوه فأجابه فلم يزل ذلك بينهما حتى تناوله أبوه فطمه فوثب على أبيه فطمه فقال ابني ياطمني على بالشفرة ، قالوا ماتصنع بالشفرة ؟ قال أذبجه ، قالوا تريد أن تذبح ابنك ؟ الطمه أو اصنع ما بذلك قال فأبى ، قال فارسلوا إلى أخواله فاعلموهم ذلك فجاء أخواله فقالوا خذ منا ما بذلك فأبى إلا أن يذبجه قالوا فلتموتن قبل أن تذبحه ، قال فاذا كان الحديث هكذا فاني لا أرى أن أقيم ببلد بحال بيني وبين ابني فيه اشتروا مني دوري اشتروا مني أرضي ، فلم يزل حتى باع دوره وأرضه وعقاره فلما صار الثمن في يده وأحرزه قال : أي قوم ان العذاب قد أظلمكم وزوال أمركم قد دنا فمن أراد منكم داراً جديداً ، وحى شديداً ، وسفراً بعيداً ، فليلق بعمان ، ومن أراد منكم الخمر والخمير والعصير — وكلمة قال إبراهيم لم أحفظها — فليلق ببصرى ، ومن أراد الراسخات في الوحل ، المطاعم في المحل ، المغنمات في القحل ، فليلق بيثرب ذات النخل ، فأطاعه قومه فخرج أهل عمان إلى عمان ، وخرجت غسان إلى بصرى ، وخرجت الاوس والخزرج بنو عمان إلى يثرب ذات النخل ، قال فاتوا على بطن من فقال بنو عمان هذا مكان صالح لا ينبغي به بدلاً فأقاموا به فسموا لذلك خزاعة لأنهم انخرعوا من أصحابهم واستقامت الاوس والخزرج حتى نزلوا المدينة وتوجه أهل عمان إلى عمان وتوجهت غسان إلى بصرى . هذا أثر غريب عجيب وهذا الكاهن هو عمرو بن عامر أحد رؤساء اليمن وكبراء سبأ وكهاتهم

وقد ذكر محمد بن اسحاق بن بسار في أول السيرة ما كان من أمر عمرو بن عامر الذي كان أول

والدال على الخبر كأنهم استبعدوا أسفارهم القريبة بطروا وأثروا (وظلموا أنفسهم) بالبطر والظفیان قوله تعالى (فجعلناهم أحاديث) عبرة لمن بعدهم يتحدثون بأمرهم وشأنهم (ومزقناهم كل ممزق)

من خرج من بلاد اليمن بسبب استشهاده بارسال العرم عليهم فقال : وكان سبب خروج عمرو بن عامر من اليمن فيما حدثني به أبو زيد الانصاري أنه رأى جرذاً يحفر في سد مأرب الذي كان يحبس عنهم الماء فيصرفونه حيث شاؤوا من أرضهم فعلم أنه لا بقاء للسد على ذلك فأتى زم على النقلة عن اليمن وكاد قومه فأمر أصغر ولده إذا أغلظ له ولطمه أن يقوم إليه فيلطمه ففعل ابنه ما أمره به فقال عمرو لا أقيم ببلد لطم وجهي فيها أصغر ولدي وعرض أمواله فقال أشراف من أشراف اليمن اغتصموا غصبة عمرو فاشتروا منه أمواله وانتقل هو في ولده وولد ولده ، وقالت الاسد لا تتخاف من عمرو بن عامر فباعوا أموالهم وخرجوا معه فساروا حتى نزلوا بلاد عك مجتازين يرتادون البلدان فحاربهم عك وكانت حربهم سجالاً ففي ذلك يقول عباس بن مرداس السلمى رضي الله عنه :

وعك بن عدنان الذين تغلبوا بغسان حتى طردوا كل مطرد

وهذا البيت من قصيدة له . قال ثم ارتحلوا عنهم فتنفروا في البلدان فنزل آل جفنة بن عمرو بن عامر الشام ، ونزات الادرس والخزرج يثرب ، ونزات خزاعة مرا ، ونزلت أزد السراة السراة ، ونزلت أزد عمان عمان ، ثم أرسل الله تعالى على السد السيل فهدمه وفي ذلك أنزل الله عز وجل هذه الآيات . وقد ذكر السدي قصة عمرو بن عامر بنحو مما ذكر محمد بن اسحاق إلا أنه قال فأمر ابن أخيه مكان ابنه — الى قوله — فباع ماله وارتحل بأهله فتنفروا . رواه ابن أبي حاتم

وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد أخبرنا سلمة عن ابن اسحاق قال يزعمون أن عمرو بن عامر وهو عم القوم كان كاهناً فرأى في كهنته أن قومه سيمزقون ويباعد بين أسفارهم ، فقال لهم إني قد علمت أنكم ستمزقون فمن كان منكم ذاهم بعيد ، وحمل شديد ، ومزاد حديد ، فليلق بكناس أو كروء ، قال فكانت وادعة بن عمرو ، ومن كان منكم ذاهم مدن ، وأمر دعن ، فليلق بأرض شن ، فكانت عوف ابن عمر وهم الذين يقال لهم بارق ، ومن كان منكم يريد عيشاً آتياً ، وحرماً آمناً فليلق بالارزين فكانت خزاعة ، ومن كان منكم يريد الراسيات في الوحل ، المطعمات في المحل ، فليلق بيثرب ذات النخل ، فكانت الاوس والخزرج وهما هذان الحيطان من الانصار ، ومن كان منكم يريد خراً أو خميراً ، وذهباً وحرباً ، وملكاً وتأميراً ، فليلق بكوثى وبهمري ، فكانت غسان بنو جفنة ملوك الشام ومن كان منهم بالعراق . قال ابن اسحاق وقد سمعت بعض أهل العلم يقول إنما قالت هذه المقالة طريفة امرأة عمرو بن عامر وكانت كاهنة فرأت في كهنتها ذلك فالتفت إلى ذلك كان . وقال سعيد بن قتادة عن الشعبي : أما غسان فلحقوا بعان فزقهم الله كل ممزق بالشام ، وأما الانصار فلحقوا بيثرب ، وأما خزاعة فلحقوا بتهامة ، وأما الازد فلحقوا بعان فزقهم الله كل ممزق . رواه ابن أبي حاتم وابن

فرقتهم في كل وجه من البلاد كل التفريق قال الشعبي لما غرقت قراهم ففرقوا في البلاد اما غسان فلحقوا بالشام ومر الازد الى عمان وخزاعة الى تهامة ومر آل خزاعة الى العراق والاورس والخزرج

جرير ، ثم قال محمد بن اسحاق حدثني أبو عبيدة قال : قال الاعشى أعشى بني قيس بن ثعلبة
واسمه ميمون بن قيس :

وفي ذاك المؤنسي أسوة ومأرب عني عليها العرم
رخام بنته لهم حمير اذا جاء مؤاره لم يرم
فأروى الزروع وأغابها على سعة ماؤهم إذ قسم
فصاروا أيادي ما يقدرو ن منه على شرب طفل فطم

وقوله تعالى (إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور) أي إن في هذا الذي حل بهؤلاء من
النقمة والعذاب وتبديل النعمة وتحويل العافية عقوبة على ما ارتكبوه من الكفر والآثام عبرة ودلالة
لكل عبد صبار على المصائب شكور على النعم

قال الامام احمد حدثنا عبد الرحمن وعبد الرزاق المعني قالا أخبرنا سفيان عن أبي اسحاق عن
العيزار بن حريث عن عمر بن سعد عن أبيه هو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : قال رسول
الله ﷺ « عجبت من قضاء الله تعالى للمؤمن إن أصابه خير حمد ربه وشكر ، وإن أصابه مصيبة
حمد ربه وصبر ، يؤجر المؤمن في كل شيء حتى في النقمة يرفعها إلى في امرأته »

وقد رواه النسائي في اليوم والليلة من حديث أبي اسحاق السبيعي به وهو حديث عزيز من رواية
عمر بن سعد عن أبيه ولكن له شاهد في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه « عجباً للمؤمن
لا يقضي الله تعالى له قضاء إلا كان خيراً له ، إن أصابه سرأ شكر فكان خيراً له ، وإن أصابه
ضراء صبر فكان خيراً له وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن »

قال عبد حدثنا يونس عن سفيان عن قتادة (إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور) قال كان
مطرف يقول نعم العبد الصبار الشكور الذي إذا أعطي شكر ، وإذا ابتلي صبر

ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين (٢٠) وما كان له عليهم

من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك ، وربك على كل شيء حفيظ (٢١)

إلى يثرب وكان الذي قدم منهم المدينة عمرو بن عامر وهو جد الاوس والحزرج (إن في ذلك لآيات)
لغيره ودلالات (لكل صبار) عن معاصي الله (شكور) لأنعمه قال مقاتل يعني المؤمن من هذه
الامة صبور على البلاء شاكر للنعماء قال مطرف هو المؤمن إذا أعطي شكر وإذا ابتلي صبر
قوله تعالى (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه) قرأ أهل الكوفة صدق بالتشديد أي ظن فيهم ظناً

لما ذكر تعالى قصة سبأ وما كان من أمرهم في اتباعهم الهوى والشيطان أخبر عنهم وعن أمثالهم من اتبع إبليس والهوى وخالف الرشد والهدى فقال (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه) قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره هذه الآية كقولها تعالى أخبراً عن إبليس حين امتنع من السجود لآدم عليه الصلاة والسلام ثم قال [أرأيتك هذا الذي كرمت عليّ لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلاً] وقال [ثم لا تدينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين] والآيات في هذا كثيرة

وقال الحسن البصري لما أهبط الله آدم عليه الصلاة والسلام من الجنة ومعه حواء هبط إبليس فرحاً بما أصاب منهما وقال إذا أصبت من الأيوين ما أصبت فالذرية أضعف وأضعف وكان ذلك ظناً من إبليس فأنزل الله عز وجل (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين) فقال عند ذلك إبليس لأفارق ابن آدم مادام فيه الروح أعداء وأمنيه وأخذه ، فقل الله تعالى : وعزني وجلالي لأحجب عنه التوبة ما لم يغرغر بالموت ، ولا يدعوني إلا أجبته ، ولا يسألي إلا أعطيته ، ولا يستغفروني إلا غفرت له . رواه ابن أبي حاتم

وقوله تبارك وتعالى (وما كان له عليهم من سلطان) قال ابن عباس رضي الله عنهما أي من حجة وقال الحسن البصري والله ماضرهم بعضاً ولا أكرهم على شيء . وما كان إلا غروراً وأمانياً دعاهم إليها فأجابوه . وقوله عز وجل (إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك) أي إنما سلطناه عليهم ليظهر أمر من هو مؤمن بالآخرة وقيامها والحساب فيها والجزاء فيحسن عبادة ربه عز وجل في الدنيا ممن هو منها في شك

حيث قال (فبعزتك لأغوينهم أجمعين - ولا تجد أكرهم شاكرين) فصدق ظنه وحققه بفعله ذلك بهم واتباعهم إياه وقرأ الآخرون بالتخفيف أي صدق عليهم في ظنه بهم أي على أهل سبأ ، وقال مجاهد على الناس كلهم إلا من أطاع الله (فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين) قال السدي عن ابن عباس يعني المؤمنين كلهم لأن المؤمنين لم يتبعوه في أصل الدين وقد قال الله تعالى (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان) يعني المؤمنين وقيل هو خاص بالمؤمنين الذين يطيعون الله ولا يعصونه قال ابن قتيبة إن إبليس لما سأل النظره فانظره الله قال (لأغوينهم أجمعين - ولا أضلهم) لم يكن مستيقناً وقت هذه المقالة أن ما قاله فيهم يتم وإنما قاله ظناً فيهم ، فلما اتبعوه وأطاعوه صدق عليهم ما ظنه فيهم قال الحسن أنه لم يسل عليهم سيفاً ولا ضربهم بسوط وإنما وعدهم ومناهم فاغتروا

وقال الله تعالى (وما كان له عليهم من سلطان) أي ما كان تسلطنا إياه عليهم (إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك) أي إلا لنعلم أي نرى ونميز المؤمن من الكافر وأراد علم (تفسير ابن كثير والبغوي) (٤) (الجزء السابع)

وقوله تعالى (وربك على كل شيء حفيظ) أي ومع حفظه ضل من ضل من اتباع ابليس وبحفظه وكلاهما سلم من سلم من المؤمنين اتباع الرسل

قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير (٢٢) ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق وهو العلي الكبير (٢٣)

بين تبارك وتعالى أنه الإله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لا نظير له ولا شريك له بل هو المستقل بالامر وحده من غير مشارك ولا منازع ولا معارض فقال (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله) أي من الآلهة التي عبدت من دونه (لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض) كما قال تبارك وتعالى [والذين يدعون من دونه ما يملكون من قطمير]

وقوله تعالى (وما لهم فيهما من شرك) أي لا يملكون شيئاً استقلالاً ولا على سبيل الشراكة وما له منهم من ظهير) أي وليس لله من هذه الالناد من ظهير يستظهر به في الامور ، بل الخالق كلهم فقراء اليه عبيد لديه . قال قتادة في قوله عز وجل (وما له منهم من ظهير) من عون يعينه بشيء . ثم قال تعالى (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) أي اعظمته وجلاله وكبريائه لا يجترئ أحد أن يشفع عنده تعالى في شيء الا بعد اذنه له في الشفاعة قال عز وجل (من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه) وقال جل وعلا (وكم من ملة في السموات لا تنفعي شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) وقال تعالى (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) وهم من خشيته مشفقون ولهذا ثبت في الصحيحين من غير وجه عن رسول الله ﷺ وهو سيد ولد آدم ، وأكبر شفيع عند الله تعالى انه حين يقوم المقام المحمود يشفع في الخلق كلهم أن يأتيهم لفصل القضاء قال « فأسجد لله تعالى فيدعي ما شاء الله أن يدعي ، ويفتح علي بمحمد لأحصيها الآن ثم يقال يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع » الحديث بتمامه

الوقوع والظهور وقد كان معلوماً عنده بالغيب (وربك على كل شيء حفيظ) رقيب (قل) يا محمد لكفار مكة (ادعوا الذين زعمتم) انهم آلهة (من دون الله) وفي الآية حذف أي ادعوا ليكشفوا الضر الذي نزل بكم في سني الجوع ثم وصفها فقال (لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض) من خير وشر ونفع وضر (وما لهم) أي والآلهة (فيهما) في السموات والارض (من شرك) من شركة (وما له) أي وما لله (منهم من ظهير) عون (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) الله في الشفاعة قاله تكذيباً لهم حيث قالوا (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) ويجوز أن يكون المعني إلا لمن

وقوله تعالى (حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق) وهذا أيضا مقام رفيع في العظمة وهو أنه تعالى اذا تكلم بالوحي فسمع أهل السموات كلامه أرعدوا من الهيبة حتى يلحقهم مثل الغشي . قاله ابن مسعود رضي الله عنه ومسروق وغيرهما (حتى اذا فزع عن قلوبهم) أي زال الفزع عنها قول ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وأبو عبد الرحمن السلمي والشعبي وإبراهيم النخعي والضحاك والحسن وقتادة في قوله عز وجل (حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق) يقول خلي عن قلوبهم ، وقرأ بعض السلف ، وجاء مرفوعا (اذا فزع) بالعين المعجمة وبرجع الى الاول فاذا كان كذلك سأل بعضهم بعضا ماذا قال ربكم ؟ فيخبر بذلك حملة العرش للذين يلوونهم ثم الذين يلوونهم لمن تحتهم حتى ينتهي الخبر إلى أهل السماء الدنيا ، ولهذا قال تعالى (قالوا الحق) أي أخبروا بما قال من غير زيادة ولا نقصان (وهو العلي الكبير)

وقال آخرون بل معنى قوله تعالى (حتى اذا فزع عن قلوبهم) يعني المشركين عند الاحتضار ويوم القيامة اذا استيقظوا مما كانوا فيه من الغفلة في الدنيا ورجعت اليهم عقولهم يوم القيامة قالوا اماذا قال ربكم ؟ نقبل لهم الحق وأخبروا به مما كانوا عنه لاهين في الدنيا

قال ابن أبي نجيح عن مجاهد (حتى اذا فزع عن قلوبهم) كشف عنها الغطاء يوم القيامة ، وقال الحسن (حتى اذا فزع) عن قلوبهم يعني ما فيها من الشك والتكذيب ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (حتى اذا فزع عن قلوبهم) قال فزع الشيطان عن قلوبهم ففارقهم وأمانيتهم وما كان يضلهم (قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق وهو العلي الكبير) قال وهذا في بني آدم هذا عند الموت أفروا حين لا ينفعهم الاقرار وقد اختار ابن جرير القول الاول أن الضمير عائد على الملائكة وهذا هو الحق الذي لا مربة فيه لصحة الاحاديث فيه والآثار ، وانذكر منها طرفا يدل على غيره

قال البخاري عند تفسير هذه الآية الكريمة في صحيحه حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو قال : سمعت عكرمة قال سمعت أباهريرة رضي الله عنه يقول : إن نبي الله ﷺ قال « اذا

أذن الله له أن يشفع وقرأ أبو عمرو وحمره والكسائي أذن بضم الهزة (حتى اذا فزع عن قلوبهم) قرأ ابن عامر ويعقوب بفتح الفاء والزاي وقرأ الآخرون بضم الفاء وكسر الزاي أي كشف الفزع وأخرج عن قلوبهم فالتفريع إزالة الفزع كالتفريض والتفريد ، واختلفوا في الموصوفين بهذه الصفة فقال قوم هم الملائكة ثم اختلفوا في ذلك السبب فقال بعضهم إنما يفزع عن قلوبهم من غشية تصيبهم عند سماع كلام الله عز وجل ، وروينا عن أبي هريرة أن نبي الله ﷺ قال « اذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم » (قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق وهو العلي الكبير)

قضى الله تعالى الامر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترق السمع ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض - ووصف سفيان بيده فخرها ونشر بين أصابعه - فيسمع الكلمة فيلقبها الى من تحته ، ثم يلقبها الآخر الى من تحته ، حتى يلقبها على لسان الساحر أو الكاهن فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقبها وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كذبة فيقال أليس قد قال أنا يوم كذا وكذا كذا وكذا ؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء ، انفرد بأخراجه البخاري دون مسلم من هذا الوجه ، وقد رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة به والله أعلم

(حديث آخر) قال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر وعبد الرزاق قالنا حدثنا معمر أخبرنا الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ جالسا في نفر من أصحابه قال عبد الرزاق من الانصار فرمي بنجم فاستنار فقال ﷺ « ما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا في الجاهلية ؟ » قالوا كنا نقول يولد عظيم أو يموت عظيم . قلت للزهري أكان يرمى بها في الجاهلية ؟ قال نعم ولكن غلظت حين بعث النبي ﷺ قال : فقال رسول الله ﷺ « فانها لا يرمى بها لموت أحد ولا حياة . ولكن ربنا تبارك وتعالى اذا قضى أمرا أصبح حملة العرش ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح السماء الدنيا ، ثم يستنبر أهل السماء الذين يلون حملة العرش فيقول الذين يلون حملة العرش لحمة العرش ماذا قال ربكم ؟ فيخبرونهم ويخبر أهل كل سماء سماء حتى ينتهي الخبر الى هذه السماء وتخطف الجن السمسم فيرمون ، فما جاءوا به على وجهه فهو حق ولكنهم يفرقون فيه ويزيدون » هكذا رواه الامام احمد ، وقد أخرجه مسلم في صحيحه من حديث صالح بن كيسان والاوزاعي ويونس ومهمل بن عبد الله أربعتهم عن الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رجل من الانصار به

وقال يونس عن رجال من الانصار رضي الله عنهم ، وكذا رواه النسائي في التفسير من حديث يزيد بن الزهري به ، ورواه الترمذي فيه عن الحسين بن حريث عن الوليد بن مسلم عن الاوزاعي عن الزهري

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي قال أنبأني محمد بن الفضل بن محمد أنا أبو بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة أنا زكريا بن يحيى بن أبان المصري أنا نعيم بن حماد أنا الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن ابن أبي زكريا عن رجاء بن حيوة عن النوايس بن سمعان قال قال رسول الله ﷺ « إذا أراد الله أن يوحى بالامر تكلم بالوحي فاذا تكلم أخذت السموات منه رجفة - أو قال رعدة - شديدة خوفا من الله تعالى فاذا سمع بذلك أهل السموات صعدوا وخروا لله سجدا فيكون أول من يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما أراد ، ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مر على سماء سألها ملائكتها ماذا قال ربنا جبريل ؟ فيقول جبريل قال الحق وهو العلي الكبير - قال - فيقولون كلهم

عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رجل من الانصار رضي الله عنه والله أعلم .
(حديث آخر) قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عوف وأحمد بن منصور بن سيار الرمادي والسيافى لمحمد بن عوف قال حدثنا نعيم بن حماد حدثنا الوليد بن عمر بن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد ابن جابر عن عبد الله بن أبي زكريا عن رجاء بن حيوة عن النواص بن سمعان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إذا أراد الله تبارك وتعالى أن يوحى بأمره تكلم بالوحي ، فإذا تكلم أخذت السموات منه رجفة - أوقال رعدة - شديدة من خوف ، الله تعالى فإذا سمع بذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجداً فيكون أول من يرفع رأسه جبريل عليه الصلاة والسلام فيكلمه الله من وحيه بما أراد فيمضي به جبريل عليه الصلاة والسلام على الملائكة كلما مر بسماء سما . يسأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول عليه السلام قال الحق وهو العلي الكبير فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل فينتهي جبريل بالوحي الى حيث أمره الله تعالى من السماء والارض ، وكذا رواه ابن جرير وابن خزيمة عن زكريا بن أبان المصري عن نعيم بن حماد به

وقال ابن أبي حاتم سمعت أبي يقول : ليس هذا الحديث بالتام عن الوليد بن مسلم رحمه الله وقد روى ابن أبي حاتم من حديث العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وعن قتادة أمهما فسرنا هذه الآية ابتداءً بإحياء الله تعالى إلى محمد (ص) بعد الفترة التي كانت بينه وبين عيسى عليه الصلاة والسلام ، ولا شك أن هذا أولى ما دخل في هذه الآية

قل من يرزقكم من السموات والارض ؟ قل الله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين (٢٤) قل لا تسئلون عما أجرمنا ولا نسئلك عما تعملون (٢٥) قل يجمع بيننا ثم يفتح

مثل ما قال جبريل فينتهي جبريل بالوحي حيث أمره الله ، وقال بعضهم إنما يفرعون حذرا من قيام الساعة قال مقاتل والكلبي والسدي كانت الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام خمسمائة وخمسين سنة وقبل ستمائة سنة لم نسمع الملائكة فيها وحيا ، فلما بعث الله محمدا ﷺ كلم جبريل عليه السلام بالرسالة الى محمد ﷺ فلما سمعت الملائكة ظنوا انها الساعة لان محمدا ﷺ عند أهل السموات بعثته من أشراط الساعة فصعقوا مما سمعوا خوفا من قيام الساعة فلما انحدر جبريل جعل يمر بأهل كل ماء فيكشف عنهم فيرفعون رؤوسهم ويقول بعضهم لبعض ماذا قال ربكم ؟ قالوا قال الحق يعني الوحي وهو العلمي الكبير . وقال جماعة الموصوفون بذلك المشركون قال الحسن وابن زيد حتى إذا كشف الفرع عن قلوب المشركين عند نزول الموت بهم إقامة للحجة عليهم قالت لهم الملائكة ماذا قال ربكم في الدنيا ؟ قالوا الحق فاقروا به حين لا ينفعهم الاقرار

قوله تعالى (قل من يرزقكم من السموات والارض) فالرزق من السموات المطر ومن الارض

بيننا بالحق وهو الفتاح العليم (٢٦) قل أروني الذين ألحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم (٢٧)
يقول تعالى مقرر انفراده بالخلق والرزق وانفراده بالالهية أيضا فكما كانوا يعترفون بأنهم لا يرزقهم
من السماء والارض أي بما ينزل من المطر وينبت من الزرع الا الله فكذلك فليعلموا أنه لا إله غيره
وقوله تعالى (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) هذا من باب اللف والنشر أي واحد من
الفرقتين مبطل ، والآخر محق لا سبيل الى أن تكونوا أنتم ونحن على الهدى أو على الضلال بل واحد
منا مصيب ونحن قد أقننا البرهان على التوحيد فدل على بطلان ما أنتم عليه من الشرك بالله تعالى ولهذا
قال (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين)

قال قتادة قد قال ذلك اصحاب محمد ﷺ المشركين والله مانحن وإياكم على أمر واحد ان
أجد الفريقين لمهند ، وقال عكرمة وزيايد بن أبي مرثم معناها انا نحن على هدى وانكم لعلى ضلال مبين
وقوله تعالى (قل لا تسئلون عما أجرمنا ولا نسئل عما نعملون) معناه التبري منهم أي لستم منا
ولا نحن منكم بل ندعوكم الى الله تعالى والى توحيده وافراد العبادة له فان أجبتهم فأنتم منا ونحن منكم
وان كذبتم فنحن برآء منكم وأنتم برآء منا كما قال تعالى (فان كذبوك فقل لي عملي وانكم عماكم أنتم
بريتون مما أعمل وأنا بري مما تعملون)

وقال عز وجل (قل يا أيها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون * ولا أنتم عابدون ما أعبد * ولا أنا
عابد ما عبدتم * ولا أنتم عابدون ما أعبد * لكم دينكم ولي دين) وقوله تعالى (قل يجمع بيننا ربنا)
أي يوم القيامة يجمع بين الخلائق في صعيد واحد ثم يفتح بيننا بالحق أي يحكم بيننا بالعدل فيجزئ
كل عامل بعمله ان خيرا أو خيرا وان شرا أو شرا ، وستعلمون يومئذ ان العزة والنصرة والسعادة الابدية
كما قال تعالى (ويوم تقوم الساعة يومئذ ينزلقون * فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة
يحبسون * وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون) ولهذا

النبات ﴿ قل الله ﴾ أي ان لم يقولوا رازقنا الله فقل أنت ان رازقكم هو الله ﴿ وإنا أو إياكم لعلى هدى
أو في ضلال مبين ﴾ ايس هذا على طريق الشك ولكن على جهة الانصاف في الحجاج كما يقول القائل
للآخر أحدنا كاذب وهو يعلم انه صادق وصاحبه كاذب ، والمعنى مانحن وأنتم على أمر واحد بل أحد
الفرقتين مهتد والآخر ضال فالنبي ﷺ ومن اتبعه على الهدى ومن خالفه في ضلال فكذبهم من
غير ان صرح بالكذب وقال بعضهم أو بمعنى الواو والالف فيه صلة كأنه قال وإنا وإياكم لعلى
هدى أو في ضلال مبين يعني نحن على هدى وأنتم في الضلال ﴿ قل لا تسئلون عما أجرمنا ولا نسئل
عما نعملون ﴾ قل يجمع بيننا ربنا ﴿ يعني يوم القيامة ﴾ ﴿ ثم يفتح ﴾ يقضي ﴿ بيننا بالحق وهو الفتاح العليم ﴾

قال عز وجل (وهو الفتاح العليم) أي الحاكم العادل العالم بمخائيق الامور . وقوله تبارك وتعالى (قل أروني الذين ألحقتم به شركاء) أي أروني هذه الآلهة التي جعلتموها لله أنداداً وصيرتموها له عدلاً كلاً أي ليس له نظير ولا نديد ولا شريك ولا عديل . ولهذا قال تعالى (بل هو الله) أي الواحد الأحد الذي لا شريك له العزيز الحكيم أي ذو العزة الذي قد فهر بها كل شيء . وغلبت كل شيء الحكيم في أفعاله وأقواله وشرعه وقدره تبارك وتعالى وتقدس عما يقولون علواً كبيراً والله أعلم

وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٢٨) ويقولون متى

هذا الوعد إن كنتم صدقين ؟ (٢٩) قل لكم ميعاد يوم لا تستشرون عنه ساعة ولا تستقدمون (٣٠)

يقول تعالى لعبدته ورسوله محمد ﷺ تسليماً (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً) أي إلا إلى جميع الخلائق من المكلفين كقوله تبارك وتعالى (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً - تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً) (بشيراً ونذيراً) أي تبشر من أطاعتك بالجنة وتنذر من عصاك بالنار (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) كقوله عز وجل (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وإن تطمع أكثر من في الأرض يضلوا عن سبيل الله) قال محمد بن كعب في قوله تعالى (وما أرسلناك إلا كافة للناس) يعني إلى الناس عامة ، وقال قتادة في هذه الآية أرسل الله تعالى محمداً ﷺ إلى العرب والعجم فأكرمهم على الله تبارك وتعالى أطوعهم الله عز وجل

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبد الله الظاهراني حدثنا حمض بن عمر العدني حدثنا الحكم يعني ابن ابان عن عكرمة قال سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول : إن الله تعالى فضل محمداً ﷺ على أهل السماء وعلى الأنبياء . قالوا يا ابن عباس فبم فضله الله على الأنبياء ؟ قال رضي الله عنه إن الله تعالى قال (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) وقال لني ﷺ (وما أرسلناك إلا كافة للناس) فأرسله الله تعالى إلى الجن والانس . وهذا الذي قاله ابن عباس رضي الله عنهما قد ثبت في الصحيحين رفعه عن جابر رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ « أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدرته

قل أروني الذين ألحقتم به شركاء) أي أعلموني الذين ألحقتموهم به أي بالله شركاء في العبادة معه هل يخلقون وهل يرزقون ؟ (كلاً) لا يخلقون ولا يرزقون ؟ (بل هو الله العزيز) الغالب على أمره (الحكيم) في تدبيره لخلقه فإني يكون له شريك في ملكه

قوله عز وجل (وما أرسلناك إلا كافة للناس) يعني للناس عامة أحرهم وأسودهم (بشيراً ونذيراً)

الصلاة فيحصل ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه وبعث إلى الناس عامة « وفي الصحيح أيضا أن رسول الله ﷺ قال « بعثت إلى الأسود والاحمر » قال مجاهد يعني الجن والانس وقال غيره يعني العرب والعجم والكل صحيح . ثم قال عز وجل مخبرا عن الكفار في استبعادهم قيام الساعة (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) وهذه الآية كقوله عز وجل (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق) الآية ثم قال تعالى (قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) أي لكم ميعاد مؤجل معدود محدد لا يزداد ولا ينقص فإذا جاء فلا يؤخر ساعة ولا يقدم كما قال تعالى (ان أجل الله إذا جاء لا يؤخر) وقال عز وجل (وما يؤخره إلا لأجل معدود * يوم يأتي لاتكلم نفس الا باذنه فنهيم شقي وسعيد)

وقال الذين كفروا ان تؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين (٣١) قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم ؟ بل كنتم مجرمين (٣٢) وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجمل له أندادا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يُجزون إلا ما كانوا يعملون (٣٣)

يخبر تعالى عن تمادي الكفار في طغيانهم وعنادهم واصرارهم على عدم الايمان بالقرآن وبما أخبر به من أمر المعاد ، ولهذا قال تعالى (وقال الذين كفروا ان تؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه) قال الله عز وجل متهددا لهم ومتوعدا ومخبرا عن مواقفهم الدليلة بين يديه في حال نخاصمهم وتحاجهم (يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا) وهم الاتباع (الذين استكبروا) منهم وهم قاذيهم

أي مبشرا ومنذرا ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ وروينا عن جابر أن النبي ﷺ قال « كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعث إلى الناس عامة » وقيل كافة أي كافا يكفهم عما هم عليه من الكفر والها للمبالغة ﴿ ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ﴾ يعني القيامة ﴿ قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون ﴾ أي لا تتقدمون عليه يعني يوم القيامة وقال الضحاك يوم الموت لا تتأخرون عنه ولا تتقدمون بان يزداد في أجلكم أو ينقص منه ﴿ وقال الذين كفروا ان تؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ﴾ يعني التوراة والانجيل ﴿ ولو ترى ﴾ يا محمد ﴿ اذ الظالمون موقوفون ﴾ محبوسون ﴿ عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول ﴾ يرد بعضهم إلى بعض القول في الجدال ﴿ يقول

وسادتهم (لولا أنتم لكننا مؤمنين) أي لولا أنتم تصدوننا لكننا اتبعنا الرسل وآمننا بما جاؤنا به فقال لهم القادة والسادة وهم الذين استكبروا (أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم) أي نحن ما فعلنا بكم أكثر من أننا دعوناكم فاتبعتهم منا من غير دليل ولا برهان وخافتم الأدلة والبراهين والحجج التي جاءت بها الرسل لشهوتكم واختياركم لذلك ولهذا قالوا (بل كنتم مجرمين) وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار أي بل كنتم تمكرون بنا ليلا ونهارا وتغروننا وتمنوننا وتخبروننا أنا على هدى وأنا على شيء فإذا جميع ذلك باطل وكذب ومين، قال قتادة وابن زيد (بل مكر الليل والنهار) يقول بل مكركم بالليل والنهار وكذا قال مالك عن زيد بن أسلم مكركم بالليل والنهار (إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا) أي نظراء وآلهة معه وتقيموا لنا شياها وأشياء من المحال تضلوننا بها (وأمرنا الندامة لما رأوا العذاب أي الجميع من السادة والاتباع كل ندم على ما سلف منه (وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا) وهي السلاسل التي نجتمع أيديهم مع أعناقهم (هل يحزون إلا ما كانوا يعملون) أي إنما نجازيكم بأعمالكم كل بحسبه فإعادة عذاب بحسبهم وللاتباع بحسبهم (قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون)

قل ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا فريرة بن أبي المغراء حدثنا محمد بن سليمان بن الأصهباني عن أبي ستان ضرار بن صرد عن عبد الله بن أبي الهذيل عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إن جهنم لما سبق إليها أهلها تلقاها لمهاهم نفحتهم فحة فلم يبق لحم إلا سقط على العروق» وحدثنا أبي حدثنا أحمد بن أبي الحواري حدثنا الطيب أبو الحسن عن الحسن بن يحيى الحشني قال ما في جهنم دار ولا مغار ولا غل ولا قيد ولا سلسلة إلا اسم صاحبه عليها مكتوب قال فحدثني أبا سليمان يعني الداراني رحمه الله عليه فبكي ثم قال وبك فكيف به لو جمع هذا كله عليه فجعل القيد في رجله والغلة في يديه والسلسلة في عنقه ثم ادخل النار وادخل المغار؟ اللهم سلم

الذين استضعفوا (استحقروا وهم الاتباع (الذين استكبروا) وهم القادة والاشراف (لولا أنتم لكننا مؤمنين) أي أنتم منعتمونا عن الإيمان بالله ورسوله (قال الذين استكبروا) أجابهم المتبوعون في الكفر (الذين استضعفوا نحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين) بترك الإيمان (وقال الذين استضعفوا الذين استكبروا بل مكر الليل والنهار) أي مكركم بنا في الليل والنهار والعرب تضيف الفعل إلى الليل والنهار على توسع الكلام كما قال الشاعر

• ونمت وما أيل المطي بنائم •

وقيل مكر الليل والنهار هو طول السلامة وطول الأمل فيهما كقوله تعالى (فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم) (إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأمرنا (الندامة) وقيل أخفوا وهو من الاضداد (لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا) في النار الاتباع

وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون (٣٤) وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين (٣٥) قل إن ربي ببسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٣٦) وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرقت آمنون (٣٧) والذين يسيرون في آياتنا معجزين أولئك في العذاب محضرون (٣٨) قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين (٣٩) يقول تعالى مسليا لنبيه ﷺ وأمرأله بالناسي بن قبله من الرسل ومخبره بأنه ما بعث نبيا في قرية إلا كذبه مترفوها وانبعه ضعفاؤهم كما قال قوم نوح عليه الصلاة والسلام (انؤمن لك واتبعك لأرذلون - وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي) وقال الكبراء من قوم صالح (الذين استضعفوا لمن آمن منهم أنعمون ان صالحا مرسل من ربه ؟ قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون * قال الذين استكبروا إنا بالذي آأنتم به كافرون) وقال عز وجل (وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله باعلم بالشاكرين) وقال تعالى (وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها) وقال جل وعلا (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) وقال جلا وعلا ههنا (وما أرسلنا في قرية من نذير) أي نبي أو رسول إلا قال مترفوها (وهم أولو النعمة والحشمة والثروة والرياسة قل فتادة هم جبارتهم وقادتهم وروسهم في الشر) إنا بما أرسلتم به كافرون) أي لا تؤمن به ولا تتبعه

قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا هارون بن اسحاق حدثنا محمد بن عبد الوهاب عن سفيان عن عامر عن أبي رزين قال كان رجلان شريكين خرج أحدهما الى الساحل وبقي الآخر فلما بعث النبي ﷺ كتب الى صاحبه يسأله ما فعل ، فكتب اليه إنه لم يتبعه أحد من قريش إنما اتبعه أراذل الناس ومساكينهم قال فترك تجارته ثم أتى صاحبه فقال داني عليه قال وكان يقرأ الكتب أو بعض الكتب قال فأتى النبي ﷺ فقال الى م تدعو ؟ قال « أدعو إلى كذا وكذا » قال أشهد انك رسول الله قال ﷺ « وما عليك بكذا ؟ » قال انه لم يبعث نبي الا اتبعه أراذل الناس ومساكينهم قال فغزات

والمشركين جميعا * هل يجزون الا ما كانوا يعملون * من الكفر والمعاصي في الدنيا * وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها * رؤساؤها وأغنيائها * إنا بما أرسلتم به كافرون * وقالوا * يعني قال المترفون لا فقرنا الذين آمنوا * نحن أكثر أموالا وأولادا * ولو لم يكن الله راضيا بما نحن عليه من الدين

هذه الآية (وما أرسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انما أرسلناهم بكافرون) الآية قال فأرسل اليه النبي ﷺ ان الله عز وجل قد أنزل تصديق ما قلت وهكذا قال هرقل لأبي سفيان حين سأله عن تلك المسائل قال فيها وسألتك أضعفاء الناس انبعه ام اشرا فهم فزعمت بل ضعفاؤهم وهم اتباع الرسل . وقال تبارك وتعالى اخبارا عن المترفين المكذبين (وقالوا نحن أكثر أموالا وأولاداً وما نحن بمعذبين) أي افتخروا بكمثرة الاموال والاولاد واعتقدوا ان ذلك دليل على محبة الله تعالى لهم واعتنائه بهم وانه ما كان ليعطيهم هذا في الدنيا ثم يعذبهم في الآخرة وهيبات لهم ذلك قال الله تعالى (أبحسون أما ندبهم به من مال وبنين يسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) وقال تبارك وتعالى (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون) وقال عز وجل (ذرني ومن خلقت وحيداً وجعلت له مالا ممدوداً وبنين شهوداً ومهدت له مميداً ثم بطم أن أزيد كلا إنه كان لا يأتنا عنيداً سارهنه صعوداً) وقد أخبر الله عز وجل عن صاحب تبتك الجنيتين انه كان ذا مال ونمر وولد ثم لم يغن عنه شيئاً بل سلب ذلك كله في الدنيا قبل الآخرة ولهذا قال عز وجل همنا (قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أي يعطي المال لمن يحب ومن لا يحب فيفقر من يشاء . ويعني من يشاء . وله الحكمة القائمة بالإنفاذ والحجة القاطعة الدامغة (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ثم قال تعالى (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقر بكم عندنا زاني) أي ليست هذه دليلاً على محبتنا لكم ولا اعتنائنا بكم .

قال الامام احمد رحمه الله حدثنا كثير حدثنا جعفر حدثنا يزيد بن الاصم عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال « ان الله تعالى لا ينظر الى صوركم وأموالكم ولكن انما ينظر إلى

والعمل لم يخولنا الاموال والاولاد) وما نحن بمعذبين) أي ان الله أحسن إلينا في الدنيا بالمال والولد فلا يعذبنا (قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يعني أن الله يبسط الرزق ويقدر ابتلاء وامتحاناً لا يدل البسط على رضى الله عنه ولا التضيق على سخطه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) انها كذلك (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقر بكم عندنا زاني) أي قرى قال الاخفش قرى اسم مصدر كانه قال بالتي تقر بكم عندنا تقريباً (إلا من آمن) يعني لكن من آمن (وعمل صالحاً) قال ابن عباس يريد ايماناً وعمله بقربه مني (فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا) أي بضعف الله لهم حسناتهم فيجزى بالحسنة الواحدة عشر إلى سبعائة ، قرأ يعقوب جزءاً منه وبأمنونا الضعف رفع تقديره لهم الضعف جزاء وقرأ العامة بالاضافة (وهم في الغرفات آمنون) قرأ حمزة (في الغرفة) على واحدة وقرأ الآخرون بالجمع لقوله (لنبوئهم من الجنة غرفاً) (والذين يسعون) يعلمون (في آياتنا) في ابطال حجبتنا (معاجزين) معاندين يحسبون انهم يعجزوننا ويفوتوننا (أولئك في العذاب محضرون * قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ، وما انفقم من شيء فهو يخلفه) يعني يعطي خلفه قال سعيد

قلوبكم وأعمالكم» ورواه مسلم وابن ماجه من حديث كثير بن هشام عن جعفر بن برقان به ، ولهذا قال الله تعالى (إلا من آمن وعمل صالحا) أي أما بقر بكم عندنا زاني الإيمان والعمل الصالح فأرأيت لهم جزاء الضعف بما عملوا) أي تضاعف لهم الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف (وهم في الغرفات آمنون) أي في منازل الجنة العالية آمنون من كل بأس وخوف وأذى ومن كل شر يحذر منه

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا فروة بن أبي المغراء الكندي حدثنا القاسم وعلي بن مسهر عن عبد الرحمن بن اسحاق عن الزهري عن سعد بن علي رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ «ان في الجنة غرفا ترى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها» فقال اعرابي لمن هي؟ قال ﷺ «من طيب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام» والذين يسعون في آياتنا معاجزين) أي يسعون في الصديق سبيل الله واتباع رسوله وتتصدق بآياته (وأولئك في العذاب محضرون) أي جميعهم مجزيون بأعمالهم فيها بحسبهم

وقوله تعالى (قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له) أي بحسب ماله في ذلك من الحكمة يبسط على هذا من المال كثيرا ويضيق على هذا ويقتصر على هذا رزقه جداً وله في ذلك من الحكمة ما لا يدركها غيره كما قال تعالى (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) أي كما هم متفاوتون في الدنيا هذا فقير مدقع وهذا غني موسع عليه فكذلك هم في الآخرة هذا في الغرفات في أعلى الدرجات وهذا في الغمرات في أسفل الدرجات، وأطيب الناس في الدنيا كما قال ﷺ «قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه» رواه مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

وقوله تعالى (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه) أي مها أنفقتم من شيء فما امركم به وأباحه لكم فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبدل وفي الآخرة بالجزاء والثواب كما ثبت في الحديث «يقول الله تعالى أنفق أنفق عليك» وفي الحديث أن ملكين بصبحان كل يوم يقول أحدهما اللهم أعط ممسكنا ثلما ويقول الآخر : اللهم أعط منفقنا خلفا، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنفق بلالا، ولا نخش من ذي العرش اقلالا» .

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي عن يزيد بن عبد العزيز الفلاس حدثنا هشيم عن الكوثري بن حكيم عن مكحول قال باغني عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «ألا ان بعد زمانكم هذا زمان عضوض بعض الموسر على ما في يده حذار الانفاق» ثم تلا هذه الآية (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) وقال الحافظ أبو بعلی الموصلي حدثنا روح بن حاتم حدثنا هشيم عن

ابن جبير ما كان في غير اسراف ولا تقهر فهو يخلفه وقال الكلبي ما تصدقتم من صدقة وأنفقتم في الخير من نفقة فهو يخلفه على المنفق إما أن يعجله في الدنيا وإما أن يدخره له في الآخرة (وهو

الكوثر بن حكيم عن مكحول قال بلغني عن حذيفة رضي الله عنه انه قال : قال رسول الله ﷺ « لا ان بعد زمانكم هذا زمان عضوض بعض المومنين على ما في يده حذار الاتفاق » قال الله تعالى (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) وفي الحديث « شرار الناس يبايعون كل مضطر ألا ان بيع المضطرين حرام إلا ان بيع المضطرين حرام إلا ان بيع المضطرين حرام إلا ان بيع المضطرين حرام عندك معروف فعد به على أخيك رالا فلا تزده هلاكا الى هلاكه » هذا حديث غريب من هذا الوجه وفي اسناده ضعف وقال سفيان الثوري عن أي بن اونس الحسن بن يزيد قال : قال مجاهد لا يتأولن أحدكم هذه الآية (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه) إذا كل عند أحدكم ما يقيه فليصد فيه فان الرزق مقسوم

ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملأئكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ؟ (٤٠) قالوا سبحانك

خير الرازقين) خير من بعطي وبرزق وروينا عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « قال الله تعالى أنفق يا ابن آدم أنفق عليك »

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل ثنا اسماعيل ثنا أبي عن سليمان هو ابن بلال عن معاوية بن أبي مزرد عن أبي الجحباب عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ، ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا »

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن محمد بن سمعان أنا أبو جعفر محمد بن أحمد ابن عبد الجبار الرياني أنا حميد بن زنجويه أنا ابن أبي أويس أنا عبد العزيز بن محمد عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله »

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الرياني أنا حميد بن زنجويه أنا أنا أبو الربيع أنا عبد الحميد بن الحسن الفلالي أنا محمد بن المكندر عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « كل معروف صدقة ، وكل ما انفق الرجل على نفسه وأهله كتب له صدقة ، وما وقى الرجل به عرضه كتب له به صدقة قلت ما يعني ما وقى الرجل به عرضه قال - ما أعطى الشاعر وذا اللسان لقتي - وما انفق المؤمن من نفقة فعلى الله خلفها ضامنا إلا ما كان من نفقة في بيان أو في معصية الله عز وجل » قوله قلت ما يعني بقول عبد الحميد لمحمد بن المكندر قال مجاهد إذا كان في يد أحدكم شيء فليصدق ولا يتأول هذه الآية (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه) فان الرزق مقسوم لعل رزقه قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه ومعنى الآية وما كان من خلف فهو منه

قوله تعالى (ويوم يحشرهم) قرأ يعقوب وحفص يحشرهم ويقول بالياء فيهما وقرأ الآخرون

أنت وإنا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون (٤١) فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول الذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون (٤٢)

يخبر تعالى أنه يقرع المشركين يوم القيامة على رؤس الخلائق فيسأل الملائكة الذين كان المشركون يزعمون أنهم يعبدون الانداد التي هي على صورهم ليقربوهم الى الله زافي فيقول للملائكة (أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون) أي انتم أمرتم هؤلاء بعبادتكم كما قال تعالى في سورة الفرقان (أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل) وكما يقول عيسى عليه الصلاة والسلام (أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق) وهكذا تقول الملائكة (سبحانك) أي تعاليت وتقدسست عن أن يكون معك إله (أنت وإنا من دونهم) أي نحن عبيدك ونهرأ اليك من هؤلاء (بل كانوا يعبدون الجن) يعنون الشياطين لأنهم هم الذين زينوا لهم عبادة الاوثان وأضلواهم أكثرهم بهم مؤمنون) كما قال تبارك وتعالى (إن يدعون من دونه إلا أنا وإن يدعون إلا شيطانا مريدا لعنه الله) قال الله عز وجل (فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا) أي لا يقع لكم نفع ممن كنتم ترجون نفعه اليوم من الانداد والاثان التي ادخرتم عبادتها لشدايدكم وكرهكم اليوم لا يملك لكم نفعا ولا ضرا (ونقول للذين ظلموا) وهم المشركون (ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون) أي يقال لهم ذلك تقر بها وتوبيخا

وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد

بالنون (جميعا) يعني هؤلاء الكفار (ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون) في الدنيا قال قتادة هذا استفهام تقرير كقوله تعالى عيسى (أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله) فتتبرأ منهم الملائكة (قالوا سبحانك) تنزيها لك (أنت وإنا من دونهم) أي نحن تتولاك ولا نتولاهم (بل كانوا يعبدون الجن) يعني الشياطين، فإن قيل هم كانوا يعبدون الملائكة فكيف وجه قوله (يعبدون الجن)؟ قيل أراد أن الشياطين زينوا لهم عبادة الملائكة فهم كانوا بطيعون الشياطين في عبادة الملائكة فقوله (يعبدون الجن) أي بطيعون الجن (أكثرهم بهم مؤمنون) يعني مصدقون للشياطين ثم يقول الله (فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا) بالشفاعة (ولا ضرا) بالعذاب يريد أنهم عاجزون لا نفع عندهم ولا ضرر (ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون) وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا (يعنون محمدا ﷺ) إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان

آبؤكم وقالوا ما هذا إلا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين (٤٣) وما آتينهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير (٤٤) وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتينهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير (٤٥)

يخبر تعالى عن الكفار أنهم يستحقون منه العقوبة والاليم من العذاب لأنهم كانوا إذا أتى عليهم آياته يديتوا سمعها محضة طرية من لسان رسوله ﷺ قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم (يعنون أن دين آبائهم هو الحق وأن ما جاءهم به الرسول عندهم باطل، عليهم وعلى آبائهم لعائن الله تعالى) وقالوا ما هذا إلا افك مفترى (يعنون القرآن) وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين [قال الله تعالى (وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير) أي ما أنزل الله على العرب من كتاب قبل القرآن وما أرسل إليهم نبياً قبل محمد ﷺ وقد كانوا يودون ذلك ويقولون لو جاءنا نذير أو أنزل علينا كتاب لكننا أهدى من غيرنا، فلما من الله عليهم بذلك كذبوه وجحدوه وعاندوه

ثم قال تعالى (وكذب الذين من قبلهم) أي من الأمم (وما بلغوا معشار ما آتيناهم) قال ابن عباس رضي الله عنهما أي من القوة في الدنيا، وكذا قال قتادة والسدي وابن زيد كما قال تعالى [ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلناهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء، إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون * أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة] أي وما دفع ذلك عنهم عذاب الله ولا رده، بل دمر الله عليهم لما كذبوا رسوله ولهذا قال (فكذبوا رسلي فكيف كان نكير) أي فكيف كان عقابي ونكالي وانتصاري لرسلي

يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا إلا افك مفترى (يعنون القرآن) وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين (أي بين

قوله تعالى (وما آتيناهم) يعني هؤلاء المشركين (من كتب يدرسونها) يقرءونها (وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير) أي لم يأت العرب قبلك نبي ولا نزل عليهم كتاب (وكذب الذين من قبلهم) من الأمم أرسلنا وهم عاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وغيرهم (وما بلغوا) يعني هؤلاء المشركين (معشار) أي عشر (ما آتيناهم) أي أعطينا الأمم الحالية من القوة والنعمة وطول العمر (فكذبوا رسلي فكيف كان نكير) أي انكاري وانفييري عليهم يحذر كفار هذه الأمة عذاب

قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تفكروا ما بصاحبكم من

جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد (٤٦)

يقول تبارك وتعالى قل يا محمد لهؤلاء الكافرين الزاعمين أنك مجنون (إنما أعظكم بواحدة) أي إنما أمركم بواحدة وهي (أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تفكروا ما بصاحبكم من جنة) أي تقوموا قياماً خالصاً لله عز وجل من غير هوى ولا عصبية فيسأل بعضكم بعضاً هل بمحمد من جنون فينصح بعضكم بعضاً (ثم تفكروا) أي ينظر الرجل نفسه في أمر محمد صلى الله عليه وسلم ويسأل غيره من الناس عن شأنه أن أشكل عليه ويتفكر في ذلك ولهذا قال تعالى (أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تفكروا ما بصاحبكم من جنة) هذا معنى ما ذكره مجاهد ومحمد بن كعب والسدي وقناة وغيرهم وهذا هو المراد من الآية

فأما الحديث الذي رواه ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة بن خالد حدثنا ابن أبي العاتكة عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي امامة رضي الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ كان يقول « أعطيت ثلاثاً لم يعطهن أحد قبلي ولا فخر : أحلت لي الغنائم ولم تحل لمن قبلي كانوا قبلي يجمعون غنائمهم فيحرقونها ، وبعثت إلى كل أحر وأسود وكان نبي يبعث إلى قومه خاصة ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً أتيهم بالصعيد وأصلي فيها حيث أدركتني الصلاة » قال الله تعالى (أن تقوموا لله مثنى وفرادى) وأعنت بالربع مسيرة شهر بين يدي فهو حديث ضعيف الاسناد ، وتفسير الآية بالقيام في الصلاة في جماعة وفرادى بعيد وأعله مقحم في الحديث من بعض الرواة فإن أصله ثابت في الصحاح وغيرها والله أعلم

وقوله تعالى (إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد) قال البخاري عندها حدثنا علي بن عبد الله حدثنا محمد بن حازم حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : صعد النبي ﷺ الصفا ذات يوم فقال « يا صباحاه » فاجتمعت إليه قريش فقالوا مالك ؟ فقال « أرايتم لو أخبرتكم أن العدو بصاحبكم أو يمسبكم أما كنتم تصدقوني » قالوا بلى قال

الأمم الماضية (قل إنما أعظكم) أمركم وأوصيكم (بواحدة) أي بمصلحة واحدة ثم بين تلك المصلحة فقال (أن تقوموا لله) أي لاجل الله (مثنى) أي اثنين اثنين (وفرادى) أي واحداً واحداً (ثم تفكروا) جميعاً أي يجتمعون فيستظرون ويتحاورون وتفكرون فتفكرون في حال محمد ﷺ فتعلموا (ما بصاحبكم من جنة) أي جنون وإيس المراد من القيام القيام الذي هو ضد الجلوس وإنما هو قيام بالامر الذي هو في طلب الحق كقوله (وأن تقوموا للبناء بالقسط) (إن هو) ما هو (إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد) قال مقاتل ثم الكلام عند قوله (ثم تفكروا) أي في خلق السموات

ﷺ « فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد » فقال ابو ذؤيب الهذا جمعتنا؟ فانزل الله عز وجل (انبت
يدا أبي لهب وتب) وقد تقدم عند قوله تعالى [وانذر عشيرتلك الاقربين]

وقال الامام احمد حدثنا ابو نعيم حدثنا بشير بن المهاجر حدثني عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي
الله عنه قال : خرج الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فإدى ثلاث مرات فقال « أيها الناس
تدرون ما مثلي ومثلكم ؟ » قالوا الله تعالى ورسوله أعلم ، قال صلى الله عليه وسلم « انما مثلي ومثلكم
مثل قوم خافوا عدواً ياتيهم فبعثوا رجلاً يترامى لهم فيينا هو كذلك أبصر العدو فأقبل لينذرهم وخشي
أن يدركه العدو قبل أن ينذر قومه فأهوى بثوبه ، أيها الناس أوتيتم أيها الناس أوتيتهم » ثلاث
مرات ، وبهذا الاسناد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بعثت أنا والساعة جميعاً إن كادت
لتسبقني » تفرد به الامام احمد في مسنده

قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجرى الا على الله وهو على كل شيء شهيد (٤٧)

قل ان ربي يقذف بالحق عالم الغيوب (٤٨) قل جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد (٤٩)

قل ان ضللت فانما أضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي انه سميع قريب (٥٠)
يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ أن يقول للمشركين (ما سألتكم من أجر فهو لكم) أي لا أريد
منكم جعلاً ولا عطاءً على أداء رسالة الله عز وجل اليكم ونصحي ايمانكم وأمركم بعبادة الله ان أجرى
الا على الله) أي انما أطلب ثواب ذلك من عند الله وهو على كل شيء شهيد) أي عالم بجميع الامور
بما أنا عليه من إخباري عنه بارساله اياي اليكم وما أنتم عليه

وقوله عز وجل (قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب) كقوله تعالى (يلقي الروح من أمره
على من يشاء من عباده) أي يرسل الملك الى من يشاء من عباده من أهل الارض وهو علام الغيوب
فلا تخفى عليه خافية في السموات ولا في الارض . وقوله تبارك وتعالى (قل جاء الحق وما يبدىء الباطل
وما يعيد) أي جاء الحق من الله والشرع العظيم وذهب الباطل وزهق واضمححل كقوله تعالى (بل
والارض فتعلوا أن خالقها واحد لا شريك له . ثم ابتدا فقال ما يصاحبكم من الجنة) (قل ما سألتكم) على
تبليغ الرسالة (من أجر) جعل (فهو لكم) يقول لا أسألكم على تبليغ الرسالة أجراً فتتهموني ومعنى
قوله (فهو لكم) أي لم امل لكم شيئاً كقول الفائل مالي من هذا فقد وهبته لك يريد ليس لي فيه
شيء (ان أجرى) ما أوتي بي (إلا على الله ، وهو على كل شيء شهيد * قل إن ربي يقذف بالحق)
واقذف الرمي بالسهم والحصى والكلام ومنه يأتي بالحق في نوحى ينزله من السماء فينطق به الانبياء
(علام الغيوب) رفع يخبر إن أي وهو علام الغيوب

قوله تعالى (قل جاء الحق) يعني القرآن والاسلام (وما يبدىء الباطل وما يعيد) أي ذهب

تذنب بالحق على الباطل مبدعه فادّعى (زهق) بطلان ما دسّل رسول الله ﷺ المسجد الحرام يوم الفتح ووجد ثلاث الأصنام منصوبة حول الكعبة جعل يطعن الصخر منها بسية قوسه ويقول (وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً) قل جاء الحق وما يبدى الباطل وما بعيد (رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وحده عنده الآية) كلهم من حديث الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عبد الله بن سبرة عن ابن مسعود رضي الله عنه ، أي لم يبق للباطل مقالة ولا رئاسة ولا كلمة ، وزعم قتادة والسدي أن المراد بالباطل ههنا ابليس أي أنه لا يخاق أحداً ولا يعيده ولا يقدر على ذلك وهذا وإن كان حقاً ولكن ليس هو المراد ههنا والله أعلم

وقوله تبارك وتعالى (قل إن ضللت فأنما أضل على نفسي وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي) أي الخير كله من عند الله وفيما أنزل الله عز وجل من الوحي والحق المبين فيه الهدى والبيان والرشاد ومن ضل فأنما يضل من تلقاء نفسه كقوله عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لما سئل عن تلك المسئلة في المفوضة أقول فيها برأيي فإن يكن صواباً فمن الله وإن يكن خطأ فني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه . وقوله تعالى (إنه سميع قريب) أي سميع لا قوال عباده قريب عجيب دعوة الداعي إذا دعاه ، وقد روى النسائي ههنا حديث أبي موسى الذي في الصحيحين « أنكم لا تدعون أحداً بغيري ولا غائباً إنما تدعون سميعاً قريباً مجيباً »

ولو ترى اذ فرغوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب (٥١) وقالوا آمنا به وأنى لهم

التناوش من مكان بعيد (٥٢) وقد كفروا به من قبل ويقتفون بالغيب من مكان بعيد (٥٣)

وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل أنهم كانوا في شك مرب (٥٤) يقول تبارك وتعالى ولو ترى يا محمد اذ فرغ هؤلاء المكذبون يوم القيامة فلا فوت أي فلا مفر لهم ولا وزر لهم ولا ملجأ (وأخذوا من مكان قريب) أي لم يمكنوا أن يمعنوا في الحرب بل أخذوا من أول وهلة . قال الحسن البصري حين خرجوا من قبورهم

وقال مجاهد وعطية العوفي وقتادة من تحت أقدامهم ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك يعني عذابهم في الدنيا ، وقال عبد الرحمن بن زيد يعني قتله يوم بدر ، والصحيح أن المراد بذلك

الباطل وزهق فلم يبق منه بقية يبدى شيئاً أو بعيد كما قال تعالى (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه) وقال قتادة الباطل هو ابليس أي ما خلقي ابليس أحداً ابتداء ولا يعينه وهو قول مقاتل والكلبي وقبل الباطل الأصنام (قل إن ضللت فأنما أضل على نفسي) وذلك أن كفار مكة كانوا يقولون له إنك قد ضللت حين تركت دين آبائك فقال الله تعالى (قل إن ضللت فأنما أضل على نفسي) أي أتم ضلّلتني على نفسي (وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي) من القرآن والحكمة (إنه سميع قريب) ولو ترى اذ فرغوا (قال قتادة عند البعث حين يخرجون من قبورهم) فلا فوت (أي فلا يفوتوني كما

(سورة سبأ ٣٤ جزء ٢٢) إيمان الكفار بالبعث بعد معاينة العذاب ولات حين مناص ٤٣

يوم القيامة وهو الطامة العظمى ، وان كان ما ذكر متصلاً بذلك ، وحكى ابن جرير عن بعضهم قال ان المراد بذلك جيش يخسف بهم بين مكة والمدينة في أيام نبي العاصم رضي الله عنهم . ثم أورد في ذلك حديثاً موضوعاً بالكيفية ثم لم ينبه على ذلك وهذا أمر عجيب غريب منه (وقالوا آمنا به) أي يوم القيامة يقولون آمنا بالله وملائكته وكتبه ورسله كما قال تعالى (ولم تدرى اذ المجرمون ناكسو رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا لنعمل صالحاً انا وقنونا) ولهذا قال تعالى (وأنى لهم التناوش من مكان بعيد) أي وكيف لهم تعاظمي الايمان وقد يعدوا عن محل قوله منهم وصاروا إلى الدار الآخرة وهي دار الجزاء لادار الابتلاء ، فلو كانوا آمنوا في الدنيا لكان ذلك نافعهم ولكن بعد مصيرهم إلى الدار الآخرة لاسبيل لهم إلى قبول الايمان كما لاسبيل إلى حصول الشيء لمن يتناوله من بعيد . قال مجاهد (وأنى لهم التناوش) قال التناول لذلك . قال الزهري التناوش تناولهم الايمان وهم في الآخرة وقد انقطعت عنهم الدنيا ، وقال الحسن البصري أما إنهم مللوا الأمر من حيث لا ينال تعاظموا الايمان من مكان بعيد ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما طالبا الرحمة إلى الدنيا والتوبة عما هم فيه وليس بهم رجعة ولا توبة ، وكذا قال محمد بن كعب القرظي رحمه الله .

وقوله تعالى (وقد كفروا به من قبل) أي كيف يحصل لهم الايمان في الآخرة وقد كفروا بالحق في الدنيا وكذبوا الرسل (ويقذفون بالغيب من مكان بعيد) قال مالك عن زيد بن أسلم (ويقذفون بالغيب) قال بالظن قلت كما قال تعالى (رجما بالغيب) فتارة يقولون شاعر وتارة يقولون كاهن وتارة يقولون ساحر وتارة يقولون مجنون إلى غير ذلك من الأقوال الباطلة ، ويكذبون بالبعث والذئور والمعاد (ويقولون ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين) قال قتادة وعجاء دبرجون بالظن لا بعث ولاجنة ولا نار . وقوله تعالى (وحبل بينهم وبين ما يشتهون) قال الحسن البصري والضحاك وغيرهما يعني الايمان

قال (ولات حين مناص) وقيل إذا فرغوا فلا فوت ولا نجاة (وأخذوا من مكان قريب) قال الكلبي من تحت أقدامهم وقيل أخذوا من طين الارض إلى ظهرها وحيثما كانوا فهم من الله قريب لا يفوتونه وقيل من مكان قريب يعني عذاب الدنيا وقال الضحاك يوم بدر وقال ابن أبي خسف بالبيداء وفي الآية حذف تقديره ولو ترى إذا فرغوا لو أيت أمراً اعتبر به (وقالوا آمنا به) حين عاينوا العذاب قبل عند اليأس وقيل عند البعث (وأنى) من أين (لهم التناوش) قرأ أبو عمرو وحزرة والكسائي وأبو بكر التناوش بالمد والهمز وقرأ الآخرون أو صافية من غير مد ولا همز ومعناه التناول أي كيف لهم تناول ما بعد عنهم وهو الايمان والتوبة وقد كان قريباً في الدنيا فضيعوه ومن همز قيل معناه هذا أيضاً وقيل التناوش الهمز من النيش وهو حركة في البطاء يقال جاء نيشاً أي مبطناً متأخراً ، والمعنى من أين لهم الحركة فيما لا حياة لهم فيه ، ومن ابن عباس قال يسألون الرد إلى الدنيا فيقال وأنى لهم الرد إلى الدنيا (من مكان بعيد) أي من الآخرة إلى الدنيا (وقد كفروا به من قبل) أي بالقرآن وقيل بمحمد ﷺ من قبل أن يعاينوا العذاب وأهوال القيامة (ويقذفون بالغيب من مكان بعيد)

وقال السدي (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) وهي التوبة وهذا اختبا ابن حرير رحمه الله . وقال جاهد (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) من هذه الدنيا من مال وزهرة وأمل ، وردني نحوه عن ابن عمر وابن عباس والرابع بن أنس رضي الله عنهم هو قول البخاري وحاشية الصحيح أنها منافاة بين القولين فإنه قد حيل بينهم وبين شهواتهم في الدنيا وبين ما يطلبونه في الآخرة فتدبروا منه

وقد ذكر ابن أبي حاتم ههنا أثرًا غريبًا عجيبيًا جدًا فلنذكره طوله فإنه قال : حدثنا محمد بن يحيى حدثنا بشر بن حجر الشامي حدثنا علي بن منصور الأنباري عن شريقي بن قطامي عن سعيد بن طريف عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله عز وجل (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) إلى آخر الآية قال كان رجل من بني إسرائيل فاتحًا أن يتبع الله تعالى له مالا فمات فورثه ابن له تافه أي فاسد فكان يعمل في مال الله تعالى بمعاصي الله تعالى عز وجل فلما رأى ذلك أخوات أبيه أتوا الفتى فعزلوه ولأموه فضجر الفتى فباع عقاره بصامت ثم رحل فأتى عينا ثباجة فسرّح فيها ماله وابنتي قصرًا فبينما هو ذات يوم جالس اذ شملت عليه ربح امرأة من أحسن الناس وجهًا وأطيبهم أرجاء أي ربحا فقالت من أنت يا عبد الله ؟ فقال أنا امرؤ من بني إسرائيل قالت فلك هذا القصر وهذا المال ؟ فقال نعم . قالت فهل لك من زوجة ؟ قال لا . قالت فكيف يهنيك العيش ولا زوجة لك ؟ قال قد كان ذاك قال فهل لك من بعل ؟ قالت لا قال فهل لك إلى أن أتزوجك ؟ قالت اني امرأة منك على مسيرة ميل فاذا كان غد تزود زاد يوم واتمني وان رأيت في طريقك هولا فلا يهمني لك فلما كان من الغد تزود زاد يوم وانطلق فأتته إلى قصر فقرع رتاجه فخرج إليه شاب من أحسن الناس وجهًا وأطيبهم أرجاء أي ربحا فقال من أنت يا عبد الله ؟ فقال أنا الإسرائيلي قال فما حاجتك ؟ قال دعيتني صاحبة هذا القصر إلى نفسها قال صدقت ، قال فهل رأيت في الطريق هولا ؟ قال نعم ولولا أنها أخبرتني أن لا بأس علي لهالتي الذي رأيت قال ما رأيت ؟ قال أقبلت حتى اذا انفرج لي السبيل اذا أنا بكلمة فأنفخت فهاها ففرعت فوثبت فاذا أنا من ورائها واذا جرائها ينبحن في بطنها فقال له الشاب لست تدرك هذا هذا يكون في آخر الزمان يقاعد القلام المشيخة في مجلسهم ويسرهم حديثه ، قال ثم أقبلت حتى اذا انفرج لي السبيل اذا أنا بمائة غنم حفل واذا فيها جدي يهصها فاذا أنى عليها وظن أنه لم يترك شيئًا فتح فاه يلتهمس الزيادة فقال لست تدرك هذا ؟ هذا يكون في آخر الزمان ملك يجمع صامت الناس كلهم حتى اذا ظن أنه لم يترك شيئًا فتح فاه يلتهمس الزيادة ، قال ثم أقبلت حتى اذا انفرج لي السبيل اذا أنا بشجر فأعجبني غصن من شجرة منها ناضرة فأردت قطعه فتداني شجرة أخرى يا عبد الله مني فخذ حتى ناداني الشجر

مكان بعيد) قال مجاهد يرمون محمدًا بالظن لا باليقين وهو قولهم ساحر وشاعر وكاهن ، ومعنى الغيب هو الظن لاننا غاب عنه عنهم والمكان البعيد هدم عن علم ما يقولون ، والمعنى يرمون محمدًا بما لا يملكون من حيث لا يعلمون وقال قتادة يرمون بالظن يقولون لا بعث ولاجنة ولا نار (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) أي الايمان

أجمع يا عبد الله مني فخذ فقال لست تدرك هذا هذا يكون في آخر الزمان يقل الرجال ويكثر النساء حتى ان الرجل ليخطب المرأة فتدعوه العشر والعشرون الى أنفسهن ، قال ثم أقبلت حتى اذا انفرج بي السبيل فاذا أنا برجل قائم على عين يعرف لكل انسان من الماء فاذا تصدعوا عنه صب في جرتة فلم تملق جرتة من الماء بشيء . قال لست تدرك هذا هذا يكون في آخر الزمان القاص يعلم الناس العلم ثم يخالفهم الى معاصي الله تعالى ، قال ثم أقبلت حتى اذا انفرج بي السبيل اذا أنا بعنز واذا يقوم قد أخذوا بقوائمها واذا رجل قد أخذ بقوائمها واذا رجل قد أخذ بذنبها واذا راكب قد ركبها واذا رجل يحملها فقال أما العنز فهي الدنيا والذين أخذوا بقوائمها يتساقطون من عيشها ، وأما الذي قد أخذ بقوائمها فهو بعالج من عيشها ضيقا ، وأما الذي أخذ بذنبها فقد أدبرت عنه ، وأما الذي ركبها فقد تركها ، وأما الذي يحملها فذبح مخ ذهب ذلك بها ، قال ثم أقبلت حتى اذا انفرج بي السبيل اذا أنا برجل بمنح على قلب كل ما أخرج دلوه صب في الحوض فانساب الماء راجعا الى القلب قل هذا رجل رد الله عليه صالح عمله فلم يقبله . قال ثم أقبلت حتى اذا انفرج بي السبيل اذا أنا برجل يذر بذرا فيستحصد فاذا حنطة طيبة قال هذا رجل قبل الله صالح عمله وأزكاه له . قال ثم أقبلت حتى اذا انفرج بي السبيل اذا أنا برجل مستلق على قفاه قال يا عبد الله ادن مني فخذ بيدي وأقعدي فوالله ما قعدت منذ خلقتي الله تعالى فأخذت بيده فقام يسعى حتى ما أراه فقال له الفتى هذا عمر الابد نفد وأنا ملك الموت أمرني الله تعالى بقبض روح الا بعدي هذا المكان ثم أصريره الى نار جهنم قال ففيه نزلت هذه الآية (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) الآية هذا أثر غريب وفي صحته نظر ، وتنزيل الآية عليه وفي حقه بمعنى أن الكفار كلهم يتوفون وأرواحهم متعلقة بالحياة الدنيا كما جرى لهذا المغرور المقتون ذهب يطالب مراده فجاءه ملك الموت فجأة بغتة وحيل بينه وبين ما يشتهي

وقوله تعالى (كما فعل بأشياعهم من قبل) أي كما جرى للامم الماضية المكذبة بالرسل لما جاءهم بأس الله فتمنوا أن لو آمنوا فلم يقبل منهم (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين) فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون . وقوله تبارك وتعالى (انهم كانوا في شك مريب) أي كانوا في الدنيا في شك وريبة فلهذا لم يتقبل منهم الايمان عند معاينة العذاب . قل فتادة اباكم والشك والريبة فان من مات على شك بعث عليه ، ومن مات على يقين بعث عليه

(آخر تفسير سورة سبأ والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب)

والتوبة والرجوع الى الدنيا وقيل نعيم الدنيا وزهرتها (كما فعل بأشياعهم) يعني بنظرائهم ومن كان على مثل حالهم من الكفار (من قبل) أي لم يقبل منهم الايمان والتوبة في وقت اليأس (انهم كانوا في شك) من البعث ونزول العذاب بهم (مريب) موقع لهم الريبة والتهمة

تفسير سورة فاطر وهي مكية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع

يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير (١)

قال سفيان الثوري عن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كنت لا أدري ما فاطر السموات والارض حتى أناني اعرابيان يخرصمان في أثر فقال أحدهما لصاحبه أنا فطرتهما أي بدأنها وقال ابن عباس رضي الله عنهما أيضا (فاطر السموات والارض أي بديع السموات والارض ، وقال الضحاك كل شيء في القرآن فاطر السموات والارض فهو خالق السموات والارض وقوله تعالى (جاعل الملائكة رسلا) أي بينه وبين أنبيائه أولي أجنحة أي بطيرون بها ليلفوا ما أمروا به سريعا (مثنى وثلاث ورباع) أي منهم من له جناحان ومنهم من له ثلاثة ومنهم من له أربعة ومنهم من له أكثر من ذلك كما جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ رأى جبريل عليه السلام ليلة الامراء وله ستمائة جناح بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب ولهذا قال جل وعلا (يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير) قال السدي يزيد في الاجنحة وخلقهم ما يشاء وقال الزهري وابن جريج في قوله تعالى (يزيد في الخلق ما يشاء) يعني حسن الصوت رواء عن الزهري البخاري في الادب وابن أبي حاتم في تفسيره وقرئ في الشاذ (يزيد في الخلق) بالحاء المهملة والله أعلم

﴿ سورة الملائكة مكية وهي خمس وأربعون آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد لله فاطر السموات والارض) خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق (جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة) ذري أجنحة (مثنى وثلاث ورباع) قال قتادة ومقاتل بعضهم له جناحان وبعضهم له ثلاثة أجنحة وبعضهم له أربعة أجنحة ويزيد فيها ما يشاء وهو قوله (يزيد في الخلق ما يشاء) وقال ابن مسعود في قوله عز وجل (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) قال رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح وقال ابن شهاب في قوله (يزيد في الخلق ما يشاء) قال حسن الصوت وعن قتادة قال

ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو

العزیز الحکیم (٢)

يخبر تعالى انه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وانه لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع قال الامام احمد حدثنا علي بن عاصم حدثنا مغيرة أخبرنا عامر عن وراد مولى المغيرة بن شعبة قال ان معاوية كتب الى المغيرة بن شعبة اكتب لي بما سمعت من رسول الله ﷺ فدعاني المغيرة فكتبت اليه اني سمعت رسول الله ﷺ يقول اذا انصرف من الصلاة لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد » وسمعت ينها عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال ، وعن أدالبنات ، وعقوق الامهات ، ومنع وهات . وأخرجاه من طرق عن وراد به وثبت في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال ان رسول الله ﷺ كان اذا رفع رأسه من الركوع يقول « سمع الله لمن حمده اللهم ربنا لك الحمد ملء السما والارض ، وملء ما شئت من شيء بعد ، اللهم أهل الثناء والمجد ، أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد ، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد » وهذه الآية كقولها تبارك وتعالى (وإن يمسك الله بضرة فلادفعه لا اله الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله) ولها نظائر كثيرة

وقال الامام مالك رحمه الله عليه كان أبو هريرة رضي الله عنه اذا مطروا يقول مطروا بنوء الفتح ثم يقرأ هذه الآية (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم) ورواه ابن أبي حاتم عن يونس عن ابن وهب عنه

يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء

والارض ؟ لا اله الا هو فأنى تؤفكون (٣)

هو الملاحه في العينين وقبل هو العقل والتمييز (إن الله على كل شيء قدير » ما يفتح الله للناس من رحمة) قبل من مطر ورزق (فلا ممسك لها) لا يستطعم أحد حبها (وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز) فيما أمسك (الحكيم) فيما ارسل من مطر ورزق

أخبرنا الامام أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي أن أبو الحسن احمد بن محمد بن موسى ابن الصلت أنا أبو اسحاق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا عبيد الله بن اسباط أنا أبي أنس عبد الملك ابن عمير عن وراد عن المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ كان يقول دبر كل صلاة مكتوبة لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد »

قوله تعالى (يا أيها الناس اذكروا نعمه الله عليكم هل من خالق غير الله) قرأ حمزة والكسائي

٤٨ نَسَايَةُ النَّبِيِّ ﷺ وَتَأْسِيَةِ بِالرَّسْلِ قَبْلَهُ فِي تَكْذِيبِ قَوْمِهِمْ لَهُمْ (تفسير ابن كثير والبغوي)

يَنْبَغِي تَعَالَى عِبَادَهُ وَيُرْشِدُهُمْ إِلَى لِسْتِدْلَالٍ عَلَى تَوْحِيدِهِ فِي أَفْرَادِ الْعِبَادَةِ لَهُ كَمَا أَنَّهُ الْمُسْتَقْلُّ بِالْخَلْقِ وَالرِّزْقِ فَكَذَلِكَ فَلْيُعْرَدُ بِالْعِبَادَةِ وَلَا يَشْرِكْ بِهِ غَيْرُهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ وَالْأَوْثَانِ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاَنَّى تُؤْفَكُونَ) أَيُّ فَكَيْفَ تُؤْفَكُونَ بَعْدَ هَذَا الْبَيَانِ، وَوُضُوحُ هَذَا الْبَرْهَانِ، وَأَنْتُمْ بَعْدَ هَذَا تَعْبُدُونَ الْأَنْدَادَ وَالْأَوْثَانَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٤) يَا أَيُّهَا النَّاسُ

إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَغُرَّنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ (٥) إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حُزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (٦)

يَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَإِنْ يَكْذِبُوكَ بِأَمْحَدِهِمْ وَلَا الْمَشْرُوكُونَ بِاللَّهِ وَيَخَالِفُوكَ فِيمَا جَنَّبْتَهُمْ بِهِ مِنَ التَّوْحِيدِ فَذَلِكَ فِيمَنْ سَلَفَ قَبْلَكَ مِنَ الرُّسُلِ أَسْوَأُ فَاتَّخِذُوا قَوْمَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَأَمْرُهُمْ بِالتَّوْحِيدِ فَكَذَّبُوا وَخَالَفُوا (وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) أَيُّ وَسَنُجْزِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ أَوْفَرَ الْجَزَاءِ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا (أَيُّ الْمَعَادِ كَائِنْ لَا مَحَالَةَ) (فَلَا تَغُرَّنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) أَيُّ الْعَيْشَةُ لِلدُّنْيَا بِالنَّسْبَةِ إِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِأَوْلِيَائِهِ وَأَتْبَاعِ رُسُلِهِ مِنَ الْخَيْرِ الْعَظِيمِ فَلَا تَتَلَهَّوْا عَنْ ذَلِكَ الْبَاقِي بِهَذِهِ الزَّهْرَةِ الْفَانِيَةِ (وَلَا يَغُرَّنْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ) وَهُوَ الشَّيْطَانُ قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَيُّ لَا يَفْتَنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ وَيَصْرِفَنَّكُمْ عَنْ اتِّبَاعِ رَسْلِ اللَّهِ وَتَصْدِيقِ كَلِمَاتِهِ فَانْهَارَ كَذَابُ أَفْكَ، وَهَذِهِ الْآيَةُ كَلَامٌ فِي آخِرِ آيَاتِهِ (فَلَا تَغُرَّنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ)

وَقَالَ مَالِكٌ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ هُوَ الشَّيْطَانُ كَمَا قَالَ الْمُؤْمِنُونَ لِلْمُنَافِقِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَضْرِبُ (بَيْنَهُمْ) بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهَرُهُ مِنْ قَبْلِ الْعَذَابِ * يَسْأَلُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ؟ قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ نَكُنْ فَنَسُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَرَبَّصُوا وَارْتَبَتُمْ وَغُرَّتْكُمْ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغُرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ (ثُمَّ يَبَيِّنُ تَعَالَى عِدَاوَةَ إِبْلِيسَ لِابْنِ آدَمَ فَقَالَ (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا) أَيُّ هُوَ مُبَارِزٌ لَكُمْ بِالْعِدَاوَةِ فَعَادُوهُ أَنْتُمْ أَشَدُّ الْعِدَاوَةِ وَخَالِفُوهُ وَكَذَّبُوهُ فِيمَا يَغُرُّكُمْ بِهِ (إِنَّمَا يَدْعُو حُزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ)

غَيْرِ بَحْرِ الرِّاءِ وَقُرْأَ الْآخَرُونَ بِرَفْعِهَا عَلَى مَعْنَى هَلْ خَالَقَ غَيْرُ اللَّهِ لَأَنَّ مِنْ زِيَادَةٍ، وَهَذَا اسْتِفْهَامٌ عَلَى طَرِيقِ التَّقْرِيرِ كَأَنَّهُ قَالَ لَا خَالِقَ غَيْرُ اللَّهِ (يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) أَيُّ مِنَ السَّمَاءِ الْمَطَرُ وَمِنْ الْأَرْضِ النَّبَاتُ (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاَنَّى تُؤْفَكُونَ) * وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ (يَهْزِي نَبِيَّهُ ﷺ) (وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) * يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا (يَعْنِي وَعَدَ الْقِيَامَةِ) (فَلَا تَغُرَّنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ) وَهُوَ الشَّيْطَانُ (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا) أَيُّ عَادُوهُ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَلَا تُطِيعُوهُ (إِنَّمَا يَدْعُو حُزْبَهُ) أَيُّ أَشْيَاعِهِ وَأَوْلِيَائِهِ (لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ) أَيُّ لِيَكُونُوا فِي السَّعِيرِ

أي إنما يقصد أن يضلكم حتى تدخلوا معه إلى عذاب السعير فهذا هو العدو المبين نسأل الله القوي العزيز أن يجعلنا أعداء الشيطان وأن يرزقنا اتباع كتابه ، والاقمناه بطريق رسوله ، انه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير وهذه كقوله تعالى (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو ؟ بئس للظالمين بدلا)

الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر

كبير (٧) أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا

تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون (٨)

لما ذكر تعالى أن اتباع ابليس مصيرهم إلى السعير ذكر بعد ذلك أن الذين كفروا لهم عذاب شديد لأنهم أطاعوا الشيطان وعصوا الرحمن وأن الذين آمنوا بالله ورسوله (وعملوا الصالحات لهم مغفرة) أي لما كان منهم من ذنب (وأجر كبير) على ما عملوه من خير ثم قال تعالى (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا) يعني كالكفار والفجار يعملون أعمالا سيئة وهم في ذلك يعتقدون ومحسبون أنهم يحسنون صنعا أي أفمن كان هكذا قد أضله الله ألك فيه حيلة ؟ لا حيلة لك فيه (فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء) أي بقدره كان ذلك (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) أي لا تأسف على ذلك

ثم بين حال موافقيه ومخالفيه فقال (الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير)

قوله تعالى (أفمن زين له سوء عمله) قال ابن عباس نزلت في أبي جهل ومشركي مكة وقال سعيد بن جبير نزلت في أصحاب الأهواء والبدع وقال قتادة منهم الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين وأموالهم فأما أهل الكبائر فليسوا منهم لأنهم لا يستحلون الكبائر (أفمن زين له) شبه وموه عليه وحسن له (سوء عمله) أي قبيح عمله (فرآه حسنا) زين له الشيطان ذلك بالوسواس وفي الآية حذف مجازة أفمن زين له سوء عمله فرأى الباطل حقا كن هداه الله فرأى الحق حقا والباطل باطلا (فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء) وقيل جوابه نحت قوله (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) فيكون معناه أفمن زين له سوء عمله فاضله الله ذهبت نفسك عليه حسرة أي تتحسر عليه (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) وقال الحسن بن الفضل فيه تقديم وتأخير مجازة أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء ، والحسرة شدة الحزن على ما فات من الأمر ، ومعنى الآية لأنهم بكفرهم وهلاكهم إن لم يؤمنوا وقرأ أبو جعفر (تفسير ابن كثير والبغوي) (٧) (الجزء السابع)

فان الله حكيم في قدره انما يضل من يضل ويهدي من يهدي لما له في ذلك من الحجة البالغة والعلم التام ولهذا قال تعالى (ان الله عليم بما يصنعون)

وقال ابن أبي حاتم عند هذه الآية حدثنا أبي حدثنا محمد بن عوف الحمصي حدثنا محمد بن كثير عن الاوزاعي عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني اربعة عن عبد الله الدبلي قال آتيت عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وهو في حائط بالطائف يقال له الوهط قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان الله تعالى خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه من نوره يومئذ فقد اهتدى ومن أخطأه منه ضل فلذلك أقول جف القلم على ما علم الله عز وجل » ثم قل حدثنا محمد بن عبد القرويني حدثنا حسان البصري حدثنا ابراهيم بن بشر حدثنا يحيى بن معين حدثنا ابراهيم القرشي عن سعيد بن شرحبيل عن زيد بن أبي أوفى رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله ﷺ فقال « الحمد لله الذي يهدي من الضلالة ويلبس الضلالة على من أحب » وهذا أيضا حديث غريب جدا

والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها

كذلك النشور (٩) من كاذر يريد العزة فله العزة جميعا ، إليه يصعد الكلم الطيب والعمل

الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور (١٠)

والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا

بعلمه وما يعمر من ممر ولا ينقص من عمره الا في كتب ان ذلك على الله يسير (١١)

كثيرا ما يستدل تعالى على المعاد باحيائه الارض بعد موتها كفي أول مورة الحج نبه عباده أن يعتبروا بهذا على ذلك فان الارض تكون ميتة هامة لانيات فيها فاذا أرسل اليها السحاب تحمل الماء وأنزله عليها (اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) كذلك الاجساد إذا أراد الله تعالى منها ونشورها أنزل من تحت العرش مطرا يعم الارض جميعا ونبتت الاجساد في قبورها كما تنبت الحبة في الارض ولهذا جاء في الصحيح « كل ابن آدم يلي إلا عجب الذنب منه خلق ومنه يركب » ولهذا قال تعالى (كذلك النشور) وتقدم في الحج حديث أبي رزين قلت يا رسول الله كيف يحيي الله الموتى وما آية ذلك في خلقه قال ﷺ « يا أبا رزين أما مرت بوادي قومك ممحلا ثم مرت به يهتز خضرا ؟ » قلت بلى قال ﷺ « فكذاك يحيي الله الموتى »

فلا تذهب بضم التاء وكسر الهاء نفسك نصب (إن الله عليم بما يصنعون * والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور) من القبور

(سورة فاطر ٣٥ جز ٢٢) كون العزة جميعا لله وحده. قبول الكلام الطيب والعمل الصالح ٥١

وقوله تعالى [من كان يريد العزة فلله العزة جميعا] أي من كان يحب أن يكون عزير في الدنيا والآخرة فليزِم طاعة الله تعالى فإنه يحصل له مقصوده لأن الله تعالى مالك الدنيا والآخرة وله العزة جميعا كما قال تعالى [الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيتفنون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا] وقل عز وجل [ولا يحزنك قولهم، إن العزة لله جميعا] وقال جل جلاله [لله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون] قال مجاهد (من كان يريد العزة بعبادة الأولياء) فإن العزة لله جميعا [وقال قتادة] من كان يريد العزة فإن العزة لله جميعا [أي فليتعزز بطاعة الله عز وجل وقيل من كان يريد علم العزة لمن هي [فإن العزة لله جميعا] وحكاها ابن جرير

وقوله تبارك وتعالى [إليه يصعد الكلم الطيب] يعني الذكر والتلاوة والدعاء قاله غير واحد من السلف. وقال ابن جرير حدثنا محمد بن اسماعيل الأحمسي أخبرني جعفر بن عون عن عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي عن عبد الله بن الحارث عن أبيه الحارث بن سليم قال قال لنا عبد الله هو ابن م- هود رضي الله عنه إذا حدثناكم بمحدث أنيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله تعالى أن العبد المسلم إذا قال سبحان الله وبحمده والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر تبارك الله أخذ من ملك فجعل من تحت جناحه ثم صعد بهن إلى السماء فلا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يجيء

قوله عز وجل [من كان يريد العزة فلله العزة جميعا] قال الفراء معنى الآية من كان يريد أن يعلم من العزة فلله العزة جميعا وقال قتادة من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله معناه الدعاء إلى طاعة من له العزة أي فليطلب العزة من عند الله بطاعته كما يقال من كان يريد المال فالمال لفلان أي فليطلبه من عنده وذلك أن الكفار عبدوا الأصنام وطلبوا بها التمتع كما قال الله (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا) كلا - وقال - الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيتفنون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا (إليه) أي إلى الله (يصعد الكلم الطيب) وهو قول لا إله إلا الله وقيل هو قول سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الرياني أنا حميد بن زنجويه أنا الحاج بن نصر أنا المسعودي عن عبد الله بن الحارث عن أبيه عن ابن مسعود قال : إذا حدثتكم حديثا أنبأتكم بمصداقه من كتاب الله عز وجل ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، وتبارك الله إلا أخذ من ملك فجعل من تحت جناحه ثم صعد بهن فلا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يجيء بهار جهرب العالمين ومصدق ذلك من كتاب الله عز وجل قوله (إليه يصعد الكلم الطيب) ذكره ابن مسعود وقيل الكلم الطيب ذكر الله وعن قتادة (إليه يصعد الكلم الطيب) أي يقبل الله الكلم الطيب

بهن وجه الله عز وجل ثم قرأ عبد الله رضي الله عنه [اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه] وحدثني يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علية أخبرنا سعيد بن الجريري عن عبد الله بن شقيق قال قال كعب الاحبار ان اسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر لدواب حول العرش كدوي النحل يذكرون اصحابين والعمل الصالح في الخرائن وهذا اسناد صحيح الى كعب الاحبار رحمة الله عليه ، وقد روي مرفوعا قال الامام احمد حدثنا ابن نمير حدثنا موسى يعني ابن مسلم الطحان عن عون بن عبد الله عن أبيه أو عن أخيه عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «الذين يذكرون من جلال الله من تسبيحه وتكبيره وتحميده وتسميته يتعاطفون حول العرش لهم دوي كدوي النحل يذكرون بصاحبين لا يحب أحدكم ان لا يزال له عند الله شيء يذكروه » وهكذا رواه ابن ماجه عن أبي بشر بكر بن خاف عن يحيى بن سعيد القطان عن موسى بن مسلم الطحان عن عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن أبيه أو عن أخيه عن النعمان بن بشير رضي الله عنه به . وقوله تعالى [والعمل الصالح يرفعه] قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما الكلم الطيب ذكر الله تعالى يصعد به إلى الله عز وجل والعمل الصالح أداء الفريضة فمن ذكر الله تعالى في أداء فرائضه حمل عمله ذكر الله تعالى يصعد به إلى الله عز وجل ، ومن ذكر الله تعالى ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله فكان أولى به وكذا قال مجاهد العمل الصالح يرفع الكلام الطيب وكذا قال أبو العالية وعكرمة وابراهيم النخعي والضحاك والسدي والربيع بن أنس وشهر بن حوشب وغير واحد ، وقال اياس بن معاوية القاضي لولا العمل الصالح لم يرفع الكلام وقال الحسن وقتادة لا يقبل قول الا بعمل وقوله تعالى [والذين يذكرون السيئات] قال مجاهد وسعيد ابن جبير وشهر بن حوشب هم

(والعمل الصالح يرفعه) أي يرفع العمل الصالح الكلم الطيب فالها في قوله يرفعه راجعة الى الكلم الطيب وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وعكرمة وأكثر المفسرين وقال الحسن وقتادة الكلم الطيب ذكر الله والعمل الصالح أداء فرائضه فمن ذكر الله ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله وليس الايمان بالتمني ولا بالتخلي والكن ما قر في القلوب وصدقه الاعمال فمن قال حسنا وعمل غير صالح رد الله عليه قوله ومن قل حسنا وعمل صالحا يرفعه العمل ذلك بأن الله يقول (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) وجاء في الحديث «لا يقبل الله قولا إلا بعمل ، ولا قولا ولا عملا إلا بنية » وقال قوم الهاء في قوله يرفعه راجعة الى العمل الصالح أي الكلم الطيب يرفع العمل الصالح فلا يقبل عمل إلا أن يكون صادرا عن الله حيد وهذا معنى قول السكبي ومقابل وقيل الرفع من صفة الله عز وجل معناه العمل الصالح يرفعه الله عز وجل وقال سفيان بن عيينة العمل الصالح هو الخالص يعني أن الاخلاص سبب قبول الخيرات من الاقوال والانفعال دليله قوله عز وجل (فایعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) فجعل تقبض الصالح الشريك والرباه (والذين يذكرون السيئات)

المرآون بأعمالهم يعني يمكرون بالناس بوجهون أنهم في طاعة الله تعالى وهم بفضاء إلى الله عز وجل براؤن بأعمالهم [ولا يذكرون الله إلا قليلا] وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هم المشركون ، والصحيح أنها عامة والمشركون داخلون بطريق الأولى ولهذا قال تعالى [لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور] أي يفسد ويبطل ويظهر زيفهم عن قريب لأولى البصائر والنهي فانه ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله تعالى على صفحات وجهه وفتحات أسفانه وما أسر أحد سريرة إلا كساه الله تعالى رداءها إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، فالمرآئي لا يروج أمره ويستمر إلا على غيبي ، أما المؤمنون المتفرسون فلا يروج ذلك عليهم بل ينكشف لهم عن قريب وعالم الغيب لا يخفى عليه خافية . وقوله تبارك وتعالى [والله خلقكم من تراب ثم من نطفة] أي ابتداء خلق أيكم آدم من تراب ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم جعلكم أزواجا أي ذكر وأُنثى لطمانته ورحمة أن جعل لكم أزواجا من جنسكم لتسكنوا اليها وقوله عز وجل (وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه) أي هو عالم بذلك لا يخفى عليه من ذلك شيء ، بل (ما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) فقد تقدم الكلام على قوله تعالى (الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار * عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال)

وقوله عز وجل (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب) أي ما يعطى بعض النطف من العمر الطويل بعلمه وهو عنده في الكتاب الأول (وما ينقص من عمره) الضمير عائد على الجنس لا على العين لأن العين الطويل العمر في الكتاب إن علمه الله تعالى لا ينقص من عمره وإنما عاد الضمير على الجنس قال ابن جرير وهذا كقوله لهم عندي ثوب ونصفه أي ونصف ثوب ، آخر ، وروي من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره

قال السكلي أي الذين يعملون السيئات وقال مقاتل يعني المشرك وقال أبو العالية يعني الذين مكروا برسول الله ﷺ في دار الندوة كما قال الله تعالى (وإذا يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك) وقال مجاهد وشهر بن حوشب هم أصحاب الرياء (لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور) يبطل ويهلك في الآخرة قوله عز وجل (والله خلقكم من تراب) أي آدم (ثم من نطفة) يعني نسله (ثم جعلكم أزواجا) ذكرانا وأنثانا (وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من معمر) لا يطول عمره (ولا ينقص من عمره) يعني من عمر آخر كما يقال فلان عندي درهم ونصفه أي نصف درهم آخر (إلا في كتاب) الكتاب عمر فلان كذا وكذا سنة ثم يكتب أسهل من ذلك ذهب يوم ذهب يومان ذهب ثلاثة أيام حتى ينقطع عمره وقال كعب الأحبار حين حضر عمر رضي الله عنه الوفاة والله لودعا عمر ربه أن يؤخر أجله لأخر فقبل له إن الله عز وجل يقول (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) فقال

الا في كتاب إن ذلك على الله يسير) يقول ايس أحد قضيت له بطول العمر والحياة إلا وهو بالغ ما قدرت له من العمر وقد قضيت ذلك له فأما ينتهي إلى الكتاب الذي قدرت لآزاد عليه ، وليس أحد قدرت له انه قصير العمر والحياة بالغ العمر ولكن ينتهي إلى الكتاب الذي كتبت له فذلك قوله تعالى (ولا ينقص من عمره الا في كتاب إن ذلك على الله يسير) يقول كل ذلك في كتاب عنده وهكذا قال الضحاك بن مزاحم

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه (ولا ينقص من عمره الا في كتاب) قال ما لم تظن الارحام من الاولاد من غير تمام ، وقال عبد الرحمن في تفسيرها ألا ترى الناس يعيش الانسان مائة سنة وآخر يموت حين يولد فهذا هذا ، وقال قتادة والذي ينقص من عمره فالذي يموت قبل سنين سنة ، وقال مجاهد (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب) أي في بطن أمه يكتب له ذلك لم يخلق الخلق على عمر واحد بل لهذا عمر ولهذا عمر هو أنقص من عمره فكل ذلك مكتوب اصحابه بالغ ما بالغ ، وقال بعضهم بل معناه (وما يعمر من معمر) أي ما يكتب من الاجل (ولا ينقص من عمره) وهو ذهابه قليلا قليلا للجميع معلوم عند الله تعالى سنة بعد سنة وشهراً بعد شهر ، وجمعة بعد جمعة ، ويوما بعد يوم ، وساعة بعد ساعة للجميع مكتوب عند الله تعالى في كتابه . نقله ابن جرير عن أبي مالك واليه ذهب السدي وعطاء الخراساني ، واختار ابن جرير الاول وهو كقول

وقال النسائي عند تفسير هذه الآية حدثنا احمد بن يحيى بن أبي زيد بن ساجان قال سمعت ابن وهب يقول حدثني يونس عن ابن شهاب عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه » وقد رواه البخاري ومسلم وأبو داود من حديث يونس بن يزيد الابلي به

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين بن الوليد حدثنا الوليد بن عبد الملك بن عبيد الله أبو مروح حدثنا عثمان بن عطاء عن مسلمة بن عبد الله عن عمه أبي مسجعة بن ربيعي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : ذكرنا عند رسول الله ﷺ فقال « ان الله تعالى لا يؤخر نفساً اذا جاء أجلها ، وإنما زيادة العمر بالذرية الصالحة يرزقها العبد فيدعون له من بعده فيلحقه دعاؤهم في قبره فذلك زيادة العمر وقوله عز وجل (ان ذلك على الله يسير) أي سهل عليه يسير لديه علم بذلك وتفصيله في جميع مخلوقاته فان علمه شامل للجميع لا يخفى عليه شيء منها

وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل

هذا اذا حضر الاجل فأما قبل ذلك فيجوز أن يزداد وينقص وقرأ هذه الآية (ان ذلك على الله يسير) ان كتابة الآجال والاعمار على الله هي

قوله تعالى (وما يستوي البحران) يعني العذب والمالح ثم ذكرهما فقال (هذا عذب فرات)

تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله
واعلمكم تشكرون (١٢)

يقول تعالى منها على قدرته العظيمة في خلقه الاشياء المختلفة خلق البحرين العذب الزلال وهو هذه الانهار السارحة بين الناس من كبار وصغار بحسب الحاجة اليها في الاقاليم والامصار ، والعمران والبراري والقفار ، وهي عذبة سائغ شرابها لمن اراد ذلك (وهذا ملح اجاج) أي مر وهو البحر الساكن الذي تسير فيه السفن الكبار ، وأما تكون مالحة زعاقامة ولهذا قال (وهذا ملح اجاج) أي مر ثم قال تعالى (ومن كل تأكلون لحما طريا) يعني السمك (وتستخرجون حلية تلبسونها) كقال عز وجل [يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان] وقوله جل وعلا [وترى الفلك فيه مواخر] أي تمخره وتنشقه بمحزومها وهو مقدمها المسنم الذي يشبه جؤجؤ الطير وهو صدره ، وقال مجاهد تمخر الريح السفن ولا تمخر الريح من السفن الا العظام ، وقوله جل وعلا (لتبتغوا من فضله) أي بأسفاركم بالتجارة من قطر الى قطر ، واقليم الى اقليم (واعلمكم تشكرون) أي تشكرون ربكم على تسخيركم هذا الخلق العظيم وهو البحر تنصرفون فيه كيف شئتم وتذهبون أين أردتم ولا يمنع عليكم شيء منه ، بل بقدرته قد سخر لكم مافي السموات ومافي الارض الجسيم من فضله ورحمته

يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وستر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ذكركم الله ربكم له الملك ولذين تدعون من دونه ما يملكون من قطعير (١٣) إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيمة يكفرون بشرككم ولا ينبتلك مثل خير (١٤)

وهذا أيضا من قدرته التامة وساطانه العظيم في تسخيره الليل بظلامه والنهار بضياؤه وبأخذ من

طيب (سائغ شرابه) أي جائز في الحاق هني ، (وهذا ملح اجاج) شديد الملوحة وقال الضحاک هو المر (ومن كل تأكلون لحما طريا) يعني الحيتان من العذب والمالح جميعا (وتستخرجون حلية) أي من المالح دون العذب (تلبسونها) يعني اللؤلؤ وقيل نسب اللؤلؤ اليهما لانه يكون في البحر الاجاج عيون عذبة تمتزج بالمالح فيكون اللؤلؤ من بين ذلك (وترى الفلك فيه مواخر) جوارى مقبلة ومدبرة برمح واحدة (لتبتغوا من فضله) بالتجارة (واعلمكم تشكرون) الله على نعمه قوله تعالى (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى

طول هذا فيزيده في قصر هذا فيعتدلان، ثم يأخذ من هذا فيطول هذا ويقتصر هذا ثم يتقارضان صيفا وشتا. (وسخر الشمس والقمر) أي والنجوم والسيارات، والثوابت الثابتات ، بأضوائهن اجرام السموات، الجميع يسيرون بمقدار معين، وعلى منهاج معين محدد، تقدير امن عزيز عليهم (كل يجري لأجل مسمى) أي الى يوم القيامة (ذلك الله ربكم) أي الذي فعل هذا هو الرب العظيم الذي لا إله غيره (والذين تدعون من دونه) أي من الاصنام والانداد التي هي على صورة من زعمون من الملائكة المقربين [ما يملكون من قطمير] قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة وعطاء وعطية العوفي والحسن وقتادة وغيرهم القطمير هو الغافة التي تكون على نواة النمرة أي لا يملكون من السموات والارض شيئا ولا بمقدار هذا القطمير ثم قال تعالى [ان تدعوه لا يستجيبوا لكم] يعني الآلهة التي تدعونها من دون الله لا نسهم دعاءكم لانها جماد لا أرواح فيها [ولو سئعوا ما استجابوا لكم] أي لا يقدرّون على شيء مما يطلبون منها [ويوم القيامة يكفرون بشرككم] أي يتبرءون منكم كما قال تعالى [ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين] وقال تعالى [واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً كلا سيكفرون بعبادتهم ويكنون عليهم ضدّاً]

وقوله تعالى (ولا يفتنك مثل خبير) أي ولا يخبرك بعواقب الامور وما لها وما تصير اليه مثل خبير بها، قال قتادة يعني نفسه تبارك وتعالى فانه أخبر بالواقف لا بحالة

يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد (١٥) ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق

جديد (١٦) وما ذلك على الله بعزيز (١٧) ولا تزر وازرة وزر أخرى ، وإن تدع مثقلة الى

جعلها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلوة

ومن تركى فاعما يتركى لنفسه وإلى الله المصير (١٨)

يخبر تعالى بغناؤه عن سواء وباقتدار المخلوقات كلها اليه وتذللها بين يديه فقال تعالى (يا أيها الناس

ذالك الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه) يعني الاصنام (ما يملكون من قطمير) وهو الغافة النواة وهي القشرة الرقيقة التي تكون على النواة (إن تدعوه) يعني ان تدعوا الاصنام (لا يستجيبوا دعاءكم) ولو سئعوا ما استجابوا لكم (ما أجابوكم) ويوم القيامة يكفرون بشرككم (يتبرءون منكم ومن عبادتكم إياها يقولون ما كنتم إباناً تعبدون) ولا يفتنك مثل خبير (يعني نفسه أي لا يفتنك أحد مثلي خبير عالم بالاشياء

قوله تعالى (يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله) الى فضل الله والفقير المحتاج (والله هو الغني

أنتم الفقراء الى الله) أي هم محتاحون اليه في جميع الحركات والسكنات وهو تعالى الغني عنهم الذات ولهذا قال عز وجل [والله هو الغني الحيد] أي هو المنفرد بالغني وحده لا شريك له وهو الحيد في جميع ما يفعله ويقوله ويقدره وبشرعه

وقوله تعالى (إن بشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) أي لو شاء لأذهبكم أيها الناس وأتى بقوم غيركم وما هذا عليه بصعب ولا ممتنع ولهذا قال تعالى [وما ذلك على الله بعزيز]

وقوله تعالى (ولا زرع وازرة وزر أخرى) أي يوم القيامة [وإن تدع مثقلة الى حملها] أي وإن تدع نفس مثقلة بأوزارها الى أن تساعد على حمل ما عليها من الأوزار أو بعضها [لا يحمل منه شيء ولو كان ذاقرن] أي وإن كان قريبا اليها حتى ولو كان أباه أو ابنها كل مشغول بنفسه وحاله ، قال عكرمة في قوله تعالى [وإن تدع مثقلة الى حملها] الآية قال هو الجار يتعلق بجاره يوم القيامة فيقول يارب سل هذا لم كان يلقى بابه دوني ، وإن الكافر ليتعلق بالمؤمن يوم القيامة فيقول له يا مؤمن ان لي عندك بدأ قد عرفت كيف كنت لك في الدنيا وقد احتجت اليك اليوم فلا يزال المؤمن يشفع له عند ربه حتى يرده إلى منزل دون منزله وهو في النار ، وإن الوالد ليتعلق بولده يوم القيامة فيقول يا بني أي والد كنت لك فيثني خيرا فيقول له يا بني إني قد احتجت الى مثقال ذرة من حسناتك أنجو بها مما ترى فيقول له ولده يا أبت ما أيسر ما طلبت ولكنني أتخوف مثل ما تتخوف فلا أستطيع أن أعطيك شيئا ، ثم يتعلق بزوجه فيقول يا فلانة أو يا هذه أي زوج كنت لك فيثني خيرا فيقول لها إني أطلب اليك حسنة واحدة تهيبها لي اعلي أنجو بها مما ترين ، قال فتقول ما أيسر ما طلبت ولكنني لا أطيق أن أعطيك شيئا إني أتخوف مثل الذي تتخوف ، يقول الله تعالى [وإن تدع مثقلة الى حملها] الآية ، ويقول تبارك وتعالى [لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا] ويقول تعالى [يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ يومئذ شأن يغنيه] رواه ابن أبي حاتم رحمه الله عن أبي عبد الله الطهراني عن حفص بن عمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة به ، ثم قال تبارك وتعالى [إنما ننذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة] أي إنما ينظر بما جئت به أو البصائر والنهي الخائفين من ربهم الفاعلون بأمرهم به (ومن ترك ذنبا يترك لنفسه) أي ومن عمل

الحيد) الغني عن خلقه المحمود في احسانه اليهم (إن بشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) وما ذلك على الله بعزيز) شديد (ولا زرع وازرة وزر أخرى) وإن تدع مثقلة) أي نفس مثقلة بذنوبها غيرها (الى حملها) أي حمل ما عليها من الذنوب (لا يحمل منه شيء) ولو كان ذاقرن أي ولو كان المدعو ذاقرابة له ؛ ابنه أو أمه أو أخاه . قال ابن عباس يلتقي الابن ابنه فيقول يا بني احمل عني بعض ذنوبي فيقول لا أستطيع حسبي ماعلي (إنما ننذر الذين يخشون) يخفون (ربهم بالغيب) ولم يروه وقال الاخفش تأويله أي انذارك إنما ينفع الذين يخشون ربهم بالغيب (وأقاموا الصلاة) ومن

صالحا قائما يعود نفسه على نفسه (والى الله المصير) أي واليه المرجع والمآب وهو سريع الحساب وسيجزى كل عامل بعمله إن خيراً فخير، وإن شراً فشر

وما يستوي الأعمى والبصير (١٩) ولا الظلمات ولا النور (٢٠) ولا الظل ولا

الحرور (٢١) وما يستوي الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من

في القبور (٢٢) إن أنت إلا نذير (٢٣) إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وإن من أمة إلا خلا

فيها نذير (٢٤) وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر

وبالكتب المنير (٢٥) ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير (٢٦)

يقول تعالى كما لا تستوي هذه الأشياء المتباينة المختلفة كالاعمى والبصير لا يستويان بل بينهما فرق وبون كثير وكما لا تستوي الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور كذلك لا تستوي الأحياء ولا الأموات وهذا مثل ضرب به الله تعالى للمؤمنين وهم الأحياء، وللكافرين وهم الأموات كقوله تعالى [ومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها] وقال عز وجل [مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلاً] فالمؤمن بصير سميع في نور يمشي على صراط مستقيم في الدنيا والآخرة حتى يستقر به الحال في الحيات ذات الظلال والعيون والكافر أعمى وأصم في ظلمات يمشي لا خروج له منها، بل هو بتيه في عيه وضلالة في الدنيا والآخرة حتى يفضي به ذلك إلى الحرور والسموم والحميم، وظل من محموم لا بارد ولا كريم

وقوله تعالى (إن الله يسمع من يشاء) أي يهديهم إلى سماع الحجة وقبولها والاعتقاد لها [وما أنت بمسمع من في القبور] أي كما لا ينفع الأموات بعد موتهم وصيرورهم إلى قبورهم وهم كفار بالهداية والدعوة إليها كذلك هؤلاء المشركون الذين كتب عليهم الشقاوة لا حيلة لك فيهم ولا نستطيع

نزكي (أصلح وعمل خيراً) قائماً بذكر نفسه (لها ثوابه) (والى الله المصير) وما يستوي الأعمى والبصير (يعني الجاهل والعالم وقيل الأعمى عن الهدى والبصير بالهدى أي المؤمن والمشرك) (ولا الظلمات ولا النور) يعني الكفر والإيمان (ولا الظل ولا الحرور) يعني الجنة والنار قال ابن عباس الحرور الريح الحارة بالليل والسموم بالنهار وقيل الحرور يكون بالنهار مع الشمس (وما يستوي الأحياء ولا الأموات) يعني المؤمنين والكفار وقيل العلماء والجهال (إن الله يسمع من يشاء) حتى يتعظ ويحجب (وما أنت بمسمع من في القبور) يعني الكفار شبههم بالأموات في القبور حين لم يجيبوا

هدايتهم [إن أنت إلا نذير] أي أئما عليك البلاغ والاذار والله بضل من يشاء ويهدي من يشاء. [إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا] أي بشيرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين [وإن من أمة إلا خلا فيها نذير] أي وما من أمة خلت من بني آدم إلا وقد بعث الله تعالى اليهم النذر وأزاح عنهم الغل كما قال تعالى [إنا أنتم منذر ولكل قوم هاد] وكما قال تعالى [واقعد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة] الآية. والآيات في هذا كثيرة

وقوله تبارك وتعالى [وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءهم رسالهم بالبينات] وهي المعجزات الباهرات والأدلة القاطعات [وبالزبر] وهي الكتب [وبالكتاب المنير] أي الواضح البين [ثم أخذت الذين كفروا] أي ومع هذا كله كذب أولئك رسالهم فيما جاءهم وأخذتهم أي بالعقاب والنكال [فكيف كان نكير] أي فكيف رأيت انكاري عليهم عظيما شديداً بليغا والله أعلم

ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرايب سود (٢٧) ومن الناس والدواب والانعم مختلف ألوانه كذلك، إنما يخشى الله من عباده المؤمن أن الله عزيز غفور (٢٨)

يقول تعالى منها على كل قدرته في خلقه الاشياء المتنوعة المختلفة من الشيء الواحد وهو الماء الذي ينزله من السماء يخرج به ثمرات مختلفا ألوانها من أصفر وأحمر وأخضر وأبيض إلى غير ذلك من ألوان الثمار كما هو المشاهد من تنوع ألوانها وطعومها وروائحها كما قال تعالى في الآية الأخرى [وفي الأرض قطع متجاورات وجات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون]

وقوله تبارك وتعالى (ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها) أي وخلق الجبال كذلك مختلفة الألوان كما هو المشاهد أيضا من بيض وحمر، وفي بعضها طرائق وهي الجدد جمع جدة مختلفة

(إن أنت إلا نذير) ما أنت إلا منذر تخوفهم بالنار (إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا) وإن من أمة (ما من أمة فيما مضى) (إلا خلا) سلف (فيها نذير) نبي منذر (وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءهم رسالهم بالبينات وبالزبر) بالكتب (وبالكتاب المنير) الواضح كر ذكر الكتاب بعد ذكر الزبر على طريق التأكيد (ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير) أي انكاري (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد) طرق وخطاط واحدتها جدة مثل مدة ومدد (بيض وحمر مختلف ألوانها وغرايب سود) يعني سود

الألوان أيضا . قال ابن عباس رضي الله عنهما الجدد الطرائق ، وكذا قال أبو مالك والحسن وقنادة والسدي ومنها غرايب سود قال عكرمة الغرايب الجبل الطوال السود ، وكذا قال أبو مالك وعطاء الخراساني وقنادة ، وقال ابن جرير والعرب اذا وصفوا الاسود بكثرة السواد قالوا أسود غريب ولهذا قال بعض المفسرين في هذه الآية هذا من المقدم والمؤخر في قوله تعالى (وغرايب سود) أي سود غرايب وفيما قانه نظر

وقوله تعالى (ومن الناس والدواب والالعام مختلف ألوانه كذلك) أي كلك الحيوانات من الأنامي والدواب وهو كل مادب على القوائم ، والالعام من باب عطى الخاص على العام كذلك هي مختلفة أيضا ، فالناس منهم بربر وحوش وطائم في غابة السواد وصة لبة وروم في غابة الياض ، والعرب بين ذلك والهنود دون ذلك ، ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى (واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين) وكذلك الدواب والالعام مختلفة الألوان حتى في الجنس الواحد بل النوع الواحد منهم مختلف الألوان بل الحيوان الواحد يكون أبلق فيه من هذا اللون وهذا اللون فتبارك الله أحسن الخالقين . وقد قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا الفضل بن سهل حدثنا عبد الله بن عمر بن أبان بن صالح حدثنا زياد بن عبد الله عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال أبصغ ربك ؟ قال ﷺ نعم صبغا لا ينفض أحمر وأصفر وأبيض ؟ وروى مرسلًا وموقوفًا والله أعلم . ولهذا قال تعالى بعد هذا (إنما يخشى الله من عباده العلماء) أي إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به لأنه كل كانت المعرفة له أعظم القدير العلم الموصوف صفات الكمال المنعوت بالاسماء الحسنى كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكل كانت الخشية له أعظم وأكثر

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) قال الذين يعلمون أن الله على كل شيء قدير . وقال ابن أبي عمير عن ابن أبي عمرة عن عكرمة عن ابن عباس قال العالم بالرحمن من عباده من لم يشرك به شيئا ، وأحل حلاله وحرم حرامه وحفظ وصيته وأيقن أنه ملاقيه ومحاسب بعمله ، وقال سعيد بن جبير الخشية هي التي تحول بينك وبين معصية الله عز وجل . وقال الحسن البصري العالم من خشى الرحمن بالغيب ورغب فيما رغب الله فيه ، وزهد فيما سخط الله

غرايب على التقديم والتأخير يقال أسود غريب أي شديد السواد تشبيها بلون الغراب أي طرائق سود (ومن الناس والدواب والالعام مختلف ألوانه) ذكر الكناية لاجل من وقيل رد الكناية إلى ما في الاضمار مجازه ومن الناس والدواب والالعام ما هو مختلف ألوانه (كذلك) يعني كما اختلف ألوان النمار والجبال وتم الكلام ههنا ثم ابتداء فقال (إنما يخشى الله من عباده العلماء) قال ابن عباس يريد إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني

فيه ثم تلا الحسن (إنما يخشى الله من عباده العلماء، إن الله عز وجل غفور) وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : ليس العلم عن كثرة الحديث ولكن العلم عن كثرة الخشية وقال أحمد بن صالح المصري عن ابن وهب عن مالك قال : إن العلم ليس بكثرة الرواية وإنما العلم نور يجمعه الله في القلب . قال أحمد بن صالح المصري معناه أن الخشية لا تدرك بكثرة الرواية وإنما العلم الذي فرض الله عز وجل أن يقدم فاعلموا هو الكتاب والسنة وما جاء عن الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من أئمة المسلمين فهذا لا يدرك إلا بالرواية ويكون تأويل قوله نور يريد به فهم العلم ومعرفة معانيه . وقال سفيان الثوري عن أبي حبان التيمي عن رجل قال : كان يقال العلماء ثلاثة . عالم بالله عالم بأمر الله ، وعالم بالله ليس بعالم بأمر الله وعالم بالله ليس بعالم بالله فاعلم بالله وبأمر الله الذي يخشى الله تعالى وبعلم الحدود والفرائض ، والعالم بالله ليس بعالم بأمر الله الذي يخشى الله ولا بعلم الحدود والفرائض ، والعالم بأمر الله ليس بعالم بالله الذي بعلم الحدود والفرائض ولا يخشى الله عز وجل

ان الذين يتلون كتب الله وأقاموا الصلوة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون

تجارة ان تبور (٢٩) ليوفيمهم أجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور (٣٠) يخبر تعالى عن عباده المؤمنين الذين يتلون كتابه ويؤمنون به ويعملون بما فيه من إقام الصلاة والالتزام بما رزقهم الله تعالى في الاوقات المشروعة ليلاً ونهاراً سراً وعلانية (يرجون تجارة ان تبور) أي يرجون ثواباً عند الله لا بد من حصوله ، كما قدمنا في أول التفسير عند فضائل القرآن أنه يقول لصاحبه ان كل تاجر من وراء تجارته وانك اليوم من وراء كل تجارة ولهذا قال تعالى (ليوفيمهم

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا عمر بن حفص أنا أبي أنا الاعمش أنا مسلم عن مسروق قال : قالت عائشة رضي الله عنها صنم رسول الله ﷺ شيئاً فرخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي ﷺ فخطب فحمد الله ثم قال « ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه فوالله اني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية » وقال النبي ﷺ « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً » وقال مسروق : كفى بخشية الله علماً، وكفى بالاعتزاز بالله جهلاً وقال رجل للشعبي انتني أيها العالم فقال الشعبي إنما العالم من خشي الله عز وجل (إن الله عز وجل غفور) أي عزز في ملكه غفور لذنوب عباده

قوله تعالى (إن الذين يتلون كتاب الله) يعني قروا القرآن (وأقاموا الصلاة) وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة ان تبور (ان تفسد ولن تملك ، والمراد من التجارة ما وعد الله من الثواب قال الفراء قوله (يرجون) جواب لقوله (إن الذين يتلون كتاب الله) (ليوفيمهم أجورهم) جزاء

أجورهم وزيدهم من فضله) أى ليوفيهم ثواب ما عملوه وبضاعته لهم بزيادات لم تخطر لهم أنه غفور أى لذنوبهم شكور لقليل من أعمالهم . قال قتادة كان مطرف رحمه الله إذا قرأ هذه الآية يقول هذه آية القراء قل الامام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة حدثنا سالم بن غيلان قال : انه سمع دراجا أبا السمع يحدث عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : انه سمع رسول الله ﷺ يقول « ان الله تعالى اذا رضي عن العبد أثنى عليه بسبعة أصناف من الخير لم يعمله واذا سخط على العبد أثنى عليه بسبعة أصناف من الشر لم يعمله » غريب جداً

والذى أوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقاً لما بين يديه ان الله بعباده خير بصير (٣١)
يقول تعالى (ولذي أوحينا اليك) يمحمد من الكتاب وهو القرآن (هو الحق مصدقاً لما بين يديه) أي من الكتب المتقدمة بصدقها كما شهدت هي له بالتنويه وأنه منزل من رب العالمين (انه بعباده خير بصير) أي هو خير بهم بصير بمن يستحق ما يفضل به على من سواه ، ولهذا فضل الانبياء والرسل على جميع البشر وفضل النبيين بعضهم على بعض ورفع بعضهم درجات وجعل منزلة محمد ﷺ فوق جميعهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

ثم أوردنا الكتب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم

سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير (٣٢)

يقول تعالى : ثم جعلنا القاميين بالكتاب العظيم المصدق لما بين يديه من الكتب الذين اصطفينا من عبادنا وهم هذه الامة ثم قسمهم الى ثلاثة أنواع فقال تعالى (فمنهم ظالم لنفسه) وهو المفرط في فعل بعض الواجبات المرتكب لبعض المحرمات (ومنهم مقتصد) وهو المؤدي للواجبات التارك للمحرمات وقد بترك بعض المستحبات ويفعل بعض المكروهات (ومنهم سابق بالخيرات باذن الله)

أعمالهم بالثواب (وزيدهم من فضله) قال ابن عباس يعني سوى الثواب مما لم تر عين ولم تسمع أذن (إنه غفور شكور) قال ابن عباس يغفر العظيم من ذنوبهم ويشكر اليسير من أعمالهم (والذي أوحينا اليك من الكتاب) يعني القرآن (هو الحق مصدقاً لما بين يديه) من الكتب (ان الله بعباده خير بصير » ثم أوردنا الكتاب) يعني الكتاب الذي أنزلنا اليك الذي ذكر في الآية الاولى وهو القرآن جعلناه ينتهي الى (الذين اصطفينا من عبادنا) ويجوز أن يكون ثم بمعنى الواو أي وأوردنا كقولهم (ثم كان من الذين آمنوا) أي وكان من الذين آمنوا ومعني اوردنا أعطينا لان الميراث عطاء قاله مجاهد وقيل أوردنا أي أخرنا ومنه الميراث لانه أخر عن الميت ومعناه أخرنا القرآن عن الامم السالفة وأعطينا كونه وأهلناكم له [الذين اصطفينا من عبادنا] قال ابن عباس يريد أمة محمد ﷺ ثم قسمهم ورتبهم فقال (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) روي عن أسامة بن

وهو الفاعل لواجبات والمستحبات التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات
قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى [نم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا]
قال هم أمة محمد ﷺ ورثهم الله تعالى كل كتاب أنزله فظالمهم يغفر له ومقتصدهم يحاسب حسابا
يسيرا ، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب

وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح وعبد الرحمن بن معاوية العنبي قالا
حدثنا أبو الطاهر بن السرح حدثنا موسى بن عبد الرحمن الصنعاني حدثنا ابن جريج عن عطاء عن
ابن عباس عن رسول الله ﷺ أنه قال ذات يوم « شفاعة لأهل الكباثر من أمتي » قال ابن عباس
رضي الله عنهما السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله ، والظالم
لنفسه وأصحاب الاعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد ﷺ وكذا روي عن غير واحد من
السلف أن الظالم لنفسه من هذه الامة من المصطفين على ما فيه من عوج وتقدير . وقال آخرون بل
الظالم لنفسه ليس من هذه الامة ولا من المصطفين الوارثين للكتاب

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن هاشم بن مرزوق حدثنا ابن عيينة عن عمرو عن
ابن عباس رضي الله عنهما فنههم ظالم لنفسه قال هو الكافر وكذا روي عنه عكرمة وبه قال عكرمة
أيضا فبا رواه ابن جرير ، وقال ابن أبي نجيب عن مجاهد في قوله تعالى (فمنهم ظالم لنفسه) قال هم أصحاب
المشامة ، وقال مالك عن زيد بن أسلم والحسن وقتادة هو المنافق ثم قد قال ابن عباس والحسن وقتادة
وهذه الاقسام الثلاثة كالاقسام الثلاثة المذكورة في أول سورة الواقعة ، وآخرها ، والصحيح ان الظالم
لنفسه من هذه الامة وهذا اختيار ابن جرير كما هو ظاهر الآية وكما جاءت به الاحاديث عن رسول
الله ﷺ من طرق يشد بعضها بعضا ونحن ان شاء الله تعالى نورد منها ما تيسر
(الحديث الاول) قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الوليد بن العيزار أنه

زيد في قوله عز وجل (فمنهم ظالم لنفسه) الآية قل : قال النبي ﷺ « كلهم من هذه الامة »
أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد بن محمد بن فنجويه أنا محمد
ابن علي بن الحسين بن القاضي أنا بكر بن محمد المروزي أنا أبو قلابة عمرو بن الحصين عن الفضل
ابن عميرة عن ميمون الكردي عن أبي عثمان النهدي قال سمعت عمر بن الخطاب قرأ على المنبر (ثم
أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) الآية فقال قال رسول الله ﷺ « سابقنا سابق
ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له » قال أبو قلابة فحدثت به يحيى بن معين فقبل به عجب منه ، واختلف
المفسرون في معنى الظالم والمقتصد والساق

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحني أخبرنا أبو سعيد محمد بن عيسى الصيرفي أخبرنا أبو عبد الله محمد
ابن عبد الله الصفار حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى البرقي حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان عن الاعمش

سمع رجلا من ثقيف يحدث عن رجل من كنانة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « في هذه الآية ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله » قال هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة هذا حديث غريب من هذا الوجه وفي اسناده من لم يسم وقد رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث شعبة بن نخوع ومعنى قوله بمنزلة واحدة أي في أنهم من الأمة وأنهم من أهل الجنة وإن كان بينهم فرق في المنازل في الجنة (الحديث الثاني) قال الامام أحمد حدثنا اسحاق بن عيسى ثنا أنس بن عياض اللبني أبو حمزة

عن موسى بن عقبة عن علي بن عبد الله الاردي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « قال الله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله فاما الذين سبقوا أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب وأما الذين اقتصدوا فأولئك الذين يحاسبون حسابا يسيرا وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك الذين يحسبون في طول المحشر ثم هم الذين نلافهم الله برحمته فهم الذين يقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها غم »

(طريق أخرى) قال ابن أبي حاتم حدثنا أسيد بن عاصم ثنا الحسين بن حفص حدثنا سفيان عن الاعمش عن رجل عن أبي ثابت عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه - قال - فأما الظالم لنفسه فيحبس حتى يصيبه الهم والحزن ثم يدخل الجنة » رواه ابن جرير من حديث سفيان الثوري عن الاعمش قال ذكر أبو ثابت أنه دخل المسجد فجلس الى جنب أبي الدرداء رضي الله عنه فقال اللهم آانس وحشتي وارحم غرتي ويسر لي جليسا صالحا فقال أبو الدرداء رضي الله عنه لئن كنت صادقا لأنا أسعد بك منك سأحدثك حديثا سمعته من رسول الله ﷺ لم أحدث به منذ سمعته منه ذكر هذه الآية (ثم أورثنا

عن رجل عن أبي ثابت أن رجلا دخل المسجد فقال : اللهم ارحم غرتي ، وآانس وحشتي ، وسق لي جليسا صالحا . فقال أبو الدرداء لئن كنت صادقا لأنا أسعد بك منك سمعت رسول الله ﷺ يقول حين قرأ هذه الآية (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) فقال « أما السابق بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب وأما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا وأما الظالم لنفسه فيحبس في المقام حتى يدخله الهم ثم يدخل الجنة » ثم قرأ هذه الآية (وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور)

وقال عقبة بن صهبان : سألت عائشة عن قول الله عز وجل (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) الآية فقالت يا بني كلهم في الجنة : أما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله ﷺ وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة ، وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق به ، وأما الظالم

الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) فأما السابق بالخيرات فيدخلها بغير حساب، وأما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا، وأما الظالم لنفسه فيصديه في ذلك المكان من الغم والحزن وذلك قوله تعالى (وقلوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن)

(الحديث الثالث) قال الخافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا عبد الله بن محمد بن العباس حدثنا ابن مسعود أخبرنا سهل بن عبد ربه الرازي حدثنا عمرو بن أبي قيس عن ابن أبي ليلى عن أخيه عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله) الآية قل قال رسول الله ﷺ « كلهم من هذه لامة »

(الحديث الرابع) قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عزيز حدثنا سلامة عن عقيل عن ابن شهاب عن عوف بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال « أمتي ثلاثة أثلاث فثالث يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وثالث يحاسبون حسابا يسيرا ثم يدخلون الجنة، وثالث يحصون ويكفون ثم تأتي الملائكة فيقولون وجدناهم يقولون لا اله الا الله وحده يقول الله تعالى صدقوا لا اله الا أنا أدخلوهم الجنة بقرهم لا اله الا الله وحده واحملوا خطاياهم على أهل النار وهي التي قال الله تعالى (وايحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم) وتصديقه في التي فيها ذكر الملائكة قال الله تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) فجعلهم ثلاثة أفواج وهم أصناف كلهم فمنهم ظالم لنفسه فهذا الذي يحصن ويكف « غريب جدا

(أثر عن ابن مسعود) رضي الله عنه قال ابن جرير حدثني ابن حميد حدثنا الحكم بن بشير عن عمرو بن قيس عن عبد الله بن عيسى رضي الله عنه عن يزيد بن الحارث عن شقيق أبي وائل عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : ان هذه الامة ثلاثة أثلاث يوم القيامة ثلث يدخلون الجنة بغير حساب وثلث يحاسبون حسابا يسيرا وثلث يجيئون بذنوب عظام حتى يقول الله عز وجل ما هؤلاء ؟ وهو أعلم تبارك وتعالى فيقول الملائكة هؤلاء جاؤا بذنوب عظام إلا أنهم لم يشركوا

لنفسه فمثلي ومثلك ، فجاءت نفسها معنا ، وقال مجاهد والحسن وقنادة (فمنهم ظالم لنفسه) هم أصحاب المشأمة (ومنهم مقتصد) هم أصحاب الميمنة (ومنهم سابق بالخيرات) هم السابقون المقربون من الناس كلهم ، وعن ابن عباس قال : السابق المؤمن الخاص ، والمقتصد المرأئي ، والظالم الكافر نعمة الله غير الجاحد لها لانه حكم فلثلاثة بدخول الجنة فقال (جنات عدن يدخلونها) وقال بعضهم يذكر ذلك عن الحسن قال : السابق من رجعت حسنة على سيئاته ، والمقتصد من استوت حسنة وسيئاته ، والظالم من رجعت سيئاته على حسنة

وقيل الظالم من كان ظاهره خيرا من باطنه والمقتصد الذي يستوي ظاهره وباطنه ، والسابق الذي باطنه خير من ظاهره ، وقيل الظالم من وحد الله بلسانه ولم يوافق فعله قوله ، والمقتصد من وحد الله

بك شيئاً فيقول الرب عز وجل أدخلوا هؤلاء في سعة رحمتي. وتلا عبد الله رضي الله عنه هذه الآية (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) الآية

(آخر) قال أبو داود الطيالسي عن الصلت بن دينار بن الاشعث عن عقبة بن صهبان الهنائي قال سألت عائشة رضي الله عنها عن قول الله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه الآية فقالت لي يا بني هؤلاء في الجنة أما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله ﷺ شهد له رسول الله ﷺ بالحياة والرزق وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق به، وأما الظالم لنفسه فعنلي ومثلهم قال فجعلت نفسها رضي الله عنها معها وهذا منها رضي الله عنها من باب الهضم والتواضع ولا فهي من أكبر السابقين بالخيرات لان فضلها على النساء كفضل النبي على سائر الطعام وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه في قوله تبارك وتعالى فمنهم ظالم لنفسه قال هي لأهل بدونا ومقتصدنا أهل حضرنا وسابقنا أهل الجهاد. رواه ابن أبي حاتم وقال عوف الاعرابي حدثنا عبد الله بن الحارث بن نوفل قال حدثنا كعب الاحبار رحمه الله عليه قال ان الظالم لنفسه من هذه الامة والمقتصد والسابق بالخيرات كلهم في الجنة ألم تر أن الله تعالى قال (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها) الى قوله عز وجل — والذين كفروا لهم نار جهنم) قال هؤلاء أهل النار رواه ابن جرير من طرق عن عوف به. ثم قال حدثني يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علية أخبرنا حميد عن اسحاق بن عبد الله بن الحارث عن أبيه قل ان ابن عباس رضي الله عنهما سأل كعباً عن قوله تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من

بلسانه وأطاعه بجوارحه، والسابق من وحد الله بلسانه وأطاعه بجوارحه وأخلص له عمله، وقيل الظلم التالي للقرآن والمقتصد القاري له العالم به، والسابق الفاري له العالم به العامل بما فيه، وقيل الظالم أصحاب الدنيا والمقتصد أصحاب الصنائع، والسابق الذي لم يرتكب كبيرة ولا صغيرة، وقال سهل ابن عبد الله. السابق العالم والمقتصد المتعلم والظالم جاهل

قال جعفر الصادق: انه بدأ بالظالمين إخباراً بأنه لا يتقرب اليه إلا بكمه وان الظالم لا يؤثر في الاصطفاة، ثم ثنى بالمقتصدين لانهم بين الخوف والرجاء، ثم ختم بالسابقين لانهم آمن أحد مكره، وكلهم في الجنة، وقال أبو بكر الوراق: رتبهم هذا الترتيب على مقامات الناس لان أحوال العبد ثلاثة: معصية وغفلة ثم توبة ثم قربة فان عصي دخل في حيز الظالمين وإذا تاب دخل في جملة المقتصدين وإذا صحت التوبة وتكررت العبادة والمجاهدة دخل في عدد السابقين

وقال بعضهم المراد بالظالم الكافر ذكره السكيتي وقيل المراد منه المنافق فعلى هذا لا يدخل الظالم في قوله (جنات عدن يدخلونها) وحمل هذا القائل الاصطفاة على الاصطفاة في الخلق وارسال

عبادنا — إلى قوله — باذن الله) قال تماسمت منا كيهم ورب كعب ثم اعطوا الفضل باعمالهم ثم
 قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا الحكم بن بشير حدثنا عمرو بن قيس عن أبي اسحاق
 السبيعي في هذه الآية (ثم أوردنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الآية قال أبو اسحاق أما سمعت
 من ذي ستين سنة فكلهم ناج ، ثم قال حدثنا ابن حميد حدثنا الحكم بن عمرو عن محمد بن الحنفية
 رضي الله عنه قال أنها أمة مرحومة الظالم مغفور له والمتصد في الجنان عند الله والسابق بالخيرات في
 الدرجات عند الله . ورواه الثوري عن اسماعيل بن عيسى عن رجل عن محمد بن الحنفية رضي الله عنه نحوه
 وقال أبو الجارود : سألت محمد بن علي - يعني الباقر - رضي الله عنهما عن قول الله تعالى (فهم ظالم
 لنفسه) فقال هو الذي خاط عملاص الحارثي . سينا فهذا ما يسر من إيراد الأحاديث والآثار المتعلقة بهذا المقام
 وإذا تقرر هذا فإن الآية عامة في جميع الأقسام الثلاثة فالعلماء أعبط الناس بهذه النعمة ، وأولى
 الناس بهذه الرحمة فأنهم كما قال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا محمد بن يزيد حدثنا عاصم بن رجا بن
 حيوة عن قيس بن كثير قال قدم رجل من أهل المدينة إلى أبي الدرداء رضي الله عنه وهو بدمشق
 فقال ما أقدمك أي أخي ؟ قال حديث بلغني أنك تحدث به عن رسول الله ﷺ ، قال أما قدمت
 لتجارة ؟ قال لا ، قال أما قدمت لحاجة ؟ قال لا ، قال أما قدمت لإلا في طلب هذا الحديث ؟ قال نعم
 قال رضي الله عنه فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول « من سلك طريقا يطلب فيها علما سلك الله
 تعالى به طريقا إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم وإنه يستغفر للعالم من في
 السموات ولارض حتى الميتين في الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ،
 إن العلماء هم ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر »
 وأخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث كثير بن قيس ومنهم من يقول قيس بن كثير عن أبي
 الدرداء رضي الله عنه ، وقد ذكرنا طرقه واختلاف الروا فيه في شرح كتاب العلم من صحيح البخاري والله
 الحمد والمنة ، وقد تقدم في أول سورة طه حديث ثعلبة بن الحكم رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال « يقول
 الله تعالى يوم القيامة للعلماء أي المأضم علمي وحكمتي فيكم إلا وأناريد أن اغفر لكم على ما كن منكم ولا أأبلي »

جنت عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيهاحرير

(٣٣) وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور (٣٤) الذي أحلنا دار

الرسول اليهم وانزال الكتب والاول هو المشهور أن المراد من جميعهم المؤمنين وعليه عامة أهل العلم
 قوله (ومنهم سابق بالخيرات) أي سابق إلى الجنة وإلى رحمة الله بالخيرات أي بالاعمال الصالحات
 (باذن الله) أي بأمر الله وإرادته (ذلك هو الفضل الكبير) يعني إبراهيم الكتاب
 ثم أخبر بشواهم فقال (جنت عدن يدخلونها) يعني الاصناف الثلاثة قرأ أبو عمرو يدخلونها

المقامة من فضله لا يمسن فيها نصيب ولا يمسن فيها لغوب (٣٥)

يخبر تعالى ان هؤلاء المصطفين من عباده الذين أدرثوا الكتاب المنزل من رب العالمين يوم القيامة ما أراهم جنات عدن أي جنات الإقامة يدخلونها يوم معادهم وقدمهم على الله عز وجل (يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا) كما ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ انه قال « تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء » (ولباسهم فيها حرير) ولهذا كان محظوراً عليهم في الدنيا فأباحه الله تعالى لهم في الآخرة ، وثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة » وقال « هي لهم في الدنيا ولكم في الآخرة »

وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو بن سواد السرحي أخبرنا ابن وهب عن ابن طبيعة عن عقيل بن خالد عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ان أبا امامة رضي الله عنه حدث أن رسول الله ﷺ حدثهم وذكر حلي أهل الجنة فقال « مسورون بالذهب والفضة مكالة بالدر وعليهم أكابيل من در وياقوت متواصلة وعليهم تاج كمناج الملوك شباب جرد مرد مكحلون » (وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن) وهو الخوف من المذود أراحه عما وأراحنا مما كنا نتخوفه ونحذر من هموم الدنيا والآخرة وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في نشورهم وكأنني بأهل لا إله إلا الله ينفذون التراب عن رؤوسهم ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن » رواه ابن أبي حاتم من حديثه

وقال الطبراني حدثنا جعفر بن محمد القرياني حدثنا موسى بن يحيى المروزي حدثنا سليمان بن عبد الله بن وهب الكوفي عن عبد العزيز بن حكيم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في الموت ولا في القبور ولا في النشور وكأنني أنظر إليهم عند الصيحة »

بضم الياء وفتح الخاء وقرأ الآخرون بفتح الياء وضم الخاء (يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير) وقالوا (أي ويقولون اذا دخلوا الجنة) (الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن) هو الحزن واحد كالبخل والبخل قال ابن عباس حزن النار وقال قتادة حزن الموت وقال مقاتل حزنوا لانهم كانوا لا يدرون ما يصنع الله بهم وقال عكرمة حزن الذنوب والسيئات وخوف رد الطاعات وقال القاسم حزن زوال النعم وتقلب القلب وخوف العاقبة ، وقيل حزن أهوال يوم القيامة وقال الكلبي ما كان يحزنهم في الدنيا من أمر يوم القيامة وقال سعيد بن جبيرة الحزن في الدنيا وقيل هم المعيشة، وقال الزجاج أذهب الله عن أهل الجنة كل الحزن ما كان منها المعاش أو المعاد

أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن الضحاك الخطيب حدثنا أبو اسحاق إبراهيم بن أحمد الاسفرايني أخبرنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم الاسماعيلي أنا أبو العباس أحمد بن محمد التبراني حدثنا يحيى بن

ينفضون رءوسهم من التراب يقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره : غفر لهم الكثير من السيئات وشكر لهم اليسير من الحسنات الذي أحلنا دار المقامة من فضله (يقولون الذي أعطانا هذه المنزلة وهذا المقام من فضله ومنه ورحمته لم تكن أعمالنا تساوي ذلك كما ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « ان يدخل أحداً منكم عمله الجنة » قالوا ولا أنت يا رسول الله قال « ولا أنا إلا أن يتعدني الله تعالى برحمته من فضله » لا يمسن فيها نصب ولا يمسن فيها لغوب (أي لا يمسن فيها عنا ولا إعياء ، والنصب والغوب كل منهما يستعمل في التعب وكان المراد بنفي هذا وهذا عنهم أنهم لا تعب على أبدانهم ولا أرواحهم والله أعلم ، فمن ذلك أنهم كانوا يدثون أنفسهم في العبادة في الدنيا فسقط عنهم التكليف بدخولها وصاروا في راحة دائمة مستمرة قال الله تبارك وتعالى (كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية)

والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك تجزي كل كفور (٣٦) وهم يصطرون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحة غير الذي كنا نعمل

أولم نعمم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير (٣٧)
لما ذكر تبارك وتعالى حال السعداء شرع في بيان مآل الأشقياء فقال (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا) كما قال تعالى [لا يموت فيها ولا يحيى] وثبت في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال « أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون » وقال عز وجل (ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ما كنون) فهم في حالهم ذلك يرون موتهم راحة لهم ولكن لا سبيل إلى ذلك قال الله تعالى [لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها] كما قال عز وجل [ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون * لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون] وقال جل وعلا (كلما خبت زدناهم سعيراً *)

عبد الحميد حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر قول : قال رسول الله ﷺ « ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في منشرهم وكأني بأهل لا إله ينفضون التراب عن رءوسهم ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن »

قوله تعالى (إن ربنا لغفور شكور * الذي أحلنا) أنزلنا (دار المقامة) أي الإقامة (من فضله لا يمسن فيها نصب) أي لا يصيبنا فيها عنا ولا مشقة (ولا يمسن فيها لغوب) إعياء من التعب قوله تعالى (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا) أي فيهلكون فيستريحوا كقوله عز وجل (فوكزه موسى فقضى عليه) أي قتله وقيل لا يقضى عليهم الموت فيموتوا كقوله (ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك) أي ليقض علينا الموت فنستريح (ولا يخفف عنهم من عذابها)

فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً] ثم قال تعالى: كذلك نجزي كل كفور أي هذا جزاء كل من كفر بربه وكذب الحق . وقوله جلت عظمتة (وهم يصطرخون فيها) أي ينادون فيها ينادون إلى الله عز وجل بأصواتهم (ربنا أخرجنا بعمل صالحا غير الذي كنا نعمل) أي يسألون الرجعة إلى الدنيا ليعملوا غير ما هم الأول ، وقد علم الرب جل جلاله أن لو رددهم إلى الدار الدنيا لعادوا لما نهوا عنه وأنهم الكاذبون فلماذا لا يجيبهم إلى سؤالهم كما قال تعالى مخبراً عنهم في قولهم (فهل إلى مرد من سبيل ؟) * ذلکم بأنه اذا دعي الله وعده كفرتم وان يشرک به تؤمنوا) أي لا يجيبكم إلى ذلك لانكم كنتم كذلك ولو رددتم لددتم إلى ما نهيتهم عنه ولذا قال ههنا (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير ؟) أي أولم اعلمتم في الدنيا أعماراً لو كنتم ممن ينفع بالحق لاتنفعتم به في مدة عمركم ؟

وقد اختلف المفسرون في مقدار العمر المراد ههنا فروى عن علي بن الحسين زين العابدين رضي الله عنهما انه قال مقدار سبع عشرة سنة . وقال قتادة : اعلموا ان طول العمر حجة فعود الله أن يعمر بطول العمر قد نزلت هذه الآية (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) وان فهم لان عايشة سنة وكذا قال أبو غاب الشيباني ، وقال عبد الله بن المبارك عن معمر بن راحل عن وهب بن منبه في قوله تعالى (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) قول مشرور سنة . وقال هشيم عن منصور عن زاذان عن الحسن في قوله تعالى [أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر] قال أربعين سنة ، وقال هشيم أيضاً عن مجالد عن الشعبي عن مسروق انه كان يقول : اذا بلغ أحدكم أربعين سنة فليأخذ حذره من الله عز وجل وهذه رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما فيما قال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا بشر بن المفضل حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن مجاهد قال سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول : العمر الذي أعذر الله تعالى لابن آدم [أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر] أربعون سنة . هكذا رواه من هذا الوجه عن ابن عباس رضي الله عنهما به ، وهذا القول هو اختيار ابن جرير . ثم رواه من طريق الثوري وعبد الله بن ادريس كلاهما عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال العمر الذي أعذر الله فيه لابن آدم في قوله [أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر] ستون سنة فهذه الرواية أصح عن ابن عباس رضي الله عنهما وهي الصحيحة في نفس الامر أيضاً لما ثبت في ذلك من الحديث كما سنورده لا كإزعمه ابن جرير من أن الحديث لم يصح في ذلك لان في إسناده من يجب التثبت

من عذاب النار (كذلك نجزي كل كفور) كافر قرأ أبو عمرو ويجزى بالياء وضمها وفتح الزاي كل رفع على غير تسمية الفاعل ، قرأ الآخرون بالياء وفتحها وكسر الزاي كل نصب (وهم يصطرخون) يستغيثون ويصيحون (فيها) وهو افتعال من الصراخ وهو الصياح يقولون (ربنا أخرجنا) من النار (نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل) في الدنيا من الشرك والسينات فيقول الله لهم توبيخاً (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) قيل هو البلوغ وقال عطاء وقتادة والكلبي ثمان

في أمره ، وقد روى أصح بن نباتة عن علي رضي الله عنه أنه قال : العمر الذي عيرم الله به في قوله [ولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر] ستون سنة

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا دحيم حدثنا ابن أبي فديك حدثني إبراهيم بن الفضل الخزومي عن ابن أبي حسين المسكي أنه حدثه عن عطاء هو ابن أبي رباح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال « إذا كان يوم القيامة قيل ابن أبناء الستين وهو العمر الذي قال الله تعالى فيه (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاكم الذنير) » وكذا رواه ابن جرير عن علي بن شعيب عن اسماعيل بن أبي فديك به ، وكذا رواه الطبراني من طريق ابن أبي فديك به ، وهذا الحديث فيه نظر لحال إبراهيم بن الفضل والله أعلم

(حديث آخر) قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن رجل من بني غفار عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : لقد أعذر الله تعالى الى عبد أحياء حتى بلغ ستين أو سبعين سنة ، لقد أعذر الله تعالى الى الله أعذر الله تعالى اليه » وهكذا رواه الامام البخاري في كتاب الرقاق من صحيحه حدثنا عبد السلام بن مطهر عن عمر بن علي عن معمر بن محمد الفغاري عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أعذر الله عز وجل الى امرئ آخر عمره حتى بلغ ستين سنة » ثم قال البخاري تابعه أبو حازم وابن عجلان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ فأما أبو حازم فقل ابن جرير حدثنا أبو صالح الفزاري حدثنا محمد بن سوار أخبرنا يعقوب بن عبد الرحمن بن عبد القاري أي الاسكندري حدثنا أبو حازم عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من عمره الله تعالى ستين سنة فقد أعذر الله في العمر » وقد رواه الامام أحمد والذسائي في الرقاق جميعا عن قتيبة عن يعقوب بن عبد الرحمن به ، ورواه البزار قال : حدثنا هشام بن يوسف حدثنا عبد العزيز ابن أبي حازم عن أبيه عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « العمر الذي أعذر الله تعالى فيه الى ابن آدم ستون سنة » يعني (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر)

وأما متابعة ابن عجلان فقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو السفر يحيى بن محمد بن عبد الملك بن قرعة بسامرا حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ حدثنا سعيد بن أبي أيوب حدثنا محمد بن عجلان عن سعيد

عشرة سنة وقال الحسن أربعةون سنة وقال ابن عباس ستون سنة بروى ذلك عن علي . هو العمر الذي أعذر الله تعالى الى ابن آدم

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله الميموني أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا عبد السلام بن مطهر حدثنا عمر بن علي عن معمر بن محمد الفغاري عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « أعذر الله تعالى الى امرئ آخر أجله حتى بلغه ستين سنة »

المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من أنت عليه ستون سنة فقد أعذر الله عز وجل اليه في العمر » وكذا رواه الامام احمد عن أبي عبد الرحمن هو المقري به ورواه أحمد أيضا عن خلف عن أبي معشر عن أبي سعيد المقبري

(طريق أخرى) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ابن جرير حدثني أحمد بن الفرج أبو عتبة الحمصي حدثنا بقية بن الوليد حدثنا المطرف بن مازن الكناشي حدثني معمر بن راشد قال : سمعت محمد بن عبد الرحمن الغفاري يقول : سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ « لقد أعذر الله عز وجل في العمر الى صاحب الستين سنة والسبعين » فقد صح هذا الحديث من هذه الطرق فلو لم يكن إلا الطريق التي ارتضاها أبو عبد الله البخاري شيخ هذه الصناعة لكفت . وقول ابن جرير ان في رجائه بعض من يجب التثبت في أمره لا يلتفت اليه مع تصحيح البخاري والله أعلم . وذكر بعضهم أن العمر الطبيعي عند الاطباء مائة وعشرون سنة فالإنسان لا يزال في ازدياد الى كل السنين ثم بشرع بعد هذا في النقص والمهرم كما قال الشاعر

إذا بلغ الفتي ستين عاما فقد ذهب المسرة والفتاء

ولما كان هذا هو العمر الذي بعذر الله تعالى الى عباده به وبزج به عنهم العلل كان هو الغالب على أعمار هذه الامة كما ورد بذلك الحديث

قال الحسن بن عرفة رحمه الله حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أعمار أمتي ما بين الستين الى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك » وهكذا رواه الترمذي وابن ماجه جميعا في كتاب الزهد عن الحسن بن عرفة به ثم قال الترمذي هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وهذا عجب من الترمذي فإنه قد رواه أبو بكر بن أبي الدنيا من وجه آخر وطريق أخرى عن أبي هريرة حيث قال حدثنا سليمان بن عمر عن محمد بن ربيعة عن كمال أبي الملاء عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أعمار أمتي ما بين الستين الى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك » وقد رواه الترمذي في كتاب الزهد أيضا عن إبراهيم بن سعيد الجوهري عن محمد بن ربيعة به ثم قال هذا حديث حسن غريب من حديث أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه وقد روي من غير وجه عنه هذا نصه بحروفه في الموضعين والله أعلم .

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أخبرنا أبو اسحاق الثعلبي أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان حدثنا إبراهيم بن سهل بن حدثنا الحسن بن عرفة أنا المحاربي عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أعمار أمتي ما بين الستين الى السبعين » وأقلهم من يجوز ذلك

وقال الحافظ أبو به إلى حدثنا أبو موسى الانصاري حدثنا ابن أبي فديك حدثني ابراهيم بن الفضل مولى بني مخزوم عن المقرئ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « معترك المنايا ما بين الستين الى السبعين » وبه قال : قال رسول الله ﷺ « أقل أمتي أبناء سبعين » إسناده ضعيف (حديث آخر) في معنى ذلك قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا ابراهيم بن هانيء حدثنا ابراهيم بن مهدي عن عثمان بن مطر عن أبي مالك عن ربيعي عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال يا رسول الله أنبئنا بأعمار أمتك قال رسول الله ﷺ « ما بين الحسنيين الى الستين » قالوا يا رسول الله فأبناء السبعين قال ﷺ « قل من يبلغها من أمتي رحم الله أبناء السبعين ورحم الله أبناء الثمانين ثم قال البزار لا يروى بهذا اللفظ إلا بهذا الاسناد وعثمان بن مطر من أهل البصرة ليس بقوي وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ عاش ثلاثا وستين سنة وقيل ستين وقيل خمسا وستين ، والمشهور الاول والله أعلم وقوله تعالى (وجاءكم النذير) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة وأبي جعفر الباقر رضي الله عنه وقنادة وسفيان بن عيينة أنهم قالوا يعني الشيب ، وقال السدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم يعني به رسول الله ﷺ وقرأ ابن زيد (هذا نذير من النذر الاولى) وهذا هو الصحيح عن قتادة فيما رواه شيبان عنه أنه قال ، احتج عليهم بالعمر والرسول وهذا اختيار ابن جرير وهو الاظهر لقوله تعالى ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ما كنون * لقد جئناكم بالحق ولكن أكنتم للحق كارهون أي لقد بينا لكم الحق على السنة الرسل فأبأيتم وخالفتم وقال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقال تبارك وتعالى (كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير * قالوا بلى قد جاءنا نذير * فكذبنا وقتلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير) وقوله تعالى قدوقوا فما للاظالمين من نصير) أي فذوقوا عذاب النار جزاء على مخالفتكم للانبياء في مدة أعماركم فما لكم اليوم ناصر ينقذكم ، أنتم فيه من العذاب والهلاك والاعلال

إن الله علم غيب السموات والارض إنه عليم بذات الصدور (٣٨) هو الذي جعلكم خلائف في الارض فمن كفر فمليه كمره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقناولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا (٣٩)

قوله تعالى (وجاءكم النذير) يعني محمدا ﷺ هذا قول أكثر المفسرين وقيل القرآن وقال عكرمة وسفيان بن عيينة بوكيم هو الشيب معناه اولم نعمركم حتى شبنم ويقال الشيب نذير الموت وفي الأثر : مامن شعرة تبيض إلا فأت لاخنها استعدي فقد قرب الموت قوله (فذوقوا فما للاظالمين من نصير * إن الله عالم غيب السموات والارض إنه عليم بذات نفوسكم) تفسير ابن كثير والبغوي (١٠٠) الجزء السابع

يخبر تعالى بعلمه غيب السموات والأرض ، وأنه يعلم ما تكنه السرائر وما تنطوي عليه الضمائر وسيجازي كل عامل بعمله

ثم قال عز وجل (هو الذي جعلكم خلائف في الأرض) أي يخلف قوم لا آخرين قبلهم وجبل لجبل قبلهم . كما قال تعالى ويجعلكم خلفاء الأرض فمن كفر فعليه كفره أي قائما بعوده وبذلك على نفسه دون غيره (ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقنا) أي كلما استمروا على كفرهم أبغضهم الله تعالى ، وكلما استمروا فيه خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة بخلاف المؤمنين فانهم كلما طال عمر أحدهم وحسن عمله ارتفعت درجته ومنزله في الجنة وزاد أجره وأحبه خالقه وبارئته رب العالمين قل أرايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله؟ أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم

شرك في السموات؟ أم آتينهم كتاباً فهم على بينة منه بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلا غرورا (٤٠) ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من

أحد من بعده انه كان حلما غفورا (٤١)

يقول تعالى لرسوله ﷺ أن يقول المشركين (أرايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله) أي من الاصنام والانداد (أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات) أي لهم شيء من ذلك ما يملكون من قطمير ، وقوله [أم آتيناهم كتاباً فهم على بينة منه] أي أم أنزلنا عليهم كتاباً بما يقولونه من الشرك والكفر ليس الامر كذلك [بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلا غروراً] أي بل إنما اتبعوا في ذلك أهواءهم وآراءهم وأمانيتهم التي تمنوها لأنفسهم وهي غرور وباطل وزور ، ثم أخبر تعالى عن قدرته العظيمة التي بها تقوم السما والأرض عن أمره وما جعل فيهما من القوة الماسكة لهما

الصدور * هو الذي جعلكم خلائف في الأرض) أي يخلف بعضهم بعضاً وقيل جعلكم أمة خلفت من قبلها ورأت فيمن قبلها ما ينبغي أن تعتبر به (فمن كفر فعليه كفره) أي عليه وبال كفره (ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقنا) غضبا (ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خساراً * قرأ رايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله) أي جعلتموهم شركائي بزعمكم يعني الاصنام (أروني ماذا خلقوا من الأرض) أي في الأرض (أم لهم شرك في السموات أم آتيناهم كتاباً ؟) قال مقاتل هل أعطينا كفار مكة كتاباً (فهم على بينة منه) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص بينة على التوحيد وقرأ الآخرون بينات على الجمل يعني دلائل واضحة منه في ذلك الكتاب من ضروب البيان (بل ان يعد) أي ما يعد (الظالمون بعضهم بعضاً إلا غروراً) والغرور ما يغتر الانسان مما لا أصل له قال مقاتل يعني ما يعد الشيطان كفار بني آدم من شفاعته الآلهة لهم في الآخرة غرور وباطل

فقال (ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا) أي أن تضطربا عن أماكنهما كما قال عز وجل [ويمسك السماء أن تقع على الارض الا بذنه] وقال تعالى [ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره] (ولئن زلنا لئن أمسكهما من أحد من بعده) أي لا يقدر على دوامها وإبقائهما الا هو وهو مع ذلك حلیم غفور أي يرى عباده وهم يكفرون به ويعصونه وهو بحلم فيؤخر وينظر ويؤجل ولا يجعل ويستتر آخرين ويغفر ولهذا قال تعالى (انه كان حلما غفورا)

وقد أورد ابن أبي حاتم ههنا حديثا غريبا بل منكرا فقال حدثنا علي بن الحسين بن الجنيح حدثنا اسحاق بن ابراهيم حدثني هشام بن يوسف عن أمية بن سهل عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يحكي عن موسى عليه الصلاة والسلام على المنبر قال « وقع في نفس موسى عليه الصلاة والسلام هل ينالم الله عز وجل فأرسل الله تعالى اليه ملكا فأرقه ثلاثا وأعطاه قارورتين في كل يد قارورة وأمر أن يحفظهما قال فجعل ينالم وتكد يدها تلتقيان ثم يستقيظ فيحبس احدهما عن الاخرى حتى نام نومة فاصطفت يدها فانكسرت القارورتان ، قال ضرب الله له مثلا ان الله عز وجل لو كان ينالم لم تستمسك السماء والارض ، والظاهر أن هذا الحديث ليس بمرفوع بل من الامراتيليات المنكرة فان موسى عليه الصلاة والسلام أجل من أن يجوز على الله سبحانه وتعالى النوم وقد أخبر الله عز وجل في كتابه العزيز بأنه (الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الارض)

وثبت في الصحيحين عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ان الله تعالى لا ينالم ولا ينبغي له أن ينالم بخفض القسط وبرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل ، حجاب النور أو النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه » وقد قال ابو جعفر ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن الاعمش عن ابي وائل قال : جاء رجل الى عبد الله هو ابن مسعود رضي الله عنه فقال من أين جئت؟ قال من الشام قال من اقيت؟ قال اقيت كعبا ، قال ما حدثك؟ قال حدثني أن السموات تدور على منكب ملك ، قال أفصدقته أو كذبتة؟ قال ما صدقته ولا كذبتة ، قال لوددت أنك اتدريت من رحلتك اليه براحتك ورحلتها كذب كعب ان الله تعالى يقول (ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا ولئن زلنا لئن أمسكهما من أحد من بعده) وهذا اسناد صحيح الى كعب والى ابن مسعود رضي الله عنه

ثم رواه ابن جرير عن ابن حميد عن جرير عن مغيرة عن ابراهيم قال ذهب جندب البجلي الى كعب بالشام فذكر نحوه . وقد رأيت في مصنف للفقير يحيى بن ابراهيم بن مزين الطليطلي سماه (سير

قوله تعالى (إن الله يمسك السموات والارض أن تزولا) أي كيلا تزولا (ولئن زلنا لئن أمسكهما من أحد من بعده) أي ما أمسكهما أحد من بعده أي أحد سواه (إنه كان حلما غفورا)

الفتاوى) أورد هذا الاثر عن محمد بن عيسى بن الطباع عن . كيم عن الاعمش به ، ثم قال وأخبرنا زوران
يعني عبد الملك بن الحسين عن ابن وهب عن مالك أنه قال السماء لا تدور واحتج بهذه الآية
وبحديث : إن بالمغرب باباً للتوبة لا يزل مفتوحاً حتى تطلع الشمس منه ، قلت وهذا الحديث في
الصحيح والله سبحانه وتعالى أعلم

وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم
نذير مازادهم إلا نفورا (٤٢) استكباراً في الأرض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ إلا
بأهله فهل ينظرون إلا سنة لا سُنَّتْ لآ وائين ؟ فإن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً (٤٣)
يخبر تعالى عن قریش والعرب أنهم أقسموا بالله جهد أيمانهم قبل إرسال الرسول إليهم لئن جاءهم
نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم أي من جميع الأمم الذين أرسل إليهم الرسل قاله الصدك وغيره
كقوله تعالى [ان تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين * أو
تقولوا لو أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فن أظلم ممن
كذب بآيات الله وصدف عنها] وكقوله تعالى [وإن كانوا يقولون لو أن عندنا ذكر أو أولين
لكنا عباد الله المخلصين * فكفروا به فسوف يعلمون] قال الله تعالى (فلما جاءهم نذير) وهو محمد
ﷺ بما أنزل معه من الكتاب العظيم وهو القرآن المبين (مازادهم إلا نفورا) أي مازادوا إلا
كفراً إلى كفرهم ثم بين ذلك بقوله (استكباراً في الأرض) أي استكبروا عن اتباع آيات الله [ومكر
السيئ] أي ومكروا بالناس في صدهم إياهم عن سبيل الله (ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله) أي
وما يعود وبال ذلك إلا عليهم أنفسهم دون غيرهم

فان قيل فما معنى ذكر الحلم هنا ؟ قيل لان السموات والأرض همت بما همت به من عقوبة الكفار
فامسكها الله تعالى عن الزوال لحلمه وغفرانه أن يعاجلهم بالعقوبة
قوله تعالى (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) يعني كفاركم لما بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلكم
قالوا لعن الله اليهود والنصارى أنهم الرسل فكذبوهم وأقسموا بالله وقالوا لو أننا رسول الله لنكونن
أهدى ديناً منهم وذلك قبل مبعث النبي ﷺ فلما بعث محمد كذبوا فانزل الله عز وجل (وأقسموا بالله
جهد أيمانهم) (لئن جاءهم نذير) رسول (ليكونن أهدى من إحدى الأمم) يعني من اليهود والنصارى
(فلما جاءهم نذير) محمد ﷺ (مازادهم إلا نفورا) أي مازادهم مجيئه إلا تباعدوا عن الهدى
(استكباراً في الأرض) نصب استكباراً على البدل من النفور (ومكر السيئ) يعني العمل القبيح
أضيف المكر إلى صفته قال الكلبي هو اجتماعهم على التمرك وقتل النبي ﷺ وقرا حزة مكر السيئ

قال ابن ابي حاتم ذكر علي بن الحسين حدثنا ابن ابي عمر حدثنا سفيان عن ابي زكريا الكوفي عن رجل حدثه أن رسول الله ﷺ قال «إياك ومكر السيي» فإنه لا يحيق المكر السيي إلا بأهله ولهم من الله طاب الله وقال محمد بن كعب القرظي ثلاث من فعلن لم ينج حتى ينزل به من مكر أو بغى أو نكت وتصدية لها في كتاب الله (ولا يحيق المكر السيي إلا بأهله) (إياها يغيبكم على أنفسكم - ومن نكت فأنما ينكت على نفسه) وقوله عز وجل (فهل ينظرون إلى سنة الأولى) يعني عقوبة الله لهم على تكذيبهم رسوله ومخالفتهم أمره (ولن تجد لسنة الله تبديلا) أي لا تغير ولا تبدل بل هي جارية كذلك في كل مكذب (ولن تجد لسنة الله تحويلا) أي (وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له) ولا يكشف ذلك عنهم وبحوله عنهم أحد والله أعلم

أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليا قديرا (٤٤)
ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا مترك على ظهورها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى
فاذا جاء أجلهم فإن الله كان بعبادهم بصيرا (٤٥)

يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بما جنتهم به من الرسالة سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين كذبوا الرسل كيف دمر الله عليهم وكافر من أمثالها فأتت منهم منازلهم وسلبوا ما كانوا فيه من النعم بعد كمال القوة وكثرة العدد والعدد، وكثرة الاموال والاولاد فما أغنى ذلك شيئا ولا دفع عنهم من عذاب الله من شيء. لما جاء أمر ربك لأنه تعالى لا يعجزه شيء. اذا أراد كونه في السموات والأرض (انه كان عليا قديرا) أي عليهم بجميع الكائنات قدبر على مجموعها، ثم قال تعالى [ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا مترك على ظهورها من دابة] أي لو أخذهم بجميع ذنوبهم لأهلك جميع أهل السموات والأرض وما يملكونه من دواب وأرزاق
قال ابن ابي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان الثوري عن ابي اسحاق

ساكنية الهمة نخيفا وهي قراءة الاعمش (ولا يحيق المكر السيي) أي لا يحل ولا يبيط المكر السيي. (إلا بأهله) فقتلوا يوم بدر وقال ابن عباس عاقبة الشرك لا نحل إلا بمن أشرك، والمعنى أن وبال مكرهم راجع اليهم (فهل ينظرون) ينتظرون (إلا سنة الأولى) إلا أن ينزل بهم العذاب كما نزل بمن مضى من الكفار (فلن تجد لسنة الله تبديلا) ولن تجد لسنة الله تحويلا أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه (أي ليفوت عنه) (من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليا قديرا) ولو يؤاخذ الله الناس بما

عن أبي الاحوص عن عبد الله قال: كاد الجعل أن يعذب في جحره بذاب ابن آدم ثم قرأ (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا مارك على ظهورها من دابة) وقال سعيد بن جبير والسدي في قوله تعالى (مارك على ظهورها من دابة أي لما سقاهم المطر فماتت جميع الدواب) [ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى] أي ولكن ينظرهم إلى يوم القيامة فيحاسبهم يومئذ ويوفي كل عامل بعمله فيجازي بالثواب أهل الطاعة وبالعقاب أهل المعصية ولهذا قال تبارك وتعالى [فاذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا] ﴿آخر تفسير سورة فاطر والله الحمد والمنة﴾

تفسير سورة يس وهي مكية

قال أبو عيسى الترمذي حدثنا قتيبة وسفيان بن وكيم حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرواسي عن الحسن بن صالح عن هارون أبي محمد عن مقاتل بن حبان عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إن لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس» ومن قرأ يس كتب الله له بقراءة القرآن عشرين مرة ثم قال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حميد بن عبد الرحمن، وهاهنا أبو محمد شيوخ مجهول. وفي الباب عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ولا يصح لضعف أسناده، وعن أبي هريرة رضي الله عنه منظور فيه. أما حديث الصديق رضي الله عنه فرواه الحكيمة الترمذي في كتابه نوادر الأصول وأما حديث أبي هريرة رضي الله عنه فقال أبو بكر البزار حدثنا عبد الرحمن بن الفضل حدثنا زيد هو ابن الخباب حدثنا حميد هو المكي مولى آل علقمة عن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس» ثم قال لا نعلم رواه إلا زيد عن حميد

وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا اسحاق بن أبي إسرائيل حدثنا حجاج بن محمد عن هشام بن زياد عن الحسن قال سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ «من قرأ يس في ليلة أصبح مغفورا له» ومن قرأ حم التي يذكر فيها الدخان أصبح مغفورا له «أسناده جيد وقال ابن حبان في صحيحه حدثنا محمد بن اسحاق بن إبراهيم مولى ثقيف حدثنا الوليد بن شعاع بن الوليد السكوني حدثنا أبي حدثنا زياد بن خيثمة حدثنا محمد بن جعدة عن الحسن بن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله عز وجل غفر له»

كسبوا من الجرائم (مارك على ظهورها) يعني على ظهر الأرض كناية عن غير مذكور (من دابة) كما كان في زمان نوح أهلك الله ما على ظهر الأرض إلا من كان في سفينة نوح (ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا) قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد أهل طاعته وأهل معصيته

وقد قال الامام احمد حدثنا عمار حدثنا معتمر عن أبيه عن رجل عن أبيه عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال : ان رسول الله ﷺ قال « البقرة سنم نقرآن وذرونا نزل مع كل آية منها ثمانون ملكا ، واستخرجت (الله لا إله الا هو الحي القيوم) من تحت العرش فوصلت بها - أو فوصلت بسورة البقرة - وبس قلب القرآن لا يقرؤها رجل يريد الله تعالى والدار الآخرة الا غفر له وقرأوها على موتاكم » وكذا رواه النسائي في اليوم واللييلة عن محمد بن عبد الأعلى عن معتمر بن سليمان به

ثم قال الامام احمد حدثنا عمار حدثنا ابن المبارك حدثنا سلمان التميمي عن أبي عثمان وليس بالتهدي عن أبيه عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « اقرأوها على موتاكم يعني يس » ورواه أبو داود والنسائي في اليوم واللييلة وابن ماجه من حديث عبد الله بن المبارك إلا أن في رواية النسائي عن أبي عثمان عن معقل بن يسار رضي الله عنه ، ولهذا قال بعض العلماء من خصائص هذه السورة أنها لا تقرأ عند أمر عسير الا يسره الله تعالى ، وكان قراءتها عند الميت تنزل الرحمة والبركة ويسهل عليه خروج الروح والله تعالى أعلم

قال الامام احمد رحمه الله حدثنا ابو المغيرة حدثنا صفوان قال : كان المشيخة يقولون اذا قرئت يعني يس عند الميت خفف الله عنه بها . وقال البزار حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا ابراهيم بن الحكم ابن أبان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « لوددت أنها في قلب كل انسان من أمتي » يعني يس

بسم الله الرحمن الرحيم

يس (١) والقرآن الحكيم (٢) إنك لمن المرسلين (٣) على صراط مستقيم (٤) تنزيل

العزيز الرحيم (٥) لتنذر قوما ما أنذر آبؤهم فهم غفلون (٦) لقد آتيناك على أكثرهم فهم

لا يؤمنون (٧)

﴿ سورة يس مكية وهي ثلاث وثمانون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ يس ﴾ (وان) قرأ باخفا، النون فيهما ابن عامر والكسائي وأبو بكر وقالون بخفف النون من يس ويظهر هامن ن والقلم والباقون يظهرون فيهما واختلفوا في تأويل يس حسب اختلافهم في حروف التهجي قال

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة ، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة والضحاك والحسن وسفيان بن عيينة أن بس بمعنى يا انسان ، وقال سعيد بن جبير هو كذلك في لغة الحبشة ، وقال مالك عن زيد بن أسلم هو اسم من أسماء الله تعالى (والقرآن الحكيم) أي المحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (إنك) أي يا محمد (لمن المرسلين على صراط مستقيم) أي على منهج ودين قويم وشرع مستقيم (تنزيل العزيز الرحيم) أي هذا الصراط والمنهج والدين الذي جئت به تنزيل من رب العزة الرحيم بعباده المؤمنين كما قال تعالى [وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم] صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله نصير الأمور [وقوله تعالى (لننذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون) يعني بهم العرب فإنه ما أنتم من نذير من قبله وذكرهم وحدهم لا ينفي من عداهم كما أن ذكر بعض الأفراد لا ينفي العموم وقد تقدم ذكر الآيات والاحاديث المتواترة في عموم بعثته ﷺ عند قوله تعالى [قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعا] وقوله تعالى (لقد حق القول على أكثرهم) قال ابن جرير لقد وجب العذاب على أكثرهم بأن الله تعالى قد حنم عليهم في أم الكتاب أنهم لا يؤمنون (فهم لا يؤمنون) بالله ولا بصدقون رسوله

إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون (٨) وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشينهم فهم لا يبصرون (٩) وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون (١٠) إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر

ابن عباس رضي الله عنهما قسم وبروى عنه أن معناه يا انسان بلغة طيء يعني محمدا ﷺ وهو قول الحسن وسعيد بن جبير وجماعة وقال أبو العاتبة يارجل وقال أبو بكر الوراق بأسيد البشر (والقرآن الحكيم) إنك لمن المرسلين (قسم الله بالقرآن بأن محمدا ﷺ من المرسلين وهو رد على الكفار حيث قالوا لست مرسلا (على صراط مستقيم) وهو خبر بعد خبر أي إنك لمن المرسلين وإنك على صراط مستقيم وقبل معناه إنك لمن المرسلين الذين هم على صراط مستقيم (تنزيل العزيز الرحيم) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص تنزيل بنصب اللام كأنه قال نزل تنزيلا ، وقرأ الآخرون بالرفع أي هو تنزيل العزيز الرحيم (لننذر قوما ما أنذر آباؤهم) قبل هو ما النفي أي لم تنذر آباؤهم لأن قريشا لم يأنهم نبي قبل محمد ﷺ وقيل ما بمعنى الذي أي لننذر قوما بالذي أنذر آباؤهم (فهم غافلون) عن الإيمان والرشد (لقد حق القول) وجب العذاب (على أكثرهم فهم لا يؤمنون) هذا كقوله (ولكن حققت كلمة العذاب على الكافرين)

قوله تعالى (إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا) نزلت في أبي جهل وصاحبيه المخزوميين وذلك أن

كريم (١١) انا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدموا واثروهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين (١٢)
يقول تعالى انا جعلنا هؤلاء المحتوم عليهم بالشقاء نسبتهم إلى الوصول إلى الهدى كنسبة من جعل
في عنقه غل فجمع يديه مع عنقه تحت ذقنه فارتفع رأسه فصار مضمحا ولهذا قال تعالى (فهم مضمحون)
والمقمح هو الرافع رأسه كما قالت أم زرع في كلامها: واشرب قاقمصح أي اشرب فأروى وأرفع رأسي
نهنيثا وزويبا واكتفى بذكر الغل في العنق عن ذكر اليدين وإن كانا مرادتين كما قال الشاعر :

فما تدري اذا بعت أرضا أريد الخبر أيها بليني
الخبر الذي انا ابتغيه أم الشر الذي لا يأتيني

فالكتفى بذكر الخبر عن ذكر الشر لما دل الكلام واليباق عليه ، وهكذا هذا لما كان الغل إنما
يعرف فيما جمع اليدين مع العنق اكتفى بذكر العنق عن اليدين ، قال العوفي عن ابن عباس رضي الله
عنهما في قوله تعالى [انا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان فهم مضمحون] قال هو كقوله عز
وجل [ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك] يعني لذلك أن أيديهم معلقة إلى أعناقهم لا يستطيعون
أن يبسطوها بخير . وقال مجاهد [فهم مضمحون] قال راعى رؤوسهم وأيديهم موضوعة على
أفواههم فهم مغلولون عن كل خير

وقوله تعالى [وجعلنا من بين أيديهم سداً] قال مجاهد : عن الحق [ومن خلفهم سداً] قال

أباجيل كان قد حلف ابن راي محمداً بصلي ليرضخن رأسه بالحجر وهو بصلي فأناه يوماً وهو بصلي
ومعه حجر ليدمغه به فلما رفعه ثبتت يده إلى عنقه ولزق الحجر بيده فلما عاد إلى أصحابه وأخبرهم
بما رأى سقط الحجر فقال رجل من بني مخزوم أنا أقتله بهذا الحجر فأناه وهو بصلي ليرميه بالحجر فأعنى
الله تعالى بهصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع إلى أصحابه فلم يروه حتى نادوه فقالوا له ما صنعت ؟
فقال ما رأيته وقد سمعت صوته وحال يدي وبينه شيء كهيئة الفحل يخطر بذنبه لودنوت منه لاكتفى
فأنزل الله تعالى (انا جعلنا في أعناقهم أغلالا) قال أهل اللغة أي هذا على طريق المثل ولم يكن هناك غل
أراد منعناهم عن الإيمان بوانهم فجعل الاعلال مثلاً لذلك قل انهم معناه انا حبسناهم عن الاتفاق في
سبيل الله كموله تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك) معناه لا تمسكها عن العنق (فهي إلى الأذقان)
وهي كناية عن الايدي وان لم يجر لها ذكر لان الال يجمع اليد إلى العنق، معناه انا جعلنا في أيديهم
وأعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان (فهم مضمحون) والمقمح الذي رفع رأسه وغض بهصره يقال بهصر
قاصح اذا روي من الماء وقبح اذا رفع رأسه وغض بهصره قال الازهري أراد أن أيديهم لما علت إلى
أعناقهم رفعت الاعلال ذقلمهم ورؤوسهم فهم مرفوعو الرؤوس رفعت الاعلال إياها (وجعلنا من بين
أيديهم سداً ومن خلفهم سداً) قرأ حمزة والكسائي وحفص سداً بفتح السين رفراً الآخرون بضمها
(تفسير ابن كثير والبغوي) (١١) (الجزء السابع)

مجاهد : عن الحق فهم مترددون . وقال قتادة في الضلالات
وقوله تعالى [فأعشىناهم] أي أعشىنا أبصارهم عن الحق [فهم لا يبصرون] أي لا ينتفعون بخير
ولا يهتدون إليه ، قال ابن جرير : وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقرأ [فأعشىناهم]
بالعين المهملة من العشا وهو داء في العين ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : جعل الله تعالى هذا السد
بينهم وبين الإسلام والايان فهم لا يخلصون إليه وقرأ [ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون
ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم] ثم قال : من منعه الله تعالى لا يستطيع . وقال عكرمة قال
أبو جهل لئن رأيت محمداً لا فعلن ولا تفعلن فألزات [إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً - إلى قوله - فهم
لا يبصرون] قال وكانوا يقولون هذا محمد فيقول أين هو أين هو ؟ لا يبصرون رواه ابن جرير
وقال محمد بن إسحاق حدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب قال قال أبو جهل وهم جلوس ان
محمداً يزعم انكم ان تابعتموه كنتم ملوكاً فاذا متم بعنتم بعد موتكم وكانت لكم جنان خير من جنان
الأردن ، وانكم ان خالفتموه كان لكم منه ذبحتم بعنتم بعد موتكم وكانت لكم نار تعذبون بها وخرج
عليهم رسول الله ﷺ عند ذلك وفي يده حفنة من تراب وقد أخذ الله تعالى على أعينهم دونه فجعل
يذرها على رؤسهم وقرأ (يس * والقرآن الحكيم - حتى انتهى الى قوله تعالى - وجعلنا من بين
أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشىناهم فهم لا يبصرون) وانطلق رسول الله ﷺ لحاجته وباتوا رصداً
على بابه حتى خرج عليهم بعد ذلك خارج من الدار فقال مالك ؟ قالوا ننظر محمداً قال قد خرج عليكم
فما بقي منكم من رجل إلا وضع على رأسه تراباً ثم ذهب لحاجته ، فجعل كل رجل منهم ينفذ ما على
رأسه من التراب . قال وقد بلغ النبي صلى الله عليه وسلم قول أبي جهل فقال هـ وأنا أقول ذلك ان
لهم مني لذبحاً وانه لا أخذهم ،

وقوله تبارك وتعالى ١ وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون (أي قد ختم الله عليهم
بالضلالة فما يفيد فيهم الانذار ولا يتأثرون به ، وقد تقدم نظيرها في أول سورة البقرة وكما قال تبارك
وتعالى (ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم * انما
تنذر من اتبع الذكر) أي انما ينتفع بالانذار المؤمنون الذين يتبعون الذكر وهو القرآن العظيم وخشي
الرحمن بالغيب (أي حيث لا يراه أحد إلا الله تبارك وتعالى يعلم ان الله ساطع عليه وعالم بما يعمل
(فيشره بمغفرة) أي لذنوبه (وأجر كريم) أي كثير واسع حسن جميل كما قال تبارك وتعالى ١ ان
الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير)

(فأعشىناهم) فأعمىناهم من النغشية وهي التغطية (فهم لا يبصرون) سبيل الهدى (وسواء عليهم
أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون * انما تنذر من اتبع الذكر) يعني انما ينتفع بالانذار من اتبع الذكر
يعني القرآن فعلم بما فيه (وخشي الرحمن بالغيب فيشره بمغفرة وأجر كريم) حسن وهو الجنة

ثم قال عز وجل (إنا نحن نحيي الموتى) أي يوم القيامة ، وفيه إشارة إلى أن الله تعالى يحيي قلب من يشاء من الكفار الذين قد ماتت قلوبهم بالضلالة فهميهم بعد ذلك إلى الحق كما قال تعالى بعد ذكر قسوة القلوب (اعلموا أن الله يحيي الارض بعد موتها ، قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون)

وقوله تعالى (ونكتب ما قدموا) أي من الاعمال ، وفي قوله تعالى [وآثارهم] قولان (أحدهما) نكتب أعمالهم التي يثروها بأنفسهم وآثارهم التي أثروها من بعدهم فنجزهم على ذلك أيضا إن خيرا فخير وإن شرا فشر كقوله ﷺ « من سن في الاسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء » ورواه مسلم من رواية شعبة عن عون ابن أبي جحيفة عن المنذر بن جرير عن أبيه جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه ، وفيه قصة مجتبي الثمار المضربين ، ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن يحيى بن سليمان الجعفي عن أبي الهيثم يحيى بن يعلى عن عبد الملك ابن عمير عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه فذكر الحديث بطوله ثم تلا هذه الآية (ونكتب ما قدموا وآثارهم) وقد رواه مسلم من رواية أبي عوانة عن عبد الملك بن عمير بن المنذر بن جرير عن أبيه فذكره ، وهكذا الحديث الآخر الذي في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : من علم يتفهم به ، أو ولد صالح يدعو له أو صدقة جارية من بعده » وقال سفيان الثوري عن أبي سعيد رضي الله عنه قال سمعت مجاهداً يقول في قوله تعالى (إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم) قال ما أوردوا من الضلالة

وقال ابن أبي عمير عن عطاء بن دينار عن سعيد بن حبيب في قوله تعالى (ونكتب ما قدموا وآثارهم) يعني ما أروا يقول ماسنوا من سنة فعمل بها قوم من بعد موتهم فإن كانت خيرا فاهم مثل أجورهم لا ينقص من أجر من عمل به شيئا ، وإن كانت شرا فاهم مثل أوزارهم ولا ينقص من أوزار من عمل بها شيئا ذكرهما ابن أبي حاتم ، وهذا القول هو اختيار البغوي

(وأقول الثاني) ان المراد بذلك آثار خطاهم إلى الطاعة أو المعصية ، قال ابن أبي نجيع وغيره عن مجاهد (ما قدموا) أعمالهم (وآثارهم) قال خطاهم بأرجلهم ، وكذا قال الحسن وقتادة (وآثارهم) يعني

(إنا نحن نحيي الموتى) عند البعث (ونكتب ما قدموا) من الاعمال من خير وشر (وآثارهم) أي ماسنوا من سنة حسنة أو سيئة قال النبي ﷺ « من سن في الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء » وقال قوم قوله (ونكتب ما قدموا وآثارهم) أي خطاهم إلى المسجد روي عن أبي سعيد الخدري قال شكت بنو سلمة بعد منازلهم من المسجد فانزل الله تعالى (ونكتب ما قدموا وآثارهم)

خطاهم . وقال قتادة لو كان الله عز وجل مغفلاً شبتنا من شأرك يا ابن آدم اغفل ما تعفى الرياح من هذه الآثار ولكن أحصى على ابن آدم ثره وعمله كله حتى أحصى هذا الأثر فيما هو من طاعة الله تعالى أو من معصيته ، فمن استطاع منكم أن يكتب ثره في طاعة الله تعالى فليفعل

وقد وردت في هذا المعنى أحاديث (الحديث الأول) قال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا أبي حدثنا الجريري عن أبي نضرة عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قلت ليلقاء حول المسجد فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لهم «انه بلغني انكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد» قالوا نعم يا رسول الله قد اردنا ذلك فقال ﷺ «يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم دياركم تكتب آثاركم» وهكذا رواه مسلم من حديث سعيد الجريري وكمش بن الحسن كلاهما عن أبي نضرة واسمه المنذر بن مالك بن قطعة العبدي عن جابر رضي الله عنه به

(الحديث الثاني) قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن الواسطي حدثنا إسحاق الأزرق عن سفیان الثوري عن أبي سفيان عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال كانت بنو سلمة في ناحية من المدينة فأرادوا أن ينتقلوا إلى قريب من المسجد فنزلت [إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثرهم] فقال لهم النبي ﷺ «إرآثركم تكتب» فلم ينتقلوا ، تفرد باخراجه الترمذي عند تفسير هذه الآية الكريمة عن محمد بن الوزير به ثم قال حسن غريب من حديث الثوري ، ورواه ابن جرير عن سليمان بن عمر بن خالد الرقي عن ابن المبارك عن سفیان الثوري عن طريف - وهو ابن شهاب أو سفیان السعدي - عن أبي نضرة به

وقد روي من غير طريق الثوري فقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عباد بن زياد الساجي حدثنا عثمان بن عمر حدثنا شعبة عن سعيد الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : ان بني سلمة شكوا إلى رسول الله ﷺ بعد منازلهم من المسجد فنزلت [ونكتب ما قدموا وآثرهم] فأقاموا في مكانهم ، وحدثنا محمد بن المنثري حدثنا عبد الأعلى حدثنا الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ بنحوه وفيه غرابة من حيث ذكر نزول هذه الآية والورد كما في الآية فأنه أعلم (الحديث الثالث) قال ابن جرير حدثنا نصر بن علي الجهضمي حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح حدثنا أبو سعيد محمد بن عيسى الصيرفي حدثنا أبو العباس الأصم حدثنا محمد بن هشام بن ملاس النخعي حدثنا مروان الفزاري حدثنا حميد عن أنس رضي الله عنه قال : أرادت بنو سلمة أن ينتقلوا إلى قرب المسجد فذكره رسول الله ﷺ أن تعري المدينة فقال «يا بني سلمة ألا تحسبون آثاركم» فأقاموا

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا محمد بن العلاء حدثنا أبو أسامة عن يزيد بن عبد الله عن أبي بردة عن أبي موسى قال : قال

إسرائيل عن سمالك عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت منازل الانصار متباعدة من المسجد فأرادوا أن ينتقلوا إلى المسجد فنزلت [ونكتب ما قدموا وآثارهم] فقلوا ثبت مكاننا ، هكذا رواه وليس فيه شيء مرفوع

ورواه الطبراني عن عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم عن محمد بن يوسف الفرياني عن إسرائيل عن سمالك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت الانصار بعيدة منازلهم من المسجد فأرادوا أن يتحولوا إلى المسجد فنزلت [ونكتب ما قدموا وآثارهم] فثبتوا في منازلهم

(الحديث الرابع) قال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثني حبيبي بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال توفي رجل بالمدينة ف صلى عليه النبي ﷺ وقال « يا ليت مات في غير مولده » فقال رجل من الناس ولم يارسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ « إن الرجل إذا توفي في غير مولده قيس له من مولده إلى منقطع أثره في الجنة » ورواه النسائي عن يونس بن عبد الأعلى وابن ماجه عن جرمة كلاهما عن ابن وهب عن حبيبي بن عبد الله به

وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا أبو تيمية حدثنا الحسين عن ثابت قال مشيت مع أنس رضي الله عنه فأسرعت المشي فأخذ بيدي فمشينا رويدا فلما قضينا الصلاة قال أنس مشيت مع زيد ابن ثابت فأسرعت المشي فقال يا أنس أما شعرت أن الآثار نكتب ؟ وهذا القول لاتنافي بينه وبين الاول بل في هذا تنبيه ودلالة على ذلك بطريق الاولى والاحرى فانه إذا كانت هذه الآثار نكتب فلأن نكتب تلك انني فيها قدوة بهم من خير أو شر بطريق الاولى والله أعلم

وقوله تعالى [وكل شيء أحصيناه في إمام مبين] أي وجميع الكائنات مكتوب في كتاب مسطور مضبوط في لوح محفوظ ، والامام المبين ههنا هو أم الكتاب قاله مجاهد وقتادة وعبد الرحمن بن زيد ابن أسلم ، وكذا في قوله تعالى (يوم ندعو كل أناس بإمامهم) أي بكتاب أعمالهم الشاهد عليهم بما عملوه من خير أو شر كقول عز وجل (ووضع الكتاب وجي بالنبيين والشهداء) وقال تعالى (ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلمون أحد)

واضرب لهم مثلا أصحاب القرية اذ جاءها المرسلون (١٣) اذ أرسلنا اليهم اثنين

النبي ﷺ « أعظم الناس أجرا في الصلاة أبعدهم فابعدهم ممشى ، والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الامام أعظم أجرا من الذي يصلي ثم ينام »

قوله تعالى [وكل شيء أحصيناه] حفظناه وعددناه وبيناه (في إمام مبين) وهو اللوح المحفوظ قوله عز وجل (واضرب لهم مثلا أصحاب القرية) يعني اذكر لهم شيئا مثل حالهم من قسوة

فكذبوها فمزنا بثلاث فتالوا إنا إليكم مرسلون (١٤) فلوا ما أنتم إلا بشر مشناوما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون (١٥) قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون (١٦) وما علينا إلا البلغ المبين (١٧)

يقول تعالى واضرب يا محمد أقومك الذين كذبوك (مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون) قال ابن إسحاق فيما بلغه عن ابن عباس رضي الله عنهما وكعب الأحبار وهو بن منبه أنها مدينة أنطاكية وكان بها ملك يقال له أنطيوخس بن أنطيوخس وكان يعبد الأصنام فبعث الله تعالى إليه ثلاثة من الرسل وهم صادق وصديق وشلوم فكذبهم ، وهكذا روي عن بريدة بن الحبيب وعكرمة وقتادة وزهري أنها أنطاكية ، وقد استشكل بعض الأئمة كونها أنطاكية عما سلكه بعد تمام القصة إن شاء الله تعالى

أصحاب القرية وهي أنطاكية (إذ جاءها المرسلون) يعني رسل عيسى عليه السلام قال العلماء بأخبار الأنبياء بعث عيسى رسولين من الحواريين إلى أهل مدينة أنطاكية فلما قربا من المدينة وأيا شيعنا برعى غنمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسلما عليه فقال الشيخ لهما من أنتم فقالا رسول عيسى ندعوك من عبادة لاوثان إلى عبادة الرحمن فقال أمعكما آية فلا نعم نحن نشفي المرضى ونبري الأكمه والابرص باذن الله فقال الشيخ ان لي ابنا مريضا منذ سنتين قال فانطلق بنا نطعم على حاله فأتى بهما إلى منزله فمسحا ابنه فقام في لوقت باذن الله صحيحا فمسحا الخبر في المدينة وشفى الله تعالى على أيديهما كثيرا من المرضى ، وكان لهم ملك قال وهب وكان اسمه أنطيوخس وكان من ملوك الروم يعبد الأصنام قالوا فأنهى الخبر إليه فدعاهما فقال من أنتم قالا رسولا عيسى قال وفيهم جنهما فلا ندعوك من عبادة مالا يسمع ولا يبصر إلى عبادة من يسمع ويبصر فقال لهما أئنا اله دون الهتنا فلا نعم من أوجدك وآلمتك قال قوما حتى أنظر في أمركما فنتبعهما الناس فاخذا رهما وضربهما في السوق ، قال وهب بعث عيسى هذين الرجلين إلى أنطاكية فأتياها لم يصلا إلى ملكها وطال مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكر الله فغضب الملك وأمر بهما فحبسا وجلد كل واحد منهما مائتي جلدة قالوا فلما كذب الرسولان وضربا بعث عيسى رأس الحواريين شمعون الصغار على أثرهما لنصرهما فدخل شمعون البلد متنكرا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى انسوا به فرفعوا خبره إلى الملك فدعاه فرضي عشرته وأنس به وأكرمه ، ثم إنه قال له ذات يوم أيها الملك بلغني أنك حبست رجلين في السجن وضرتهما حين دعواك إلى غير دينك فويل كلفتهما وسمعت قولهما فقال الملك حال الغضب بيدي وبين ذلك . قال فان رأى الملك دعاهما حتى نطلم على ما عندهما فدعاهما الملك فقال لهما شمعون من أرسلكما إلى ههنا ؟ فلا الله

وقوله تعالى (إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما) أي بادروهما بالنكذب (فعزنا بثالث) أي قويناهما وشددنا أزرهما برسول ثالث . قال ابن جريج عن وهب بن سليمان عن شعب الجبابي قال كان اسم الرسولين الأولين شمعون ويوحنا واسم الثالث يواصم والقريّة انطاكية (فقالوا) أي لأهل تلك القريّة (إنا إليكم مرسلون) أي من ربكم الذي خلقكم بأمركم بهيادته وحده لا شريك له ، قاله أبو العالية

الذي خلق كل شيء ، وليس له شريك . فقال لهما شمعون فصفاه وأوجزا فقالا انه يفعل ما يشاء وبحكم ما يريد . فقال شمعون وما آيتكما ؟ قال ما نتمناه فأمر الملك حتى جاوا بفلام معلوموس العينين وموضع عينيه كالجهة فمازالا يدعوان ربهما حتى انشق موضع البصر فأخذا بندقتين من الطين فوضعاها في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فتهجب الملك فقال شمعون الملك إن أنت سألت آلهتك حتى تصنع صنيعا مثل هذا فيكون لك الشرف ولا آلهتك . فقال الملك ليس لي عنك سر إن إلهنا الذي نعبد لا يسمع ولا يبصر ولا يضرب ولا ينفخ ، وكان شمعون إذا دخل الملك على الصبح يدخل بدخوله ويصلي كثيرا ويتضرع حتى ظنوا أنه على ملتهم فقال الملك المرسلين إن قدر إلهكم الذي نعبدانه على إحياء ميت آتياه وبكافلا إلهنا قادر على كل شيء ، فقال الملك إن ههنا ميتا مات منذ سبعة أيام إن لدعمان وأنا آخرته فلم أدفنه حتى يرجع أبوه وكان غائبا فجاءوا بالميت وقد تغير وأروح فجعلوا يدعوان ربهما علانية وجعل شمعون يدعو ربه سرا فقام الميت وقال : أني قد مت منذ سبعة أيام ووجدت مشركا فأدخلت في سبعة أودية من النار وأنا أحدكم ما أنتم فيه فآمنوا بالله ثم قال فتحت لي أبواب السماء فنظرت فرأيت شابا حسن الوجه يشتم هؤلاء الثلاثة قاذي الملك ومن الثلاثة ؟ قال شمعون وهذان وأشار إلى صاحبيه فتمعجب الملك لما علم فقاما علم شمعون أن قوله أثر في الملك أخبره بالمال ودعاه إلى الاسلام فأمن الملك وأمر قوم كثير وكفر آخرون ، قال إن ابنا لملك كانت قد توفيت ودفنت فقال شمعون املك طلب من هذين الرجلين أرجحيا ابنتك فطلب منهما الملك ذلك فقاما وصليا ودعوا وشمعون معها في السر فأحيا الله المرأة وانشق القبر عنها فخرحت وقالت اسلموا فأنهما صادقان قالت ولا أنظركم تسلمون ثم طلبت من الرسولين أن يرداها إلى مكانها فذرا ترابا على رأسها وعادت إلى قبرها وكانت . وقال ابن إسحاق عن كعب ودهب لى كفر الملك وأجمعهم وقومه على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيبا وهو على باب المدينة لافصى فجاء بهي إليهم يذكرهم ويدعوهم إلى طاعة المرسلين فذهبت قوتهم تعالى (إذ أرسلنا إليهم اثنين) وقال دهب اسمها يوحنا ويواصم (فكذبوهما فعزنا) يعني قويناهما (بثالث) برسول ثالث وهو شمعون ، وقرا أبو بكر عن عاصم فعزنا بالتخفيف وهو بمعنى الاول كفولك شددنا وشددنا بالتخفيف وتنقيل ، وقيل أي فقلناهم من قولهم من عزيز ، وقال كعب الرسولان صادق وصدوق والثالث سلوم وإنما أضاف الله الارسال اليه لان عيسى إنما بعثهم بأمره تعالى (فقالوا) جميعا لأهل انطاكية (إنا إليكم مرسلون) قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما

وزعم قتادة بن دعامة أنهم كانوا رسل المسيح عليه السلام إلى أهل انطاكية (قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا) أي فكيف أوحى إليكم وأنتم بشر ونحن بشر فلم إلا أوحى إلينا مثلكم ولو كنتم رسلا لكنتم ملائكة وهذه شبهة كثير من الأمم المكذبة كما أخبر الله تعالى عنهم في قوله عز وجل: ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهودنا ؟ (أي استعجبوا من ذلك وأنكروه ، وقوله تعالى (قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدرونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين) وقوله تعالى حكاية عنهم في قوله جل وعلا (ولئن أطعتم بشرأ مثلكم أنكم إذا الخاسرون) وقوله تعالى (وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا ؟) ولهذا قال هؤلاء: (ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون * قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون) أي أجابهم رسلهم الثلاثة فأتوا الله يعلم أن رساله إليكم ولو كنا كذبة عليه لا تنقم منا أشد الانتقام ، لكنه سيعزنا وينصرنا عليكم وستعلمون لمن تكون عاقبة الدار كقوله تعالى (قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات وما في الأرض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله ولئك هم الخاسرون [وما علينا إلا البلاغ المبين] يقولون إنما علينا أن نبليكم ما أرسلنا به إليكم فإذا أطعتم كانت لكم السعادة في الدنيا والآخرة وإن لم تحيوا فستعلمون غيب ذلك والله أعلم

قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجنكم وليمسنكم بنا عذاب أليم (١٨) قالوا طئركم معكم أن ذكركم بل أنتم قوم مسرفون (١٩)

فعند ذلك قال لهم أهل القرية [انا تطيرنا بكم] أي لم نر على وجوهكم خيرا في عيشنا. وقال قتادة يقولون ان أصابنا شر فأنما هو من أجلكم . وقال مجاهد يقولون لم يدخل مثلكم إلى قرية إلا عذب أهلها [لئن لم تنتهوا لنرجنكم] قال قتادة بالحجارة ، وقال مجاهد بالشتم [ولیمسنكم بنا عذاب أليم] أي عقوبة شديدة ، فقالت لهم رسلهم [طائركم معكم] أي مردود عليكم كقوله تعالى في قوم فرعون [فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بها] ومن معه ألا إنما طائركم عند الله [وقال قوم صالح] اطيرونا بك وعن معك قال طائركم عند الله [وقال قتادة] ووهب بن منبه أي اعمالكم معكم . وقال عز وجل : وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك ، قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ؟

أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون * ما أنتم إلا كاذبون فيما تزعمون (قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون وما علينا إلا البلاغ المبين * قالوا انا تطيرنا بكم * نشاء منا بكم وذلك أن المطر حبس عنهم حين قدم الرسل عليهم فقالوا أصابنا هذا بشؤمكم * لئن لم تنتهوا لنرجنكم * لنقتلنكم وقال قتادة بالحجارة * ولیمسنكم بنا عذاب أليم * قالوا طائركم معكم * يعني شؤمكم معكم بكفركم وتكذيبكم يعني أصابكم

وقوله تعالى (أنذرناكم بل أنتم قوم مسرفون) أي من أجل أننا ذكرناكم بأمرناكم بتوحيد الله وإخلاص العبادة له فابلتمونا بهذا الكلام وتوعدتمونا وتهددتمونا بل أنتم قوم مسرفون . وقال قتادة أي أن ذكرناكم بالله تطيرتم منا بل أنتم قوم مسرفون

وجاء من أقصا المدينة رجل يسمى قال يقوم اتبعوا المرسلين (٢٠) اتبعوا من لا يستلكم أجراً وهم مهتدون (٢١) ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون (٢٢) أتأخذ من دونه آلهة؟ إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفعتهم شيئا ولا يُنقذون (٢٣) إني إذا لفي ضلال مبين (٢٤) إني آمنت بربكم فاسمعون (٢٥)

قال ابن اسحاق فيما بلغه عن ابن عباس رضي الله عنهما وكتب الاحبار وذهب بن سبه ان اهل القرية هموا بقتل رسلهم فجاءهم رجل من أقصى المدينة يسمى اي لينصرهم من قومه قالوا وهو حبيب وكان يعمل الحرير وهو الحباك وكان رجلا سقيما قد أسرع فيه الجذام وكان كثير الصدقة يتصدق بنصف كسبه مستقيم الفطرة (١).

(١) في المسكية النظرة

وقال ابن اسحاق عن رجل مما عن الحسن عن مقسم أو عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اسم صاحب بس حبيب وكان الجذام قد أسرع فيه . وقال الثوري عن عاصم الاحول عن أبي مجلز قال اسمه حبيب بن مري وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اسم صاحب بس حبيب النجار فقتله قومه وقال السدي كان قصاراً وقال عمر بن الحكيك كان اسكفا وقال قتادة كان يتعمد في غار هناك (قال يا قوم اتبعوا المرسلين) يحض قومه على اتباع الرسل الذين أتوهم (اتبعوا من لا يسألكم أجراً) أي على الملاغ الرسالة وهم مهتدون (فلما بدعواكم اليهم من عبادة

الشؤم عن قبلكم . وقال ابن عباس وصحاحك حظكم من الخير والشر) أن ذكرتم يعني وعظم بالله وهذا استفهام محذوف الجواب ان ذكرتم وعظم الله طرتم بئساء وقرأ أبو جعفر (أن) فتجهمزة النافية ذكرتم بالتخفيف (بل أنتم قوم مسرفون) مشركون مجاوزون الحد . قوله عن رجل (وجاء من أقصى المدينة رجل يسمى) وهو حبيب النجار وقال السدي كان قصاراً أو قال وذهب كان رجلاً يعمل الحرير وكان سقيماً قد أسرع فيه الجذام وكان منزله عند أقصى باب من أبواب المدينة وكان مؤمناً ذا صدقة يجمع كسبه اذا أمسى فيقسمه نصفين فيطعم نصفاً أهله ويتصدق بنصفه فلما بلغه ان قومه قد قصدوا قتل الرسل جاءهم (قال يا قوم اتبعوا المرسلين * اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون) قال قتادة كان حبيب في غار بعد الله فلما بلغه خبر الرسل أتاهم فظهر دينه فلما انتهى حبيب إلى الرسل قال لهم نسألون على هذا أجراً قالوا لا فاقبل على قومه فقال (يا قوم اتبعوا المرسلين) (تفسير ابن كثير والبغوي) (١٢) (الجزء السابع)

الله وحده لا شريك له (وما لي لا أعبد الذي فطرني) أي وما يمنعني من إخلاص العبادة للذي خلقني وحده لا شريك له (واليه ترجعون) أي يوم الميعاد فيجازيكم على أعمالكم إن خيراً فخير وإن شراً فشر (أنأخذ من دونه آية) استفهام انكار توبيخ وتوبيخ ان يردني الرحمن بضر لا تنفني عنهم شيئاً ولا ينقذون (أي هذه الآلة التي تعبدونها من دونه لا يمكن أن يكون من الأمر شيئاً فإن الله تعالى لو أرادني بسوء (فلا كشف له إلا هو) وهذه الأصنام لا يمكن أن تكون ذات ولا منعة ولا ينقذونني مما أنا فيه (إني إذا فني ضلال مبين) أي ان أنأخذها آية من دون الله

وقوله تعالى (إني آمنت بربكم فاسمعون) قال ابن اسحاق فيما بلغه عن ابن عباس رضي الله عنهما وكعب ووهب يقول لقومه (إني آمنت بربكم الذي كفرتم به فاسمعون أي فاسمعوا قل لي بمحتمل أن يكون خطابه للرسول بقوله (إني آمنت بربكم) أي الذي أرسلكم فاسمعون أي فاشهد لي بذلك عنده وقد حكاه ابن جرير فقال وقال آخرون بل خاطب بذلك لرسول وقال لهم اسمعوا قل لي لشهدوا لي بما أقول لكم عند ربي إني آمنت بربكم واتبعتكم وهذا القول الذي حكاه عن هؤلاء أظهر في المعنى والله أعلم قال ابن اسحاق فيما بلغه عن ابن عباس رضي الله عنهما وكعب ووهب رضي الله عنهم فلما قال ذلك وثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه ولم يكن له أحد ينصه عنه ، وقار قنادة جعلوا يرجونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهدنومي فانهم لا يعلمون فلم ير ألوا به حتى أقصوه وهو يقول كذلك فقتلوه رحمه الله

قيل ادخل الجنة قال يلبث قومي يعلمون (٢٦) بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين

اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم ممتدنون (فلما قال ذلك قتلوا الله وأولئك مختلف الدين وقاتلهم دين هؤلاء الرسل ومؤمن بالله فقال (وما لي لا أعبد الذي فطرني واليه ترجعون) قرأ حمزة وبمقبول سأل أسكن الياء والآخرون بفتحها قبل أضاف الفطرة إلى نفسه والرجوع إليهم لأن الفطرة أمر النعمة وكانت عليه أظهر وفي الرجوع معنى الزجر وكان بهم ألبق وقيل أنهم لما قال (اتبعوا المرسلين) أخذوه فرفعوه إلى الملك فقال له الملك أفانت تدعيهم فقال (وما لي لا أعبد الذي فطرني) يعني وألوا شيء لي إذا لم أعبد خالقي (واليه ترجعون) تردون عند البعث فيجازيكم بأعمالكم (أنأخذ من دونه آية) استفهام بمعنى الانكار أي لا أنأخذ من دونه آية (إن يردن الرحمن بضر) بسوء ومكره (لا تنفني عنهم عني) لا تدفع عني (شفاعتهم شيئاً) أي لا شفاعة لها أصلاً فتعني (ولا ينقذون) من ذلك المكره وقيل لا ينقذون من العذاب لو عذني الله ان فعلت ذلك (إني إذا فني ضلال مبين) خطأ ظاهر (إني آمنت بربكم فاسمعون) يعني فاسمعوا مني ، فلما قال ذلك وثب القوم عليه وثبة رجل واحد فقتلوه قال ابن مسعود وطؤ بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره قال السدي كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومي حتى قطعوه وقتلوه. وقال الحسن خرقوا خرقاً في حلقه فعلقوه بسور من سور المدينة وقبره بانطاكية فادخله الله الجنة وهو حي فيها يرزق فذلك قوله (قيل ادخل الجنة) فلما أفنى

(٢٧) وما أنزلنا على قومه من بعد من جند من السماء وما كذبنا من أن كانت إلا

صيحة واحدة فإذا هم خامدون (٢٨)

قال محمد بن اسحاق عن بعض أصحابه عن ابن مسعود رضي الله عنه أنهم وطئوه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره وقال الله له ادخل الجنة فدخلها فهو يرزق فيها قد أذهب الله عنه سقم الدنيا وحزنها ونصها وقال مجاهد قيل لحبيب النجار ادخل الجنة وذلك أنه قتل فوجبت له فلما رأى الثواب (قال) يا ليت قومي يعلمون قال قتادة لا يلقى المؤمن إلا ناصحا لا تافاه غاشا. لمساعين ماعان من كرامة الله تعالى (قال) يا ليت قومي يعلمون بما غفرت لي ربي وجعلني من المكرمين (تمنى والله أن يعلم قومه بما عان من كرامة الله وما هجم عليه، وقال ابن عباس صح قومه في حياته بقوله (يا قوم اتبعوا المرسلين) وبعد مماته في قوله (يا ليت قومي يعلمون بما غفرت لي ربي وجعلني من المكرمين) رواه ابن أبي حاتم وقال سفيان الثوري عن عاصم الأحول عن أبي مجلز (يا غفرت لي ربي وجعلني من المكرمين) [يا أيها بري وتصديق المرسلين ومقصده أنهم لو اطاعوا على ما حصل لي من هذا الثواب والجزاء والنعيم المفهم لغادهم ذلك إلى اتباع الرسل فرحمه الله ورضي عنه فلقد كان حريصا على هداية قومه

قل ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عبيد الله حدثنا ابن جابر هو محمد عن عبد الملك يعني ابن عمر قال قال عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه لذي عليه السلام يعني النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (إني أخف أن يقتلوك) فقال لو وجدوني نائما ما أيقظوني فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (نطق) فانطلق فمر على اللات والعزى فقال لأصبحنك غدا بما يسؤك فغضبت ثقيف فقال بأعشر ثقيف إن اللات لالات وإن العزى لاعزى أسلموا أسلموا أيامعشر الاحلاف إن العزى لاعزى وإن اللات لالات أسلموا أسلموا قال ذلك ثلاث مرات فرماه رجل فأصاب أكله فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال « هذا مثله كمثل صاحب يس » [قال يا ليت قومي يعلمون بما غفرت لي ربي وجعلني من المكرمين]

وقال محمد بن اسحاق عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم أنه حدث عن كعب الاحبار أنه ذكر له حبيب بن زيد بن عاصم أخه بني مازن بن النجار الذي كان مسيلمة الكذاب قطعه باليامة حين جعل يسأله عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجعل يقول له أتشهد أن محمدا رسول الله؟ فيقول نعم ثم يقول أتشهد أني رسول الله فيقول لا أسمع فيقول له مسيلمة لعنه الله أنسمع هذا ولا تسمع ذلك فيقول نعم فجعل يقطعه عضوا عضوا كلما سأله لم يزد على ذلك حتى مات في يديه فقال كعب حين قيل له اسمه حبيب وكان والله صاحب يس اسمه حبيب

إلى الجنة (قال يا ليت قومي يعلمون بما غفرت لي ربي) يعني يغفران ربي لي (وجعلني من المكرمين)

وقوله تبارك وتعالى (وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء) ما كنا منزلين (بخبر تعالى أنه انتقم من قومه بعد قتلهم إياها غضبا منه تبرك وتعالى عليهم لأنهم كذبوا رسله وقتلوا وليه ويذكر عز وجل أنه ما أنزل عليهم وما احتاج في إهلاكه إياهم إلى أنزال جند من الملائكة عليهم بل الأمر كان أبسر من ذلك . قاله ابن مسعود فيما رواه ابن إسحاق عن بعض أصحابه أنه قال في قوله تعالى (وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء) ما كنا منزلين أي ما كنا نأمر بالجموع الأمر كان أبسر علينا من ذلك (إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون) قال فأهلك الله تعالى ذلك الملك وأهلك أهل انطاكية فبادوا عن وجه الأرض فلم يبق منهم أقية ، وقيل (وما كنا منزلين) أي وما كنا ننزل الملائكة على الأمم إذا أهلكتناهم بل نبعث عليهم عذابي يدمرهم ، وقيل المعنى في قوله تعالى (وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء) أي من رسالة أخرى إليهم قاله مجاهد وقناة قال قناة فلا والله ما عاتب الله قومه بعد قتله إياهم كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون (قال ابن جرير ولا دل أصح لأن الرسالة لا تسمى جندا . قال المفسرون بعث الله تعالى إليهم جبريل عليه الصلاة والسلام فأخذ بعضادني باب بلدهم ثم صاح بهم صيحة واحدة فإذا هم خامدون عن آخرهم لم أبق فيهم روح تتردد في جسد ، وقد تقدم عن كثير من سلف أن هذه القرية هي انطاكية ، وأن هؤلاء الثلاثة كانوا رسلا من عند المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام كمنص عليه قناة وغيره وهو الذي لم يذكر عن واحد من سائر المفسرين غيره ، وفي ذلك نظر من وجوه أحدها (أن ظاهر القصة يدل على أن هؤلاء كانوا رسل الله عز وجل لأنهم بعثه المسيح عليه السلام كما قال تعالى (إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فهزنا ثالثا فقالوا إنا إليكم مرسلون — إلى أن قلوا — ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون وما علينا إلا البلاغ المبين) ولو كان هؤلاء من الحوارين لقالوا عبارة تناسب أنهم من عند المسيح عليه السلام والله تعالى أعلم ، ثم لو كانوا رسل المسيح لما قالوا لهم (إن أنتم إلا أشركائنا) (الثاني) أن أهل انطاكية آمنوا برسل المسيح إليهم وكانوا أول مدينة آمنت بالمسيح ولهذا كانت عند الصاري إحدى المدن الأربع التي فيها تذكركم . وهن القدس لأنها بلد المسيح وانطاكية

تمنى أن يعلم قومه أن الله غفر له وأكرمه ليرغبوا في دين الرسل . فلما قتل حبيب غضب الله وعجل لهم النعمة فامر جبريل فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم فذلك قوله (وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء) يعني الملائكة (وما كنا منزلين) وما كنا نفعل هذا بل الأمر في إهلاكهم كان أبسر مما يظنون وقيل بعناء (وما أنزلنا على قومه من بعده) أي على قوم حبيب من بعد قتله من جند (وما كنا منزلين) أنزلهم على الأمم إذا أهلكتناهم كالطوفان والصاعقة والريح ثم بين عقوبتهم فقال تعالى (إن كانت إلا صيحة واحدة) وقرأ أبو جعفر صيحة واحدة بالرفع جعل السكون معنى الوقوع ، قال المفسرون أخذ جبريل بعضادني باب المدينة ثم صاح بهم صيحة واحدة

لانها أول بلدة آمنت بالمسيح عن آخر أهلها، والاسكندرية لان فيها اصطالحوا على اتخاذ ابتزازة والمطارنة والاساقفة والقساوسة والشمامسة والراهبين ، ثم رومية لانها مدينة الملك قسطنطين الذي نصر دينهم وأطده، ولما ابنتي القسطنطينية نقلوا البئر من رومية اليها كما ذكره غير واحد من ذكر توار يخهم كسعيد بن بطريق وغيره من أهل الكتاب والمسلمين ، فاذا تقرر أن انطاكية أول مدينة آمنت فأهل هذه القرية ذكر الله تعالى أنهم كذبوا رسله وانه أهلكهم بصيحة واحدة أخذتهم والله أعلم

(الثالث) أن قصة انطاكية مع الخواريين أصحاب المسيح بعد نزول التوراة ، وقد ذكر أو سعيد الحدرى رضي الله عنه وغير واحد من السلف ان الله تبارك وتعالى بعد انزاله التوراة لم يهلك أمة من الامم عن آخرهم بعذاب يبعثه عليهم بل أمر المؤمنين بعد ذلك بقتال المشركين ، ذكره عند قوله تبارك وتعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى) فعلى هذا يتعين أن هذه القرية المذكورة في القرآن قرية أخرى غير انطاكية كما أطلق ذلك غير واحد من الساف أيضا، أو تكون انطاكية ان كان لفظها محفوظا في هذه القصة مدينة أخرى غير هذه المشهورة المعروفة فان هذه لم يعرف أنها أهلكت لا في الملة النصرانية ولا قبل ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم فأما الحديث الذي رواه الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا الحسين بن إسحاق التستري حدثنا الحسين بن أبي السري العسقلاني حدثنا حسين الأشقر حدثنا ابن عيينه عن ابن أبي مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال « السابق ثلاثا » . فالسابق الى موسى عليه الصلاة والسلام يوشع بن نون ، والسابق الى عيسى عليه الصلاة والسلام صاحب بس ، والسابق الى محمد ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه « فانه حديث منكر لا يعرف إلا من طريق حسين الأشقر وهو شيعي مبروك والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

يَحْسِرَةُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (٣٠) أَلَمْ يَرَوْا كَمْ

أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ (٣١) وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٣٢)

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (يا حَسِرَةُ عَلَى الْعِبَادِ) أي يا ويل العباد ، وقال قتادة (يا حَسِرَةُ عَلَى الْعِبَادِ) أي يا حَسِرَةُ الْعِبَادِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ عَلَى مَا ضَيَعَتْ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَفُرِطَتْ فِي

(فَاذَاهُمْ خَامِدُونَ) مَيِّتُونَ (يا حَسِرَةُ عَلَى الْعِبَادِ) قال عكرمة يعني يا حَسِرَةُ نَفْسِهِمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَالْحَسِرَةُ شِدَّةُ النَّدَامَةِ وَفِيهِ قَوْلَانِ أَحَدُهُمَا يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى يَا حَسِرَةُ وَنَدَامَةُ وَكَأَيَّةَ عَلَى الْعِبَادِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِالرَّسْلِ وَالْآخَرُ أَنَّهُ مِنْ قَوْلِ الْهَالِكِينَ ، قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ لَمَّا عَايَنُوا الْعَذَابَ قَالُوا يَا حَسِرَةُ نَفْسِي نَدَامَةُ

جنب الله ، وفي بعض القراءات بالحسرة العباد على أنفسهم ، ومعنى هذا يحسرتهم وندامتهم يوم القيامة إذا عاينوا العذاب كيف كذبوا رسل الله وخافوا أمر الله فانهم كانوا في الدار الدنيا المكذبون منهم (ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون) أي يكذبونه ويستهزئون به ويحسدون ما أرسل به من الحق . ثم قال تعالى ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم اليهم لا يرجعون (أي ألم يعظوا بمن أهلك الله قبلهم من المكذبين للرسل كيف لم يكن لهم إلى هذه الدنيا كرة ولا رجعة ولم يكن الأمر كما زعم كثير من جهلهم وفجرتهم من قولهم إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وهم القائلون بالدور من الدهر به وهم الذين يعتقدون جهلا منهم أنهم يعودون إلى الدنيا كما كانوا أياما فرد الله تبارك وتعالى عليهم باطلهم فقال تبارك وتعالى (ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم اليهم لا يرجعون) وقوله عز وجل (وإن كل لما جميع لدينا محضرون) أي وإن جميع الأمم الماضية والآتية ستحضر للحساب يوم القيامة بين يدي الله جل وعلا فيجازيهم بأعمالهم كلها خيرها وشرها ، ومعنى هذا كقوله جل وعلا (وإن كل لما ليوفينهم ربك أعمالهم) وقد اختلف القراء في أداء هذا الحرف فمنهم من قرأ (وإن كل لما) بالتخفيف فعنده أن إن الألفيات ومنهم من شدد (لما) وجعل أن ثانية ولما بمعنى إلا تقديره وما كل إلا جميع لدينا محضرون ومعنى القراءتين واحد والله سبحانه وتعالى أعلم

وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون (٣٣) وجعلنا فيهم جنات من نخيل وأعناب وجفرا فيها من العيون (٣٤) لياكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون؟ (٣٥) سبحانه الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم وما لا يعلمون (٣٦)

على العباد يعني على الرسل الثلاثة حيث لم يؤمنوا بهم فبعثوا إليهم نبيين لم يفهمهم قال الأزهري الحسرة لا تدعى ودعاؤها تنبيه المخاطبين وقيل العرب تقول يحسرتي وباعجبا على طريق المبالغة والنداء عندهم بمعنى التنبيه فكانه يلهيها العجب هذا وقتك وأيتها الحسرة هذا أو أياك ، وحقيقة المعنى أن هذا زمان الحسرة والتعجب ، ثم بين سبب الحسرة والندامة فقال (ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون * ألم يروا) ألم يخبروا يعني أهل مكة (كم أهلكنا قبلهم من القرون) والقرون أهل كل عصر سمو بذلك لاقتراانهم في الوجود (أنهم اليهم لا يرجعون) أي لا يعودون إلى الدنيا ألا يعتبرون بهم (وإن كل لما جميع) قرأ عاصم وحزة لما بالتشديد وهنا وفي الزخرف والطارق وافي ابن عامر إلا في الزخرف ووافي أبو جعفر في الطارق ، وقرأ الآخرون بالتخفيف فمن شدد جعل إن بمعنى الجحد ولما بمعنى إلا تقديره وما كل إلا جميع ، ومن خفف جل أن للتحقيق وما صلة مجازة كل جميع (لدينا محضرون * وآية لهم الأرض الميتة أحييناها) بالمطر (وأخرجنا منها حبا) يعني الحنطة والشعير وما

يقول تبارك وتعالى (وآية لهم) في دلالة لهم على وجود الصانع وقدرته التامة وحياته الموتى (الارض الميتة) أي إذ كانت ميتة هائلة لا شيء فيها من انبات ، فاذا أنزل الله تعالى عليها الماء اهتزت وربت وأنتجت من كل زوج زوج ، ولهذا قال تعالى (أحييناها وأخرجنا منها حباثة يأكلون) أي جعلناه رزقا لهم ولأنعامهم (وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون) أي جعلنا فيها أنهارا سارحة في أمكنة يحتاجون اليها يأكلوا من ثمره ، لما اتين على خلقه بإيجاد الزروع لهم عطف بذكر الثمار وتنوعها وأصنافها

وقوله حل وعلا (وما عملته أيديهم) أي وما ذاك كله إلا من رحمة الله تعالى بهم لا بسعيهم ولا كدهم ولا بحر لهم وقوتهم قاله ابن عباس رضي الله عنهما وقناة ولهذا قال تعالى (أفلا يشكرون) أي قهلا يشكروني على ما أنعم به عليهم من هذه النعم التي لا تعد ولا تحصى ، واختار ابن جرير بل جزم به - ولم يحك غيره إلا احتمالا - أن مافي قوله تعالى (وما عملته أيديهم) بمعنى الذي تقديره يأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أي غرسوه ونصبوه ، قال وهي كذلك في قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه (يأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون)

ثم قال تبارك وتعالى (سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الارض) أي من زروع وثمار ونبات (ومن أنفسهم) فجعلهم ذرأا وأنثى (ومما لا يعلمون) أي من مخلوقات شتى لا يعرفونها في مال جلت عظمتها ومن كل شيء حاشا روجين لعلكم تذكرون

وآية لهم اليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظالمون (٣٧) والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير

العز بن المليم (٣٨) والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم (٣٩) لا الشمس

ينبغي لها أن تدرك القمر ولا اليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون (٤٠)

أشبههم (فمما يأكلون) أي من الحب (وجعلنا فيها جنات) بساتين (من نخيل وأعناب وفجرنا فيها) في الارض (من العيون) يأكلوا من ثمره (أي من الثمر الحاصل بالماء) (وما عملته) قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عملات غير مما ، وقرأ الآخرون عملته بالهاء أي يأكلون من الذي عملته (أيديهم) من الزرع والغرس والهاء عائدة الى مافتي هي بمعنى الذي ، وقبل مافتي في قوله (وما عملته أيديهم) أي وحدوها بمعمولة ولم تعمله أيديهم ولا صنع لهم فيها وهذا مع قول الضحاك ومقاتل وقيل أراد النعمان والاشجار التي لم تعملها يد خلق مثل دجلة والفرات والنيل ونحوها (أفلا يشكرون) نعم الله على سبحةان الذي خلق الأزواج كلها (أي الاصناف كلها) مما تنبت الارض (من الثمار والحبوب) (ومن أنفسهم) يعني الذكور والاناث (ومما لا يعلمون) مما خلق من الاشياء من دواب البر والبحر (وآية لهم) تدل على قدرتنا (الليل نسلخ) نزرع ونكشط (منه النهار فاذا هم مظالمون) داخلون

يقول تعالى ومن الدلالة لهم على قدرته تبارك وتعالى العظيمة خلق الليل والنهار هذا بظلامه وهذا بضياءه وجماعها بتعاقبها ينجي. هذا فيذهب هذا ، وبذهب هذا فينجي. هذا كما قال تعالى (يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا) ولهذا قال عز وجل ههنا (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) أي نصرمه منه فيذهب فيقبل الليل ولهذا قال تبارك وتعالى (فإذا هم مظلمون) كما جاء في الحديث إذا « إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم » هذا هو الظاهر من الآية وزعم قتادة أنها كقوله تعالى (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) وقد ضعف ابن جرير قول قتادة ههنا ، وقال إنما معنى الابلج الاخذ من هذا في هذا وليس هذا مرادا في هذه الآية وهذا الذي قاله ابن جرير حق

وقوله جل جلاله (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) في معنى قوله (لمستقر لها) قولان أحدهما أن المراد مستقرها المكاني وهو تحت العرش مما يلي الارض من ذلك الجانب وهي أينما كانت فهي تحت العرش هي جميع المحلوقات لانه سقفها وليس بكرة كما يزعمه كثير من أرباب الهيئة ، وإنما هو قبة ذات قوائم محملة الثلاثكة وهو فوق العالم مما يلي رؤوس الناس فالشمس إذا كانت في قبة الفلك وقت الظهيرة تكون قرب ما تكون إلى العرش ، فإذا استدارت في فلكها الرابع إلى مقابلة هذا المقام وهو وقت نصف الليل صارت أبعد ما تكون من العرش فحينئذ تسجد وتستأذن في الطلوع كما جاءت بذلك الاحاديث

في الظلمة ومعناه نذهب النهار ونجبي. بالليل، وذلك ان الاصل هي الظلمة والنهار داخل عليها، فإذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل فتظهر الظلمة (والشمس تجري لمستقر لها) أي الى مستقر لها قيل الى انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وقيام الساعة، وقيل انها تسير حتى تأتي الى أبعد مغاربها ثم ترجع فذلك مستقرها لانها لا تجاوزة ، وقيل مستقرها نهاية ارتفاعها في السماء في الصيف ونهاية هبوطها في الشتاء وقد صح عن النبي ﷺ انه قال « مستقرها تحت العرش » أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا الحليدي أنا وكيع عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال سألت رسول الله ﷺ عن قوله (والشمس تجري لمستقر لها) قال « مستقرها تحت العرش » أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا الحليدي أنا وكيع ثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن أبيه عن أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ لأبي ذر حين غربت الشمس « أتدري أين تذهب ؟ » قال قلت الله ورسوله أعلم قال « فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها، وبوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها ، فيقال لها ارجعي من حيث جئت، فتطعم من مغربها فذلك قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها » (ذلك تقدير العزيز العليم) وروى عمرو بن دينار عن ابن عباس

قال البخاري حدثنا أبو نعيم حدثنا الاعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر رضي الله عنه قال : كنت مع النبي ﷺ في المسجد عند غروب الشمس فقال ﷺ « يا أبا ذر أتدري أين تغرب الشمس ؟ » قالت الله ورسوله أعلم قال ﷺ « فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فذلك قوله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) »

حدثنا عبدالله بن الزبير الحليدي حدثنا وكيع عن الاعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر رضي الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ عن قوله تبارك وتعالى (والشمس تجري لمستقر لها) قال ﷺ « مستقرها تحت العرش » هكذا أورده ههنا ، وقد أخرجه في أماكن متعددة ورواه بقية الجماعة الا ابن ماجه من طرق عن الاعمش به

وقال الامام احمد حدثنا محمد بن عبيد عن الاعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال كنت مع رسول الله ﷺ في المسجد حين وجبت الشمس فقال ﷺ « يا أبا ذر أتدري أين تذهب الشمس ؟ » قالت الله ورسوله أعلم ، قال ﷺ « فانها تذهب حتى تسجد بين يدي ربها عز وجل فتستأذن في الرجوع فيؤذن لها وكأنها قد قيل لها ارجعي من حيث جئت فتخرج إلى مطلعها وذلك مستقرها » ثم قرأ (والشمس تجري لمستقر لها)

وقال سفيان الثوري عن الاعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لأبي ذر حين غربت الشمس « أتدري أين تذهب ؟ » قالت الله ورسوله أعلم قال ﷺ « فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها ، وتستأذن فلا يؤذن لها ويقال لها ارجعي من حيث جئت فتطالع من مغربها » فذلك قوله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم)

وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أبي اسحاق عن وهب بن جابر عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال في قوله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها) قال ان الشمس تطالع فتردها ذنوب بني آدم حتى اذا غربت سلمت وسجدت واستأذنت فيؤذن لها حتى اذا كان يوم غربت فسلمت وسجدت واستأذنت فلا يؤذن لها ، فنقول ان المسير بعيد وإني ان لا يؤذن لي لا أبلغ فتحبس ماشا. الله أن تحبس ثم يقال لها اطلعي من حيث غربت قال فمن يومئذ الى يوم القيامة لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً ، وقيل المراد مستقرها هو انتها سيرها وهو غاية ارتفاعها في السماء في الصيف وهو أوجها ، ثم غاية انخفاضها في الشتاء وهو الخفيض (والقول الثاني) أن المراد مستقرها هو منتهى سيرها وهو يوم القيامة يسفل سيرها وتسكن حركتها وتكسر وينتهي هذا العالم الى غايته

(والشمس تجري لمستقر لها) وهي قرارة ابن مسعود أي لا قرار لها ولا وقوف فهي جارية أبداً (ذلك)

وهذا هو مستقرها الزماني ، قال قتادة (لمستقر لها أي لوقتها ولاجل لا تعدوه ، وقيل المراد أنها لا تزال تنقل في مطالعها الصيفية إلى مدة لا تزيد عليها ثم تنقل في مطالع الشتاء إلى مدة لا تزيد عليها يروى هذا عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

وقرأ ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما (والشمس تجري لمستقر لها) أي لا فرار لها ولا سكون ، بل هي سائرة أبلا وهاراً لا تقتر ولا تقف كما قال تبارك وتعالى (ومخر لكم الشمس والقمر دائرين) أي لا يمتزان ولا يقعان إلى يوم القيامة (ذلك تقدير العزيز) أي الذي لا يخالف ولا ينام (العليم) بجميع الحركات والسكنات وقد قدر ذلك ورقته على منوال لا اختلاف فيه ولا تماكس كما قال عز وجل (فائق الأصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسياباً ذلك تقدير العزيز العليم وهكذا ختم آية حم السجدة بقوله تعالى (ذلك تقدير العزيز العليم) ثم قال جل وعلا والقمر قدرناه منازل) أي جعلناه يسير سيراً آخر يستدل به على مضي الشهور كما أن الشمس يعرف بها الليل والنهار كما قال عز وجل (يسألونك عن الأهلة قل هي موافقت للناس والحيج)

وقال تعالى (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب) الآية ، وقال تبارك وتعالى (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلاً) فجعل الشمس لها ضوء ومخضها والقمر له نور ومخضه وفارت بين سير هذه وهذا فالشمس تطام كل يوم تغرب في آخره على ضوء واحد ولكن تنقل في مطالعها ومارسها صيفاً وشتاءً يطول بسبب ذلك النهار ويقصر الليل ثم يطول الليل ويقصر النهار وجعل سلطامها بالنها فهي كوكب نهاري ، وأما القمر فقد دره منازل يطلم في أول ليلة من الشهر ضئيلاً قليل النور ثم يزداد نورا في الليلة الثانية ويرفع منزلة ثم حتى ارتفع ازداد ضياء وإن كان مقتبسا من الشمس حتى يتكامل نوره في الليلة الرابعة عشرة ثم ينحسر عن النقص إلى آخر الشهر حتى يصير كالعرجون القديم . قال ابن عباس رضي الله عنهما وهو أصل العنق

وقال مجاهد العرجون القديم أي العنق اليابس يعني ابن عباس رضي الله عنهما أصل منقود من الرطب إذا عتق ويس والحمى ، وكذا قال غيرهما ثم بعد هذا بيده الله تعالى جديداً في أول الشهر الآخر والعرب تسمي كل ثلاث أيام من الشهر باسم باعتبار القمر فبسمون الثلاث الأول عرو واللواني بعدها نقل ، واللواني بعدها نسم لأن آخرهن التاسعة واللواني بعدها عشر لأن أولهن العاشرة واللواني

تقدير العزيز العليم (والقمر قدرناه) أي قدرناه قرأ ابن كثير ونافع وأهل البصرة القمر يرفع الرااء لقوله [وآية لهم الليل والشمس والقمر] قرأ الآخرون بالنصب أموره [قدرناه] أي قدرناه القمر (منازل) وقد ذكرنا أسامي المنازل في سورة يونس فإذا صار القمر إلى آخر المنازل دق فذلك قوله (حتى عاد كالعرجون القديم) والعرجون عود العنق الذي عليه الشمار يخ فاذا قدم وعتق ويس

بعدها البيض لان ضوء القمر فيمن الى آخره من ، واقواني بعدهن درع جمع درعا ، لان أولهن أسود
لأخر القمر في أولهن منه ومنه الشاة للدرعا ، وهي التي رأسها أسود وبعدهن ثلاث ظلم ثم ثلاث حنادس
وثلاث دأدى وثلاث محاق لا محق القمر أول الشهر فيمن ، ركل أبو عبيدة رضي الله عنه ينكر التسم
والعشر . كذا قول في كتاب غريب المصنف

وقوله تبارك وتعالى (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر) قال مجاهد لكل منها حد لا بعده
ولا يقصر دونه اذا جا سلطان هذا ذهب هذا ، واذا ذهب سلطان هذا جا سلطان هذا ، وقال عبدالرزاق
أخبرنا معمر عن الحسن في قوله تعالى (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر) قال ذلك ليلة الهلال .
وروى ابن أبي حاتم مهننا عن عبد الله بن المبارك أنه قال ان للريح جناحا وان القمر يأوي الى غلاف
من الماء ، وقال الثوري عن اسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح لا يدرك هذا ضر هذا ولا هذا ضر
هذا . وقال عكرمة في قوله عز وجل (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر) يعني ان لكل منهما
سلطانا فلا ينبغي للشمس أن تطلم بالليل

وقوله تعالى (ولا الليل سابق النهار) يقول لا ينبغي اذا كان الليل أن يكون ليل آخر حتى يكون
النهار فسلطان الشمس بالنهار وسلطان القمر بالليل ، وقال الضحاك لا يذهب الليل من ههنا حتى يجيء
النهار من ههنا وأوما بيده الى المشرق ، وقال مجاهد (ولا ليل سابق النهار) يطلبان حديثين يسلخ
أحدهما من الآخر ، والمعنى في هذا أنه لا فترة بين الليل والنهار بل كل منهما يعقب الآخر بلا مهلة ولا
تراخ لهما مخران حديثين يتطالبان طلبا حيثما

وقوله تبارك وتعالى (وكل في فلك يسبحون) يعني الليل والنهار والشمس والقمر كلهم يسبحون
أي يدورون في فلك السماء . قال ابن عباس وعكرمة والضحاك والحسن وقادة وعطاء الخراساني ،
وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في فلك بين السماء والارض . رواه ابن أبي حاتم وهو غريب جدا
بل منكر ، قال ابن عباس رضي الله عنهما وعمر واحد من السلف في ملكة كملكه المغزل ، وقال مجاهد
الفلك كحديدة الرمح أو كملكه المعزل لا يدور المغزل إلا بها ولا تدور إلا به

وتقسم - اصفر فشيء القمر في دفته وصفرته في آخر المنازل به (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر)
أي لا يدخل النهار على ليل قبل انقضائه ولا يدخل الليل على النهار قبل انقضائه وهو قوله تعالى
(ولا الليل سابق النهار) أي هما يتماقبان بحساب معلوم لا يجيء أحدهما قبل وقته ، وقيل لا يدخل
أحدهما في سلطان الآخر لا تطامع الشمس بالليل ولا يطلم القمر بالنهار وله ضوء ، وإذا اجتمعا وأدرك
كل واحد منهما صاحبه قامت القيامة وقيل (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر) أي لا تجتمع معني
فلك واحد (ولا الليل سابق النهار) أي لا يتصل ليل بليل لا يكون بينهما نهار فاصل (وكل في فلك

وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون (٤١) وخلقنا لهم من مثله مايركبون (٤٢)

وان نشأ نفرقهم فلا صريح لهم ولا هم ينقدون (٤٣) الا رحمة منا ومتعا الى حين (٤٤)
يقول تبارك وتعالى ودلالة لهم أيضاً على قدرته تبارك وتعالى تسخير البحر ليحمل السفن فمن ذلك بل أوله سفينة نوح عليه الصلاة والسلام التي أبحاه الله تعالى فيها بن معه من المؤمنين الذين لم يبق على وجه الارض من ذرية آدم عليه الصلاة والسلام غيرهم ولهذا قال عز وجل (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم) أي أباهم (في الفلك المشحون) أي في السفينة المملوءة من الامة والحياة التي أمره الله تبارك وتعالى أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين ، قال ابن عباس رضي الله عنهما المشحون الموقر ، وكذا قال سعيد بن جبير والشعبي وقتادة والسدي ، وقال الضحاك وقتادة وابن زيد وهي سفينة نوح عليه الصلاة والسلام

وقوله جل وعلا (وخلقنا لهم من مثله مايركبون) قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما يعني بذلك الابل فانها سفن البر يحملون عليها ويركبونها ، وكذا قال عكرمة ومجاهد والحسن وقتادة في رواية عبد الله بن شداد وغيرهم ، وقال السدي في رواية هي الانعام

وقال ابن جرير حدثنا الفضل بن الصباح حدثنا محمد بن فضيل عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أتدرون ما قوله تعالى (وخلقنا لهم من مثله مايركبون) قلنا لا ، قال هي السفن جعلت من بعد سفينة نوح عليه الصلاة والسلام على مثلها ، وكذا قال أبو مالك والضحاك وقتادة وأبو صالح والسدي أيضاً المراد بقوله تعالى (وخلقنا لهم من مثله مايركبون) أي السفن ، ويقوي هذا المذهب في المعنى قوله جل وعلا (انالسا طغيا الماء حملناكم في الجارية) لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية

وقوله عز وجل (وإن نشأ نفرقهم) يعني الذين في السفن (فلا صريح لهم) أي فلا مغيث لهم

يسبحون) ينجون) (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم) قرأ أهل المدينة والشام ويعقوب ذرياتهم بالجمع وقرأ الآخرون ذريتهم على التوحيد فمن جمع كسر التاء ومن لم يجمع نصبها والمراد بالذرية الآباء والاجداد واسم الذرية يقع على الآباء كما يقع على الأولاد (في الفلك المشحون) أي المملوء وأراد سفينة نوح وهؤلاء من نسل من حمل مع نوح وكانوا في أصلابهم (وخلقنا لهم من مثله مايركبون) قيل أراد به السفن التي عملت بعد سفينة نوح على هيئتها وقبل أراد به السفن الصغار التي تجري في الانهار فهي في الانهار كالملك الكبار في البحار هذا قول قتادة والضحاك وغيرهما ، وروى عن ابن عباس أنه قال (وخلقنا لهم من مثله مايركبون) يعني الابل فالابل في البر كالسفن في البحر (وإن نشأ نفرقهم فلا صريح) أي لا مغيث (لهم ولا هم ينقدون) ينجون من الفرق قال ابن عباس ولا أحد ينقذهم من

(سورة يس ٣٦ جر ٢٣) نمادي المشركين في غيهم واعراضهم عن آيات الله تعالى ١٠١

عما هم فيه (ولا هم ينقدون) أي مما أصابهم (إلا رحمة منا) وهذا استثناء منقطع تقديره ولكن برحمتنا نسيركم في البر والبحر ونسلمكم إلى أجل مسمى ولهذا قال تعالى (ومتاعا إلى حين) أي إلى وقت معلوم عند الله عز وجل

واذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون (٤٥) وما تأتيتهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين (٤٦) ، إذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعمم من لو يشاء الله أطعمه ، ان أنتم الا في ضلال مبين (٤٧)

يقول تعالى مخبرا عن نمادي المشركين في غيهم وضلالهم وعدم أكثر أنهم يذنبون التي أسلفوا وما يستقبلون بين أيديهم يوم القيامة (وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم) قال مجاهد من الذنوب ، وقال غيره بالعكس (لعلكم ترحمون) أي لعل الله باتقائكم ذلك يرحمكم ويؤمنكم من عذابه وتقدير الكلام أنهم لا ينجسون إلى ذلك بل يعرضون عنه ، واكتفى عن ذلك بقوله تعالى (وما تأتيتهم من آية من آيات ربهم) أي على التوحيد وصدق الرسل (إلا كانوا عنها معرضين) أي لا يتأملونها ولا يقبلونها ولا يفتقرون بها

قوله عز وجل (وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله) أي وإذا أمرنا بالانفاق مما رزقكم الله على الفقراء والمحتاجين من المسلمين (قال الذين كفروا للذين آمنوا) أي عن الذين آمنوا من الفقراء أي قالوا لمن أمرهم من المؤمنين بالانفاق بمحاجين لهم فيما أمرهم به - أنطعمم من لو يشاء الله أطعمه) أي هؤلاء الذين أمرنا بالانفاق عليهم لو شاء الله لأغناهم ولا نطعمهم من رزقه فنحن نوافق مشيئة

عذابي (إلا رحمة منا ومتاعا إلى حين) إلى انقضاء آجالهم يعني إلا أن يرحمهم ويمتد بهم إلى حين آجالهم (وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم) قال ابن عباس ما بين أيديكم يعني الآخرة فاعملوا لها وما خلفكم يعني الدنيا فاحذروها ولا تغفروا بها وقبل ما بين أيديكم وقائم الله فيمن كان قبلكم من الأمم وما خلفكم عذاب الآخرة وهو قول قتادة ومقاتل (لعلكم ترحمون) والجواب محذوف تقديره إذا قيل لهم هذا أمرضوا عنه دليله ما بعده

(وما تأتيتهم من آية من آيات ربهم) أي دلالة على صدق محمد ﷺ (إلا كانوا عنها معرضين * وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله) أعطاكم الله (قال الذين كفروا للذين آمنوا انطعمم) أنزق (من لو يشاء الله أطعمه) وذلك أن المؤمنين قالوا للكفار مدة أنفقوا على المساكين مما رزقهم من أموالكم أنه لله وهو ما جعلوه لله من حروثهم وانعمهم قالوا أنطعمم أنزق من لو يشاء الله أطعمه رزقه ثم لم يرزقه مع قدرته عليه فنحن نوافق مشيئة الله فلا نطعم من لم يطعمه الله ، وهذا ما يتمسك به البخلاء

الله تعالى فيهم (إن أنتم إلا في ضلال مبين) أي في أمركم لنا بذلك ، قال ابن جرير ويحتمل أن يكون من قول الله عز وجل للكفار حين ناظروا المؤمنين وردوا عليهم فقال لهم (إن أنتم إلا في ضلال مبين) وفي هذا نظر والله أعلم

ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين؟ (٤٨) ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم

وهم يخصمون (٤٩) فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون (٥٠)

يخبر تعالى عن استبعاد الكفرة لقيام الساعة في قولهم (متى هذا الوعد) يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها قال الله عز وجل (ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون) أي ما ينظرون إلا صيحة واحدة وهذه والله أعلم نفخة الفزع ، ينفخ في الصور نفخة الفزع والناس في أسواقهم ومعايشهم يخصمون ويتشاجرون كل عادتهم فينبأهم كذلك إذ أمر الله عز وجل أمر أفل فنفخ في الصور نفخة بطولها وبمدى فلا يبقى أحد على وجه الأرض إلا أصفى لينا ورفع إيتا وهي صفحة العنق يتسمع الصوت من قبل السماء ، ثم يساق الموجودون من الناس إلى محشر القيامة بالنار يحيط بهم من جوانبهم ولهذا قال تعالى (فلا يستطيعون توصية) أي على ما يملكونه الأمر أهم من ذلك ولا إلى أهلهم يرجعون وقد وردت ههنا آثار وأحاديث ذكرناها في موضع آخر ثم يكون بعد هذا نفخة الصعق التي تموت بها الأحياء كلهم ماعدا الحي القيوم ثم بعد ذلك نفخة البعث

يقولون لا نعطي من حرمه الله وهذا الذي يزعمون باطل لأن الله أغنى بعض الخلق وأفقر بعضهم ابتلاء فمنع الدنيا من الفقير لابتغلا وأمر الغني بالانفاق لأحاجة إلى ماله ولكن أبلوا الغني بالغنى فما أسر وفرض له في مال الغني ولا اعتراض لأحد على مشيئة الله وحكمه في خلقه (إن أنتم إلا في ضلال مبين) يقول الكفار للمؤمنين ما أنتم إلا في خطأ بين في اتباعكم محمدا وترك ما نحن عليه (ويقولون متى هذا الوعد) أي القيامة والبعث (إن كنتم صادقين) قال الله تعالى (ما ينظرون) أي ما ينظرون (إلا صيحة واحدة) قال ابن عباس يريد النفخة الأولى (تأخذهم) هم يخصمون (يعز) يخصمون في أمر الدنيا من البيع والشراء ويتكلمون في المجاس والأسواق قرأ حمزة يخصمون بسكون الخاء وتخفيف الصاد أي يغلب بعضهم بعضا بالخصام وقرأ الآخرون بتشديد الصاد أي يخصمون ادغمت التاء في الصاد، ثم ابن كثير ويعقوب وورش يفتحون الخاء ينقل حركة التاء المدغمة إليها ويجزئها أبو جعفر وقالون وبروم فتحة الخاء أبو عمرو ، وقرأ الباقر بكسر الخاء وروينا أن النبي ﷺ قال «لنقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطوبانه ، ولنقومن الساعة وقد رفع رجل أكلته إلى فيه فلا يطعمها»

قوله عز وجل (فلا يستطيعون توصية) أي لا يقدرّون على الإيصاء قال مقاتل عجّلوا عن الوصية

ونُفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون (٥١) قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا؟ هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون (٥٢) ان كانت الاصيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون (٥٣) فالיום لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون (٥٤)

هذه هي النفخة الثالثة وهي نفخة البعث والنشور للقيام من الاجداث والقبور ولهذا قال تعالى (فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون) والنسلان هو المنهي السريع كما قال تعالى (يوم يخرجون من الاجداث سراعا كأنهم الى نصب يوفضون) (قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا ؟) يعنون قبورهم التي كانوا يعتقدون في الدار الدنيا أنهم لا يبعثون منها فلما عاينوا ما كذبوا به في محشرهم (قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا) وهذا لا ينفي عذابهم في قبورهم لانه بالنسبة الى ما بعده في الشدة كالرقادة . قال أبي بن كعب رضي الله عنه ومجاهد والحسن وقتادة ينامون نومة قبل البعث ، قال قتادة وذلك بين النفختين فلذلك يقولون من بعثنا من مرقدنا فاذا قالوا ذلك أجابهم المؤمنون قاله غير واحد من السلف (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) وقال الحسن انما يجيبهم بذلك الملائكة ولا منافاة إذ الجحيم ممكن والله سبحانه وتعالى أعلم

وقال عبدالرحمن بن زيد الجعفي من قول الكفار (ياويلنا من بعثنا من مرقدنا ؟ هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) نقله ابن جرير واختار الاول وهو أصح وذلك كقوله تبارك وتعالى في اصفاته [وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين * هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون] قال الله عز وجل [يوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون * وقال الذين أوتوا العلم والايمن اقد ائتمتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون]

فأتوا (ولا الى اهلهم يرجعون) ينقلبون والمعنى أن الساعة لانهم لم شي . (ونفخ في الصور) وهي النفخة الاخيرة نفخة البعث وبين النفختين اربعون سنة (فاذا هم من الاجداث) يعني القبور واحدها جدث (الى ربهم ينسلون) يخرجون من القبور احياء ومنه قيل المولد نسل لخروجه من بطن أمه (قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا) قال أبي بن كعب وابن عباس وقتادة انما يقولون هذا لان الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيمردون فاذا بعثوا بعد النفخة الاخيرة وعانوا القيامة دعوا بالويل . وقال أهل المعاني ان الكفار اذا عاينوا جهنم وانواع عذابها صار عذاب القبر في جنبها كأنهم فقالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا ثم قل (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) اقرأوا حين لم ينفعهم الاقرار وقيل قالت الملائكة لهم هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون قال مجاهد يقول الكفار من بعثنا من مرقدنا فيقول المؤمنون هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون (ان كانت) ما كانت

قوله تعالى إن كانت الا صبيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون (كقوله عز وجل [فأنما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة] وقال جلّت عظمت [وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب] وقال جل جلاله [يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبئثم الا قليلا] أي انما أمرهم أمر واحد فاذا الجميع محضرون [فاليوم لا نظلم نفس شيئا] أي من عملها [ولا تجزون الا ما كنتم تعملون]

إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون (٥٥) هم وأزواجهم في ظلل على الأرائك

متكئون (٥٦) لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون (٥٧) سلم قولاً من رب رحيم (٥٨) يخبر تعالى عن أهل الجنة أنهم يوم القيامة اذا ارتحلوا من العرصات قفلوا في روضات الجنات أنهم في شغل عن غيرهم بما هم فيه من النعيم المقيم والفوز العظيم ، قال الحسن البصري واسماعيل بن أبي خالد في شغل عما فيه أهل النار من العذاب ، وقال مجاهد [في شغل فاكهون] أي في نعيم معجبون أي به ، وكذا قال قتادة وقال ابن عباس رضي الله عنهما فاكهون أي فرحون ، قال عبد الله بن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن المسيب وعكرمة والحسن وقتادة والاعمش وسليمان التيمي واللاء زاعي في قوله تبارك وتعالى إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون (قالوا شغلهم اقتضاض الابكار ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عنه (في شغل فاكهون أي بسماع الاوتار ، وقال أبو حاتم عنه غلط من المستمع وانما هو اقتضاض الابكار

وقوله عز وجل هم وأزواجهم (قال مجاهد وحلائلهم (في ظلال) أي في ظلال الاشجار (على الارائك متكئون) قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة ومحمد بن كعب والحسن وقتادة والسدي وخصيف (الارائك) هي السرر تحت الحجال قلت نظيره في الدنيا هذه التخت تحت البشاخين والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ إلا صبيحة واحدة ﴾ يعني النسخة الاخيرة ﴿ فاذا هم جميع لدينا محضرون ﴾ فاليوم لا نظلم نفس شيئا ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون ﴿ إن أصحاب الجنة اليوم في شغل ﴾ قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو في شغل يسكن الغين ، والباقون بضمها وهما اغنان مثل السحت والسحت ، واختافوا في معنى الشغل قال ابن عباس في اقتضاض الابكار وقال وكيع بن الخراح في السماع وقال الكلبي في شغل عن أهل النار وعما هم فيه لا يسمهم امرهم ولا يذكرونهم وقال الحسن شغلوا بما في الجنة من النعيم عما فيه أهل النار من العذاب وقال ابن كيسان في زيارة بعضهم بعضا وقيل في ضيافة الله تعالى ﴿ فاكهون ﴾ قرأ أبو جعفر فكهون حيث كان واقفه حفص في الطنمين وهما اغنان مثل الحاذر والحذر أي ناعمون قال مجاهد والضحاك معجبون بما هم فيه وعن ابن عباس قال فرحون ﴿ هم وأزواجهم ﴾ أي حلائلهم ﴿ في ظلال ﴾ قرأ حمزة والكسائي ظلل بضم الظاء من غير ألف جمع ظلة وقرأ العامة في ظلال بالالف وكسر الظاء على جمع ظر ﴿ على الارائك ﴾ يعني السرر في الحجال واحدها أريكة قال ثعلب لا تكون

وقوله عز وجل (لهم فيها فاكهة) أي من جميع أنواعها (ولهم ما يدعون) أي مما طلبوا وجدوا من جميع أصناف الملاذ . قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عوف الحمصي حدثنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار حدثنا محمد بن مهاجر عن الضحاك المعافري عن سليمان بن موسى حدثني كريب أنه سمع أسامة بن زيد رضي الله عنهما يقول : قال رسول الله ﷺ « أأهل مشمر إلى الجنة ؟ فإن الجنة لا خطر لها هي ورب الكعبة نور كلها يتلألأ ، وربحانة تهتز ، وقصر مشيد ، ونهر مطرد ، ونمرة نضيجة ، وزوجة حسنا ، جميلة وحال كثيرة ، ومقام في أبد في دار سلامة ، وفاكة خضرة وخير ونعمة في محلة عالية هبة » قالوا نعم يا رسول الله نحن المشمرون لها ، قال ﷺ « قولوا إن شاء الله » فقال القوم إن شاء الله ، وكذا رواه ابن ماجه في كتاب الزهد من سننه من حديث الوليد بن مسلم عن محمد بن مهاجر به وقوله تعالى (سلام قولاً من رب رحيم) قال ابن جريج قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (سلام قولاً من رب رحيم) فإن الله تعالى نفسه سلام على أهل الجنة وهذا الذي قاله ابن عباس رضي الله عنهما كقوله تعالى [نحييتهم يوم يلقونه سلام]

وقد روى ابن أبي حاتم ههنا حديثاً وفي اسناده نظر فانه قال : حدثنا موسى بن يوسف حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب حدثنا أبو عاصم العباداني حدثنا الفضل الرقاشي عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع عليهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب تعالى قد أشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا أهل الجنة فذلك قوله تعالى (سلام قولاً من رب رحيم) قال فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ماداموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم ويبقى نوره وبركته عليهم وفي ديارهم » ورواه ابن ماجه في كتاب السنة من سننه عن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب به وقال ابن جرير حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب حدثنا حرملة عن سليمان بن حميد

أريكة حتى يكون عليها حجلة (متكئون) ذوو تكأة (لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون) يتمنون ويشتهون (سلام قولاً من رب رحيم) أي يسلم الله عليهم قولاً أي يقول الله لهم قولاً أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريمي أنا أبو اسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أنا عبد الخالق بن علي بن عبد الخالق المؤذن حدثني أبو بكر أحمد بن محمد بن موسى الملاحمي الاصفهاني أنا الحسن بن أبي علي الزعفراني أنا ابن أبي الشوارب أنا أبو عاصم العباداني أنا الفضل الرقاشي عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب تبارك وتعالى قد أشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا أهل الجنة فذلك قوله (سلام قولاً من رب رحيم) فينظر إليهم وينظرون إليه (تفسير ابن كثير والبغوي) (١٤) (الجزء السابع)

قال سمعت محمد بن كعب القرظي يحدث عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال: اذا فرغ الله تعالى من أهل الجنة والنار أقبل في ظلل من الغمام والملائكة قال فيسلم على أهل الجنة فيردون عليه السلام قال القرظي وهذا في كتاب الله تعالى (سلام قولاً من ربهم) فيقول الله عز وجل سلوني فيقولون ماذا نسألك أي رب؟ قال بلى سلوني، قالوا نسألك أي رب رضاك، قال رضائي أحلكم دار كرامتي قالوا فما الذي نسألك فوعزت لك وجلالك وارتفاع مكانك لو قسمت علينا رزق الثقلين لا طعمناهم ولا سقيناهم ولا لبسناهم ولا خدمناهم لا ينقصنا ذلك شيئاً، قال تعالى إن لدي مزيداً قال فيفعل ذلك بهم في درجهم حتى يستوي في مجلسه، قال ثم تأتيهم التحف من الله عز وجل تحملها إليهم الملائكة ثم ذكر نحوه. وهذا خبر غريب أورده ابن جرير من طرق والله أعلم

وامتازوا اليوم أيها المجرمون (٥٩) ألم أعهد إليكم يابني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين (٦٠) وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم (٦١) ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون؟ (٦٢)

يقول تعالى مخبراً عما يؤول إليه حال الكفار يوم القيامة من أمره لهم أن يمتازوا يعني يزون عن المؤمنين في موقفهم كقوله تعالى [ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزبلنا بينهم] وقال عز وجل [ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون - يومئذ يصدعون] أي بصيرون صدعين فرقتين [احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم] وقوله تعالى (ألم أعهد إليكم يابني آدم أن لا تعبدوا الشيطان أنه لكم عدو مبين) هذا تقرير من الله تعالى للكفرة من بني آدم الذين أطاعوا الشيطان وهو عدو لهم مبين وعصوا الرحمن وهو الذي خلقهم ورزقهم ولهذا قال تعالى (وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم) أي قد أمرتكم في دار الدنيا بعصيان

فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ماداموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم وقيل يسلم عليهم في ديارهم وقيل يسلم عليهم الملائكة من ربهم وقال مقاتل تدخل الملائكة على أهل الجنة من كل باب يقولون سلام عليكم يا أهل الجنة من ربكم الرحيم وقيل يعطيهم السلامة يقول اسلموا السلامة الأبدية

قوله تعالى (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) قال مقاتل اعتزلوا اليوم من الصالحين قال أبو العالية تميزوا وقال السدي كونوا على حدة وقال الزجاج انفردوا عن المؤمنين قال الضحاك: إن لكل كافر في النار بيتاً يدخل ذلك البيت ويردم بابه بالنار فيكون فيه أبد الآبدين لا يرى ولا يرى (ألم أعهد إليكم يابني آدم) ألم آمركم يابني آدم (أن لا تعبدوا الشيطان) أي لا تطيعوا الشيطان في معصية الله (إنه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة (وأن اعبدوني) أطيعوني وواحدوني (هذا صراط مستقيم)

الشيطان وأمرنكم بعبادتي وهذا هو الصراط المستقيم فسلكنم غير ذلك واتبعنم الشيطان فيما أمركم به ولهذا قال عز وجل (ولقد أضل منكم جبلا كثيراً) يقال جبلا بكسر الجيم وتشديد اللام ، ويقال جبلا بضم الجيم والباء وتخفيف اللام ، ومنهم من بسكن الباء والمراد بذلك الخلق الكثير قاله مجاهد وقتادة والسدي وسفيان بن عيينة

وقوله تعالى (أفلم تكونوا تعقلون) أي أفما كان لكم عقل في مخالفة ربكم فيما أمركم به من عبادة وحده لا شريك له وعدولكم إلى اتباع الشيطان

قال ابن جريج حدثنا أبو كريب حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن إسماعيل بن رافع عن حدثه عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا كان يوم القيامة أمر الله تعالى جهنم فيخرج منها عنق ساطع مظلم يقول (ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين * وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم * ولقد أضل منكم جبلا كثيراً أفلم تكونوا تعقلون * هذه جهنم التي كنتم توعدون - وامتازوا اليوم أيها المجرمون) فيتميز الناس ويمجئون وهي التي يقول الله عز وجل [وترى كل أمة جاثية * كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم نجزون ما كنتم نعملون]

هذه جهنم التي كنتم توعدون (٦٣) اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون (٦٤) اليوم نحتم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون (٦٥) ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون (٦٦) ولو نشاء لمسخنهم على مكائهم فما استطعوا مضياً ولا يرجعون (٦٧)

يقال لكفرة من بني آدم يوم القيامة وقد برزت الجحيم لهم تقرعاً وتوبيخاً (هذه جهنم التي كنتم توعدون) أي هذه التي حذرتكم الرسل فكذبتموه (اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون) كما قال تعالى [يوم يدعون إلى نار جهنم دعا هذه النار التي كنتم بها تكذبون * أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون]

ولقد أضل منكم جبلا كثيراً (قرأ أهل المدينة وعاصم جبلا بكسر الجيم والباء وتشديد اللام وقرأ يعقوب جبلا بضم الجيم والباء وتشديد اللام وقرأ ابن عامر وأبو عمرو بضم الجيم ساكنة الباء خفيفة اللام وقرأ الآخرون بضم الجيم والباء خفيفة اللام وكلها لغات صحيحة، ومعناها الخلق والجماعة أي خلقاً كثيراً (أفلم تكونوا تعقلون) ما أناكم من هلاك الأمم الخالية بطاعة إبليس ويقال لهم لماذا أنتم من النار (هذه جهنم التي كنتم توعدون) بها في الدنيا (اصلوها) ادخلوها (اليوم بما كنتم

وقوله تعالى (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) هذا حال الكفار والمنافقين يوم القيامة حين ينكرون ما اجتمروه في الدنيا ويحلفون ما فعلوه فيختم الله على أفواههم ويقتطع جوارحهم بما عملت

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو شيبه ابراهيم بن عبد الله بن أبي شيبه حدثنا منجاب بن الحارث التميمي حدثنا أبو عاصم الأزدي حدثنا سفيان عن عبيد المكتب عن الفضل بن عمرو عن الشعبي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كنا عند النبي ﷺ فضحك حتى بدت نواجذته ثم قال ﷺ « أندرون هم أضحك ؟ » قلنا الله ورسوله أعلم قال ﷺ « من مجادلة العبد ربه يوم القيامة يقول رب ألم تجرني من الظلم ؟ فيقول بلى فيقول لا أجيز علي إلا شاهداً من نفسي ، فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً وبالكرام الكاتبين شهوداً فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقي فتنتطق بعمله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بهذا لكن وسحقاً فعنك كنت أناضل » وقد رواه مسلم والنسائي كلاهما عن أبي بكر بن أبي النضر عن أبي النضر عن عبيد الله بن عبد الرحمن الأشجعي عن سفيان هو الثوري به . ثم قال النسائي لا أعلم أحداً روى هذا الحديث عن سفيان غير الأشجعي وهو حديث غريب والله تعالى أعلم . كذا قال وقد تقدم من رواية أبي عاصم عن عبد الملك بن عمرو الأسدي وهو العقدي عن سفيان

وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال « انكم

تكفرون * اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون » هذا حين ينكر الكفار كفرهم وتكذيبهم الرسل بقولهم ما كنا مشركين فيختم على أفواههم وتشهد عليهم جوارحهم أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو الحسن محمد بن عمر بن حفص صوبه السرخسي سنة خمس وثلاثين وثلثمائة أنا أبو يزيد حاتم بن محبوب أنا عبد الجبار بن العلاء أنا سفيان عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال : سألت الناس النبي ﷺ قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال « هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة ؟ » قالوا لا قال « هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة ؟ » قالوا لا قال « فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما - قال - فيلقى العبد فيقول أي فل ألم أكرمك واسودك وازوجك واسخر لك الحيل والابل واذرك ترأس وتربع ؟ وقال غيره عن سفيان ترأس وتربع في الموضعين قال فيقول بلى فيقول أظننت أنك ملاقي ؟ فيقول لا فيقول قد أنساك كما نسيتني ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول يارب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وصدقته وثقي بخير ما استطاع فيقول ههنا إذا قال ثم يقال الآن نبعت شاهداً عليك ويتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد علي فيختم على فيه ويقال لفخذيه انطقي فتنتطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك لعذر من نفسه وذلك المنطق وذلك الذي سخطه الله »

تدعون مقدماً على أفواهكم بالفدام فأول ما يسأل عن أحدكم فخذوه وكفوه» رواه النسائي عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق به ، وقال سفيان بن عيينة عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ في حديث القيامة الطويل قال فيه « ثم بلقي الثالث فيقول ما أنت ؟ فيقول أنا عبدك آمنت بك وبنبيك وبكتابك وصمت وصليت ونصقت ويثني بخير ما استطاع - قال - فيقال له ألا نبعث عليك شاهداً ؟ - قال - فيفكر في نفسه من الذي يشهد عليه فيختم على فيه ويقال افخذوه انطاني - قال - فنطق فخذوه ولحمه وعظامه بما كان يعمل وذلك المنافق وذلك ليعذر من نفسه وذلك الذي يخطئ الله تعالى عليه» ورواه مسلم وأبو داود من حديث سفيان بن عيينة به بطوله ثم قال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا إسماعيل بن عياش حدثنا ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « إن أول عظم من الانسان يتكلم يوم ينجم على الأفواه فخذوه من الرجل اليسرى

ورواه ابن جرير عن محمد بن عوف عن عبد الله بن المبارك عن إسماعيل بن عياش به مثله . وقد جود إسناداه الامام أحمد رحمه الله فقال حدثنا الحكم بن نافع حدثنا إسماعيل بن عياش عن ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد الحضرمي عن حدثه عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « إن أول عظم من الانسان يتكلم يوم ينجم على الأفواه فخذوه من الرجل الشمال » وقال ابن جرير حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علية حدثنا يونس بن عبيد عن حميد بن هلال قال قال أبو بردة قال أبو موسى هو الأشعري رضي الله عنه يدعى المؤمن للحساب يوم القيامة فيعرض عليه ربه عمله فيما بينه وبينه فيعترف فيقول نعم أي رب عملت عملت قال فيغفر الله تعالى له ذنوبه ويستره منها قال فمألى الارض خليفة ترى من تلك الذنوب شيئاً وتبدو حسناته فود أن الناس كلهم يرونه» ويدعى الكافر والمنافق للحساب فيعرض عليه ربه عمله فيجحد ويقول أي رب وعزتك لقد كتب علي هذا الملك ما لم أعمل فيقول له الملك أما عملت كذا في يوم كذا في مكان كذا ؟ فيقول لا وعزتك

أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري أنا جدي أبو سهل عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار أنا محمد بن زكريا العذافري أنا إسحاق بن إبراهيم الدبري أنا عبد الرزاق أنا معمر عن بهز بن حكيم عن معاذية عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال « إنكم تدعون فيقدم على أفواهكم بالفدام فأول ما يسأل عن أحدكم فخذوه وكفوه

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا أبو بكر بن أبي النضر حدثني هاشم بن القاسم أنا عبيد الله الأشجعي عن سفيان الثوري عن عبيد المكتب عن فضيل عن الشعبي عن أنس بن مالك قال كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال « هل تدرون مم اضحك ؟ » قال قلنا الله ورسوله أعلم قال « من

أي رب ما علمته فإذا فعل ذلك ختم الله تعالى على فيه قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه فاني أحسب أول ما ينطق منه الفخذ النبي ثم تلا (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم ونشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) وقوله تبارك وتعالى (ولو نشاء اطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فاني يهترون) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيرها يقول ولو نشاء لاضلناهم عن الهدى فكيف يهترون وقال مرة أعينهم وقال الحسن البصري لو شاء الله اطمس على أعينهم فجعلهم عميا يترددون وقال السدي يقول ولو نشاء أعيننا أبصارهم وقال مجاهد وأبو صالح وقتادة والسدي فاستبقوا الصراط يعني الطريق وقال ابن زيد يعني بالصراط ههنا الحق فاني يهترون وقد طمسنا على أعينهم وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما فاني يهترون لا يبصرون الحق. وقوله عز وجل (ولو نشاء لمسحناهم على مكانهم) قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما أهلكناهم وقال السدي يعني لغيرنا خلقهم وقال أبو صالح لجعلناهم حجارة، وقال الحسن البصري وقتادة لأقعدهم على أرجلهم. ولهذا قال تبارك وتعالى (فما استطاعوا مضيا) أي إلى امام (ولا يرجعون) إلى وراء بل يلزمون حالاً واحداً لا يتقدمون ولا يتأخرون

ومن نعمته نكسه في الخلق أفلا يعقلون (٦٨) وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر

وقرآن مبين (٦٩) لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين (٧٠)

مخاطبة العبد ربه يقول يا رب ألم تجرني من الظلم؟ قال يقول بلى قال فيقول فاني لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً، وبالكرام الكاتبين شهوداً قال فيختم على فيه فيقال لا ركانه الخلق قال فتتعلق بأعماله قال ثم يخلى بينه وبين الكلام قال فيقول بعداً لكن وسحقاً فعنكن كنت أناضل (ولو نشاء اطمسنا على أعينهم) أي اذهبنا أعينهم الظاهرة بحيث لا يبدو لها جفن ولا شق وهو معنى الطمس كما قال الله (ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم) يقول كما أعيننا قلوبهم لو شئنا أعيننا أبصارهم الظاهرة (فاستبقوا الصراط) فتبادروا إلى الطريق (فاني يهترون) فكيف يهترون وقد أعيننا أعينهم يعني لو نشاء لاضلناهم عن الهدى وتركناهم عمياً يترددون فكيف يهترون الطريق حينئذ هذا قول الحسن والسدي وقال ابن عباس وقتادة ومقاتل وعطاء معناه لو نشاء لفقنا أعين ضلالتهم فاعميناهم عن غيهم وحوانا أبصارهم من الضلالة إلى الهدى فابصروا رشدكم فاني يهترون ولم أفعل ذلك بهم (ولو نشاء لمسحناهم على مكانهم) يعني مكانهم يريد لو نشاء لجعلناهم قردة وخنازير في منازلهم وقيل لو نشاء لجعلناهم حجارة وهم قعود في منازلهم لا أرواح لهم (فما استطاعوا مضيا) يعني إلى ما كانوا عليه وقيل لا يقدر على الذهاب ولا رجوع (ومن نعمته نكسه في الخلق) قرأ عاصم وحزمة بالتشديد وقرأ الآخرون بفتح النون الأولى وضم

يخبر تعالى عن ابن آدم انه كلما طال عمره رد الى الضعف بعد القوة والعجز بعد النشاط كما قال تبارك وتعالى (الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير) وقال عز وجل (ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا) والمراد من هذا والله أعلم الاخبار عن هذه الدار بانها دار زوال وانتقال لادار دوام واستقرار ولهذا قال عز وجل [أفلا يعقلون] أي يتفكرون بعقولهم في ابتداء خلقهم ثم صبرورهم الى سن الشيبة ثم الى الشيخوخة ليعلموا انهم خلقوا لدار أخرى لازوال لها ولا انتقال منها ولا محيد عنها وهي الدار الآخرة

وقوله تبارك وتعالى [وما علمناه الشعر وما ينبغي له] يقول عز وجل مخبرا عن نبيه محمد ﷺ أنه ما علمه الشعر [وما ينبغي له] أي ما هو في طبعه فلا يحسنه ولا يحبه ولا تقتضيه جبلته ولهذا ورد أنه ﷺ كان لا يحفظ بيتا على وزن منتظم بل إن أنشده زحفة أو لم يتمه، وقال أبو زرعة الرازي حدثنا اسماعيل بن مجالد عن أبيه عن الشعبي انه قال ما ولد عبد المطلب ذكرا ولا أنثى إلا يقول الشعر الا رسول الله ﷺ ذكره ابن عساكر في ترجمة عتبة بن أبي لهب الذي أكله الاسد بالزرقاء قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو سلمة حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن الحسن هو البصري قال ان رسول الله ﷺ كان يتمثل بهذا البيت * كفى بالاسلام والمرء ناهيا * فقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله * كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا * قال أبو بكر أو عمر رضي الله عنهما أشهد أنك رسول الله يقول تعالى (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) وهكذا روى البيهقي في الدلائل أن رسول الله ﷺ قال « لعباس بن مرداس السلمي رضي الله عنه أنت القائل * أنجعل نبي ونهب العبيد بين الافرع وعيينة * فقال إنما هو بين عيينة والافرع فقال ﷺ « الكل سواء » يعني في المعنى صلوات الله وسلامه عليه والله أعلم . وقد ذكر السهيلي في الروض الانف لهذا التقديم والتأخير الذي وقع في كلامه ﷺ في هذا البيت مناسبة أغرب فيها، حاصلها شرف الافرع بن حابس على عيينة بن بدر الفزاري لانه ارتد أيام الصديق رضي الله عنه بخلاف ذلك والله أعلم، وهكذا روى الأموي في مغازيه أن رسول الله ﷺ جعل يمشي بين القتلى يوم بدر وهو يقول « نفلق هاما » فيقول الصديق رضي الله عنه متمما للبيت

الكاف مخففا أي نرده الى أرذل العمر شبه الصبي في أول الخلق، وقيل ننكسه في الخلق أي نضعف جوارحه بعد قوتها ونردها الى نقصان بعد زيادتها (أفلا يعقلون) فيعتبروا ويعلموا أن الذي قدر على تعريف احوال الناس بقدر على البعث بعد الموت

قوله تعالى (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) قال الكلبي إن كفار مكة قالوا إن محمداً شاعر وما يقوله شعر فازل الله تكذيباً لهم (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) أي ما يتسهل له ذلك وما كان

من رجال أعره * علينا وهم كانوا أعق وأظلموا

وهذا لبعض شعراء العرب في قصيدة له وهي في الحماة. وقال الامام أحمد حدثنا هشيم حدثنا
مغيرة عن الشعبي عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استراب
الخبر تمثل فيه بيت طرفه * ويأتيك بالاخبار من لم تزود *

وهكذا رواه النسائي في اليوم واليلة من طريق ابراهيم بن مهاجر عن الشعبي عنها. ورواه الترمذي
والنسائي أيضا من حديث المقدم بن شريح بن هانئ عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها كذلك ثم
قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح. وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا يوسف بن موسى حدثنا
أسامة عن زائدة عن سماك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليه وسلم يتمثل من الاشعار * ويأتيك بالاخبار من لم تزود *

ثم قال ورواه غير زائدة عن سماك عن عطية عن عائشة رضي الله عنها وهذا في شعر طرفه بن
العبد في معلقته المشهورة وهذا المذكور عجز بيت منها أوله

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

ويأتيك بالاخبار من لم تبع له * بتانا ولم تضرب له وقت موعد

وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قيل لعائشة رضي الله عنها هل كان رسول الله ﷺ يتمثل
بشيء من الشعر قالت رضي الله عنها كان أبغض الحديث اليه غير انه ﷺ كان يتمثل بيت أخي
بني قيس فيجعل أوله آخره وآخره أوله فقال أبو بكر رضي الله عنه ليس هذا هكذا يا رسول الله فقال
رسول الله ﷺ « إني والله ما أنا بشاعر وما ينبغي لي » روى ابن أبي حاتم وابن جرير وهذا لفظه
وقال معمر عن قتادة بلغني أن عائشة رضي الله عنها سألت هل كان رسول الله ﷺ يتمثل بشيء من
الشعر فقالت رضي الله عنها لا إلا بيت طرفه

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

ينزل له بيت من الشعر حتى اذا تمثل بيت شعر جرى على لسانه منكسرا
أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أنا الحسن بن محمد الثقفى أنا أحمد بن جعفر
ابن همدان حدثنا يوسف بن عبد الله بن ماهان أنا موسى بن اسماعيل أنا حماد بن سلمة عن علي بن
همدان حدثنا يوسف بن أبي زيد عن الحسن أن النبي ﷺ كان يتمثل بهذا البيت
* كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا *

فقال أبو بكر يا رسول الله إنما قال الشاعر

فجعل ﷺ يقول « من لم تزود بالاخبار » فقال أبو بكر ليس هذا هكذا فقال ﷺ « إني است بشاعر ولا ينبغي لي »

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو حفص عمر بن أحمد بن نعيم وكيل المتقي بغداد حدثنا أبو محمد عبد الله بن لعل النحوي الضرير حدثنا علي بن عمر والانصاري حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت ما جمع رسول الله ﷺ بيت شعر قط إلا بيانا واحدا فقال بما تهوى يكن فلقما يقال اشيء كان الا تحمقا

سأت شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي عن هذا الحديث فقال هو منكرو لم يعرف شيخ الحاكم ولا الضرير وثبت في الصحيح انه ﷺ تمثل يوم حضر الخندق بأبيات عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ولكن تبعا لقول أصحابه رضي الله عنهم فانهم كانوا يرتجزون وهم يحفرون فيقولون

لاهم لولا أنت ما اعتدنا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأزلن سكينه علينا وثبت الأقدام ان لاقينا
ان الأولى قد بغوا علينا اذا أرادوا فتنة أبينا

ويرفع ﷺ صوته بقوله أبينا ويمدها وقد روى هذا بزحاف في الصحيحين أيضا وكذا ثبت أنه ﷺ قال يوم حنين وهو راكب البعلة يقدم بها في محور العدو أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

لكن قالوا هذا وقع اتفاقا من غير قصد لوزن شعر بل جرى على اللسان من غير قصد الية وكذلك ما ثبت في الصحيحين عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله ﷺ في غار فنكبت أصبعه فقال ﷺ

هل أنت الا اصم دمية وفي سبيل الله ما قيت
وسياتي عند قوله تعالى (إلا اللهم) انشاد

ان تغفر اللهم تغفرهما وأي عبد لك ما ألما

وكل هذا لا ينافي كونه ﷺ ما علم شعرا ولا ينبغي له فان الله تعالى إنما علمه القرآن العظيم الذي

كفى الشيب والاسلام المرء ناهيا

فقال أبو بكر أو عمر أشهد أنك رسول الله يقول الله تعالى (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي أنا علي بن الجعد أنا شريك عن المقدم بن شريح عن أبيه قال قلت لعائشة أكان رسول الله ﷺ يتمثل بشيء من الشعر قالت كان يتمثل من شعر عبد الله بن رواحة قالت وربما قال « ربا أتيتك بالاخبار من لم تزود »

(تفسير ابن كثير والبغوي) (١٥) (الجزء السابع)

لأبائيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تغزل من حكيم حميد) وليس هو بشعر كما زعمه طائفة من جهلة كفار قريش ولا كهانة ولا مفتعل ولا سحر يؤثر كما تنوعت فيه أقوال الضلال وآراء الجهال وقد كانت سجيته ﷺ تأتي صناعة الشعر طبعاً وشرعاً كما رواه أبو داود قال حدثنا عبيد الله بن عمر حدثنا عبد الله بن سويد حدثنا سعيد بن أبي أيوب حدثنا شرحبيل بن يزيد المعافري عن عبد الرحمن ابن رافع التنوخي قال سمعت عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « ما أبالي ما أبيت إن أنا شربت ترياقاً أو تعلقت نيمة أو قلت الشعر من قبل نفسي » تفرد به أبو داود وقال الامام أحمد رحمه الله حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن الاسود بن شيبان عن أبي نوفل قال سألت عائشة رضي الله عنها هل كان رسول الله ﷺ يساغ عنه الشعر؟ فقالت قد كل أبغض الحديث اليه ، وقال عن عائشة رضي الله عنها كان رسول الله ﷺ يعجبه الجوامع من الدعاء ، وبدع ما بين ذلك وقال أبو داود حدثنا أبو الوليد الطيالسي حدثنا شعبة عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ « لأن يمتلي جوف أحدكم قبيحا خير له من أن يمتلي شعرا » انفرد به من هذا الوجه واسناده على شرط الشيخين ولم يخرجاه

وقال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا قرعة بن سويد الباهلي عن عاصم بن مخرمة عن أبي الاشعث الصنعاني ح وحدثنا الاشعث فقال عن أبي عاصم عن أبي الاشعث عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « من قرض بيت شعر بعد العشاء الآخرة لم تقبل له صلاة تلك الليلة » وهذا حديث غريب من هذا الوجه ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة والمراد بذلك نظمه لا إنشاده والله أعلم ، على أن الشعر فيه ما هو مشروع وهو هجاء المشركين الذي كان يتعاطاه شعراء الاسلام كحسان بن ثابت رضي الله عنه وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وأمثالهم واضرابهم رضي الله عنهم أجمعين ، ومنه ما فيه حكم ومواعظ وآداب كما يوجد في شعر جماعة من الجاهلية ومنهم أمية بن أبي الصلت الذي قال فيه رسول الله ﷺ « آمن شعره وكفر قلبه » وقد أنشد بعض الصحابة رضي الله عنهم للنبي ﷺ مائة بيت يقول ﷺ عقب كل بيت « هيه » يعني يستطعمه ، فيزيده وقد روى أبو داود من حديث أبي بن كعب وبريدة بن الحصيب وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ قال « ان من البيان سحرا وإن من الشعر حكمة » ولهذا قال وما علمناه

وأشاد رسول الله ﷺ * وبأنيك من لم تزود بالاخبار * وقالت ورعاً قال * وبأنيك بالاخبار من لم تزود * وقال عمة عن قتادة بلغني أن عائشة سألت هل كان النبي ﷺ يتمثل بشيء من الشعر قالت كان الشعر أبغض الحديث اليه قالت ولم يتمثل بشيء من الشعر إلا بيت أخي بني قيس طرفة سبدي لك الايام ما كنت جاهلاً وبأنيك بالاخبار من لم تزود فجعل يقول « وبأنيك من لم تزود بالاخبار » فقال أبو بكر رضي الله عنه ليس هكذا يا رسول الله

الشعر) يعني محمدا ﷺ ما علمه الله الشعر (وما ينبغي له) أي وما يصلح له (إن هو إلا ذكر وقرآن مبين) أي ما هذا الذي علمناه (إلا ذكر وقرآن مبين) أي بين واضح حلي لمن تأله تديره ولهذا قال تعالى (لينذر من كان حيا) أي لينذر هذا القرآن المبين كل حي على وجه الارض كقوله (لا نذركم به ومن بلغ) وقال جل وعلا (ومن يكفر به من الاحزاب فانار موعده) وإنسا ينتفع بنذارته من هو حي اقلب مستقير البصيرة كما قال قتادة حي القلب حي البصر وقال الضحاك يعني عائلا ويحق القول على الكافرين) أي هو رحمة للمؤمنين وحجة على الكافرين

أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون ؟ (٧١) وذلكم لهم فنهبها ركبهم ومنها يأكلون (٧٢) ولهم فيها منافع ومشارب فلا يشكرون ؟ (٧٣)

يذكر تعالى ما أنعم به على خلقه من هذه الانعام التي سخرها لهم فهم لها مالكون قال قتادة مطبقون أي جعلهم يقرؤونها وهي ذليلة لهم لا تمتنع منهم بل لو جاء صغير إلى بهر لا ناخه ولو شا لا قامه وساقه وذلك ذليل منقاد معه وهذا لو كان القطار مائة بهير أو أكثر لسار الجميع بسير الصغير ، وقوله تعالى (فمنها ركبهم ومنها يأكلون) أي منها ما يركبون في الاسفار ويحملون عليه الاثقال الى سائر الجهات والاقطار ومنها يأكلون اذا شاؤا نحرروا واجتازوا [ولهم فيها منافع] أي من أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومناعا الى حين (ومشارب) أي من ألبانها وأبوابها لمن يتداوى ونحو ذلك أفلا يشكرون) أي أفلا يحدون خالق ذلك ومسخره ولا يشكرون غيره

وانخذوا من دون الله آلهة لهم يئسرون (٧٤) لا يستطيعون نصرهم وهم لهم

جند محضرون (٧٥) فلا يحزنك قولهم ، إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون (٧٦)

فقال « اني لست بشاعر ولا ينبغي لي » (ان هو) يعني ما القرآن (إلا ذكر) موعظة (وقرآن مبين) فيه الفرائض والحدود والاحكام (لينذر) قرأ أهل المدينة والشام ويعقوب اتنذر بالفاء وكذلك في الاحكام وابق ان كثير في لاحقاق أي اتنذر بالمحمد ، وقرأ الآخرون بالياء أي لينذر القرآن (من كان حيا) يعني مؤمنحي القلب لان الكافر كالميت في أنه لا يتدبر ولا يفكر (ويحق القول) وتجب حجة العذاب قوله تعالى (على الكافرين * أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا) نوينا خلقه بابداعنا من غير إعانة أحد (أنعاما فهم لها مالكون) ضابطون قاهرون أي لم يخلق الانعام وحشية نافرة من بني آدم لا يقدر على ضبطها بل هي مسخرة لهم وهو قوله (وذلكم لهم فنهب) سخرناها لهم (فمنها ركبهم) أي ما يركبون وهي الابل (ومنها يأكلون) من لحانها (ولهم فيها منافع) أي من أصوافها وأوبارها وأشعارها ونسلها (ومشارب) من ألبانها (أفلا يشكرون) رب هذه النعم (وانخذوا

يقول تعالى منكراً على المشركين في اتخاذهم الانداد آلهة مع الله ينتفون بذلك أن تنصرفهم تلك الآلهة وترزقهم وتقرهم الى الله زافى قال الله تعالى (لا يستطيعون نصرهم) أي لا تقدر الآلهة على نصر عابديها بل هي أضعف من ذلك وأقل وأذل وأحق وأدحر بل لا تقدر على الاستنصار لأنفسها ولا الانتقام ممن أرادها بسوء. لاها جهاد لا تسمع ولا تعقل

وقوله تبارك وتعالى وهم لهم جند محضرون اقل مجاهد يعني عند الحساب يريد أن هذه الاصنام محشورة مجموعة يوم القيامة محضرة عند حساب عابديها ليكون ذلك أبلغ في حزنهم وأدل عليهم في اقامة الحججة عليهم وقال قتادة (لا يستطيعون نصرهم) يعني الآلهة [وهم لهم جند محضرون] والمشركون يفضيرون للآلهة في الدنيا وهي لا تسوق اليهم خيراً ولا تدفع عنهم شرراً هي أصنام وهكذا قال الحسن البصري وهذا القول حسن وهو اختيار ابن جرير رحمه الله تعالى ، وقوله تعالى (فلا يحزنك قولهم) أي تكذيبهم لك وكفرهم بالله [إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون] أي نحن نعلم جميع ما هم فيه وسنجزئهم وصفهم ونعاملهم على ذلك يوم لا يفقدون من أعمالهم جليلاً ولا حقيراً ولا صغيراً ولا كبيراً بل يعرض عليهم جميع ما كانوا يعملون قديماً وحديثاً

أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين (٧٧) وضرب لنا مثلاً ونسي

خلقاه قال من يحيي العظام وهي رميم ؟ (٧٨) قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم

(٧٩) الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون (٨٠)

قال مجاهد وعكرمة وعروة بن الزبير والسدي وقتادة جاءني بن خلف لعنه الله الى رسول الله ﷺ وفي يده عظم رميم وهو يفته ويذروه في الهواء وهو يقول يا محمد أنزع من الله بيعت هذا ؟ قال ﷺ « نعم بيعتكم الله تعالى ثم بيعتكم ثم يحشركم إلى النار » ونزلت هذه الآيات من آخر بس [أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة] إلى آخرهن

من دون الله آلهة لعلمهم بنصرون) يعني لنمنعهم من عذاب الله ولا يكون ذلك قط (لا يستطيعون نصرهم) قال ابن عباس لا تقدر الاصنام على نصرهم ومنعهم من العذاب (وهم لهم جند محضرون) أي الكفار جند للاصنام يفضيرون لها ويحضرونها في الدنيا وهي لا تسوق اليهم خيراً ولا تستطيع لهم نصراً وقيل هذا في الآخرة يؤتى بكل معبود من دون الله تعالى ومنعه اتباعه الذين عبدوه كأنهم جند محضرون في النار (فلا يحزنك قولهم) يعني قول كفار مكة في تكذيبك (إنا نعلم ما يسرون) في ضمايرهم من التكذيب (وما يعلنون) من عبادة الاصنام أو ما يعلنون بالسننهم من الأذى قوله تعالى (أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين) بين

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا محمد بن العلاء حدثنا عثمان بن سعيد الزيات عن هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ان العاص بن وائل أخذ عظما من البطحاء ففته بيده ثم قال لرسول الله ﷺ أيجبي الله هذا بعد ما أرى ؟ فقال رسول الله ﷺ « نعم بيمينك الله ثم يمينك ثم يدخلك جهنم » قال وزلت الآيات من آخر يس ، ورواه ابن جرير عن يعقوب بن إبراهيم عن هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير فذكره ولم يذكر ابن عباس رضي الله عنهما ، وروي من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاء عبد الله بن أبي بظم ففته وذكر نحو ما تقدم ، وهذا منكر لان السورة مكية وعبد الله بن أبي بن سلول إنما كان بالمدينة وعلى كل تقدير سواء كانت هذه الآيات قد زلت في أبي بن خلف أو العاص بن وائل أو فيها فهي عامة في كل من أنكر البعث ، والآف واللام في قوله تعالى (أولم ير الانسان) للجنس بهم كل منكر للبعث (أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين) أي أولم يستدل من أنكر البعث بالبدء على الاعادة فان الله ابتداء خلق الانسان من سلالة من ماء مهين فخلق من شيء حقير ضعيف مهين كما قال عز وجل (ألم نخلقكم من ماء مهين * فجعلناه في قرار مكين * إلى قدر معلوم) وقال تعالى (إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج) أي من نطفة من أخلاط متفرقة فالذي خلقه من هذه النطفة الضعيفة أليس بقادر على إعادته بعد موته كما قال الامام أحمد في مسنده حدثنا أبو المغيرة حدثنا حرب بن حدثنني عبد الرحمن بن ميسرة عن جبير بن نفير عن بشر بن جحاش قال ان رسول الله ﷺ يصفى بوما في كفه فوضع عليها أصبعه ثم قال رسول الله ﷺ « قال الله تعالى بُنِيَ آدَمُ أَنَّى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا سويته وعدا لك مشيت بين يديك والارض منك وأيد فجاءت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت أهدق وأنى أو ان الهدقة » ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يزيد بن هارون عن حريز بن عثمان به ولهذا قال تعالى (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ؟) أي استبعد إعادة الله تعالى ذي القدرة العظيمة التي خلقت السموات والارض الاجساد والعظام الرميمة ونسي نفسه وان الله تعالى خلقه من العدم الى الوجود فعلم من نفسه ما هو أعظم مما استبعده وأنكره وجحدته ولهذا قال عز وجل (قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) أي يعلم

الخصوصية ، يعني انه مخلوق من نطفة ثم بخاصم فكيف لا يتفكر في بدء خلقه حتى يدع الخصوصية . زلت في أبي بن خلف الجمعي خاصم النبي ﷺ في إنكار البعث وأناه بعظم قد لي ففته بيده فقال أرى يحيي الله هذا بعد ما رم ؟ فقال النبي ﷺ « نعم وبيمينك ويدخلك النار » فأنزل الله هذه الآيات (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه) بدأ أمره ثم (قال من يحيي العظام وهي رميم ؟) بالية ، ولم يقل رميمة لانه معدول عن فاعلة وكل ما كان معدولا عن وجهه ووزنه كان مصروفا عن إعرابه كقوله (وما كانت أمك بغيا) أسقط الهاء لانها كانت مصروفة عن باغية (قل يحييها الذي أنشأها) خلقها (أول

العظام في سائر أقطار الارض وأرجائها أين ذهبت وأين نفرقت وتمزقت

قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة عن عبد الملك بن عمير عن ربي قال قال عتبة بن عمرو لحذيفة رضي الله عنهما : ألا نحدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ فقال سمعته ﷺ يقول « ان رجلا حضره الموت فلما أيس من الحياة أرمى أهله اذا أنا مت فاجمعوا لي حطباً كثيراً جزلاً ثم أوقدوا فيه نارا حتى اذا أكلت لحى وخلصت الى عظمي فانتحشت فحذرها فدقوها فذروها في اليم ففعلوا فجمعه الله تعالى اليه ثم قال له لم فعلت ذلك ؟ قال من خشيتك فغفر الله عز وجل له » فقال عتبة بن عمرو : وأنا سمعته ﷺ يقول ذلك وكان نباشا ، وقد أخرجاه في الصحيحين من حديث عبد الملك بن عمير بالعاظ كثيرة منها أنه أمر بنيه أن يحرقوه ثم يسحقوه ثم يذروا نصفه في البر ونصفه في البحر في يوم رائج أي كثير الهواء ففعلوا ذلك ، فأمر الله تعالى البحر فجمع ما فيه وأمر البر فجمع ما فيه ثم قال له كن فاذا هو رجل قائم فقال له ما حملك على ما صنعت ؟ قال : مخافتك وانت أعلم ، فما نلافاه أن غفر له وقوله تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون ، أي الذي بدأ خلق هذا الشجر من ما حتى صار خضرا نضرا ذا ثمر وينم ثم أعاده الى أن صار حطباً يابساً توقد به النار كذلك هو فعال لما يشاء . قادر على ما يريد لا ينعم شي .

قال قتادة في قوله [الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا أنتم توقدون] يقول الذي أخرج هذه النار من هذا الشجر قادر على أن يبعثه ، وقيل المراد بذلك شجر المرخ والعفار ينبت في أرض الحجاز فيأتي من أراد قدح نار ولبس معه زناد فيأخذ منه عودين أخضرين ويقدح أحدهما ، لا آخر فتتولد النار من بينهما كالزناد سواء وروى هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وفي المثل لكل شجر نار واستمجد المرخ والعفار ، وقال الحكماء في كل شجر نار الا العناب

أو ليس الذي خلق السموات والارض بقدر على أن يخلق مثلهم ؟ بلى وهو

الخالق العليم (٨١) انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون (٨٢) فسبحن الذي

مرة وهو بكل خلق عليم * الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا) قال ابن عباس هما شجرتان يقال لاحدهما المرخ والاخرى العفار فن أراد منهم النار قطع منهما غصنين مثل السواكين وهما خضرا وان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ على العفار فتخرج منهما النار باذن الله عز وجل ، تقول العرب في كل شجر نار ، واستمجد المرخ والعفار ، وقال الحكماء في كل شجر نار إلا العناب (فاذا أنتم منه توقدون) تقدحون وتوقدون النار من ذلك الشجر

ثم ذكر ما هو أعظم من خلق الانسان فقال (أو ليس الذي خلق السموات والارض بقادر)

بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون (٨٣)

يقول تعالى منها على قدرته العظيمة في خلق السموات السبع بما فيها من الكواكب السيارة والثوابت والارضين السبع وما فيها من جبال ورمال وبحار وقفار وما بين ذلك ومرشدا الى الاستدلال على اعادة الاجساد بخلق هذه الاشياء العظيمة كقوله تعالى (لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس) وقال عز وجل ههنا [أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم ؟] أي مثل البشر فيعيدهم كما بدأهم ، قاله ابن جرير ، وهذه الآية الكريمة كقوله عز وجل [أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض ولم يهيئ لخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى ؟ بلى انه على كل شيء قدير] وقال تبارك وتعالى ههنا (بلى وهو الخلاق العليم) انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون أي انما يأمر بالشيء أمرا واحدا لا يحتاج الى تكرار وتأكد

اذا ما أراد الله أمرا فاما يقول له كن قوله فيكون

وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن نمير حدثنا موسى بن المسيب عن شهر عن عبد الرحمن بن غنم عن أبي ذر رضي الله عنه قال ان رسول الله ﷺ قال « ان الله تعالى يقول يا عبادي كلّموا مذهب الا من عافيت فاستغفروني أغفر لكم ، وكلّموا فقير الا من أغنيت ، اني جواد ماجد واجد أفعل ماشاء ، عطائي كلام وعذابي كلام اذا أردت شيئا فاما اقول له كن فيكون »

وقوله تعالى [فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء - وإليه ترجعون] أي تنزيهه وتقديسه وتبرئته من السوء . لاحي القيوم الذي بيده مقاليد السموات والارض وإليه يرجع الامر كله وله الخلق والامر وإليه ترجع العباد يوم المعاد فيجازي كل عامل بعمله وهو العادل المنعم المتفضل

ومعنى قوله سبحانه وتعالى (فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء) كقوله عز وجل (قل من بيده ملكوت كل شيء ؟) وكقوله تعالى [تبارك الذي بيده الملك] فان ملك والملكوت واحد في المعنى كرحمة ورحوت ورهبة ورهوت وجبر وجبروت ، ومن الناس من زعم أن الملك هو عالم الاجسام والملكوت هو عالم الارواح والصحيح الاول وهو الذي عليه الجمهور من المفسرين وغيرهم

قال الامام أحمد حدثنا شريح بن النعمان حدثنا حماد عن عبد الملك بن عمير حدثنا ابن عم حذيفة عن حذيفة - وهو ابن اليمان - رضي الله عنه قال : قلت مع رسول الله ﷺ ذات ليلة فقرأ السبع

قرأ بعقوب (يقدر) بالياء على الفعل (على أن يخلق مثلهم لي) أي قل بلى هو قادر على ذلك (وهو الخلاق) بخلق خلقا بعد خلق (العالم) بجميع ما خلق (انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون » فسبحان الذي بيده ملكوت) أي ملك (كل شيء - وإليه ترجعون)
أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد النافسي أنا أبو الطاهر الزبادي أنا أبو بكر محمد بن الحسين

الطول في سبع ركعات وكان ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع قال « سمع الله لمن حمده » ثم قال - الحمد لله ذي الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة ، وكان ركوعه مثل قيامه ، وسجوده مثل ركوعه ، فأنصرف وقد كادت تنكسر رجلاي

وقد روى أبو داود والترمذي في الشمائل والنسائي من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي حمزة مولى الانصار عن رجل من بني عباس عن حذيفة رضي الله عنه أنه رأى رسول الله ﷺ يصلي من الليل وكان يقول « الله أكبر - ثلاثا - ذي الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة » ثم استفتح فقرأ البقرة ثم ركع فكان ركوعه نحوه من قيامه وكان يقول في ركوعه « سبحان ربي العظيم » ثم رفع رأسه من الركوع فكان قيامه نحوه من ركوعه وكان يقول في قيامه « لربي الحمد » ثم سجد فكان سجوده نحوه من قيامه وكان يقول في سجوده « سبحان ربي الاعلى » ثم رفع رأسه من السجود وكان يقعد فيما بين السجدين نحوه من سجوده وكان يقول « رب اغفر لي رب اغفر لي » فصلى أربع ركعات فقرأ فيهن البقرة وآل عمران والنساء والمائدة أو الانعام - شك شعبة - هذا لفظ أبي داود

وقال النسائي : أبو حمزة عندنا طلحة بن يزيد ، وهذا الرجل يشبه أن يكون صلة كذا قال . والاشبه أن يكون ابن عم حذيفة كما تقدم في رواية الامام أحمد والله أعلم . وأما رواية صلة بن زفر عن حذيفة رضي الله عنه فانها في صحيح مسلم ولكن ليس فيها ذكر الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة . وقال أبو داود حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب حدثني معاوية بن صالح عن عمرو بن قيس عن عاصم بن حميد عن عوف بن مالك الاشجعي رضي الله عنه قال : قلت مع رسول الله ﷺ ليلة فقام فقرأ سورة البقرة لا يمر بآية رحمة إلا وقف وسأل ، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف ونعوذ قال ثم ركع بقدر قيامه يقول في ركوعه « سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة » ثم سجد بقدر قيامه ثم قال في سجوده مثل ذلك ثم قام فقرأ بآل عمران ثم قرأ سورة سورة ، ورواه الترمذي في الشمائل والنسائي من حديث معاوية بن صالح به

(آخر تفسير سورة يس والله الحمد والمنة)

القطان حدثنا علي بن الحسين الدار الجرجاني حدثنا عبد الله بن عثمان أخبرنا عبد الله بن المبارك عن سليمان التيمي عن أبي عثمان - وليس بالأنهدي - عن معقل بن يسار قال : قال رسول الله ﷺ « اقرأوا على موتاكم سورة يس » ورواه محمد بن العلاء عن ابن المبارك وقال عن أبي عثمان - وليس بالأنهدي - عن أبيه عن معقل بن يسار

تفسير سورة الصافات وهي مكية

قال النسائي أخبرنا اسماعيل بن مسعود حدثنا خالد - يعني ابن الحارث - عن أبي ذؤيب قال أخبرنا الحارث بن عبد الرحمن عن سالم بن عبد الله عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا بالتخفيف وبؤمنا بالصافات ، تفرد به النسائي
بسم الله الرحمن الرحيم

والصَفَّتِ صَفًّا (١) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (٢) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (٣) إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوْ أَحَدٌ (٤)
رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشرق (٥)
قال سفيان الثوري عن الأعمش عن أبي الضمعي عن مسروق عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال (والصافات صفا) وهي الملائكة (فالزاجرات زجراً) هي الملائكة (فالتاليات ذكراً) هي الملائكة ، وكذا قال ابن عباس رضي الله عنهما ومسروق وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد والسدي وقنادة والريثم بن أنس قال قتادة الملائكة صفوف في السماء

(سورة الصافات مكية وهي مائة وثمانون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(والصافات صفا) قال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن وقنادة : هم الملائكة في السماء يصفون كصفوف الخلق في الدنيا للصلاة

أخبرنا عمر بن عبد العزيز القاشاني أخبرنا أبو عمر القاسم بن جعفر الهاشمي أخبرنا أبو علي محمد بن العلا أحمد اللؤلؤي حدثنا أبو داود سليمان بن الأشعث حدثنا عبد الله بن محمد النفيلي حدثنا زهير قال سألت سليمان الأعمش عن حديث جابر بن سمرة في الصفوف المقدمة لحدثنا عن المسيب بن رافع ابن طرفة عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله ﷺ « ألا تصفون كما نصف الملائكة عند ربهم ؟ » قلنا وكيف نصف الملائكة عند ربهم ؟ قال « يتعبدون الصفوف المقدمة ويتراصون في الصف » وقيل هم الملائكة نصف أجنحتها في الهواء واقفة حتى يأمرها الله تعالى بما يريد ، وقيل هي الطير دليله قوله تعالى (والطير صافات)

قوله تعالى (فالزاجرات زجراً) يعني الملائكة تزجر السحاب وتسوقه . وقال قتادة : هي زواجر القرآن تهيم وزجر عن القبائح (فالتاليات ذكراً) هم الملائكة يتلون ذكر الله عز وجل ، وقيل (تفسير ابن كثير والبغوي) (١٦) (الجزء السابع)

وقال مسلم حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا محمد بن فضيل عن أبي مالك الأشجعي عن ربي عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « فضلنا على الناس بثلاث . جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الأرض كلها مسجداً وجعل لنا بها طهوراً إذا لم نجد الماء » وقد روى مسلم أيضاً وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث الاعمش عن المديب بن رافع عن نعيم بن طرفة عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم ؟ قلنا وكيف نصف الملائكة عند ربهم ؟ قال ﷺ « يتمون الصفوف المتقدمة ويتراصون في الصف » وقال السدي وغيره معنى قوله تعالى (فالزاجرات زجراً) أنها تزجر السحاب . وقال الربيع بن أنس (فالزاجرات زجراً) مازجر الله تعالى عنه في القرآن ، وكذا روى مالك عن زيد بن أسلم (فالتاليات ذكراً) قال السدي الملائكة يجيئون بالكتاب والقرآن من عند الله إلى الناس وهذه الآية كقوله تعالى (فالملقيات ذكراً أو نذراً)

وقوله عز وجل (إن إلهكم لواحده رب السموات والأرض [هذا هو المقسم عليه أنه تعالى لإله الا هو رب السموات والأرض] وما بينهما [أي من الخلق] ورب المشارق [أي هو الملك المنصرف في الخلق بتسخيره بما فيه من كواكب ثوابت وسيارات تبدو من المشرق وتغرب من المغرب ، واكتفى بذكر المشارق عن المغرب لدلائلها عليه وقد صرح بذلك في قوله عز وجل [فلا أقسم برب المشارق والمغرب انا لقادرون] وقال تعالى في الآية الأخرى [رب المشرقين ورب المغربين] يعني في الشتاء والصيف والشمس والقمر

هم جماعة قراء القرآن ، وهذا كله قسم أقسم الله تعالى بها وجواب القسم قوله (إن إلهكم لواحده) وقيل فيه إضمار أي ورب الصافات والزاجرات والتاليات ، وذلك أن كفار مكة قالوا : أجعل الآلهة إلهاً واحداً فأقسم الله بهمؤلاً . (رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق) أي مطالع الشمس فان قيل : قد قال في موضع (رب المشارق والمغرب) وقال في موضع (رب المشرقين ورب المغربين) وقال في موضع (رب المشرق والمغرب) فكيف وجه التوفيق بين هذه الآيات ؟ قيل : أما قوله (رب المشرق والمغرب) أراد به جهة المشرق وجهة المغرب ، وقوله (رب المشرقين ورب المغربين) أراد مشرق الشتاء ومشرق الصيف ، وأراد بالمغربين مغرب الشتاء ومغرب الصيف ، وقوله (رب المشارق والمغرب) أراد الله تعالى أنه خلق للشمس ثلاثمائة وستين كوة في المشرق وثلاثمائة وستين كوة في المغرب على عدد أيام السنة تطلع الشمس كل يوم من كوة منها وتغرب في كوة منها لا ترجع إلى الكوة التي تطلع الشمس منها من ذلك اليوم إلى العام المقبل فهي المشارق والمغرب ، وقيل كل موضع أشرقت عليه الشمس فهو مشرق وكل موضع غربت عليه الشمس فهو مغرب كأنه أراد رب جميع ما أشرقت عليه الشمس وغربت

إنا زيننا السماء الدنيا بزينة الكواكب (٦) وحفظاً من كل شيطان مارد (٧)
لا يسمعون إلى الملائكة الأعلى ويقتذفون من كل جانب (٨) دحوراً ولهم عذاب واصب (٩)
إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب (١٠)

يخبر تعالى أنه زين السماء الدنيا للناظرين إليها من أهل الأرض بزينة الكواكب، قري، بالإضافة
وبالبدل وكلاهما معنى واحد فالسكواكب السيارة والنوابت يشع ضوءها حرم السماء الشفاف فتضي
لأهل الأرض كقandle ببارك وتعالى [وأقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين *
وأعدنا لهم عذاب السعير] وقال عز وجل [ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين * وحفظناها
من كل شيطان رجيم * إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين]

فقوله جل وعلا ههنا (وحفظاً) تقديره وحفظناها حفظاً (من كل شيطان مارد) يعني المتمرد
العاني إذا أراد أن يسترق السمع أثناء شهاب ثاقب فأحرقه ولهذا قال جل جلاله [لا يسمعون إلى
الملائكة الأعلى] أي لئلا يصلوا إلى الملائكة الأعلى وهي السموات ومن فيها من الملائكة إذا تكلموا بما
يوحى الله تعالى مما يقوله من شرعه وقدره كما تقدم بيان ذلك في الأحاديث التي أوردناها عند قوله
تبارك وتعالى [حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق وهو العلي الكبير] ولهذا
قال تعالى [ويقتذفون] أي يرمون [من كل جانب] أي من كل جهة يقصدون السماء منها [دحوراً]
أي رجماً يدحرون به ويذرون ويمنعون من الوصول إلى ذلك ويرجمون (ولهم عذاب واصب) أي في
الدار الآخرة لهم عذاب دائم موجه مستمر كما قال جات عظمته [وأعدنا لهم عذاب السعير]

(إنا زيننا السماء الدنيا بزينة الكواكب) قرأ عاصم برواية أبي بكر (بزينة) منونة (الكواكب)
نصب أي بزينتنا الكواكب . وقرأ حمزة وحفص (بزينة) منونة (الكواكب) خفض على البدل أي
بزينة الكواكب أي زينناها بالكواكب ، وقرأ الآخرون (بزينة الكواكب) بلام تنوين على الإضافة ،
قال ابن عباس بضوء الكواكب (وحفظاً) أي وحفظناها حفظاً (من كل شيطان مارد) متمرد يرمون
بها (لا يسمعون) قرأ حمزة والكسائي وحفص [يسمعون] بتشديد السين والميم أي لا يسمعون
فأدغمت التاء في السين ، وقرأ الآخرون بـكون السين خفيف الميم (إلى الملائكة الأعلى) أي إلى
الكتيبة من الملائكة ، والملائكة الأعلى هم الملائكة لانهم في السماء ، ومعناه أنهم لا يستطيعون الاستماع
إلى الملائكة الأعلى (ويقتذفون) يرمون (من كل جانب) من كل آفاق السماء بالشهب (دحوراً) يبعدونهم
عن مجالس الملائكة ، يقال دحره دحراً ودحوراً إذا طرده وأبعده (ولهم عذاب واصب) دائم

وقوله تبارك وتعالى [الا من خطف الخطفة] أي الا من اختطف من الشياطين الخطفة وهي الكلمة بسمعها من السماء فيلقبها الى الذي تحته ويلقبها الآخر الى الذي تحته فرمى أدركه الشهاب قبل أن يلقبها وربما ألقاها بقدر الله تعالى قبل أن يأتيه الشهاب فيحرقه فيذهب بها الآخر الى الكاهن كما تقدم في الحديث ولهذا قال [الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب] أي مستدير

قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيم عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان للشياطين مقاعد في السماء قال فكانوا يستمعون الوحي قال وكانت النجوم لا تجري وكانت الشياطين لا ترمى قال فإذا سمعوا الوحي نزلوا الى الأرض فزادوا في الكلمة نسما قال فلما بعث رسول الله ﷺ جعل الشيطان إذا قعد مقعده حاه شهاب فلم يخطئه حتى يحرقه قال فشكوا ذلك الى إبليس لعنه الله فقال ما هو الا من أمر حدث قل فبث جنوده فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي بين جلي محلة قال وكيم يعني بطن نخلة قل فرجعوا الى إبليس فأخبروه فقال هذا الذي حدث ، وستأتي إرشاء الله تعالى الأحاديث الواردة مع الآثار في هذا المعنى عند قوله تعالى اخبراً عن الجن أنهم قالوا (وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهاباً * وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً * وانا لا ندرى أسر أريد من في الأرض أم أرادهم وهم رشا)

فاستفتهم أم أشد خلقاً أم من خلقنا انا خلقناهم من طين لازب (١١) بل عجبت ويسخرون (١٢) وإذا ذُكِرُوا لا يذكرون (١٣) وإذا رَأُوا آية يستسخرون (١٤) وقالوا إن هذا إلا سحر مبين (١٥) أءذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أءنا لمبعوثون؟ (١٦) أو آباءؤنا الاولون (١٧) قل نعم وأنتم داخرون (١٨) فأنما هي زجرة واحدة فإذا هم ينظرون (١٩) يقول تعالى : فسل هؤلاء المنكرين للبعث أيما أشد خلقاً أم السموات والأرض وما بينهما من

قال مقاتل دائم إلى النفخة الاولى لانهم يحرقون ويتخبلون (إلا من خطف الخطفة) اختلس الكلمة من كلام الملائكة مسارقة (فأتبعه) لحقه (شهاب ثاقب) كوكب مضي قوي لا يخطئه يقتله أو يحرقه أو يخبئه ، وإنما يعودون إلى استراق السمع مع علمهم بأنهم لا يصلون اليه طمعاً في السلامة وقيل المراد كراكب السفينة . قال عطاء سمي النجم الذي يرمى به الشياطين ثاقباً لأنه يثقبهم (فاستفتهم) يعني سلهم يعني أهل مكة (أم أشد خلقاً أم من خلقنا) يعني من السموات والأرض والجبال ، وهذا استفهام بمعنى التقرير أي هذه الاشياء أشد خلقاً كما قال [لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس] وقال (أنتم أشد خلقاً أم السماء)

الملائكة والشياطين والمخلوقات العظيمة ، وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه أم من عددنا فأنهم يقرون أن هذه المخلوقات أشد خلقاً منهم ، وإذا كل الأمر كذلك فلم ينكرون البعث وهم يشاهدون ما هو أعظم مما أنكروا كما قال عز وجل (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ثم بين أنهم خلقوا من شيء ضعيف فقال (أنا خلقناهم من طين لازب)

قال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك هو الجيد الذي يلتزم بعضهم ببعض ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة هو اللزج الجيد ، وقال قتادة هو الذي يلزم باليد

وقوله عز وجل (بل عجبنا وبسخرنهم) أي بل عجبنا بمحمد بن عبد الله بن عبد المطلب المنكرين للبعث وأنت موقن مصدق بما أخبر الله تعالى من الأمر العجيب وهو إعادة الأجسام بعد فناءها وهم بخلاف أمرك من شدة تكذيبهم بسخرنهم مما تقول لهم من ذلك

قال قتادة عجب محمد ﷺ وسخر ضلال بني آدم ، وإذا رأوا آية أي دلالة واضحة على ذلك يستسخرنهم ، قال مجاهد وفتادة يستهزئون (وقالوا إن هذا إلا سحر مبين) أي إن هذا الذي

وقيل [أم من خلقنا] يعني من الأمم الخالية لاز [من] يذكر فيمن يعقل ، يقول إن هؤلاء ليسوا بأحكم خلقاً من غيرهم من الأمم وقد أهلكناهم بذنوبهم فما الذي يؤمن هؤلاء من العذاب ؟

ثم ذكر خلق الإنسان فقال (إنا خلقناهم من طين لازب) يعني جيد حر لاصق يعلق باليد ، ومعناه اللازم أبدل الميم باء كأنه يلزم اليد ، وقال مجاهد والضحاك متين (بل عجبنا) قرأ حمزة والكسائي ضم التاء وهي قراءة ابن مسعود وابن عباس ، والعجب من الله عز وجل ليس كالتعجب من الآدميين كما قال [فيسخرنهم منهم سخر الله منهم] وقال عز وجل (نسوا الله فسيهم) والعجب من الآدميين إنكاره وتعظيمه . والعجب من الله تعالى قد يكون بمعنى الإنكار والذم وقد يكون بمعنى الاستعسان والرضا كما جاء في الحديث « عجب ربكم من شاب ليست له صبوة » وجاء في الحديث « عجب ربكم من إلكم وقنوطكم وسرعة إجابته إياكم »

وسئل الجنيد عن هذه الآية فقال : إن الله لا يعجب من شيء . ولكن الله وافق رسوله لما عجب رسوله فقال (وإن تعجب فعجب قولهم) أي هو كما تقوله ، وقرأ الآخرون بفتح التاء على خطاب الذي ﷺ أي عجبنا من تكذيبهم إياك (وبسخرنهم) يعني وهم بسخرنهم من تعجبك ، قال قتادة عجب النبي ﷺ من هذا القرآن حين أنزل وضلال بني آدم وذلك أن النبي ﷺ كان يظن أن كل من يسمع القرآن يؤمن به فلما سمع المشركون القرآن سخروا منه ولم يؤمنوا به فعجب من ذلك النبي ﷺ فقال الله تعالى (بل عجبنا وبسخرنهم) (وإذا ذكروا لا يذكرون) يعني إذا وعظوا بالقرآن لا يتعظون (وإذا رأوا آية) قال ابن عباس ومقاتل يعني انشقاق القمر (يستسخرنهم) يستهزئون وبه تهزئون ، وقيل يستدعي بعضهم عن بعض السخرية (وقالوا إن هذا إلا سحر مبين)

جئت به إلا سحر بين (أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما أننا لمبعوثون * أو آباؤنا الاولون) يستبعدون ذلك وبكذبون به (قل نعم وأنتم داخرون) أي قل لهم يا محمد نعم تبعثون يوم القيامة بعد ماتصرون ترابا وعظاما وأنتم داخرون أي حقيرون تحت القدرة العظيمة كقال تبارك وتعالى (وكل أتوه داخرين) وقال (إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين)

ثم قال جئت عظمتي (فأنما هي زجرة واحدة فإذا هم ينظرون) أي فأنما هو أمر واحد من الله عز وجل يدعوهم دعوة واحدة أن يخرجوا من الأرض فإذا هم قيام بين يديه ينظرون إلى أهوال يوم القيامة والله تعالى أعلم

وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين (٢٠) هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون (٢١)

احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون (٢٢) من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم (٢٣) وقفوهم إنهم مسئولون (٢٤) ما لكم لا تنصرون ؟ (٢٥) بل هم اليوم مستسلمون (٢٦)

يخبر تعالى عن قبل الكفار يوم القيامة أنهم يرجعون على أنفسهم بالملامة ويعترفون بأنهم كانوا ظالمين لأنفسهم في الدار الدنيا ، فإذا عاينوا أهوال القيامة ندما كل الندم حيث لا ينفعهم الندم (وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين) فتقول لهم الملائكة والمؤمنون (هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون) وهذا يقال لهم على وجه التقريع والتوبيخ ويأمر الله تعالى الملائكة أن تميز الكفار من المؤمنين في الموقف في محشرهم ومنشرهم ولهذا قال تعالى (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم)

قال النعمان بن بشير رضي الله عنه يعني بأزواجهم أشباههم وأمثالهم ، وكذا قال ابن عباس وسعيد ابن جبيرة وعكرمة ومجاهد والسدي وأبو صالح وأبو العالية وزيد بن أسلم ، وقال سفيان الثوري عن سماك عن النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) قال إخوانهم ، وقال شريك عن سماك عن النعمان قال : سمعت عمر يقول (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم)

يعني سحر بين (أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما أننا لمبعوثون أو آباؤنا الاولون) أي وآباؤنا الاولون (قل نعم) تبعثون (وأنتم داخرون) صاغرون ، والدخور أشد الصغار (فأنما هي) أي قصة البعث أو القيامة (زجرة) أي صيحة (واحدة) يعني نفخة البعث (فإذا هم ينظرون) أحياء (وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين) أي يوم الحساب ويوم الجزاء (هذا يوم الفصل) يوم القضاء ، وقبل يوم الفصل بين المحسن والمسي (الذي كنتم به تكذبون) احشروا الذين ظلموا (أي اشركوا اجمعوهم إلى الموقف لحساب والجزاء) (وأزواجهم) أشياعهم وأنباعهم وأمثالهم ، قال قتادة الكلبي : كل من عمل

قال أشباههم، قال يحيى، أصحاب الزنا مع أصحاب الزنا وأصحاب الربا مع أصحاب الربا، وأصحاب الخمر مع أصحاب الخمر، وقال خصيف عن مقسم عن ابن عباس رضي الله عنهما أزواجهم نساءهم وهذا غريب والمعروف عنه الاول كما رواه مجاهد وسعيد بن جبير عنه أزواجهم قرناءهم وما كانوا يعبدون من دون الله أي من الاصنام والانداد تحبش معهم في أما كنهم . وقوله تعالى (فاهدوهم إلى صراط الجحيم) أي ارشدوهم إلى طريق جهنم وهذا كقوله تعالى (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكيا وصما ما أراهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً)

وقوله تعالى (وقفوهم انهم مسؤولون) أي فقوم حتى يسئلوا عن أعمالهم وأقوالهم التي صدرت عنهم في الدار الدنيا كما قال الضحاك عن ابن عباس يعني احبسوهم انهم محاسبون

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا الثعلبي حدثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت ليثا يحدث عن بشر عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « أيما داع دعا إلى شيء كان موقوفا معه إلى يوم القيامة لا يفادره ولا يفارقه وإن دعا رجل رجلا » ثم قرأ (وقفوهم انهم مسؤولون) ورواه الترمذي من حديث ليث بن أبي سليم ، ورواه ابن جرير عن يعقوب بن إبراهيم عن معتمر عن ليث عن رجل عن أنس رضي الله عنه مرفوعا

وقال عبدالله بن المبارك سمعت عثمان بن زائدة يقول ان أول ما يسئل عنه الرجل جاسأؤه ، ثم يقال لهم على سبيل التقرير والتوبيخ (مالكم لا تناصرون ؟) أي كما زعمتم انكم جميع منتصر (بل هم اليوم مستسلمون) أي بنقادون لأمر الله لا يخالفونه ولا يجيدون عنه

مثل عملهم فأهل الخمر مع أهل الخمر وأهل الزنا مع أهل الزنا ، وقال الضحاك ومقاتل وقرناءهم من الشياطين كل كافر مع شيطانه في سلسلة ، وقال الحسن وأزواجهم المشركات (وما كانوا يعبدون من دون الله) في الدنيا يعني الاوثان والطواغيت ، وقال مقاتل يعني ابليس وجنوده واحتج بقوله (أن لا تعبدوا الشيطان) (فاهدوهم إلى صراط الجحيم) قال ابن عباس دلوهم إلى طريق النار وقال ابن كيسان قدوهم والعرب تسمي السابق هاديا (وقفوهم) واحبسوهم يقال وقفته وقفنا فوقف ووقوفنا قال المفسرون لما سبقوا إلى النار حبسوا عند الصراط لان السؤال عند الصراط ثقيل وقفوهم (انهم مسؤولون) قال ابن عباس عن جميع أقوالهم وأفعالهم وروى عنه عن لا إله إلا الله وفي الخبر عن النبي عليه الصلاة والسلام قال « لا تنزل قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن خمس : عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيه أنفق ، وماذا عمل فيما علم » (مالكم لا تناصرون) أي لا تناصرون يقال لهم توبيخا مالكم لا ينصرون بعضكم بعضا يقول لهم خزنة النار هذا جواب لابي جهل حيث قال يوم بدر نحن جميع منتصر فقال الله تعالى (بل هم مستسلمون) قال ابن عباس خاضعون وقال الحسن منقادون يقال استسلم لشيء إذا انقاد له وخضع له والمعنى هم

وأقبل بعضهم على بعض يتسائلون (٢٧) قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين (٢٨) قالوا بل لم تكونوا مؤمنين (٢٩) وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قومًا طغين (٣٠) فحق علينا قول ربنا انا لذائقون (٣١) فأغوينكم انا كنا غوين (٣٢) فانهم يومئذ في العذاب مشتركون (٣٣) انا كذلك نفعل بالمجرمين (٣٤) انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون (٣٥) ويقولون ائنا لتاركو الهتنا لشاعر مجنون (٣٦) بل جاء بالحق وصدق المرسلين (٣٧)

يذكر تعالى أن الكفار يتلاومون في عرصات القيامة كما يتخاصمون في دركات النار (فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد) وقال تعالى [ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول ، يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا ائمت لسكانا مؤمنين قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون] وهكذا قالوا لهم ههنا [انكم كنتم تأتوننا عن اليمين] قال الضحّاك عن ابن عباس يقولون كنتم تقهروننا بالقدرة منكم علينا لانا كنا أذلاء . وكنتم أعزاء ، وقال مجاهد يعني عن الحق والكفار تقوله للشياطين

وقال قتادة قالت الانس للجن انكم كنتم تأتوننا عن اليمين قال من قبل الخبر فنهونا عنه وتبطنونا عنه ، وقال السدي تأتوننا من قبل الحق وتزبنوا لنا الباطل وتصدونا عن الحق ، وقال الحسن في قوله تعالى [انكم كنتم تأتوننا عن اليمين] أي والله بأنه عند كل خير يريد فيصده عنه ، وقال ابن زيد معناه تحولون بيننا وبين الخير ورددونا عن الاسلام والايمان والعمل بالخير الذي أمرنا به ، وقال يزيد الرشك^(١) من قبل لا إله الا الله ، وقال خصيف بنون من قبل ميامنهم ، وقال عكرمة [انكم كنتم تأتوننا عن اليمين] قال من حيث نأمنكم

(١) بكسر الراء وسكون الشين ابن أبي يزيد الضبي

اليوم أذلاء . متقادرون لاحيلة لهم (وأقبل بعضهم على بعض) أي الرؤساء والاتباع (يتسائلون) يتخاصمون (قالوا) أي الاتباع للرؤساء (إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين) أي من قبل الذين فضلونا عنه وترونا ان الذين ما تفضلونا به قاله الضحّاك ، وقال مجاهد عن الصراط الحق ، واليمين عبارة عن الدين والحق كما قال الله تعالى عن ابليس ائمت لا يتنهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن

وقوله تعالى (قالوا بل لم تكونوا مؤمنين) تقول القادة من الحن والانسان الانبياء ما الامر كما
 زعمون بل كانت قلوبكم منكورة للايمان قابلة للكفر والعصيان (وما كان لنا عليكم من سلطان) أي
 من حجة على صحة مادعونناكم اليه [بل كنتم قوما طاغين] أي بل كان فيكم طغيان ومجازرة للحق
 فلهذا استجبتم لنا وتركتم الحق الذي جاء بكم به الانبياء واقاموا لكم الحجج على صحة ما جاؤكم به
 فخالتموهم (فحق علينا قول ربنا انا لذائقون * فأغويناكم انا كنا غاوين) يقول الكبراء للمستضعفين حققت
 علينا كلمة الله انا كنا من الاشقياء الذائنين للعذاب يوم القيامة (فأغويناكم) أي دعوناكم إلى الضلالة
 (انا كنا غاوين) أي فدعوناكم الى ما نحن فيه فاستجبتم لنا ، قال الله تبارك وتعالى [فانهم يومئذ في
 العذاب مشتركون] أي الجميع في النار كل بحسبه [انا كذلك نفعل بالمجرمين * انهم كانوا] أي في
 الدار الدنيا (اذا قيل لهم لا إله الا الله يستكبرون) أي يستكبرون أن يقولوها كما يقولها المؤمنون
 قال ابن أبي حاتم حدثنا عبيد الله بن أخي ابن وهب حدثنا عمي حدثنا الليث عن ابن مسافر يعني
 عبد الرحمن بن خالد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال
 رسول الله ﷺ « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله الا الله ، فمن قال لا إله الا الله فقد عصم
 مني ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله عز وجل » وأزل الله تعالى في كتابه وذكر قوما استكبروا
 فقال تعالى (انهم كانوا اذا قيل لهم لا إله الا الله يستكبرون)

وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا أبي حدثنا أبو سلمة موسى بن اسماعيل حدثنا حماد عن سعيد
 الجبري عن أبي العلاء قال : يؤتى باليهود يوم القيامة فيقال لهم ما كنتم تعبدون؟ فيقولون نعبد الله
 وعزيراً فيقال لهم خذوا ذات الشمال ، ثم يؤتى بالنصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون؟ فيقولون نعبد الله
 والمسيح فيقال لهم خذوا ذات الشمال ، ثم يؤتى بالمشر كين فيقال لهم لا إله الا الله فيستكبرون ثم يقال
 شمالهم) فمن أتاه الشيطان من قبل اليمين أتاه من قبل الدين فلبس عليه الحق وقال بعضهم كان الرؤساء
 يخلفون لهم أن ما يدعونهم اليه هو الحق . فعني قوله (تأتوننا عن اليمين) أي من ناحية الايمان التي كنتم
 تخلفونها فوثقنا بها ، وقيل عن اليمين أي عن القوة والقدرة كقوله (لا أخذنا منه باليمين) والمفسرون
 على القول الاول (قالوا) يعني الرؤساء للانبياء (بل لم تكونوا مؤمنين) لم تكونوا على الحق فنضلكم
 عنه أي إنما الكفر من قبلكم (وما كان لنا عليكم من سلطان) من قوة وقدرة فنقهركم على متابعتنا
 (بل كنتم قوما طاغين) ضالين (فحق) وجب (علينا) جميعا (قول ربنا) يعني كلمة العذاب
 وهي قوله (لا ملأ من جهنم من الجنة والناس أجمعين) (انا لذائقون) العذاب أي ان الضال والمضل
 جميعا في النار (فأغويناكم) فاضلناكم عن الهدى ودعوناكم الى ما كنا عليه (انا كنا غاوين) ضالين
 قال الله (فانهم يومئذ في العذاب مشتركون) الرؤساء والانبياء (انا كذلك نفعل بالمجرمين) قال ابن
 عباس الذين جعلوا لله شركاء (انهم كانوا اذا قيل لهم لا إله الا الله يستكبرون) يتكبرون عن كلمة
 (تفسير ابن كثير والبغوي) (١٧) (الجزء السابع)

لهم لا إله الا الله فيستكبرون ثم يقال لهم لا إله الا الله فيستكبرون فيقال لهم خذوا ذات الشمال قال أبو نصره فينطلقون أمرع من الطير ، قال أبو العلاء ثم يؤتى بالمسلمين فيقال لهم ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون كنا نعبد الله تعالى فيقال لهم هل تعرفونه اذا رأيتموه ؟ فيقولون نعم ، فيقال لهم فكيف تعرفونه ولم تروه ؟ فيقولون نعلم أنه لا عدل له ، قال فيتعرف لهم تبارك وتعالى وتقدس وينجي الله المؤمنين (ويقولون أننا لئاركو آلهتنا اشاعر مجنون) أي نحن نترك عبادة آلهتنا وآلهة آبائنا عن قول هذا الشاعر المجنون يعنون رسول الله ﷺ قال الله تعالى تكذبا لهم ورداً عليهم (بل جاء بالحق) يعني رسول الله ﷺ جاء بالحق في جيم شرعة الله تعالى له من الاخبار والطلب وصدق المرسلين) أي صدقهم فيما أخبروا عنه من الصفات الحميدة ، ولنا هج السديدة ، وأخبر عن الله تعالى في شرعه وأمره كما أخبروا [ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك] الآية

انكم لذائقو العذاب الاليم (٣٨) وما تجزؤون الا ما كنتم تعملون (٣٩) إلا عباد الله

المخلصين (٤٠) أولئك لهم رزق معلوم (٤١) فواكه وهم مكرهون (٤٢) في جنات النعيم (٤٣)

على سرر متقابلين (٤٤) يطاف عليهم بكأس من معين (٤٥) بيضاء لذة للشربين (٤٦) لا فيها

غول ولا هم منها ينزفون (٤٧) وعندهم قصرت الطرف عين (٤٨) كأنهن بيض مكنون (٤٩)

يقول تعالى مخاطباً للناس (انكم لذائقو العذاب الاليم * وما تجزؤون الا ما كنتم تعملون) ثم استثنى من ذلك عباده المخلصين كما قال تعالى (والعصر ان الانسان لفي خسر * الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وقال عز وجل [لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم * ثم رددناه أسفل سافلين * الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات] وقال تعالى [وإن منكم الا واردها كان على ربك حتماً مقضياً * ثم نجى الذين آمنوا ونذر الظالمين فيها جثياً] وقال تعالى [كل نفس بما كسبت رهينة الا أصحاب اليمين] ولهذا قال جل وعلاهمنا (الا عباد الله المخلصين) أي ليسوا بذوقون العذاب الاليم ولا يناقشون في الحساب بل يتجاوزون سيئاتهم إن كان لهم سيئات ويجزون الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة إلى ما يشاء الله تعالى من التضعيف

التوحيد ويمتنعون منها (ويقولون أننا لئاركو آلهتنا اشاعر مجنون) يعنون النبي ﷺ قال الله عز وجل ردأ عليهم (بل جاء) محمد (بالحق وصدق المرسلين) أي أنه أتى بما أتى به المرسلون قبله (انكم لذائقو العذاب الاليم * وما تجزؤون الا ما كنتم تعملون) في الدنيا من الشرك (إلا عباد الله المخلصين) الموحدين (أولئك لهم رزق معلوم يعني بكره وعشيا كما قال (ولهم رزقهم فيها بكره وعشيا)

وقوله جل وعلا (أأنك لهم رزق معلوم) قال قتادة والسدي يعني الجنة ثم فسره بقوله تعالى (فواكه أي متنوعة) [وهم مكرمون] أي يخدمون ويرفون وينعمون [في جنات النعيم على سرر متقابلين] قال مجاهد لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض. وقال ابن أبي حاتم حدثنا يحيى بن عبدك القزويني حدثنا حسان بن حسان حدثنا إبراهيم بن بشر حدثنا يحيى بن معين حدثنا إبراهيم القرشي عن سعيد بن سعيد بن شرحبيل عن زيد بن أبي أوفى رضي الله عنهما قال خرج علينا رسول الله ﷺ فتلا هذه الآية [على سرر متقابلين] ينظر بعضهم إلى بعض حديث غريب وقوله تعالى [بطاف عليهم بكأس من معين بياض لذة للشاربين لافيهما غول ولا هم عنها يزفون] كما قال عز وجل في الآية الأخرى [بطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون] نزه الله سبحانه وتعالى خمر الجنة عن الآفات التي في خمر الدنيا من صداع الرأس ووجع البطن وهو الغول وذهابها بالعقل جملة فقال تعالى ههنا [بطاف عليهم بكأس من معين] أي بخمر من أنهار جارية لا ينجأون انقطاعها ولا فراغها قال مالك عن زيد بن أسلم خمر جارية بياض أي لونها مشرق حسن بهي لا كخمر الدنيا في منظرها البشم الردي من حمرة أو سواد أو اصفرار أو كدورة إلى غير ذلك مما ينفر الطبع السليم

وقوله عز وجل [لذة للشاربين] أي طعمها طيب كاونها وطيب الطعم دليل على طيب الريح بخلاف خمر الدنيا في جميع ذلك وقوله تعالى [لافيهما غول] يعني لا تؤثر فيهم غولا وهو وجع البطن قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقاتادة وابن زيد كما تفعله خمر الدنيا من القوانج ونحوه لكثرة مايتها، وقيل المراد بالغول ههنا صداع الرأس وروي هكذا عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال قتادة هو صداع الرأس ووجع البطن وعنه وعن السدي لا تغتال عقولهم كما قال الشاعر

فما زالت الكأس تغتالنا وتذهب بالاول الاول

وقال سعيد بن جبير لا مكروه فيها ولا أذى، والصحيح قول مجاهد أنه وجع البطن وقوله تعالى [ولا هم عنها ينزفون] قال مجاهد لا تذهب عقولهم وكذا قال ابن عباس ومحمد بن كعب والحسن

(فواكه) جمع الفاكهة وهي الثمار كلها رطبها ويابسها وهي كل طعام يؤكل للتلذذ لا لقوت (وهم مكرمون) بثواب الله (في جنات النعيم) على سرر متقابلين (لا يرى بعضهم قفا بعض) يطاف عليهم بكأس (إناء فيه شراب ولا يكون كأسا حتى يكون فيه شراب وإلا فهو إناء) (من معين) خمر جارية في الأنهار ظاهرة تراها العيون (بياض) قال الحسن خمر الجنة أشد بياضا من اللبن (لذة) أي لذية (للشاربين) لافيهما غول قال الشعبي لا تغتال عقولهم فتذهب بها قال الكلابي أم وقال قتادة وجع البطن وقال الحسن صداع وقال أهل المعاني الغول فساد يلحق في خفاء يقال اغتاله اغتيالاً إذا أفسد عليه أمره في خفية، وخمرة الدنيا يحصل منها أنواع من الفساد منها السكر وذهاب العقل ووجع البطن والصداع والقيء والبول ولا يوجد شيء من ذلك في خمر الجنة (ولا هم عنها ينزفون)

وعطاء بن أبي مسلم الخراساني والسدي وغيرهم وقال الضحاك عن ابن عباس في الخبر أربع خصال السكر والصداع والقيء والبول فذكر الله تعالى خمر الجنة فنزهها عن هذه الخصال كما ذكر في سورة الصافات وقوله تعالى [وعندهم قاصرات الطرف] أي عفيفات لا ينظرن إلى غير أزواجهن كما قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وزيد بن أسلم وقتادة والسدي وغيرهم

وقوله تبارك وتعالى عين أي حسان العين وقيل ضخام العين وهو يرجع إلى الأول وهي النبلاء العينا فوصف عيونهن بالحسن والعفة كقول زليخا في يوسف عليه الصلاة والسلام حين جملة وأخرجته على تلك النسوة فأعظمته وأكبرته وظن أنه ملك من الملائكة لحسنه وبهاء منظره قالت [فذلك الذي لمنني فيه] ولقد راودته عن نفسه فاستعصم [أي هو مع هذا الجمال عفيف تقي نقي] وهكذا الحور العين [خيرات حسان] ولهذا قال عز وجل [وعندهم قاصرات الطرف عين] وقوله جل جلاله [كأنهن بيض مكنون] وصفهن بترافه الأبدان بأحسن الألوان قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما [كأنهن بيض مكنون] يقول الأولو المكنون وينشد هنا بيت أبي ذهل الشاعر وهو قوله في قصيدة له

وهي زهراء مثل أوادة الغواص ميزت من جوهر مكنون

وقال الحسن [كأنهن بيض مكنون] يعني محصون لم تمسه الأيدي وقال السدي البيض في عشه مكنون وقال سعد بن جبير (كأنهن بيض مكنون) يعني بطن البيض وقال عطاء الخراساني هو السحاء الذي يكون بين قشرته العليا ولباب البيضة ، وقال السدي (كأنهن بيض مكنون) يقول بياض البيض حين ينزع قشره واختاره ابن جرير لقوله مكنون قال والقشرة العليا يمسها جناح الطير والعش وتناولها الأيدي بخلاف داخلها والله أعلم

وقال ابن جرير حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب حدثنا محمد بن الفرج الصدفي الديلماني عن عمرو بن هاشم عن ابن أبي كريمة عن هشام عن الحسن عن أمه عن أم سلمة رضي الله عنها قالت قالت يا رسول الله أخبرني عن قول الله عز وجل [حور عين] قال « العين الضخام العيون شهر الحوراء بمنزلة جناح النسر » قلت يا رسول الله أخبرني عن قول الله عز وجل [كأنهن بيض مكنون] قال

قرأ حمزة والكسائي ينزفون بكسر الزاي وافقهما عاصم في الواقعة ، وقرأ الآخرون بفتح الزاي فيهما فن فتح الزاي فعناه لا يغلبهم على عقولهم ولا يسكرون يقال نزف الرجل فهو منزوف ونزيف إذا سكر ، ومن كسر الزاي فعناه لا ينفذ شراهم يقال انزف الرجل فهو منزف إذا فئت خمره (وعندهم قاصرات الطرف) حابسات العين ، غاضات الجفون ، قصرن أعينهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم (عين) أي حسان العين يقال رجل عين وامرأة عينا ورجال ونساء عين (كأنهن بيض) جمع البيضة (مكنون) مصون مستور وإنما ذكر المكنون والبيض جمع لأنه رده إلى اللفظ قال

(سورة الصافات ٣٧ جزء ٢٣) حال أهل الجنة في الجنة وحديثهم فيما كانوا عليه في الدنيا ١٢٣

« رقتن كرقعة الجلدة التي رأسها في داخل البيضة التي تلى القشر وهي الغرقى »
وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو غسان النهدي حدثنا عبد السلام بن حرب عن إيث
عن الربيع بن أنس عن أنس رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا أول الناس
خروجاً إذا بعثوا ، وأنا خطيبهم إذا وفدوا ، وأنا مبشرهم إذا حزنوا ، وأنا شفيعهم إذا حبسوا ، ولواء
الحمد يومئذ بيدي ، وأنا أكرم ولد آدم على الله عز وجل ولا فخر ، يطوف علي ألف خادم كأنهن البيض
المكنون - أو اللؤلؤ المكنون » والله تعالى أعلم بالصواب

فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون (٥٠) قال قائل منهم إني كان لي قرين (٥١) يقول
أأنك لمن المصدقين (٥٢) أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أأنا لمدينون؟ (٥٣) قال هل أنتم
مظالمون؟ (٥٤) فاطمأّن فرآه في سوء الجحيم (٥٥) قال تالله إن كدت لتردين (٥٦) ولولا
نعمة ربّي لكنت من المحضرين (٥٧) أفما نحن بميتين (٥٨) إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين (٥٩)
إن هذا لهو الفضل العظيم (٦٠) لمثل هذا فليعمل العاملون (٦١)

يخبر تعالى عن أهل الجنة أنه أقبل بعضهم على بعض يتساءلون أي عن أحوالهم وكيف كانوا في
الدنيا وماذا كانوا يعانون فيها وذلك من حديثهم على شراهم واجتماعهم في تقادهم ومعاشرتهم في
مجالسهم وهم جلوس على السرر والخدم بين أيديهم يسعون ويجيئون بكل خير عظيم من ما كل
ومشارب وملابس وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (قال قائل
منهم إني كان لي قرين) قال مجاهد يعني شيطاناً

وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما هو الرجل المشرك يكون له صاحب من أهل الإيمان
في الدنيا ولا تنافي بين كلام مجاهد وابن عباس رضي الله عنهما فإن الشيطان يكون من الجن فيوسوس
في النفس ، ويكون من الانس فيقول كلاماً تسمعه الاذان وكلاهما يتعاونان قال الله تعالى (يوحى
بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً) وكل منهما يوسوس كما قال الله عز وجل [من شر الوسواس

الحسن شبيهن ببيض النعامة تكنها بالريش من الريح والغبار حين خرجا فلونها ابيض في صفرة ويقال
هذا أحسن ألوان النساء أن تكون المرأة بيضاء مشربة صفرة والعرب تشبهها ببيضة النعامة (فأقبل
بعضهم على بعض يتساءلون) يعني أهل الجنة في الجنة -سأل بعضهم بعضاً عن حاله في الدنيا (قال
قائل منهم) يعني من أهل الجنة (إني كان لي قرين) في الدنيا ينكر البعث قال مجاهد كان شيطاناً
وقال الآخرون كان من الانس وقال مقاتل كانا أخوين وقال الباقر كانا شريكين أحدهما كافر

الحناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس [ولهذا] قال قائل منهم اني كان لي قريب يقول ائتلك لمن المصدقين [أي أنت تصدق بالبعث والشور والحساب والجزاء يعني يقول ذلك على وجه التعجب والتكذيب والاستبعاد والكفر والعناد (أنذا مننا وكنا ترابا وعظاما أننا لمدينون) قال مجاهد والسدي لمحاسبون ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومحمد بن كعب القرظي لمجزيون بأعمالنا وكلاهما صحيح قال تعالى (قال هل أنتم مطلعون) أي مشرفون يقول المؤمن لأصحابه وجلسائه من أهل الجنة (فاطلم فرآه في سواء الجحيم) قال ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبيرة وخليد المصري وقتادة والسدي وعطاء الخراساني يعني في وسط الجحيم ، وقال الحسن البصري في وسط الجحيم كأنه شهاب يتقد ، وقال قتادة ذكر لنا أنه اطلع فرأى جحاجم القوم تغلي ، وذكر لنا أن كعب الاحبار قال في الجنة كوى اذا أراد أحد من أهلها أن ينظر إلى عدوه في النار اطلع فيها فازداد شكراً (قال الله إن كدت لتردين) يقول المؤمن مخاطباً للكافر والله إن كدت لتهلكني لو أطلعك (ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين) أي ولولا فضل الله علي لكنت مثلك في سواء الجحيم حيث أنت محضر معك في العذاب ولكنه تفضل علي ورحمني فهداني الايمان وأرشدني الى توحيدهِ [وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله]

وقوله تعالى (أفما نحن بميتين * الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين) هذا من كلام المؤمن مقتبطاً نفسه بما أعطاه الله تعالى من الخلد في الجنة والاقامة في دار الكرامة بلا موت فيها ولا عذاب ولهذا قال عز وجل (إن هذا هو الفوز العظيم) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبد الله الطهراني حدثنا حفص بن عمر العدني حدثنا الحكم بن

اسمه فطروس والآخرون مؤمن اسمه بهودا وهما اللذان قص الله تعالى خبرهما في سورة الكهف في قوله تعالى (واضرب لهم مثلا رجلين) (يقول ائتلك لمن المصدقين) بالبعث (أنذا مننا وكنا ترابا وعظاما أننا لمدينون) مجزيون ومحاسبون وهذا استفهام انكار (قال) الله تعالى لأهل الجنة (هل أنتم مطلعون) الى النار وقيل يقول المؤمن لآخوانه من أهل الجنة هل أنتم مطلعون الى النار لتتأمل كيف منزلة أخي فيقول أهل الجنة أنت اعرف به منا (فاطلم) قال ابن عباس إن في الجنة كوى ينظر أهلها منها الى النار فاطلم هذا المؤمن (فرآه في سواء الجحيم) فرأى قريبه في وسط النار وأما سمي وسط الشيء سواء لاستواء الجوانب منه (قال) له (نال الله إن كدت لتردين) والله لقد كدت أن تهلكني قال مقاتل والله لقد كدت أن تفويني ومن اغوى انسانا فقد اهلكه (ولولا نعمة ربي) رحمته وانعامه علي بالاسلام (لكنت من المحضرين) معك في النار (أفما نحن بميتين * الا موتتنا الاولى) في الدنيا (وما نحن بمعذبين) قال بعضهم يقول هذا أهل الجنة للملائكة حين يذبح الموت

أبان عن عكرمة قال : قال ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تبارك وتعالى لأهل الجنة [كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون] قال ابن عباس رضي الله عنهما قوله عز وجل (هنيئاً) أي لا يموتون فيها فعندها قالوا (أفما نحن بميتين * إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين) وقال الحسن البصري علماً أن كل نعيم فإن الموت يقطعه فقالوا (أفما نحن بميتين * إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين) قيل لا (قالوا إن هذا هو الفوز العظيم)

وقوله جل جلاله (لمثل هذا فليعمل العاملون) قال قتادة هذا من كلام أهل الجنة ، وقال ابن جرير هو من كلام الله تعالى ومعناه لمثل هذا النعيم وهذا الفوز فليعمل العاملون في الدنيا ليصبروا إليه في الآخرة . وقد ذكروا قصة رجلين كانا شريكين في بني إسرائيل تدخل في ضمن عموم هذه السكينة قال أبو جعفر ابن جرير حدثني اسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد حدثنا عتاب بن بشير عن خصيف عن فرات بن ثعلبة النهراي في قوله (أني كان لي قرين) قال ان رجلين كانا شريكين فاجتمع لهما ثمانية آلاف دينار ، وكان أحدهما له حرفة والآخر ليس له حرفة ، فقال الذي له حرفة الآخر ليس عندك حرفة ما أراني إلا مفارقتك ومقامتك فقامت ففارقته ثم ان الرجل اشترى داراً بألف دينار كانت ملك مات فدعا صاحبه فأراه فقال كيف ترى هذه الدار ابتعتها بألف دينار ؟ قال ما أحسنها ، فلما خرج قال اللهم ان صاحبي هذا قد ابتاع هذه الدار بألف دينار واني أسألك داراً من دور الجنة فتصدق بألف دينار ، ثم مكث ماشاء الله تعالى أن يمكث ، ثم انه تزوج امرأة بألف دينار فدعاه وصنع له طعاماً فلما أتاه قال اني تزوجت هذه المرأة بألف دينار قال ما أحسن هذا فلما انصرف قال يارب ان صاحبي تزوج امرأة بألف دينار واني أسألك امرأة من الخور العين فتصدق بألف دينار ، ثم انه مكث ماشاء الله تعالى أن يمكث ثم اشترى بستانين بألف دينار ثم دعاه فأراه فقال اني ابتعت هذين البستانين بألف دينار فقال ما أحسن هذا فلما خرج قال يارب ان صاحبي قد اشترى بستانين بألف دينار وأنا أسألك بستانين في الجنة فتصدق بألف دينار ، ثم ان الملك أتاهما فتوقاهما ثم انطلق بهذا المتصدق فأدخله داراً أعجبه وإذا امرأة نطلع بضيء ما تحتها من حسنهما ثم أدخله بستانين وشيئاً الله به عليهما فقال عند ذلك ما أشبه هذا برجل كان من أمره كذا وكذا قال فانه ذاك ولك هذا المنزل والبستانان والمرأة ، قل فانه كان لي صاحب يقول أئتلك لمن المصدقين قيل له فانه في الجحيم قال هل أنتم مطلعون ؟ فاطلع فرآه في سواء الجحيم فقال عند ذلك (تالله إن كدت لتردن * ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين) الآيات قال ابن جرير وهذا يقوي قراءة من قرأ (أئتلك لمن المصدقين) بالتشديد

وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا عمر بن عبد الرحمن الابار أخبرنا أبو حفص قال سألت اسماعيل السدي عن هذه الآية (قال فائل منهم أني كان لي قرين * يقول أئتلك لمن

أفما نحن بميتين ؟ فتقول لهم الملائكة لا فيقولون (إن هذا هو الفوز العظيم) وقيل إنما يقولونه على

المصدقين) قال فقال لي ماذا كرك هذا؟ قلت قرأته آتفا فأحببت أن أسألك عنه فقال أما فاحفظ كان شريكاً في بني إسرائيل أحدهما مؤمن والآخر كافر فافترقا على ستة آلاف دينار لكل واحد منهما ثلاثة آلاف دينار ثم افترقا فمكثا ماشاء الله تعالى أن يمكثا، ثم التقيا فقال الكافر للمؤمن ما صنعت في مالك؟ أضربت به شيئاً اتجرت به في شيء؟ فقال له المؤمن لا فما صنعت أنت؟ فقال اشتريت به أرضاً ونخلًا وتمرًا وأنهاراً بألف دينار - قال - فقال له المؤمن أوفعلت؟ قال نعم، قال فرجع المؤمن حتى إذا كان الليل صلى ماشاء الله تعالى أن يصلي فلما انصرف أخذ الف دينار فوضعهما بين يديه ثم قال: اللهم إن فلانا - يعني شريكه الكافر - اشترى أرضاً ونخلًا وتمرًا وأنهاراً بألف دينار ثم يموت غداً ويتركها، اللهم أني اشتريت منك بهذه الف دينار أرضاً ونخلًا وتمرًا وأنهاراً في الجنة - قال - ثم أصبح فقسمها في المساكين - قال - ثم مكثا ماشاء الله تعالى أن يمكثا ثم التقيا فقال الكافر للمؤمن ما صنعت في مالك؟ أضربت به في شيء؟ اتجرت به في شيء؟ فقال لا فما صنعت أنت؟ قال كانت ضيعتي قد اشتد علي مؤنتها فاشترت رقيقاً بألف دينار يقومون لي فيها ويعملون لي فيها فقال له المؤمن أوفعلت؟ قال نعم - قال - فرجع المؤمن حتى إذا كان الليل صلى ماشاء الله تعالى أن يصلي فلما انصرف أخذ الف دينار فوضعهما بين يديه ثم قال اللهم إن فلانا - يعني شريكه الكافر - اشترى رقيقاً من رقيق الدنيا بألف دينار يموت غداً فيتركهم أو يموتون فيتركونه، اللهم أني اشتريت منك بهذه الف دينار رقيقاً في الجنة - قال - ثم أصبح فقسمها في المساكين - قال - ثم مكثا ماشاء الله تعالى أن يمكثا ثم التقيا فقال الكافر للمؤمن ما صنعت في مالك؟ أضربت به في شيء؟ اتجرت به في شيء؟ فقال لا فما صنعت أنت؟ قال كان أمري كله قد تم إلا شيئاً واحداً فلانة قد مات عنها زوجها فأصدقته الف دينار فجاءني بها ومثلها معها فقال له المؤمن أوفعلت؟ قال نعم قال فرجع المؤمن حتى إذا كان الليل صلى ماشاء الله تعالى أن يصلي فلما انصرف أخذ الف دينار الباقية فوضعهما بين يديه وقال اللهم إن فلانا - يعني شريكه الكافر - تزوج زوجة من أزواج الدنيا بألف دينار فيموت غداً فيتركها أو يموت غداً فتتركها اللهم وأنني أخطب اليك بهذه الف دينار حوراء عينا في الجنة - قال - ثم أصبح فقسمها بين المساكين - قال - فبقي المؤمن ليس عنده شيء، قال فلبس قميصاً من قطن وكساء من صوف ثم أخذ سراجه على رقبتة يعمل الشيء ويحفر الشيء بقوة - قال فجاءه رجل فقال له يا عبد الله أتؤاجر نفسك مشاهرة شهراً بشهر تقوم على دواب لي تعلفها وتكنس سرقيتها قال أفعل قال فواجبه نفسه مشاهرة شهراً بشهر تقوم على دوابه، قال وكان صاحب الدواب يقدو كل يوم ينظر إلى دوابه فإذا رأى منها دابة ضامرة أخذ برأسه فوجأ عنقه ثم يقول له سرقت شعير هذه البارحة، قال فلما رأى المؤمن هذه الشدة قال لا بين شريك الكافر فلا أعمل في أرضه فليطعمني هذه الكسرة يوماً ويكسوني هذين

الثوبين إذا بليا ، قال فانطلق يريد فانتهى إلى بابه وهو ممس فاذا قصر مشيد في السماء ، وإذا حوله البوابون فقال لهم استأذنوا لي على صاحب هذا القصر فانكم إذا فعلتم سره ذلك ، فقالوا له انطلق ان كنت صادقاً فم في ناحية فاذا أصبحت فاعرض له . قال فانطلق المؤمن فألقى نصف كسائه تحتة ونصفه فوقه ثم نام فلما أصبح أتى شريكه فاعرض له فخرج شريكه الكافر وهو راكب فلما رآه عرفه فوقف عليه وسلم عليه وصاحبه ثم قال له ألم تأخذ من المال مثل ما أخذت ؟ قال بلى قال وهذه حالي وهذه حالك ؟ قال بلى قال أخبرني ما صنعت في ملكك ؟ قال لا تسألني عنه ، قال فما جاء بك ؟ قال جئت أعمل في أرضك هذه فتطعمني هذه الكسرة يوماً بيوم وتمسكوني هذين الثوبين إذا بليا ، قال لا ولكن أصنع بك ما هو خير من هذا ولكن لا ترى مني خيراً حتى تخبرني ما صنعت في ملكك ، قال أقرضته قال من ؟ قال المولى الوفي قال من ؟ قال الله ربي قال وهو مصافحه فانتزع يده من يده ثم قل أنئك لمن المصدقين ؟ أنذا متناز كناترا با وعظاما أننا لمدينون قال السدي محاسبون قال فانطلق الكافر وتركه ، قال فلما رآه المؤمن وليس يلوي عليه رجع وتركه يعيش المؤمن في شدة من الزمان ويعيش الكافر في رخاء من الزمان ، قال فاذا كان يوم القيامة وأدخل الله تعالى المؤمن الجنة يمر فاذا هو بأرض ونخل وثمار وأنهار فيقول لمن هذا ؟ فيقال هذا لك فيقول ياسبحان الله أو بلغ من فضل علي أن أثنى بمثل هذا ؟ قال ثم يمر فاذا هو بريق لا يحصى عدتهم فيقول لمن هذا ؟ فيقال هؤلاء لك ، فيقول ياسبحان الله أو بلغ من فضل علي أن أثنى بمثل هذا قال ثم يمر فاذا هو بقبة من ياقوتة حمراء مجوفة فيها حوراء عينا فيقول لمن هذه فيقال هذه لك فيقول ياسبحان الله أو بلغ من فضل علي أن أثنى بمثل هذا ، قال ثم يذكر المؤمن شريكه الكافر فيقول (إني كان لي قرين * يقول أنئك لمن المصدقين * أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما أننا لمدينون) قال فالجنة عالية والنار هاوية قال فيرهبه الله تعالى شريكه في وسط الجحيم من بين أهل النار فاذا رآه المؤمن عرفه فيقول (نال الله إن كدت لتردين * ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين * أفما نحن بمبتلين الا موتنا الأولى وما نحن بمعدين * إن هذا هو النور العظيم * لمثل هذا فليعمل العاملون) بمثل ما قد مر عليه . قال فيتذكر المؤمن ما مر عليه في الدنيا من الشدة فلا يذكر مما مر عليه في الدنيا من الشدة أشد عليه من الموت

أذلك خير نزل أم شجرة الزقوم ؟ (٦٢) إنا جعلناها فتنة للظالمين (٦٣) إنها شجرة

تخرج في أصل الجحيم (٦٤) طلعها كأنه رءوس الشياطين (٦٥) فانهم لا يكلون منها فالتون

بما كان ينكره قال الله تعالى ﴿ لمثل هذا فليعمل العاملون ﴾ أي لمثل هذا المنزل ولمثل هذا النعيم الذي ذكره من قوله ١ أولئك لهم رزق معلوم — الى قوله — فليعمل العاملون ﴿ أذلك ﴾ أي ذلك الذي ذكر لاهل الجنة ﴿ خير نزل أم شجرة الزقوم ﴾ التي هي نزل أهل النار والزقوم شجرة خبيثة مرة (تفسير ابن كثير والبغوي) (١٨) (الجزء السابع)

منها البطون (٦٦) ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم (٦٧) ثم إن مرجعهم لآلى الجحيم (٦٨)
لأنهم ألفوا آباءهم ضالين (٦٩) فهم على آثرهم يهرعون (٧٠)

يقول الله تعالى هذا الذي ذكره من نعيم الجنة وما فيها من مآكل ومشارب ومناكح وغير ذلك من الملاذ خير ضيافة وعطاء (أم شجرة الزقوم) أي التي في جهنم وقد يحتمل أن يكون المراد بذلك شجرة واحدة معينة كما قال بعضهم إنها شجرة تمتد فروعها إلى جميع محال جهنم كما أن شجرة طوبى مامن دار في الجنة إلا وفيها منها غصن ، وقد يحتمل أن يكون المراد بذلك جنس شجر يقال له الزقوم كقوله تعالى (وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للأكلين) يعني الزيتون ويؤيد ذلك قوله تعالى (ثم انكم أيها الضالون المكذبون * لا تكون من شجر من زقوم)

وقوله عز وجل (إنا جعلناها فتنة للظالمين) قال قتادة ذكرت شجرة الزقوم فافتتن بها أهل الضلالة وقالوا صاحبكم يفتنكم أن في النار شجرة والنار تأكل الشجر فأزل الله تعالى (أنها شجرة تخرج في أصل الجحيم) غذيت من النار ومنها خلقت

وقال مجاهد (إنا جعلناها فتنة للظالمين) قال أبو جهل لعنه الله إنما الزقوم التمر والزبد أنزقه قلت ومعنى الآية إنما أخبرناك يا محمد بشجرة الزقوم اختباراً نخبر به الناس من يصدق منهم ممن يكذب كقوله تبارك وتعالى (وما جعلنا الرؤيا التي أرىناك إلا فتنة للناس * والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا)

وقوله تعالى (أنها شجرة تخرج في أصل الجحيم) أي أصل منبتها في قرار النار طلعها كأنار، وس الشياطين تبشيم لها وتكره لذكرها . قال وهب بن منبه شعور الشياطين قائمة إلى السماء ، وإنما شبهها برؤس الشياطين وإن لم تكن معروفة عند المخاطبين لأنه قد استقر في الرؤوس أن الشياطين قبيحة

كراهية الطعم يكره أهل النار على تناولها فهم ينزقونه على أشد كراهية ومنه قولهم تزقم الطعام إذا تناوله على كره ومشقة (إنا جعلناها فتنة للظالمين) للكافرين وذلك أنهم قالوا كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر، وقال ابن الزبير لصناديد قريش إن محمداً يخوفنا بالزقوم والزقوم بلسان بربر الزبد والتمر فأدخلهم أبو جهل بيته وقال بإجارية زقمينا فأتتهم بالزبد والتمر فقال تزقوا فهذا ما يوعدكم به محمد ، فقال الله تعالى (إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم) قعر النار وقال الحسن أصلها في قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتها (طلعها) ثمرها سمي طلعا لطلوعه (كأنه رؤس الشياطين) قال ابن عباس رضي الله عنهما هم الشياطين بأعيانهم شبه بها لقبحها لأن الناس إذا وصفوا شيئا بغاية القبح قالوا كأنه شيطان وإن كانت الشياطين لا ترى لأن قبح صورتها مقصور في النفس وهذا معنى قول ابن عباس والقرظي وقال بعضهم أراد بالشياطين الحيات والعرب تسمي الحية القبيحة المنظر شيطانا وقيل هي

المنظر ، وقبل المراد بذلك ضرب من الحيات ، وسها بشعة المنظر ، وقيل جنس من النبات طلعه في غابة الفحاشة وفي هذين الاحتمالين نظر ، وقد ذكرها ابن جرير والاول أقوى وأولى والله أعلم وقوله تعالى (فانهم لا تكون منها * فالثون منها البطون) ذكر تعالى أنهم يأكلون من هذه الشجرة التي لا أشبع منها ولا أقبح من منظرها مع ماهي عليه من سوء الطعم والريح والطبع فانهم يضطرون إلى الاكل منها لأنهم لا يجدون إلا إياها وما هو في معناها كما قال تعالى (ليس لهم طعام إلا من ضريع * لا يسمن ولا يغني من جوع)

وقال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا أبي حدثنا عمرو بن مرزوق حدثنا شعبة عن الاعمش عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية وقال « اتقوا الله حق تقاته فلو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا لأفسدت على أهل الارض معاشهم فكيف بمن يكون طعامه ؟ » ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث شعبة وقال الترمذي حسن صحيح وقوله تعالى (ثم ان لهم عليها شوبا من حميم) قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني شرب الحميم على الزقوم ، وقال في رواية عنه شوبا من حميم مزجا من حميم ، وقال غيره يعني يزوج لهم الحميم بصديد وغساق مما يسيل من فروجهم وعيونهم

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا حبة بن شريح الحضرمي حدثنا بقة بن الوليد عن صفوان ابن عمرو أخبرني عبيد بن بشير عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول « يقرب - يعني إلى أهل النار - ماء فيتكرهه فإذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فيه فإذا شربه قطع أمعاءه حتى تخرج من دبره »

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو بن رافع حدثنا يعقوب بن عبد الله عن جعفر وهارون ابن عنبرة عن سعيد بن جبير قال: إذا جاع أهل النار استنأثوا بشجرة الزقوم فأكلوا منها فاختلست جلود وجوههم فلو أن مارا مر بهم يعرفهم يعرف وجوههم فيها ثم يصب عليهم العطش فيستغيثون فيغاثوا بما كامل وهو الذي قد انتهى حره فإذا أدنوه من أفواههم اشتوى من حره لحوم وجوههم التي قد سقطت عنها الجلود ويصير مافي بطونهم فيمشون أمعاءهم وتساقط جلودهم ثم يضر بون بمقامهم من حديد فيسقط كل عضو على حياله يدعون بالثبور .

وقوله عز وجل (ثم ان مرجعهم لالى الجحيم) أي ثم ان مردم بعدهم الفصل لالى نار تأجيج

شجرة قبيحة مرة منقنة تكون في البادية تسميها العرب روس الشياطين (فانهم لا تكون منها فالثون منها البطون) واللحش والوعاء بما لا يحتمل الزيادة عليه (ثم إن لهم عليها شوبا) خلطا ومزاجا (من حميم) من ماء حار شديد الحرارة يقال إنهم إذا أكلوا الزقوم شربوا عليه الحميم فيشوب الحميم في بطونهم الزقوم فيصير شوبا له (ثم إن مرجعهم) بعد شرب الحميم (لالى الجحيم) وذلك أنهم يوردون

وجهم تنوقد وسعير تنوهج ، فتارة في هذا وتارة في هذا كما قال تعالى (يطوفون بينها وبين حميم آن) هكذا تلا فتادة هذه الآية عند هذه الآية وهو تفسير حسن قوي ، وقال السدي في قراءة عبدالله رضي الله عنه (ثم ان مقيلم لالى الجحيم) وكان عبدالله رضي الله عنه يقول والذي نفسي بيده لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقبل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار ، ثم قرأ (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً) وروى الثوري عن ميسرة عن المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة عن عبدالله رضي الله عنه قال : لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقبل هؤلاء ويقبل هؤلاء ، قال سفيان آراه ثم قرأ (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً) (ثم ان مقيلم لالى الجحيم) قلت على هذا التفسير تكون ثم عاطفة الخبر على خبر

وقوله تعالى (إنهم ألفوا آبائهم ضالين) أي انما جازيناهم بذلك لأنهم وجدوا آبائهم على الضلالة فاتبعوهم فيها بمجرد ذلك من غير دليل ولا برهان ، ولهذا قال (فهم على آثارهم بهرعون) قال مجاهد شبيهة بالهرولة ، وقال سعيد بن جبير يسفون

ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين (٧١) ولقد أرسلنا فيهم منذرين (٧٢) فانظر كيف

كان عاقبة المنذرين (٧٣) إلا عباد الله المخلصين (٧٤)

يخبر تعالى عن الأمم الماضية ان أكثرهم كانوا ضالين يجعلون مع الله آلهة أخرى ، وذ كر تعالى أنه أرسل فيهم منذرين ينذرون بأمر الله ويحذرونهم سطوته ونقمة من كفر به وعبد غيره وأنهم نادوا على مخالفة رسالهم وتكذيبهم فأهلك المكذبين ودمرهم ونجى المؤمنين ونصرهم وظفرهم ، ولهذا قال تعالى (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين إلا عباد الله المخلصين)

ولقد نادانا نوح فلنعم المحييون (٧٥) ونجينه وأهله من الكرب العظيم (٧٦) وجعلنا

ذريته هم الباقين (٧٧) وتركنا عليه في الآخريين (٧٨) سلم على نوح في العلمين (٧٩)

الحجيم لشربه وهو خارج من الحجيم كما تورد الابل الماء ، ثم يردون الى الحجيم ، يدل عليه قوله تعالى (يطوفون بينها وبين حميم آن) وقرأ ابن مسعود (ثم ان مقيلم لالى الجحيم) (إنهم ألفوا) وجدوا (آبائهم ضالين * فهم على آثارهم بهرعون) يسرعون قال الكلبي يعملون مثل أعمالهم قوله تعالى (ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين) من الأمم الخالية (ولقد أرسلنا فيهم منذرين * فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) الكافرين أي كان عاقبتهم العذاب (إلا عباد الله المخلصين) الموحدين نجوا من العذاب

قوله تعالى (ولقد نادانا نوح) دعا ربه على قومه فقال إني مغلوب فانتصر (فلنعم المحييون)

انا كذلك نجزي المحسنين (٨٠) إنه من عبادنا المؤمنين (٨١) ثم أغرقنا الآخرين (٨٢)
لما ذكر تعالى عن أكثر الاولين أنهم ضلوا عن سبيل النجاة شرع يبين ذلك مفصلاً فذكر نوحاً
عليه الصلاة والسلام وما لقي من قومه من التكذيب ، وأنه لم يؤمن منهم إلا القليل مع طول المدة لبث
فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فلما طال عليه ذلك واشتد عليه تكذيبهم ، وكلما دعاهم ازدادوا نفرة
فدعا ربه في مغلوب فانهصر ، فغضب الله تعالى لغضبه عليهم ، ولهذا قال عز وجل (ولقد نادانا
نوح فلنعم المجيبون) أي فلنعم المجيبون له (ونجيناه وأهله من الكرب العظيم) وهو التكذيب
والأذى (وجعلنا ذريته هم الباقين)

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما يقول : لم تبق إلا ذرية نوح عليه السلام
وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله تبارك وتعالى (وجعلنا ذريته هم الباقين) قال الناس كلهم
من ذرية نوح عليه السلام ، وقد روى الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم من حديث سعيد بن
بشير عن قتادة عن الحسن عن سمرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى (وجعلنا ذريته هم
الباقيين) قال سام وحام ويافث

وقال الامام احمد حدثنا عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة عن الحسن عن سمرة رضي الله عنه
أن نبي الله ﷺ قال « سام أبو العرب وحام أبو الحبش ويافث أبو الروم » ورواه الترمذي عن
بشر بن معاذ العمدي عن يزيد بن زريع عن سعيد وهو ابن أبي عروبة عن قتادة به . قال الحافظ أبو عمر
ابن عبد البر ، وقد روي عن عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ مثله ، والمراد بالروم همنا
هم الروم الاول وهم اليونان المنتسبون إلى رومي بن ليطي بن يونس بن يافث بن نوح عليه السلام ثم
روي من حديث اسماعيل بن عياش عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال : ولد نوح عليه
السلام ثلاثة سام ويافث وحام ، وولد كل واحد من هؤلاء الثلاثة ثلاثة ، فولد سام العرب وفارس
والروم ، وولد يافث الترك والسقالية وأجوج ومأجوج ، وولد حام القبط والسودان والبربر ، وروي
عن وهب بن منبه نحو هذا والله أعلم .

وقوله تبارك وتعالى [وتركنا عليه في الآخرين] قال ابن عباس رضي الله عنهما يذكر بخبر ،

نحن يعني أجبنا دعاءه واهلكنا قومه ﴿ ونجيناه وأهله من الكرب العظيم ﴾ الغم العظيم الذي لحق
قومه وهو الفرق ﴿ وجعلنا ذريته هم الباقين ﴾ وأراد أن الناس كلهم من نسل نوح ، روى الضحاك
عن ابن عباس قال لما خرج نوح من السفينة مات من كان معه من الرجال والنساء إلا ولده ونساءهم
قال سعيد بن المسيب كانت ولد نوح ثلاثة : سام وحام ويافث فسام أبو العرب وفارس والروم ،
وحام أبو السودان ، ويافث أبو الترك والخزر وأجوج ومأجوج وما هنالك ﴿ وتركنا عليه في ﴾

وقال مجاهد يعني لسان صدق الانبياء . كلهم ، وقال قتادة والسدي أبقي الله عليه الثناء الحسن في الآخرين . قال الضحاك السلام والثناء الحسن . وقوله تعالى [سلام على نوح في العالمين] مفسر لما أبقي عليه من الذكر الجليل والثناء الحسن أنه بسلم عليه في جميع الطوائف والامم [إنا كذلك نجزي المحسنين] أي هكذا نجزي من أحسن من العباد في طاعة الله تعالى نجعل له لسان صدق يذكر به بعده بحسب مرتبته في ذلك ثم قال تعالى [إنه من عبادنا المؤمنين] أي المصدقين الموحدين الموقنين [ثم أغرقنا الآخرين] أي أهلكناهم فلم يبق منهم عين تطرف ، ولا ذكر ولا عين ولا أثر ، ولا يعرفون إلا بهذه الصفة القيحة

وان من شيعته لآبراهيم (٨٣) اذ جاء ربه بقلب سليم (٨٤) اذ قال لأبيه وقومه

ماذا تعبدون؟ (٨٥) أنفكا آلهة دون الله تريدون؟ (٨٦) فما ظنكم برب العالمين؟ (٨٧)

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما (وان من شيعته لآبراهيم) يقول من أهل دينه ، وقال مجاهد على منهاجه وسنته (إذ جاء ربه بقلب سليم) قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني شهادة أن لا إله إلا الله . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن عوف قلت لمحمد بن سيرين ما القلب السليم ؟ قال يعلم أن الله حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ، وقال الحسن سليم من الشرك ، وقال عروة لا يكون لعائنا .

وقوله تعالى (اذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون) أنكر عليهم عبادة الاصنام والانداد ولهذا قال عز وجل (أنفكا آلهة دون الله تريدون * فما ظنكم برب العالمين) قال قتادة يعني ما ظنكم أنه فاعل بكم اذا لقيتموه وقد عبدتم معه غيره

فنظر نظرة في النجوم (٨٨) فقال إني سقيم (٨٩) فتولوا عنه مدبرين (٩٠) فراغ

الآخرين) أي أبقينا له ثناء حسنا ، وذكر آرجيلافيم بعده من الانبياء والامم الى يوم القيامة (سلام على نوح في العالمين) أي سلام عليه منا في العالمين وقيل أي تركنا عليه في الآخرين أن يصلى عليه الى يوم القيامة (إنا كذلك نجزي المحسنين) قال مقاتل جزاء الله باحسانه الثناء الحسن في العالمين (إنه من عبادنا المؤمنين * ثم أغرقنا الآخرين) يعني الكفار

قوله تعالى (وإن من شيعته) أي من أهل دينه وملته وسنته (لآبراهيم * اذ جاء ربه بقلب سليم) مخلص من الشرك والشك (اذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون) استفهام توبيخ (أنفكا آلهة دون الله تريدون) يعني أنافكون افكا وهو أسوأ الكذب وتعبدون آلهة سوى الله (فما ظنكم برب العالمين؟) اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره أنه يصنع بكم

قوله تعالى (فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم) قال ابن عباس كان قومه يتعاطون علم

الى آلهتهم فقال ألا تأكلون (٩١) مالكم لا تنطقون ؟ (٩٢) فراغ عليهم ضرباً باليمين (٩٣)
فأقبلوا اليه يزفون (٩٤) قال أتعبدون ما تنحتون ؟ (٩٥) والله خلقكم وما تعملون (٩٦)
قالوا ابنوا له بديناً فالقوه في الجحيم (٩٧) فأرادوا به كيداً فجعلناهم الأسفلين (٩٨)

أما قال ابراهيم عليه الصلاة والسلام اقومه ذلك ليقيم في البلد اذا ذهبوا الى عيديم فانه كان قد أزعج خروجهم الى عيديم فاحب أن يختلي بآلهتهم ليكسرهما فقال لهم كلاماً هو حق في نفس الامر فهموا منه انه سقيم على مقتضى ما يعتقدونه (فتولوا عنه مدبرين) قال قتادة والعرب تقول لمن تفكر نظر في النجوم ، يعني قتادة انه نظر إلى السماء متفكراً فيما يلهمهم به فقال (اني سقيم) أي ضعيف ، فأما الحديث الذي رواه ابن جرير ههنا حدثنا أبو كريب حدثنا أبو أسامة حدثني هشام عن محمد عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال « لم يكذب ابراهيم عليه الصلاة والسلام غير ثلاث كذبات : ثنتين في ذات الله تعالى ، قوله اني سقيم (و قوله (بل فعله كبيرهم هذا) وقوله في سارة هي أختي » فهو حديث مخرج في الصحيح والسنن من طرق ولكن ليس هذان باب الكذب الحقيقي الذي يذم فاعله حاشا وكلا ولما وإنما أطلق الكذب على هذا نجوزا وإنما هو من المعارض في الكلام لمقصد شرعي ديني كما جاء في الحديث « ان في المعارض لمن دوحه عن الكذب »

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن علي بن زيد بن جدعان عن أبي نصر عن أبي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ في كلمات ابراهيم عليه الصلاة والسلام الثلاث التي قال مأمناً كلمة إلا ما حل به من دين الله تعالى [فقال اني سقيم] وقال [بل فعله كبيرهم هذا] وقال للملائك حين أراد امرأته هي أختي

قال سفيان في قوله [اني سقيم] يعني طعين وكانوا يفرون من المطعون فأراد أن يخلو بآلهتهم ، وكذا قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى [فنظر نظرة في النجوم * فقال اني سقيم] فقالوا له وهو في بيت آلهتهم : اخرج فقال اني مطعون فتركوه مخافة الطاعون. وقال قتادة عن سعيد بن المسيب رأى نجا طلع فقال [اني سقيم] كابدني الله عن دينه [فقال اني سقيم]

النجوم فعاملهم من حيث كانوا لئلا ينكروا عليه وذلك أنه أراد أن يكيدهم في اصنامهم ليلزمهم الحجة في أنها غير معبودة وكان لهم من الغد عيد وجمع ، وكانوا يدخلون على اصنامهم ويفرشون لهم الفراش ويضعون بين أيديهم الطعام قبل خروجهم الى عيديم زعموا التبرك عليه فاذا انصرفوا من عيديم أكلوه فقالوا لابراهيم ألا تخرج غداً معنا الى عيدنا فنظر الى النجوم فقال اني سقيم قال ابن عباس مطعون وكانوا يفرون من الطاعون فراراً عظيماً ، قال الحسن مريض وقال مقاتل وجمع وقال الضحاك

وقال آخرون (فقال أني سقيم) بالنسبة إلى ما يستقبل يعني مرض الموت ، وقيل أراد (أني سقيم) أي مريض القلب من عبادتكم الاوثان من دون الله تعالى ، وقال الحسن البصري : خرج قوم ابراهيم إلى عيدهم فأرادوه على الخروج فاضطجع على ظهره وقال (أني سقيم) وجعل ينظر في السماء فلما خرجوا أقبل إلى آلهتهم فكسرها ، رواء ابن أبي حاتم ولهذا قال تعالى (فتولوا عنه مدبرين) أي إلى عيدهم [فراغ إلى آلهتهم] أي ذهب إليها بعد ما خرجوا في سرعة واختفاء [فقال ألا تأكلون ؟] وذلك أنهم كانوا قد وضعوا بين أيديها طعاما قربانا لتبارك لهم فيه

قال السدي : دخل ابراهيم عليه السلام إلى بيت الآلهة فإذا هم في بهو عظيم وإذا مستقبل باب البهو صنم عظيم إلى جنبه أصغر منه بعضها إلى جنب بعض كل صنم يليه أصغر منه حتى بلغوا باب البهو وإذا هم قد جعلوا طعاما ووضعوه بين أيدي الآلهة وقالوا إذا كان حين نرجع وقد باركت الآلهة في طعامنا أكلناه ، فلما نظر ابراهيم عليه الصلاة والسلام إلى ما بين أيديهم من الطعام قال (ألا تأكلون ؟ ما لكم لا تنطقون)

وقوله تعالى [فراغ عليهم ضربا باليمين] قال الفراء معناه مال عليهم ضربا باليمين ، وقال قتادة والجوهري فأقبل عليهم ضربا باليمين ، وإنما ضربهم باليمين لأنها أشد وأنكى ولهذا تركهم جزاءً إلا كبيرا لهم لعلمهم إليه يرجعون كما تقدم في سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام تفسير ذلك وقوله تعالى ههنا (فأقبلوا إليه يزفون) قال مجاهد وغير واحد أي يسرعون ، وهذه القصة ههنا مختصرة وفي سورة الانبياء مبسطة فانهم لما رجعوا ما عرفوا من أول وهلة من فعل ذلك حتى كشفوا واستعلموا فعرفوا ان ابراهيم عليه السلام هو الذي فعل ذلك ، فلما جاءوا ليعاتبوه أخذ في تأنيبهم وعيبتهم فقال [أنعبدون ما نتحنتون] أي أنعبدون من دون الله من الاصنام ما أنتم نتحنتونها وتجعلونها بأيديكم (والله خلقكم وما تعملون) بمحتمل أن تكون ما مصدرية فيكون تقدير الكلام

سأسقم (فتولوا عنه مدبرين) إلى عيدهم فدخل ابراهيم على الاصنام فكسرها كما قال الله تعالى (فراغ إلى آلهتهم) مال إليها مبلة في خفية ولا يقال راغ حتى يكون صاحبه مخفيا لذهابه ومحييته (فقال) استهزاء بها (ألا تأكلون ؟) يعني الطعام الذي بين أيديكم (ما لكم لا تنطقون) فراغ عليهم ضربا باليمين (أي كان يضربهم بيده اليمنى لأنها أقوى على العمل من الشمال وقيل باليمين أي بالقوة وقيل أراد به القسم أي بالقسم الذي سبق منه وهو قوله (وتالله لا أكيدن اصنامكم) (فأقبلوا إليه) يعني إلى ابراهيم (يزفون) يسرعون وذلك أنهم أخبروا بصنيع ابراهيم بآلهتهم فاسرعوا إليه ليأخذوه قرأ الاعمش وحمة يزفون بضم الياء ، وقرأ الآخرون بفتحها وهما لغتان وقيل بضم الياء أي يحملون دوابهم على الجدد والامراع (قال) لهم ابراهيم على وجه الحجاج (أنعبدون ما نتحنتون) يعني ما نتحنتون بأيديكم (والله خلقكم وما تعملون) بأيديكم من الاصنام وفيه دليل على أن أفعال العباد

خلقكم وعلمكم ، ويحتمل أن تكون بمعنى الذي تقديره والله خلقكم والذي تعملونه ، وكلا القولين متلازم ، والاول أظهر لما رواه البخاري في كتاب أفعال العباد عن علي بن المدني عن مروان بن معاوية عن أبي مالك عن ربي بن خراش عن حذيفة رضي الله عنه مرفوعا قال « إن الله تعالى يصنع كل صانع وصنعه » وقرأ بعضهم (والله خلقكم وما تعملون) فعند ذلك لما قامت عليهم الحجة عدلوا الى أخذه باليد والقهر فقالوا (ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم) وكان من أمرهم ما تقدم بيانه في سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ونجاة الله من النار وأظهره عليهم وأعلى حجته ونصرها ولهذا قال تعالى (وأرادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين)

وقال إني ذاهب الى ربي سيهدين (٩٩) رب هب لي من الصالحين (١٠٠) وبشارته بفلام حليم (١٠١) فلما بلغ معه السعي قال يئني اني أرى في المنام اني أذبحك فانظر ماذا ترى ، قال ياأبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين (١٠٢) فلما أسلما وتلاه للجبين (١٠٣) وأذينه أن يا ابراهيم (١٠٤) قد صدقت الرؤيا ، إنا كذلك نجزي المحسنين (١٠٥) ان هذا لهو الباطل المبين (١٠٦) وفدينه بذبح عظيم (١٠٧) وتركنا عليه في الآخريين (١٠٨) سلم على ابراهيم (١٠٩) كذلك نجزي المحسنين (١١٠) انه من عبادنا المؤمنين (١١١) وبشارته بأسحق نبيا من الصالحين (١١٢) وبركنا عليه وعلى اسحق ، ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين (١١٣)

يقول تعالى مخبرا عن خليله ابراهيم عليه الصلاة والسلام انه بعد ما نصره الله تعالى على قومه وأيس من إيمانهم بعد ما شاهدوا من الآيات العظيمة هاجر من بين أظهرهم وقال (إني ذاهب الى ربي سيهدين * رب هب لي من الصالحين) يعني أولادا مطيعين يكونون عوضا من قومه وعشيرته مخلوقة لله تعالى (قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم) معظم النار قال مقاتل بنوا له حائطا من الحجر طوله في السماء ثلاثون ذراعا ، وعرضه عشرون ذراعا وملؤه من الحطب وأوقدوا فيه النار فطرحوه فيها (فأرادوا به كيدا) ثم اوهوا أن يحرقوه (فجعلناهم الاسفلين) أي المقهورين حيث سلم الله تعالى ابراهيم ورد كيدهم

قوله تعالى (وقال) يعني ابراهيم (إني ذاهب الى ربي) أي مهاجر الى ربي والمعنى اهجرجار الكفر واذهب الى مرضاة ربي قاله بعد الخروج من النار كما قال إني (مهاجر الى ربي) (سيهدين)

الذين فارقه ، قال الله تعالى (فبشرناه بغلام حلیم) وهذا الغلام هو اسماعيل عليه السلام فانه أول ولد بشر به ابراهيم عليه السلام وهو أكبر من إسحاق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب بل في نص كتابهم ان اسماعيل عليه السلام ولد لابراهيم عليه السلام ست وثمانون سنة وولد إسحاق وعمر ابراهيم عليه الصلاة والسلام تسع وتسعون سنة ، وعندما ان الله تبارك وتعالى أمر ابراهيم أن يذبح ابنه وحيداً وفي نسخة أخرى بكره فأقحموا ههنا كذباً وبهتاناً إسحاق ولا يجوز هذا لانه يخالف نص كتابهم وإنما أقحموا إسحاق لانه أبوم واسماعيل أبو العرب فحسدوهم فزادوا ذلك وحرفوا وحيدك بمعنى الذي ليس عندك غيره فان اسماعيل كان ذهب به وبأمه الى مكة وهو تأويل وتحريف باطل فانه لا يقال وحيدك الا لمن ليس له غيره ، وأيضاً فان أول ولد له معزة ما ليس لمن بعده من الاولاد فالامر بذبحه أبلغ في الابتلاء والاختبار ، وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الذبيح هو اسحاق وحكي ذلك عن طائفة من السلف حتى نقل عن بهض الصحابة رضي الله عنهم أيضاً وليس ذلك في كتاب ولا سنة وما أظن ذلك تلقى الا عن أخبار أهل الكتاب وأخذ ذلك مسلماً من غير حجة وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه اسماعيل فانه ذكر البشارة بغلام حلیم وذكر أنه الذبيح ثم قال بعد ذلك [وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين] ولما بشرت الملائكة ابراهيم بإسحاق قالوا (إنا نبشرك بغلام عليم)

وقال تعالى (فبشرناهما بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب) أي يولد له في حياتهما ولد يسمى يعقوب فيكون من ذريته عقب ونسل وقد قدمنا هناك أنه لا يجوز بعد هذا أن يؤمر بذبحه وهو غير لان الله تعالى قد وعدهما بأنه سيعقب ويكون له نسل فكيف يمكن بعد هذا أن يؤمر بذبحه صهراً واسماعيل وصف ههنا بالحليم لانه مناسب لهذا المقام

وقوله تعالى [فلما بلغ معه السعي] أي كبر وترعرع وصار يذهب مع أبيه ويمشي معه وقد كان ابراهيم عليه الصلاة والسلام يذهب في كل وقت يتنقذ ولده وأم ولده ييلاد قاراً وينظر في أمرها وقد ذكر أنه كان يركب على البراق سريعاً إلى هناك والله أعلم. وعن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعطاء الخراساني وزيد بن أسلم وغيرهم (فلما بلغ معه السعي) بمعنى شب وارتجل

الى حيث أمرني بالمصير اليه وهو شام قال مقاتل فلما قدم الارض المقدسة سأل ربه الولد فقال (رب هب لي من الصالحين) يعني هب لي ولداً صالحاً من الصالحين (فبشرناه بغلام حلیم) قيل بغلام في صغره حلیم في كبره ففيه بشارة انه نبي وانه يعيش فينتهي في السن حتى يوصف بالحلم (فلما بلغ معه السعي) قال ابن عباس وقتادة يعني المشي معه الى الجبل وقال مجاهد عن ابن عباس لما شب حتى بلغ سعيه سعي ابراهيم ، والمعنى بلغ أن يتصرف معه وبعينه في عمله قال الكلبي يعني العمل لله تعالى وهو قول الحسن ومقاتل بن حيان وابن زيد قالوا هو العبادة لله تعالى ، واختلفوا في سنة قيل كان ابن ثلاث عشرة سنة وقيل كان ابن سبع سنين

وأطاق ما يفعله أبوه من السعي والعمل [فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك

قوله تعالى ﴿ قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك ﴾ واختلف العلماء من المسلمين في هذا الالام الذي أمر ابراهيم بذبحه بعد اتفاق أهل الكتابين على أنه اسحاق فقال قوم هو اسحاق واليه ذهب من المصاحبة عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس ، ومن الناصيين وأتباعهم كعب الاحبار وسعيد بن جبير وقتادة ومسروق وعكرمة وعطاء ، ومقاتل والزهري والسدي ، هي رواية عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس قالوا وكانت هذه القصة بالشام

وروي عن سعيد بن جبير قال : أرى ابراهيم ذبح اسحاق في المنام فسار به مسيرة شهر في غداة واحدة حتى أتى به المنحر فبنى فلما أمره الله تعالى بذبح الكبش ذبحه وسار به مسيرة شهر في راحة واحدة وطويت له الاردية والجبال ، وقال آخرون هو اسماعيل واليه ذهب عبد الله بن عمر وهو قول سعيد بن المسيب والشعبي والحسن البصري ومجاهد والربيع بن أنس ومحمد بن كعب القرظي والكلبي وهي رواية عطاء بن أبي رباح ويوسف بن ماهك عن ابن عباس قال المفسر اسماعيل وكلا القولين يزوي عن رسول الله ﷺ ، ومن ذهب إلى أن الذبيح اسحاق احتج من القرآن بقوله (فبشرناه بإسلام سليم) فلما بلغ معه السعي أمر بذبح من بشر به وليس في القرآن أنه بشر بولد سوى اسحاق كما قال في سورة هود (فبشرناه باسحاق) ومن ذهب إلى أنه اسماعيل احتج بأن الله تعالى ذكر البشارة باسحاق بعد الفراغ من قصة المذبح فقال (وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين) دل على أن المذبح غيره ، وأيضاً قال الله تعالى في سورة هود (فبشرناه باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب) فالبشره باسحاق بشره بابنه يعقوب فكيف يأمره بذبح اسحاق وقد وعده بنافله منه

وقال القرظي سألت عمر بن عبد العزيز رجلاً كان من علماء اليهود أسلم وحسن إسلامه أي ابني ابراهيم أمر بذبحه ؟ فقال اسماعيل ثم قال يا أمير المؤمنين إن اليهود تعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أبائكم الذي كان من أمر الله تعالى بذبحه ، ويرون أنه اسحاق بن ابراهيم ومن الله إله عليه أن قرني الكبش كانا منوطين بالكعبة في أيدي بني اسماعيل إلى أن احترق البيت واحترق القرآن في أيام ابن الزبير والحجاج ، قال الشعبي رأيت قرني الكبش منوطين بالكعبة

وعن ابن عباس قال والذي نفسي بيده لقد كان أول الاسلام وإن رأس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة وقد وحش بعني ببس ، قال الأصمعي سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح اسحاق كان أو اسماعيل ؟ فقال يا أصمعي ابن ذبح عفتك متى كان اسحاق بمكة ؟ إنما كان اسماعيل بمكة وهو الذي نفي البيت مع أبيه

وأما قصة الذبيح قال السدي لما دعا ابراهيم فقال رب هب لي من الصالحين وبشر به قال هو إذا ذبح ذبيح فلما ولد وبلغ معه السعي قيل له أوف بذكرك هذا هو السبب في أمر الله تعالى إياه بذبح

فانظر ماذا ترى [قال عبد بن عمر رؤيا الانبياء وحى ثم تلا هذه الآية] قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى [

وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين بن الحنيد حدثنا أبو عبد الملك الكندي حدثنا سفيان بن عيينة عن اسرائيل بن يوسف عن معاذ عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « رؤيا الانبياء في المنام وحى » ليس هو في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه وانما أعلم ابنه بذلك ليكون أهون عليه واخف عليه وحالده وعزمه في صغره على طاعة الله تعالى وطاعة أبيه [قال يا أبا عبد الله ما تؤمر] أي امض لما أمرك الله من ذبحي [ستجدني إن شاء الله من الصاربن] أي سأصبر وأحتمل ذلك عند الله عز وجل وصدق صلوات الله وسلامه عليه فيما وعد ولهذا قال الله تعالى [واذكر في الكتاب اسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً]

قال تعالى [فلما أسلما وتله لاجبين] أي فلما تشهدا وذكرنا الله تعالى ابراهيم على القديح والولد شهادة الموت وقبل أسلما يعني أسلمهما وانقادا ابراهيم أمثال أمر الله تعالى واسماعيل طاعة لله ولأبيه قاله مجاهد وعكرمة وقتادة والسدي وابن اسحاق وغيرهم ، ومعنى تله لاجبين أي صرعه على وجهه

ابنه فقال عند ذلك لاسحاق انطلق تقرب قربانا لله تعالى فأخذ سكيناً وحبلان فانطلق معه حتى ذهب به بين الجبال ، فقال له الغلام يا أبا عبد الله أين قربانك ؟ فقال [يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك] فانظر ماذا ترى قال يا أبا عبد الله ما تؤمر [وقال محمد بن اسحاق كان ابراهيم اذا قرأ القرآن هاجر واسماعيل حمل على البراق فيغدو من الشام فيقبل بمكة وبروح من مكة فيبيت عند أهله بالشام حتى اذا بلغ اسماعيل معه السعي وأخذ بنفسه ورجاه لما كان يأمل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرمانه أمر في المنام أن يذبحه وذلك أنه رأى ليلة التروية كأن قائلاً يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا ، فلما أصبح روى في نفسه أي فكر من الصباح الى الرواح أمن الله هذا الحكم أم من الشيطان فمن ثم سمي يوم التروية فلما أمسى رأى في المنام ثانياً ، فلما أصبح عرف أن ذلك من الله عز وجل فمن ثم سمي يوم عرفة قال مقاتل رأى ذلك ابراهيم ثلاث ليال متواليات فلما تيقن ذلك أخبر به ابنه فقال (يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى) قرأ حمزة والكسائي ترى نضم التاء وكسر الراء ماذا تشير وانما أمره ليعلم صبره على أمر الله تعالى وعزمته على طاعته ، وقرأ العامة بفتح التاء والراء الا أبا عمرو فانه يعمل الراء قال له ابنه [يا أبا عبد الله ما تؤمر] وقال ابن اسحاق وغيره فلما أمر ابراهيم بذلك قال لابنه يا بني خذ الحبل والمدينة تنطلق الى هذا الشعب فحطب ، فلما خلا ابراهيم بابنه في شعب ثبير أخبره بما أمر (قال يا أبا عبد الله ما تؤمر) (ستجدني إن شاء الله من الصاربن) فلما أسلما (انقادا وخضعاً لأمر الله تعالى ، قال قتادة أسلم ابراهيم ابنه وأسلم الابن نفسه (وتله لاجبين) أي صرعه

ليذبحه من قفاه ولا يشاهد وجهه عند ذبحه ليكون أهون عليه قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وسعيد بن جبير والضحاك وقتادة (وتله الجبين) أ كبه على وجهه

وقال الامام أحمد حدثنا شريح ويونس قالوا حدثنا حماد بن سلمة عن أبي عاصم الغنوي عن أبي الطائيل عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لما أمر ابراهيم عليه الصلاة والسلام بالمناسك عرض له الشيطان عند السعي فسأله فسبته ابراهيم عليه الصلاة والسلام ثم ذهب به جبريل عليه الصلاة والسلام إلى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجرة الوسطى فرماه بسبع حصيات ونم تله للجبين وعلى اسماعيل عليه الصلاة والسلام قميص أبيض فقال له بأبت انه ليس لي ثوب تكفني فيه غيره فاخلعه حتى تكفني فيه فعاملجه ليخلعه فنودي من خلفه (أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا) فالتفت ابراهيم فاذا بكبش أبيض أقرن أعين قال ابن عباس لقد رأينا نتبع ذلك الضرب من الكباش، وذكر هشام الحديث في المناسك بطوله

ثم رواه أحمد بطوله عن يونس عن حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره الا أنه قال اسحاق فعن ابن عباس رضي الله عنهما في تسمية الذبيح رواه ابن الاظهر عنه اسماعيل لما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى

وقال محمد بن اسحاق عن الحسن بن دينار عن قتادة عن جعفر بن إياس عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تبارك وتعالى (وفديناه بذبح عظيم) قال خرج عليه كبش من الجنة قد رعى قبل ذلك أربعين خريفا فأرسل ابراهيم عليه الصلاة والسلام ابنه واتبع الكبش فأخرجه إلى الجرة الأولى فرماه بسبع حصيات ثم ألقاه عندها فجاء إلى الجرة الوسطى فأخرجه عندها فرماه بسبع حصيات ثم ألقاه

على الارض قال ابن عباس اضجعه على جبينه على الارض والجبنة بين الجبينين قالوا فقال له ابنه الذي أراد ذبحه بأبت اشدد رباطي حتى لا أضطرب واكفف عني ثيابك حتى لا ينتضح عليهما من دمي شيء فينقص أجري وتراه أمي فتعزن واستمد شفرتك وأمرع مر السكين على حلقتي ليكون أهون علي فان الموت شديد، واذا أتيت أمي فاقرأ عليها السلام مني، وإن رأيت أن ترد قميصي على أمي فافعل فانه عسى أن يكون أسلى لها عني، فقال له ابراهيم عليه السلام نعم العون أنت يا بني على أمر الله ففعل ابراهيم ما أمر به ابنه ثم أقبل عليه فقبله وقد ربطه وهو يبكي والابن أيضا يبكي ثم إنه وضم السكين على حلقه فلم تجري السكين، وروي أنه كان بجر الشفرة في حلقه ولا تقطع فشحذها مرتين أو ثلاثا بالحجر كل ذلك وهي لا تقطع، قال السدي ضرب الله تعالى صفحة من نحاس على حلقه، قالوا فقال الابن عند ذلك بأبت كبني بوجهي على جبينني فانك اذا نظرت في وجهي رحمتني وأدركتك رقة تحول بينك وبين أمر الله تعالى وأنا لا أنظر إلى الشفرة فأجزع ففعل ذلك ابراهيم ثم وضع الشفرة على قفاه فانقلب السكين ونودي (أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا)

فأدركه عند الجرة الكبرى فرماه بسبع حصيات فأخرجه عندها ثم أخذه فأتى به المنحر من منى فذبحه فوالذي نفس ابن عباس بيده لقد كان أول الاسلام وإن رأس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة حتى وحش يعني يس

وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري أخبرنا القاسم قال اجتمع أبو هريرة وكعب فجعل أبو هريرة رضي الله عنه يحدث عن النبي ﷺ وجعل كعب يحدث عن الكتب فقال أبو هريرة رضي الله عنه قال النبي ﷺ « إن اكل نبي دعوة مستجابة وإنني قد خبات دعوتي شفاعاً لأمتي يوم القيامة » فقال له كعب أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟ قال نعم قال فذاك أبي وأمي أو فداء أبي وأمي أفلا أخبرك عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام إنه لما أري ذبح ابنه اسحاق قال الشيطان ان لم أقتن هؤلاء عند هذه لم أقتنهم أبداً فخرج ابراهيم عليه الصلاة والسلام بابنه ليذبحه فذهب الشيطان فدخل على سارة فقال أين ذهب ابراهيم بابنك ؟ قالت غداً به لبعض حاجته قال فإنه لم يقد به لحاجة إنما ذهب به ليذبحه قالت ولم يذبحه ؟ قال زعم أن ربه أمره بذلك قالت فقد أحسن أن يطيع ربه فذهب الشيطان في أثرها فقال للفلام أين يذهب بك أبوك ؟ قال لبعض حاجته قال فإنه لا يذهب بك لحاجة ولكنه يذهب بك ليذبحك قال ولم يذبحني ؟ قال يزعم أن ربه أمره بذلك قال فوالله لئن كان الله تعالى أمره بذلك لفعلن قال فيئس منه فتركه ولحق بابراهيم عليه الصلاة والسلام فقال أين غدوت بابنك ؟ قال لحاجة قال فأنك لم تذهب لحاجة وإنما غدوت به لتذبحه قال ولم أذبحه ؟ قال تزعم أن ربك أمرك بذلك قال فوالله لئن كان الله تعالى أمرني بذلك لفعلن قال فتركه ويئس أن يطاع

وقد رواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال ان عمرو ابن أبي سفيان بن أسيد بن حارثة الثقفي أخبره أن كعباً قال لأبي هريرة فذكره بطوله وقال في آخره وادعى الله تعالى إلى اسحاق أني أعطيتك دعوة استجب لك فيها قال اسحاق اللهم اني أدعوك أن تستجيب لي إنما عبد لك من الاولين والآخرين لا يشرك بك شيئاً فأدخله الجنة

وروى أبو هريرة عن كعب الاحبار وابن اسحاق عن رجاله لما أري ابراهيم ذبح ابنه قال الشيطان لئن لم أقتن عند هذا آل ابراهيم لأقتن منهم أحداً أبداً فتمثل الشيطان رجلاً وأتى أم الفلام فقال لها هل تدري أين ذهب ابراهيم بابنك ؟ قالت ذهب به بختطبان من هذا الشعب ، قال لا والله ما ذهب به إلا ليذبحه ، قالت كلا هو أرحم به وأشد حباله من ذلك ، قال انه يزعم أن الله قد أمره بذلك قالت فإن كان ربه أمره بذلك فقد أحسن أن يطيع ربه ، فخرج الشيطان من عندها حتى أدرك الابن وهو يمشي على أثر أبيه فقال له يا غلام هل تدري أين يذهب بك أبوك ؟ قال نختطب لأهلنا من هذا الشعب ، قال والله ما يريد إلا أن يذبحك ، قال ولم ؟ قال زعم أن ربه أمره بذلك ، قال فليفعل ما أمره به ربه فسمعا وطاعة ، فلما امتنع منه الفلام أقبل على ابراهيم عليه السلام فقال له أين تريد

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن الوزير الدمشقي حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ إن الله تبارك وتعالى خيرني بين أن يغفر لنصف أمتي وبين أن يجيب شفاعتي فاخترت شفاعتي ورحوت أن تكفر الجمل لأمتي ولولا الذي سبقني إليه العبد الصالح لتعجلت فيها دعوتي إن الله تعالى لما فرج عن اسحاق كرب الذبح قبل له يا اسحاق سل تعط فقال أما والذي نفسي بيده لا تعجلنها قبل نرغات الشيطان اللهم من مات لا يشرك بك شيئا فآغفر له وادخله الجنة » هذا حديث غريب منكر وعبد الرحمن ابن زيد بن أسلم ضعيف الحديث وأخشى أن يكون في الحديث زيادة مدرجة وهي قوله إن الله تعالى لما فرج عن اسحاق إلى آخره والله أعلم فهذا إن كان محفوظا فلا شبهة ان السياق إنما هو عن اسماعيل وإنما حرفوه باسحاق حسدا منهم كما تقدم وإلا فالناسك والذبايح إنما محلها بمنى من أرض مكة حيث كان اسماعيل لا اسحاق فانه إنما كان يبلد كنعان من أرض الشام

وقوله تعالى (وناديناك أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا) أي قد حصل المقصود من رؤيتك باضجاعك ولدك للذبح وذكر السدي وغيره انه أمر السكين على رقبة فلم تقطع شيئا بل حال بينه وبينه منحة من نحاس ونودي ابراهيم عليه الصلاة والسلام عند ذلك (قد صدقت الرؤيا)

وقوله تعالى (انا كذلك نجزي المحسنين) أي هكذا نصرف عن أطاعتنا المنكاره والشذائذ ونجعل لهم من أمرهم فرجا ونخرجهم كفولة تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا) وقد استدلل بهذه الآية والقصة جماعة من علماء الاصول على صحة النسخ قبل التمكن من الفعل خلافا لطائفة من المعتزلة والدلالة من هذه الظاهرة لان الله تعالى شرع لابراهيم عليه الصلاة والسلام ذبح ولده ثم نسخ عنه

أيها الشيخ ؟ قال أريد هذا الشعب لحاجة لي فيه ، قال والله إني لأرى الشيطان قد جاءك في منامك فأمرك بذبح ابنك ماذا فعرفه ابراهيم عليه السلام فقال اليك عني بأعذر الله فوالله لأمضين لأمر ربي فرجع ابليس بغيظه لم يصب من ابراهيم وآله شيئا مما أراد قد امتنعوا منه بعون الله تعالى

وروى أبو الطيب عن ابن عباس ان ابراهيم لما أمر بذبح ابنه عرض له الشيطان بهذا المشعر فسابقه فسبقه ابراهيم ثم ذهب إلى جرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ، ثم أدركه عند الجرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ، ثم مضى ابراهيم لأمر الله عز وجل ، فلما أسلما وقاه للجبين (وناديناك) الواو في وناديناك مقحمة صلة مجازة ناديناك كقوله [وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب] (وأوحينا إليه) أي أوحينا فنودي من الجبل (أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا) ثم الكلام ههنا ثم ابتد فقال (انا كذلك نجزي المحسنين) والمعنى انا كما عفونا عن ابراهيم عند ذبح ولده نجزي من أحسن في

وصرفه إلى الفداء وإنما كان المقصود من شرعه أولاً إثابة الخليل على الصبر على ذبح ولده وعزمه على ذلك ولهذا قال تعالى (إن هذا هو البلاء المبين) أي الاختبار الواضح الجلي حيث أمر بذبح ولده فسارع إلى ذلك مستسلماً لأمر الله تعالى متقاداً لطاعته ولهذا قال تعالى وإبراهيم الذي وفى

وقوله تعالى (وفديناه بذبح عظيم) قال سفیان الثوري عن جابر الجعفي عن أبي الطفيل عن علي رضي الله عنه (وفديناه بذبح عظيم) قال بكيش أبيض أعين أقرن قد ربط بسمرة قال أبو الطفيل وجدوه مربوطاً بسمرة في ثبير، وقال الثوري أيضاً عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كبش قد رعا في الجنة أربعين خريفاً

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يوسف بن يعقوب الصفار حدثنا داود الطمار عن ابن خثيم عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال الصخرة التي بني بئير بابل هي الصخرة التي ذبح عليها إبراهيم فداء ابنه هبط عليه من ثبير كبش أربعين أقرن له ثغاء فذبحه وهو الكبش الذي قر به ابن آدم فتقبل منه فكان مخزوناً حتى فدى به اسحاق، وروي أيضاً عن سعيد بن جبيرة أنه قال كان الكبش يرتع في الجنة حتى شقق عنه ثبير وكان عليه عن أحمر، وعن الحسن البصري أنه قال كان اسم كبش إبراهيم عليه الصلاة والسلام جرير، وقال ابن جريج قال عبيد بن عمير ذبحه بالمقام، وقال مجاهد ذبحه، بني عند المنحر

وقال هشيم عن سيار عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما كان أفتى الذي جعل عليه نذراً أن ينحر نفسه فأمره بمائة من الإبل، ثم قال بعد ذلك لو كنت أفنته بكبش لا جزأه أن بذبح كبشاً فإن الله تعالى قال في كتابه (وفديناه بذبح عظيم) والصحيح الذي عليه الأكثرون أنه يفدى بكبش وقال الثوري عن رجل عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى (وفديناه بذبح عظيم) قال رعل وقال محمد بن اسحاق عن عمرو بن عبيد عن الحسن أنه كان يقول ما فدى إسماعيل عليه السلام إلا بتيس من الأروى أهبط عليه من ثبير

وقد قال الإمام أحمد حدثنا سفیان حدثني منصور عن خاله مسافع عن صفية بنت شيبة قالت

طاعتنا قال مقاتل جزأه الله بإحسانه في طاعته العفو عن ذبح ابنه (إن هذا هو البلاء المبين) الاختبار الظاهر حيث اختبره بذبح ابنه، وقال مقاتل البلاء ههنا النعمة وهي أن فدى ابنه بالكبش، فإن قيل كيف قال قد صدقت الرؤيا وكان قد رأى الذبح ولم يذبح؟ قيل جعله مصداقاً لأنه قد أتى بما أمكنه والمطلوب إسلامهم لأمر الله تعالى وقد فعلاً، وقيل كان قد رأى في النوم معالجة الذبح ولم ير إراقة الدم وقد فعل في اليقظة ما رأى في النوم ولذلك قال له قد صدقت الرؤيا

قوله (وفديناه بذبح عظيم) فنظر إبراهيم فإذا هو بجبريل ومعه كبش أملح أقرن فقال هذا

أخبرتني امرأة من بني سليم ولدت عامة أهل دارنا أرسل رسول الله ﷺ إلى عثمان بن طلحة رضي الله عنه ، وقالت مرة إنها سألت عثمان لم دعاك النبي ﷺ ؟ قال : قال لي رسول الله ﷺ « إني كنت رأيت قرني الكبش حين دخلت فذبت أن أمرك أن تخمرها فخرها فانه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء يشغل المصلي » قال سفيان لم يزل قرنا الكبش معلقين في البيت حتى احترق البيت فاحترقا وهذا دليل مستقل على انه اسماعيل عليه الصلاة والسلام فان قرشا توارثوا قرني الكبش الذي فدى به ابراهيم خلفا عن سلف وجيلا بعد جيل إلى أن بعث الله رسوله ﷺ

(فصل) في ذكر الآثار الواردة عن السلف في أن الذبيح من هو

(ذكر من قال هو اسحاق عليه الصلاة والسلام) قال حمزة الزيات عن أبي ميسرة رحمه الله قال : قال يوسف عليه الصلاة والسلام في وجهه رغب أن تأكل معي وأنا والله يوسف بن يعقوب نبي الله ابن اسحاق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله ؟

وقال الثوري عن أبي سنان عن ابن أبي الهذيل أن يوسف عليه السلام قال لله لك كذلك أيضا وقال سفيان الثوري عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه قال : قال موسى عليه الصلاة والسلام يارب يقولون بالله ابراهيم واسحاق ويعقوب فبم قالوا ذلك ؟ قال « إن ابراهيم لم يعدل بي شيء قط الا اختارني عليه ، وإن اسحاق جادلني بالذبح وهو بغير ذلك أجود ، وإن يعقوب كلما زده بلا زادني حسن ظن »

وقال شعبة عن أبي اسحاق عن أبي الاحوص قال افتخر رجل عند ابن مسعود رضي الله عنه فقال أنا فلان بن فلان بن الاشياخ الكرام ، فقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ذاك يوسف بن يعقوب بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله . وهذا صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه ، وكذا روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه اسحاق ، وعن أبيه العباس وعلي بن أبي طالب مثل ذلك ، وكذا عكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد والشعبي وعبيد بن عمير وأبو ميسرة وزيد بن أسلم وعبد الله بن شقيق والزهري والقاسم بن أبي برزة ومكحول وعثمان بن أبي حاضر والسدي والحسن وقتادة وأبو الهذيل وابن سابط وهذا اختيار ابن جرير ، وتقدم روايته عن كعب الاحبار أنه اسحاق ، وهكذا روى ابن اسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن الزهري عن أبي سفيان عن العلاء ابن جارية عن أبي هريرة رضي الله عنه عن كعب الاحبار أنه قال هو اسحاق

فداء لابنك فاذبحه ، دونه فكبر جبيل وكبر الكبش وكبر ابراهيم وكبر ابنه فأخذ ابراهيم الكبش فأثى به المنحر من منى فذبحه . قال أكثر المفسرين كان ذلك الكبش رعى في الجنة أربعين خريفا ، وروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الكبش الذي ذبحه ابراهيم هو الذي قرب ابن آدم ، قال سعيد بن جبير حق له أن يكون عظيما ، قال مجاهد مما عظميا لانه بمنقيل ، وقال الحسين بن

وهذه الأقوال والله أعلم كلها مأخوذة عن كعب الاحبار فإنه لما أسلم في الدولة العمرية جعل يحدث عمر رضي الله عنه عن كتبه فربما استمع له عمر رضي الله عنه فترخص الناس في استماع ما عنده ونقلوا ما عنده عنه غثا وسمينا وليس لهذه الامة والله أعلم حاجة إلى حرف واحد مما عنده
وقد حكى البغوي القول بأنه اسحاق عن عمر وعلي وابن مسعود والعباس رضي الله عنهم ومن التابعين عن كعب الاحبار وسعيد بن جبير وقتادة ومسروق وعكرمة وعطاء ومقاتل وزهري والسدي قال وهو إحدى الروايتين عن ابن عباس رضي الله عنهما وقد ورد في ذلك حديث لو ثبت اقلنا به على الرأس والعين ولكن لم يصح سنده

قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا زيد بن حباب عن الحسن بن دينار عن علي بن زيد بن جدعان عن الحسن عن الاحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عن النبي ﷺ في حديث ذكره قال هو اسحاق في اسناده ضعيفان وهما الحسن بن دينار البصري متروك وعلي بن زيد بن جدعان منكر الحديث

وقد رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن مسلم بن ابراهيم عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان به مرفوعا ، ثم قال قد رواه مبارك بن فضالة عن الحسن عن الاحنف عن العباس رضي الله عنه وهذا أشبه وأصح والله أعلم

﴿ ذكر الآثار الواردة بأنه اسماعيل عليه الصلاة والسلام وهو الصحيح المقطوع به ﴾

قد تقدمت الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه اسحاق عليه الصلاة والسلام والله تعالى أعلم . وقال سعيد بن جبير وعاصم الشعبي ويوسف بن مهران ومجاهد وعطاء وغير واحد عن ابن عباس رضي الله عنهما هو اسماعيل عليه الصلاة والسلام

وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن قيس عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس أنه قال المغدي اسماعيل عليه السلام وزعمت اليهود أنه اسحاق وكذبت اليهود ، وقال اسرائيل عن ثور عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال الذبيح اسماعيل وقال ابن أبي نجيع عن مجاهد هو اسماعيل عليه السلام وكذا قال يوسف بن مهران وقال الشعبي هو اسماعيل عليه الصلاة والسلام وقد رأيت قرني الكباش في الكعبة

وقال محمد بن اسحاق عن الحسن بن دينار وعمرو بن عبيد عن الحسن البصري أنه كان لا يشك في ذلك ان الذي أمر بذبحه من ابني ابراهيم اسماعيل عليه السلام قال ابن اسحاق وسمعت محمد بن

الفضل لانه كان من عند الله ، وقيل عظيم في الشخص ، وقيل في الثواب ، وقال الحسن ما فدي اسماعيل إلا بتيس من الاروى أهبط عليه من ثبير ﴿ وتركنا عليه في الآخرين ﴾ أي تركنا له في الآخرين

كعب القرظي وهو يقول إن الذي أمر الله تعالى إبراهيم بذبحه من ابنه اسماعيل وأنا لنجد ذلك في كتاب الله تعالى وذلك أن الله تعالى حين فرغ من قصة المذبح من ابني إبراهيم قال تعالى (وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين) ويقول الله تعالى (فبشرناهما بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب) يقول بابن وابن ابن فلم يكن لأمره بذبح إسحاق وله فيه من الموعد بما وعده وما الذي أمر بذبحه إلا اسماعيل قال ابن إسحاق سمعته يقول ذلك كثيرا

وقال ابن إسحاق عن بريدة بن سفيان الأسلمي عن محمد بن كعب القرظي أنه حدثهم أنه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وهو خليفة إذ كان معه بالشام فقال له عمر إن هذا شيء ما كنت أنظر فيه واني لأراه كما قلت ثم أرسل إلى رجل كان عنده بالشام كان يهوديا فاسلم وحسن إسلامه وكان يرى أنه من علمائهم فسأله عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه عن ذلك قال محمد بن كعب وأنا عند عمر بن عبد العزيز فقال له عمر أي إبراهيم أمر بذبحه ؟ فقال اسماعيل والله يأمر المؤمنين وإن يهود تعلم بذلك ولكنهم يمجّدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذي كان من أمر الله فيه والفضل الذي ذكر الله تعالى منه لصبره لما أمر به فهم يمجّدون ذلك ويزعمون أنه إسحاق لأن إسحاق أبوم والله أعلم أيهما كان وكل قد كان طاهرا طيبا مطيعا لله عز وجل وقال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله سألت أبي عن الذبيح هل هو اسماعيل أو إسحاق فقال اسماعيل ذكره في كتاب الزهد

وقال بن أبي حاتم وسمعت أبي يقول الصحيح أن الذبيح اسماعيل عليه الصلاة والسلام قال وروى عن علي وابن عمر وأبي هريرة وأبي الطفيل وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد والشعبي ومحمد بن كعب القرظي وأبي جعفر محمد بن علي وأبي صالح رضي الله عنهم أنهم قالوا الذبيح اسماعيل. وقال البغوي في تفسيره واليه ذهب عبد الله بن عمر وسعيد بن المسيب والسدي والحسن البصري ومجاهد والريعي بن أنس ومحمد بن كعب القرظي والسكابي وهو رواية عن ابن عباس وحكام أيضا عن أبي عمرو ابن العلاء.

وقد روى ابن جرير في ذلك حديثا غريبا فقال حدثني محمد بن عمار الرازي حدثنا اسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة حدثنا عمر بن عبد الرحيم الخطابي عن عبيد الله بن محمد العتي من ولد عتبة بن أبي سفيان عن أبيه حدثني عبد الله بن سعيد عن الصنابحي قال كنا عند معاوية بن أبي سفيان فذكروا الذبيح اسماعيل أو إسحاق فقال علي الخبير سقطتم كنا عند رسول الله ﷺ فجاءه رجل فقال يا رسول الله عد علي مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فضحك رسول الله ﷺ فقبل له يأمر المؤمنين

ثناء حسنا (سلام على إبراهيم) كذلك نجزى المحسنين * أنه من عبادنا المؤمنين * وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين) فن جعل الذبيح اسماعيل قال بشره بعد هذه القصة بإسحاق نبيا جزاء طاعته، ومن

١٥٦ الآثار الواردة عن الساف في هل الذبيح اسماعيل أو اسحاق (تفسير ابن كثير والبغوي)

وما الذبيحان ؟ قال أن عبدالمطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله إن سهل الله له أمرها عليه ليزبحن أحد ولده قال فخرج السهم على عبد الله فمنعه أخواله وقالوا أفد ابنك بمائة من الابل ففداه بمائة من الابل والثاني اسماعيل. وهذا حديث غريب جدا وقد رواه الاموي في مغازيه حدثنا بعض اصحابنا أخبرنا اسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة حدثنا عمرو بن عبد الرحمن القرشي حدثنا عبد الله بن محمد العتيبي من ولد عتبة بن أبي سفيان حدثنا عبد الله بن سعيد حدثنا الصنابحي قال حضرنا مجلس معاوية رضي الله عنه فتذاكر القوم اسماعيل أو اسحاق وذكره ، كذا كتبه من نسخة مغلوطه . وأما قول ابن جرير في اختياره أن الذبيح اسحاق على قوله تعالى (وبشرناه بغلام حليم) فجعل هذه البشارة هي البشارة باسحاق في قوله تعالى (وبشرناه بغلام عليم) وأجاب عن البشارة ببعقوب بأنه قد كان بانم معه السعي أي العمل ، ومن الممكن أنه قد كان ولده أولاد مع يعقوب أيضا قال وأما القرنان اللذان كانا معلقين بالكعبة فمن الجائز انهما نقلتا من بلاد كنعان قال وقد تقدم ان من الناس من ذهب الى أنه ذبح اسحاق هناك ، هذا معتمد عليه في تفسيره وليس ماذهب اليه بذهب ولا لازم بل هو بعيد جدا والذي استدل به محمد بن كعب القرظي على أنه اسماعيل أثبت وأصح وأقوى والله أعلم

وقوله تعالى (وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين) لما تقدمت البشارة بالذبيح وهو اسماعيل عطف بذكر البشارة بأخيه اسحاق وقد ذكرت في سورتي هود والحجر ، وقوله تعالى (نبيا) حال مقدرة أي سيصير منه نبي صالح . وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن داود عن عكرمة قال : قال ابن عباس رضي الله عنهما الذبيح اسحاق قال وقوله تعالى (وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين) قال بشر بنبوته ، قال وقوله تعالى (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا) قال كان هارون أكبر من موسى ولكن أراد وهب له نبوته

وحدثنا ابن عبد الاعلى حدثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت داود يحدث عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية (وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين) قال إنما بشر به نبيان من الصالحين قال إنما بشر به نبيا حين فداء الله عز وجل من الذبيح ولم تكن البشارة بالنبوة عند مولده وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان الثوري عن داود عن عكرمة عن ابن عباس (وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين) قال بشر به حين ولد وحين نبي . وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله تعالى (وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين) قال بعد ما كان من أمره لما جاد الله تعالى بنفسه وقال الله عز وجل (وباركنا عليه وعلى اسحاق)

وقوله تعالى (وباركنا عليه وعلى اسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين) كقوله تعالى

جعل الذبيح اسحاق قال بشر ابراهيم بنبوة اسحاق ورواه عكرمة ، و عن ابن عباس قال بشر به مرتين حين ولد وحين نبي . (وباركنا عليه) يعني على ابراهيم في أولاده (وعلى اسحاق) يكون أكثر

(قبل يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب ألیم)

ولقد منّنا على موسى وهارون (١١٤) ونجّينهما وقومهما من الكرب العظيم (١١٥)

ونصرناهم فكانوا هم الغالبين (١١٦) وآتينهما الكتاب المستبين (١١٧) وهدّينهما الصراط

المستقيم (١١٨) وتركنا عليهما في الآخريّن (١١٩) سلام على موسى وهارون (١٢٠) انا كذلك

نجزّي المحسنين (١٢١) انهما من عبادنا المؤمنين (١٢٢)

يذكر تعالى ما أنعم به على موسى وهارون من النبوة والنجاة بمن آمن معهم من قهرفرعون وقومه وما كان يعتمد في حقهم من الاساءة العظيمة من قتل الابناء واستحياء النساء واستعمالهم في أخس الاشياء ثم بعد هذا كله نصرهم عليهم وأقر أعينهم منهم فغلبوهم وأخذوا أرضهم وأموالهم وما كانوا جمعوه طول حياتهم ثم أنزل الله عز وجل على موسى الكتاب العظيم الواضح الجلي المستبين وهو التوراة كما قال تعالى (ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء) وقال عز وجل ههنا (وآتيناهما الكتاب المبين وهدّيناهما الصراط المستقيم) أي في الأقوال والأفعال (وتركنا عليهما في الآخريّن) أي أبقينا لهما من بعدهما ذكرا جليلا وثناء حسنا ثم فسره بقوله تعالى (سلام على موسى وهارون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين)

وان الياس لمن المرسلين (١٢٣) اذ قال لقومه ألا تتقون (١٢٤) أتدّون بعلا وتذرون

الانبياء من نسله (ومن ذريتهما محسن) أي مؤمن (وظالم لنفسه) أي كافر (مبين) أي ظاهر قوله تعالى (ولقد منّا على موسى وهارون) أنعمنا عليهما بالنبوة (ونجّيناهما وقومهما) بني اسرائيل (من الكرب العظيم) أي الغم العظيم وهو الذي كانوا فيه من استعباد فرعون إياهم ، وقيل من الفرق (ونصرناهم) يعني موسى وهارون وقومهما (فكانوا هم الغالبين) على القبط (وآتيناهما الكتاب المبين) أي المستنير وهو التوراة (وهدّيناهما الصراط المستقيم) وتركنا عليهما في الآخريّن * سلام على موسى وهارون * انا كذلك نجزي المحسنين * انهما من عبادنا المؤمنين (

قوله تعالى (وإن الياس لمن المرسلين) روي عن عبدالله بن مسعود قال الياس هو إدريس وفي مصحفه وان إدريس لمن المرسلين) وهذا قول عكرمة ، وقال الآخرون هو نبي من أنبياء بني اسرائيل . قال ابن عباس هو ابن عم اليسع ، قال محمد بن اسحاق هو الياس بن بشير بن نوح ابن العيزار بن هارون بن عمران

أحسن الخالقين (١٢٥) الله ربكم ورب آبائكم الأولين (١٢٦) فكذبوه فانهم لمحضرون (١٢٧)

إلا عباد الله المخلصين (١٢٨) وتركنا عليه في الآخريين (١٢٩) سلام على آل ياسين (١٣٠)

إنا كذلك نجزي المحسنين (١٣١) انه من عبادنا المؤمنين (١٣٢)

قال قتادة ومحمد بن إسحاق يقال الياس هو ادريس ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم

وقال أيضا محمد بن إسحاق والعلاء من أصحاب الاخبار لما قبض الله عز وجل حزقيل النبي ﷺ عظمت الاحداث في بني اسرائيل وظهر فيهم الفساد والشرك ونصبوا الاوثان وعبدوها من دون الله فبعث الله عز وجل اليهم الياس نبيا، وكانت الانبياء من بني اسرائيل يعثون من بعد موسى بتجديد ما نسوا من التوراة وبنو اسرائيل كانوا متفرقين في أرض الشام، وكان سبب ذلك أن يوشع ابن نون لما فتح الشام بوأها بني اسرائيل وقسمها بينهم، فأحل سبطا منهم يعلبك ونواحيها وهم السبط الذي كان منهم الياس، فبعثه الله تعالى اليهم نبيا وعليهم يومئذ ملك يقال له آجب قد أضل قومه وأجبرهم على عبادة الاصنام، وكان يعبد هو وقومه صنما يقال له بعل وكان طوله عشرين ذراعا وله أربعة وجوه، فجعل الياس يدعوهم الى الله عز وجل وهم لا يسمعون منه شيئا إلا ما كان من أمر الملك فانه صدقه وآمن به فكان الياس يقوم أمره ويسدده ويرشده، وكان لا آجب الملك هذا امرأة يقال لها أزيل وكان يستخلفها على رعيته اذا غاب عنهم في غزاة أو غيرها وكانت تبرز للناس وتقضي بين الناس، وكانت قتالة الانبياء يقال هي التي قتلت يحيى بن زكريا عليهما السلام، وكان لها كاتب رجل مؤمن حكيم بكنتم ايمانه وكان قد خلاص من يدها ثمانمائة نبي كانت تريد قتل كل واحد منهم اذا بعث سوى الذين قتلتهم، وكانت في نفسها غير محصنة وكانت قد تزوجت سبعة من ملوك بني اسرائيل وقتلت كلهم بالاغتيال، وكانت معمرة يقال إنها ولدت سبعين ولدا، وكان لا آجب هذا جار رجل صالح يقال له مزدكي وكانت له جنيئة يعيش منها ويقبل على عمارتها ومرتباتها، وكانت الجنيئة الى جانب قصر الملك وامراته وكانا يشرفان على تلك الجنيئة يتزهدان فيها وبأكلان ويشربان ويقيلان فيها وكان آجب الملك يحسن جوار صاحبها مزدكي ويحسن اليه وامراته أزيل تحسده لاجل تلك الجنيئة ونحتمل أن تفصها منه لما تسمع الناس يكثررون ذكرها ويتعجبون من حسننها ونحتمل أن تقتله والملك ينهاها عن ذلك ولا نجد عليه سبيلا، ثم إنه اتفق خروج الملك الى سفر بعيد وطالت غيبته فاغتمت امراته أزيل ذلك فجمعت جمعا من الناس وأمرتهم أن يشهدوا على مزدكي انه سب زوجها آجب فأجابوها اليه، وكان في حكمهم في ذلك الزمان القتل على من سب الملك اذا قامت عليه البينة فأحضرت مزدكي وقالت له بلغني انك شتمت الملك فأنكر مزدكي فأحضرت الشهود فشهدوا عليه بالزور

حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عبيدة بن ربيعة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : الياس هو ادريس ، وكذا قال الضحاك وقال وهب بن منبه هو الياس بن نسي بن فتاح بن العيزار بن

فأمرت بقتله وأخذت جنيته فغضب الله عليهم للعبد الصالح فلما قدم الملك من سفره أخبرته الخبر فقال لها ما أصبت ولا أرانا نفلح بعده فقد جاورنا منذ زمان فأحسننا جواره وكففتنا عنه الاذي لوجوب حقه علينا فخنمت أمره بأسوأ الجوار، فقالت إنما غضبت وحكمت بحكمك، فقال لها أو ما كان بسعه حلكم فتحفظين له جواره؟ قالت قد كان ما كان فبعث الله تعالى الياس الى آجب الملك وقوما وأمره أن يخبرهم أن الله تعالى قد غضب لولايه حين قتلوه ظلما وآلى على نفسه انهما ان لم يتوبا عن صنيعهما ويردا الجنيته على ورثة مزدكي أن يهلكهما بهي آجب وامراته في جوف الجنيته ثم يدعهما جيفتين ملقتين فيها حتى تتعري عظامهما من لحومهما ولا يتمتعان بها إلا قليلا، قال فجاء الياس واخبره بما أوحى الله تعالى اليه في أمره وأمر امرأته والجنيته، فلما سمع الملك ذلك اشتد غضبه عليه ثم قال له يا الياس والله ما أرى ما تدعو اليه إلا باطلا وما أرى فلانا وفلانا سعى ملوكا منهم قد عبدوا الاوثان إلا على مثل ما نحن عليه يا كاون ويتمتعون بمملكين ما ينقص من دنياهم أمرهم الذي نزعهم أنه باطل وما نرى لنا عليهم من فضل. قال وهم الملك بتعذيب الياس وقتله فلما أحس الياس بالشر والمكر به رفضه وخرج عنه فلحق بشواهق الجبال، وعاد الملك الى عبادة بعل وارتقى الياس الى أصعب جبل وأشمخه فدخل مغارة فيه ويقال إنه بقي سبع سنين شريدا خائفا يأوي الى الشعاب والكهوف يأكل من نبات الارض وثمار الشجر وهم في طلبه قد وضعوا عليه العيون والله يسره، فلما تم سبع سنين أذن الله تعالى في اظهاره عليهم وشفاء غيظه منهم فأمرض الله عز وجل ابنا لآجب وكان أحب ولده اليه وأشبههم به فأدنف حتى يئس منه فدعا صنمه بعلا وكانوا قد فتنوا ببعل وعظموه حتى جعلوا له أربعائة سادن فوكلوهم به وجعلوهم أنبياء، وكان الشيطان يدخل في جوف الصنم فيتكلم والاربعائة يصغون بآذانهم الى ما يقول الشيطان ويوسوس اليهم الشيطان بشريعة من الضلالة فيبينونها للناس فيعملون بها ويسمونهم أنبياء، فلما اشتد مرض ابن الملك طلب اليهم الملك أن يتشفعوا الى بعل ويطلبوا لابنه من قبله الشفاء فدعوه فلم يجبههم ومنع الله الشيطان فلم يمكنه الولوج في جوفه وهم مجتهدون في النضرع اليه، فلما طال عليهم ذلك قالوا لآجب إن في ناحية الشام آلهة اخرى فابعث اليها انبياءك فاعلمها تشفع لك الى الهك بعل فانه غضبان عليك ولولا غضبه عليك لأجابك قال ومن أجل ماذا غضب علي وأنا أطيعه؟ قالوا من أجل أنك لم تقتل الياس وفرطت فيه حتى نجا سليما وهو كافر بالهك، قال آجب وكيف لي أن أقتل الياس وأنا مشغول عن طلبه بوجع ابني وليس لاياس مطالب ولا يعرف له موضع فيقصد؟ فلو عوفي ابني افرغت لطلبه حتى أجده فاقتله فارضي إلهي ثم إنه بعث انبياءه الاربعائة الى الآلهة التي بالشام يسألونها أن تشفع الى صنم الملك ليسني ابنه فانطلقوا حتى اذا كانوا بحيال الجبل الذي فيه الياس أوحى الله تعالى الى

هارون بن عمران بعثه الله تعالى في بني اسرائيل بعد حزقييل عليهما السلام وكانوا قد عبدوا صنما يقال له بعل فدعاهم الى الله تعالى ونهاهم عن عبادة ماسواه ، وكان قد آمن به ملكهم ثم ارتدوا واستمروا

الياس عليه السلام أن يهبط من الجبل ويعارضهم ويكلّمهم وقال الله له لا تخف فاني سأصرف عنك شرهم وألقي الرعب في قلوبهم فنزل الياس من الجبل فلما لقىهم استوقفهم فلما وقفوا قال لهم إن الله تعالى أرسلني اليكم والي من ورائكم فاسمعوا أيها القوم رسالة ربكم لتبلغوا صاحبكم فارجعوا اليه وقولوا له ان الله تعالى يقول لك أأست تعلم يا آجب أني أنا الله لا إله إلا أنا إله بني اسرائيل الذي خلقهم ورزقهم وأحياهم وأماتهم فجعلك وقلة علمك حلاك على أن تشرك بي وتطالب الشفاء لابنك من غيري ممن لا يملكون لأنفسهم شيئا إلا ما شئنا ، اني حلفت باسمي لأغضبك في ابنك ولأميتنه في فوره غدا حتى تعلم أن أحدا لا يملك له شيئا دوني ، فلما قال لهم هذا رجعوا وقد ملثوا منه رعبا ، فلما صاروا الى الملك أخبروه بأن الياس قد انحط عليهم وهو رجل نحيف طوال قد نحل وتمشط شعره وتقرشر جلده عليه جبة من شعر وعباءة قد خلها على صدره بخلال فاستوقفنا فلما صار معنا قذف له في قلوبنا الهيبة والرعب فانقطعت ألسنتنا ونحن في هذا العدد الكثير فلم نقدر على أن نكلّمه ونراجعه حتى رجعنا اليك وقصوا عليه كلام الياس ، فقال آجب لا نتنغم بالحياة ما كان الياس حيا وما بطاق إلا بالمرر والخديعة فقيض له خمسين رجلا من قومه ذوي القوة والبأس وعهد اليهم عهده وأمرهم بالاحتيال له والاختيال به وأن يطمعوه في أنهم قد آمنوا به هم ومن ورائهم ليستنهم اليهم ويفتر بهم فيمكنهم من نفسه فيأتون به ملكهم ، فانطلقوا حتى ارتقوا ذلك الجبل الذي فيه الياس ثم تفرقوا فيه ينادونه بأعلى أصواتهم ويقولون يا نبي الله ابرز لنا وامن علينا بنفسك فانا قد آمنّا بك وصدقناك وملكنا آجب وجميع قومنا وأنت آمن على نفسك وجميع بني اسرائيل يقرّون عليك السلام ، ويقولون قد بلغتنا رسالتك وعرفنا ما قلت فأمنّا بك وأجبناك الى مادعوتنا فلم اليّا وأقم بين أظهرنا واحكم فينا فانا نقاد لما أمرتنا وننتهي عما نهيتنا وليس بسهك أن تتخلف عنا مع إيماننا وطاعتنا فارجع اليّا وكل هذا منهم بمكر وخديعة فلما سمع الياس مقاتلتهم وقعت في قلبه وطمع في إيمانهم وخاف الله ان هو لم يظهر لهم فالهمه الله التوقف والدعاء فقال اللهم إن كانوا صادقين فيما يقولون فائذن لي في البروز اليهم وان كانوا كاذبين فاكفنيهم وارهم بنار تحرقهم فما استقم قوله حتى حصبوا بالنار من فوقهم فاحترقوا أجمعون قال وبلغ آجب وقومه الخبر فلم يرتدع من هم بالسوء واحتال ثانيا في أمر الياس وقيض له فئة أخرى مثل عدد أولئك أقوى منهم وأمكن من الحيلة والرأي فاقبلوا حتى توقلوا أي صعدوا قلل تلك الجبال متفرقين ، وجعلوا ينادون يا نبي الله إنا نعوذ بالله وبك من غضب الله وسخطاته إنا اسنا كالذين أنكوك قبلنا وان أولئك فرقة نافقوا فصاروا اليك ليكيدوا بك من غير رأينارلو علمنا بهم اقتلناهم ولكفيناك مؤنتهم فالآن قد كفلك ربك أمرهم واهلكهم وانتقم لك منهم ، فلما سمع الياس مقاتلتهم دعا الله بدعوته

على ضلالتهم ولم يؤمن به منهم أحد فدعا الله عليهم فخبس عنهم القطر ثلاث سنين ثم سألوه أن يكشف ذلك عنهم ووعدوه الايمان به ان هم أصابهم المطر، فدعا الله تعالى لهم فجاءهم الغيث فاستمروا على

الاولى فامطر عليهم النار فاحترقوا عن آخرهم، وفي كل ذلك ابن الملك في لبلاء الشديدين وجمعه، فلما سمع الملك بهلاك أصحابه ثانيا ازداد غضباً على غضب وأراد أن يخرج في طلب الياس بنفسه إلا أنه شغله عن ذلك مرض ابنه فلم يتمكن، فوجه نحو الياس المؤمن الذي هو كاتب أمراته رجاء أن يأنس به الياس فينزل معه وأظهر للكاتب أنه لا يريد بالياس سوءاً وإنما أظهر له لما اطعم عليه من إيمانه وكان الملك مع اطلاعه على إيمانه مثنيا عليه لما هو عليه من الكفاية والامانة وسداد الرأي، فلما وجه نحوه أرسل معه فئة من أصحابه وأوعز الي الفئة دون الكاتب أن يوثقوا الياس ويأتوا به ان أرادوا التخلف عنهم وان جاء مع الكاتب واثقا به لم يروعه، ثم أظهر مع الكاتب الاثابة وقال له انه قد آت لي أن أتوب وقد أصابتنا بلابا من حريق أصحابنا والبلاء الذي فيه ابني وقد عرفت أن ذلك بدعوة الياس ولست آمن أن يدعو على جميع من بقي منا فهلك بدعوته فانطلق اليه والخبره أنا قد تبنا وأبنا وانه لا يصلحنا في توبتنا وما نريد من رضا ربنا وخلم أصنامنا إلا أن يكون الياس بين أظهرنا يأمرنا وينهانا ويخبرنا بما يرضي ربنا، وأمر قومه فاعزلوا الاصنام وقال له اخبر الياس أنا قد خلعتنا آلهتنا التي كنا نعبد وزجأنا أمرها حتى ينزل الياس فيكون هو الذي يجرقها ويهلكها بيده، وكان ذلك مكرآمن الملك فانطلق الكاتب والفئة حتى علا الجبل الذي فيه الياس ثم نادا فعرف الياس صوته فتأقت نفسه اليه وكان مشتاقا الي لقائه فأوحى الله تعالى اليه أن ابرز الي أخيك الصالح فاتقه وجدد العهد فبرز اليه وسلم عليه وصاحبه وقال ما الخبر؟ فقال المؤمن إنه قد بعثني اليك هذا الجبار الطاغى وقومه وقص عليه ما قالوا ثم قال له وإني لخائف إن رجعت ولست معي أن يقتلني فرقي بما شئت أفعله، إن شئت انقطعت اليك وكنت معك وتركته، وإن شئت جاهدته معك، وإن شئت أرسلني اليه بما تحب فابلغه رسالتك وإن شئت دعوت ربك بحمل لنا من أمرنا رشداً وفرجاً ومخرجاً، فأوحى الله تعالى الي الياس: إن كل شيء جاك منهم مكر وكذب ليظفروا بك، وإن آجب ان أخبرته رسله أنك قد اقيت هذا الرجل ولم يأت بك اتهامه وعرف أنه قد داهن في أمرك فلم يأمن أن يقتله فانطلق معه فاني سأشغل عنكما آجب فاضاعف على ابنه البلاء حتى لا يكون له هم غيره ثم أميته على شمر حال فاذا هو مات فارجع عنه قال فانطلق معهم حتى قدموا على آجب فلما قدموا شدد الله تعالى الوجع على ابنه وأخذ الموت يكظمه فشغل الله تعالى بذلك آجب وأصحابه عن الياس فرجم الياس سالماً الي مكانه، فلما مات ابن آجب وفرغوا من أمره وقل جزعه انتبه لالياس وسأل عنه الكاتب الذي جاء به فقال له ليس لي به علم شغلني عنه موت ابنك والجزع عليه ولم أكن أحسبك إلا قد استوثقت منه، فاعرض عنه آجب وتركه لما هو فيه من الحزن على ابنه، فلما طال الامر على الياس من الكون في الجبال واشتاق الي

أخبت ما كانوا عليه من الكفر فسأل الله أن يقبضه اليه ، وكان قد نشأ على يديه الياسم بن أخطوب عليهما الصلاة والسلام فأمر الياس أن يذهب الى مكان كذا وكذا ففعلها جاءه فأيركه ولا يسهبه فجاءته فرس

الناس نزل من الجبل فانطلق حتى نزل بأسرافة من بني إسرائيل وهي أم يونس بن متى ذي النون استخفى عندها ستة أشهر ويونس بن متى يومئذ مولود يرضع فكانت أم يونس تخدمه بنفسها وتواسيه بذات يدها ، ثم إن الياس سم ضيق البيوت بعد تفرده فاحب الاحرق بالجبال فخرج وعاد إلى مكانه فجذعت أم يونس افراقه فأوحشها فقده ، ثم لم تلبث إلا يسيراً حتى مات ابنها يونس حين فطمته فعظمت مصيبتها فخرجت في طلب الياس فلم تزل ترقى الجبال وتطوف فيها حتى عثرت عليه فوجدته وقالت له أني قد فجعت بهذا لموت ابني فعظمت فيه مصيبتي واشتد لغمي بلاني وليس لي ولد غيره فارحمني وادع لي ربك جل جلاله ليحيي لي ابني ، وأنني قد تركته مسجى لم أدفنه وقد أخفيت مكانه فقال لها الياس ليس هذا مما أمرت به ، وإنما أنا عبد مأمور أعمل بما بأمرني ربي فجذعت المرأة وتضرعت فأعطف الله تعالى قلب الياس لها فقال لها متى مات ابنك ؟ قالت منذ سبعة أيام فانطلق الياس معها وسار سبعة أيام أخرى حتى انتهى إلى منزلها فوجد ابنها ميتاً له أربعة عشر يوماً فتوضأ وصلى ودعا فأحيا الله تعالى يونس بن متى ، فلما عاش وجلس وثب الياس وتركه وعاد إلى موضعه ، فلما طال عصيان قومه ضاق بذلك الياس ذرعاً فأوحى الله تعالى اليه بعد سبع سنين وهو خائف مجبوراً يا الياس ما هذا الحزن والجزع الذي أنت فيه ألسنت أميني عز وحي وحجتي في أرضي وصفوتي من خلقي فسألني أعطك فاني ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم ؟ قال نعمتني بلاني فاني قد ملأت بني إسرائيل وملوني فأرحني الله تعالى اليه يا الياس ما هذا باليوم الذي أعري منك الأرض وأهلها وإنما قوامها وصلاحتها بك وبأشباهاك وإن كنتم قليلاً ، واسكن سألني أعطك قال الياس إن لم نعمتني فأعطني ثأري من بني إسرائيل . قال الله تعالى فأني شيء . تريد أن أعطيك ؟ قال نعمتني من خزائن السماء سبع سنين فلا تنشر عليهم سحابة إلا بدعوتي ، ولا تضر عليهم قطرة إلا بشفاعتي فإنه لا يذلمهم الا ذلك . قال الله تعالى يا الياس أنا أرحم بخلقتي من ذلك وإن كانوا ظالمين . قال فست سنين قال أنا أرحم بخلقتي من ذلك قال فخمس سنين قال أنا أرحم بخلقتي من ذلك ، واسكنني أعطيك ثأرك ثلاث سنين أجعل خزائن المطر بيدك قال الياس فأني شيء . أعيش قال أسخر لك جيشاً من الطير ينقل اليك طعامك وشرابك من الريف والأرض التي لم تقحط قال الياس قد رضيت قال فأمسك الله تعالى عنهم المطر حتى هلكت الماشية والدواب والحوام والشجر ووجد الناس جهداً شديداً والياس على حالته مستخف من قومه يوضع له الرزق حيث ما كان ، وقد عرف ذلك قومه وكانوا إذا وجدوا ريح الحبز في بيت قالوا لقد دخل الياس هذا المكان فطلبوه ولقي منهم أهل ذلك المنزل ثأراً . قال ابن عباس أصاب القحط بني إسرائيل ثلاث سنين فر الياس بعجوز فقال لها هل عندك طعام

من نار فركب وأبسه الله تعالى النور وكساه الريش ، وكان يطير مع الملائكة ملكا انسيا سماديا

قالت نعم شيء من دقيق وزيت قليل قال فدعا به ودعا فيه بالبركة ومسه حتى ملأ جرابها دقيقا وملأ خوابيبها زيتا فلما رأوا ذلك عندها قالوا من أين لك هذا ؟ قالت مررت برجل من حاله كذا وكذا فوصفته فعرفوه فقالوا ذلك الياس فطلوه فوجدوه فهرب منهم ، ثم أنه أوى الى بيت امرأة من بني اسرائيل لها ابن يقال له اليسع بن أخطوب به ضرفاً و به وأخفت أمره فدعا له فعوفي من الضر الذي كان به واتبع اليسع الياس فأمن به وصدقه ولزمه وكان يذهب حيث يذهب ، وكان الياس قد أسن فكبير واليسع غلام شاب ، ثم ان الله تعالى أوحى الى الياس أنك قد أهلكك كثير آمن الخلق ممن لم يعص من البهائم والدواب والطيور والهوام بحبس المطر فيزعمون والله أعلم ان الياس قال يارب دعني أكن أنا الذي ادعوا لهم وآتيهم بالفرج مما هم فيه من البلاء اعلمهم أن يرجعوا وينزعوا عما هم عليه من عبادة غيرك فقبل له نعم فجاء الياس الى بني اسرائيل فقال : انكم قد هلكتم جوعاً وجهداً وهلكت البهائم والدواب والطيور والهوام والشجر بخطاياكم وانكم على باطل ، فان كنتم تحبون أن تعملوا ذلك فاخرجوا بأصنامكم فان استجاب لكم فذلك كما تقولون ، وان هي لم تفعل علمتم أنكم على باطل فزعمتم ودعوت الله تعالى ففرج عنكم ما أنتم فيه من البلاء قالوا أنصف ، فخرجوا بأوثانهم فدعواها فلم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء ثم قالوا لا ليا من انا قد هلكنا فادع الله تعالى لنا فدعا لهم الياس ومعه اليسع بانفرج فخرجت سحابة مثل الترس على ظفر البحر وهم ينظرون فأقبلت نحوهم وطبقت الآفاق ثم أرسل الله تعالى عليهم المطر فأغاثهم وأحيت بلادهم ، فلما كشف الله تعالى عنهم الضر نقضوا العهد ولم ينزعوا عن كفرهم وأقاموا على أخبت ما كانوا عليه ، فلما رأى ذلك الياس دعا ربه عز وجل أن يرجمه منهم فقبل له فيما يزعمون انظر يوم كذا وكذا فاخرج فيه الى موضع كذا وكذا فما جاك من شيء فاركبه ولا تهبه فخرج الياس ومعه اليسع حتى اذا كانا بالموضع الذي أمر أقبيل فرس من نار وقيل لونه كلون النار حتى وقف بين يديه فوثب عليه الياس فانطلق به الفرس فناداه اليسع يا الياس ما تأمرني فقفذ اليه الياس بكسائه من الجو الاعلى فكان ذلك علامة استخلافه لياه على بني اسرائيل فكان ذلك آخر العهد به ، ورفع الله تعالى الياس من بين أظهرهم وقطع عنه لذة الطعام والمشرب فكساه الريش فكان انسيا ملكيا أرضيا سماديا وسلط الله تعالى على آجب الملك وقومه عدواً لهم فقصدهم من حيث لم يشعروا به حتى دهقهم فقتل آجب وامرأته اذيل في بستان مزدكي فلم تزل جيفتاها ملتقتين في تلك الجنيحة حتى بليت لحومهما ورمت عظامها ونبأ الله تعالى اليسع وبهته رسولا الي بني اسرائيل وأوحى الله تعالى الى اليسع وأيده فأمنت به بنو اسرائيل فكانوا يعظمونه وحكم الله تعالى فيهم قائم الى أن فارقه اليسع . وروى السري بن يحيى عن عبدالعزيز بن أبي رواد قال الخضر والياس يصومان شهر رمضان بيت المقدس ويوافيان الموسم في كل عام ، وقيل ان الياس موكل بالغياني

أرضيا هكذا حكاه وهب بن منبه عن أهل الكتاب والله أعلم بصحته (اذ قال لقومه ألا تتقون) أي ألا تخافون الله عز وجل في عبادتكم غيره (أندعون بعلا) وتذرون أحسن الخالقين (قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة وقتادة والسدي بعلا يعني ربا . قال عكرمة وقتادة وهي لغة أهل اليمن ، وفي رواية عن قتادة قال : وهي لغة ازده شنوة . وقال ابن اسحاق أخبرني بعض أهل العلم أنهم كانوا يعبدون امرأة اسمها بعلا . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه هو اسم صنم كان يعبد أهل مدينة يقال لها بعلا بك غربي دمشق ، وقال الضحاك هو صنم كانوا يعبدونه

وقوله تعالى (أندعون بعلا) أي أنعبدون صنما وتذرون أحسن الخالقين (الله ربكم ورب آبائكم الاولين) أي هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له ، قال الله تعالى (فيكذبوه فانهم لمحضرون) أي للعذاب يوم الحساب (إلا عباد الله المحاصنين) أي الموحدين منهم ، وهذا استثناء منقطع من مثبت

وقوله تعالى [وتركنا عليه في الآخرين] أي ثناء آجلا (سلام على الياسين) كما يقال في اسماعيل اسماعين وهي لغة بني أسد ، وأنشد بعض بني تميم في ضب صاده

يقول رب السوق لما جينا هذا ورب البيت اسرائينا

ويقال ميكال وميكايل وميكاين ، و ابراهيم و ابراهيم ، واسرائيل واسرائين وطور سيناء وطور سينين وهو موضع واحد وكل هذا سائغ . وقرأ آخرون (سلام على إدراسين) وهي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ، وآخرون [سلام على آل ياسين] يعني آل محمد ﷺ ، وقوله تعالى [إنا كذلك نجزي المحسنين] أنه من عبادنا المؤمنين [قد تقدم تفسيره والله أعلم

والخضر موكل بالبحار فذلك قوله تعالى (وان الياس لمن المرسلين) (اذ قال لقومه ألا تتقون * أندعون) أنعبدون (بعلا) وهو اسم صنم لهم كانوا يعبدونه ولذلك سميت مدينتهم بعلا بك . قال مجاهد وعكرمة وقتادة البعل الرب لغة أهل اليمن (وتذرون أحسن الخالقين) فلا تعبدونه (الله ربكم ورب آبائكم الاولين) قرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب الله ربكم ورب بنصب الهاء والباءين على البدل ، وقرأ الآخرون برفعهم على الاستئناف (فيكذبوه فانهم لمحضرون) في النار (إلا عباد الله المحاصنين) من قومه فانهم نجوا من العذاب (وتركنا عليه في الآخرين) سلام على الياسين (قرأ نافع وابن عامر (آل ياسين) بفتح الهمزة مشبعة وكسر اللام مقطوعة لأنها في المصحف مفصولة ، وقرأ الآخرون بكسر الهمزة وسكون اللام موصولة فمن قرأ آل يس مقطوعة قيل أراد آل محمد ﷺ وهذا القول بعيد لانه لم يسبق له ذكر ، رقييل أراد الياس والقراءة المعروفة بالوصل ، واختلفوا فيه فقد قيل الياسين لغة في الياس مثل اسماعيل واسماعيل وميكايل وميكاين ، وقال الفراء هو جمع أراد الياس وأصحابه وأتباعه من المؤمنين فيكون بمنزلة الأشعرين والعجمين بالتخفيف ، وفي حرف عبد الله

وان لوطا لمن المرسلين (١٣٣) إذ نجيناه وأهله أجمعين (١٣٤) إلا عجوزا في الغربين (١٣٥) ثم دمرنا الآخرين (١٣٦) وانكم لترون عليهم مصبحين (١٣٧) وبالليل أفلا تعقلون (١٣٨) ينهى تعالى عن عبده ورسوله لوط عليه السلام انه بعثه إلى قومه فكذبوه فنجاه الله تعالى من بين أظهرهم هو وأهله إلا امرأته فانها هلكت مع من هلك من قومها فان الله تعالى أهلكتهم بأنواع من العقوبات وجعل محللتهم من الارض بحيرة منتنة قبيحة المنظر والطعم والريح وجعلها بسبيل مقيم يمر بها المسافرين ليلا ونهارا ولهذا قال تعالى (وانكم لترون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون) أي أفلا تعتبرون بهم كيف دمر الله عليهم وتعلمون أن للكافرين أمثالها

وان يونس لمن المرسلين (١٣٩) اذ أبق الى الفلك المشحون (١٤٠) فساهم فكان من المدحضين (١٤١) فالتقمه الحوت وهو مليم (١٤٢) فلو لا أنه كان من المسبحين (١٤٣) للبت في بطنه إلى يوم يُبعثون (١٤٤) فنبدناه بالراء وهو سقيم (١٤٥) وأنبثنا عليه شجرة من يقطين (١٤٦) وأرسلنا داليا مائة ألف أو يزيدون (١٤٧) فآمنوا ففتنهم الى حين (١٤٨) قد تقدمت قصة يونس عليه الصلاة والسلام في سورة الانبياء ، وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ انه قال « ما ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى » ونسبه إلى أمه وفي رواية إلى أبيه

ابن مسعود [سلام على ادريس] أي ادريس وأتباعه لا نه يقرأ وان ادريس لمن المرسلين « انا كذلك نجزي المحسنين » انه من عبادنا المؤمنين * وان لوطا لمن المرسلين * اذ نجيناه وأهله أجمعين * إلا عجوزا في الغربين « أي الباقيين في العذاب » ثم دمرنا الآخرين « والتدمير الاهلاك » وانكم لترون عليهم « على آثارتهم ومنازلهم » مصبحين « وقت الصباح » وبالليل « يريد تمرون بالنهار وبالليل عليهم اذا ذهبتم الى أسفاركم ورجعتم » أفلا تعقلون « فتعتبرون قوله تعالى « وان يونس لمن المرسلين » أي من جملة رسل الله « اذ أبق الى الفلك المشحون » يعني هرب قال ابن عباس رضي الله عنهما وروى كان يونس وعد قومه العذاب فلما أخر عنهم العذاب خرج كالستور منهم فقصده البحر فركب السفينة فاحتبست السفينة فقال الملاحون « هنا عبد آبق من سيده فاقتربوا فوقعت القرعة على يونس فاقتربوا ثلاثا فوقعت على يونس فقال يونس أنا الآبق وزج نفسه في الماء ، وروي في القصة أنه لما وصل الى البحر كانت معه امرأته وابنان له فجاء مركب فأراد أن يركب معهم فقدم امرأته ليركب بعدها فخال الموج بينه وبين المركب ثم جاءت موجة أخرى وأخذت ابنه الاكبر وجاء ذئب فأخذ الابن الاصغر فبقي فريدا فجاء مركب آخر فركبه ففقد ناحية

وقوله تعالى (إذ أبق إلى العلك المشحون) قال ابن عباس رضي الله عنهما هو الموقر أي المملوء بالأمعة (فساهم) أي قارع [فكان من المدحضين] أي المغلوبين ، وذلك أن السفينة تلعبت بها الأمواج من كل جانب وأشرفوا على الفرق فساهموا على من تقع عليه القرعة يلقى في البحر لتخف بهم السفينة فوقعت القرعة على نبي الله يونس عليه الصلاة والسلام ثلاث مرات وهم يضمنون به أن يلقى من بينهم فتجرد من ثيابه ليلقي نفسه وهم يأبون عليه ذلك ، وأمر الله تعالى حوتا من البحر الأخضر أن يشق البحار وأن يلتقم يونس عليه السلام فلا يهشم له لحما ولا يكسر له عظما فجاء ذلك الحوت وألقى يونس عليه السلام نفسه فالتقمه الحوت وذهب به فطاف به البحار كلها ، ولما استقر يونس في بطن الحوت حسب أنه قد مات ثم حرك رأسه ورجليه وأطرافه فاذا هو حي فقام فصلى في بطن الحوت وكان من جملة دعائه يارب اتخذت لك مسجدا في موضع لم يبلغه أحد من الناس واختافوا في مقدار ما لبث في بطن الحوت فقيل ثلاثة أيام قال قتادة ، وقيل سبعة قاله جعفر الصادق رضي الله عنه ، وقبل أربعين يوما قاله أبو مالك ، وقال مجاهد عن الشعبي : التقمه ضحى ولفظه عشية ، والله تعالى أعلم بمقدار ذلك ، وفي شعر أمية بن أبي الصلت

وأنت بفضل منك نجيت يونساً وقد بات في أضعاف حوت ليا ليا

وقوله تعالى (فلولا أنه كان من المسبحين * لبث في بطنه إلى يوم يبعثون) قيل لولا ما تقدم له من العمل في الرخاء قاله الضحاك بن قيس وأبو العالية وروى بن منبه وقتادة وغير واحد ، واختاره ابن جرير ، وقد ورد في الحديث الذي سنورده أن شاء الله تعالى ما يدل على ذلك أن صح الخبر ، وفي حديث ابن عباس « تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة »

وقال ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير والضحاك وعطاء بن السائب والسدي والحسن وقتادة (فلولا أنه كان من المسبحين) يعني المصلين ، وصرح بعضهم بأنه كان من المصلين قبل ذلك ، وقال بعضهم كان من المسبحين في جوف أبويه ، وقيل المراد (فلولا أنه كان من المسبحين) هو قوله عز وجل [فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين * فاستجبنا له ونجينا من

من القوم فلما مرت السفينة في البحر ركعت فاقترعوا وقد ذكرنا القصة في سورة يونس فذلك قوله عز وجل (فساهم) فقارع والمساهمة القاء السهام على جهة القرعة (فكان من المدحضين) أي المقروعين (فالتقمه الحوت) ابتلعه (وهو ملين) أي بما يلام عليه (فلولا أنه كان من المسبحين) من القادرين أن يخلصوا قبل ذلك وكان كثير الذكر ، وقال ابن عباس من المصلين ، وقال وهب من العابدين وقال الحسن ما كانت له صلاة في بطن الحوت وانكته قدم عملا صالحا ، وقال الضحاك شكر الله تعالى له طاعته القديمة وقيل فلولا أنه كان من المسبحين في بطن الحوت قال سعيد بن جبير يعني قوله لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين (لبث في بطنه إلى يوم يبعثون) لصار بطن الحوت له

الغم وكذلك ننجي المؤمنين [قاله سعيد بن جبير وغيره

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبيد الله ابن أخي ابن وهب حدثنا عمي حدثنا أبو صخر أن يزيد الرقاشي حدثه أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه - ولا أعلم أنسا إلا يرفع الحديث إلى رسول الله ﷺ « أن يونس النبي عليه الصلاة والسلام حين بدا له أن يدعوهم - هذه الكلمات وهو في بطن الحوت فقال اللهم لا اله إلا أنت - بحالك أني كنت من الظالمين ، فأقبلت الدعوة نحن بالعرش ، قالت الملائكة يارب هذا صوت ضعيف معروف من بلاد بعيدة غريبة فقال الله تعالى أما تعرفون ذلك ؟ قالوا يارب ومن هو ؟ قال عز وجل عبدي يونس قالوا عبدك يونس الذي لم يزل يرفع له عمل متقبل ودعوة مستجابة ؟ قالوا يارب أولا نرحم ما كان يصنع في الرخاء فتنجيه في البلاء ؟ قال إلى فأمر الحوت فطرحه بالعراء » ورواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب به ، زاد ابن أبي حاتم قال أبو صخر حميد بن زياد فأخبرني ابن قسيط وأنا أحدثه هذا الحديث أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول : طرح بالعراء وأنبت الله عز وجل عليه اليقطينة ، قلنا يا أبا هريرة وما اليقطينة ؟ قال شجرة الدباء . قال أبو هريرة رضي الله عنه : وهيا الله له أروية وحشية تأكل من خشاش الأرض - أو قال هشاش الأرض - قال فتنفخ عليه فترويه من لبنها كل عشية وبكرة حتى نبت ، وقال أمية بن أبي الصلت في ذلك بيتا من شعره وهو

فأنبت يقطينا عليه برحة من الله لولا الله ألقى ضاحيا

وقد تقدم حديث أبي هريرة رضي الله عنه مسندا مرفوعا في تفسير سورة الانبياء ، ولهذا قال تعالى (فنبدناه) أي أقمناه [بالعراء] قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره وهي الأرض التي ليس بها نبت ولا بناء ، قيل على جانب دجلة وقيل بأرض اليمن فالله أعلم [وهو سقيم] أي ضعيف البدن ، قال ابن مسعود رضي الله عنه كهيئة الفرخ ليس عليه ريش ، وقال السدي كهيئة الصبي حين يولد وهو المنفوس وقاله ابن عباس رضي الله عنهما وابن زيد أيضا [وأنبتنا عليه شجرة من يقطين] قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ووهب بن منبه وهلال بن يساف وعبد الله بن

قبرا إلى يوم القيامة (فنبدناه) طرحناه (بالعراء) يعني على وجه الأرض قال السدي بالساحل والعراء الأرض الخالية عن الشجر والنبات (وهو سقيم) عليل كالفرخ الممط وقيل كان قد بلى لحمه ورق عظمه ولم يبق له قوة ، واختلوا في مدة لبثه في بطن الحوت فقال مقاتل بن حيان ثلاثة أيام وقال عطاء سبعة أيام وقال الضحاك عشرين يوما وقال السدي والكلبي ومقاتل بن سليمان أربعين يوما وقال الشعبي التقمه ضحى ولفظه عشية (وأنبتنا عليه) أي له وقيل عنده (شجرة من يقطين) يعني القرع على قول جميع المفسرين وقال الحسن ومقاتل كل نبت يمد وينبسط على وجه الأرض ليس له ساق ولا يبقى على الشتاء نحو القرع والقش والبطيخ فهو يقطين ، قال مقاتل بن حيان فكان يونس

طاوس والسدي وقنادة والضحاك وعطاء الخراساني وغير واحد قالوا كلهم اليعقطين هو القرع ، وقال هشيم عن القاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبير وكل شجرة لاساق لها هي من اليعقطين وفي رواية عنه كل شجرة تهلك من عامها فهي من اليعقطين ، وذكر بعضهم في القرع فوائد منها سرعة نباته وتظليل ورقه لكبره ونعومته وأنه لا يقرها الذباب وجودة تغذية ثمره ، وأنه يؤكل نيئا ومطبوخا وقشره أيضا ، وقد ثبت أن رسول الله ﷺ كان يحب الدباء ، ويتبعه من حواشي الصحفة

وقوله تعالى [وأرسلناه الى مائة ألف أوزيدون] روى شهر بن حوشب عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال إنما كانت رسالة يونس عليه الصلاة والسلام بعد ما نبذ الحوت ، رواه ابن جرير حدثني الحارث حدثنا أبو هلال عن شهر بن ، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد أرسل اليهم قبل أن يلتقمه الحوت (قلت) ولا مانع أن يكون الذين أرسل اليهم أولا أمر بالعود اليهم بعد خروجه من الحوت فصداقهم وآمنوا به ، وحكي البغوي أنه أرسل الى أمة أخرى بعد خروجه من الحوت كانوا مائة ألف أوزيدون ، وقوله تعالى [أوزيدون] قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عنه : بل يزدون وكانوا مائة وثلاثين ألفا وعنه مائة ألف وبضعة وثلاثين ألفا وعنه مائة ألف وبضعة وأربعين ألفا والله أعلم وقال سعيد بن جبير يزدون سبعين ألفا

وقال مكحول كانوا مائة ألف وعشرة آلاف رواه ابن أبي حاتم وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الرحيم البرقي حدثنا عمرو بن أبي سلمة قال سمعت زهيراً يحدث عن سمع أبا العالية يقول حدثني أبي بن كعب رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى (وأرسلناه الى مائة ألف أوزيدون) قال يزدون عشرون ألفاً ، ورواه الترمذي عن علي بن حجر عن الوليد بن مسلم عن زهير عن رجل عن أبي العالية عن أبي بن كعب به وقال غريب ، ورواه ابن أبي حاتم من حديث زهير به

يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها بكرة وعشيا حتى اشتد لجه ونبت شعره وقوي فنام نومة فاستيقظ وقد بدست الشجرة فحزن حزنا شديدا وأصابه أذى الشمس فجعل يبكي فبث الله تعالى اليه جبريل فقال أنمزن على شجرة ولا نمزن على مائة ألف من أممك وقد أسلموا وتابوا فإن قيل قال ههنا فنبتناه بالعراء وقال في موضع آخر (لولا أن تدارك نعمة من ربه لنبت بالعراء) فهذا يدل على أنه لم ينبت قبل لولا هناك يرجع الى الهمزة لولا نعمة من ربه لنبت بالعراء وهو مذموم ولكن تدارك النعمة فنبت وهو غير مذموم

قوله (وأرسلناه الى مائة ألف) قال قنادة أرسل الى أهل نينوى من أرض الموصل قبل أن يصيبه ما أصابه ، وقوله (وأرسلناه) أي وقد أرسلناه وقيل كان إرساله بعد خروجه من بطن الحوت اليهم وقيل الى قوم آخرين (أوزيدون) قال مقاتل والكلبي معناه بل يزدون وقال الزجاج أو ههنا على أصلها ومعناه أوزيدون على تقديركم وظنكم كالرجل يرى قوما فيقول هؤلاء ألف أو

(سورة الصافات ٣٧ جزء ٢٣) انكار الله على المشركين في زعمهم أن الملائكة بنات الله ١٦٩

قال ابن جرير : وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول في ذلك معناه إلى المائة الألف أو كانوا يزيدون عندكم يقول كذلك كانوا عندكم ، ولهذا سلك ابن جرير ههنا ماسلكه عند قوله تعالى [ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة] وقوله تعالى (إذا فريق منهم يمشون الناس كخشية الله أو أشد خشية) وقوله تعالى (فكان قاب قوسين أو أدنى) المراد ليس أنقص من ذلك بل أزيد ، وقوله تعالى (فآمنوا) أي قآ من هؤلاء القوم الذين أرسل إليهم يونس عليه السلام جميعهم (فمتعناهم إلى حين) أي إلى وقت آجالهم كقوله جلّت عظمتهم (فلولاً كانت قربة آمنت فنفخها إيمانها الأقوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين)

فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون ؟ (١٤٩) أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شهدون (١٥٠)

ألا لهم من إفيكم ليقولون (١٥١) ولّد الله وإيهم لكذبون (١٥٢) أصطفى البنات على

البنين ؟ (١٥٣) مالكم كيف تحكمون ؟ (١٥٤) أفلا تذكرون ؟ (١٥٥) أم لكم ساطن مبین ؟ (١٥٦)

فأتوا بكتبكم ان كنتم صدّقين (١٥٧) وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً ، ولقد علمت الجنة

أنهم لمحضرون (١٥٨) سبحن الله عما يصفون (١٥٩) الا عباد الله المخلصين (١٦٠)

يقول تعالى منكراً على هؤلاء المشركين في جعلهم لله تعالى البنات سبحانه ولهم ما يشتهون أي من الذكور أي يودون لأنفسهم الجيد (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم) أي بسوءه ذلك ولا يختار لنفسه إلا البنين ، يقول عز وجل فكيف نسبوا إلى الله تعالى القسم الذي لا يختارونه لأنفسهم ولهذا قال تعالى (فاستفتهم) أي سلّم على سبيل الانكار عليهم (الربك البنات ولهم البنون ؟) كقوله عز وجل (ألمكم الذكر وله الأنثى ؟ * تلك إذا قسمة ضيزى)

وقوله تبارك وتعالى (أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون) أي كيف حكموا على الملائكة

يزيدون فالشك على تقدّر الخلقين ، والا كثرون على أن معناه يزيدون واختلفوا في مبلغ تلك الزيادة فقال ابن عباس ومقاتل كانوا عشرين ألفاً ورواه أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ وقال الحسن بضعا وثلاثين ألفاً وقال سعيد بن جبیر سبعين ألفاً (فآمنوا) يعني الذين أرسل إليهم يونس بعد معاينة العذاب (فمتعناهم إلى حين) أي حين انقضاء آجالهم

قوله تعالى (فاستفتهم) فاسأل يا محمد أهل مكة وهو سؤال توبيخ (الربك البنات ولهم البنون) وذلك أن جينة وني سلمة بن عبد الدار زعموا أن الملائكة بنات الله ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً يقول جعلوا لله البنات ولأنفسهم البنين (أم خلقنا الملائكة إناثاً) معناه أخلقنا الملائكة

أنهم اناث وما شاهدوا خلقهم كقوله جل وعلا (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا شهدوا
خلقهم مستكتبين شهادتهم ويسئلون) أي يسئلون عن ذلك يوم القيامة
وقوله جلت عظمته (ألا انهم من افكم) أي من كذبهم (ليقولون ولد الله) أي صدر منه
الولد (وانهم لكاذبون) فذكر الله تعالى عنهم في الملائكة ثلاثة اقوال في غاية الكفر والكذب ، فأولا
جعلهم بنات الله فجعلوا لله ولدا تعالى وتقدس ، وجعلوا ذلك الولد أنثى ثم عبدوهم من دون الله
تعالى وتقدس وكل منها كاف في التخليد في نار جهنم
ثم قال تعالى منكر عليهم (اصطفى البنات على البنين) أي أي شيء يحمله على أن يخنار البنات دون
البنين كقوله عز وجل (أفأصفاكم ربكم بالبنين وانخذ من الملائكة اناثا إنكم لتقولون قولا عظيما)
ولهذا قال تبارك وتعالى (ما لكم كيف تحكمون) أي ما لكم عقول تدبرون بها ما تقولون (أفلا تذكرون
أم لكم سلطان مبين) أي حجة على ما تقولونه فثابتوا بكتابكم إن كنتم صادقين (أي هاتوا برهاننا
على ذلك يكون مستندا إلى كتاب منزل من السماء عن الله تعالى أنه انخذ ما تقولونه فأنما تقولونه لا يمكن
استناده إلى عقل بل لا يجوز العقل بالكلية

وقوله تعالى (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) قال مجاهد قال المشركون الملائكة بنات الله تعالى
فقال أبو بكر رضي الله عنه فمن أمهاتهن ؟ قالوا بنات سروات الجن وكذا قال قتادة وابن زيد ولهذا
قال تبارك وتعالى (ولقد علمت الجنة) أي الذين نسبوا اليهم ذلك (انهم لمحضرون) أي ان الذين
قالوا ذلك لمحضرون في العذاب يوم الحساب لكذبهم في ذلك رافقائهم وقولهم الباطل بلا علم ، وقال

اناثا (وهم شاهدون) حاضرون خلقنا إياهم نظيره قوله (أشهدوا خلقهم) (ألا إنهم من افكم) من
كذبهم (ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون * اصطفى) قرأ أبو جعفر واسماعيل لكاذبون اصطفى موصولا
على الخبر عن قول المشركين وعند الوقف يبتدئان اصطفى بكسر الالف ، وقراءة العامة بقطع الالف لانها
ألف استفهام دخلت على ألف الوصل فحذفت ألف الوصل وبقيت ألف الاستفهام مفتوحة مقطوعة مثل
أستكبرت ونحوها (البنات على البنين * ما لكم كيف تحكمون) لله البنات وللم بنين (أفلا تذكرون)
أفلا تنظرون (أم لكم سلطان مبين) برهان بين على أن الله ولدا (فاثبتوا بكتابكم) الذي لكم فيه
حجة (ان كنتم صادقين) في قولكم (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) قال مجاهد وقاتلة أراد بالجنة
الملائكة سموها جنة لاجتماعهم عن الابصار ، وقال ابن عباس حي من الملائكة يقال لهم الجن ومنهم
ابليس ، قالوا هم بنات الله وقال الكلبي قالوا لعنهم الله بل تزوج من الجن فخرج منهما ملائكة تعالى
الله عن ذلك ، وقد كان زعم بعض قريش أن الملائكة بنات الله فقال أبو بكر الصديق فمن أمهاتهم
قالوا سروات الجن ، وقال الحسن معنى النسب أنهم أشركوا الشياطين في عبادة الله (ولقد علمت
الجنة انهم) يعني قائل هذا القول (لمحضرون) في النار

العرفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) قال زعم أعداء الله أنه تبارك وتعالى هو وإبليس أخوان تعالى الله ذلك علوا كبيرا حكاه ابن جرير ، وقوله جلّت عظمته (سبحان الله عما يصفون) أي تعالى وتقدس وتمزه عن أن يكون له ولد وعما يصفه به الظالمون الملاحدون علوا كبيرا

وقوله تعالى (إلا عباد الله المحضين) استثناء منقطع وهو من مثبت إلا أن يكون الضمير في قوله تعالى (عما يصفون) عائد إلى الناس جميعهم ثم استثنى منهم المحضين وهم المتبعون للحق المنزل على كل نبي ومرسل ، وجعل ابن جرير هذا الاستثناء من قوله تعالى (أنهم لحضرون إلا عباد الله المحضين) وفي هذا الذي قاله نظروا الله سبحانه وتعالى أعلم

فأنكم وما تعبدون (١٦١) ما أنتم عليه بفاتنين (١٦٢) إلا من هو صال الجحيم (١٦٣)
وما منا إلا له مقام معلوم (١٦٤) وإنا لنحن الصّافّون (١٦٥) وإنا لنحن المسبّحون (١٦٦)
وان كانوا ليقولون (١٦٧) لو أن عندنا ذكر من الأولين (١٦٨) لكُنّا عباد الله المحضين (١٦٩)
فكفروا به فسوف يعلمون (١٧٠)

يقول تعالى مخاطبا للمشركين (فأنكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم) أي إنما ينقاد لمقاتلتكم وما أنتم عليه من الضلالة والعبادة الباطلة من هو أضل منكم ممن ذريء النار (لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) فهذا الضرب من الناس هو الذي ينقاد لدين الشرك والكفر والضلالة كما قال تبارك وتعالى (أنكم لني قول مختلف يؤفك عنه من أفك) أي إنما بضل به من هو مأفوك ومبطل ، ثم قال تبارك وتعالى منزها للملائكة عما نسبوا إليهم من الكفر بهم والكذب عليهم أنهم بنات الله (وما منا إلا له مقام معلوم) أي له موضع مخصوص في السموات ومقامات العبادات لا يتجاوزها ولا يتعداه

ثم نزه نفسه عما قالوا فقال (سبحان الله عما يصفون) إلا عباد الله المحضين (هذا استثناء من المحضين يعني أنهم لا يحضرون

قوله عز وجل (فأنكم) يقول لاهل مكة (وما تعبدون) من الأصنام (ما أنتم عليه) على ما تعبدون (بفاتنين) بمضلين أحدا (إلا من هو صال الجحيم) إلا من قدر الله أنه سيدخل النار أي سبق له في علم الله الشقاوة

قوله تعالى (وما منا إلا له مقام معلوم) أي ما منّا ملك إلا له مقام معلوم في السموات بعد الله

وقال ابن عساكر في ترجمته لمحمد بن خالد بسنده الى عبد الرحمن بن العلاء بن سعد عن أبيه وكان ممن بايع يوم الفتح إن رسول الله ﷺ قال يوما اجلسائه « أطت السماء وحق لها أن تظلم إلا فيها موضع قدم إلا عليه ملك راكم أو ساجد » ثم قرأ ﷺ (وما منا إلا له مقام معلوم » وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون) وقال الضحاك في تفسيره (وما منا إلا له مقام معلوم) قال كان مسروق يروي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : قال رسول الله ﷺ « مامن السماء الدنيا موضع إلا عليه ملك ساجد أو قائم » فذلك قوله تعالى (وما منا إلا له مقام معلوم)

وقال الاعمش عن أبي اسحاق عن مسروق عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : إن في السموات اسما، ما فيها موضع شبر إلا عليه جبهة ملك أو قدماء ثم قرأ عبد الله رضي الله عنه (وما منا إلا له مقام معلوم) وكذا قال سعيد بن جبير، وقال قتادة كانوا يصلون الرجال والنساء جميعا حتى نزات (وما منا إلا له مقام معلوم) فتقدم الرجال وتأخر النساء (وانا لنحن الصافون) أي تقف صفوفها في الطاعة كما تقدم عند قوله تبارك وتعالى (والصفافات صفوا) قال ابن جريج عن الوليد بن عبد الله بن أبي مغيث قال كانوا لا يصفون في الصلاة حتى نزات (وانا لنحن الصافون) فصفوا وقال أبو نضرة كان عمر رضي الله عنه إذا أقيمت الصلاة استقبل الناس بوجهه ثم قال أقيموا صفوفكم استووا قياما يريد الله تعالى بكم هدي الملائكة ثم يقول [وانا لنحن الصافون] تأخر يافلان تقدم يا فلان ثم يتقدم فيكبر . رواه ابن أبي حاتم وابن جرير ، وفي صحيح مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ، وجعلت لنا الأرض مسجداً وترتبتها طهوراً » الحديث (وانا لنحن المسبحون) أي نصطفق فتنسبح الرب ونعجده ونقدسده وننزهه عن النقائص فنحن عبيد له فقراء اليه خاضعون لديه

وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد (وما منا إلا له مقام معلوم) الملائكة ١ وانا لنحن الصافون (الملائكة) (وانا لنحن المسبحون) الملائكة نسبح الله عز وجل . وقال قتادة (وانا لنحن

فيه قال ابن عباس مافي السموات موضع شبر إلا وعليه ملك يصلي أو يسبح ، وروينا عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال « أطت السماء وحق لها أن تظلم والذي نفسي بيده ما فيها موضع أربعة أصابع إلا وملك واضح جبهته ساجد لله » قال السدي (إلا له مقام معلوم) في القربة والمشاهدة وقال أبو بكر الوراق (إلا له مقام معلوم) يعبد الله عليه كالخوف والرجاء والمحبة والرضا (وانا لنحن الصافون) قال قتادة هم الملائكة صفوا أقدامهم وقال الكلبي صفوف الملائكة في السماء للعبادة كصفوف الناس في الأرض (وانا لنحن المسبحون) أي المصلون المنزهون لله عن السوء بخبر جبريل عليه السلام النبي ﷺ أنهم يعبدون الله بالصلاة والتسبيح وأنهم ليسوا بمعبودين كما زعمت الكفار

المسجون) يعني المصلون يثبتون بمكانهم من العبادة كما قال تبارك وتعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون * يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون * ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين)

وقوله جل وعلا (وإن كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكراً من الأولين لكننا عباد الله المخلصين) أي قد كانوا يتمنون قبل أن تأتيهم يا محمد لو كان عندهم من يذكركم بأمر الله وما كان من أمر القرون الأولى ويأتيهم بكتاب الله كما قال جل جلاله (وأقموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا) وقال تعالى (أن تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين * أو تقولوا لو أننا أنزل علينا الكتاب لكننا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون) ولهذا قال تعالى ههنا [فكفروا به فسوف يعلمون] وعيد أكيد وتهديد شديد على كفرهم بربهم عز وجل وتكذيبهم رسوله ﷺ

ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين (١٧١) إنهم لهم المنصورون (١٧٢) وإن جندنا

لهم الذابون (١٧٣) فتول عنهم حتى حين (١٧٤) وأبصرهم فسوف يبصرون (١٧٥)

أفبعذابنا يستمعجلون؟ (١٧٦) فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين (١٧٧) وتول عنهم حتى

حين (١٧٨) وأبصر فسوف يبصرون (١٧٩)

يقول تبارك وتعالى (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) أي تقدم في الكتاب الاول أن العاقبة للرسول وأتباعهم في الدنيا والآخرة كما قال تعالى [كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ان الله قوي عزيز] وقال عز وجل [انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد] ولهذا قال جل جلاله (واقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * إنهم لهم المنصورون) أي في الدنيا والآخرة كما تقدم بيان نصرتهم على قومهم ممن كذبهم وخالفهم كيف أهلك الله الكافرين ونجى عباده المؤمنين (وان جندنا لهم الغالبون) أي تكون لهم العاقبة

ثم أعاد الكلام الى الاخبار عن المشركين فقال (وإن كانوا) أي وقد كانوا يعني أهل مكة (ليقولون) لام التأكيد (لو أن عندنا ذكراً من الأولين) أي كتاباً مثل كتاب الأولين (لكننا عباد الله المخلصين * فكفروا به) أي فلما أتاهم ذلك الكتاب كفروا به (فسوف يعلمون) هذا تهديد لهم (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) وهي قوله كتب الله لأغلبن أنا ورسلي (إنهم

وقوله جل وعلا (فتول عنهم) أي اصبر على أذاهم لك وانتظر الى وقت مؤجل فانا سنجعل لك العاقبة والنصرة والظفر، ولهذا قال بعضهم غيا ذلك إلى يوم بدر وما بعدها أيضاً في معناها . وقوله جلت عظمته (وأبصرهم فسوف يبصرون) أي انظروهم وارقب ماذا يحل بهم من العذاب والنكال بمخالفتك وتكذيبك ولهذا قال تعالى على وجه التهديد والوعيد (فسوف يبصرون) ثم قال عز وجل (أفبعذابنا يستعجلون) أي هم إنما يستعجلون العذاب لتكذيبهم وكفرهم بك فان الله تعالى يغضب عليهم بذلك ويعجل لهم العقوبة ومع هذا أيضاً كانوا من كفرهم وعنادهم يستعجلون العذاب والعقوبة

قال الله تبارك وتعالى (فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين) أي فاذا نزل العذاب بمحلهم فبئس ذلك اليوم يومهم باهلاكم ودمارهم ، وقال السدي (فاذا نزل بساحتهم) يعني بدارهم (فساء صباح المنذرين) أي فبئس ما يصبحون أي بئس الصباح صباحهم . ولهذا ثبت في الصحيحين من حديث اسماعيل بن علية عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس رضي الله عنه قال : صبح رسول الله ﷺ خير فلما خرجوا بفؤسهم ومساحيهم ورأوا الجيش رجعوا وهم يقولون محمد والله محمد والحيس فقال النبي ﷺ « الله أكبر خربت خير انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » ورواه البخاري من حديث مالك عن حميد عن أنس رضي الله عنه

وقال الامام احمد حدثنا روح حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك عن أبي طلحة رضي الله عنه قال : لما صبح رسول الله ﷺ خير وقد أخذوا مساحيهم وغدوا إلى حروهم وأرضيهم ، فلما رأوا النبي ﷺ نكصوا مدبرين فقال نبي الله ﷺ « انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » لم يخرجوه من هذا الوجه وهو صحيح على شرط الشيخين . وقوله (وتول عنهم حتى

لهم المنصورون » وإن جندنا لهم الغالبون) أي حزب الله لهم الغلبة بالحجة والنصرة في العاقبة (فتول) أعرض (عنهم حتى حين) قال ابن عباس يعني الموت وقال مجاهد يوم بدر وقال السدي حتى نأمرك بالقتال رقيب الى أن يأتيهم عذاب الله قال مقاتل بن حيان نسختها آية القتال (وأبصرهم) اذا نزل بهم العذاب (فسوف يبصرون) ذلك فقالوا متى هذا العذاب ؟ فقال الله عز وجل (أفبعذابنا يستعجلون » فاذا نزل) يعني العذاب (بساحتهم) قال مقاتل يحضرهم وقيل بفنائهم قال الغراء العرب تكفي بذكر الساحة عن القوم (فساء صباح المنذرين) فبئس صباح الكافرين الذين انذروا بالعذاب أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب أخبرنا مالك عن حميد الطويل عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ حين خرج الى خير أذاها ليلا وكان اذا جاء قوما بابل لم يغز حتى يصبح ، قال فلما أصبح خرجت يهود خير بمساحيها ومكانها فلما رأوا النبي ﷺ قالوا محمد والله محمد والحيس فقال رسول الله ﷺ « الله أكبر خربت خير انا اذا نزلنا

حين * وأبصر فسوف يبصرون) تأكيد لما تقدم من الامر بذلك والله سبحانه وتعالى أعلم
سبحان ربك رب العزة عما يصفون (١٨٠) وسلام على المرسلين (١٨١) والحمد لله
رب العالمين (١٨٢)

ينزه تبارك وتعالى نفسه الكريمة ويقدها ويرثها عما يقول الظالمون المكدبون المعتدون تعالى وتنزه وتقدس عن قولهم علواً كبيراً ولهذا قل تبارك وتعالى (سبحان ربك رب العزة) أي ذي العزة التي لا ترام (عما يصفون) أي عن قول هؤلاء المعتدين المفتريين (وسلام على المرسلين) أي سلام الله عليهم في الدنيا والآخرة لسلامة ما قالوه في ربهم وصحته وحقه (والحمد لله رب العالمين) أي له الحمد في الأولى والآخرة في كل حال، ولما كان التسبيح يتضمن التنزيه والتبرئة من النقص بدلالة المطابقة ويستلزم اثبات الكمال كما أن الحمد يدل على اثبات صفات الكمال مطابقة ويستلزم التنزيه من النقص قرن بينهما في هذا الموضع وفي مواضع كثيرة من القرآن ولهذا قل تبارك وتعالى (سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام على المرسلين * والحمد لله رب العالمين)

وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا سلمتم علي فسلموا على المرسلين فإنا أنا رسول من المرسلين » هكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث سعيد عنه كذلك، وقد أسنده ابن أبي حاتم رحمه الله فقال حدثنا علي بن الحسين بن الجعيد حدثنا أبو بكر الأعمش ومحمد بن عبد الرحيم صاعقة قال حدثنا حسين بن محمد حدثنا شيبان عن قتادة قال حدثنا أنس بن مالك عن أبي طلحة رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا سلمتم علي فسلموا على المرسلين »

وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا محمد بن أبي بكر حدثنا نوح^(١) حدثنا أبو هارون عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا أراد أن يسلم قال « سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين » ثم يسلم أسناده ضعيف

بساحة قوم فساء صباح المنذرين » ثم كرر ما ذكر تأكيداً لوعيد العذاب فقال ﴿ وتول عنهم حتى حين * وأبصر ﴾ العذاب إذا نزل بهم ﴿ فسوف يبصرون ﴾

ثم نزه نفسه فقال ﴿ سبحان ربك رب العزة ﴾ الغلبة والقوة ﴿ عما يصفون ﴾ من اتخاذ الصاحبة والاولاد ﴿ وسلام على المرسلين ﴾ الذين بلغوا عن الله التوحيد والشرائع ﴿ والحمد لله رب العالمين ﴾ على هلاك الأعداء ونصرة الأنبياء عليهم السلام

وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمار بن خالد الواسطي حدثنا شعبة عن يونس بن أبي اسحاق عن الشعبي قال : قال رسول الله ﷺ « من سره أن يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليقل آخر مجلسه حين يريد أن يقوم (سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام على المرسلين * والحمد لله رب العالمين) » وروى من وجه آخر متصل موقوف على علي رضي الله عنه

قال أبو محمد البغوي في تفسيره أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي أخبرنا أبو اسحاق الثعلبي أخبرني ابن فضال عن أحمد بن جعفر بن حمدان حدثنا إبراهيم بن سهلويه حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا وكيع عن ثابت بن أبي صفية عن الأصمغ بن نباتة عن علي رضي الله عنه قال : من أحب أن يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه في مجلسه [سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام على المرسلين * والحمد لله رب العالمين]

وروى الطبراني من طريق عبد الله بن صخر بن أنس عن عبد الله بن زيد بن أرقم عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه قال « من قال دبر كل صلاة سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام على المرسلين * والحمد لله رب العالمين ثلاث مرات فقد اكتال بالجريب الاوفى من الأجر »

وقد وردت أحاديث في كفارة المجلس : سبحانك اللهم وبمحمدك

لا إله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك . وقد أفردت لها

جزأ على حدة فلتكتب ههنا

إن شاء الله تعالى

(آخر تفسير سورة والصفات والله أعلم)

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أخبرني ابن فضال

أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان حدثنا إبراهيم بن سهلويه حدثنا علي بن محمد

الطنافسي حدثنا وكيع عن ثابت بن أبي صفية عن أصمغ بن نباتة

عن علي قال : من أحب أن يكتال بالمكيال الاوفى من

الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه في مجلسه

(سبحان ربك رب العزة عما يصفون

وسلام على المرسلين

والحمد لله رب

العالمين)

تفسير سورة ص وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

ص والقرآن ذي الذكر (١) بل الذين كفروا في عزة وشقاق (٢) كم أهلكنا من قبلهم

من قرن فنادوا ولات حين مناص (٣)

أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته هنا، وقوله تعالى (والقرآن ذي الذكر) أي والقرآن المشتمل على ما فيه ذكر للعباد ونعم لهم في المعاش والمعاد قال الضحاك في قوله تعالى [ذي الذكر] كقوله تعالى (لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكر كم) أي تذكيركم وكذا قال قتادة واختاره ابن جرير

وقال ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير واسماعيل بن أبي خالد وابن عبيدة وأبو حصين وأبو صالح والسدي [ذي الذكر] ذي الشرف أي ذي الشأن والمكانة، ولا منافاة بين القولين فإنه كتاب شريف مشتمل على التذكير والاعذار والانتذار، واختلفوا في جواب هذا القسم فقال بعضهم هو قوله تعالى [إن كل الاكذب الرسل فحق عقاب] وقيل قوله تعالى [إن ذلك لحق تخاصم أهل النار] حكاهما ابن جرير وهذا الثاني فيه بعد كثير وضعفه ابن جرير، وقيل جوابه ما تضمنه سياق السورة بكاملها والله أعلم وقال قتادة جوابه [بل الذين كفروا في عزة وشقاق] واختاره ابن جرير ثم حكى ابن جرير عن بعض أهل العربية أنه قال جوابه [ص] بمعنى صدق حق [والقرآن ذي الذكر]

﴿سورة ص مكية وهي ثمان وثمانون آية﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ص﴾ قيل هو قسم وقيل هو اسم للسورة كما ذكرنا في سائر حروف التهجى في أوائل السور وقال محمد بن كعب القرظي (ص) مفتاح اسم الصمد وصادق الوعد، وقال الضحاك معناه صدق الله وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما صدق محمد ﷺ والقرآن ذي الذكر ﴿ أي ذي البيان قاله ابن عباس، ومقاتل وقال الضحاك ذي الشرف دليله قوله تعالى (وإنه لذكر لك ولفومك) وهو قسم واختلفوا في جواب القسم قيل جوابه قد تقدم وهو قوله (ص) أقسم الله بالقرآن أن محمداً قد صدق وقال الفراء ص معناها وجب وحق فهي جواب قوله (والقرآن) كما تقول نزل والله وقيل جواب القسم محذوف تقديره والقرآن ذي الذكر ما الامر كما يقول الكفار ودل على هذا المحذوف قوله

وقوله تبارك وتعالى (بل الذين كفروا في عزة وشقاق) أي ان في هذا القرآن لذكر لمن يتذكر وعبرة لمن يعتبر، وانما لم ينتفع به الكافرون لأنهم (في عزة) أي استكبار عنه وحية (وشقاق) أي ومخالفة له ومعاندة ومفارقة، ثم خوفهم ما أهلك به الامم المكذبة قبلهم بسبب مخالفتهم لرسول وتكذيبهم الكتب المنزلة من السماء ، فقال تعالى (كم أهلكتنا من قبلهم من قرون) أي من أمة مكذبة فنادوا أي حين جاءهم العذاب استغاثوا وجأروا إلى الله تعالى وليس ذلك بمجد عنهم شيئا كما قال عز وجل (فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها بركضون) أي يهربون (لا تركضوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون)

قال أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن أبي إسحاق عن التميمي قال : سألت ابن عباس رضي الله عنهما عن قول الله تبارك وتعالى (فنادوا ولات حين مناص) قال ليس بحين نداء ولا نزع ولا فرار . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما ليس بحين مغاث

وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس نادوا النداء حين لا ينفعهم وأنشد * تذكر ابلى لات حين تذكر * وقال محمد بن كعب في قوله تعالى (فنادوا ولات حين مناص) يقول نادوا بالانوحيد حين تولت الدنيا عنهم ، واستنصوا للثوبة حين تولت الدنيا عنهم ، وقال قتادة لما رأوا العذاب أرادوا التوبة في غير حين النداء ، وقال مجاهد (فنادوا ولات حين مناص) ليس بحين فرار ولا اجابة ، وقد روي نحو هذا عن عكرمة وسعيد بن جبير وأبي مالك والضحاك وزيد بن أسلم والحسن وقاتدة ، وعن مالك عن زيد بن أسلم (ولات حين مناص) ولا نداء في غير حين النداء ، وهذه الكلمة وهي لات

تعالى (بل الذين كفروا) وقال قتادة موضع القسم قوله (بل الذين كفروا) كما قال (ق * والقرآن المجيد * بل عجبوا) وقبل فيه تقديم وتأخير تقديره بل الذين كفروا (في عزة وشقاق) والقرآن ذي الذكر وقال الاخفش جوابه قوله تعالى (إن كل إلا كذب الرسل كفواه) (تالله إن كنا) وكفووه (والسماء والطارق - ان كل نفس) وقبل جوابه قوله (إن هذا لرزقنا) وقال الكسائي قوله (إن ذلك لحق نخام أهل النار) وهذا ضعيف لانه فخل بين هذا النسم وهذا الجواب أقاصيص وأخبار كثيرة وقال القتيبي بل لتدارك كلام ونفي آخر، ومجاز الآية أن الله أقسم بص القرآن ذي الذكر (إن الذين كفروا) من أهل مكة (في عزة) حية وجاهلية وتكبر عن الحق (وشقاق) خلاف وعداوة للمحمد ﷺ وقال مجاهد (في عزة) تغايب (كم أهلكتنا من قبلهم من قرون) يعني من الامم الخالية (فنادوا) استغاثوا عند نزول العذاب وحلول النعمة (ولات حين مناص) أي ليس حين نزع ولا فرار والمناص مصدر ناص ينوص وهو الفرار والتأخر يقال ناص ينوص اذا تأخر وباص يبوص اذا تقدم ولات بمعنى ليس بلفظ أهل اليمن، وقال النحويون هي لازيدت فيها الناء كقولهم رب وربت و ثم وثمت وأصلها ها وصلت بلا فقالوا لاه كما قالوا ثمة فجعلوها في الوصل تاء، والوقف عليه بالتاء عند

هي لا التي لانني زيدت معها التاء. كما تزايد في ثم فيقولون تمت ورب فيقولون ربت وهي مفصولة والوقف عليها ، ومنهم من حكى عن المصحف الامام فيما ذكره ابن جرير أنها منصلة بحين ولا تحين مناص والمشهور الاول ثم قرأ الجمهور بنصب حين تقديره وليس الحين حين مناص ومنهم من جوز النصب بها وأنشد

تذكر حب ليلى لات حيناً وأضحى الشيب قد قطع قربنا
ومنهم من جوز الجر بها وأنشد

طلبوا صلحنا ولات أوان فأجبنا ان ليس حين بقا.
وأنشد بعضهم أيضاً * ولات ساعة مندم

بخفض الساعة وأهل اللغة يقولون النوص التأخر والبوص التقدم ، ولهذا قال تبارك وتعالى (ولات حين مناص) أي ليس الحين حين فرار ولا ذهاب والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب

وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكفرون هذا سحر كذاب (٤) أجمل الآلهة
الها واحداً إن هذا شيء عجاب (٥) وانطلق الملائمة منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم
إن هذا شيء يراد (٦) ماسمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق (٧) أنزل عليه
الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكرى بل لما يذوقوا عذاب (٨) أم عندهم خزائن رحمة
ربك العزيز الوهاب (٩) أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما فلير يقوا في
الاسباب (١٠) جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب (١١)

يقول تعالى مخبراً عن المشركين في تعجبهم من بعثة رسول الله ﷺ بشيراً ونذيراً كما قال

الزجاج وعند الكسائي بالهاء لاه ، وذهب جماعة الى أن التاء زيدت في حين والوقف على ولا ثم
يتبدى. نحين وهو اختيار أبي عبيد وقال كذلك وجدت في مصحف عثمان وهذا كقول أبي رجرة السعدي
العاطفون نحين مامن عاطف والمطعمون زمان مامن مطعم

وفي حديث ابن عمرو سأله رجل عن عثمان فذكر مناقبه ثم قال اذهب بها نلان الى اصحابك
بريد الآن، قال ابن عباس رضي الله عنهما كان كدار مكة اذا قاتلوا فاضطربوا في الحرب قال بعضهم
لبعض مناص أي اهربوا وخذوا حذرهم فلما أنزل الله بهم العذاب بيدروا قالوا مناص فانزل الله تعالى
(ولات حين مناص) أي ليس الحين حين هذا القول

قوله تعالى (وعجبوا) يعني الكفار الذين ذكروهم الله عز وجل في قوله (بل الذين كفروا)

عز وجل (أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون ان هذا ساحر مبین)

وقال جل وعلا ههنا (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم) أي بشر مثلهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب * أجعل الآلهة إلها واحداً) أي أزعج أن المعبود واحداً لا إله إلا هو أنكر المشركون ذلك قبحهم الله تعالى وتعجبوا من ترك الشرك بالله فانهم كانوا قد تلقوا عن آبائهم عبادة الاوثان وأثرته قلوبهم فلما دعاهم الرسول ﷺ إلى خلع ذلك من قلوبهم وافراد الاله بالوحدانية أعظموا ذلك وتعجبوا وقالوا (أجعل الآلهة إلها واحداً ان هذا شيء عجاب * وانطلق الملائكة منهم) وهم سادتهم وقادتهم ورؤساؤهم وكبراؤهم فالتفتوا على أمشوا أي استمروا على دينكم (واصبروا على آلهتكم) ولا تستجيبوا لما يدعوكم اليه محمد من التوحيد وقوله تعالى (ان هذا شيء يراد) قال ابن جرير ان هذا الذي يدعوننا اليه محمد ﷺ من التوحيد شيء يريد به الشرف عليكم والاستعلاء وأن يكون له منكم اتباع ولسنا نجيبه اليه

(ذكر سبب نزول هذه الآيات الكريمات) قال السدي ان ناساً من قريش اجتمعوا فيهم أبو جهل بن هشام والعاص بن رائل والاسود بن المطلب والاسود بن عبد يغوث في نفر من مشيخة قريش فقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا الى أبي طالب فلنكلمه فيه فليصف لنا منه فليتكف عن شتم آلهتنا وندعه واليه الذي بعده فاننا نخاف أن يموت هذا الشيخ فيكون منا اليه شيء فتعبرنا به العرب يقولون تركوه حتى اذا مات عنه تناولوه فبعثوا رجلاً منهم يقال له المطلب فاستأذن لهم على أبي طالب فقال هؤلاء مشيخة قومك وسراهم يستأذنون عليك قال أدخلهم فلما دخلوا عليه قالوا يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا فانصفنا من ابن أخيك

(أن جاءهم منذر منهم) يعني رسولا من انفسهم ينذروهم (وقال الكافرون هذا ساحر كذاب * أجعل الآلهة إلها واحداً) وذلك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أسلم فشق ذلك على قريش وفرح به المؤمنون فقال الوليد بن المغيرة للملائكة من قريش وهم الصناديد والاشراف وكانوا خمسة وعشرين رجلاً أكبرهم سناً الوليد بن المغيرة قال لهم امشوا الى أبي طالب فأتوا أبا طالب وقالوا له أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وإننا قد أتيناك انتقضي بيننا وبين ابن أخيك فأرسل أبو طالب الى النبي ﷺ فدعاه وقال يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك السواء فلا تمل كل المبل على قومك فقال رسول الله ﷺ « ماذا يسألوني » قالوا ارض ذكر آلهتنا وندعك وإهلك فقال النبي ﷺ « أنعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم » فقال أبو جهل لله أبوك انعطيتكمها وعشر أمثالها فقال رسول الله ﷺ « قولوا لا إله الا الله » فنمروا من ذلك وقاموا وقالوا (أجعل الآلهة إلها واحداً) كيف يسم الخلق كلهم اله واحد (ان هذا شيء عجاب) أي عجيب ، والعجيب والعجاب واحد كقولهم رجل كريم وكرام وكبير وكبار وطويل وطوال وعريض وعراض

فهره فليكنف عن شتم آلهتنا وندعه والهه ، قال فبعث اليه أبو طالب فلما دخل عليه رسول الله ﷺ قال : يا ابن أخي هؤلاء مشيخة قومك وسراهم وقد سألوك أن تكف عن شتم آلهتهم ويدعوك والهك قال ﷺ « يا عم أفلا أدعوهم الى ما هو خير لهم ؟ » قال والى م تدعوهم ؟ قال ﷺ « أدعوهم أن ينكلموا بكلمة ندين لهم بها العرب ويسكنون بها العجم » فقال أبو جهل لعنه الله من بين القوم ما هي وأبيك لنعطينكما وعشر أمثالها قال ﷺ « تقولون لا إله إلا الله » فنفروا وقالوا سلنا غيرها قال ﷺ « لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي مأسألتكم غيرها » فقاموا من عنده غضابا وقالوا والله لنشتمنك والهك الذي أمرك بهذا (وانطلق الملائة منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشيء يراد) ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير وزاد فلما خرجوا دعا رسول الله ﷺ عمه الى قول لا إله إلا الله فأبى وقال بل على دين الاشياخ ونزلت (انك لا تهدي من أحببت)

وقال أبو جعفر ابن جرير حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا حدثنا أبو اسامة حدثنا الاعمش حدثنا عباد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما مرض أبو طالب دخل عليه رهط من قريش فيهم أبو جهل فقالوا : ان ابن أخيك يشتم آلهتنا ويفعل ويفعل ويقول ويقول فلو بعثت اليه فجاء النبي ﷺ فدخل البيت وبينهم وبين أبي طالب قدر مجلس رجل قال فخشي أبو جهل لعنه الله ان جلس إلى جنب أبي طالب أن يكون ارق له عليه فوثب فجلس في ذلك المجلس ولم يجدر رسول الله ﷺ بمجلسا قرب عمه فجلس عند الباب فقال له أبو طالب أي ابن أخي ما بال قومك يشكونك يزعمون أنك تشتم آلهتهم وتقول وتقول ؟ قال وأكثروا عليه من القول وتكلم رسول الله ﷺ فقال « يا عم اني أريدكم على كلمة واحدة يقولونها ندين لهم بها العرب وتؤدي اليهم بها العجم الجزية » ففزعوا لكلمته ولقوله فقال القوم كلمة واحدة نعم وأبيك عشرا فقالوا وما هي ، وقال أبو طالب وأي كلمة هي يا ابن أخي ؟ قال ﷺ « لا إله إلا الله » فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم وهم يقولون (أجعل الالهة إلهها واحداً إن هذا شيء عجاب) قال ونزلت من هذا الموضع الى قوله (بل لما يذوقوا عذاب) نفظ أبي كريب وهكذا رواه الامام أحمد والنسائي من حديث محمد بن عبد الله بن غير كلاهما عن أبي اسامة عن الاعمش عن عباد غير منسوب به نحوه ، ورواه الترمذي والنسائي وابن أبي حاتم وابن جرير أيضا كلهم في تفاسيرهم من حديث سفيان الثوري عن الاعمش عن يحيى بن حمارة السكوني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكر نحوه ، وقال الترمذي حسن وقولهم (ماسمعنا بهذا في الملة الآخرة) أي ماسمعنا بهذا الذي يدعوننا اليه محمد من التوحيد في الملة الآخرة

(وانطلق الملائة منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم) أي انطلقوا من مجلسهم الذي كانوا فيه عند أبي طالب ويقول بعضهم لبعض : امشوا واصبروا على آلهتكم أي اثبتوا على عبادة آلهتكم (ان هذا شيء يراد) أي لأمر يراد بنا ، وذلك ان عمر لما أسلم وحصل للمسلمين قوة لمكانه قالوا ان هذا

قال مجاهد وقتادة وأبو زيد يعنون دين قريش ، وقال غيرهم يعنون النصرانية قاله محمد بن كعب والسدي وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما ماسمعنا بهذا في الملة الآخرة يعني النصرانية قالوا لو كان هذا القرآن حقاً أخبرتنا به النصارى (ان هذا إلا اختلاق) قال مجاهد وقتادة كذب وقال ابن عباس تخرص وقولهم (أنزل عليه الذكر من بيننا) يعني أنهم يستعبدون تخصيصه بانزال القرآن عليه من بينهم كلهم كما قال في الآية الأخرى (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم . قال الله تعالى (أ هم يقسمون رحمة ربك ؟ نحن قـمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) ولهذا لما قالوا هذا الذي دل على جهلهم وقلة عقلم في استبعادهم انزال القرآن على الرسول من بينهم

قال الله تعالى (بل لما يذوقوا عذاب) أي إنما يقولون هذا لأنهم ماذاقوا إلى حين قولهم ذلك عذاب الله تعالى وتقمته سبعةون غب ما قالوا وما كذبوا به يوم يدعون إلى نار جهنم دعا . ثم قال تعالى مبيناً أنه المتصرف في ملكه الفعل لما يشاء الذي يعطي من يشاء ما يشاء . وبه من يشاء ويذل من يشاء ويهدي من يشاء ويضل من يشاء . وينزل الروح من أمره على من يشاء من عباده ويختتم على قلب من يشاء فلا يـمـديه أحد من بعد الله ، وإن العباد لا يملكون شيئاً من الأمر وإيس اليهم من التصرف في الملك ولا مثقال ذرة وما يملكون من قطمير

ولهذا قال تعالى منكرأ عليهم (أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب) أي العزيز الذي لا يرام جناحه الوهاب الذي يعطي ما يريد أن يريد وهذه الآية الكريمة شبيهة بقوله تعالى (أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيراً * أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً * فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيراً) وقوله تعالى (قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذ لا مسكتكم خشية الانفاق وكان الانسان

الذي نراه من زيادة اصحاب محمد شي . يراد بنا وقيل يراد بأهل الارض وقيل يراد بمحمد أن يملك علينا (ماسمعنا بهذا) أي بهذا الذي يقوله محمد من التوحيد (في الملة الآخرة) قال ابن عباس والكلبي ومقاتل يعنون في النصرانية لأنها آخر المال وهم لا يوحدون بل يقولون ثالث ثلاثة ، وقال مجاهد وقتادة يعنون ملة قريش ودينهم الذي هم عليه (ان هذا إلا اختلاق) كذب وانفعال (أنزل عليه الذكر) القرآن (من بيننا) وإيس بأكبرنا ولا أشرفنا يقوله أهل مكة قال الله عز وجل (بل هم في شك من ذكرى) أي وحبي وما أنزات (بل لما يذوقوا عذاب) أي لم يذوقوا عذابي ولو ذاقوه لما قالوا هذا القول (أم عندهم) عندهم (خزائن رحمة ربك) يعني نعمة ربك يعني مفاتيح النبوة يعطونها من شاؤوا ونظيره (أ هم يقسمون رحمة ربك) أي نبوة ربك (العزيز الوهاب) العزيز في ملكه (الوهاب) وهب النبوة لمحمد ﷺ

فتورا) وذلك بعد الحكاية عن الكفار أنهم أنكروا بعثة الرسول البشري ﷺ وكأخبر عز وجل عن قوم صالح عليه السلام حين قالوا (ألقني الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشمر * سيعلمون غداً من الكذاب الاشر) وقوله تعالى (أم لهم ملك السموات والارض وما بينهما فليرّقوا في الاسباب) أي ان كان لهم ذلك فليصعدوا في الاسباب

قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وغيرهم يعني طرق السماء ، وقال الضحاك رحمه الله تعالى فليصعدوا إلى السماء السابعة . ثم قال عز وجل (جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب) أي هؤلاء الجند المكذبون الذين هم في عزة وشقاق سيهزمون ويغلبون ويكبتون كما كبت الذين من قبلهم من الاحزاب المكذبين وهذه الآية كقواه جلت عظمتها (أم يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر) وكان ذلك يوم بدر (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر)

كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد (١٢) ونمود قوم لوط وأصحاب الثيكة أولئك الاحزاب (١٣) إن كل الاكاذب الرسل فحق عقاب (١٤) وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق (١٥) وقالوا ربنا عجل لنا قطننا قبل يوم الحساب (١٦) اصبر على ما يقولون

يقول تعالى مخبراً عن هؤلاء القرون الماضية وما حل بهم من العذاب والذكال والفتنات في مخالفة

(أم لهم ملك السموات والارض وما بينهما) أي ليس لهم ذلك (فليرّقوا في الاسباب) أي ان ادعوا شيئاً من ذلك فليصعدوا في الاسباب التي توصلهم إلى السماء فليأتوا منها بالوحي إلى من يخبرون ، قال مجاهد وقتادة : أراد بالاسباب أبواب السماء وطرقها من سماء إلى سماء وكل ما يوصلك إلى شيء من باب أو طريق فهو سببه وهذا أمر توبيخ وتعجيز (جند ما هنالك) أي هؤلاء الذين يقولون هذا القول جند هنالك و (ما) صلة (مهزوم) مغلوب (من الاحزاب) أي من جملة الاجناد يعني قريشا ، قال قتادة : أخبر الله تعالى نبيه ﷺ وهو بمكة أنه سيهزم جند المشركين ، وقال [سيهزم الجمع ويولون الدبر] فجاء تأويلها يوم بدر ، و (هنالك) إشارة إلى بدر ومصادعهم من الاحزاب أي من جملة الاحزاب أي هم من القرون الماضية الذين تحزبوا وتجمعوا على الانبياء بالكذب فقهروا وأهلكوا ، ثم قال معزباً لنبيه ﷺ (كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد) قال ابن عباس ومحمد بن كعب ذو البناء المحكم ، وقبل أراد ذو الملك الشديد الثابت ، وقال القتيبي تقول العرب : هم في عز ثابت الاوتاد ، يريدون أنه دائم شديد ، وقال الاسود بن يعفر

ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة في ظل ملك ثابت الاوتاد

الرسول وتكذيب الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، وقد تقدمت قصصهم مبسوطه في أما كن متعددة وقوله تعالى (أولئك الأحزاب) أي كانوا أكثر منكم وأشد قوة وأكثر أموالاً وأولاداً فما دفع ذلك عنهم من عذاب الله من شيء لما جاء أمر ربك ، ولهذا قال عز وجل (ان كل إلا كذب الرسل فحق عقاب) فجعل علة اهلاكهم هو تكذيبهم بالرسول فليحذر المخاطبون من ذلك أشد الحذر وقوله تعالى (وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق) قال مالك عن زيد بن أسلم أي ليس لها مشنوية أي (ما ينظرون إلا الساعة ان تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها) أي فقد اقتربت ودنت وأزفت وهذه الصيحة هي نفخة الفزع التي يأمر الله تعالى اسرافيل أن يطولها فلا يبقى أحد من أهل السموات والارض الا فزع الا من استثنى الله عز وجل

وأصل هذا ان يوتنهم كانت تثبت باللاتاد ، وقال الضحاك : ذو القوة والبطش ، وقال عطية ذو الجنود والجوع الكثيرة يعني انهم كانوا يقولون أمره ويشدون ملكه كما يقوي الوند الشيء ، وسميت الاجناد أوتاداً لكثرة المضارب التي كانوا يضربونها ويوتدونها في أسفارهم وهو رواية عطية عن ابن عباس ، وقال الكلبي ومقاتل : الاتاد جمع الوند وكانت له أوتاد يعذب الناس عليها وكان اذا غضب على أحد مده مستلقيا بين أربعة أوتاد يشد كل يد وكل رجل منه الى سارية ويتركه كذلك في الهواء بين السماء والارض حتى يموت

وقال مجاهد ومقاتل بن حيان : كان يمد الرجل مستلقيا على الارض ثم يشد يديه ورجليه ورأسه على الارض باللاتاد ، وقال السدي كان يمد الرجل ويشده باللاتاد ويرسل عليه العقارب والحيات ، وقال قتادة وعطاء : كانت له أوتاد وارسان وملاعب يلعب عليها بين يديه (ونمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب) الذين تحزبوا على الانبياء ، واعلم ان مشركي قريش حزب من هؤلاء الأحزاب

قوله تعالى (إن كل) ما كل (إلا كذب الرسل فحق عقاب) وجب عليهم ونزل بهم عذابي (وما ينظر) ينتظر (هؤلاء) يعني كفار مكة (الا صيحة واحدة) وهي نفخة الصور (ما لها من فواق) قرأ حمزة والكسائي فواق بضم الفاء وقرأ الآخرون بفتحها وهما لغتان فالفتح لغة قريش والضم لغة نعيم قال ابن عباس وقتادة من رجوع أي ما يرد ذلك الصوت فيكون له رجوع وقال مجاهد نظرة وقال الضحاك مشنوية أي صرف ورد ، والمعنى أن تلك الصيحة التي هي ميعاد عذابهم اذا جاءت لم ترد ولم تصرف ، وفرق بعضهم بين الفتح والضم فقال الفراء وأبو عبيدة الفتح بمعنى الراحة والافاقة كالجواب من الاجابة وذهبا بها إلى افاقة المريض من علته ، والفواق بالضم ما بين الحلبتين وهو أن تحلب الناقة ثم تترك ساعة حتى يجتمع اللبن فما بين الحلبتين فواق أي ان العذاب لا يمهلهم بذلك القدر وقيل هما أيضا مستعارتان من الرجوع لأن اللبن يعود إلى الضرع بين الحلبتين وافاقة المريض رجوعه

وقوله جل جلاله (وقالوا ربنا عجل لنا قطننا قبل يوم الحساب) هذا انكار من الله تعالى على المشركين في دعائهم على أنفسهم بتعجيل العذاب فان القطن هو الكتاب وقيل هو الحظ والنصيب قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والضحاك والحسن وغير واحد سألوه تعجيل العذاب زاد فتادة كما قالوا (اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) وقيل سألوه تعجيل نصيبهم من الجنة ان كانت موجودة ليلقوا ذاك في الدنيا وأما خرج هذا منهم مخرج الاستبعاد والتكذيب . وقال ابن جرير سألوه تعجيل ما يستحقونه من الخير أو الشر في الدنيا وهذا الذي قاله جيد وعليه يدور كلام الضحاك وإمام عبد بن أبي خالد والله أعلم ، ولما كان هذا الكلام منهم على وجه الاستهزاء والاستبعاد . قال الله تعالى لرسوله ﷺ آسرأ له بالصبر على أذاًم ومبشرأ له على صبره بالعاقبة والنصر والظفر

واذكر عبد ناد داود ذا الأيدي أنه أواب (١٧) أناسخروا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق (١٨)

والطير محشورة كل له أواب (١٩) وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب (٢٠)

يذكر تعالى عن عبده ورسوله داود عليه الصلاة والسلام أنه كان ذا أيدي والأيدي القوة في العلم والعمل . قال ابن عباس رضي الله عنهما والسدي وابن زيد الأيدي القوة ، وقرأ ابن زيد (والسما . بيناها بأيدي وانا لموسعون) وقال مجاهد الأيدي القوة في الطاعة

إلى الصحة (وقالوا ربنا عجل لنا قطننا قبل يوم الحساب) قال سعيد بن جبير عن ابن عباس يعني كتابنا والقطن الصحيفة التي أحصت كل شيء . قال الكلبي لما نزلت في الحاقة (فاما من أوتي كتابه بيمينه - وأما من أوتي كتابه بشماله) قالوا استهزاء . عجل لنا كتابنا في الدنيا (قبل يوم الحساب) وقال سعيد بن جبير يعنون قطننا ونصيبنا من الجنة التي تقول ، وقال الحسن وفتادة ومجاهد والسدي يعني عقوبتنا ونصيبنا من العذاب وقال عطاء . قاله النضر بن الحارث وهو قوله (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء) وعن مجاهد قال قطننا حسابنا ويقال لكتاب الحساب قط وقال أبو عبيدة والكسائي القط الكتاب بالجواثر

قال الله تعالى (اصبر على ما يقولون) أي على ما يقوله الكفار من تكذيبك (واذكر عبدنا داود ذا الأيدي) قال ابن عباس أي القوة في العبادة أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الرباني ثنا حميد بن زنجويه ثنا أبو نعيم ثنا سفیان بن عيينة عن عمرو بن دينار

وقال قتادة أعطي داود عليه الصلاة والسلام قوة في العبادة وفقها في الاسلام ، وقد ذكر لنا أنه عليه الصلاة والسلام كان يقوم ثلث الليل ويصوم نصف الدهر ، وهذا ثابت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال : « أحب الصلاة إلى الله تعالى صلاة داود ، وأحب الصيام إلى الله عز وجل صيام داود ، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ، وكان يصوم يوما ويفطر يوما ولا يفر إذا لاقى وانه كان أوابا » وهو الرجاء إلى الله عز وجل في جميع أموره وشؤنه

وقوله تعالى [انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق] أي انه تعالى سخر الجبال تسبح معه عند اشراق الشمس وآخر النهار كما قال عز وجل [يا جبال أوبي معه والطير] وكذلك كانت الطير تسبح بتسبيحه وترجم بترجيحه إذا مر به الطير وهو ساجد في الهواء فسمعه وهو يترجم بقراءة الزبور لا يستطيع الذهاب بل يقف في الهواء ويسبح معه وتجيبه الجبال الشاخات ترجم معه وتسبح تبعاله قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا محمد بن بشر عن مسعر عن عبد الكريم عن موسى بن أبي كثير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه بلغه أن أم هانئ رضي الله عنها ذكرت أن رسول الله ﷺ يوم فتح مكة صلى الضحى ثمان ركعات فقال ابن عباس رضي الله عنهما قد ظننت أن لهذه الساعة صلاة يقول الله عز وجل (يسبحن بالعشي والاشراق)

ثم رواه من حديث سعيد بن أبي عروبة عن أبي التوكل عن أيوب بن صفوان عن مولا عبد الله ابن الحارث بن نوفل ان ابن عباس رضي الله عنهما كان لا يصلي الضحى قال فأدخلته على أم هانئ رضي الله عنها فقلت أخبرني هذا ما أخبرتني فقالت : دخل علي رسول الله ﷺ يوم الفتح في بيتي ثم أمر بماء صب في قصعة ثم أمر بثوب فأخذ بيدي وبينه فاغتسل ثم رشح ناحية البيت فصلى ثمان ركعات وذلك من الضحى قيامهم وركوعهم وسجودهم وجلوهم سواء قريب بعضهم من بعض فخرج ابن عباس رضي الله عنهما وهو يقول لقد قرأت ما بين اللوحين ما عرفت صلاة الضحى إلا الآن (يسبحن

عن عمرو بن أوس عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ « إن أحب الصيام إلى الله صيام داود وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود كان يصوم يوما ويفطر يوما وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وقبل ذو القعدة في الملك » (أنه أواب) رجاء إلى الله عز وجل بالتوبة عن كل ما بكره قال ابن عباس مطيع وقال سعيد بن جبير مسبح بلغة الحبش (انا سخرنا الجبال معه) كما قال (وسخرنا مع داود الجبال) (يسبحن) بتسبيحه (بالعشي والاشراق) قال الكلبي غدوة وعشية والاشراق هو أن تشرق الشمس وتنتهي ضوؤها وفسره ابن عباس بصلاة الضحى أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه ثنا أبو شيبه ثنا الحسين بن حيوة ثنا أبو أمية محمد بن ابراهيم ثنا الحجاج بن نصير أنا أبو بكر الهذلي عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس في قوله (بالعشي والاشراق) قال كنت أمر بهذه الآية ولا أدري ما هي حتى حدثتني أم هانئ بنت أبي طالب أن

لعشي والاشراق) وكنت أقول أين صلاة الاشراق ، وكان بعد يقول صلاة الاشراق ولهذا قال عز وجل (والطير محشورة) أي محبوسة في الهواء (كل له أواب) أي مطيع بسبح تبعاً له ، قال سعيد بن جبير وقتادة ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد [كل له أواب] أي مطيع وقوله تعالى (وشددنا ملكه) أي جعلنا له ملكاً كاملاً من جميع ما يحتاج إليه الملك ، قال ابن أبي نجيج عن مجاهد كان أشد أهل الدنيا سلطاناً ، وقال السدي كان يحرسه كل يوم أربعة آلاف ، وقال بعض السلف بلغني أنه كان يحرسه في كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألفاً لاندور عليهم النوبة إلى مثلها من العام القابل ، وقال غيره أربعون ألفاً مشتكون بالسلاح

وقد ذكر ابن جرير وابن أبي حاتم من رواية علباء بن أحر عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن نفرين من بني إسرائيل استعدى أحدهما على الآخر إلى داود عليه الصلاة والسلام أنه اغتصبه بقراً فأنكر الآخر ولم يكن للمدعي بينة فارجأ أمرهما فلما كان الليل أمر داود عليه الصلاة والسلام بقتل المدعي ، فلما كان النهار طلبهما وأمر بقتل المدعي فقال يا بني الله علام تقتلني وقد اغتصبني هذا بقري ؟ فقال له إن الله تعالى أمرني بقتلك فأنا قاتلك لا محالة ، فقال والله يا بني الله إن الله لم يأمرك بقتلي لأجل هذا الذي ادعيت عليه وإني لصادق فيما ادعيت ولكنني كنت قد اغتلت أباه وقتلته ولم يشمر بذلك أحد فأمر به داود عليه السلام فقتل . قال ابن عباس فاشتدت هيبتة في بني إسرائيل وهو الذي يقول الله عز وجل [وشددنا ملكه]

رسول ﷺ دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى الضحى فقال « بأمر هاني . هذه صلاة الاشراق » قوله عز وجل (والطير) أي وسخرنا له الطير (محشورة) مجموعة إليه تسبح معه (كل له أواب) مطيع رجاء إلى طاعته بالتسبيح وقيل أواب معه أي مسبح (وشددنا ملكه) أي قويناه بالحرس والعنود قل ابن عباس كان أشد ملوك الأرض سلطاناً كان يحرس محرابه كل ليلة ستة وثلاثون ألف رجل أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أنا عبد الله بن حامد أنا محمد بن خالد بن الحسن ثنا داود بن سليمان ثنا محمد بن حميد ثنا محمد بن الفضل ثنا داود بن أبي الفرات عن علباء بن أحر عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلاً من بني إسرائيل استعدى على رجل من عظمائهم عند داود عليه السلام أن هذا غصبي بقراً فسأله داود فوجد فقال الآخر البينة فلم يكن له بينة فقال لها داود قوما حتى أنظر في أمركما ، فأوحى الله إلى داود في منامه أن يقتل الذي استعدى عليه فقال هذه رؤيا وليست بحج حتى أثبت فأوحى إليه مرة أخرى فلم يفعل فأوحى الله إليه الثالثة أن يقتله أو تأتيه العقوبة ، فأرسل داود إليه فقال له إن الله أوحى إلي أن أقتلك فقال تقتلني بغير بينة قال داود نعم والله لأنفذ أمر الله فيك فلما عرف الرجل أنه قاتله قال له لا تعجل حتى أخبرك إني والله ما أخذت بهذا الذنب ولكنني كنت اغتلت والد هذا فقتلته فلذلك أخذت فأمر به داود فقتل فاشتدت هيبة

وقوله جل وعلا (وآتيناه الحكمة) قال مجاهد يعني الفهم والعقل ، وقال مرة الحكمة والعدل وقال مرة الصواب ، وقال قتادة كتاب الله وانباغ مافيه ، وقال السدي [الحكمة] النبوة

وقوله جل جلاله (وفصل الخطاب) قال شريح القاضي والشعبي فصل الخطاب الشهود والايمان وقال قتادة شاهدان على المدعي أو بين المدعي عليه هو فصل الخطاب الذي فصل به الانبياء والرسل أو قال المؤمنون والصالحون وهو قضاء هذه الامة إلى يوم القيامة ، وكذا قال ابو عبد الرحمن السلمي وقال مجاهد والسدي هو إصابة القضاء وفهم ذلك ، وقال مجاهد أيضاً هو الفصل في الكلام وفي الحكم وهذا يشمل هذا كله وهو المراد واختاره ابن جرير

وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمر بن شبة الأيربي حدثنا ابراهيم بن المنذر حدثني عبد العزيز بن أبي ثابت عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن بلال بن أبي بردة عن أبيه عن أبي موسى رضي الله عنه قال : أول من قال أما بعد داود عليه السلام وهو فصل الخطاب ، وكذا قال الشعبي فصل الخطاب أما بعد

وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب (٢١) إذ دخلوا على داود ففرغ منهم قالوا

لا تخف ، خصمان بنى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشرط واهدنا الى سواء الصراط (٢٢) إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني

في الخطاب (٢٣) قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعامه ، وإن كثيراً من الخطاء ليبيغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم ، وظن داود أنما فتنه فاستغفر

ربه وخيراً رآكما وأتاب (٢٤) فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزُفَى وحسن مئاب (٢٥)

بني اسرائيل عند ذلك لداود واشتد به ملكه فذلك قوله الله عز وجل (وشددنا ملكه) (وآتيناه الحكمة) يعني النبوة والاصابة في الامور (وفصل الخطاب) وقال ابن عباس يسان الكلام وقال ابن مسعود والحسن والكسبي ومقاتل علم الحكم والبصر في القضاء وقال علي بن أبي طالب هو أن البيئة على المدعي واليمين على من أنكر لان كلام الخصوم ينقطع وينفصل به ويروي ذلك عن أبي بن كعب قال فصل الخطاب الشهود والايمان وهو قول مجاهد وعطاء بن أبي رباح وروي عن الشعبي أن فصل الخطاب هو قول الانسان بعد حمد الله والثناء عليه : أما بعد. إذا أراد الشروع في كلام آخر وأول من قاله داود عليه السلام قوله عز وجل (وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب) هذه الآية في قصة امتحان داود

قد ذكر المفسرون ههنا قصة أكثرها مأخوذ من الاسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه ولكن روى ابن ابي حاتم هنا حديثا لا يصح سنده لانه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس رضي الله عنه ويزيد وإن كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة فالاولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة وأن يرد عليها الى الله عز وجل فان القرآن حق وما تضمن فهو حق أيضا

عليه السلام، واختلف العلماء باخبار الانبياء عليهم السلام في سببه فقال قوم كان سبب ذلك أنه عليه السلام تمنى يوما من الايام منزلة آياته ابراهيم واسحاق ويعقوب وسأل ربه أن يمتحنه كما امتحنهم ويعطيه من الفضل مثل ما أعطاهم فروى السدي والكافي ومقاتل عن أشياخهم دخل حديث بعضهم في بعض قالوا كان داود قد قسم الدهر ثلاثة ايام يوما يقضي فيه بين الناس ويوما يخلو فيه لعبادة ربه ويوما لنفسائه وأشغاله وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل ابراهيم واسحاق ويعقوب فقال يارب ارى الخير كله قد ذهب به آتائي الذين كانوا قبلي فأوحى الله اليه : انهم ابتلوا ببلايا لم تبتل بها فصبروا عليها ابتلي ابراهيم بنمرود وبذبح ابنه وابتلي اسحاق بالذبح وبذهاب بصره وابتلي يعقوب بالحزن على يوسف فقال رب لو ابتليتني بمثل ما ابتليتهم صبرت أيضا فأوحى الله اليه إنك مبتلي في شهر كذا وفي يوم كذا فاحترس فلما كان ذلك اليوم الذي وعده الله دخل داود محرابه وأغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فبينما هو كذلك اذ جاءه الشيطان قد تمثل في صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن وقيل كان جناحاها من الدر والزبرجد فوقعت بين رجله فأعجبه حسنها فد يده ليأخذها ويربها بني اسرائيل فينظروا إلى قدرة الله فلما قصد أخذها طارت غير بعيد من غير أن تؤبسه من نفسها فامتد اليها ليأخذها فتنتحت فتبعها فطارت حتى وقعت في كوة فذهب ليأخذها فطارت من الكوة فنظر داود أين تقع ومن يصيدها فيبعث من يصيدها فأبصر امرأة في بستان على شط بركة لها تفصل هذا قول الكافي، وقال السدي رآها تنسل على سطح لها فرأى امرأة من أجهل النساء خلقة فعجب داود من حسنها وحانت منها التفاتة فابصرت ظله فنفضت شعرها فغطت بدنها فزاده ذلك إعجابا بها فسأل عنها فقيل هي تشاييم بنت شايع امرأة أوريا بن حنانا وزوجها في غزاة بالبلقاء، مع أبوب بن صوريا ابن أخت داود وذكر بعضهم انه أحب أن يقتل أوريا ويتزوج امرأته فكان ذنبه هذا القدر، وذكر بعضهم أنه كتب ليأخذها داود الى ابن اخته أيوب أن ابث أوريا الى موضع كذا وقدمه قبل التابوت وكان من قدم على التابوت لأجل له أن يرجع وراءه حتى يفتح الله على يديه أو يستشهد ببعثه وقدمه ففتح له فكتب إلى داود بذلك فكتب اليه أيضا أن ابثه الى عدو كذا وكذا فبعثه ففتح له فكتب الى داود بذلك فكتب اليه أيضا أن ابثه إلى عدو كذا وكذا أشد منه بأسا فبعثه فقتل في المرة الثالثة فلما انتقضت عدة المرأة تزوجها داود فهي أم سلجان عليهما السلام، وروى عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال كان ذنب داود أنه التمس من الرجل أن ينزل له عن امرأته قال أهل التفسير كان ذلك مباحا

وقوله تعالى (ففرع منهم) إنما كان ذلك لانه كان في محرابه وهو أشرف مكان في داره وكان قد أمر أن لا يدخل عليه أحد ذلك اليوم فلم يشعر إلا بشخصين قد تسورا عليه المهراب أي احتاطا به بسألانه عن شأنهما

لهم غير أن الله تعالى لم يرض له ذلك لانه كان ذلك رغبة في الدنيا وازديادا للنساء وقد أغناه الله عنها بما أعطاه من غيرها وروى عن الحسن في سبب امتحان داود عليه السلام انه كان قد جزأ الدهر أجزاء يوما للنساء ويوما للعبادة ويوما للقضاء بين بني اسرائيل ويوما لبني اسرائيل يذاكرهم ويذاكرونه ويكيهم ويكيونه فلما كان يوم بني اسرائيل ذكره فقالوا هل يأتي على الانسان يوم لا يصيب فيه ذنبا فاضمر داود في نفسه أنه سيطيق ذلك وقيل انهم ذكروا فتنة النساء فأضمر داود في نفسه انه إن ابتلي اعتصم فلما كان يوم عبادته أغلق أبوابه وأمر أن لا يدخل عليه أحد وأكب على التوراة فبينما هو يقرأ اذ دخلت عليه حمامة من ذهب كما ذكرنا قال وكان قد بعث زوجها على بعض جيوشه فكتب اليه أن يسير الى مكان كذا وكذا مكانا اذا سار اليه قتل ففعل فأصيب فتزوج امرأته قالوا فلما دخل داود بامرأة أوريا لم يلبث الا يسيرا حتى بعث الله اليه ملكين في صورة رجلين في يوم عبادته فطلبوا أن يدخلوا عليه فمنعهما الحرس فتسورا المهراب عليه فما شعر وهو يصلي إلا رهما بين يديه جالسين ويقال كانا جبريل وميكائيل فذلك قوله عز وجل (وهل أتاك نبا الخصم ؟) خبر الخصم (إذ تسورا المهراب) صعدوا وعلوا ، يقال تسورت الحائط والسور إذا علوته ، وأما جمع الفعل رهما اثنان لان الخصم اسم بصاح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث ، ومعنى الجمع في الاثنين موجود لان معنى الجمع ضم شيء إلى شيء . وهذا كما قال الله تعالى (فقد صفت قلوبكما) (إذ دخلوا على داود ففرع منهم) خاف منهما حين هجا عليه في محرابه بغير اذنه فقال ما أدخلكما علي ؟ (قالوا لا تخف خصمان) أي نحن خصمان (بغي بعضنا على بعض) جئناك لتقضي بيننا . فان قيل كيف قال (بغي بعضنا على بعض) رهما ملكان لا يبغيان ؟ قيل معناه أرايت خصمين بغي أحدهما على الآخر وهذا من معارضض الكلام لا على تحقيق البغي من أحدهما (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) أي لا تجر . يقال شط الرجل شططا وأشط اشطاطا إذا جار في حكمه ومعناه مجاوزة الحد ، وأصل الكلمة من شطت الدار واشطت اذا بعدت (واهدنا إلى سواء الصراط) ارشدنا إلى طريق الصواب والعدل فقال داود لما تكلموا فقال أحدهما (ان هذا أخي) أي على ديني وطريقتي (له سمع وتسعون نعمة) يعني امرأة (ولي نعمة واحدة) أي امرأة واحدة . والعرب تكفي بالنعمة عن المرأة ، قال الحسين ابن الفضل : هذا تعريض للتنبيه والتفهيم لانه لم يكن هناك نهاج ولا بغي فهو كتولم ضرب زيد عمرا واشترى بكر داراً ولا ضرب هناك ولا شراء (فقال أكلنيها) قال ابن عباس أعطنيها ، قال مجاهد أنزل لي عنها ، وحقيقته ضمها إلي فاجعلني كأنها هو الذي يعولها وينفق عليها ، والمعنى طلقها لا تزوجها

وقوله عز وجل (وعزني في الخطاب) أي غلبني يقال عز بجز اذا قهر وغلب . وقوله تعالى (وظن داود انما فتناه) قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما أي اختبرناه

(وعزني) وغلبني (في الخطاب) أي في القول وقيل قهرني لقوة ملكه

قال الضحاك يقول ان تكلم كان أفصح مني وإن حارب كان أبطش مني ، وحقيقة المعنى ان الغلبة كانت له لضعفي في يده وإن كان الحق معي ، وهذا كله تمثيل لأمر داود مع اوريا زوج المرأة التي تزوجها داود حيث كان لداود تسع وتسعون امرأة ولأوريا امرأة واحدة فضعها إلى نساءه (قال) أي قال داود (لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه) أي بسؤاله نعجتك لبيضها الى نعاجه ، فان قيل كيف قال (لقد ظلمك) ولم يكن سمع قول صاحبه ؟ قيل معناه ان كان الامر كما تقول فقد ظلمك وقيل قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما يقول (وان كثيرا من الخطاء) الشركاء (ايغني بعضهم على بعض) بظلم بعضهم بعضاً (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فانهم لا يظلمون أحداً (وقليل مأم) أي قليل هم (ما) صلة يعني أن الصالحين الذين لا يظلمون قليل ، قالوا فلما قضى بينهما داود نظر أحدهما الى صاحبه فضحك وصعدا الى السماء فعلم داود ان الله تعالى ابتلاه وذلك قوله (وظن داود) أي ظن وعلم (انما فتناه) انما ابتليناه

وقال السدي باسناده إن أحدهما لما قال أن هذا أخي الآية قال داود الآخر ما تقول فقال إن لي تسعاً وتسعين نعجة ولأخي نعجة واحدة وأنا أريد أن آخذها منه فاكل نعاجي مائة وهو كاره قال اذا لاندعك وان رمت ذلك ضربت منك هذا وهذا يعني طرف الانف وأصله والجبهة فقال يا داود أنت أحق بذلك حيث لم يكن لأوريا إلا امرأة واحدة ولك تسع وتسعون امرأة فلم تزل تعرضه للقتل حتى قتل وتزوجت امرأته فنظر داود فلم ير أحداً فعرف ما وقع فيه . وقال القائلون بتزيه الانبياء في هذه القصة إن ذنب داود إنما كان أنه تمنى أن تكون امرأة أوريا حلالاً له فانفق غزو أوريا وتقدمه في الحرب وهلاكه فلما بلغ قتله داود لم يجزع عليه كما جزع على غيره من جنده اذ هلك ثم تزوج امرأته فعاتبه الله على ذلك لان ذنوب الانبياء . وان صغرت فهي عظيمة عند الله وقيل كان ذنب داود أن أوريا كان خطب تلك المرأة ووطن نفسه عليها فلما غاب في غزائه خطبها داود فتزوجت منه لجلالته فافتم لذلك أوريا فعاتبه الله على ذلك حيث لم يترك هذه الواحدة لخطبها وعنده تسع وتسعون امرأة أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي قال ومما يصدق ما ذكرنا عن المتقدمين ما أخبرني عقيل بن محمد بن أحمد الفقيه أن المعافي بن زكريا القاضي ببغداد أخبره عن محمد بن جرير الطبري قال حدثني يونس بن عبد الأعلى الصيرفي أنا ابن وهب أخبرني ابن لهيعة عن أبي صخر عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك رضي الله عنه سمعه يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن داود النبي حين نظر الى المرأة فأهم قطع على بني اسرائيل وأوصى صاحب البعث فقال اذا حضر العدو فاقرب

وقوله تعالى (وخرّ راكعاً) أي ساجداً (وأناب) وبجمل انه ركع أولاً ثم سجد بعد ذلك ،

فلانا بين يدي التابوت وكان التابوت في ذلك الزمان يستنصر به من قدم بين يدي التابوت لم يرجع حتى يقتل أو ينهزم عنه الجيش تقتل زوج المرأة ونزل الملكان يقصان عليه قصته ففطن داود فسجد ومكث أربعين ليلة ساجداً حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه وأكلت الأرض من جبينه وهو يقول في سجوده : رب زل داود زلة أبعد مما بين المشرق والمغرب رب ان لم ترحم ضعف داود ولم تغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثاً في الخلف من بعده فجاء جبريل من بعد أربعين ليلة فقال يا داود إن الله قد غفر لك الهم الذي هممت به فقال داود إن الرب قادر على أن يغفر لي الهم الذي هممت به وقد عرفت أن الله عدل لا يميل فكيف يغفلان إذا جاء يوم القيامة فقال يارب دمي الذي عند داود فقال جبريل ما سألت ربك عن ذلك وإن شئت لأفعلن ؟ قال نعم فخرج جبريل وسجد داود فمكث ماشاً الله ثم نزل فقال سألت الله يا داود عن الذي أرسلتني فيه فقال قل لداود إن الله يجمعكما يوم القيامة فيقول له هب لي دمك الذي عند داود فيقول هو لك يارب فيقول فإن لك في الجنة ماشئت وما اشتئت عوضاً. وروي عن ابن عباس وعن كعب الاحبار ووهب بن منبه قالوا جميعاً إن داود لما دخل عليه الملكان قفصاً على نفسه فتحولاً عن صورتيهما فخرجا وهما يقولان قضي الرجل على نفسه وعلم داود أنه إنما عني به فخر ساجداً أربعين يوماً لا يرفع رأسه إلا للحاجة ولو قتل صلاة مكتوبة ثم يعود ساجداً تمام أربعين يوماً لا يأكل ولا يشرب وهو يبكي حتى نبت العشب حول رأسه وهو ينادي ربه عز وجل ويسأله التوبة وكان من دعائه في سجوده : سبحان الملك الاعظم الذي يتلى الخلق بما يشاء ، سبحان خالق النور ، سبحان الخائل بين القلوب ، سبحان خالق النور ، إلهي أنت خلقت بيني وبين عدوي ابليس فلم أقم افتنته اذ نزلت بي ، سبحان خالق النور ، إلهي أنت خلقتني وكان من سابق علمك ما أنا اليه صائر ، سبحان خالق النور ، إلهي الويل لداود إذا كشف عنه الغطاء فيقال هذا داود الخاطيء ، سبحان خالق النور ، إلهي بأي عين أنظر اليك يوم القيامة وإني أنظر الظالمون من طرف خفي ، سبحان خالق النور ، إلهي بأي قدم أمشي أمامك وأقوم بين يديك يوم نزل أقدام الخاطئين ، سبحان خالق النور ، إلهي من أين يطلب العبد المغفرة إلا من عند سيده سبحان خالق النور ، إلهي أنا الذي لا أطيق حر شمسك فكيف أطيق حر نارك ، سبحان خالق النور ، إلهي أنا الذي لا أطيق صوت رعدك فكيف أطيق صوت جهنم ، سبحان خالق النور ، إلهي الويل لداود من الذنب العظيم الذي أصاب ، سبحان خالق النور ، إلهي قد تعلم سري وعلايتي فأقبل عذري ، سبحان خالق النور ، إلهي برحمتك اغفر لي ذنوبي ولا تباعدني من رحمتك لهواي ، سبحان خالق النور ، إلهي أعوذ بنور وجهك الكريم من ذنوبي التي أوبقتني ، سبحان خالق النور ، إلهي فررت اليك بذنوبي واعترفت بخطيئتي فلا تجعلني من القانطين ولا تحزنني يوم الدين ، سبحان

وقد ذكر انه استمر ساجداً أربعين صباحاً [فغفرنا له ذلك] أي ما كان منه مما يقال فيه إن حسنات
الابرار سيئات المقربين

وقد اختلف الائمة في سجدة ص هل هي من عزائم السجود على قولين الجديد من مذهب
الشافعي رضي الله عنه أنها ليست من عزائم السجود بل هي سجدة شكر . والدليل على ذلك ما رواه
الامام أحمد حيث قال حدثنا اسماعيل هو ابن علية عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله
عنهما انه قال في السجدة في ص ليست من عزائم السجود، وقد رأيت رسول الله ﷺ يسجد فيها،
ورواه البخاري وابوداود والترمذي والنسائي في تفسيره من حديث أيوب به وقال الترمذي حسن صحيح

خالق النور . قال مجاهد مكث أربعين يوماً ساجداً لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموع عينيه حتى
غطى رأسه فنودي ياداد ياداد أجائتم فتطعم ، أو ظمآن فتسقى ، أو عار فتكسى فأجيب في غير ما طلب
قال فنحب نحية حاج لها العود فاحترق من حر جوفه ثم أنزل الله له التوبة والمغفرة قال وهب إن داود
أنه نداء . أناي قد غفرت لك قال يارب كيف وأنت لا تعلم أحدا قال اذهب الى قبر أوريا فناده فأنا
أسمعه نداءك فتحلل منه قال فانطلق وقد لبس المسوح حتى جلس عند قبره ثم نادى يا أوريا فقال
لبيك من هذا الذي قطع عني الذني وأيقظني قال أنا داود قال ما جاء بك يا بني الله قال أسألك أن
تجمعني في حل مما كان مني اليك قال وما كان منك الي قال عرضتك للقتل قال قد عرضتني للجنة
فانت في حل فأوحى الله اليه ياداد ألم تعلم أني حكم عدل لا أقضي بالغيب إلا أعلمته انك قد تزوجت
امرأته قال فرجع اليه فناداه فأجابه فقال من هذا الذي قطع عني لذني قال أنا داود قال يا بني الله
أليس قد عفوت عنك قال نعم ولكن إنما فعلت ذلك بك لما كان امرأتك وقد تزوجتها قال فسكت
ولم يجبه ودعاه فلم يجبه وعادوه فلم يجبه فقام عند قبره وجعل يحشو التراب على رأسه ثم نادى الويل
لداود ثم الويل لداود ثم الويل الطويل لداود، سبحان خالق النور والويل لداود اذا نصب الميزان
بائعسط، سبحان خالق النور ثم الويل لداود ثم الويل الطويل لداود حين يؤخذ بذقنه فيدفع الى المظلوم
سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل لداود حين يسحب على وجهه مع الخاطئين الى النار
سبحان خالق النور، أناه نداء من السماء ياداد قد غفرت لك ذنبك ورحمت بكاءك واستجبت
دعائك وأقلت عثرتك قال يارب كيف وصاحبني لم يعف عني قال ياداد أعطيه من الثواب يوم
القيامة ما لم تر عيناه ولم نسمع أذناه فأقول له رضيت عن عبدي داود فيقول يارب من أين لي هذا ولم
يلغه علي فأقول هذا عرض من عبدي داود فاستوهبك منه فيهلك لي . قال يارب لا ز قد عرفت أنك قد
غفرت لي فذلك قوله (فاستغفر ربه وخر راكعاً) أي ساجداً عبر بالركوع عن السجود لان كل واحد منهما
فيه انحناء قال الحسين بن الفضل سأني عبد الله بن طاهر عن قوله (وخر راكعاً) هل يقال المراكع خرو
قلت لا ومعناه خر بعد ما كان راكعاً أي ساجداً (وأناب) أي رجع وتاب (فغفرنا له ذلك)

وقال النسائي أيضاً عند تفسير هذه الآية أخبرني إبراهيم بن الحسن هو المسمى حدثنا حجاج بن محمد عن عمر بن ذر عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إن النبي ﷺ سجد في ص وقال «سجدها داود عليه السلام توبة ونسجدها شكراً» تفرد بروايته النسائي ورجال أسناده كلهم ثقة وقد أخبرني شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي قراءة عليه وأنا أسمع أخبرنا أبو اسحاق المدرسي أخبرنا زاهر بن أبي طاهر الثقي حدثنا زاهر بن طاهر الشحام أخبرنا أبو سعد الكنجري حدثنا أخبرنا الحاكم أبو أحمد محمد بن محمد الحافظ أخبرنا أبو العباس السراج حدثنا هارون بن عبد الله حدثنا محمد بن يزيد بن خنيس عن الحسن بن محمد بن عبيد الله بن أبي يزيد قال قال لي ابن جريج يا حسن حدثني جدك عبيد الله بن أبي يزيد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله اني رأيت فيما يرى النائم كأنني أصلي خلف شجرة فقرأت السجدة فسجدت فسجدت الشجرة بسجودي فسمعتها تقول وهي ساجدة : اللهم اكتب لي بها عندك أجراً ، واجعلها لي عندك ذخراً ، وضع بها عني وزراً ، واقبلها مني كما قبلتها من عبدك داود . قال ابن عباس رضي الله عنهما فرأيت النبي ﷺ قام فقرأ السجدة ثم سجد فسمعته يقول وهو ساجد كالحكي الرجل عن كلام الشجرة رواه الترمذي عن قتيبة وابن ماجه عن أبي بكر بن خلاد كلاهما عن محمد بن يزيد بن خنيس نحوه ، وقال الترمذي غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه

وقال البخاري عند تفسيرها أيضاً حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا محمد بن عبيد الطنافسي عن العوام قال سألت مجاهداً عن سجدة ص فقال : سألت ابن عباس رضي الله عنهما من أين سجدت فقال أو ما تقرأ (ومن ذريته داود وسليمان - أولئك الذين هدى الله فبهم اقتده) فكان داود عليه الصلاة والسلام من أمر نبيكم ﷺ أن يقتدي به فسجدها داود عليه الصلاة والسلام فسجدها رسول الله ﷺ . وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا يزيد بن زريع حدثنا حميد حدثنا بكر هو ابن عبد الله المزني أنه أخبره أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه رأى رؤيا أنه يكتب ص فلما بلغ إلى الآية التي يسجد بها رأى الدواة والقلم وكل شيء يحضره انقلب ساجداً قال فقصها على النبي ﷺ فلم يزل يسجد بها بعد تفرد به أحمد

وقال أبو داود حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن عياض بن عبد الله بن سعد بن أبي مروح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قرأ رسول الله ﷺ وهو على المنبر (ص) فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه فلما كان يوم آخر قرأها فلما بلغ السجدة تشرن الناس للسجود فقال ﷺ « إنما هي توبة نبي ، ولكني رأيتكم تشرنتم » فنزل وسجد تفرد به أبو داود وإسناده على شرط الصحيح

يعني ذلك الذنب (وإن له) بعد المغفرة (عندنا) يوم القيامة (لثاني) لقربة ومكانة

وقوله تعالى (وان له عندنا لزانى وحسن مآب) أي وان له يوم القيامة تقربة يقربه الله عز وجل بها وحسن مرجع وهو الدرجات العالية في الجنة لنبونه وعدله النام في ملكه كما جاء في الصحيح « المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يقسطون في أهلهم وماولوا » وقال الامام أحمد حدثنا يحيى بن آدم ثنا فضيل عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ « ان أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأقربهم منه مجلسا امام عادل ، وان أبغض

﴿وحسن مآب﴾ أي حسن مرجع ومنقلب

وقال وهب بن منبه : ان داود لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا يرقأ دمه ليلا ولا نهاراً ، وكان أصاب الخطيئة وهو ابن سبع وسبعين سنة فقسم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أيام : يوم لقضاء بين بني إسرائيل ويوم لفسائه ويوم يسيح في الفياثي والجبال والسواحل ويوم يخلو في دار له فيها أربعة آلاف محراب فيجتمع اليه الرهبان فينوح معهم على نفسه فيساعدهونه على ذلك ، فاذا كان يوم نياحته يخرج في الفياثي فيرفع صوته بالزماير فيبكي ويبكي معه الشجر والرمال والطير والوحش حتى يسيل من دموعهم مثل الأنهار ، ثم يجي إلى الجبال فيرفع صوته بالزماير فيبكي وتبكي معه الجبال والحجارة والدواب والطير حتى تسيل من بكائهم الاودية ، ثم يجي إلى الساحل فيرفع صوته بالزماير فيبكي وتبكي معه الحيتان ودواب البحر وطير الماء والسباع ، فاذا أمسى رجع فاذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه ان اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضر من يساعده فيدخل الدار التي فيها المحارب فيد ط له ثلاثة فرش من مسوح حشوها ليف فيجلس عليها ويحيى أربعة آلاف راهب عليهم البرانس وفي أيديهم المعصي فيجلسون في تلك المحارب ، ثم يرفع داود صوته بالبكاء والنوح على نفسه ويرفع الرهبان معه أصواتهم فلا يزال يبكي حتى يفرق الفرش من دموعه ويقع داود فيها مثل الفرخ بضرب فيجىء ابنه سليمان فيحمله فيأخذ داود من تلك الدموع بكفيه ثم يمسح بها وجهه ثم يقول يارب اغفر لي ما ترى فلو عدل بكاء داود بكاء أهل الدنيا لعدله ، قال وهب ما فرغ داود رأسه حتى قال له الملك أول امرئ ذنب وآخره مغفرة ارفع رأسك فرفع رأسه فمكث حياته لا يشرب ماء إلا مزجه بدموعه ولا يأكل طعاما إلا بله بدموعه

وذكر الازاعي مرفوعا الى رسول الله ﷺ « إن مثل عيني داود كقربتين ينطفان ماء واقد خدت الدموع في وجهه كخديد الماء في الارض » قال وهب لما تاب الله على داود قال يارب غفرت لي فكيف لي أن لا أنسى خطيئتي فاستغفر منها ولخطائين الى يوم القيامة قال فوسم الله خطيئته في يده اليمنى فما رفع فيها طعاما ولا شرابا إلا بكى اذا رآها وما كان خطيبا للناس إلا بسط راحته فاستقبل الناس ليروا وسم خطيئته وكان يبدأ اذا دعا فاستغفر للخطائين قبل نفسه . وقال قتادة عن الحسن كان داود بعد الخطيئة لا يجالس إلا الخطائين يقول تعالوا الى داود الخطيئ . فلا يشرب شرابا إلا

الناس الى الله يوم القيامة وأشدّهم عذاباً امام جاثر ، ورواه الترمذي من حديث فضيل وهو ابن مرزوق الاغر عن عطية به ، وقال لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة ثنا عبدالله بن أبي زياد بن سيار ثنا جعفر بن سليمان سمعت مالك بن دينار في قوله (ان له عندنا لزافي وحسن مآب) قال يقام داود يوم القيامة عند ساق العرش ثم يقول يا داود مجدني اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم الذي كنت تمجدني في الدنيا . فيقول وكيف وقد سلبته ؟ فيقول إني أردته عليك اليوم قال فيرفع داود بصوت يستفرغ نعيم أهل الجنان

مرجه بدموع عينيه وكان يجعل خبز الشعير اليابس في قصعة فلا يزال يبكي عليه حتى يتل بدموع عينيه وكان يذر عليه الملح والرماد فيأكل ويقول هذا أكل الخاطئين قال وكان داود قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله . وقال ثابت كان داود اذا ذكر عقاب الله تخلمت أوصاله فلا يشدها إلا الأسر ، واذا ذكر رحمة الله تراجمت وفي القصة أن الوحوش والطير كانت تستمع الى قرآنه فلما فعل ما فعل كانت لا تصفى الى قرآنه فروي انها قالت يا داود ذهبت خطيئتك بحلاوة صوتك

اخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا سليمان بن حرب وأبو النعمان قالوا حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سجدة ص ليست من عزائم السجود وقد رأيت النبي ﷺ يسجد فيها واخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا محمد بن عبد الله الطنافسي عن العوام قل : سألت مجاهد عن سجدة ص فقال سألت ابن عباس من أين سجدت قال أوما تقرأ (ومن ذريته داود وسليمان - الى - اوائك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) وكان داود ممن أمر نبيكم أن يقتلوا فأسجدوا وفسجدوا رسول الله ﷺ

اخبرنا أبو عثمان سعيد بن اسماعيل الضبي أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي ثنا أبو العباس محمد بن احمد المحبوبي ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا قتيبة ثنا محمد بن يزيد بن خنيس ثنا الحسن بن محمد ابن عبد الله بن أبي يزيد قال قال لي ابن جريج اخبرني عبيد الله بن أبي يزيد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء رجل الى النبي ﷺ فقال يا رسول الله اني رأيتني الليلة وأنا نائم كأنني أصلي خلف شجرة فسجدت فسجدت الشجرة بسجودي فسمعتها تقول : اللهم اكتب لي بها عندك أجراً وحط عني بها وزراً واجعلها لي عندك ذخراً وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود . وقال الحسن قال ابن جريج قال لي جدك قال لي ابن عباس فقرأ النبي ﷺ سجدة ص ثم سجد فسمعتة وهو يقول مثل ما أخبره الرجل عن قول الشجرة

ياداوود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن

سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب (٢٦)
هذه وصية من الله عز وجل لولاة الامور أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك وتعالى
ولا يعدلوا عنه فيضلوا عن سبيل الله وقد توعد تبارك وتعالى من خل عن سبيله وتنامى يوم الحساب
بالوعيد الاكيد والعذاب الشديد . قال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا هشام بن خالد حدثنا الوليد حدثنا
مروان بن جناح حدثني ابراهيم أبو زرعة وكان قد قرأ الكتاب ان الوليد بن عبد الملك قال
له أيحاسب الخليفة فانك قد قرأت الكتاب الاول وقرأت القرآن وقفت قلت يا أمير المؤمنين أقول؟
قال قل في أمان الله ، قلت يا أمير المؤمنين أنت أكرم على الله أو داود عليه الصلاة والسلام ، إن الله
نعالي جمع له النبوة والخلافة ثم توعد في كتابه فقال تعالى (ياداوود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم
بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) الآية وقال عكرمة (لهم عذاب شديد بما نسوا
يوم الحساب) هذا من المقدم والمؤخر لهم عذاب شديد يوم الحساب بما نسوا ، وقال السدي لهم
عذاب شديد بما تركوا أن يعملوا ليوم الحساب وهذا القول أمشي على ظاهر الآية . والله سبحانه
وتعالى الموفق للصواب

وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا

من النار (٢٧) أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل

المتقين كالفسجار (٢٨) كتب أنزلناه اليك مبرك ليذبروا آياته وليتذكر أولو الالباب (٢٩)

يخبر تعالى أنه ما خلق الخلق عبثا وإنما خلقهم ليعبدوه ويوحده ثم يجمعهم يوم الجمع فيثيب المطيع
ويعذب الكافر ولهذا قال تبارك وتعالى (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين
كفروا) أي الذين لا يرون عبثا ولا معاداً وإنما يعتقدون هذه الدار فقط (فويل للذين كفروا من

قوله عز وجل (ياداوود انا جعلناك خليفة في الارض) تدبر أمور العباد بامرنا (فاحكم بين الناس
بالحق) بالعدل (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب
شديد بما نسوا يوم الحساب) أي بأن يتركوا الايمان بيوم الحساب ، وقال الزجاج بتركهم العمل لذلك
اليوم وقال عكرمة والسدي في الآية تقديم وتأخير تقديره لهم عذاب شديد يوم الحساب بما نسوا
أي تركوا القضاء بالعدل (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا) قال ابن عباس لا ثواب ولا
لعقاب (ذلك ظن الذين كفروا) يعني أهل مكة هم الذين ظنوا انهم اخلقوا عبثا شيء . وانه لا بعث ولا

النار) أي ويل لهم يوم معادهم ونشورهم من النار المعدة لهم ، ثم بين تعالى انه عز وجل من عدله وحكمته لا يساوي بين المؤمنين والكافرين فقال تعالى (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار) أي لا نفعل ذلك ولا يستوون عند الله وإذا كان الامر كذلك فلا بد من دار أخرى يشاب فيها هذا المطيع وبعاقب فيها هذا الفاجر وهذا الارشاد يدل العقول السليمة والفطر المستقيمة على انه لا بد من معاد وجزاء. فانا نرى الظالم الباغي يزداد ماله وولده ونعيمه ويموت كذلك ونرى المطيع المظلوم يموت بكده فلا بد في حكمة الحكيم العليم العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة من انصاف هذا من هذا ، وإذا لم يقع هذا في هذه الدار فنعين أن هناك داراً أخرى لهذا الجزاء والمواساة. ولما كان القرآن يرشد إلى المقاصد الصحيحة والمآخذ العقلية الصريحة

قال تعالى (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب) أي ذوو العقول وهي الالباب جمع لب وهو العقل ، قال الحسن البصري والله ماتدبره بحفظ حروفه واضاعة حدوده حتى ان أحدهم يقول قرأت القرآن كله ما يرى له القرآن في خلق ولا عمل . رواه ابن أبي حاتم

ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب (٣٠) إذ عُرض عليه بالعشي الصُّفُفَت

الجياد (٣١) فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب (٣٢) ردوها

علي فطفق مسحاً بالسوق والأعناق (٣٣)

يقول تعالى مخبراً انه وهب لداود سليمان أي نبيا كما قال عز وجل (وورث سليمان داود) أي في النبوة والا فقد كان له بنون غيره فانه قد كان عنده مائة امرأة حرائر

وقوله تعالى (نعم العبد إنه أواب) ثناء على سليمان بأنه كثير الطاعة والعبادة والالابة إلى الله عز وجل قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو بن خالد حدثنا الوليد بن جابر حدثنا مكحول قال لما وهب الله تعالى لداود سليمان قال له يا بني ما أحسن؟ قال سكينه الله والايمن قال فما أقبح؟ قال كفر

حساب (فويل للذين كفروا من النار) أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض (قال مقاتل قال كفار قريش للمؤمنين انا نعطي في الآخرة من الخير مثل ما تعطون فنزلت هذه الآية (أم نجعل المتقين كالفجار) أي المؤمنين كالكفار وقبل أراد بالمتقين أصحاب محمد ﷺ أي لا نجعل ذلك (كتاب أنزلناه إليك) أي هذا كتاب أنزلناه إليك (مبارك) كثير خيره ونفعه (ليدبروا) أي ليتدبروا (آياته) وليتفكروا فيها ، وقرأ أبو جعفر لتدبروا بناء واحدة وتخفيف الدال ، قال الحسن تدبر آياته اتباعه (وليتذكر) ليتعظ (أولوا الالباب)

قوله عز وجل (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب * إذ عرض عليه بالعشي الصافنات

بعد إيمان قال فما أحلى ؟ قال روح الله بين عباده قال فما أبرد ؟ قال عفو الله عن الناس وعفو الناس بعضهم عن بعض قال داود عليه السلام فأتت نبي . وقوله تعالى (إذ عرض عليه بالعشي الصافات الجياد) أي إذ عرض على سليمان عليه الصلاة والسلام في حال مملكته وسلطانه الخيل الصافات قال مجاهد وهي التي تقف على ثلاث وطرف حافر الرابعة والجياد السراع وكذا قال غير واحد من السلف، وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا مؤمل حدثنا سفيان عن أبيه عن سعيد بن مسروق عن إبراهيم التيمي في قوله عز وجل (إذ عرض عليه بالعشي الصافات الجياد) قال كانت عشرين فرساً ذات أجنحة كذا رواه ابن أبي حاتم

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا ابن أبي زائدة أخبرني إسرائيل عن سعيد بن مسروق عن إبراهيم التيمي قال كانت الخيل التي شغلت سليمان عليه الصلاة والسلام عشرين ألف فرس فمقرها وهذا أشبه والله أعلم

وقال أبو داود حدثنا محمد بن عوف حدثنا سعيد بن أبي مرزوق أخبرنا يحيى بن أيوب حدثني عمارة بن غزية أن محمد بن إبراهيم حدثه عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة رضي الله عنها قالت قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أو خيبر وفي سهونها ستر فبهت الريح فكشفت ناحية الستر عن بنات اماءة رضي الله عنها لعب فقال ﷺ « ما هذا يا عائشة ؟ » قالت رضي الله عنها بناتي ورأى بينهن فرسا له جناحان من رفاع فقال ﷺ « ما هذا الذي أرى وسطهن ؟ » قالت رضي الله عنها فرس قال رسول الله ﷺ « ما هذا الذي عليه ؟ » قالت رضي الله عنها جناحان قال رسول الله ﷺ

الجياد قال الكلبي غزا سليمان أهل دمشق ونصيبين فأصاب منهم ألف فرس ، وقال مقاتل ورت من أبيه داود ألف فرس ، وقال عوف عن الحسن بلغني انها كانت خيلا أخرجت من البحر لها أجنحة قالوا فصلى سليمان الصلاة الاولى وقعد على كرسيه وهي تعرض عليه فعرضت عليه تسعمائة فتنبه الصلاة العصر فاذا الشمس قد غربت وفاته الصلاة ولم يعلم بذلك فاعتم لذلك هيبه فله فقال ردوها علي فردوها عليه فأقبل بضرب سوقها وأعناقها بالسيف تقربا الى الله عز وجل وطلبها لمرضانه حيث اشتغل بهاعن طاعته، وكان ذلك مباحا له وإن كان حراما علينا كما أبيح لنا ذبح بهيمة الانعام وبقي منها مائة فرس فما بقي في أيدي الناس اليوم من الخيل يقال من نسل تلك المائة

قال الحسن فلما عقر الخيل أبداه الله خيرا منها وأسرع وهي الريح تجري بأمره كيف يشاء، وقال إبراهيم التيمي كانت عشرين فرسا ، وعن عكرمة كانت عشرين ألف فرس لها أجنحة

قال الله تعالى (إذ عرض عليه بالعشي الصافات الجياد) والصافات هي الخيل القائمة على ثلاث قوائم وأقامت واحدة على طرف الحافر من يد أو رجل يقال صفن الفرس بصفن صفونا اذا قام على ثلاثة قوائم وقلب أحد حوافره ، وقيل الصافن في اللغة القائم . وجاء في الحديث « من سره أن يقوم

« فرس له جناحان ؟ » قالت رضي الله عنها أما سمعت أن سليمان عليه الصلاة والسلام كانت له خيل لها أجنحة قالت رضي الله عنها فضحك ﷺ حتى رأيت نواجذه وقوله تبارك وتعالى (فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب) ذكر غير واحد من السلف والمفسرين انه اشتغل بعرضها حتى فات وقت صلاة العصر والذي يقطع به انه لم يتركها عمدا بل نسيانا كما شغل النبي ﷺ يوم الخندق عن صلاة العصر حتى صلاها بعد الغروب وذلك ثابت في الصحيحين من غير وجه

من ذلك عن جابر رضي الله عنه قال جاء عمر رضي الله عنه يوم الخندق بعدما غربت الشمس فجعل يسب كفار قريش ويقول يا رسول الله والله ما كدت أصلي العصر حتى كادت الشمس تغرب فقال رسول الله ﷺ « والله ما صليتها » فقال فقمنا إلى بطحان فتوضأ نبي الله ﷺ للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعدما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب ، ويحتمل انه كان سائفا في ملتهم تأخير الصلاة لعذر الغزو والقتال، والخيل تراد للقتال وقد ادعى طائفة من العلماء ان هذا كان مشروعا فنسخ ذلك بصلاة الخوف ، ومنهم من ذهب الى ذلك في حال المسابقة والمضايقة حيث لا يمكن صلاة ولا ركوع ولا سجود كما فعل الصحابة رضي الله عنهم في فتح تبستر وهو منقول عن مكحول والأوزاعي وغيرهما والأول أقرب لانه قال بعده (ردوها علي فطفق مسح بالسوق والأعناق) قال الحسن البصري ؟ قال لا والله لا نشأني عن عبادة ربي آخر ما عليك ، ثم أمر بها فعمرت وكذا قال قتادة وقال السدي ضرب أعناقها وعراقبها بالسيوف، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما جعل يسح أعراف الخيل وعراقبها حبا لها وهذا القول اختاره ابن جرير قال لانه لم يكن ليعذب حيوانا بالعرقبة ويهلك

له الرجال صفونا فليتبوا مقعده من النار » اي قياما والجياد الخييار السراع واحدها جواد ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما يريد الخيل السوابق

قوله تعالى (فقال إني أحببت حب الخير) أي آثرت حب الخير ، وأراد بالخيل والعرب تعاقب بين الرء واللام فتقول خنلت الرجل وخترته أي خدعته وسميت الخيل خيرا لانه معقود بنواصيها الخير الاجر والمغنم ، قال مقاتل حب الخير يعني المال فهي الخيل التي عرضت عليه (عن ذكر ربي) يعني عن الصلاة وهي صلاة العصر (حتى توارت بالحجاب) أي توارت الشمس بالحجاب أي استترت بما يحجبها عن الابصار ، يقال الحجاب جبل دون قاف بسيرة سنة والشمس تغرب من ورائه (ردوها علي) أي ردوا الخيل علي فردوها (فطفق مسح بالسوق والأعناق) قال أبو عبيدة طفق يفعل مثل ما زال يفعل والمراد بالمسح القطم فجعل يضرب سوقها وأعناقها بالسيوف . هذا قول ابن عباس والحسن و قتادة ومقاتل وأكثر المفسرين ، وكان ذلك مباحا له لان نبي الله لم يكن يقدم على محرم ولم يكن يتوب عن ذنب بذنب آخر .

مالاً من ماله بلا سبب سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها ولا ذنب لها وهذا الذي رجح به ابن جرير فيه نظر لأنه قد يكون في شرعهم جواز مثل هذا ولا سيما إذا كان غضباً لله تعالى بسبب أنه اشتغل بها حتى خرج وقت الصلاة ولهذا لما خرج عنها لله تعالى عوضه الله عز وجل ما هو خير منها وهو الريح التي تجري بأمره رخاء حيث أصاب غدوها شهر ورواحها شهر فهذا أسرع وخير من الخيل قال الامام أحمد : حدثنا اسمعيل حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال عن أبي قتادة وأبي الدهماء . وكانا يكثران السفر نحو البيت قالاً أتينا على رجل من أهل البادية فقال لنا ابدوي أخذ بيدي رسول الله ﷺ فجعل يعلمني بما علمه الله عز وجل وقال « انك لا تدع شيئاً اتقاء الله تعالى الا أعطاك الله عز وجل خيراً منه »

ولقد فتننا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب (٣٤) قال رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب (٣٥) فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب (٣٦) والشياطين كل بناء وغوٓص (٣٧) وآخرين مقرئين في الأصفاذ (٣٨) هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب (٣٩) وإن له عندنا لزُلْفى وحسن مَثاب (٤٠) يقول تعالى (ولقد فتننا سليمان) أي اختبرناه بأن سلّمناه الملك (وألقينا على كرسيه جسداً) وقال محمد بن اسحاق لم يعنفه الله على عقر الخيل إذ كان ذلك أسفاً على ما فاته من فريضة ربه عز وجل وقال بعضهم انه ذبحها ذبحاً ونصدق بلحومها وكان الذبح على ذلك الوجه مباحاً في شريعته وقال قوم معناه انه حبسها في سبيل الله وكوى سوقها وأعناقها بكى الصدقة ، وقال الزهري وابن كيسان انه كان يمسح سوقها وأعناقها بيده يكشف القبار عنها حباً لها وشفقة عليها وهذا قول ضعيف والمشهور هو الاول وحكي عن علي انه قال في معنى قوله (ردوها علي) يقول سليمان بأمر الله عز وجل للملائكة الموكلين بالشمس ردوها علي يعني الشمس فردوها عليه حتى صلى العصر في وقتها وذلك انه كان يعرض عليه الخيل لجهاد عدوه حتى توارت بالحجاب

قوله عز وجل (ولقد فتننا سليمان) اختبرناه وابتليناه بسلب ملكه وكان سبب ذلك ما ذكر محمد بن اسحاق عن وهب بن منبه قال سمع سليمان عليه السلام بمدينة في جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون بها ملك عظيم الشأن لم يكن للناس اليه سبيل لمكانه في البحر وكان الله قد آتى سليمان في ملكه سلطاناً لا يمتنع عليه شيء في بر ولا بحر إنما يركب اليه الريح فخرج الى تلك المدينة فحملة الريح على ظفر الماء حتى نزل بها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها وسبي ما فيها وأصاب فيها أصاب بنتا لذلك الملك يقال لها جرادة لم ير مثلها حسناً وجمالاً فاصطفاها لنفسه ودعاها الى الاسلام فأسلمت على (تفسير ابن كثير والبقوي) (٢٦) (الجزء السابع)

قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وغيرهم يعني شيطانا (ثم أناب) أي رجع إلى ملكه وسلطانه وأبهته قال ابن جرير وكان اسم ذلك الشيطان صخرأ قاله ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وقيل آصف قاله مجاهد وقيل أصروا ذله مجاهد أيضا وقيل حقيق قال السدي وقد ذكروا هذه القصة مبسطة ومختصرة

وقد قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال أمر سليمان عليه الصلاة والسلام بينا بيت المقدس فقبل له ابنه ولا يسمع فيه صوت حديد ، قال فطلب ذلك فلم يقدر عليه فقبل له إن شيطانا في البحر يقال له صخر شبه المارد قال فطلبه وكانت في البحر عين بردها في كل سبعة أيام مرة فتزح ماها وجعل فيها خمرًا فجاء يوم رده فإذا هو بالخمر فقال انك لشراب طيب إلا أنك تصيبين الحليم وتزيدين

جفاء منها وقلة فقه وأحبها حباً لم يحبه شيئاً من نساءه ، وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولا يرقأ دمعها فشق ذلك على سليمان فقال لها ويحك ما هذا الحزن الذي لا يذهب والدمع الذي لا يرقأ ؟ قالت ان أبي أذكرك وأذكر ملكه وما كان فيه وما أصابه فيحزنني ذلك قال سليمان فقد أبدلك الله به ملكاً هو أعظم من ملكه وسلطاناً هو أعظم من سلطانه وهذاك الاسلام وهو خير من ذلك كله قالت ان ذلك كذلك ولكنني اذا ذكرته أصابني ماترى من الحزن فلو أنك أمرت الشياطين فصوروا لي صورته في داري التي أنا فيها أراها بكرة وعشياً لرجوت أن يذهب ذلك حزني وأن يسليني عن بعض ما أجد في نفسي فأمر سليمان الشياطين فقال مثلوا لها صورة أبيها في دارها حتى لا تنكر منه شيئاً فثلوه لها حتى نظرت الى أبيها بعينه الا انه لا روح فيه فعمدت اليه حين صنعوه فأزرتة وقصته وعمته وردته بمثل ثيابه التي كان يلبس ثم كانت إذا خرج سليمان من دارها تعدو عليه في ولائها حتى تسجد له ويسجدن له كما كانت تصنع به في ملكه وتروح كل عشية بمثل ذلك ، وكان سليمان لا يبعلم بشيء من ذلك أربعين صباحاً ، وبلغ ذلك آصف بن برخيا وكان صديقاً وكان لا يرد عن أبواب سليمان أي ساعة أراد دخول شيء من بيوته حاضراً كان سليمان أو غائباً فأتاه فقال يا بني الله كبير سني ورق عظمي ونقد عمري وقد حان مني الذهاب فقد أحيت أن أقوم مقاماً قبل الموت أذكر فيه من مضى من أنبياء الله وأنتي عليهم بعلمي فيهم وأعلم الناس بعض ما كانوا يجهلون من كثير من أمورهم فقال افعل فجمع له سليمان الناس فقام فيهم خطيباً فذكر من مضى من أنبياء الله تعالى فأثنى على كل نبي بما فيه فذكر ما فضله الله حتى انتهى الى سليمان فقال ما أحملك في صفرك وأورغك في صفرك وأفضلك في صفرك وأحكم أمرك في صفرك وأبعدك من كل ما تنكره في صفرك ثم انصرف فوجد سليمان عليه السلام في نفسه من ذلك حتى ملأه غضباً فلما دخل سليمان داره أرسل اليه فقال يا آصف ذكرت من مضى من أنبياء الله فأثنت عليهم خيراً في كل زمانهم وعلى كل حال من أمرهم فلماذا ذكرتني جعلت أثني علي بخير في صفري وسكت عما سوى ذلك من أمري في كبري فما الذي أحدثت في

الجاهل جهلاً ، قال ثم رجم حتى عطش عطشا شديدا ثم أتاها فقال انك لشراب طيب إلا أنك نصيبين الحليم وتربدين الجاهل جهلاً ، قال ثم شربها حتى غلبت على عقله قال فأري الخاتم أو ختم به بين كتفيه فذل قال وكان ملكه في خاتمه فأني به سليمان عليه الصلاة والسلام فقال إنا قد أمرنا ببناء هذا البيت وقبل لنا لا بسمعن فيه صوت حديد قبل وأنى يبض المدهد فجعل عليه زجاجة فجاء المدهد فدار حولها فجعل يرى بيضه ولا يقدر عليه فذهب فجاء بالماس فوضعه عليه فقطعهما به حتى أفضى إلى بيضه فأخذ الماس فجعلوا يقطعون به الحجارة ، وكان سليمان عليه الصلاة والسلام إذا أراد أن يدخل الخلا ، أو الحمام لم يدخل بالخاتم فانطلق يوماً إلى الحمام وذلك الشيطان صخر ، وذلك عند مقارفة قارف فيها بعض نسائه قال فدخل الحمام وأعطى الشيطان خاتمه فألقاه في البحر فالتقمته سمكة ونزع ملك سليمان منه وألقي على الشيطان شبه سليمان قال فجاء فقعده على كرسيه وسريره وسلط على ملك سليمان

آخر أمري؟ فقال ان غير الله لم يعبد في دارك منذ أربعين صباحاً في هي امرأة فقال في داري؟ فقال في دارك فقال (انا لله وانا اليه راجعون) لقد عرفت انك ما قلت الذي قلت الا عن شيء بلغك ثم رجم سليمان الى داره وكسر ذلك الصنم وعاقب تلك المرأة وولائدها ثم أمر ثياب الطهارة فأني بها وهي ثياب لا تغزلها الا الابكار ولا تنسجها الا الابكار ولا تغسلها الا الابكار لم تمسها امرأة قد رأيت الدم ثم لبسها ثم خرج الى فلاة من الارض وحده فامر برماد ففرش له ثم أقبل تائباً الى الله عز وجل حتى جلس على ذلك الرماد وتمسك فيه بثيابه تذلل الله تعالى ونضر عاليه يبكي ويدعو ويستغفر مما كان في داره فلم يزل كذلك يومه حتى أمسى ثم رجع الى داره ، وكانت له أم ولد يقال لها الامينة كان اذا دخل مذهب أو أراد إصابة امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر وكان لا يمس خاتمه الا وهو طاهر وكان ملكه في خاتمه فوضعه يوماً عندها ثم دخل مذهب فأتاها الشيطان صاحب البحر واسمه صخر على صورة سليمان لا تنكر منه شيئاً فقال خاتمي يا أمينة فناوته اياه فجعله في يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان وعكفت عليه الطير والجن والانس وخرج سليمان فأني الامينة وقد غيرت حاله وهيئته عند كل من رآه فقال يا أمينة خاتمي قالت من أنت؟ قال انا سليمان بن داود قالت كذبت قد جاء سليمان فأخذ خاتمه وهو جالس على سرير ملكه فعرف سليمان ان خطيئته قد أدركته فخرج فجعل يقف على الدار من دور بني اسرائيل فيقول انا سليمان بن داود فيحشون عليه التراب ويسبونه ويقولون انظروا الى هذا المجنون أي شيء يقول يزعم انه سليمان فلما رأى سليمان ذلك عمد الى البحر فكان ينقل الحيتان لأصحاب البحر إلى السوق فيعطونه كل يوم سمكتين فاذا أمسى باع احدي سمكتيه بأربعة وشوى الاخرى فأكلها فمكث بذلك أربعين صباحاً عدة ما كان عبد الوثن في داره فأنكر آصف وعطاء بني اسرائيل حكم عدو الله الشيطان في تلك الاربعين فقال آصف يا معشر بني اسرائيل هل رأيتم من اخلاف حكم ابن داود ما رأيتم؟ قالوا نعم قال امهلوني

كله غير نسائه قال فجعل يقضي بينهم وجعلوا ينكرون منه أشياء حتى قالوا القديت بنبي الله، وكان فيهم رجل يشبهونه بعمر بن الخطاب رضي الله عنه في القمرة فقال والله لأجر بنه قال فقال يا بني الله وهو لا يرى إلا أنه نبي الله أحدنا نصيبه الجنابة في الليلة الباردة فيدع الغسل عمدا حتى تطلع الشمس أرى عليه بأسا؟ قال لا فبينما هو كذلك أربعين ليلة إذ وجد نبي الله خاتمه في بطن سمكة فأقبل فجعل لا يستقبله جني ولا طير إلا سجد له حتى انتهى إليهم (وأقينا على كرسية جسدا قال هو الشيطان صخر وقال السدي) (ولقد فتنا سليمان) أي ابتلينا سليمان (وأقينا على كرسية جسدا) قال شيطانا جلس على كرسية أربعين يوما قال كان لسليمان عليه الصلاة والسلام مائة امرأة وكانت امرأة منهن يقال لها جرادة وهي آثر نسائه وآمنهن عنده وكان إذا أجنب أو أتى حاجة نزع خاتمه ولم يأمن عليه أحدا من الناس غيرها فأعطاهها يوما خاتمه ودخل الخلاء، فخرج الشيطان في صورته فقال هاتي الخاتم فأعطته فجاء حتى جلس على مجلس سليمان عليه الصلاة والسلام وخرج سليمان بعد ذلك فسألها أن تعطيه خاتمه فقالت ألم تأخذه قبل؟ قال لا

حتى أدخل على نسائه فأسألهن هل أنكرتن منه في خاصة أمره ما أنكرنا في عامة أمر الناس وعلايته؟ فدخل على نسائه فقال ويحك هل أنكرتن من أمر ابن داود ما أنكرنا؟ فقلن أشده ما يدع منا امرأة في دمها ولا يفصل من الجنابة فقال (إنا لله وإنا إليه راجعون) (إن هذا هو البلاء المبين) ثم خرج على بني إسرائيل فقال ما في الخاصة أعظم مما في العامة فلما مضى أربعين صباحا طار الشيطان عن مجلسه ثم مر بالبحر فقذف الخاتم فيه فبلغته سمكة فأخذها بعض الصيادين وقد عمل له سليمان صدر يومه ذلك حتى إذا كان العشي أعطاه سمكتين وأعطاه السمكة التي أخذت الخاتم فخرج سليمان بسمكتيه فباع التي ليس في بطنها الخاتم بالأرغفة ثم عمد إلى السمكة الأخرى فبقرها إيشوبها فاستقبله خاتمه في جوفها فأخذه فجعله في يده ووقع ساجداً وعكفت عليه الطير والجن وأقبل عليه الناس وعرف الذي كان قد دخل عليه لما كان قد حدث في داره فرجع إلى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه وأمر الشياطين فقال ائتوني بصخر فطلبته الشياطين حتى أخذته فأنت به وجاءوا له بصخرة فبقرها فأدخله فيها ثم سد عليه باخرى ثم أوقفهما بالحديد والرصاص ثم أمر به فقذف في البحر هذا حديث وهب وقال الحسن ما كان الله يسلط الشيطان على نسائه

وقال السدي كان سبب قصة سليمان أنه كان له مائة امرأة وكانت امرأة منهن يقال لها جرادة هي آثر نسائه وآمنهن عنده وكان يأتيها على خاتمه إذا أتى حاجته فقالت له يوما إن أخي كان بينه وبين فلان خصومة وأنا أحب أن تقضي له إذا جارك فقال نعم ولم يفعل فأبلى بقوله لزوجته نعم فأعطاه خاتمه ودخل المخرج فجاء الشيطان في صورته فأخذه وجلس على مجلس سليمان وخرج سليمان فسألها خاتمه فقالت ألم تأخذه؟ قال لا وخرج مكانه ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوما فأنكر الناس حكمه فاجتمع قراء بني إسرائيل وعلماءهم حتى دخلوا على نسائه فقالوا إنا قد أنكرنا هذا

وخرج مكانه تائباً ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوماً قال فأنكر الناس أحكامه فاجتمع قراء بني إسرائيل وعلمائهم فجاءوا حتى دخلوا على نسائه فقالوا له إننا قد أنكرنا هذا فإن كان سليمان فقد ذهب عقله وأنكرنا أحكامه قال فبكى النساء عند ذلك ، قال فأقبلوا يمشون حتى أتوه فأحرقوا به ثم نشروا يقرءون التوراة قال فطار من بين أيديهم حتى وقم على شرفة والخاتم معه ثم طار حتى ذهب إلى البحر فوقم الخاتم منه في البحر فأقبله حوت من حيطان البحر قال وأقبل سليمان عليه الصلاة والسلام في حاله التي كان فيها حتى انتهى إلى صياد من صيادي البحر وهو جائع وقد اشتد جوعه فسألهم من صيدهم وقال إني أنا سليمان فقام إليه بعضهم فضربه بعصا فشججه فجعل يغسل دمه وهو على شاطئ البحر فلام الصيادون صاحبهم الذي ضربه فقالوا بئس ما صنعت حيث ضربته قال أنه زعم أنه سليمان، قال فأعطوه سمكتين مما قد مذر عندهم ولم يشغله ما كان به من الضرب حتى قام إلى شاطئ البحر فشق بطونهما فجعل يغسل فوجد خاتمه في بطن إحداها فأخذه فلبسه فرد الله عليه

فإن كان سليمان فقد ذهب عقله فبكى النساء عند ذلك فأقبلوا حتى أحرقوا به ونشروا التوراة فقرؤوها فطار من بين أيديهم حتى وقم على شرفة والخاتم معه ، ثم طار حتى ذهب إلى البحر فوقم الخاتم منه في البحر فأقبله حوت وأقبل سليمان حتى انتهى إلى صياد من صيادي البحر وهو جائع قد اشتد جوعه فاستطعمه من صيده وقال إني أنا سليمان فقام إليه بعضهم فضربه بعصا فشججه فجعل يغسل دمه على شاطئ البحر فلام الصيادون صاحبهم الذي ضربه وأعطوه سمكتين مما قد مذر عندهم فشق بطونهما وجعل يغسلهما فوجد خاتمه في بطن إحداها فلبسه فرد الله عليه ملكه وبهائه وحامت عليه الطير ففرق القوم أنه سليمان فقاموا يعتذرون مما صنعوا فقال ماؤاخذكم على عذركم^(١) لا لومكم على ما كان منكم هذا أمر كائن لا بد منه ، فلما أتى مملكته أمر جنيا أنى بالشيطان الذي أخذ خاتمه وجعله في صندوق من حديد ثم أطبق عليه وأفل عليه بقل وختم عليه بخاتمه وأمر به فألقي في البحر وهو حي كذلك حتى تقوم الساعة

(١) في ابن كثير
ما أحمدم على عذركم

وفي بعض الروايات أن سليمان لما اتتن سقط الخاتم من يده وكان فيه ملكه فأعاده سليمان إلى يده فسقط فأيقن سليمان بالفنته فأتى آصف فقال لسليمان أنك مفتون بذنبك والخاتم لا يتهاسك في يده أربعة عشر يوماً ففر إلى الله تائباً وإني أقوم مقامك وأسير بسيرتك إلى أن يتوب الله عليك ففر سليمان هارباً إلى ربه وأخذ آصف الخاتم فوضعه في أصبعه فثبت فهو الجسد الذي قال الله تعالى ، وأقينا على كرسيه جسداً) فأقام آصف في ملكه يسير بسيرته أربعة عشر يوماً إلى أن رد الله على سليمان ملكه فجلس على كرسيه وأعاد الخاتم في يده فثبت

وروي عن سعيد بن المسيب قال : احتجب سليمان عن الناس ثلاثة أيام فأوحى الله إليه احتجبت عن الناس ثلاثة أيام فلم تنظر في أمور عبادي فأبتلاه الله عز وجل وذكر حديث الخاتم وأخذ الشيطان

بهاه وملكه فجاءت الطير حتى حامت عليه فعرف القوم انه سليمان عليه الصلاة والسلام فقام القوم يعتذرون مما صنعوا فقال ما أحدكم على عذرکم ولا الوهمک على ما كان منكم كان هذا الامر لا بد منه قال فجاء حتى أتى ملكه وأرسل إلى الشيطان فجاء به فأمر به فجعل في صندوق من حديد ثم أطبق عليه وقفل عليه بقفل وختم عليه بخاتم ثم أمر به فألقي في البحر فهو فيه حتى تقوم الساعة وكان اسمه حقيق قال وسخر الله له الريح ولم تكن سخرت له قبل ذلك وهو قوله (وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي انك أنت الوهاب

وقال ابن أبي نجیح عن مجاهد في قوله تبارك وتعالى (وألقينا على كرسيه جسدا) قال شيطاننا يقال له آصف فقال له سليمان عليه السلام كيف تعتنون الناس؟ قال أرني خاتمك أخبرك فلما أعطاه إياه نبذه آصف في البحر فساح سليمان عليه السلام وذهب ملكه وقعد آصف على كرسيه ومنعه الله تبارك وتعالى من نساء سليمان فلم يقربهن ولم يقربنه وأنكرنه قال فكان سليمان عليه الصلاة والسلام يستطيعهم فيقول أنصرفوني؟ أطعموني أنا سليمان فيكذبونه حتى أعطته امرأة يوما حوتا ففتح بطنه فوجد خاتمه في بطنه فرجع إليه ملكه وفر آصف فدخل البحر . وهذه كلها من الاسرائيليات ، ومن أنكرها ما قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن العلاء وعثمان بن أبي شيبة وعلي بن محمد قالوا حدثنا أبو هاروة أخبرنا الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب) قال أراد سليمان عليه الصلاة والسلام ان يدخل الخلاء فأعطى الجرادة خاتمه وكانت الجرادة امرأته وكانت أحب نسائه إليه فجاء الشيطان في صورة ساجان فقال لها هاتي خاتمي أعطته إياه فلما أبسه دانت له الانس والجن والشياطين فلما خرج سليمان عليه السلام من الخلاء قال لها هاتي خاتمي قالت قد أعطيته سليمان قال أنا سليمان قالت كذبت ما أنت بسليمان فجعل لا يأتي أحدا يقول له أنا سليمان الا كذبه حتى جعل الصبيان يرمونه بالحجارة فلما رأى ذلك سليمان عرف أنه من أمر الله عز وجل قال وقام الشيطان يحكم بين

إياه كاربونا ، وقيل قال سليمان يوما لأطوفن الليلة على نسائي كلهن فتأتي كل واحدة بابن مجاهد في سبيل الله ولم يستثن فجامعن فما خرج له منهن الا شق مولود فجاءت به القابلة فألقته على كرسيه فذلك قوله تعالى (وألقينا على كرسيه جسدا)

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أبو اليمان أنا شعيب ثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « قال سليمان لأطوفن الليلة على تسعين امرأة كلهن تأتي بفارس مجاهد في سبيل الله فقال له الملك قل إن شاء الله فلم يقل ونسي فطاف عليهن فلم تحمل منهن الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل وإيم الذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون » وقال طاوس عن أبي

الناس فلما أراد الله تبارك وتعالى أن يرد على سليمان سلطانه ألقى في قلوب الناس انكار ذلك الشيطان قال فأرسلوا إلى نساء سليمان فقالوا لمن تذكرن من سليمان شيئا ؟ قلن نعم انه يأتينا ونحن حيض وما كان يأتينا قبل ذلك فلما رأى الشيطان انه قد فطن له ظن ان أمره قد انقطع فكتبوا كتبها فيها سحر وكفر فدفعوها تحت كرسي سليمان ثم أثاروها وقرروها على الناس وقالوا بهذا كان يظهر سليمان على الناس ويغلبهم فأكفر الناس سليمان عليه الصلاة والسلام فلم يزالوا يكفرونه وبعث ذلك الشيطان بالخنزير فطرحه في البحر فلتفته سمكة فأخذته، وكان سليمان عليه السلام يحمل على شط البحر بالأجر فجاء رجل فاشترى سمكا فيه تلك السمكة التي في بطنها الخنزير فدعا سليمان عليه الصلاة والسلام فقال تحمل لي هذا السمك ؟ فقال نعم قال بكم ؟ قال بسمكة من هذا السمك قال فحمل سليمان عليه الصلاة والسلام السمك ثم انطلق به إلى منزله فلما انتهى الرجل إلى بابه أعطاه تلك السمكة التي في بطنها الخنزير فأخذها سليمان عليه الصلاة والسلام فشق بطنها فاذا الخنزير في جوفها فأخذه فلبسه ، قال فلما لبسه دانت له الجن والانس والشياطين وعاد إلى حاله وهرب الشيطان حتى لحق بحجيرة من جوار البحر فأرسل سليمان عليه السلام في طلبه وكان شيطانا مريداً فجعلوا يطلبونه ولا يقدررون عليه حتى وجدوه يوما نائما فجاءوا فبنوا عليه بنيانا من رصاص فاستيقظ فوثب فجعل لا يثب في مكان من البيت إلا انماط معه من الرصاص ، قال فأخذوه فأوثقوه وجاءوا به إلى سليمان عليه الصلاة والسلام فأمر به فنقر له نحت من رخام ثم أدخل في جوفه ثم سد بالنحاس ثم أمر به فطرح في البحر فذلك قوله تبارك وتعالى (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب) يعني الشيطان الذي كان سيط عليه ، إسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قوي ، ولكن الظاهر انه إنما تلقاه ابن عباس رضي الله عنهما ان صح عنه من أهل الكتاب وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام فالظاهر أنهم يكذبون عليه ، ولهذا كان في هذا السياق منكرات من أشدها ذكر النساء فان المشهور عن مجاهد وغير واحد من أئمة السلف أن ذلك الجني لم يسلط على نساء سليمان بل عصمه الله عز وجل منه تشريفاً وتكريماً لنبيه عليه السلام

وقد رويت هذه القصة مطولة عن جماعة من السلف رضي الله عنهم كسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وجماعة آخرين وكلها متفقة من قصص أهل الكتاب والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وقال يحيى بن أبي عروبة الشيباني : وجد سليمان خاتمه بهسقلان فمضى في حرقه إلى بيت المقدس تواضعاً لله عز وجل ، رواه ابن أبي حاتم

هريرة لأطوفن القليلة بمائة امرأة قال له الملك قل إني شاء الله فلم يقل ونسي ، وأشهر الاقاييل أن الجسد الذي ألقى على كرسيه هو صخر الجني فذلك قوله عز وجل (وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب) أي رجع الى ملكه بعد أربعين يوماً فلما رجع

وقد روى ابن أبي حاتم عن كعب الاحبار في صفة كرسي سليمان عليه الصلاة والسلام خبراً عجيباً فقال حدثنا أبي رحمه الله حدثنا أبو صالح كاتب الليث أخبرني أبو اسحاق المصري عن كعب الاحبار انه لما فرغ من حديث إرم ذات العماد قال له معاوية يا أبا اسحاق أخبرني عن كرسي سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام وما كان عليه ومن أي شيء هو؟ فقال كان كرسي سليمان من أنياب الفيلة مصصاً بالدر والياقوت والزبرجد واللؤلؤ، وقد جعل له درجة منها مفصصاً بالدر والياقوت والزبرجد ثم أمر بالكرسي فحف من جانبه بالنخل فخل من ذهب شماريخها من ياقوت وزبرجد ولؤلؤ، وجعل على رؤوس النخل التي عن يمين الكرسي طواويس من ذهب ثم جعل على رؤوس النخل التي على يسار الكرسي نسورا من ذهب مقابلة الطواويس، وجعل على يمين الدرجة الاولى شجرة في صنوبر من ذهب عن يسارها أسدان من ذهب وعلى رؤوس الاسدين عمودان من زبرجد، وجعل من جانبي الكرسي شجرة في كرم من ذهب قد أظلتا الكرسي وجعل عناقيدهما درا وياقوتا أحمر، ثم جعل فوق درج الكرسي أسدان عظيمان من ذهب مجوقان محشوان مسكاً وعنبراً، فإذا أراد سليمان عليه السلام أن يصعد على كرسيه استدار الأسدان ساعة ثم يقعان فينضجان ما في أجوافهما من المسك والعنبر حول كرسي سليمان عليه الصلاة والسلام، ثم يوضع منبران من ذهب واحد لخليفته والآخر لرئيس أخصاب بني إسرائيل ذلك الزمان، ثم يوضع أمام كرسيه سبعون منبراً من ذهب يقعد عليها سبعون قاضياً من بني إسرائيل وعلمائهم وأهل الشرف منهم والطول، ومن خلف تلك المنابر كلها خمسة وثلاثون منبراً من ذهب ليس عليها أحد فإذا أراد أن يصعد على كرسيه وضع قدميه على الدرجة السفلى فاستدار الكرسي كله بما فيه وما عليه ويسط الأسد يده اليمنى وينشر النسر جناحه الابر ثم يصعد سليمان عليه الصلاة والسلام على الدرجة الثانية فييسط الأسد يده اليسرى وينشر النسر جناحه الايمن فإذا استوى سليمان عليه الصلاة والسلام على الدرجة الثالثة وقعد على الكرسي أخذ نسر من تلك النسور عظيم تاج سليمان عليه الصلاة والسلام فوضعه على رأسه فإذا وضعه على رأسه استدار الكرسي بما فيه كما تدور الرمحى المسرعة، فقال معاوية رضي الله عنه : وما الذي يدبره يا أبا اسحاق ؟ قال تين من ذهب ذلك الكرسي عليه وهو عظيم مما عمله صنخر الجنى فإذا أحست بدررانه تلك الاسود والنسور والطواويس التي في أسفل الكرسي دون إلى أعلاه فإذا وقف وقفن كلهن منكسات رؤوسهن على رأس سليمان عليه الصلاة والسلام وهو جالس ثم ينضجن جميعاً ما في أجوافهن من المسك والعنبر على رأس سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام، ثم تتنارل حمامة من ذهب واقفة على عمود من جوهر التوراة فتجعلها في يده فيقرأها سليمان عليه الصلاة والسلام على الناس . وذكر تمام الخبر وهو غريب جداً

(قال رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب) قال بعضهم

(قال رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي) قال مقاتل وابن كيسان لا يكون لأحد من بعدي

معناه لا ينبغي لأحد من بعدي أي لا يصلح لأحد أن يسلبني بعدي كما كان من قضية الجسد الذي ألقى على كرسيه لأنه يحجر على من بعده من الناس . والصحيح أنه سأل من الله تعالى ملكا لا يكون لأحد من بعده من البشر مثله وهذا هو ظاهر السياق من الآية وبذلك وردت الاحاديث الصحيحة من طرق عن رسول الله ﷺ

قال البخاري عند تفسير هذه الآية حدثنا اسحاق بن ابراهيم أخبرنا روح ومحمد بن جعفر عن شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « ان عفريتاً من الجن تفلت على البارحة أو كلمة نحوها ليقطع علي الصلاة فامكنني الله تبارك وتعالى منه وأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تضحوا وتنظروا إليه كلكم فذكرت قول أخي سليمان عليه الصلاة والسلام (رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي) قال روح فردّه خاسثاً وكذا رواه مسلم والنسائي من حديث شعبة به

وقال مسلم في صحيحه حدثنا محمد بن سلمة المرادي حدثنا عبد الله بن وهب عن معاوية بن صالح حدثني ربيعة بن يزيد عن أبي إدريس الخولاني عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قام رسـول الله ﷺ يصلي فسمعناه يقول « أعوذ بالله منك - ثم قال - ألعنك بلعنة الله » ثلاثاً وبسط يده كأنه يتناول شيئاً فلما فرغ من الصلاة قلنا يا رسول الله سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورأيناك بسطت يدك قال ﷺ « إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجمعه في رجلي فقلت أعوذ بالله منك ثلاث مرات ثم قلت ألعنك بلعنة الله التامة فلم يستأخر ثلاث مرات ثم أردت أن أخذه والله لولا دعوة أخي سليمان لأصبح موثقاً يلعب به صبيان أهل المدينة »

وقال الامام أحمد حدثنا أبو أحمد حدثنا مسرة بن معبد حدثنا أبو عبيد حاجب سليمان قال رأيت عطاء بن يزيد اللبني قائماً يصلي فذهبت أمر بين يديه فردني ثم قال حدثني أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قام يصلي صلاة الصبح وهو خلفه فقرأ فاتنست عليه القراءة فلما فرغ من صلاته قال « لورأيتوني وإبليس فأهويت بيدي فما زلت أخنقه حتى وجدت برد لعابه بين أصبعي هاتين - الإبهام والتي تليها - ولولا دعوة أخي سليمان لأصبح مربوطاً بسارية من سواري المسجد يلعب به صبيان المدينة فن استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل » وقدرى أبو داود منه « من استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل » عن أحمد بن أبي سريج عن أبي أحمد الزبيري به .

قال عطاء بن أبي رباح يريد هب لي ملكاً لا تسلبني في آخر عمري وتعطيه غيري كما استلبته فيما مضى من عمري (انك أنت الوهاب) قيل سال ذلك ليكون آية لتبوءه ودلالة على رسالته ومعجزة، وقيل سأل ذلك ليكون علماً على قبول توبته حيث أجاب الله دعاءه ورد إليه ملكه وزاده فيه، وقال مقاتل بن حيان كان سليمان ملكاً، ولكنه أراد بقوله (لا ينبغي لأحد من بعدي) تسخير الرياح والطير والشياطين بدليل ما بعده

وقال الامام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا ابراهيم بن محمد الفزاري حدثنا الأوزاعي حدثني ربيعة بن يزيد عن عبد الله الديلمي قال دخلت على عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وهو في حائط له بالطائف يقال له الوهط وهو مخاصر قتي من قريش يزن ويشرب الخمر فقلت بلغني عنك حديث انه « من شرب شربة من الخمر لم يقبل الله عز وجل له توبة أربعين صباحا ، وإن الشقي من شقي في بطن أمه ، وأنه من أتى بيت المقدس لا تنهزه إلا الصلاة فيه خرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه » فلما سمع الفتى ذكر الخمر اجتذب يده من يده ثم انطلق ، فقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما إني لا أحل لاحد أن يقول علي ما لم أقل - سمعت رسول الله ﷺ يقول « من شرب من الخمر شربة لا تقبل له صلاة أربعين صباحا فان تاب الله عليه فان عاد لم تقبل له صلاة أربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه - قال فلا أدري في الثالثة أو الرابعة قال - فان عاد كان حقا على الله تعالى أن يسقيه من طينة الخبال يوم القيامة » قال وسمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الله عز وجل خلق خاقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه من نوره يومئذ اهتدى ومن أخطأه ضل فذلك أقول جف القلم على علم الله عز وجل » وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن سليمان عليه السلام سأل الله تعالى ثلاثا فأعطاه اثنتين ونحن نرجوا أن تكون لنا الثالثة ، سأله حكما يصادف حكمه فأعطاه إياه - وأله ملكا لا ينبغي لاحد من بعده ، فأعطاه إياه وسأله أن يكون له رجل يخرج من بيته لا يريد إلا الصلاة في هذا المسجد خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه ففهمنا نرجوا أن يكون الله عز وجل قد أعطانا إياها » وفدروى هذا الفصل الاخير من هذا الحديث النسائي وابن ماجه من طرق عن عبد الله بن فيروز الديلمي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « إن سليمان عليه الصلاة والسلام لما بنى بيت المقدس سأل ربه عز وجل خلا لا ثلاثا ، وذكره وقد روي من حديث رافع بن عمر رضي الله عنه بأسناد وسباق غريبين

فقال الطبراني حدثنا محمد بن الحسن بن قتيبة العسقلاني حدثنا محمد بن أيوب بن سويد حدثني أبي حدثنا ابراهيم بن أبي عبله عن أبي لزا هرية عن رافع بن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « قال الله عز وجل لداود عليه الصلاة والسلام ابن لي بيتا في الارض فبنى داود بيتا لنفسه قبل البيت الذي أمر به فادعى الله إليه باداود نصبت بيتك قبل بيتي قال يارب هكذا قضيت من ملك استأثرتم أخذ في بناء المسجد فلما تم السور سقط ثلاثا فاشكا ذلك الى الله عز وجل فقال لداود انك لا تصلح ان تبني لي بيتا قال ولم يارب ؟ قال لما جرى على يديك من الدماء ، قال يارب أو ما كان

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن بشر ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « إن عفريتاً من الجن تفلت بالراحه ليقطع علي صلاتي فأمكنني الله منه فأخذته فأردت أن أربطه على سارية

ذلك في هوائك ومحبتك؟ قال بلى ولكنهم عبادي وأنا أرحمهم فشق ذلك عليه فأوحى الله إليه لا تهزن فاني سأقضي بناءه على يدي ابنك سليمان فلما مات داود أخذ سليمان في بنائه ولما تم قرب القرايين وذبح الذبائح وجمع بني إسرائيل فأوحى الله إليه قد أرى مرورك بيننا يتي فـلـمـنـي أعطاك قال أسألك ثلاث خصال ، حكما يصادف حكمك وملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي ومن آتى هذا البيت لا يريد إلا الصلاة فيه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه - قال رسول الله ﷺ - أما الثنتان فقد أعطيهما وأنا أرجو أن يكون قد أعطى الثالثة »

وقال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا عمر بن راشد البجلي حدثنا اياس بن سلمة بن الاكوع عن أبيه رضي الله عنه قال ما سمعت رسول الله ﷺ دعا الا استفتح به « سبحان الله ربّي العلي الاعلى الوهاب » وقد قال أبو عبيد حدثنا علي بن ثابت عن جعفر بن برقان عن صالح بن مسمار قال : لما مات نبي الله داود عليه السلام أوحى الله تبارك وتعالى الى ابنه سليمان عليه الصلاة والسلام أن سـلـنـي حاجتك قال أسألك ان تجعل لي قلباً يخشاك كما كان قلب أبي وان تجعل قلبي يحبك كما كان قلب أبي فقال الله عز وجل : أرسلت الى عبدي وسألته حاجته فكانت حاجته ان أجعل قلبه يخشائي وان أجعل قلبه يحبني لأهين له ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده .

قال الله جعلت عظمتي (فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب) والتي بعدها قال فاعطاه ما أعطاه وفي الآخرة لاحساب عليه هكذا أورده أبو القاسم ابن عساكر في ترجمة سليمان عليه الصلاة والسلام في تاريخه ، وروي عن بعض السلف انه قال بلغني عن داود عليه الصلاة والسلام انه قال الهي كن لسليمان كما كنت لي فأوحى الله عز وجل اليه : قل لسليمان ان يكون لي كما كنت لي أكن له كما كنت لك .

وقوله تبارك وتعالى (فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب) قال الحسن البصري رحمه الله لما عقر سليمان عليه الصلاة والسلام الخيل غضب الله عز وجل عوضه الله تعالى ما هو خير منها وأسرع الريح التي غدوها شهر ورواحها شهر

وقوله جل وعلا (حيث أصاب) أي حيث أراد من البلاد وقوله جل جلاله (والشياطين كل بناء وغواص) أي منهم من هو مستعمل في الابنية الهائلة من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب

من سوارى المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة أخي سليمان (رب هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي) فردده خاسئاً »

قوله عز وجل (فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء) لينة ليست بعاصفة (حيث أصاب) حيث أراد تقول العرب أصاب الصواب فأخطأ الجواب تريد أراد الصواب (والشياطين) أي وسخرنا له الشياطين (كل بناء) يبنون له ما يشاء من محاريب وتماثيل (وغواص) يستخرجون له اللآلئ من

وقدور راسيات الى غير ذلك من الاعمال الشاقة التي لا يقدر عليها البشر، وطائفة غواصون في البحار يستخرجون ما فيها من اللآلي، والجواهر والاشياء النفيسة التي لا توجد الا فيها (وآخرين مقرنين في الاصفاد) أي موثوقون في الاغلال والا كبال ممن قد تمرد وعصى، وامتنع من العمل وأبى، أو قد أساء في صنيعه واعتدى

وقوله عز وجل (هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب) أي هذا الذي أعطيناك من الملك التام والسلطان الكامل كما سألتنا فاعط من شئت وأحرم من شئت لاحساب عليك أي مهما فعلت فهو جائز لك احكم بما شئت فهو صواب

وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ لما خير بين أن يكون عبداً رسولاً وهو الذي يفعل ما يؤمر به وإنما هو قائم بتسم بين الناس كما أمره الله تعالى به وبين أن يكون نبياً ملكاً يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، بلا حساب ولا جناح اختار المنزلة الاولى بعد ما استشار جبريل عليه الصلاة والسلام فقال له تواضع فاختر المنزلة الاولى لأنها أرفع قدراً عند الله عز وجل وأعلى منزلة في المعاد وإن كانت المنزلة الثانية وهي النبوة مع الملك عظيمة أيضاً في الدنيا والآخرة، ولهذا لما ذكر تبارك وتعالى ما أعطى سليمان عليه الصلاة والسلام في الدنيا نبه تعالى على أنه ذو حظ عظيم عند الله يوم القيامة أيضاً فقال تعالى (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) أي في الدار الآخرة

واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أي مسني الشيطان بنصب وعذاب (٤١) اركض برجلك هذا مفتسل بارد وشراب (٤٢) ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الالباب (٤٣) وخذي يدك ضعفاً فاضرب به ولا تمنح إننا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب (٤٤) يذكر تبارك وتعالى عبده ورسوله أيوب عليه الصلاة والسلام وما كان ابتلاءه تعالى به من الضر

البحر وهو أول من استخرج اللؤلؤ من البحر (وآخرين مقرنين في الاصفاد) مشدودين في القيود أي وسخرنا له آخرين يعني مردة الشياطين سخرنا له حتى قرنهم في الاصفاد (هذا عطاؤنا) أي قلنا له هذا عطاؤنا (فامنن أو أمسك) المن هو الاحسان إلى من تثببه ومن لا تثببه معناه اعط من شئت وامسك عن شئت (بغير حساب) لاهرج عليك فيما أعطيت وفيما أمسكت ، قال الحسن ما أنعم الله على أحد نعمة الا عليه تبة ، إلا سليمان فإنه إن أعطى أوجر وإن لم يعط لم يكن عليه تبة وقال مقاتل هذا في أمر الشياطين يعني خل من شئت منهم وأمسك من شئت في وثاقلك لاتبة عليك فيما تتعاطاه (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب)

وقوله عز وجل (واذا ذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أي مسني الشيطان بنصب) بمشقة وضر

في جسده وماله وولده حتى لم يبق من جسده مفرز إبرة سلبا سوى قلبه ، ولم يبق له من الدنيا شيء . يستعين به على مرضه وما هو فيه غير أن زوجته حفظت وده لايأمنها بالله تعالى ورسوله فكانت تخدم الناس بالاجرة وتطعمه وتخدمه نحواً من ثمانى عشرة سنة ، وقد كان قبل ذلك في مال جزيل وأولاد وسعة طائلة من الدنيا ، فسلم جميع ذلك حتى آل به الحال الى أن ألقى على مزبلة من مزابل البلدة هذه المدة بكاملها ورفضه القريب والبعيد سوى زوجته رضي الله عنها فانها كانت لاتفارقه صباحا ومساء إلا بسبب خدمة الناس ثم تعود اليه قريباً ، فلما طال الماطل ، واشتد الحال ، وانتهى القدر ، ونم الاجل ، المقدر تضرع لرب العالمين وإله المرسلين فقال : إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين (وفي هذه الآية السكينة قال) واذا ذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه إني مسني الشيطان بنصب وعذاب (قيل بنصب في بدني وعذاب في مالي وولدي فعند ذلك استجاب له أرحم الراحمين وأمره أن يقوم من مقامه وأن يركض الارض برجله ففعل فأنبع الله تعالى عيناً وأمره أن يغتسل منها فأذهبت جميع ما كان فيه بدنه من الاذى ، ثم أمره فضرب الارض في مكان آخر فأنبع له عيناً أخرى وأمره أن يشرب منها فأذهبت جميع ما كان في باطنه من السوء وتكاملت العافية ظاهراً وباطناً ، ولهذا قال تبارك وتعالى (اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب)

قال ابن جرير وابن أبي حاتم جميعاً حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن رهب أخبرني نافع ابن يزيد عن عقيل عن ابن شهاب عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : ان رسول الله ﷺ قال « ان نبي الله أيوب عليه الصلاة والسلام لبث به بلاؤه ثمانى عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين كانا من أخص إخوانه به كانا يقدوان اليه ويروحان ، فقال أحدهما لصاحبه تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنباً ما أذنبه أحد من العالمين قال له صاحبه وما ذاك ؟ قال منذ ثمانى عشرة سنة لم يرحمه تعالى الله فيكشف ما به فلما راحا اليه لم يبصر الرجل حتى ذكر ذلك له ، فقال أيوب عليه الصلاة والسلام لا أدري ما تقول غير أن الله عز وجل يعلم أي كنت أمر على الرجلين يتنازعا فيذكر أن الله تعالى فأرجع الى بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله تعالى إلا في حق ، قال وكان يخرج الى حاجته فاذا قضاها أمسكت امرأته يده حتى يبلغ فلما كان ذات يوم أبطأ عليها فأوحى الله تبارك وتعالى إلى أيوب عليه

قرأ أبو جعفر (بنصب) بضم النون والصاد وقرأ يعقوب بفتحهما وقرأ الآخرون بضم النون وسكون الصاد ومعنى الكل واحد قال قتادة ومقاتل (بنصب في الجسد) وعذاب (في المال وقد ذكرنا قصة أيوب ومدة ابتلائه في سورة الانبياء عليهم السلام فلما انقضت مدة بلائه قيل له (اركض برجلك) اضرب برجلك الارض ففعل فنبعت عين ماء (هذا مغتسل) فأمره الله أن يغتسل منها ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى أربعين خطوة فركض الارض برجله الاخرى فنبعت عين أخرى ماء عذبا بارداً فشرب منها فذهب كل داء كان بباطنه نقوله (هذا مغتسل) (بارد) يعني الذي

الصلاة والسلام أن (أركض برجلك هذا مفتسل بارد وشراب) فاستبطأنه فالتفتت تنظر فأقبل عليها قد أذهب الله مابه من البلا، وهو على أحسن ما كان فلما رآه قالت أي بارك الله فيك هل رأيت نبي الله هذا المبلى؟ فوالله على ذلك مارأيت رجلاً أشبه به منك إذ كان صحيحاً قل فإني أنا هو قال وكان له اندران اندر القمح واندرا الشعير فبعث الله تعالى سحابتين فلما كانت إحداهما على اندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض وأفرغت الأخرى في اندر الشعير حتى فاض هذا لفظ ابن جرير رحمه الله وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « بيننا أيوب يفتسل عريانا خر عليه جراد من ذهب فجعل أيوب عليه الصلاة والسلام يحثو في ثوبه فتداه ربه عز وجل يا أيوب ألم أكن أغنيك عما ترى قال عليه الصلاة والسلام بلى يارب ولكن لا غنى لي عن بركتك » انفرد بإخراجه البخاري من حديث عبد الرزاق به ، ولهذا قال تبارك وتعالى (ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا نذكرى لأولي الألباب) قال الحسن وقتادة أحياهم الله تعالى له بأعيانهم وزادهم مثلهم معهم

وقوله عز وجل (رحمة منا) أي به على صبره وقيامه وإقامته وتواضعه واستكناته (وذكروا لأولي الألباب) أي لذوي العقول ليعلموا أن عاقبة الصبر الفرج والمخرج والراحة وقوله جات عظمته (وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحث) وذلك أن أيوب عليه الصلاة والسلام كان قد غضب على زوجته ووجد عليها في أمر فعلته قبيل باعت ضفيرتها بخبز فأطعمته إياه فلامها على ذلك وحلف أن شفاه الله تعالى ليضربها مائة جلدة ، وقيل لغير ذلك من الأسباب فلما شفاه الله عز وجل وعافاه ما كان جزاؤها مع هذه الخدمة التامة والرحمة والشفقة والاحسان أن تقابل بالضرب فأنتاه الله عز وجل أن يأخذ ضغثاً وهو الشمراخ فيه مائة قضيب فيضربها به ضربة واحدة وقد برت يمينه وخرج من حنثه ووفى بندره ، وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله تعالى وأتاب إليه ولهذا قال جل وعلا (إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب) أثنى الله تعالى عليه ومدحه بأنه (نعم العبد إنه أواب) أي رجاع منيب ، ولهذا قال جل جلاله (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا (واستدل كثير من الفقهاء بهذه الآية السكينة على مسائل في الإيمان وغيرها ، وقد أخذوها بمقتضاها والله أعلم بالصواب

واذكر عبدنا إبراهيم واسحق ويعقوب أولي الأيدي والابصر (٤٥) إنا أخلصناهم

اغتسل منه بارد (وشراب) أراد الذي شرب منه (ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكروا لأولي الألباب) وخذ بيدك ضغثاً وهو ملء الكف من الشجر أو الحشيش (فاضرب به ولا تحث) في يمينك وكان قد حلف أن يضرب امرأته مائة سوط فأمره الله أن يأخذ ضغثاً يشتمل على مائة عود صغار يضربها به ضربة واحدة (إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب) واذكر عبدنا (قرأ

بِخَالِصَةٍ ذَكَرَى الدَّارَ (٤٦) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْآخِيَارِ (٤٧) وَاذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ
وَالْيَسْمُ وَذَا الْكَفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْآخِيَارِ (٤٨) هَذَا ذِكْرُ

يقول تبارك وتعالى مخبراً عن فضائل عباده المرسلين وأنبيائه العابدین (واذكر عبادنا إبراهيم
واسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار) يعني بذلك العمل الصالح والعلم النافع والقوة في العبادة
والبصيرة النافذة . قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما [أولي الأيدي] يقول أولي
القوة (والأبصار) يقول الفقه في الدين . وقال مجاهد [أولي الأيدي] يعني القوة في طاعة الله تعالى
والأبصار يعني البصر في الحق وقال قتادة والسدي أعطوا قوة في العبادة وبصراً في الدين

وقرأه تبارك وتعالى [إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار] قال مجاهد أي جعلناهم يعملون
للآخرة ليس لهم هم غيرها وكذا قال السدي ذكرهم للآخرة وعملهم لها ، وقال مالك بن دينار
نزع الله تعالى من قلوبهم حب الدنيا وذكراها وأخلصهم بحب الآخرة وذكراها ، وكذا قال عطاء
الخراساني ، وقال سعيد بن جبیر يعني بالدار الجنة يقول أخلصناهم لهم بذكرهم لها ، وقال في رواية
أخرى ذكرى الدار عقبى الدار ، وقال قتادة كانوا يذكرون الناس الدار الآخرة والعمل لها ، وقال
ابن زيد جعل لهم خاصة أفضل شيء في الدار الآخرة

وقوله تعالى [وإنهم عندنا من المصطفين الأخيار] أي لمن المختارين المجتبيين الأخيار فهم أخيار
مختارون . وقوله تعالى [واذكر اسماعيل وإيسع وذو الكفل وكل من الأخيار] قد تقدم الكلام
على قصصهم وأخبارهم مستقصاة في سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بما أغنى عن إعادته هنا وقوله
عز وجل [هذا ذكر] أي هذا فصل فيه ذكر لمن يتذكر ، وقال السدي يعني القرآن العظيم

ابن كثير عبدنا على التوحيد وقرأ الآخرون عبادنا بالجهم (إبراهيم واسحاق ويعقوب أولي الأيدي
قال ابن عباس أولي القوة في طاعة الله (والأبصار) في المعرفة بالله أي البصائر في الدين قال قتادة
ومجاهد أعطوا قوة في العبادة وبصراً في الدين (إنا أخلصناهم) اصطفييناهم (بخالصة ذكرى
الدار) قرأ أهل المدينة بخالصة مضافاً وقرأ الآخرون بالتنوين فمن أضاف فعناه أخلصناهم بذكر
الدار الآخرة وأن يعملوا لها والذكرى بمعنى الذكر قال مالك بن دينار نزعنا من قلوبهم حب الدنيا
وذكراها وأخلصناهم بحب الآخرة وذكراها وقال قتادة كانوا يدعون إلى الآخرة وإلى الله عز وجل
وقال السدي أخلصوا بخوف الآخرة وقيل معناه أخلصناهم بأفضل ما في الآخرة ، قال ابن زيد ومن
قرأ بالتنوين فعناه بخلة خالصة وهي ذكرى الدار فيكون ذكرى الدار بدلاً عن الخالصة وقيل أخلصناهم
جعلناهم مخلصين بما أخبرنا عنهم من ذكر الآخرة (وإنهم عندنا من المصطفين الأخيار) واذكر
اسماعيل وإيسع وذو الكفل وكل من الأخيار (هذا ذكر) أي هذا الذي يتلى عليكم ذكر وقيل

وإن للمتقين لحسن مآب (٤٩) جنت عدن مفتحة لهم الابواب (٥٠) متكئين فيها يدعون فيها بفككة كثيرة وشراب (٥١) وعندهم قصص الطرف أتراب (٥٢) هذا ماتوعدون ليوم الحساب (٥٣) ان هذا الرزقنا ماله من نفاد (٥٤)

يخبر تعالى عن عباد المؤمنين السعداء أن لهم في الدار الآخرة لحسن مآب وهو المرجع والمنقلب ثم فسره بقوله تعالى (جنات عدن) أي جنات اقامة مفتحة لهم الابواب والالف واللام هنا بمعنى الاضافة كأنه يقول مفتحة لهم أبوابها أي اذا جاءوها فتحت لهم أبوابها قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن ثواب الهباري حدثنا عبد الله بن نمير حدثنا عبد الله بن مسلم يعني ابن هرم عن ابن سابط عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « إن في الجنة قصر أ يقال له عدن حوله البروج والمروج له خمسة آلاف باب عنه كل باب خمسة آلاف حبرة لا يدخله أو لا يسكنه إلا نبي أو صديق أو شهيد أو إمام عدل » وقد ورد في ذكر أبواب الجنة الثمانية أحاديث كثيرة من وجوه عديدة

وقوله عز وجل (متكئين فيها) قيل متربعين على سرر تحت الحجال (يدعون فيها بفككة كثيرة) أي مما طلبوا وجدوا وأحضروا كما أرادوا (وشراب) أي من أي أنواعه شاءوا أتهم به الخدام (بأ كواب وأباريق وكأس من معين) (وعندهم قاصرات الطرف) أي عن غير أزواجهن فلا يلتفتن إلى غير بعولتهن (أتراب) أي متساويات في السن والعمر هذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب والسدي (هذا ماتوعدون ليوم الحساب) أي هذا الذي ذكرنا من صفة الجنة هي التي وعدوا لعباده المتقين التي يصيرون اليها بعد نشورهم وقيامهم من قبورهم وسلامتهم من النار

ثم أخبر تبارك وتعالى عن الجنة أنه لا فراغ لها ولا زوال ولا انقضاء ولا انتهاء فقال تعالى (إن هذا الرزقنا ماله من نفاد) كقوله عز وجل (ما عندكم ينفد وما عند الله باق) وكقوله جل وعلا (عطاء غير مجذوذ) وكقوله تعالى (لهم أجر غير ممنون) أي غير مقطوع وكقوله عز وجل (أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار) والآيات في هذا كثيرة جدا

ذكر أي شرف وذكر جميل تذكرون به ﴿ وإن للمتقين لحسن مآب ﴾ جنات عدن مفتحة لهم الابواب ﴿ أي أبوابها مفتحة لهم ﴾ متكئين فيها يدعون فيها بفككة كثيرة وشراب ﴿ وعندهم قاصرات الطرف أتراب ﴾ مستويات الاسنان بنات ثلاث وثلاثين سنة واحدا ترب وعن مجاهد قال متواخيات لا يتباغضن ولا يتغايرن ﴿ هذا ماتوعدون ﴾ قرأ ابن كثير يوعدون بالياء هنا وفي (ق) أي ما يوعده المتقون وافق أبو عمرو ههنا، وقرأ الباقر بالتاء فيهما أي قل للمؤمنين هذا ماتوعدون ﴿ ليوم الحساب ﴾

هذا وإن للطاغين لشرّ مَثَابٍ (٥٥) جهنّم يصلونها فبئس المماد (٥٦) هذا فليذوقوه
جميعً وغساق (٥٧) وآخر من شكله أزواج (٥٨) هذا فوج مقتحم معكم لا مرحباً بهم
لأنهم صالوا النار (٥٩) قالوا بل أنتم لا مرحباً بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار (٦٠)
قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً في النار (٦١) وقالوا مالنا لا نرى رجلاً
كنا نعبدكم من الاشرار ؟ (٦٢) اتخذنهم سخرياً أم زأغت عنهم الابصير ؟ (٦٣) ان ذلك
لحقٌ تخصم أهل النار (٦٤)

لما ذكر تبارك وتعالى مآل السعداء ثنى بذكر حال الاشقياء . ومرجعهم ومآبهم في دار معادهم
وحسابهم فقال عز وجل (هذا وان لطاغين) وهم الخارجون عن طاعة الله عز وجل الخافون لرسول
الله ﷺ (لشر مآب) أي اسوء منقلب ومرجع ، ثم فسره بقوله جل وعلا (جهنم يصلونها) أي
يدخلونها فتعمرهم من جميع جوانبهم (فبئس المماد * هذا فليذوقوه جميع وغساق) أما الحميم فهو الحار
الذي قد انتهى حره ، وأما الغساق فهو ضده وهو البارد الذي لا يستطيع من شدة برده المؤلم ولهذا
قال عز وجل [وآخر من شكله أزواج] أي وأشياء من هذا القبيل : السبي ، وضده يعاقبون بها
قال الامام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد
رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال « لو أن دلوا من غساق بهراق في الدنيا لأن أهل الدنيا »
ورواه الترمذي عن سويد بن نصر عن ابن المبارك عن رشدين بن سعد عن عمرو بن الحارث عن دراج به

أي في يوم الحساب (إن هذا لرزقنا ماله من نفاد) فناء وانقطاع (هذا) أي الامر هذا (وان
لطاغين) الكافرين (لشر مآب) مرجع (جهنم يصلونها) يدخلونها (فبئس المماد * هذا) أي
هذا العذاب (فليذوقوه جميع وغساق) قال الفراء أي هذا جميع وغساق فليذوقوه والحميم الماء الحار
الذي انتهى حره وغساق قرأ حمزة والكسائي وحفص وغساق حيث كان بالتشديد وخفها الآخرون
فمن شدد جعله اسماً على فعال نحو الحباب والطباخ ومن خفف جعله اسماً على فعال نحو العذاب واختفوا
في معنى الغساق قال ابن عباس هو الزمير ير محرقهم بيرده كما تحرقهم النار بحرها قال مقاتل ومجاهد
هو الذي انتهى برده ، وقيل هو المنن بلغة الترك وقال قتادة هو ما يفسق أي يسيل من القيح والصديد
من جلود أهل النار ولحومهم وفروج الزناة من قولهم غسقت عينه اذا انصبت والفسقان الانصباب
(وآخر) قرأ أهل البصرة وآخر بضم الالف على جمع أخرى مثل الكبرى والكبر واختاره أبو عبيدة
لأنه نعت بالجمع فقال أزواج وقرأ الآخرون بفتح الهمزة مشبعة على الواحد (من شكله) مثله أي
(تفسير ابن كثير والبغوي) (٢٨) (الجزء السابع)

ثم قال لا نعرفه إلا من حديث رشد بن كذا قال وقد تقدم من غير حديثه ، ورواه ابن جرير عن يونس ابن عبد الأعلى عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث به

وقال كعب الاحبار : غساق عين في جهنم يسيل اليها حمة كل ذات حمة من حية وعقرب وغير ذلك فيستنقع فيؤتى بالآدمي فيغمس فيها غمسة واحدة فيخرج وقد سقط جلده ولحمه عن العظام ويتعلق جلده ولحمه في كعبيه وعقبه ويجر لحمه كله كالجمر الرجل ثوبه ، رواه ابن أبي حاتم

وقال الحسن البصري في قوله تعالى [وآخر من شكله أزواج] ألوان من العذاب ، وقال غيره كالزمهرير والسموم وشراب الحميم وأكل الزقوم والصعود والهوي إلى غير ذلك من الاشياء المحزنة المتضادة والجسيم مما يعذبون به ، ويهانون بسببه

وقوله عز وجل [هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار] هذا إخبار من الله تعالى عن قبل أهل النار بعضهم لبعض كما قال تعالى (كلما دخلت أمة اعنت أختها) يعني بدل السلام يتلاعنون ويتكاذبون ويكفر بعضهم ببعض فتقول الطائفة التي تدخل قبل الاخرى إذا أقبلت التي بعدها مع الخزنة من الزبانية (هذا فوج مقتحم) أي داخل (معكم لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار) أي لانهم من أهل جهنم (قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم) أي فيقول لهم الداخلون (بل أنتم لا مرحبا بكم) أنتم قدمتموه لنا) أي أنتم دعوتونا إلى ما أفغى بنا إلى هذا المصير (فيئس القرار) أي فيئس المنزل والمستقر والمصير (قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار) كما قال عز وجل (قالت أفرأهم لا ولام ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار * قال اكل ضعف ولكن لا تعلمون) أي اكل منكم عذاب بحسبه (وقالوا مالنا لا نرى رجلا كنا نعد من الاشرار * أنخذلناهم سخرينا

مثل الحميم والفساق) أزواج (أي اصناف آخر من العذاب) هذا فوج مقتحم معكم (قال ابن عباس هذا هو أن القادة إذا ادخلوا النار ثم دخل بعدهم الاتباع قالت الخزنة للكفار هذا يعني الاتباع فوج جماعة مقتحم معكم النار أي داخلوها كما أنتم دخلتموها ، والفوج القطيع من الناس وجمعه أفواج والافتحام الدخول في الشيء رميا بنفسه فيه قال السكبي انهم يضربون بالمقامم حتى يوقعوا أنفسهم في النار خوفا من تلك المقامم فقالت القادة (لا مرحبا بهم) يعني بالاتباع (انهم صالوا النار) أي داخلوها كما صلينا (قالوا) فقال الاتباع للقادة (بل أنتم لا مرحبا بكم) والمرحب والرحب السعة تقول العرب مرحبا وأهلا وسهلا أي أتيت رحبا وسعة وتقول لا مرحبا بك أي لا رحبت عليك الارض (أنتم قدمتموه لنا) يقول الاتباع للقادة أنتم بدأتكم بالكفر قبلنا وشرعتم وسنتموه لنا وقيل أنتم قدمتم هذا العذاب لنا بدعائكم إيانا إلى الكفر (فيئس القرار) أي فيئس دار القرار جهنم (قالوا) يعني الاتباع (ربنا من قدم لنا هذا) أي شرعه وسنه لنا (فزده عذابا ضعفا في النار) أي ضعف عليه العذاب في النار قال ابن مسعود يعني حيات وأفاعي (وقالوا) يعني صناديد قريش وهم في

أم زأغت عنهم الابصار ؟ هذا إخبار عن السكفار في النار أنهم يفتقدون رجالا كانوا يعتقدون أنهم على الضلالة وهم المؤمنون في زعمهم قالوا مالنا لانراهم معنا في النار ؟ قال مجاهد هذا قول أبي جهل يقول مالي لأرى بلالا وعمارا وصهيبا وفلانا وفلانا . وهذا ضرب مثل وإلا فكل الكفار هذا حالهم يعتقدون أن المؤمنين يدخلون النار ، فلما دخل الكفار النار افتقدوهم فلم يجدوهم فقالوا (مالنا لانرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار ؟) اتخذناهم سخريا (أي في الدار الدنيا) (أم زأغت عنهم الابصار ؟) يسلون أنفسهم بالمحال يقولون أو لعلمهم معنا في جهنم ولكن لم يعم بصرنا عليهم ، فعند ذلك يعرفون أنهم في الدرجات العاليات وهو قوله عز وجل (وناذى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا) قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين - إلى قوله - ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون)

وقوله تعالى (ان ذلك لحق تخاصم أهل النار) أي ان هذا الذي أخبرناك به يا محمد من تخاصم أهل النار بعضهم في بعض ولعن بعضهم لبعض لحق لا مرية فيه ولا شك

قل إنما أنا منذر وما من إله الا الله الواحد القهار (٦٥) رب السموات والارض وما

بينهما العزيز الغفور (٦٦) قل هو نبؤ عظيم (٦٧) أنتم عنه معرضون (٦٨) ما كان لي من

علم بالملا الأعلى إذ يختصمون (٦٩) إن يوحى إلي إلا أنما أنا نذير مبين (٧٠)
يقول تعالى آمرا رسوله ﷺ أن يقول للكفار بالله المشركين به المكذبين لرسوله إنما أنا منذر

النار (مالنا لانرى رجالا كنا نعدهم) في الدنيا (من الاشرار ؟) يعنون فقراء المؤمنين عمارا وخبابا وصهيبا وبلالا وسلمان رضي الله عنهم ثم ذكروا أنهم كانوا يسخرون من هؤلاء ، فقالوا (اتخذناهم سخريا) قرأ أهل البصرة وحمة والكسائي (من الاشرار اتخذناهم) وصل ويكسرون الالف عند الابتداء وقرأ الآخرون بقطع الالف وفتحها على الاستفهام قال أهل المعاني القراءة الاولى أولى لانهم علموا أنهم اتخذوهم سخريا فلا يستقيم الاستفهام وتكون أم على هذه القراءة بمعنى بل ومن فتح الالف قال هو على اللفظ لا على المعنى ليعادل أم في قوله أم زأغت عنهم الابصار قال الفراء هذا من الاستفهام الذي معناه التوبيخ والتعجب (أم زأغت) أي مالت (عنهم الابصار) ومجاز الآية ما لنا لا نرى هؤلاء الذين اتخذناهم سخريا لم يدخلوا معنا النار أم دخلوها فزأغت عنهم أبصارنا فلم نرم حين دخلوا وقبل أم هم في النار ولكن احتجوا عن أبصارنا ، وقال ابن كيسان يعني أم كانوا خيرا منا ولكن نحن لا نعلم وكانت أبصارنا تزيف عنهم في الدنيا فلا نعدهم شيئا (ان ذلك) الذي ذكرت (لحق) ثم بين فقال (تخاصم أهل النار) أي تخاصم أهل النار في النار لحق (قل يا محمد)

لست كما تزعمون (وما من إله الا الله الواحد القهار) أى هو وحده قد قهر كل شيء ، وغلبه (رب السموات والارض وما بينهما) أى هو مالك جميع ذلك ومتصرف فيه (العزيز الغفار) أى غفار مع عظمتة وعزته (قل هو نأ عظيم) أى خبر عظيم وشأن بليغ وهو إرسال الله تعالى اياي اليكم (أنتم عنه معرضون) أي غافلون ، قل مجاهد وشريح القاضي والسدي في قوله عز وجل (قل هو نأ عظيم) يعني القرآن

وقوله تعالى (ما كان لي من علم بالملا الأعلى إذ يختصمون) أى لولا الوحي من أن كنت أدري باختلاف الملا الأعلى ؟ يعني في شأن آدم عليه الصلاة والسلام وامتناع إبليس من السجود له ومحاجته ربه في تفضيله عليه . فأما الحديث الذي رواه الامام أحمد حيث قال حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا جهم الجبائي عن يحيى بن أبي كثير عن زيد بن أبي سلام عن أبي سلام عن عبد الرحمن بن عائش عن مالك بن بخامر عن معاذ رضي الله عنه قال احتبس علينا رسول الله ﷺ ذات غداة من صلاة الصبح حتى كدنا نراى قرن الشمس فخرج ﷺ سريعاً ثوب بالصلاة فصلى وتجاوز في صلاته فلما سلم قال ﷺ « كما أنتم » ثم أقبل الينا فقال « اني قت من الليل فصليت ماقدر لي فعمست في صلاتي حتى استيقظت فاذا أنا بربي عز وجل في أحسن صورة فقال يا محمد أندري فيم يختصم الملا الأعلى ؟ قلت لا أدري يارب — اعادها ثلاثاً — فرأيت وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين صدرى فتجلى لي كل شيء . وعرفت فقال يا محمد فيم يختصم الملا الأعلى ؟ قلت في الكفارات ، قال وما

لمشركي مكة (إنما أنا منذر) مخوف (وما من إله الا الله الواحد القهار) رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار) قوله (قل) يا محمد (هو) يعني القرآن (نأ عظيم) قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وقبل هو يعني القيامة لقوله (عم يتساءلون عن النأ العظيم) (أنتم عنه معرضون ما كان لي من علم بالملا الأعلى) يعني الملائكة (إذ يختصمون) يعني في شأن آدم عليه السلام حين قال الله تعالى اني جاعل في الارض خليفة قالوا أنجعل فيها من يفسد فيها (ان يوحى الي الا أنما انانذير مبين) قال الفراء إن شئت جعلت انما في موضع رفع أي ما يوحى الي الا الانذار وإن شئت جعلت المعنى ما يوحى الي الا أني نذير مبين وقرأ أبو جعفر انما بكسر الالف لان الوحي قول ، أخبرنا عبد الواحد ابن احمد المليحي أنا أبو منصور السمعاني ثنا ابو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا هشام بن عمار ثنا صدقة بن خالد ثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال مر بنا خالد بن الحلاج فدعاه مكحول فقال يا أبا ابراهيم حدثنا حديث عبد الرحمن بن عائش ، قال سمعت عبد الرحمن بن عائش الحضرمي يقول قل النبي ﷺ « رأيت ربي في أحسن صورة فقال فيم يختصم الملا الأعلى يا محمد ؟ قلت أنت أعلم أي رب مرتين فوضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين يدي فعلت ما في السماء والارض . قال ثم تلا هذه الآية . (وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وايبكون من الموقنين) ثم قال فيم يختصم الملا الأعلى

الكفارات؟ قلت نقل الاقدام إلى الجماعات والجلوس في المساجد بعد الصلوات وإسباغ الوضوء عند الكرهيات؟ قال وما الدرجات؟ قلت إطعام الطعام ولين الكلام والصلوة والناس نيام. قال سل قلت اللهم اني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لي وترحمني ، وإذا أردت فتنة بقوم فتوفني غير مفتون ، وأسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقر بني الى حبك — وقال رسول الله ﷺ — انها حق فادرسوها وتعلموها ، فهو حديث المنام المشهور ، ومن جعله بقطة فقد غلط وهو في السنن من طرق ، وهذا الحديث بعينه قد رواه الترمذي من حديث جهضم بن عبد الله البجلي به ، وقال حسن صحيح ، وليس هذا الاختصاص هو الاختصاص المذكور في القرآن فان هذا قد فسر ، واما الاختصاص الذي في القرآن فقد فسر بعد هذا وهو قوله تعالى

إِذ قَالَ رَبِّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧١) فاذا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوْحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فسجد الملائكة كلهم أجمعون (٧٣) الا ابليس استكبر وكان من الكافرين (٧٤) قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي؟ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ؟ (٧٥) قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين (٧٦) قال فاخرج منها فانك رجيم (٧٧) وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين (٧٨) قال رب فأناظرني الى يوم يُبعثون (٧٩) قال فانك من المنظرين (٨٠) الى يوم الوقت المعلوم (٨١) قال فبعضك لا تُغوينهم أجمعين (٨٢) إلا عبادك منهم المخلصين (٨٣) قال فالحق والحق أقول (٨٤) لا ملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين (٨٥)

هذه القصة ذكرها الله تبارك وتعالى في سورة البقرة وفي أول سورة الاعراف وفي سورة الحجر وسبحان والكهف وههنا وهي أن الله سبحانه وتعالى أعلم الملائكة قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام بأنه سيخلق بشراً من صصال من حها مسنوف وتقدم اليهم بالامر متى فرغ من خلقه وتسويته

يا محمد؟ قلت في الكفارات قال وما هن؟ قلت المشي على الاقدام الى الجماعات، والجلوس في المساجد خلف الصلوات، وإبلاغ الوضوء، أما كنهه في المكروه، قال ومن يفعل ذلك يعش بخير ويمت بخير ويكون من خطيئته كيوم ولدته أمه، ومن الدرجات اطعام الطعام، وبذل السلام ، وأن يقوم بالليل والناس نيام ، قال قل اللهم اني أسألك الطيبات، وترك المنكرات، وحب المساكين وأن تغفر لي وترحمني وتوب علي، وإذا أردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون — فقال ﷺ — تعلمون فوالذي نفسي بيده أنهن لحقن قوله عز وجل (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ

فليسجدوا له إكراما واعظاما واحتراما وامثالاً لأمر الله عز وجل فامثل الملائكة كلهم ذلك سوى ابليس ولم يكن منهم جنسا كان من الجن فخانه طبعه وجبلته أحوج ما كان إليه فاستنكف عن السجود لآدم وخاصم ربه عز وجل فيه وادعى انه خير من آدم فانه مخلوق من نار و آدم خلق من طين والنار خير من الطين في زعمه، وقد أخطأ في ذلك وخاف أمر الله تعالى وكفر بذلك فأبعده الله عز وجل وأرغم أنفه وطرده عن باب رحمته ومحل انسه، وحضرة قدسه، ومما ابليس اعلاما له بأنه قد أبلس من الرحمة وأنزله من السماء مذموما مدحورا الى الارض فسأل الله النظرة الى يوم البعث فأنظره الحليم الذي لا يعجل على من عصاه، فلما أدرك الهلاك الى القيامة نرد وطفى وقال (فبعزتك لأغوينهم أجمعين * الا عبادك منهم المخلصين) كما قال عز وجل (أرايتك هذا الذي كرمت علي؟ اثنى آخرتين الى يوم القيامة لاحتنكن ذريته الا قليلا) وهو لا، هم المستثنون في الآية الاخرى وهي قوله تعالى (ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلًا)

وقوله تبارك وتعالى (قال فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين) قرأ ذلك جماعة منهم مجاهد برفع الحق الاول وفسره مجاهد بأن معناه انا الحق والحق أقول، وفي رواية عنه: الحق مني وأقول الحق، وقرأ آخرون بنصبها. قال السدي : هو قسم أقسم الله به (فات) وهذه الآية كقوله تعالى (ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) وكقوله عز وجل (قال اذهب فن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا)

إني خالق بشرأ من طين) يعني آدم عليه السلام (فاذا سويته) أتممت خلقه (ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين * فسجد الملائكة كلهم أجمعون * الا ابليس استكبر وكان من الكافرين * قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي؟ أستكبرت؟) ألف استفهام دخلت على ألف الوصل (أم كنت من العاين؟) المتكبرين استفهام توبيخ وانكار يقول أستكبرت بنفسك حتى أبليت السجود أم كنت من القوم الذين يتكبرون فتكبرت عن السجود لكونك منهم؟ (قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين * قال فاخرج منها) أي من الجنة وقيل من السموات وقال الحسن وأبو العالمة أي من الحلقة التي أنت فيها قال الحسين بن الفضل هذا تأويل صحيح لان ابليس نجبر وافتخر بالحلقة فقبر الله خلقته فاصود وقبح بعد حسنه (فانك رجيم) مطرود (وان عليك لعنتي الى يوم الدين * قال رب فانظرني الى يوم يبعثون * قال فانك من المنظرين * الى يوم الوقت المعلوم) وهو النفخة الاولى (قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين * الا عبادك منهم المخلصين * قال فالحق والحق أقول) قرأ عاصم وحزرة ويعقوب فالحق برفع القاف على الابتداء وخبره محذوف تقديره الحق مني نصب الثانية أي وأنا أقول الحق قاله مجاهد وقرأ الآخرون بنصبها واختلفوا في وجهها قيل نصب الاولى على الاغراء. كانه قال الزم الحق والثاني بايماع القول عليه أي أقول الحق وقيل الاول قسم أي فبالحق وهو الله عز وجل

قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين (٨٦) إن هو إلا ذكر للعالمين (٨٧) ولتعلمن نبأه بعد حين (٨٨)

يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين ما أسألكم على هذا البلاغ وهذا النصيح اجرا تعطونه من عرض الحياة الدنيا (وما أنا من المتكلفين) أي وما أريد على ما أرسلني الله تعالى به ولا أبتغي زيادة عليه بل ما أمرت به أديته لا أزيد عليه ولا أنقص منه ، وإنما أبتغي بذلك وجه الله عز وجل والدار الآخرة ، قال سفيان الثوري عن الأعمش ومنصور عن أبي الضحى عن مسروق قال : أتينا عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه فقال يأبها الناس من علم شيئا فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فإن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم الله أعلم فإن الله عز وجل قال لنبيكم ﷺ (قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين) أخرجاه من حديث الأعمش به ، وقوله تعالى (إن هو إلا ذكر للعالمين) يعني القرآن ذكر لجميع المكلفين من الانس والجن ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما

وروى ابن أبي حاتم عن أبيه عن أبي غسان مالك بن اسماعيل حدثنا قيس عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (للعالمين) قال الجن والانس ، وهذه الآية كقوله تعالى (لا نذكركم به ومن باغ) وكقوله عز وجل (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده) وقوله تعالى (ولتعلمن نبأه) أي خبره وصدقه (بعد حين) أي عن قريب ، قال قتادة بعد الموت وقال عكرمة يعني يوم القيامة ، ولا منافاة بين القولين فإن مات فقد دخل في حكم القيامة ، وقال قتادة في قوله تعالى [ولتعلمن نبأه بعد حين] قال الحسن يا ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين (آخر تفسير سورة ص والله الحمد والمئة والله سبحانه وتعالى أعلم)

فانتصب بنزع الخافض وهو حرف الصفة وانتصاب الثاني بإيقاع القول عليه ، وقيل الثاني تكرر القسم أقسم الله بنفسه (لا ملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين) قل ما أسألكم عليه (على تبليغ الرسالة) (من أجر) (جعل) (وما أنا من المتكلفين) المتقواين القرآن من تلقاء نفسي وكل من قال شيئا من تلقاء نفسه فقد تكلفه أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا قتبية ثنا جرير عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال دخلنا على عبد الله بن مسعود فقال يا أيها الناس من علم شيئا فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم قال الله تعالى لنبيه (قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين) قوله (إن هو) ما هو يعني القرآن (الا ذكر) موعظة (للعالمين) لخلق أجمعين (ولتعلمن) أنتم يا كفار مكة (نبأه) خبر صدقه (بعد حين) قال ابن عباس وقتادة بعد الموت وقال عكرمة يعني يوم القيامة وقال السكبي من بقي علم ذلك اذا ظهر امره وعلا ومن مات علمه بعد موته ، قال الحسن بن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين

تفسير سورة الزمر وهي مكية

قال النسائي حدثنا محمد بن النضر بن مساور حدثنا حماد عن مروان بن أبي لبابة عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول ما يريد أن يفطر ويفطر حتى نقول ما يريد أن يصوم ، وكان ﷺ يقرأ في كل ليلة بنبي إسرائيل والزمر

بسم الله الرحمن الرحيم

تنزيل الكتب من الله العزيز الحكيم (١) إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين (٢) ألا لله الدين الخالص ، والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كذب كفار (٣) لو أراد الله أن يتخذ ولداً لأصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار (٤)

يخبر تعالى أن تنزيل هذا الكتاب وهو القرآن العظيم من عنده تبارك وتعالى فهو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك كما قال عز وجل ، وأنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين (وقال تبارك وتعالى) وأنه لكتاب عزيز * لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد (وقال جل وعلا همنا) تنزيل الكتاب من الله العزيز (أي المذموم الخائب) أي في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين) أي فاعبد الله وحده لا شريك له وادع الخلق إلى ذلك وأعلمهم أنه لا تصلح العبادة إلا له وحده وأنه ليس له شريك ولا عدل ولا نديد ولهذا قال تعالى (ألا لله الدين الخالص) أي لا يقبل من العمل إلا ما أخلص فيه العامل لله وحده لا شريك له

﴿ سورة الزمر مكية ﴾

إلا قوله (قل باءبادي الذين أسرفوا على أنفسهم) الآية فمدنية وهي خمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تنزيل الكتاب ﴾ أي هذا تنزيل الكتاب وقيل تنزيل الكتاب مبتدأ وخبره ﴿ من الله العزيز الحكيم ﴾ أي تنزيل الكتاب من الله لا من غيره ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق ﴾ قال مقاتل لم ينزله باطلاً لغير شيء ﴿ فاعبد الله مخلصاً له الدين ﴾ الطاعة ﴿ ألا لله الدين الخالص ﴾ قال قتادة شهادة

وقال قتادة في قوله تبارك وتعالى (ألا لله الدين الخالص) شهادة أن لا إله إلا الله ثم أخبر عز وجل عن عباد الأصنام من المشركين أنهم يقولون (مانعدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) أي إنما يحملهم على عبادتهم لهم أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين في زعمهم فعبدوا تلك الصور تنزيلاً لذلك منزلة عبادتهم الملائكة ليشفعوا لهم عند الله تعالى في نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمور الدنيا فالما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به

قال قتادة والسدي ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد إلا ليقربونا إلى الله زلفى أي ليشفعوا لنا ويقربونا عنده منزلاً ولهذا كانوا يقولون في تلييتهم إذا حجوا في جاهليتهم لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك، وهذه الشبهة هي التي اعتمدها المشركون في قديم الدهر وحديثه وجاءتهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بردها والنهي عنها والدعوة إلى أفراد العبادة لله وحده لا شريك له وأن هذا شيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم لم يأذن الله فيه ولا رضي به بل أبغضه ونهى عنه (واقعد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت - وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وأخبر أن الملائكة التي في السموات من الملائكة المقربين وغيرهم كلهم عبيد خاضعون لله لا يشفعون عنده إلا بأذنه لمن ارتضى وليسوا عنده كالأمراء عند ملوكهم يشفعون عندهم بغير إذنهم فيما أحبه الملوك وأبوه (فلا تضربوا لله الأمثال) تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

وقوله عز وجل (إن الله يحكم بينهم) أي يوم القيامة فيما هم فيه يختلفون (أي سيفصل بين الخلائق يوم معادهم ويجزي كل عامل بعمله) ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون؟ قالوا سبحانك أنت وإينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون [وقوله عز وجل (إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار) أي لا يرشد إلى الهداية من قصده الكذب والافتراء على الله تعالى وقلبه كافر بآياته وحججه وبراهينه، ثم بين تعالى أنه لا ولد له كما بزعمه جهلة المشركين في الملائكة والمعادون من اليهود والنصارى في العزيز وعيسى

أن لا إله إلا الله وقيل لا يستحق الدين الخالص إلا الله وقيل الدين الخالص من الشرك هو الله (والذين اتخذوا من دونه) أي من دون الله (أولياء) يعني الأصنام (مانعدهم) أي قالوا مانعدهم (إلا ليقربونا إلى الله زلفى) وكذلك قرأ ابن مسعود وابن عباس، قال قتادة وذلك أنهم كانوا إذا قيل لهم من ربكم ومن خلقكم ومن خلق السموات والأرض؟ قالوا الله فيقال لهم فما معنى عبادتكم إلا وثان؟ قالوا ليقربونا إلى الله زلفى أي قربى وهو اسم أقبح مقام المصدر كانه قال إلا ليقربونا إلى الله تقريباً ويشفعوا لنا عند الله (إن الله يحكم بينهم) يوم القيامة (فيما هم فيه يختلفون) من أمر الدين (إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار) لا يرشد لدينه من كذب فقال إن الآلهة تشفع وكنى

فقال تبارك وتعالى ١ لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء (أي لكان الامر على خلاف ما يزعمون وهذا شرط لا يلزم وقوعه ولا جوازه بل هو محال وانما قصد تجهيلهم فيما ادعوه وزعموه كما قال عز وجل (لو أردنا أن نتخذ لهم آياتاً لاتخذناها من لدنا ان كنا فاعلين - قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) كل هذا من باب الشرط ويجوز تعليق الشرط على المستحيل لمقصد المتكلم وقوله تعالى (سبحانه هو الله الواحد القهار) أي تعالى وتنزه وتقدس عن ان يكون له ولد فانه الواحد الاحد الفرد الصمد الذي كل شيء عبد لديه فقير اليه وهو الغني عما سواه الذي قد فسر الاشياء فدانت له وذلت وخضعت تبارك وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً

خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر

الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار (٥) خلقكم من نفس واحدة

ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً

من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فأنى تصرفون (٦)

يخبر تعالى أنه الخالق لما في السموات والارض وما بين ذلك من الاشياء وبأنه مالك الملك المتصرف فيه بقلب ليله ونهاره (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) أي سخرهما يجريان متعاقبين لا يفتران كل منهما يطلب الآخر طلباً حثيثاً كقوله تبارك وتعالى (يغشي الليل النهار بطلبه حثيثاً) هذا معنى ماروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة والسدي وغيرهم

وقوله عز وجل ١ وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى (أي الى مدة معلومة عند الله تعالى ثم ينقضي يوم القيامة (ألا هو العزيز الغفار) أي مع عزته وعظمته وكبريائه هو غفار لمن عصاه ثم تاب وأناب اليه

بأنخذه الآلهة دونه كذباً وكفراً (لو أراد الله ان يتخذ ولداً لاصطفى) لاختر (مما يخلق ما يشاء) يعني الملائكة كما قال (لو أردنا ان نتخذ لهم آياتاً لاتخذناها من لدنا) ثم نزه نفسه فقال (سبحانه) تنزيهاً له عن ذلك وعما لا يليق بطهارته (هو الله الواحد القهار) خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل (يغشي الليل النهار) وقيل يدخل أحدهما على الآخر كما قال (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) وقال الحسن والكلبي ينقص من الليل فيزيد في النهار، وينقص من النهار فيزيد في الليل فما نقص من الليل دخل في النهار وما نقص من النهار دخل في الليل، ومنتهى النقصان تسع ساعات ومنتهى الزيادة خمس عشرة ساعة، وأصل التكوير ألف والجمع ومنه كور العمامة (وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار) خلقكم من نفس

وقوله جلّت عظمته (خلقكم من نفس واحدة) أى خلقكم مع اختلاف أجناسكم وأصنافكم وألستكم وألوانكم من نفس واحدة وهو آدم عليه الصلاة والسلام (ثم جعل منها زوجها) وهي حواء عليها السلام كقوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) وقوله تعالى (وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج) أى وخلق لكم من ظهور الأنعام ثمانية أزواج وهي المذكورة في سورة الأنعام ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين

وقوله عز وجل (يخلقكم في بطون أمهاتكم) أى قدركم في بطون أمهاتكم (خلقا من بعد خلق) يكون أحدهم أولا نطفة ثم يكون علقة ثم يكون مضغة ثم يخلق فيكون لحما وعظما وعصبا وعروقا وينفخ فيه الروح فيصير خلقا آخر (فتبارك الله أحسن الخالقين)

وقوله جل وعلا (في ظلمات ثلاث) يعنى في ظلمة الرحم وظلمة المشيمة التي هي كالأشاة والوقاية على الولد وظلمة البطن . كذا قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة وابو مالك والضحاك وقتادة والسدي وابن زيد

وقوله جل جلاله (ذلكم الله ربكم) أى هذا الذي خلق السموات والارض وما بينهما وخلقكم وخلق آباءكم هو الرب له الملك والنصرف في جميع ذلك (لا إله الا هو) أى الذى لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له (فأتى نصر فون) أى فكيف تعبدون معه غيره أين يذهب بقولكم

ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم ولا تزر

وازره وزر أخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون إنه عليم بذات الصدور (٧)

واذا مس الانسان ضرر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعوا اليه من

واحدة) يعنى آدم (ثم جعل منها زوجها) يعنى حواء (وأنزل لكم من الأنعام) معنى الانزال ههنا الاحداث والانشاء كقوله تعالى (أنزلنا عليكم لباسا يواري) وقيل إنه أنزل الماء الذى هو سبب نبات القطن الذى يكون منه اللباس وسبب النبات الذى تبقى به الأنعام وقيل (وأنزل لكم من الأنعام) جعلها لكم زلا ورزقا (ثمانية أزواج) اصناف مر تفسرها في سورة الأنعام (يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق) نطفة ثم علقة ثم مضغة كما قال الله تعالى (وقد خلقكم اطوارا) (في ظلمات ثلاث) قال ابن عباس ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة (ذلكم الله) أى الذي خلق هذه الاشياء (ربكم له الملك لا إله الا هو فأتى نصر فون) عن طريق الحق بعد هذا البيان (ان تكفروا فان الله غني عنكم

قبل وجعل لله أنداداً ليضلّ عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلاً انك من أصحاب النار (٨)

يقول تعالى مخبراً عن نفسه تبارك وتعالى أنه الغني عما سواه من المخلوقات كما قال موسى عليه الصلاة والسلام (ان تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله أغني حميد) وفي صحيح مسلم «بعبادي لو أن أولكم وآخركم وأنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً» وقوله تعالى (ولا يرضى لعباده الكفر) أي لا يحبّه ولا يأمر به (وإن تشكروا يرضه لكم) أي يحبه لكم ويزدكم من فضله (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أي لا تحمل نفس عن نفس شيئاً بل كل مطالب بأمر نفسه (ثم إلى ربكم مرجعكم فينبشكم بما كنتم تعملون أنه علم بذات الصدور) أي فلا تخفي عليه خافية وقوله عز وجل (وإذا مس الإنسان ضر دعاه به منياً إليه) أي عند الحاجة يتضرع ويستغيث بالله وحده لا شريك له كما قال تعالى [وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً] ولهذا قال تبارك وتعالى (ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل) أي في حال الرفاهية ينسى ذلك الدعاء والتضرع كما قال جل جلاله (وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضره) وقوله تعالى (وجعل لله أنداداً ليضل عن سبيله) أي في حال العافية يشرك بالله ويجعل له أنداداً، قل تمتع بكفرك قليلاً انك من أصحاب النار) أي قل لمن هذه حاله وطريقته ومسلكه تمتع بكفرك قليلاً وهو تهديد وتشديد ووعيد أكيد كقوله تعالى (قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار) وقوله تعالى [تمتعهم قليلاً ثم اضطرمهم إلى عذاب غليظ]

ولا يرضى لعباده الكفر) قال ابن عباس والسدي ولا يرضى لعباده المؤمنين الكفر وهم الذين قال الله تعالى (ان عبادي ليس لك عليهم سلطان) فيكون عاماً في اللفظ خاصاً في المعنى كقوله تعالى (عينا يشرب بها عباد الله) يريد بعض العباد وأجراه قوم على العموم وقالوا لا يرضى لأحد من عباده الكفر ومعنى الآية لا يرضى لعباده ان يكفروا به ويروى ذلك عن قتادة وهو قول السلف قالوا كفر الكافر غير مرضي لله عز وجل وإن كان بإرادته (وان تشكروا) تؤمنوا بربكم وتطيعوه (يرضه لكم) فيثيبكم عليه قرأ أبو عمرو يرضه لكم ساكنة الهاء ومختلصة أهل المدينة وعاصم وحزة والباقون بالاشباع (ولا تزر وازرة وزر أخرى، ثم إلى ربكم مرجعكم فينبشكم بما كنتم تعملون أنه علم بذات الصدور) وإذا مس الإنسان ضر دعاه به منياً إليه (راجعاً إليه مستغيثاً به) (ثم إذا خوله نعمة منه) أعطاه نعمة منه (نسي) ترك (ما كان يدعو إليه من قبل) أي نسي الضر الذي كان يدعو الله إلى كشفه (وجعل لله أنداداً) يعني الأوثان (ليضل عن سبيله) ليزل عن دين الله (قل) لهذا الكافر (تمتع بكفرك قليلاً) في الدنيا إلى أبلك (انك من أصحاب النار) قيل نزلت في عتبة بن

أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ آثَاءُ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ

يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ؟ أَمَّا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (٩)
يقول عز وجل أمن هذه صفته كمن أشرك بالله وجعل له أنداداً لا يستترون عند الله كما قال تعالى
[ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون]
وقال تبارك وتعالى ههنا [أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً] أى في حال سجوده وفي حال قيامه
ولهذا استدلل بهذه الآية من ذهب الى أن القنوت هو الخشوع في الصلاة ليس هو القيام وحده كما ذهب اليه
آخرون. قال الثوري عن فراس عن الشعبي عن مسروق عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : القانت المطيع لله
عز وجل ولرسوله ﷺ وقال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن والسدي وابن زيد آناء الليل جوف
الليل، وقال الثوري عن منصور بلغنا أن ذلك بين المغرب والعشاء، وقال الحسن وقتادة آناء الليل أوله وأوسطه
وآخره وقوله تعالى [يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه] أى في حال عبادته خائف راج ولا بد في العبادة
من هذا وهذا وأن يكون الخوف في مدة الحياة هو الغالب ولهذا قال تعالى [يحذر الآخرة ويرجو
رحمة ربه] فإذا كان عند الاحتضار فليكن الرجاء هو الغالب عليه كما قال الامام عبد بن حميد في
مسنده حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا ثابت عن أنس رضي الله عنه قال
دخل رسول الله ﷺ على رجل وهو في الموت فقال له « كيف تجدك ؟ » فقال أرجو وأخاف ،
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن الا أعطاه الله عز
وجل الذي يرجو وأمنه الذي يخافه »

ربيعة وقال مقاتل نزلت في أبي حذيفة بن الهميرة المخزومي وقيل عام في كل كافر ﴿ أمن هو قانت ﴾
قرأ ابن كثير ونافع وحزرة أمن بالتخفيف الميم وقرأ الآخرون بتشديد هاء فمن شدد هاء وجهاً (أحدهما)
أن تكون الميم في أم صلة فيكون معنى الكلام استفهاماً وجوابه محذوف، مجازة أمن هو قانت كمن هو
غير قانت كقوله (أمن شرح الله صدره للإسلام) يعني كمن لم بشرح صدره (والوجه الآخر) أنه عطف
على الاستفهام، مجازة الذي جعل الله أنداداً أخيراً أمن هو قانت، ومن قرأ بالتخفيف فهو ألف استفهام
دخلت على من معناه أهذا كالذي جعل الله أنداداً، وقيل الالف في أمن بمعنى حرف النداء تقديره
يا من هو قانت والعرب تنادي بالالف كما تنادي بالياء فتقول أبني فلان ويابني فلان فيكون معنى
الآية (قل تمتع بكفرك قليلاً أنك من أصحاب النار) يا من هو قانت ﴿ آناء الليل ﴾ أنك من أهل
الجنة قاله ابن عباس وفي رواية عطاء نزلت في أبي بكر الصديق وقال الضحاك نزلت في أبي بكر وعمر
رضي الله عنهما وعن ابن عمر أنها نزلت في عثمان وعن الكلبي أنها نزلت في ابن مسعود وعمار وسلمان
والقانت المقيم على الطاعة قال ابن عمر القنوت قراءة القرآن وطول القيام وآناء الليل ساعاته ﴿ ساجداً

ورواه الترمذي والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجه من حديث سيار بن حاتم عن جعفر بن سليمان به وقال الترمذي غريب ، وقد رواه بعضهم عن ثابت عن أنس عن النبي ﷺ مرسلًا وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمر بن أبي شبة عن عبيدة النميري حدثنا أبو خلف ابن عبد الله بن عيسى الخزاز حدثنا يحيى البكا، انه سمع ابن عمر رضي الله عنهما يقرأ (أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقتاً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) قال ابن عمر ذلك عثمان بن عفان رضي الله عنه وأنا قال ابن عمر رضي الله عنهما ذلك لكثرة صلاة أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه بالليل وقراءته حتى انه ربما قرأ القرآن في ركعة كما روى ذلك أبو عبيدة عنه رضي الله تعالى عنه وقال الشاعر:

ضحوا بأشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحاً وقرأنا

وقال الامام احمد كتب الي الربيع بن نافع حدثنا الهيثم بن حميد عن زيد بن واقد عن سليمان ابن موسى عن كثير بن مرة عن تميم الداري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من قرأ بمائة آية في ليلة كتب له قنوت ليلة » وكذا رواه النسائي في اليوم والليلة عن ابراهيم بن يعقوب عن عبد الله بن يوسف والربيع بن نافع كلاهما عن الهيثم بن حميد به

وقوله تعالى (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) اي هل يستوي هذا والذي قبله ممن جعل الله أنداداً ليضل عن سبيله (انما يتذكر أولو الالباب) أي انما يعلم الفرق بين هذا وهذا من له لب وهو العقل والله أعلم

قل يعبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم ، للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنةً وأرض الله واسعة انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب (١٠) قل اني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين (١١) وأمرت لأكون أول المسلمين (١٢)

يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين بالاستمرار على طاعته وتقواه (قل ياعبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة) أي لمن أحسن العمل في هذه الدنيا حسنة في دنياه وأخراهم ، وقوله (وأرض الله واسعة) قال مجاهد فهاجروا فيها وجاهدوا واعزلوا الاوثان، وقال شريك

وقائماً يعني في الصلاة (يحذر الآخرة) يخاف الآخرة (ويرجو رحمة ربه) يعني كن لا يفعل شيئاً من ذلك (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟) قيل الذين يعلمون عباد والذين لا يعلمون أبو حذيفة الحزومي (انما يتذكر أولو الالباب) قل ياعبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم (بطاعته واجتناب معاصيه) للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة (أي آمنوا وأحسنوا العمل) حسنة يعني الجنة قاله مقاتل وقال السدي في هذه الدنيا حسنة يعني الصحة والعافية (وأرض الله واسعة)

عن منصور عن عطاء، في قوله تبارك وتعالى (وأرض الله واسعة) قال اذا دعيتم إلى معصيته فاهربوا ثم قرأ (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها)

وقوله تعالى (انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) قال الاوزاعي ليس يوزن لهم ولا يكال لهم انما يعرف لهم غرفا ، وقال ابن جريج بلغني انه لا يحسب عليهم ثواب عملهم قط ولكن يزدون على ذلك ، وقال السدي [انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب] يعني في الجنة . وقوله [قل اني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين] أي انما أمرت باخلاص العباد لله وحده لا شريك له [وأمرت لأن أكون أول المسلمين] قال السدي يعني من أمته ﷺ

قل اني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم (١٣) قل الله أعبد مخلصا له ديني (١٤) فاعبدوا ما شئتم من دونه قل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين (١٥) لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ، ذلك يخوف الله به عباده يعباد فاتقون (١٦)

يقول تعالى قل يا محمد وانت رسول الله [اني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم] وهو يوم القيامة وهذا شرط ومعناه التعريض بغيره بطريق الاولى والاخرى [قل الله أعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه] وهذا أيضا تهديد وتبر منهم [قل ان الخاسرين] أي انما الخاسرون كل

قال ابن عباس يعني ارتحلوا من مكة وفيه حث على الهجرة من البلد الذي يظهر فيه المعاصي ، وقبل نزات في مهاجري الحبشة وقال سعيد بن جبير من أمر بالمعاصي في بلد فليهرب منها الى غيرها (انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) الذين صبروا على دينهم فلم يتركوه للأذى وقبل نزات في جعفر ابن أبي طالب وأصحابه حيث لم يتركوا دينهم لما اشتد بهم البلاء وصبروا وهاجروا قال علي رضي الله عنه كل مطيع يكال له كيلا ويوزن له وزنا الا الصابرين فانه يحصى لهم حبا ، ويروى يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر صبا بغير حساب قال الله تعالى (انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب حتي يتمنى أهل العافية في الدنيا ان أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل) [قل اني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين] مخلصا له التوحيد لا أشرك به شيئا [وأمرت لأن أكون أول المسلمين] من هذه الامة [قل اني أخاف إن عصيت ربي] وعبدت غيره [عذاب يوم عظيم] وهذا حين دعي الى دين آباءه

قوله تعالى [قل الله أعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه] امر توبيخ وتهديد بقوله (اعملوا ما شئتم) [قل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم] ازواجهم وخدمهم (يوم القيامة ألا ذلك

٢٤٢ بشرى الله اعباده الذين اجتنبوا الطاغوت وأنابوا الى الله (تفسير ابن كثير والبغوي)

الحسران [الذين خسروا أنفسهم وأهلبيهم يوم القيامة] أي تفارقوا فلا اتقاء لهم أبدأ وسوا ذهب ألهوم إلى الجنة وقد ذهبوا هم إلى النار أو أن الجميع أسكنوا النار ولكن لا اجتماع لهم ولا سرور [ألا ذلك هو الحسران المبين] أي هذا هو الحسران المبين الظاهر الواضح ثم وصف حالهم في النار قال (لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل) كما قال عز وجل [لهم من جهنم مهاد * ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين]

وقال تعالى [يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون] وقوله جل جلاله (ذلك يخوف الله به عباده) أي إنما يقص خبر هذا الكائن لا محالة ليخوف به عباده لينزجروا عن المحارم والمآثم. وقوله تعالى (ياعباد فاتقون) أي اخشوا بأسي و سطوتي وعذابي وتقمي

والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا الى الله لهم البشرى فبشر عباد (١٧)

الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب (١٨)
قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه (والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها) نزلت في زيد بن عمرو بن نفيل وأبي ذر وسلمان الفارسي رضي الله تعالى عنهم والصحيح أنها شاملة لهم وغيرهم ممن اجتنب عبادة الاوثان وأناب إلى عبادة الرحمن فهو أولئك الذين لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ثم قال عز وجل (فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) أي يفهمونه ويعملون بما فيه كقوله تبارك وتعالى لموسى عليه الصلاة والسلام حين آتاه التوراة [فخذها بقوة وأمر قومك

هو الحسران المبين] قال ابن عباس وذلك أن الله جعل لكل انسان منزلا في الجنة واهلا فن عمل بطاعة الله كان ذلك المنزل والاهل له ، ومن عمل بمعصية الله دخل النار وكان ذلك المنزل والاهل لغيره ممن عمل بطاعة الله ، وقيل خسران النفس بدخول النار وخسران الاهل بأن يفرق بينه وبين أهله وذلك هو الحسران المبين (لهم من فوقهم ظلل من النار) أطباق سرادقات من النار ودخانها (ومن تحتهم ظلال) فراش ومهاد من نار الى أن ينتهي الى القعر سمي الاسفل ظللا لأنها ظلل لمن تحتهم نظيرها قوله عز وجل (لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش) (ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون * والذين اجتنبوا الطاغوت) الاوثان (أن يعبدوها وأنابوا الى الله) رجعوا الى عبادة الله (لهم البشرى) في الدنيا بالجنة وفي العقبى بالمغفرة (فبشر عبادي الذين يستمعون القول) القرآن (فيتبعون أحسنه) قال السدي أحسن ما يؤمرون به فيعملونه وقيل هو أن الله ذكر في القرآن الانتصار من الظالم وذكر العفو والعفو أحسن الامرين وقبل ذكر العزائم والرخص فيتبعون الاحسن وهو العزائم وقيل يستمعون القرآن وغير القرآن فيتبعون القرآن وقال عطاء عن ابن عباس آمن أبو بكر بالنبي ﷺ فجاء عثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد

يأخذوا بأحسنها [أولئك الذين هدام الله] أي المتصفون بهذه الصفة هم الذين هدام الله في الدنيا والآخرة (وأولئك هم أولو الالباب) أي ذوو العقول الصحيحة والفطر المستقيمة

أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار (١٩) لكن الذين اتقوا ربهم لهم

غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهر وعد الله لا يخلف الله الميعاد (٢٠)
يقول تعالى أفمن كتب الله أنه شقي تقدر تنقذه مما هو فيه من الضلال والهلاك أي لا يهديه أحد من بعد الله لأنه من يضل الله فلا هادي له ومن يهده فلا مضل له ، ثم أخبر عز وجل عن عباد السعداء أن لهم غرفا في الجنة وهي القصور أي الشاهقة [من فوقها غرف مبنية] طباق فوق طباق مبنيات محكمات مزخرفات عاليات

قال عبد الله ابن الامام احمد حدثنا عباد بن يعقوب الاسدي ثنا محمد بن فضيل عن عبد الرحمن ابن إسحاق عن النعمان بن سعد عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن في الجنة لغرفا يرى بطونها من ظهورها وظهورها من بطونها » فقال اعرابي لمن هي يا رسول الله ؟ قال ﷺ « لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام » ورواه الترمذي من حديث عبد الرحمن ابن إسحاق وقال حسن غريب ، وقد تكلم بعض أهل العلم فيه من قبل حفظه

وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق ثنا معمر بن يحيى بن أبي كثير عن ابن معانق أو أبي معانق عن أبي مالك الاشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن في الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام وألان الكلام ونابم الصيام وصلى والناس نيام » تفرد به أحمد من حديث عبد الله بن معانق الاشعري عن أبي مالك الاشعري رضي الله عنه به وقال الامام احمد حدثنا قتيبة بن سعيد ثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن أبي حازم عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إن أهل الجنة ليمتروا ون الغرفة في الجنة كما يمتروا الكوكب في أفق السماء » قال فحدثت بذلك النعمان بن أبي عياش فقال سمعت أبا سعيد الخدري رضي الله عنه يقول

فسألوه فأخبرهم بإيمانه فأمنوا فنزلت فيهم (فبشر عبادي الذين يسمعون القول فيتبعون أحسنه) وكلمة حسن (أولئك الذين هدام الله وأولئك هم أولو الالباب) وقال ابن زيد نزات (والذين اجتنبوا الطاغوت) الآيتان في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون لا إله إلا الله زيد بن عمرو بن نفيل وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي والاحسن قول لا إله إلا الله (أفمن حق عليه كلمة العذاب) قال ابن عباس رضي الله عنهما من سبق في علم الله من أهل النار وقيل كلمة العذاب قوله (لا ملان جهنم) وقيل كلمة العذاب قوله « هؤلاء في النار ولا أبالي » (أفأنت تنقذ من في النار) أي لا تقدر عليه قال ابن عباس يريد أبا لهب وولده (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية) أي منازل في الجنة

« كما رأوا الكوكب الذي في الافق الشرقي أو الغربي » أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي حازم وأخرجاه أيضا في الصحيحين من حديث مالك عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ

وقال الامام أحمد حدثنا فزارة أخبرني فليح عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إن أهل الجنة ليتراءون في الجنة أهل الغرف كما يتراءون الكوكب الدري الغارب في الافق الطامع في تفاضل أهل الدرجات - فقالوا يا رسول الله أولئك النبيون ؟ فقال ﷺ - بلى والذي نفسي بيده وأقوام آمنوا بالله وصدقوا الرسل » ورواه الترمذي عن سويد عن ابن المبارك عن فليح به وقال حسن صحيح

وقال الامام أحمد حدثنا أبو النضر وأبو عامر قال ثنا زهير ثنا سعد الطائي ثنا أبو المدلة مولى أم المؤمنين رضي الله عنها أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول قلنا يا رسول الله انا إذا رأيناك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة فإذا فارقتك أعجبنا الدنيا وشجعنا النساء والأولاد قال ﷺ « لو أنكم تكونون على كل حال على الحال التي أنتم عليها عندي لصاغتكم الملائكة بأكنفهم ولزارتكم في بيوتكم ولولم تذبوا لجاء الله عز وجل بقوم يذنبون كي يفر لهم - قلنا يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها ؟ قال ﷺ لبنة ذهب ولبنة فضة وملاطها المسك الاذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ورايسها الزعفران من يدخلها ينعم ولا يبأس ويمخلد ولا يموت ، لا تبلى ثيابه ولا يفتى شبابه ، ثلاثة لا ترد دعوتهم . الامام العادل والصائم حتى يفطر ، ودعوة المظلوم تحمل على الغمام وتفتح لها أبواب السموات ويقول الرب تبارك وتعالى وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين » وروى الترمذي وابن ماجه بعضه من حديث سعد ابن أبي مجاهد الطائي وكان ثقة عن أبي المدلة وكان ثقة به

وقوله تعالى (تجري من تحتها الأنهار) أى تسلك الأنهار بين خلال ذلك كما يشاءوا وأين أرادوا وعد الله أي هذا الذي ذكرناه وعد وعده الله عباده المؤمنين إن الله لا يخلف الميعاد

رفيعة وفوقها منازل أرفع منها (تجري من تحتها الأنهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد) أي وعد الله تلك الغرف والمنازل وعداً لا يخلفه

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل حدثني عبد العزيز بن عبد الله حدثني مالك عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال « إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغارب في الافق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم » قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم ؟ قال « بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين »

ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يجعله حطاباً إن في ذلك لذكرى لأولي الالباب (٢١) أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه؟ فويل للقسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين (٢٢)

يخبر تعالى أن أصل الماء في الأرض من السماء كما قال عز وجل (وأنزلنا من السماء ماء طهوراً) فإذا أنزل الماء من السماء كن في الأرض ثم يصرفه تعالى في أجزاء الأرض كما يشاء وينبئه عيوننا ما بين صغار وكبار بحسب الحاجة إليها ، ولهذا قال تبارك وتعالى (فسلكه ينابيع في الأرض)

قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين ثنا عمرو بن علي ثنا أبو قتيبة عتبة بن اليقظان عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض؟) قال ليس في الأرض ماء إلا أنزل من السماء ولكن عروق في الأرض تغيره فذلك قوله تعالى (فسلكه ينابيع في الأرض) فمن سره أن يعود المملح عذبا فليصده ، وكذا قال سعيد بن جبير وعامر الشعبي أن كل ما في الأرض فأصله من السماء ، وقال سعيد بن جبير أصله من الثلج يعني أن الثلج يترام على الجبال فيسكن في قوارها فتنبع العيون من أسافلها

وقوله تعالى (ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه) أي ثم يخرج بالماء النازل من السماء والنباع من الأرض زرعا مختلفا ألوانه أي أشكاله وطعومه وروائحهم ومنافعه (ثم يهيج) أي بعد نضارته وشبابه يكتهل فتراه مصفراً قد خالطه اليبس (ثم يجعله حطاباً) أي ثم يعود بإسائه تحطم (إن في ذلك لذكرى لأولي الالباب) أي الذين يتذكرون بهذا فيعتبرون إلى أن الدنيا هكذا تكون خضرة نضرة حسنة ثم تعود عجوزاً شوها ، والشاب يعود شيخاً هرماً كبيراً ضعيفاً وبعد ذلك كله الموت ، فالسعيد من كان حاله بعده إلى خير وكثيراً ما يضرب الله تعالى مثل الحياة الدنيا بما ينزل الله من السماء من ماء وينبت به زرعاً وثماراً ثم يكون بعد ذلك حطاباً كما قال تعالى (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كذا أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقبلاً)

قوله عز وجل (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه) أدخل ذلك الماء (ينابيع) عيوناً وركابياً (في الأرض) قال الشعبي كل ماء في الأرض فمن السماء نزل (ثم يخرج به) بالماء (زرعا مختلفا ألوانه) أحمر وأصفر وأخضر (ثم يهيج) ييبس (فتراه) بعد خضرته ونضارته (مصفراً ثم يجعله حطاباً) فثابتاً منكسراً (إن في ذلك لذكرى لأولي الالباب)

٢٣٦ كون كتاب الله تعالى متشابها مثاني تقشعر منه جلود المؤمنين (تفسير ابن كثير والجوهري)

وقوله تبارك وتعالى (أفن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ؟) أي هل يستوي هذا ومن هو قاسي القلب بعيد من الحق كقوله عز وجل (أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ؟) ولهذا قال تعالى (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) أي فلا تلبس عند ذكره ولا تخشع ولا تعي ولا تفهم (أولئك في ضلال مبين)

الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلبس جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد (٢٣)

هذا مدح من الله عز وجل لكتابه القرآن العظيم المنزل على رسوله الكريم . قال الله تعالى (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني) قال مجاهد يعني القرآن كله متشابها مثاني ، وقال قتادة الآية تشبه الآية والحرف يشبه الحرف وقال الضحاك مثاني ترديد القول ليفهموا عن ربهم تبارك وتعالى وقال عكرمة والحسن ثنى الله فيه القضاء زاد الحسن تكون السورة فيها آية وفي السورة الاخرى آية تشبهها ، وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم مثاني مردد ردد موسى في القرآن وصالح وهود والانبيا عليهم الصلاة والسلام في أمكنة كثيرة

قوله عز وجل (أفن شرح الله صدره للاسلام) وسعه لقبول الحق (فهو على نور من ربه) كن قسى الله قلبه ؟

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن ابراهيم الشريحي أنا أبو اسحاق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعالبي أنا ابن فنجويه حدثنا عبد الله بن محمد بن شيبه حدثنا أبو جعفر محمد بن الحسن الموصلي ببغداد أنا أبو فروة واسمه يزيد بن محمد حدثني أبي عن أبيه حدثنا زيد بن أبي أنيسة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود قال تلا رسول الله ﷺ (أفن شرح الله صدره الاسلام فهو على نور من ربه) قلنا يا رسول الله كيف انشراح صدره ؟ قال « اذا دخل النور القلب انشراح وانفسح » قلنا يا رسول الله وما علامة ذلك ؟ قال « الانابة الى دار الخلود ، والتجافي عن دار الغرور ، والتأهب للموت قبل نزول الموت »

قوله عز وجل (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين) قال مالك بن دينار ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب وما غضب الله عز وجل على قوم إلا نزع منهم الرحمة قوله عز وجل (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها) يشبه بعضه بعضا في الحسن وبصدق بعضه بعضا ليس فيه تناقض ولا اختلاف (مثاني) ثنى فيه ذكر الوعد والوعيد والامر والتهبي

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما (مثاني) قال القرآن يشبه بعضه بعضا ويرد بعضه على بعض ، وقال بعض العلماء ويروى عن سفيان بن عيينة معنى قوله تعالى (متشابها مثاني) ان سياقات القرآن تارة تكون في معنى واحد فهذان من المتشابه وتارة تكون بذكر الشيء وضده كذكر المؤمنين ثم الكافرين وكصفة الجنة ثم صفة النار وما أشبه هذا فهذا من المثاني كقوله تعالى (إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم) وكقوله عز وجل (كلا ان كتاب الفجار لفي سجين - الى أن قال - كلا ان كتاب الأبرار لفي عليين) هذا ذكر (وإن للمتقين لحسن مآب - الى أن قال هذا - وإن للطاغين لشر مآب) ونحو هذا من السياقات فهذا كله من المثاني أي في معنيين اثنين وأما إذا كان السياق كله في معنى واحد يشبه بعضه بعضا فهو المتشابه وليس هذا من المتشابه المذكور في قوله تعالى (منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) ذاك معنى آخر

وقوله تعالى (تقشع منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) أي هذه صفة الأبرار، عند سماع كلام الجبار، المهيمن العزيز الغفار، لما يفهمون منه من الوعد والوعيد، والتخويف والتهديد، تقشع منه جلودهم من الخشية والخوف (ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) لما يرجون ويؤمنون من رحمته ولطفه فهم مخافون تغيرهم من الفجار من وجوه (أحدها) أن سماع هؤلاء، هو تلاوة الآيات وسماع أولئك نعمات الآيات من أصوات القينات (الثاني) أنهم اذا تليت عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكيا بأدب وخشية ورجاء ومحبة وفهم وعلم كما قال تبارك وتعالى (إنما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون * الذين يقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون * أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) وقال تعالى (والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا) أي لم يكونوا عند

والاخبار والاحكام (تقشع) تضطرب وتشتت (منه جلود الذين يخشون ربهم) والاقشعرار تغير في جلد الانسان عند الوجع والخوف وقيل المراد من الجلود القلوب أي قلوب الذين يخشون ربهم (ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) أي لذكر الله أي اذا ذكرت آيات العذاب اقشعرت جلود الخائفين لله واذا ذكرت آيات الرحمة لانت وسكنت قلوبهم كما قال الله تعالى (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) وحقيقة المعنى أن قلوبهم تقشع عند الخوف وتلين عند الرجاء

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد ثنا محمد بن موسى بن محمد بن علي ثنا محمد بن عبدوس بن كامل ثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني ثنا علي بن عبد العزيز بن محمد عن يزيد بن الهاد عن ابراهيم التيمي عن أم كلثوم بنت عمر عن العباس بن عبد المطلب قال : قال رسول الله ﷺ « اذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحانت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها »

مما بها متشاغلين لاهين عنها بل مصغين اليها فاهمين بصيرين بمعانيها فلماذا انما يعملون بها ويسجدون عندها عن بصيرة لاعن جهل ومتابعة لغيرهم

(الثالث) انهم يلزمون الادب عند مماتها كما كان الصحابة رضي الله عنهم عندما معهم كلام الله تعالى من تلاوة رسول الله ﷺ تقشع جلودهم ثم تلين مع قلوبهم الى ذكر الله لم يكونوا يتصارخون ولا يتكافون ما ليس فيهم بل عندهم من الثبات والسكون والادب والخشية مالا يلحقهم احد في ذلك ولهذا فازوا بالمدح من الرب الاعلى في الدنيا والآخرة

قال عبد الزاق حدثنا معمر قال تلا فتادة رحمه الله (تقشع منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) قال هذا نعت اولياء الله نعمهم الله عز وجل بأن تقشع جلودهم وتبكي أعينهم وتطمئن قلوبهم الى ذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم إنما هذا في أهل البدع ، وهذا من الشيطان

وقال السدي (ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) أي الى وعد الله ، وقوله (ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده) أي هذه صفة من هداه الله ومن كان على خلاف ذلك فهو ممن أضله الله (ومن يضل الله فما له من هاد)

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد ثنا أحمد بن جعفر بن حمدان ثنا موسى بن اسحاق الانصاري ثنا محمد بن معاوية ثنا الليث بن سعد ثنا يزيد بن عبد الله ابن الهادي بهذا الاسناد وقال اذا اقشع جلد العبد من خشية الله حرمه الله على النار قال فتادة هذا نعت اولياء الله نعمهم الله بأن تقشع جلودهم وتطمئن قلوبهم بذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم إنما ذلك في أهل البدع وهو من الشيطان

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أنا الحسين بن محمد بن فنجويه ثنا ابن شعبة ثنا حمدان بن داود ثنا سلمة بن شبيب ثنا خاف بن سالم ثنا هشيم عن حصين عن عبد الله بن عروة ابن الزبير قال قلت لجدي أسماء بنت أبي بكر كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ يفعلون اذا قرئ عليهم القرآن؟ قالت كانوا كما نعمهم الله عز وجل تدمع أعينهم وتقشع جلودهم قال فقلت لها إن ناسا اليوم اذا قرئ عليهم القرآن خر أحدهم مغشيا عليه فقالت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . وبه عن سلمة ثنا يحيى بن يحيى ثنا سعيد بن عبد الرحمن الجمحي أن ابن عمر مر برجل من أهل العراق ساقط فقال ما بال هذا؟ قالوا انه اذا قرئ عليه القرآن أو سمع ذكر الله سقط قال ابن عمر إنا لنخشى الله وما نسقط وقال ابن عمر إن الشيطان يدخل في جوف أحدهم ما كان هذا صنيع أصحاب محمد ﷺ وذكر عند ابن سيرين الذين بهرعون اذا قرئ عليهم القرآن فقال بيننا وبينهم أن يقعد أحدهم على ظهر بيت باسطا رجله ثم يقرأ عليه القرآن من أوله الى آخره فان رمى بنفسه فهو صادق (ذلك)

أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون (٢٤)
كذب الذين من قبلهم فأنتهم العذاب من حيث لا يشعرون (٢٥) فأذاقهم الله الحزى في الحياة
الدنيا وللعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون (٢٦)

يقول تعالى أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة ويقرع فيقال له ولأمثاله من الظالمين ذوقوا
ما كنتم تكسبون كن يأتي آمنا يوم القيامة كما قال عز وجل (أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أم من
يمشي سويا على صراط مستقيم؟) وقال جل وعلا (يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر)
وقال تبارك وتعالى (أفمن يلقى في النار خبر أم من يأتي آمنا يوم القيامة؟) واكتفى في هذه الآية بأحد
القسمين عن الآخر كقول الشاعر

فما أدري إذا يمت أرضا أريد الخير أيها يليني؟

يعني الخير أو الشر . وقوله جلت عظمته (كذب الذين من قبلهم فأناهم العذاب من حيث
لا يشعرون) يعني القرون الماضية المكذبة للرسول أهلهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق

وقوله جل وعلا (فأذاقهم الله الحزى في الحياة الدنيا) أي بما أنزل بهم من العذاب والنكال
وتشفي المؤمنين منهم ، فليحذر المخاطبون من ذلك فانهم قد كذبوا أشرف الرسل وخاتم الانبياء
ﷺ الذي أعده الله جل جلاله لهم في الآخرة من العذاب الشديد أعظم مما أصابهم في الدنيا ولهذا قال
عز وجل (وللعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون)

ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون (٢٧) قرآنا عربيا غير

يعني احسن الحديث (هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد) أفمن يتقي بوجهه
سوء العذاب (أي شدته) (يوم القيامة) قال مجاهد يجر على وجهه في النار وقال عطاء يرمى به في
النار منكوسا فأول شيء منه تمسه النار وجهه قال مقاتل هو أن الكافر يرمى به في النار مغلوله يداها إلى
عنقه وفي عنقه صخرة مثل جبل عظيم من الكبريت فتشتعل النار في الحجر وهو معلق في عنقه فخرها
ووهجها على وجهه لا يطبق دفعها عن وجهه للاغلال التي في عنقه ويده ، ومجاز الآية أفمن يتقي بوجهه
سوء العذاب كن هو آمن من العذاب؟ (وقيل) يعني تقول الحزنة (للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون)
أي وباله (كذب الذين من قبلهم) من قبل كفار مكة كذبوا الرسل (فأناهم العذاب من
حيث لا يشعرون) يعني وهم آمنون غافلون عن العذاب (فأذاقهم الله الحزى) العذاب والهوان (في
الحياة الدنيا وللعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل

ذي عوج لعلمهم يتقون (٢٨) ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سليماً رجلاً هل يستويان مثلاً ؟ الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون (٢٩) انك ميت وإنهم ميتون (٣٠) ثم إنكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون (٣١)

يقول تعالى (وأقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) أى بينا للناس فيه بضرب الامثال (لعلمهم يتذكرون) فان المثل يقرب المعنى الى الالذهان كما قال تبارك وتعالى (ضرب لكم مثلاً من أنفسكم) أى تعلمونه من أنفسكم ، وقال عز وجل (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) وقوله جل وعلا (قرآنا عربيا غير ذي عوج) أى هو قرآن بلسان عربي مبين لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا لبس بل هو بيان ووضوح وبرهان ، وانما جعله الله تعالى كذلك ، وأنزله بذلك (لعلمهم يتقون) أى يحذرون مافيه من الوعيد ويعملون بمافيه من الوعد

ثم قال (ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون) أى يتنازعون في ذلك العبد المشترك بينهم [ورجلاً سليماً] أى سالماً (لرجل) أى خالصاً لا يملكه أحد غيره (هل يستويان مثلاً ؟) أى لا يستوي هذا وهذا ، كذلك لا يستوي المشرك الذي يعبد آلهة مع الله والمؤمن المحض الذي لا يعبد الا الله وحده لا شريك له ، فأين هذا من هذا ؟ قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وغير واحد : هذه الآية ضربت مثلاً للمشرك والمخلص ، ولما كان هذا المثل ظاهراً بينا جلياً قال (الحمد لله) أي على اقامة الحجة عليهم (بل أكثرهم لا يعلمون) أى فلماذا يشركون بالله

لعلمهم يتذكرون) يتعظون (قرآنا عربيا) نصب على الحال (غير ذي عوج) قال ابن عباس غير مختلف قل مجاهد غير ذي لبس قال السدي غير مخلوق وبروى ذلك عن مالك أنس وحكي عن سفيان بن عيينة عن سبعين من التابعين أن القرآن ليس بخالق ولا مخلوق (لعلمهم يتقون) الكفر والتكذيب (ضرب الله مثلاً رجلاً) قال الكسائي نصب رجلاً لانه تفسير للمثل (فيه شركاء متشاكسون) متنازعون مختلفون سيئة أخلاقهم يقال رجل شكس شرس اذا كان ميء الخلق مخالفاً للناس لا يرضى بالانصاف (ورجلاً سليماً رجلاً) قرأ أهل مكة والبصرة سالماً بالالف أي خالصاً لا شريك ولا منازع له فيه وقرأ الآخرون سلماً بفتح اللام من غير ألف وهو الذي لا ينازع فيه من قولهم هو لك سلم أي مسلم لا منازع لك فيه (هل يستويان مثلاً ؟) هذا مثل ضربه الله عز وجل للكافر الذي يعبد آلهة شتى والمؤمن الذي لا يعبد إلا الله الواحد وهذا استهزام انكار أي لا يستويان ثم قال (الحمد لله) أي لله الحمد كله دون غيره من المعبودين (بل أكثرهم لا يعلمون) ما يصيرون اليه

وقوله تبارك وتعالى (إنك ميت وأنهم ميتون) هذه الآية من الآيات التي استشهد بها الصديق رضي الله عنه عند موت الرسول ﷺ حتى تحقق الناس موته مع قوله عز وجل (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ؟ ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين) ومعنى هذه الآية أنكم ستنقلون من هذه الدار لا محالة وستجتمعون عند الله تعالى في الدار الآخرة وتختصمون فيها أنتم وفيه في الدين من التوحيد والشرك بين يدي الله عز وجل فيفصل بينكم ويفتح بالحق وهو الفتح العليم، فينجي المؤمنين المخلصين الموحدين، ويعذب الكافرين الجاحدين المشركين المكذبين

ثم إن هذه الآية وإن كان سياقها في المؤمنين والكافرين وذكر الخصومة بينهم في الدار الآخرة فأنها شاملة لكل متنازعين في الدنيا فإنه تعاد عليهم الخصومة في الدار الآخرة

قال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ ثنا سفيان عن محمد بن عمرو عن أبي حاطب - يعني يحيى بن عبد الرحمن - عن ابن الزبير رضي الله عنهما قال : لما نزلت (ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) قال الزبير رضي الله عنه يارسول الله : أتكرر علينا الخصومة ؟ قال ﷺ « نعم » قال رضي الله عنه : إن الأمر إذاً لشديد . وكذا رواه الإمام أحمد عن سفيان وعنده زيادة : ولما نزلت (ثم لتستلن يومئذ عن النعيم) قال الزبير رضي الله عنه : أي رسول الله أي نعم نستل عنه وإنما نعينا السودان : التمر والماء ؟ قال ﷺ « أما إن ذلك سيكون » وقد روى هذه الزيادة الترمذي وابن ماجه من حديث سفيان به وقال الترمذي حسن

وقال أحمد أيضا حدثنا ابن نمير ثنا محمد - يعني ابن عمرو - عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن عبد الله بن الزبير عن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه السورة على رسول الله ﷺ (إنك ميت وأنهم ميتون) ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) قال الزبير رضي الله عنه : أي رسول الله أيكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب ؟ قال ﷺ « نعم ليكررن

والمراد بالاكثر الكل (إنك ميت) أي ستموت (وإنهم ميتون) أي سيموتون قال الفراء والكسائي الميت بالشدديد من لم يموت وسيموت والميت بالتخفيف من فارقه الروح ولذلك لم يخفف هنا (ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) قال ابن عباس يعني الحق والمبطل والظالم والمظلوم أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أنا ابن فنجويه ثنا ابن مالك ثنا ابن حنبل حدثني أبي ثنا ابن نمير ثنا محمد يعني ابن عمرو عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن عبد الله بن الزبير عن الزبير بن العوام قال لما نزلت على رسول الله ﷺ (ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) قال الزبير يارسول الله أيكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب ؟ قال « نعم ليكررن عليكم حتى يؤدي الى كل ذي حق حقه » قال الزبير والله إن الأمر لشديد وقال ابن عمر عشنا بهمة

عليكم حتى يؤدي الى كل ذي حق حقه » قال الزبير رضي الله عنه والله ان الامر اشديد، رواه الترمذي من حديث محمد بن عمرو به وقال حسن صحيح

وقال الامام أحمد حدثنا قتيبة بن سعيد ثنا ابن لهيعة عن أبي عباس عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « أول خصم بين يوم القيامة جاران » تفرد به أحمد

وقال الامام أحمد أيضاً حدثنا حسن بن موسى ثنا ابن لهيعة ثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « والذي نفسي بيده انه ليختصم حتى الشاتان فيما انتطحتا » تفرد به أحمد رحمه الله . وفي المسند عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال رأى رسول الله ﷺ شاتين ينتطحان فقال « أتدري فيم ينتطحان يا أبا ذر؟ » قلت لا قال ﷺ « لكن الله يدري وسيحكم بينهما » وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا سهل بن محمد ثنا حيان بن أغلب ثنا أبي ثنا ثابت عن أنس

رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « يجاء بالامام الجائر الخائن يوم القيامة فتخاصمه الرعية فيفلحون عليه فيقال له سد ركننا من أركان جهنم » ثم قال الاغلب بن تميم ليس بالحافظ

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما (ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) يقول نخاصم الصادق الكاذب ، والمظلوم الظالم ، والمتهدي الضال ، والضعيف المستكبر ، وقد روى ابن منده في كتاب الروح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : يختصم الناس يوم القيامة حتى تختصم الروح مع الجسد فتقول للروح أنت فعلت ويقول الجسد للروح أنت أمرت وأنت سوات ، فيبعث الله تعالى ملكا يفصل بينهما فيقول لهما إن مثلكما كمثل رجل مقعد بصير والآخر ضرير دخلا بستانا فقال المقعد للضرير اني أرى ههنا ثماراً ولكن لا أصل اليها فقال له الضرير اركبني فتناولها فركبه فأبها المتعدي ؟ فيقولان كلاهما فيقول لهما الملك فانكما قد حكمتما على أنفسكما ، يعني ان الجسد للروح كالطية وهو راكمه

من الدهر وكنا نرى أن هذه الآية أنزلت فينا وفي أهل الكتابين (ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) قلنا كيف تختصم وديننا وكتابنا واحد ؟ حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت انها نزلت فينا . وعن أبي سعيد الخدري في هذه الآية قال كنا نقول ربنا واحد وديننا واحد ونبينا واحد فما هذه الخصومة ؟ فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وعن ابراهيم قال لما نزلت [ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون] قالوا كيف تختصم ونحن اخوان ؟ فلما قتل عثمان قالوا هذه خصومتنا

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد الملبحي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح ثنا أبو القاسم عبد الله ابن محمد بن عبد العزيز البغوي ثنا علي بن الجعد ثنا ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « من كانت لأخيه عنده مظلمة من عرض أو مال فليتحلله اليوم قبل أن يؤخذ منه

وقال ابن أبي حاتم حدثنا جعفر بن أحمد بن عوسجة ثنا ضرار ثنا أبو سلمة الخزاعي ثنا منصور ابن مسleme ثنا القمي - يعني يعقوب بن عبد الله - عن جعفر بن المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : نزلت هذه الآية وما نعلم في أي شيء نزلت (ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) قال قلنا من نخاصم ليس بيننا وبين أهل الكتاب خصومة فمن نخاصم ؟ حتى وقعت الفتنة فقال ابن عمر رضي الله عنهما : هذا الذي وعدنا ربنا عز وجل نخضم فيه ، ورواه النسائي عن محمد بن عامر عن منصور بن مسleme به

وقال أبو العالية في قوله تبارك وتعالى (ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) قال يعني أهل القبلة، وقال ابن زيد : يعني أهل الاسلام وأهل الكفر ، وقد قدمنا ان الصحيح العموم والله سبحانه أعلم

فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه ؟ أليس في جهنم مثوى للكافرين ؟

(٣٢) والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون (٣٣) لهم ما يشاءون عند ربهم

ذلك جزاء المحسنين (٣٤) ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن

الذي كانوا يعملون (٣٥)

يقول عز وجل مخاطباً للمشركين الذين افتروا على الله وجعلوا معه آلهة أخرى وادعوا أن الملائكة بنات الله وجعلوا لله ولداً تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ، ومع هذا كذبوا بالحق إذ جاءهم على السنة رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولهذا قال عز وجل (فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه) أي لا أحد أظلم من هذا لانه جمع بين طرفي الباطل كذب على الله وكذب رسول الله ﷺ قالوا الباطل وردوا الحق ولهذا قال جلت عظمته متوعداً لهم (أليس في جهنم مثوى للكافرين ؟) وهم الجاحدون المكذبون

يوم لا دينار ولا درهم فان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظنته وان لم يكن له أخذ من سيئاته فخمت عليه أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقى أنا أبو الحسن الطبري أنا عبد الله بن عمر الجوهري ثنا أحمد بن علي الكشميهني ثنا علي بن حجر ثنا اسمعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « أتدرون من المفلس ؟ » قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع قال « ان المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة وقد كان شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيقضي هذا من حسناته وهذا من حسناته - قال - فان فئت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار »

قوله عز وجل (فمن أظلم ممن كذب على الله) فزعم أن له ولداً وتريكا (وكذب بالصدق)

ثم قال جل وعلا (والذي جاء بالصدق وصدق به) قال مجاهد وقتادة والريعي بن أنس وابن زيد : الذي جاء بالصدق هو الرسول ﷺ وقال السدي هو جبريل عليه السلام (وصدق به) يعني محمدا ﷺ وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما (والذي جاء بالصدق) قال من جاء بلا إله إلا الله (وصدق به) يعني رسول الله ﷺ وقرأ الريعي بن أنس (والذين جاءوا بالصدق) يعني الانبياء (وصدقوا به) يعني الاتباع

وقال ايث بن أبي سليم عن مجاهد [والذي جاء بالصدق وصدق به] قال أصحاب القرآن المؤمنون يجيثون يوم القيامة فيقولون هذا ما أعطيتونا فعملنا فيه بما أمرتونا . وهذا القول عن مجاهد يشمل كل المؤمنين فان المؤمنين يقولون الحق ويعملون به ، والرسول ﷺ أولى الناس بالدخول في هذه الآية على هذا التفسير فانه جاء بالصدق وصدق المرسلين وآمن بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله

وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم والذي جاء بالصدق هو رسول الله ﷺ وصدق به قال المسلمون [أولئك هم المتقون] قال ابن عباس رضي الله عنهما : اتقوا الشرك [لهم ما يشاؤون عند ربهم] يعني في الجنة مها طلبوا وجدوا (ذلك جزاء المحسنين * ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون) كما قال عز وجل في الآية الاخرى (أولئك الذين تقبل عنهم أحسن ما عملوا وندوا عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون)

بالقرآن (إذ جاءه أليس في جهنم مثوى) منزل ومقام (للكافرين ؟) استفهام بمعنى التقرير (والذي جاء بالصدق وصدق به)

قال ابن عباس (والذي جاء بالصدق) يعني رسول الله ﷺ جاء بلا إله إلا الله (وصدق به) الرسول أيضا بلغه إلى الخلق وقال السدي (والذي جاء بالصدق) جبريل جاء بالقرآن (وصدق به) محمد ﷺ تلقاه بالقبول وقال السكابي وأبو العالية (والذي جاء بالصدق) رسول الله ﷺ (وصدق به) أبو بكر رضي الله عنه وقال قتادة ومقاتل (والذي جاء بالصدق) رسول الله ﷺ (وصدق به) المؤمنون لقوله عز وجل (أولئك هم المتقون) وقال عطاء (والذي جاء بالصدق) الانبياء وصدق به الاتباع وحينئذ يكون الذي بمعنى الذين كقوله تعالى (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا) ثم قال (ذهب الله بنورهم) وقال الحسن هم المؤمنون صدقوا ربهم في الدنيا وجاؤا به في الآخرة وفي قراءة عبدالله بن مسعود (والذين جاؤا بالصدق وصدقوا به أولئك هم المتقون) (لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين * ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا) بسترها عليهم بالمغفرة (ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون) قال مقاتل يجزيهم بالمحسن من أعمالهم ولا يجزيهم بالمساوي

أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضل الله فما له من هاد
(٣٦) ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذي انتقام (٣٧) ولئن سألتهم من خلق
السموات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل
هن كاشفت ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكت رحمته ؟ قل حسبي الله عليه يتوكل
المتوكلون (٣٨) قل يقوم أعمالوا على مكانتكم إني عمل فسوف تعلمون (٣٩) من يأتيه عذاب
يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم (٤٠)

يقول تعالى (أليس الله بكاف عبده) وقرأ بعضهم (عباده) يعني انه تعالى بكفي من عبده وتوكل عليه
وقال ابن أبي حاتم همنا حدثنا أبو عبيد الله ابن أخي بن وهب ثنا عبي بن هاني عن أبي علي
عمرو بن مالك الجني عن فضالة بن عبيد الانصاري رضي الله عنه انه سمع رسول الله ﷺ يقول
«أفلح من هدي الى الاسلام وكان عبده كفافا وقنع به» رواه الترمذي والنسائي من حديث حبة بن
شرح عن أبي هاني الخولاني به وقال الترمذي صحيح (ويخوفونك بالذين من دونه) يعني المشركين
يخوفون الرسول ﷺ ويتوعدونه بأصنامهم وآلهتهم التي يدعونها من دون الله جهلا منهم وضلالا
ولهذا قال عز وجل (ومن يضل الله فما له من هاد * ومن يهد الله فما له مضل أليس الله بعزيز ذي انتقام)
أي منيع الجناب لا يضام من استند الى جنابه ولجا الى بابه فانه العزيز الذي لا أعز منه ولا أشد
انتقاما منه ممن كفر به وأشرك وعاند رسوله ﷺ وقوله تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله) يعني المشركين كانوا يعترفون بان الله عز وجل هو الخالق للشيء كلها ومع
هذا يعبدون معه غيره مما لا يملك لهم ضرأ ولا نفعا ولهذا قال تبارك وتعالى (قل أفرأيتم ما تدعون
من دون الله ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره ؟ أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته ؟

قوله عز وجل (أليس الله بكاف عبده ؟) يعني محمدا ﷺ وقرأ أبو جعفر وحمة والكسائي
عباده بالجمع يعني الأنبياء عليهم السلام قصدتم قومهم بالسوء كما قال وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه
فكفاهم الله شر من عاداهم (ويخوفونك بالذين من دونه) وذلك أنهم خوفوا النبي ﷺ معرفة
معاداة الاوثان وقالوا لتكفرن عن شتم آلهتنا أو ليصينسك منهم خبل أو جنون (ومن يضل الله
فما له من هاد * ومن يهد الله فما له مضل أليس الله بعزيز ذي انتقام ؟) منيع في ملكه منتقم من
أعدائه (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان
أرادني الله بضر) بشدة وبلاء (هل هن كاشفات ضره ؟ أو أرادني برحمة) بنعمة وبركة (هل هن

أي لا تستطيع شيئاً من الأمر ، وذكر ابن أبي حاتم هنا حديث قيس بن الحجاج عن حنّس الصنعاني عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً « احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يضروك ، ولو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم ينفعوك ، جفت الصحف ورفعت الأفلام وأعمل الله بالشكر في اليقين ، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً ، وأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً » (قل حسي الله) أي الله كافي (عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون) كما قال هود عليه الصلاة والسلام حين قال قومه (ان تقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد الله وأشهدوا أنني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون * إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم)

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عصام الانصاري ثنا عبد الله بن بكر السهمي ثنا محمد بن حاتم عن أبي المقدم مولى آل عثمان عن محمد بن كعب القرظي ثنا ابن عباس رضي الله عنهما رفع الحديث إلى رسول الله ﷺ قال « من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ، ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله عز وجل أوثق منه بما في يديه ، ومن أحب أن يكون أكرم الناس فليثق الله عز وجل وقوله تعالى (قل يا قوم اعملوا على مكانتكم) أي على طريقتكم وهذا تهديد ووعيد (إني عامل) أي على طريقتي ومنهجي (فسوف تعلمون) أي ستعلمون غيب ذلك ووباله (من يأتيه عذاب يخزيه) أي في الدنيا (ويحل عليه عذاب مقيم) أي دائم مستمر لا محيد عنه وذلك يوم القيامة أعاذنا الله منها

إنا أنزلنا عليك الكتاب بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل (٤١) الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون (٤٢)

ممسكات رحمته ؟) قرأ أهل البصرة (كاشفات) وممسكات بالتنوين (ضره) (ورحمته) بنصب الراء والتاء وقرأ الآخرون بلا تنوين وجز التاء على الإضافة قال مقاتل فسألهم النبي ﷺ عن ذلك فسكتوا فقال الله تعالى لرسوله ﷺ (قل حسي الله) تقني به واعتمادي عليه (عليه يتوكل المتوكلون) يثق به الوائقون (قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون * من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم) أي ينزل عليه عذاب دائم (إنا أنزلنا عليك الكتاب بالحق فمن

يقول تعالى مخاطباً رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم (انا أنزلنا عليك الكتاب) يعني القرآن (لنناس بالحق) أي لجميع الخلق من الانس والجن لننذرهم به (فمن اهتدى فلنفسه) أي قائماً بعود نفع ذلك إلى نفسه (ومن ضل قائماً بضل عليها) أي انما يرجع وبال ذلك على نفسه (وما أنت عليهم بوكيل) أي بموكل ان يهتدوا (انما أنت نذير والله على كل شيء وكيل - انما عليك البلاغ وعلينا الحساب) ثم قال تعالى مخبراً عن نفسه الكريمة بانه المتصرف في الوجود بما يشاء، وانه يتوفى للأففس الوفاة الكبرى بما يرسل من الحفظة الذين يقبضونها من الابدان والوفاة الصغرى عند المنام كما قال تبارك وتعالى (وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار) ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يهرطون) فذكر الوفاة الصغرى ثم الكبرى وفي هذه الآية ذكر الكبرى ثم الصغرى ولهذا قال تبارك وتعالى (الله يتوفى الأففس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى) فيه دلالة على انها تجتمع في الملائكة كما ورد بذلك الحديث المرفوع الذي رواه ابن منده وغيره

وفي صحيح البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمر عن سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « اذا أوى أحدكم الى فراشه فلينبضه بداخله ازاره فانه لا يدري ما خلفه عليه ثم ليقل باسمك ربي وضعت جنبي وبك ارفعه ان أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين »

اهتدى فلنفسه ومن ضل قائماً بضل عليها وبال ضلالاته عليه (وما أنت عليهم بوكيل) بحفظ ورقب أي لم توكل بهم ولا تؤخذ بهم

قوله عز وجل (الله يتوفى الأففس) أي الارواح (حين موتها) فيقبضها عند فناء أكلها وانقضاء آجالها وقوله (حين موتها) يريد موت أجسادها (والتي لم تمت) يريد يتوفى الأففس التي لم تمت (في منامها) والتي تنوفى عند النوم هي النفس التي يكون بها العقل والتمييز ولكل انسان نفسان احدهما نفس الحياة وهي التي تفارقه عند الموت فتزول بزوالها النفس والاخرى نفس التمييز وهي التي تفارقه اذا نام وهو بعد النوم بنفسه (فيمسك التي قضى عليه الموت) فلا يردها الى الجسد قرأهمزة والكسائي [قضى] بضم القاف وكسر الضاد وفتح الباء [الموت] رفع على ما لم يسم فاعله ، وقرأ الآخرون بفتح القاف والضاد الموت نصب لقوله عز وجل (الله يتوفى الأففس) (ويرسل الاخرى) ويرد الاخرى وهي التي لم يقض عليها الموت الى الجسد (الى أجل مسمى) الى أن يأتي وقت موته ويقال للانسان نفس وروح فعند النوم يخرج النفس ويبقى الروح وعن علي قال يخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعه في الجسد فبذلك يرى الرؤيا فاذا انتبه من النوم عاد الروح الى جسده بأسرع من لحظة

وقال بعض السلف يقبض أرواح الاموات اذا ماتوا وأرواح الاحياء اذا ناموا فتعارف ماشاء الله تعالى أن تتعارف (فيمسك التي قضى عليها الموت) التي قد ماتت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى قال السدي الى بقية أهلها، وقال ابن عباس رضي الله عنهما يمسك أنفس الاموات ويرسل أنفس الاحياء ولا يفلط (ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)

أم اتخذوا من دون الله شفعا قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون ؟ (٤٣)
قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون (٤٤) واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذاهم يستبشرون (٤٥)
يقول تعالى ذاما للمشركين في اتخاذهم شفعا، من دون الله وهم الاصنام والانداد التي اتخذوها من تلقا، أنفسهم بلا دليل ولا برهان حدام على ذلك وهي لا تملك شيئا من الامر بل وليس لها عقل تعقل به ولا سمع تسمع به ولا بصر تبصر به بل هي جمادات أسوأ حالا من الحيوان بكثير ثم قال قل أي يا محمد لهؤلاء الزاعمين ان ما اتخذوه شفعا لم عند الله تعالى أخبرهم ان الشفاعة لا تنفع عند الله إلا لمن ارتضاء وأذن له فرجها كلها اليه (من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه) (له ملك السموات والارض) أي هو المتصرف في جميع ذلك (ثم اليه ترجعون) أي يوم القيامة فيحكم بينكم بعدله ويجزي كلا بعمله ثم قال تعالى ذاما للمشركين أيضا (وإذا ذكر الله وحده) أي اذا قيل لا إله إلا

ويقال ان ارواح الاحياء والاموات تلتقي في المنام فتعارف ماشاء الله فاذا أرات الرجوع الى أجسادها أمسك الله ارواح الاموات عنده وارسل ارواح الاحياء حتي ترجع الى أجسادها الى انقضاء مدة حياتها أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل حدثنا أحمد بن يونس ثنا زهير ثنا عبد الله بن عمر حدثني سعد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « اذا أوى أحدكم الى فراشه فلينفذ فراشه بداخله ازاره فإنه لا يدري ما خلفه عليه ثم يقول باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه ان أمسكت نفسي فارحها وان أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين » (إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) (لدلالات على قدرته حيث لم يفلط في امساك ما يمسك من الارواح وارسال ما يرسل منها قال مقاتل لعلامات لقوم يتفكرون في أمر البعث يعني أن توفي نفس النائم وارسالها بعد التوفي دليل على البعث) أم اتخذوا من دون الله شفعا قل (يا محمد) (أولو كانوا) (وان كانوا يعني الآلهة) (لا يملكون شيئا) من الشفاعة (ولا يعقلون ؟) أنكم تعبدونهم وجواب هذا محذوف تقديره وان كانوا بهذه الصفة تتخذونهم (قل لله الشفاعة جميعا) قال مجاهد لا يشفع أحد إلا باذنه (له ملك السموات والارض ثم اليه

الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) قال مجاهد اشمأزت انقبضت وقال السدي نفرت وقال قتادة كفرت واستكبرت وقال مالك عن زيد بن اسلم استكبرت كما قال تعالى (إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله الا الله يستكبرون) أي عن المتابعة والاتباع لها فقلوبهم لا تقبل الخير ومن لم يقبل الخير يقبل الشر ولذلك قال تبارك وتعالى (وإذا ذكر الذين من دونه) أي من الاصنام والانداد قاله مجاهد (إذا هم يستبشرون) أي يفرحون ويسرون

قل اللهم فاطر السموات والارض علم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون (٤٦) ولو أن للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لاقتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون (٤٧) وبدا لهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون (٤٨)

يقول تبارك وتعالى بعد ما ذكر عن المشركين ما ذكر من المذمة لهم في حبيبهم الشرك ونفرتهم عن التوحيد (قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة) أي ادع أنت الله وحده لا شريك له الذي خلق السموات والارض وفطرها أي جعلها على غير مثال سبق (عالم الغيب والشهادة) أي السر والعلانية [أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون] أي في دنياهم سنفصل بينهم يوم معادهم ونشورهم وقيامهم من قبورهم

قال مسلم في صحيحه حدثنا عبد بن حميد حدثنا عمر بن يونس ثنا عكرمة بن عمار ثنا يحيى بن أبي كثير حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن قال : سألت عائشة رضي الله عنها بأي شيء كان رسول الله ﷺ يفتح صلاته إذا قام من الليل ؟ قالت رضي الله عنها كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته « اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم »

وقال الامام احمد حدثنا عفان ثنا حماد بن سلمة انا سهيل عن أبي صالح وعبد الله بن عثمان بن رجمون • وإذا ذكر الله وحده اشمأزت) نفرت وقال ابن عباس ومجاهد ومقاتل انقبضت عن التوحيد وقال قتادة استكبرت وأصل الاشمة ثراز النفور والاستكبار (قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه) يعني الاصنام (إذا هم يستبشرون) يفرحون قال مجاهد ومقاتل وذلك حين قرأ النبي ﷺ سررة والنجم فالقى الشيطان في امنيته تلك الغرائيق العلى ففرح به الكفار (قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) تفسير ابن كثير والبغوي « ٣٢٢ » الجزء السابع

خبرني عن عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ قال : « من قال اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أني أعهد إليك في هذه الدنيا أني أشهد أن لا إله الا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمداً عبدك ورسولك فانك إن تكلمني إلى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير ، وإني لا أثق الا برحمتك فاجعل لي عندك عهداً توفيني به يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد ، إلا قال الله عز وجل للملائكة يوم القيامة إن عهدي قد عهد إلي عهداً فأوفوه إياه فيدخله الله الجنة » قال سهيل فأخبرت الناعم بن عبد الرحمن أن عوناً أخبر بكذا وكذا فقال ما فينا جارية إلا وهي تقول هذا في خدرها . انفرد به الامام أحمد

وقال الامام احمد حدثنا حسن ثنا ابن لميعة حدثني حيي بن عبد الله أن أبا عبد الرحمن حدثه قال أخرج لنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قرطاساً وقال : كان رسول الله ﷺ يعلمنا نقول : اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت رب كل شيء وإله كل شيء ، أشهد أن لا إله الا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمداً عبدك ورسولك والملائكة بشهودون ، أعوذ بك من الشيطان وشركه ، وأعوذ بك أن أقترف على نفسي أمراً أو أجبره إلى مسلم » قال أبو عبد الرحمن رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، أن يقول ذلك حين يريد أن ينام . تفرد به أحمد أيضاً

وقال الامام أحمد أيضاً حدثنا خلف بن الوليد ثنا ابن عياش عن محمد بن زياد الالهماني عن أبي راشد الخبراني قال : أتيت عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما فقلت له حدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ فأخى بين يدي صحيفة فقال هذا ما كتب لي رسول الله ﷺ فنظرت فيها فاذا فيها أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال : يا رسول الله علمني ما أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت فقال له رسول الله ﷺ « يا أبا بكر قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة لا إله الا أنت رب كل شيء ومليكه أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه أو أقترف على نفسي سوءاً أو أجبره إلى مسلم » ورواه الترمذي عن الحسن بن عرفة عن إسماعيل بن عياش به وقال حسن غريب من هذا الوجه وقال الامام أحمد حدثنا هاشم ثنا سيار عن ليث عن مجاهد قال : قال أبو بكر الصديق أمرني رسول الله ﷺ أن أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعي من الليل « اللهم فاطر السموات والارض الخ

أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو نعيم الاسفرايني أنا أبو عوانة ثنا السلمي ثنا النضر بن محمد ثنا عكرمة بن عمار أنا يحيى بن أبي كثير ثنا أبو سلمة قال سألت عائشة رضي الله عنها بم كان رسول الله ﷺ يفتتح الصلاة من الليل ؟ قالت كان يقول « اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك إنك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم »

وقوله عز وجل (ولو أن الذين ظلموا) وهم المشركون (ما في الارض جميعا ومثله معه) أي ولو ن جميع ما في الارض وضعفه معه (لافتدوا به من سوء العذاب) أي الذي أوجبه الله تعالى لهم يوم القيامة ومع هذا لا يقبل منهم الفداء ولو كان ملء الارض ذهباً كما قال في الآية الاخرى (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) أي وظهر لهم من الله من العذاب والنكال بهم ما لم يكن في بالهم ولا في حسابهم (وبدا لهم سيئات ما كسبوا) أي وظهر لهم جزاء ما اكتسبوا في الدار الدنيا من المحارم والآثام (وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) أي وأحاط بهم من العذاب والنكال ما كانوا يستهزئون به في الدار الدنيا

فإذا مس الانسان ضرراً دعانا ثم اذا خولته نعمة منا قال إنما أوتيته على علم بل هي فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون (٤٩) قد قالها الذين من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون (٥٠) فأصابهم سيئات ما كسبوا، والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين (٥١) أولم يعلموا أن الله يسطر الرزق لمن يشاء ويقدر، إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون (٥٢)

يقول تبارك وتعالى مخبراً عن الانسان أنه في حال الضراء يتضرع الى الله عز وجل وينيب اليه ويدعوه واذا خوله نعمة منه بغى وطفى وقال (إنما أوتيته على علم) أي لما يعلم الله تعالى من استحقاق له ولولا أني عند الله خصيص لما خولني هذا قال قتادة على علم عندي على خبر عندي قال الله عز وجل (بل هي فتنة) أي ليس الامر كما زعم بل إنما أنعمنا عليه بهذه النعمة لنختبره

قوله عز وجل (ولو أن الذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) قال مقاتل ظهر لهم حين بعثوا ما لم يحتسبوا في الدنيا أنه نازل بهم في الآخرة قال السدي ظنوا أنها حسنات فبدت لهم سيئات، والمعنى أنهم كانوا يتقربون الى الله بعبادة الاصنام فلما عوقبوا عليها بدا لهم من الله ما لم يحتسبوا. وروي أن محمد بن المنكدر جزع عند الموت فقبل له في ذلك فقال أخشى أن يبدو لي ما لم أحاسب (وبدا لهم سيئات ما كسبوا) أي مساوي أعمالهم من الشرك والظلم بأولياء الله (وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) فإذا مس الانسان ضرراً شدة (دعانا ثم اذا خولناه) أعطيناه (نعمة منا قال إنما أوتيته على علم) أي على علم من الله أني له أهل وقال مقاتل على خبر علم الله عندي وذكر الكناية لان المراد من النعمة الانعام (بل هي فتنة) يعني تلك النعمة فتنة استدراج من الله وامتحان وبليّة وقيل بل الكلمة التي

فَمَا أُنَمِّنَا عَلَيْهِ أَيْطِيعُ أَمْ يَعْصِي مَعَ عَلَمِنَا الْمُتَقَدِّمِ بِذَلِكَ فَهِيَ فِتْنَةٌ أَيْ اخْتِبَارٌ (وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)
 فَهَذَا يَقُولُونَ مَا يَقُولُونَ وَيَدْعُونَ مَا يَدْعُونَ (قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) أَيْ قَدْ قَالَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ وَزَعَمَ
 هَذَا الزَّعَمَ وَادَّعَى هَذِهِ الدَّعْوَى كَثِيرٌ مِنْ سَلَفٍ مِنَ الْأُمَمِ (فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) أَيْ فَمَا
 صَحَّ قَوْلُهُمْ وَلَا نَفَعَهُمْ جَمْعُهُمْ وَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ)
 أَيْ مِنَ الْمُخَاطَبِينَ (سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا) أَيْ كَأَصَابِ أَوْلَئِكَ (وَمَا مِنْ مُعْجَزٍ) كَمَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
 مُنْخَبِرًا عَنْ قَارُونَ أَنَّهُ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ (لَا تَقْرَحْ) إِنْ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُرْحَ مِنْ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ
 الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ) إِنْ اللَّهُ
 لَا يُحِبُّ الْمُسْئِدِينَ * قَالَ إِنَّمَا أَوْتَيْتَهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوْ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ
 هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمْعًا وَلَا يَسْتَلْ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (وَقَالَ تَعَالَى) وَقَالُوا لَنَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا
 وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعْذِبِينَ (وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى) أَوْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ
 أَيْ يُوسِّعُهُ عَلَى قَوْمٍ وَيَضِيقُهُ عَلَى آخَرِينَ (إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) أَيْ لِعِبَرٍ أَوْ حُجَجٍ

قُلْ يَعْبَادِي الَّذِينَ أُسْرِفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ
 جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) وَأَنْبِئُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ
 ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ (٥٤) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ
 بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٥٥) أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يُحْسِرُنِي عَلَى مَا فَرَطْتُ مِنْ جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ
 لِمَنِ السُّخْرَيْنِ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ
 تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ
 بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٥٩)

قَالَهَا فِتْنَةٌ (وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) أَنَّهُ اسْتَدْرَاجٌ وَامْتِحَانٌ (قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) قَالَ
 مُقَاتِلُ بَعْضِ قَارُونَ فَإِنَّهُ قَالَ إِنَّمَا أَوْتَيْتَهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي (فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) فَمَا أَغْنَى
 عَنْهُمْ الْكَفَرُ مِنَ الْعَذَابِ شَيْئًا (فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا) أَيْ جَزَاؤُهَا يَعْنِي الْعَذَابُ
 ثُمَّ أَوْعَدَ كُفَّارَ مَكَّةَ فَقَالَ (وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا مِنْ مُعْجَزٍ)
 بِفَاتِنِينَ لِأَنَّ مَرَجَهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (أَوْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ) أَيْ يُوسِّعُ الرِّزْقَ
 لِمَنْ يَشَاءُ (وَيَقْدِرُ) أَيْ يَقْدِرُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ (إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)

هذه الآية السكرية دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والالانابة واخبار بأن الله تبارك وتعالى يغفر الذنوب جميعا لمن تاب منها ورجع عنها وإن كانت معها كانت وان كثرت وكانت مثل زبد البحر ، ولا يصح حمل هذه على غير توبة لأن الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه

قال البخاري حدثنا ابراهيم بن موسى أخبرنا هشام بن يونس أن ابن جريج أخبرهم قال بعلي بن سعيد بن جبير أخبره عن ابن عباس رضي الله عنهما أن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثرُوا ، وزنوا فأكثرُوا فأتوا محمداً ﷺ فقالوا إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة فنزل [والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون] ونزل [قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله] وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي من حديث ابن جريج عن بعلي بن مسلم المسكي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما . والمراد من الآية الأولى قوله تعالى [إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً] الآية

وقال الامام أحمد حدثنا حسن ثنا ابن لهيعة ثنا أبو قبيل قال : سمعت أبا عبد الرحمن المزني يقول سمعت ثوبان مولى رسول الله ﷺ يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية [قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم] إلى آخر الآية فقال رجل يا رسول الله فمن أشرك ؟ فسكت النبي ﷺ ثم قال « ألا ومن أشرك » ثلاث مرات تفرد به الامام أحمد وقال الامام أحمد أيضاً حدثنا شريح بن النعمان ثنا نوح بن قيس عن أشعث بن جابر الحداني

قوله عز وجل [قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله] روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أن ناساً من أهل الشرك كانوا قتلوا وأكثروا وزنوا وأكثروا فأتوا النبي ﷺ وقالوا إن الذي تدعونا إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة فنزلت هذه الآية

وقال عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بعث رسول الله ﷺ إلى وحشي يدعو إلى الاسلام فارسل إليه كيف تدعوني إلى دينك وأنت تزعم أن من قتل أو أشرك أو زنى بلى أنا ما بضاعف له العذاب ؟ وأنا قد فعلت ذلك كله فأنزل الله (إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً) فقال وحشي هذا شرط شديد لعل لا أقدر عليه فهل غير ذلك فأنزل الله تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فقال وحشي أراني بعد في شبهة فلا أدري يغفر لي أم لا فأنزل الله تعالى (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) فقال وحشي نعم هذا فجاء وأسلم فقال المسلمون هذا له خاصة أم للمسلمين عامة ؟ قال بل للمسلمين عامة

وروي عن ابن عمر قال نزلت هذه الآية في عباس بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين كانوا قد أسلموا ثم فتنوا وعذبوا فافتنوا فكنا نقول لا يقبل الله من هؤلاء صرفاً ولا عدلاً

عن مكحول عن عمرو بن عنبسة رضي الله عنه قال جاء رجل إلى النبي ﷺ شيخ كبير يدعم على عصاه فقال : يا رسول الله إزلي غدرات وفجرات فهل يغفر لي قال ﷺ «أأستشهد أن لا إله إلا الله؟» قال بلى وأشهد أنك رسول الله فقال ﷺ «قد غفر لك غدراتك وفجراتك» تفرد به أحمد

وقال الامام احمد حدثنا يزيد بن هارون ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقرأ انه عمل غير صالح (وسمعه ﷺ يقول) قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً ولا يبالي (انه هو الغفور الرحيم) ورواه أبو داود والترمذي من حديث ثابت به فهذه الاحاديث كلها دالة على أن المراد انه يغفر جميع ذلك مع التوبة ولا يقنطن عبد من رحمة الله وان عظمت ذنوبه وكثرت فان باب الرحمة والتوبة واسم قال الله تعالى (لم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده) وقال عز وجل (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً) وقال جر وعلا في حق المنافقين (ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً إلا الذين تابوا وأصلحوا) وقال جل جلاله (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم)

ثم قال جللت عظمتها (أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم) وقال تبارك وتعالى (إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا) قال الحسن البصري رحمة الله عليه انظروا إلى هذا الكرم والجلود قتلوا أوليائه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة ، والآيات في هذا كثيرة جداً وفي الصحيحين عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ حديث الذي قتل نسعا

أبدا قوم أسلموا ثم تركوا دينهم لعذاب عذبوا فيه فأزل الله هذه الآيات فكتبها عمر بن الخطاب بيده ثم بعث بها إلى عياش بن ربيعة والوليد بن الوليد وإلى أولئك النفر فأسلموا وهاجروا وروى مقاتل بن حيان عن نافع عن ابن عمر قال كنا معاشراً أصحاب رسول الله ﷺ نرى أو نقول ليس شيء من حسناتنا إلا وهي مقبولة حتى نزلت (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) فلما نزلت هذه الآية قلنا ما هذا الذي يبطل أعمالنا؟ قلنا الكبائر والفواحش قال فكنا إذا رأينا من أصاب شيئاً منها قلنا قد هلك قلنا قلنا هذه الآية فكففنا عن القول في ذلك وكنا إذا رأينا أحداً أصاب منها شيئاً خفنا عليه وإن لم يصب منها شيئاً رجونا له وأراد بالأسراف ارتكاب الكبائر

وروي عن ابن مسعود أنه دخل المسجد فإذا قاص يقص وهو يذكر النار والاعلال فقام على رأسه فقال يا مذكر لم تقنط الناس؟ ثم قرأ (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) أخبرنا أبو بكر بن أبي الهيثم الترمي أني أبو محمد عبد الله بن أحمد الحموي أنا أبو اسحاق إبراهيم ابن خزيمة الشافعي ثنا عبد الله بن حميد ثنا حيان بن هلال وسليمان بن حرب وحجاج بن منهال قالوا

وتسعين نفساً ثم ندم وسأل عابداً من عباد بني اسرائيل هل له من توبة فقال لا فقتله وأكل به مائة ثم سأل عالماً من علمائهم هل له من توبة فقال ومن يحول بينك وبين التوبة ثم أمره بالذهاب إلى قرية يعبد الله فيها فقصدها فأثناء الموت في أثناء الطريق فاخترصت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأمر الله عز وجل أن يقيسوا ما بين الارضين فإلى أيهما كان أقرب فهو منها فوجدوه أقرب إلى الارض التي هاجر إليها بشبر فقبحته ملائكة الرحمة ، وذكر انه نأى بصدده عند الموت وأن الله تبارك وتعالى أمر البلدة الخيرة أن تقترب وأمر تلك البلد أن تتباعد هذا معنى الحديث وقد كتبتناه في موضع آخر بلفظه

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً) الى آخر الآية قال قد دعا الله تعالى إلى مغفرته من زعم أن المسيح هو الله ومن زعم أن المسيح هو ابن الله ومن زعم أن عزيراً ابن الله ومن زعم أن الله فقير ومن زعم أن يد الله مفلولة ومن زعم أن الله ثلاث ثلاثة يقول الله تعالى لهؤلاء (أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم) ثم دعا إلى التوبة من هو أعظم قولاً من هؤلاء من قال أنا ربكم الأعلى وقال (ما علمت لكم من إله غيري) قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من آيس عباد الله من التوبة بعد هذا فقد جحد كتاب الله عز وجل ولكن لا يقدر العبد أن يتوب حتى يتوب الله عليه

وروى الطبراني من طريق الشعبي عن سنيذ بن شكل أنه قال سمعت ابن مسعود يقول إن أعظم آية في كتاب الله (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) وإن أجمع آية في القرآن بخير وشر (إن الله

ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول « قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً ولا يبالي » أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن بشر ثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن قتادة عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال « كان في بني اسرائيل رجل قتل تسعاً وتسعين انساناً ثم خرج يسأل فأتى راهباً فسأله فقال هل لي من توبة فقال لا فقتله فكل به المائة فقال له رجل انت قرية كذا وكذا فأدركه الموت فنا، بصدده نحوها فاخترصت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأوحى الله إلى هذه أن تقربي وأوحى إلى هذه أن تباعدي وقال قيسوا ما بينهما فوجدوا إلى هذه أقرب بشبر فغفر له »

ورواه مسلم بن الحجاج عن محمد بن محمد بن المنثري عن معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة بهذا الاسناد وقال فدل على راهب فأنه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة فقال لا فقتله وكل به مائة ثم سأل عن أهل الارض فدل على رجل عالم فقال إنه قتل مائة نفس فهل له

يأمر بالعدل والاحسان) وإن أكثر آية في القرآن فرحا في سورة الفرق (قل يا عبادي الذين أمرتكم علي أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) وإن أشد آية في كتاب الله تفويضا (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) فقال له مسروق صدقت وقال الاعمش عن أبي سعيد عن أبي السكوند قال مر عبد الله بعني ابن مسعود رضي الله عنه على قاص وهو يذكر الناس فقال يا مذكر لم تقنط الناس من رحمة الله ؟ ثم قرأ (قل يا عبادي الذين أمرتكم علي أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) رواء ابن أبي حاتم رحمه الله

﴿ ذكر أحاديث فيها نفي القنوط ﴾

قال الامام أحمد حدثنا شرح بن النعمان ثنا أبو عبيدة عبد المؤمن بن عبيد الله السدي حدثني حسن السدوسي قال دخلت على أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول « والذي نفسي بيده لو أخطأتم حتى نملأ خطاياكم ما بين السماء والارض ثم استغفرتم الله تعالى لغفر لكم ، والذي نفس محمد ﷺ بيده لو لم تخطئوا لجاء الله عز وجل بقوم بخطئون ثم يستغفرون فيغفر لهم » تفرد به احمد

وقال الامام احمد حدثنا اسحاق بن عيسى حدثني الليث حدثني محمد بن قيس قاص عمر بن عبد العزيز عن أبي صرمة عن أبي ايوب الانصاري رضي الله عنه انه قال حين حضرته الوفاة قد كنت كنت منكم شيئا سمعته من رسول الله ﷺ يقول « لولا انكم تذبون لخلق الله عز وجل قوما يذبون فيغفر لهم » هكذا رواء الامام احمد وأخرجه مسلم في صحيحه والترمذي جعما عن

من توبة فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى ارض كذا وكذا فان بها انا سايعدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع الى ارضك فانها ارض سوء فانطلق حتى اذا كان نصف الطريق اناه الموت فاختمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فاناهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم حكما فقال قيسوا ما بين الارضين فالى أيتهما كان ادنى فهو له فقاوسوا فوجدوه ادنى الى الارض التي اراد فقبضته ملائكة الرحمة أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحاق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « قال رجل لم يعمل خيرا قط لأهله اذا مات فخرقوه ثم ذروا نصفه في البر ونصفه في البحر فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبه عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين » قال فلما مات فصلوا ما أمرهم فأمر الله البحر فجمع ما فيه وأمر البر فجمع ما فيه ثم قال له لم فعلت هذا قال من خشيتك يارب وأنت أعلم فغفر له أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا أبو الحسين محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك

قتيبة عن البث بن سعد به ، ورواه مسلم من وجه آخر به عن محمد بن كعب القرظي عن أبي صرمة وهو الانصاري صحابي عن أبي أيوب رضي الله تعالى عنها به

وقال الامام أحمد حدثنا أحمد بن عبد الملك الحراني ثنا يحيى بن عمرو بن مالك البكري قال سمعت أبي يحدث عن أبي الجوزاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنها قال قال رسول الله ﷺ « كفارة الذنب الندامة » وقال رسول الله ﷺ « لو لم تذبوا لجاء الله تعالى بقوم يذنبون فيغفر لهم » تفرد به أحمد

وقال عبد الله ابن الامام أحمد حدثني عبد الاعلى بن حماد القرشي ثنا داود بن عبد الرحمن ثنا أبو عبد الله مسلمة بن عبد الله الرازي عن أبي عمرو البجلي عن عبد الملك بن سفيان الثقفي عن أبي جعفر محمد بن علي عن محمد بن الحنفية عن أبيه علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ « ان الله تعالى يحب العبد المغتن التواب » ولم يخرجوه من هذا الوجه

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي ثنا موسى بن اسماعيل ثنا حماد ثنا ثابت وحيد عن عبد الله بن عبيد ابن عمير قال « ان ابليس لعنه الله تعالى قال يارب انك أخرجتني من الجنة من أجل آدم وإني لا أستطيعه إلا بسطائك قال فأنت مسلط ، قال يارب زدني ، قال لا يولد له ولد الا ولدك مثله ، قال يارب زدني قال أجعل صدورهم مساكن لكم وتجرون منهم مجرى الدم ، قال يارب زدني قال اجلب عليهم بغيك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعدم وما يعدم الشيطان إلا غرورا ، فقال آدم عليه الصلاة والسلام يارب قد سلطته علي وإني لا أمتنم إلا بك قال تبارك وتعالى لا يولد لك ولد الا وكنت

عن عكرمة عن عمار ثنا ضمضم بن جوس قال دخلت المدينة فناداني شيخ فقال يا بني تعال وما أعرفه فقال لا تقولن لرجل والله لا يغفر الله لك أبدا ولا يدخلك الله الجنة ، قلت ومن أنت برحمتك الله؟ قال أبو هريرة ، قال فقلت ان هذه الكلمة يقولها أحدنا لبعض أهله اذا غضب أو لزوجته أو لخادمه قال فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان رجلين كانا في بني اسرائيل متعابين أحدهما مجتهد في العبادة والآخر كان مذنباً فجعل يقول له اقصر اقصر عما أنت فيه قال فيقول خلني وربّي قال حتى وجده يوما على ذنب استعظمه فقال اقصر فقال خلني وربّي أبعت علي رقيقا فقال والله لا يغفر الله لك أبدا ولا يدخلك الله الجنة أبدا ، قال فبعت الله اليهما مملكا فقبض أرواحهما فاجتمعا عنده فقال للمذنب ادخل الجنة برحمتي وقال للآخر أنت تطيعم أن تحظر علي عبيدي رحمتي فقال لا يارب فقال اذهبوا به الى النار » قال أبو هريرة والذي نفسي بيده لقد تكلم بكلمة أو بقت دنياه وآخرته قوله عز وجل « ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم »

أخبرنا عبد الرحمن بن أبي بكر القفال أنا أبو مسعود محمد بن أحمد بن يونس الخطيب ثنا محمد

به من يحفظه من قرناء السوء ، قال يارب زدني قال الحسنه عشر أو أزيد والسيدة واحدة أو أحوها
 قال يارب زدني قال باب التوبة مفتوح ما كان الروح في الجسد قال يارب زدني قال (يا عبادي الذين
 أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم)
 وقال محمد بن اسحاق قال نافع عن عبد الله بن عمر عن عمر رضي الله عنهما في حديثه قال وكنا
 نقول ما الله بقابل ممن افتتن صرفا ولا عدلا ولا توبة ، عرفوا الله ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم
 قال وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم قال فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أنزل الله تعالى فيهم وفي قولنا
 وقولهم لأنفسهم (يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا
 إنه هو الغفور الرحيم) وأنبيوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون * واتبعوا
 أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون) قال عمر رضي الله
 عنه فكتبتها بيدي في صحيفة وبعثت بها إلى هشام بن العاص رضي الله عنه قال فقال هشام لما أتتني
 جعلت أقرأها بذي طوى أصعد بها فيه وأصوت ولا أفهمها حتى قالت اللهم أفهمنيها قال فألقى الله عز وجل
 في قلبي انها إنما أتت فينا وفيها كنا نقول في أنفسنا ويقال فينا فرجعت إلى بهيري فجلست عليه
 فلحقت برسول الله ﷺ بالمدينة . ثم استحث تبارك وتعالى عباده إلى المسارعة إلى التوبة فقال
 (وأنبيوا إلى ربكم وأسلموا له) الخ أي (ارجعوا إلى الله واستسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب
 ثم لا تنصرون) أي بادروا بالتوبة إلى العمل الصالح قبل حلول النعمة (واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم
 من ربكم) وهو القرآن العظيم (من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون) أي من حيث
 لا تعلمون ولا تشعرون ثم قال عز وجل (أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله) أي يوم

ابن يعقوب الأصم ثنا ابو قلابه ثنا ابو عاصم ثنا زكريا بن اسحاق عن عمرو بن دينار عن عطاء عن
 ابن عباس في قوله تعالى (إلا اللهم) قال رسول الله ﷺ

ان تغفر اللهم تغفرهما واي عبد لك لا ألما

قوله عز وجل (وأنبيوا إلى ربكم) أقبلوا وارجعوا إليه بالطاعة (وأسلموا له) وأخلصوا له
 التوحيد (من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون * واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم) يعني
 القرآن والقرآن كله حسن ، ومعنى الآية ما قال الحسن التزموا طاعته واجتنبوا معصيته فان في القرآن
 ذكر القبيح لتجنبه وذكر الادون لئلا ترغب فيه وذكر الاحسن لتؤثره ، قال السدي الاحسن
 ما أمر الله به في الكتاب (من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون * أن تقول نفس) يعني
 لئلا تقول نفس كقوله (وألقى في الارض رواسي أن تميد بكم) يعني لئلا تميد بكم قال المبرد أي بادروا
 واحذروا أن تقول نفس ، وقال الزجاج خوف أن تصيروا إلى حال تقولون هذا القول (يا حسرتي)
 ياندامت والتحسر الاغتمام على ما فات وأراد يا حسرتي على الاضافة لكن العرب تحول ياء الكناية

القيامة يتحسر المحرم المفرط في التوبة والالانابة ويود لو كان من الحسنين المخلصين المطيعين لا عز وجل وقوله تبارك وتعالى (وإن كنت لمن الساخرين) أي إنما كان عملي في الدنيا عمل ساخر مسنهي غير موقن مصدق (أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين * أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من الحسنين) أي تود لو أعيدت إلى الدنيا لتحسن العمل

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنها أخبر الله سبحانه وتعالى ما العباد قائلون قبل أن يقولوه وعمامهم قبل أن يعملوه وقال تعالى (ولا يبدئك مثل خبير) (أن تقول نفس يا حسرتنا على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين * أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين * أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من الحسنين) فأخبر الله عز وجل أن لو ردوا لما قدروا على الهدى فقال (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون)

وقد قال الامام أحمد حدثنا أسود ثنا أبو بكر عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ « كل أهل النار يرى مقعده من الجنة فيقول لو أن الله هداني فتكون عليه حسرة قال وكل أهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول لولا أن الله هداني قال فيكون له الشكر رواه النسائي من حديث أبي بكر بن عياش به » ولما نعى أهل الجرائم العود إلى الدنيا وتحسروا على تصديق آيات الله واتباع رساله قال الله سبحانه وتعالى (بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين) أي قد جاءتك أيها العبد النادم على ما كان منه آياتي في الدار الدنيا وقامت حججي عليك فكذبت بها واستكبرت عن اتباعها وكنت من الكافرين بها الجاحدين لها

ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى

للمتكبرين ؟ (٦٠) وينجي الله الذين اتقوا بمغفرتهم لا يمسمهم سوء ولا هم يحزنون (٦١)

ألفا في الاستغاثة فنقول يا ويلتي ربنا ندامتي وربما ألحقوا بها الياء بعد الالف ليدل على الاضافة وكذلك قرأ أبو جعفر يا حسرتاي، وقيل معنى قوله يا حسرتاي بأنها الحسرة هذا وقتك (على ما فرطت في جنب الله) قال الحسن قصرت في طاعة الله وقال مجاهد في أمر الله وقال سعيد بن جبير في حق الله وقيل ضيعت في ذات الله وقيل معناه قصرت في الجانب الذي يرادني إلى رضا الله والعرب تسمي الجانب جانبا (وإن كنت لمن الساخرين) المستهزئين بدين الله وكتابه ورسوله والمؤمنين قال قتادة لم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى جعل يسخر بأهل طاعته (أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين * أو تقول حين ترى العذاب) عيانا (لو أن لي كرة) رجعة إلى الدنيا (فأكون من الحسنين) الموحدين ثم يقال لهذا القائل (بلى قد جاءتك آياتي) يعني القرآن (فكذبت بها) وقلت أنها ليست من الله (واستكبرت) تكبرت عن الايمان بها (وكنت من الكافرين) ويوم القيامة ترى الذين

يخبر تعالى عن يوم القيامة أنه تسود فيه وجوه وتبيض فيه وجوه تسود وجوه أهل الفرقة والاختلاف وتبيض وجوه أهل السنة والجماعة قال تعالى هنا « ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله » أي في دعواهم له شريكاً وولداً (وجوههم مسودة) أي بكذبهم واقترانهم وقوله تعالى (أليس في جهنم مثوى للمتكبرين ؟) أي أليست جهنم كافية لهم سجناً وموتلاً لهم فيها الحزني والهوان بسبب تكبرهم ونجبرهم وإبائهم عن الاقياد للحق

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبد الله ابن أخي ابن وهب ثنا عيسى بن أبي عيسى الحياطي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « ان المتكبرين يحشرون يوم القيامة أشباه الذر في صور الناس يعلمون كل شيء من الصغار حتى يدخلوا سجنان من النار في واد يقال له بولس من نار الانبياء ويسقون من عصارة أهل النار ومن طينة الخبال وقوله تبارك وتعالى (وينجي الله الذين اتقوا بمفاضتهم) أي بما سبق لهم من السعادة والفوز عند الله [لا يسهم السوء] أي يوم القيامة [ولا هم يحزنون] أي ولا يحزنهم الفرع الأكبر بل هم آمنون من كل فزع مزحزون عن كل شر نائلون كل خير

الله خلق كل شيء وهو على كل شيء وكيل (٦٢) له مقاليد السموات والأرض والذين كفروا بآيت الله أولئك هم الخسرون (٦٣) قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون ؟ (٦٤) ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخسرين (٦٥) بل الله فاعبدو كن من الشكرين (٦٦)

يخبر تعالى أنه خالق الأشياء كلها وربها ومليكمها والمتصرف فيها وكل تحت تدبيره وقهره وكلاته وقوله عز وجل (له مقاليد السموات والأرض) قال مجاهد المقاليد هي المفاتيح بالفارسية ، وكذا قال قتادة وابن زيد وسفيان بن عيينة ، وقال السدي [له مقاليد السموات والأرض] أي خزائن

كذبوا على الله ﴿ فزعموا أن له ولداً وشريكاً ﴾ وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين ﴿ عن الإيمان ﴾ وينجي الله الذين اتقوا بمفاضتهم ﴿ قرأ حمزة والسكاسي وأبو بكر بمفاضاتهم بالالف على الجمع أي بالطرق التي تؤديهم إلى الفوز والنجاة ، وقرأ الآخرون بمفاضتهم على الواحد لأن المفاضة بمعنى الفوز أي ينجيهم بفوزهم من النار بأعمالهم الحسنة ، وقال المبرد المفاضة مفعلة من الفوز والجمع حسن كإسعاد والسعادات ﴿ لا يسهم السوء ﴾ لا يصيبهم المكروه ﴿ ولا هم يحزنون ﴾ الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل ﴿ أي الأشياء كلها موكولة إليه فهو القائم بحفظها ﴾ له مقاليد السموات والأرض ﴿ أي مفاتيح خزائن السموات والأرض وأحدها مقلاد مثل مفتاح ومقلد مثل منديل

السموات والارض ؟ والمعنى على كلا القولين أن أزمة الامور بيده تبارك وتعالى له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ولهذا قال جل وعلا (والذين كفروا بآيات الله) أي حججه وبراهينه (أولئك هم الخاسرون)

وقد روى ابن أبي حاتم ههنا حديثا غريبا جدا وفي صحته نظر ولكن نحن نذكره كذا ذكره فإنه قال حدثنا يزيد بن سنان البصري بمصر ثنا يحيى بن حماد ثنا الاغلب بن تميم عن مخلد بن هذيل العبدي عن عبد الرحمن المدني عن عبد الله بن عمر عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ عن تفسير قوله تعالى [له مقابلد السموات والارض] فقال : « ما سألتني عنها أحد قبلك يا عثمان قال ﷺ : « تفسيرها لا إله الا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده أستغفر الله ولا قوة الا بالله الاول والاخر والظاهر والباطن ، بيده الخير يجبي وبميت وهو على كل شيء قدير ، من قالها يا عثمان اذا أصبح عشر مرار أعطي خصالا ستا : أما أولاهن فيحرس من إبليس وجنوده ، وأما الثانية فيعطى قطارا من الاجر ، وأما الثالثة ترفع له درجة في الجنة ، وأما الرابعة فيزوج من الحور العين ، وأما الخامسة فيحضره اثنا عشر ملكا ، وأما السادسة فيعطى من الاجر كمن قرأ القرآن والتوراة والانجيل والزبور ، وله مع هذا يا عثمان من الاجر كمن حج وتقبلت حجته واعتمر فتقبلت عمرته فان مات من يومه طبع عليه بطابع الشهداء » ورواه أبو يعلى الموصلي من حديث يحيى بن حماد به مثله وهو غريب وفيه نكارة شديدة والله أعلم

وقوله تبارك وتعالى : قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون ؟ (ذكروا في سبب نزولها ما رواه ابن أبي حاتم وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما أن المشركين من جهلم دعوا رسول الله ﷺ الى عبادة آلهتهم ويعبدوا معه إلهة فنزلت [قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون ؟] ولقد أوحى اليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك وتكونن من الخاسرين [وهذه كقوله تعالى [ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون]

ومناديل وقال قتادة ومقاتل مفاتيح السموات والارض بالرزق والرحمة وقال الكلبي خزائن المطر وخزائن النبات (والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون)

قوله عز وجل (قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون) قال مقاتل وذلك ان كفار قريش دعوه الى دين آبائهم قرأ أهل الشام تأمروني بنونين خفيفتين على الأصل وقرأ أهل المدينة بنون واحدة خفيفة على الحذف، وقرأ الآخرون بنون واحدة مشددة على الادغام (ولقد أوحى اليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك) أي الذي عملته قبل الشرك ، وهذا خطاب مع رسول الله ﷺ والمراد منه غيره وقبل هذا أدب من الله لنبيه وتهديد لغيره لان الله تعالى عصمه من الشرك (وتكونن من الخاسرين * بل الله قاعبد وكن من الشاكرين) لانعامه عليك

وقوله عز وجل [بل الله فاعبد وكن من الشاكرين] أي اخلص العبادة لله وحده لا شريك له أنت ومن اتبعك وصدقك

وما قدرُوا اللهَ حقَّ قدرِهِ والأرضُ جميعاً قبضته يومَ القيامةِ والسمواتُ مطوَّياتٌ بيَمِينِهِ
سبحانه وتعالى عما يشركون (٦٧)

يقول تبارك وتعالى (وما قدرُوا اللهَ حقَّ قدرِهِ) أي ما قدر المشركون الله حق قدره حين عبدوا معه غيره وهو العظيم الذي لا أعظم منه القادر على كل شيء المالك لكل شيء وكل شيء تحت قهره وقدرته ، قال مجاهد نزلت في قريش ، وقال السدي ما عظموه حق تعظيمه ، وقال محمد بن كعب لو قدروه حق قدره ما كذبوا . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما [وما قدرُوا اللهَ حقَّ قدرِهِ] هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم فن آمن أن الله على كل شيء قدير فقد قدر الله حق قدره ، ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره

وقد وردت أحاديث كثيرة متعلقة بهذه الآية الكريمة والطريق فيها وفي أمثالها مذهب السلف وهو إصرارها كما جاءت من غير تكيف ولا تحريف

قال البخاري قوله تعالى (وما قدرُوا اللهَ حقَّ قدرِهِ) حدثنا آدم ثنا سفيان عن منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : جاء رجل من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال يا محمد أنا نجد أن الله عز وجل يجعل السموات على أصبع والأرضين على أصبع ، والشجر على أصبع ، والماء والنري على أصبع ، وسائر الخلق على أصبع فيقول أنا الملك ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الخبر ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم [وما قدرُوا اللهَ حقَّ قدرِهِ والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة] الآية ورواه البخاري أيضا في غير هذا الموضع من صحيحه والامام أحمد ومسلم والترمذي والنسائي في التفسير من سننهما كلهم من حديث سليمان بن مهران الأعشى عن إبراهيم عن عبيدة عن ابن مسعود رضي الله عنه بنحوه

قوله عز وجل (وما قدرُوا اللهَ حقَّ قدرِهِ) ما عظموه حق عظمتهم حين أشركوا به غيره ثم أخبر عن عظمتهم فقال (والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون)

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا آدم ثنا شيخان عن منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال جاء خبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال يا محمد أنا نجد أن الله يجعل السموات على أصبع والأرضين على

وقال الامام احمد حدثنا ابو معاوية ثنا الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله رضي الله عنه قال جاء رجل الى النبي ﷺ من اهل الكتاب فقال يا ابا القاسم ابلغك ان الله تعالى يحمل الخلائق على اصبع والسماوات على اصبع والارضين على اصبع والشجر على اصبع والماء والثرى على اصبع؟ قال فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه قال وانزل الله عز وجل (وما قدره الله حق قدره) الى آخر الآية، وهكذا رواه البخاري ومسلم والنسائي من طرق عن الاعمش به

وقال الامام احمد حدثنا حسين بن حسن الاشقر ثنا ابو كدينة عن عطاء عن ابي الضحى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال مر يهودي برسول الله ﷺ وهو جالس فقال : كيف تقول يا ابا القاسم يوم يجعل الله سبحانه وتعالى السماء على ذه وأشار بالسبابة والارض على ذه والجبال على ذه وسائر الخلق على ذه كل ذلك يشير بأصابعه قال فانزل الله عز وجل (وما قدره الله حق قدره) الآية وكذا رواه الترمذي في التفسير عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي عن محمد بن الصلت عن ابي جعفر عن ابي كدينة يحمي بن المهلب عن عطاء بن السائب عن ابي الضحى مسلم بن صبيح به وقال حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه

ثم قال البخاري حدثنا سعيد بن عفير ثنا ابي ثناء عن عبد الرحمن بن خالد بن مسافر عن ابن شهاب عن ابي سلمة ابن عبد الرحمن أن ابا هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « يقبض الله تعالى الارض ويطوي السماء يمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الارض » تفرد به من هذا الوجه ورواه مسلم من وجه آخر

وقال البخاري في موضع آخر حدثنا مقدم بن محمد حدثنا عبي القاسم بن يحيى عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال « إن الله تبارك وتعالى يقبض يوم القيامة الارضين على اصبع وتكون السماوات يمينه ثم يقول أنا الملك » تفرد به أيضا من هذا الوجه ورواه مسلم من وجه آخر ، وقد رواه الامام أحمد من طريق أخرى بلفظ آخر أبسط من هذا السياق وأطول فقال حدثنا عفان ثنا حماد بن سلمة أنا إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن عبيد الله بن مقسم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال ان رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر (وما قدره الله حق قدره)

أصبع والشجر على اصبع والماء والثرى على اصبع وسائر الخلق على اصبع فيقول أنا الملك فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الخبر ثم قرأ (وما قدره الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة) ورواه مسلم بن الحجاج عن أحمد بن عبد الله بن يونس عن فضيل بن عياض عن منصور قال : والجبال والشجر على اصبع وقال ثم يهزهن هذا فيقول أنا الملك أنا الله

أخبرنا أحمد بن ابراهيم الشريحي أنا أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي أخبرني الحسين بن فنجويه ثنا عمر بن الخطاب ثنا عبد الله بن الفضل ثنا أبو بكر ابن أبي شيبة ثنا أبو أسامة عن عمر

الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) ورسول الله ﷺ يقول هكذا بيده يحركها يقبل بها ويدبر « يمجّد الرب نفسه أنا الجبار أنا المتكبر أنا الملك أنا العزيز أنا الكريم » فرجف برسول الله ﷺ المنبر حتى قلنا ايخرن به وقد رواه مسلم والنسائي وابن ماجه من حديث عبدالعزيز بن أبي حازم زاد مسلم ويعقوب بن عبد الرحمن كلاهما عن أبي حازم عن عبيد الله بن مقسم عن ابن عمر رضي الله عنهما به نحوه ، وافظ مسلم عن عبيد الله بن مقسم في هذا الحديث أنه نظر إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كيف يحكي النبي ﷺ قال يأخذ الله تبارك وتعالى سمواته وأرضه بيده ويقول أنا الملك ويقبض أصابعه ويسقطها أنا الملك حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه حتى إني لأقول أساقط هو رسول الله ﷺ ؟ وقال البزار حدثنا سليمان بن سيف ثنا أبو علي الحنفي ثنا عباد المنقري حدثني محمد بن المنكدر قال ثنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : ان رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية على المنبر (وما قدروا الله حق قدره - حتى بلغ - سبحانه وتعالى عما يشركون) فقال المنبر هكذا فجاء وذهب ثلاث مرات والله أعلم ، ورواه الامام الحافظ ابو القاسم الطبراني من حديث عبيد بن عمير عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وقال صحيح

وقال الطبراني في المعجم الكبير حدثنا عبد الرحمن بن معاوية الغنوي ثنا حسان بن نافع عن صخر ابن جوبيرة ثنا سعيد بن سالم القداح عن معمر بن الحسن عن بكر بن خنيس عن أبي شذبة عن عبد الله بن عمر عن جرير رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لنفر من أصحابي رضي الله عنهم « أني قاريء عليكم آية من آخر سورة الزمر فمن بكى منكم وجبت له الجنة » فقرأها ﷺ من عند (وما قدروا الله حق قدره) إلى آخر السورة فثنا من بكى ومنا من لم يبك فقال الذين لم يبكوا يا رسول الله لقد جهدنا أن نبكي فلم نبك فقال ﷺ « أني سأقرأها عليكم فمن لم يبك فليتبأك » هذا حديث غريب جداً وأغرب منه ما رواه في المعجم الكبير أيضاً حدثنا هاشم بن زيد حدثنا محمد بن اسماعيل بن عياش حدثني أبي حدثني ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الاشعري قال قال رسول الله ﷺ « إن الله تعالى يقول ثلاث خلال غيبتهن عن عبادي لو رآهن رجل ماعمل بسوء

ابن حمزة عن سالم بن عبد الله أخبرني عبد الله بن عمر قال قال رسول الله ﷺ « بطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم بطوي الارضين ثم يأخذهن بشماله ثم يقول أنا الملك أين الجبارون ؟ أين المتكبرون » هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن أبي بكر ابن أبي شذبة

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة الكشميهني ثنا ابو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث ثنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك

أبدأ لو كشفت غطائي فرآني حتى امتيقن ويعلم كيف أفعل بخلقني اذا أنتهم وقبضت السموات يدي ثم قبضت الارضين ثم قلت أنا الملك من ذا الذي له الملك دوني فأريهم الجنة وما أعددت لهم فيها من كل خير فيستيقنوها ، وأريهم النار وما أعددت لهم فيها من كل شر فيستيقنوها ولكن عمداً غيبت ذلك عنهم لأعلم كيف يعملون وقد بيته لهم « وهذا إسناد متقارب وهي نسخة تروى بها أحاديث جمة والله أعلم

ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون (٦٨) وأشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتب وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون (٦٩) ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون (٧٠)

يقول تبارك وتعالى مخبراً عن هول يوم القيامة وما يكون فيه من الآيات العظيمة والزلازل الهائلة فقوله تعالى (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله) هذه النفخة هي الثانية وهي نفخة الصعق وهي التي يموت بها الاحياء من أهل السموات والارض إلا من شاء الله كما جاء مصرحاً مفسراً في حديث الصور المشهور ثم يقبض أرواح الباقين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت وينفرد الحي القيوم الذي كان أولاً وهو الباقي آخرأ بالديمومة والبقاء ويقول (لمن الملك اليوم) ثلاث مرات ثم يجيب نفسه بنفسه فيقول (لله الواحد القهار) أنا الذي كنت وحدي وقد قهرت كل شيء وحكت بالفناء على كل شيء ، ثم يجيب أول من يجيب اسرافيل ويأمره أن ينفخ في الصور أخرى وهي النفخة الثالثة نفخة البعث قال الله عز وجل [ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون] أي أحياء بعد ما كانوا عظاماً ورفاتا صاروا أحياء ينظرون الى أهوال يوم القيامة كما قال تعالى [فأنما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة]

عن يونس عن الزهري حدثني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال يقبض الله الارض يوم القيامة ويطوى السماء يمينه ثم يقول أنا الملك ابن ملوك الارض

قوله عز وجل (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض) أي ماتوا من الفزع وهي النفخة الاولى (الا من شاء الله) اختلفوا في الذين استثناهم عز وجل وقد ذكرناهم في سورة النمل قال الحسن الا من شاء الله يعني الله وحده (ثم نفخ فيه) أي في الصور (أخرى) أي مرة أخرى (فاذا هم قيام ينظرون) من قبورهم ينتظرون أمر الله فيهم

وقال عز وجل [يوم يدعوك فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا] وقال جل وعلا [ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون]

قال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن النعمان بن سالم قال سمعت يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود قال سمعت رجلا قال لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما انك تقول الساعة تقوم الى كذا وكذا قال لقد هممت أن لا أحدثكم شيئا انما قلت سترون بعد قليل أمراً عظيماً ثم قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما : قال رسول الله ﷺ « يخرج الدجال في أمي فيمكث فيهم أربعين لا أدري أربعين يوماً أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً أو أربعين ليلة فيبعث الله تعالى عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام كأنه عروة بن مسعود الثقفي فيظهر فيهما الله تعالى ثم يلبث الناس بعده سنين سبعة ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله تعالى رجلاً بارداً من قبل الشام فلا يبقى أحد في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته حتى أن لو كان أحدهم كان في كبد جبل لدخلت عليه » قال سمعتها من رسول الله ﷺ « ويبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكراً قال فيتمثل لهم الشيطان فيقول ألا تستجيبون فيأمرهم بعبادة الاوثان فيعبدونها وهم في ذلك دارة أرزاقهم حسن عيشهم ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد الا أصغى لينا ورفع لينا وأول من يسمعه رجل يلوط حوضه فيصعق ثم لا يبقى أحد الا صعق ، ثم يرسل الله تعالى أو ينزل الله عز وجل مطراً كأنه الطل - أو الظل شك نعمان - فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون ، ثم يقال أيها الناس هلموا الى ربكم [وقفوهم انهم مسؤولون] قال ثم يقال أخرجوا بعث النار فيقال كم؟ فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فيومئذ تبعث الولدان شيئا ويومئذ يكشف عن ساق ، انفرد باخراجه مسلم في صحيحه

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه) وقال البخاري حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي حدثنا الاعمش قال سمعت أبا صالح قال سمعت أبا هريرة رضي الله تعالى عنه يحدث عن النبي ﷺ قال « ما بين النفختين أربعون » قالوا يا أبا هريرة أربعون يوماً ؟ قال رضي الله تعالى عنه أبيت ، قالوا أربعون سنة ؟ قال أبيت ، قالوا أربعون شهراً ؟ قال أبيت ويبي كل شيء من الانسان إلا عجب ذنبه فيه يركب الخلق .

اخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد ثنا ابو معاوية عن الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « ما بين النفختين أربعون » قالوا أربعون يوماً ؟ قال أبيت ؟ قالوا أربعون شهراً ؟ قال أبيت ؟ قالوا أربعون سنة ؟ قال أبيت ؟ قال ثم ينزل الله من السماء ماء فينبثون كما ينبت البقل ليس من الانسان شيء الا يبلى الاعظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة

وقال ابو يعلى حدثنا يحيى بن معين حدثنا ابو ايان حدثنا اسماعيل بن عياش عن عمرو بن محمد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « سألت جبريل عليه الصلاة والسلام عن هذه الآية [ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض إلا من شاء الله] من الذين لم يشأ الله تعالى أن يصعقهم ؟ قال هم الشهداء يتقلدون أسبافهم حول عرشه تتلقاهم ملائكة يوم القيامة الى المحشر بنجائب من ياقوت نمارها ألين من الحرير مد خطاها مدأبصار الرجال يسرون في الجنة يقولون عند طول الزهرة انطلقوا بنا الى ربنا لننظر كيف يقضي بين خلقه بضحك اليهم إلهي وإذا ضحكك الى عبد في موطن فلا حساب عليه » رجاله كلهم ثقة إلا شيخ اسماعيل بن عياش فإنه غير معروف والله سبحانه وتعالى أعلم

وقوله تبارك وتعالى (وأشرق الارض بنور ربها) أي أضاءت يوم القيامة اذا نجلي الحق جل وعلا للخلائق لفصل القضاء (ووضع الكتاب) قال قتادة كتاب الاعمال [وجيء بالذبيين] قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يشهدون على الامم بأنهم بلغوهم رسالات الله اليهم [والشهداء] أي الشهداء من الملائكة الحفظة على أعمال العباد من خير وشر [وقضي بينهم بالحق] أي بالعدل [وهم لا يظلمون] قال الله تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) وقال جل وعلا (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن كن حسنة بضاعفها ويؤت من لذه أجراً عظيماً) ولهذا قال عز وجل (ووفيت كل نفس ما عملت) أي من خير أو شر (وهو أعلم بما يفعلون)

وسيق الذين كفروا الى جهنم زمراً حتى اذا جاءوها فتحت أبوابها ، وقال لهم خزنتها

ألم يأتيكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ قالوا بلى ولكن

قوله عز وجل (وأشرق الارض) أضاءت (بنور ربها) بنور خالقها وذلك حين يتجلي الرب لفصل القضاء بين خلقه فما يتضارون في نوره كما لا يتضارون في الشمس في اليوم الصحو وقال وقال الحسن والسدي بعدل ربها وأراد بالارض عرصات القيامة (ووضع الكتاب) أي كتاب الاعمال (وجيء بالذبيين والشهداء) قال ابن عباس يعني الذين يشهدون لرسول بتبليغ الرسالة وهم أمة محمد ﷺ وقال عطاء يعني الحفظة يدل عليه قوله تعالى (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) (وقضي بينهم بالحق) أي بالعدل (وهم لا يظلمون) أي لا يزد في سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم (ووفيت كل نفس ما عملت) أي ثواب ما عملت (وهو أعلم بما يفعلون) قال عطاء يريد إني عالم بأفعالهم لا أحتاج إلى كاتب ولا إلى شاهد (وسيق الذين كفروا الى جهنم) سوقا عنيفاً (زمراً)

حقت كلمة العذاب على الكافرين (٧١) قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها ، فبئس

مشوى المتكبرين (٧٢)

يخبر تعالى عن حال الاشقياء الكفار كيف يساقون إلى النار وإنما يساقون سوقاً عنيفاً بزرع وتهديد ووعيد كما قال عز وجل (يوم يدعون إلى نار جهنم دعا) أي يدفعون اليها دفعاً ، هذا وهم عطاش ظمأ كفافالجل وعلا في الآية الاخرى (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً * ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً) وهم في تلك الحال صم وبكم وعمي منهم من يمشي على وجهه (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكياً وصماً ماؤام جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً)

وقوله تبارك وتعالى (حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها) أي بمجرد وصولهم اليها فتحت لهم أبوابها سريعا لتعجل لهم العقوبة ثم يقول لهم خزنتها من الزمانية الذين هم غلاظ الاخلاق شداد القوى على وجه التبريم والتوبيخ والتنكيل [ألم يأتكم رسل منكم ؟] أي من جنسكم تتمكنون من مخاطبتهم والأخذ عنهم [يتلون عليكم آيات ربكم] أي يقيمون عليكم الحجج والبراهين على صحة ما دعوكم اليه [وينذرونكم لقاء يومكم هذا] أي ويحذرونكم من شر هذا اليوم فيقول الكفار [بلى] أي قد جاؤنا وأنذرونا وأقاموا علينا الحجج والبراهين [ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين] أي ولكن كذبناهم وخالفناهم لما سبق لنا من الشقوة التي كنا نستحقها حيث عدلنا عن الحق إلى الباطل كما قال عز وجل يخبر أئهم في الآية الاخرى [كلما أتني فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ؟] قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا مازل الله من شيء . إن أنتم إلا في ضلال كبير * وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير [أي رجعوا على أنفسهم بالملامة والتندامة] فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير [أي بعداً لهم وخساراً]

وقوله تبارك وتعالى هنا [قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها] أي كل من رآهم وعلم حالهم يشهد عليهم بأنهم مستحقون للعذاب ولهذا لم يسند هذا القول إلى قائل معين بل أطلقه ليدل على أن الكون شاهد عليهم بأنهم يستحقون ما هم فيه بما حكم العدل الخبير عليهم به ولهذا قال جل وعلا [قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها] أي ما كنتم فيها لا خروج لكم منها ولا زوال لكم عنها [فبئس مشوى المتكبرين] أي فبئس

أنفاجا بعضها أثر بعض كل أمة على حدة قال أبو عبيدة والاختش زمراً أي جماعات في تفرقة واحداً منها زمرة (حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها) السبعة وكانت مغلقة قبل ذلك قرأ أهل الكوفة فتحت وفتحت بالتخفيف وقرأ الآخرون بالنشديد على التكثير (وقال لهم خزنتها) توبيخاً وتقريباً لهم (ألم يأتكم رسل منكم) من أنفسهم (يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا) قالوا بلى ولكن حقت (كلمة للعذاب على الكافرين) وهو قوله لا ملأن جهنم من الجنة والناس

المصير وبئس المقييل لكم بسبب تكبركم في الدنيا وإبائكم عن اتباع الحق فهو الذي صيركم إلى ما أنتم فيه ، فبئس الحال ، وبئس المآل

وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم

خزنتها سلم عليكم طبتم فادخلوها خالدين (٧٣) وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض تقبوا من الجنة حيث نشاء، فذهب أجر العاملين (٧٤)

وهذا إخبار عن حال السعداء المؤمنين حين يساقون على النجائب وفداً إلى الجنة [زمراً] أي جماعة بعد جماعة: المقربون ثم الأبرار ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كل طائفة مع من يناسبهم: الأنبياء مع الأنبياء، والصديقون مع أشكالهم، والشهداء مع أضرابهم، والعلماء مع أقرانهم، وكل صنف مع صنف كل زمرة تناسب بعضها بعضاً [حتى إذا جاؤها] أي وصلوا إلى أبواب الجنة بعد مجاوزة الصراط حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فاقصص لهم مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا وتقوا أذن لهم في دخول الجنة

وقد ورد في حديث الصور أن المؤمنين إذا انتهوا إلى أبواب الجنة تشاوروا فيمن يستأذن لهم في الدخول فيقصدون آدم ثم نوحاً ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم محمداً ﷺ وعليهم أجمعين كما فعلوا في العرصات عند استشفاعهم إلى الله عز وجل أن يأتي لفصل القضاء ليظهر شرف محمد ﷺ على سائر البشر في المواطن كلها

وقد ثبت في صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « أنا أول شفيع في الجنة » وفي لفظ لمسلم « وأنا أول من يقرع باب الجنة »

وقال الامام احمد حدثنا هاشم حدثنا سليمان عن ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « آني باب الجنة يوم القيامة أستفتح فيقول الخازن من أنت ؟ فأقول محمد - قال - فيقول بك أمرت أن لا افتح لأحد قبلك » ورواه مسلم عن عمرو بن محمد الناقد وزهير بن حرب كلاهما عن أبي النضر هاشم بن القاسم عن سليمان وهو ابن المغيرة القيسي عن ثابت عن أنس رضي الله عنه به

وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر لا يصفقون فيها ولا

أجمعين » قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين * وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا * حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها قال الكوفيون هذه الواو زائدة حتى تكون جواباً لقوله حتى إذا جاؤها كما في سوق الكفار وهذا كما قال الله تعالى (واقعد آتيناموسى وهارون

يتمخطون فيها ولا يتغوطون فيها آنيهم وأمشاطهم الذهب والفضة ومجامرهم الالوة ورشحهم المسك ،
ولكل واحد منهم زوجتان يرى من سافهما من وراء الحجاب من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض ،
قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله تعالى بكرة وعشيا » ورواه البخاري عن محمد بن مقاتل عن ابن
المبارك ، ورواه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق كلاهما عن معمر بن عاصم عن زناد
عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ

وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو خيثمة حدثنا جرير عن عمار بن القعقاع عن أبي زرعة عن
أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر
والذين يلونهم على ضوء أشد كوكب دري في السماء أضاءة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا
يتمخطون أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الالوة وأزواجهم الحور العين أخلاقهم على خلق
رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء » وأخرجاه أيضاً من حديث جرير

وقال الزهري عن سعيد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال « يدخل الجنة
من أمتي زمرة هم سبعون ألفاً نضي وجوههم أضاءة القمر ليلة البدر » فقام عكاشة بن محصن فقال
يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال - اللهم اجعله منهم - ثم قام رجل من الأنصار فقال يا رسول الله
ادع الله تعالى أن يجعلني منهم فقال ﷺ « سبقك بها عكاشة » أخرجاه وقد روى هذا الحديث البخاري
ومسلم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وجابر بن عبد الله وعمران بن حصين وابن مسعود ورفاعة
ابن عرابة الجهني وأم قيس بنت محصن رضي الله عنهم ولهما عن أبي حازم عن سهل بن سعد رضي الله
تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال « يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً أو سبعمائة ألف أخذ بعضهم
بعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر »

وقال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا اسماعيل بن عياش عن محمد بن زياد قال سمعت أبا أمامة
الباهلي رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « وعدني ربي عز وجل أن يدخل الجنة
من أمتي سبعين ألفاً مع كل ألف سبعون ألفاً لحساب عليهم ولا عذاب وثلاث حشيات من حشيات ربي
عز وجل وكذا رواه الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو عن حكيم بن عامر عن أبي اليمان عامر
ابن عبد الله بن يحيى عن أبي أمامة ورواه الطبراني عن عيينة بن عبد السلامي « ثم مع كل ألف سبعين
الف » وروى مثله عن ثوبان وأبي سعيد الأنصاري وله شواهد من وجوه كثيرة

الفرقان (أي ضياء) والواو زائدة ، وقيل الواو واو الحال ، مجازة وقد فتحت أبوابها فأدخل الواو
ليبان أنها كانت مفتحة قبل مجيئهم وحذفها في الآية الأولى لبيان أنها كانت مغلقة قبل مجيئهم فإذا
لم تحمل الواو زائدة في قوله (وفتحت أبوابها) اختلفوا في جواب قوله (حتى إذا) قيل جوابه قوله جاؤاها
وقال لهم خزنتها والواو فيه ملغاة تقديره حتى إذا جاؤاها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ، وقال

وقوله تعالى (حتى اذا جاءوها) فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طمأنينة فادخلوها خالدون) لم يذكر الجواب ههنا ، وتقديره حتى إذا جاءوها وكانت هذه الأمور من فتح الابواب لهم إكراما وتعظيما وتلقينهم الملائكة الخزنة بالبشارة والسلام والثناء ، كما تلقى الزبانية الكفرة بالتريب والتأنيب فتقديره اذا كان هذا سعدوا وطابوا وسروا وفرحوا بقدر كل ما يكون لهم فيه نعيم ، واذا حذفت الجواب ههنا ذهب الدهن كل مذهب في الرجاء والامل ، ومن زعم أن الواو في قوله تبارك وتعالى (وفتحت أبوابها) واو الثمانية واستدل به على أن أبواب الجنة ثمانية فقد أبعد النجعة وأغرق في النزاع ، وإنما يستفاد كون ابواب الجنة ثمانية من الاحاديث الصحيحة

قال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « من انفق زوجين من ماله في سبيل الله تعالى دعي من أبواب الجنة والجنة أبواب ، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان » فقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه يا رسول الله ماعلى أحد من ضرورة دعي من ايها دعي فهل يدعى منها كلها احديا رسول الله ؟ قال ﷺ « نعم وأرجو أن تكون منهم » رواه البخاري ومسلم من حديث الزهري بنحوه وفيهما من حديث أبي حازم سلمة بن دينار عن سهل بن سعد رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال « ان في الجنة ثمانية ابواب باب منها يسمى الريان لا يدخله الا الصائمون » وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول أشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله الا فتحت له ابواب الجنة الثمانية يدخل من ايها شاء »

وقال الحسن بن عرفة حدثنا اسماعيل بن عياش عن عبد الله بن عبد الرحمن عن أبي حسين عن شهر بن حوشب عن معاذ رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « مفتاح الجنة لا اله الا الله »

الزجاج القول عندي ان الجواب محذوف تقديره حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها (وقال لهم خزنتها سلام عليكم طمأنينة فادخلوها خالدون) دخلوها فحذف دخلوها لدلالة الكلام عليه (وقال لهم خزنتها سلام عليكم طمأنينة) يريد أن خزنة الجنة يسلمون عليهم ويقولون طمأنينة

قال ابن عباس طاب لكم المقام قال قتادة هم اذا قطعوا النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض حتى إذا هذبوا وطبوا أدخلوا الجنة فقال لهم رضوان وأصحابه سلام عليكم طمأنينة فادخلوها خالدون

وروي عن علي عليه السلام قال سبقوا الى الجنة فاذا انتهوا اليها وجدوا عند بابها شجرة يخرج من تحت ساقها عينان فيفتسل المؤمن من إحداها فيطهر ظاهره ويشرب من الاخرى فيطهر باطنه

﴿ ذكر سعة أبواب الجنة نسأل الله من فضله العظيم أن يجعلنا من أهلها ﴾

في الصحيحين من حديث أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه في حديث الشفاعة الطويل « فيقول الله تعالى يا محمد أدخل من لا حساب عليه من أمتك من الباب الايمن وهم شركاء الناس في الابواب الآخر والذي نفس محمد بيده ان ما بين مصراعين من مصاريع الجنة ما بين عضادتي الباب لكما بين مكة وهجر - او هجر ومكة - وفي رواية - مكة وبصري »

وفي صحيح مسلم عن عتبة بن غزوان انه خطبهم خطبة فقال فيها واقد ذكر لنا ان ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام ، وفي المسند عن حكيم بن معاوية عن أبيه رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ مثله ، وقال عبد بن حميد ثنا الحسن بن موسى ثنا ابن لهيعة ثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال « ان ما بين مصراعين في الجنة مسيرة أربعين سنة »

وقوله تبارك وتعالى [وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم] أي طابت أعمالكم وأقوالكم وطاب سعيكم وطاب جزاؤكم كما أمر رسول الله ﷺ أن ينادى بين المسلمين في بعض الغزوات « ان الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة - وفي رواية - مؤمنة »

وقوله [فادخلوها خالدين] أي ما كثرين فيها أبدا لا يبغون عنها حولا [وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده] أي يقول المؤمنون إذا عاينوا في الجنة ذلك الثواب الوافر والعطاء العظيم والنعيم المقيم والملك الكبير يقولون عند ذلك [الحمد لله الذي صدقنا وعده] أي الذي كان وعدنا على ألسنة رسله الكرام كما دعوا في الدنيا [ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك ولا نخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد - وقالوا - الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق - وقالوا - الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب] وقولهم [وأورثنا الارض نتبوا من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين] قال أبو العالية وأبو صالح وقتادة والسدي وابن زيد أي أرض الجنة فهذه الآية كقوله تعالى (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض برئها عبادي الصالحون) ولهذا قال (نتبوا من الجنة حيث نشاء) أي أين شئنا حللنا فنعم الاجر أجرنا على عملنا

وفي الصحيحين من حديث الزهري عن أنس رضي الله عنه في قصة المعراج قال النبي ﷺ « أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ الأولاد وإذا ترابها المسك »

وتلقاهم الملائكة على أبواب الجنة يقولون سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ﴿ وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الارض ﴾ أي أرض الجنة وهو قوله عز وجل (ولقد كتبنا في الزبور من بعد

وقال عبد بن حميد ثنا روح بن عباد ثنا حماد بن سلمة عن الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضي الله عنه قال ان رسول الله ﷺ سأل ابن صباد عن تربة الجنة فقال « درمكة يضاء مسك خالص فقال رسول الله ﷺ « صدق » وكذا رواه مسلم من حديث أبي سلمة عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضي الله عنه به ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي أسامة عن الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال ان ابن صباد سأل رسول الله ﷺ عن تربة الجنة فقال « درمكة يضاء مسك خالص » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي ثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل ثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عاصم بن ضمرة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرأ) قال سيقوا حتى اتوها الى باب من أبواب الجنة فوجدوا عندها شجرة يخرج من تحت ساقها عنبان فعمدوا الى احداها فطهروا منها فخرت عليهم نضرة النعيم فلم تغير أثمارهم بعدها أبداً ولم تشعث أشعارهم أبداً بعدها كأنما دهنوا بالدهان ثم عمدوا الى الاخرى كأنما أمروا بها فشربوها منها فأذهبت ما كان في بطونهم من أذى أو قذى وتلقتهم الملائكة على أبواب الجنة (سلام عليكم طيبم فادخلوها خالدين) وتلقى كل غلمان صاحبهم بطوفون به فعل الولدان بالحيم جاء من الغيبة أبشر قد أعد الله لك من السكامة كذا وكذا قد أعد الله لك من الكرامة كذا وكذا ، قال وينطلق غلام من غلمانه الى أزواجه من الحور العين فيقول هذا فلان باسمه في الدنيا فيقلن أنت رأيت فيقول نعم فيستخفن الفرح حتى تخرج الى أسكفة الباب قال فيجي . فاذا هو بنارق مصفوفة وأكواب موضوعة ووزاري مبثوثة قال ثم ينظر الى تأسيس بنيانه فاذا هو قد أسس على جندل اللؤلؤ بين أحمر وأخضر وأصفر وأبيض ومن كل لون ثم يرفع طرفه الى سقفه فلولاً أن الله تعالى قدر له لآل لم أن يذهب ببصره انه لمثل البرق ثم ينظر الى أزواجه من الحور العين ثم يتكى على أريكة من أرائكه ثم يقول (الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله)

ثم قال حدثنا أبي ثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل النهدي ثنامسلة بن جعفر البجلي قال: سمعت أبا معاذ البصري يقول إن علياً رضي الله عنه كان ذات يوم عند رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ « والذي نفسي بيده انهم اذا خرجوا من قبورهم يستقبلون يؤتون بنوق لها أجنحة وعليها رحال الذهب شراك نعالم نور يتلأل كل خطوة منها مد البصر فينتهون الى شجرة ينبع من أصلها عنبان فيشربون من إحداها فتغسل ما في بطونهم من دنس ويغتسلون من الاخرى فلا تشعث أشعارهم ولا أشعارهم بعدها أبداً وتجري عليهم نضرة النعيم فينتهون - أو - فيأتون باب الجنة فاذا حلقة من باقوتة حمراء على صفائح الذهب فيضربون بالحلقة على الصفيحة فيسم لها طنين يا علي فيبلغ كل حوراء ان زوجها قد أقبل فتبث قيمها فيفتح له فاذا رآه خر له - قال مسلة أراه قال ساجداً - فيقول ارفع رأسك فانما أنا

الذ كر أن الارض يرثها عبادي الصالحون) (تنبؤ) نزل (من الجنة حيث نشاء)

قيمك وكلت بأمرك فينبعه ويقفو أثره فتستخف الحوراء العجلة فتخرج من خيام الدر والياقوت حتى تعتقه ثم تقول أنت حبي وأنا حبك وأنا الخالدة التي لا أموت وأنا الناعمة التي لا أبأس وأنا الراضية التي لا أسخط ، وأنا المقيمة التي لا أظعن فيدخل بيتنا من أسه إلى أسفه مائة ألف ذراع بناؤه على جندل الأول طرائق أصفر وأخضر وأحمر ليس منها طريقة نشاكل صاحبها في البيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون حشية على كل حشية سبعون زوجة على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها من باطن الحلل يقضي جماعها في مقدار ليلة من لياليكم هذه ، الأنهار من تحتهم تورد أنهار من ماء غير آسن - قال صاف لا كدر فيه - وأنهار من لبن لم يتغير طعمه - قال لم يخرج من ضررع الماشية - وأنهار من خمر لذة للشاربين - قال لم نعصرها الرجال بأقدامهم - وأنهار من عسل مصفى - قال لم يخرج من بطون النحل ، يستجني الثمار فان شاء قائما وإن شاء قاعدا وإن شاء متمكنا - ثم تلا (ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذايلا) - فيشتهي الطعام فيأتيه طير أبيض قال وربما قال أخضر قال فترفع أجنحتها فياكل من جنوبها أي الألوان شاء ثم يطير فيذهب فيدخل الملك فيقول (سلام عليكم - تلکم الجنة أورتتموها بما كنتم تعملون) ولو أن شجرة من شعر الحوراء وقعت في الأرض لأضادت الشمس معها سوادا في نور ه هذا حديث غريب وكأنه مرسل والله أعلم

وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل

الحمد لله رب العالمين (٧٥)

لما ذكر تعالى الحكمة في أهل الجنة والنار وأنه نزل كلا في المحل الذي يليق به ويصلح له وهو العادل في ذلك الذي لا يجور ، أخبر عن ملائكتهم محققون من حول العرش المجيد يسبحون بحمد ربهم ويمجدونه ويمظفونه ويقدمونه ويبرهنونه عن النقائص والجور وقد فصل القضية وقضى الأمر وحكم بالعدل ولهذا قال عز وجل (وقضي بينهم) أي بين الخلائق (بالحق)

ثم قال (وقيل الحمد لله رب العالمين) أي نطق الكون أجمعه ناطقه وبهيمه الله رب العالمين بالحمد في حكمه وعدله ولهذا لم يسند القول إلى قائل بل أطلقه فدل على أن جميع المخلوقات شهدت له بالحمد قال قتادة انتح الخلق بالحمد في قوله (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض) واختتم بالحمد في قوله تبارك وتعالى (وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين)

قال الله تعالى ﴿ فنعم أجر العاملين ﴾ ثواب المطيعين ﴿ وترى الملائكة حافين من حول العرش ﴾ أي محققين محيطين بالعرش مطيعين بحوائجهم أي بحوائجهم ﴿ يسبحون بحمد ربهم ﴾ قيل هذا تسبيح فلذلك لا تسبيح تعبد لأن التكليف متروك في ذلك اليوم ﴿ وقضي بينهم بالحق ﴾ أي قضي بين أهل الجنة والنار بالعدل ﴿ وقيل الحمد لله رب العالمين ﴾ يقول أهل الجنة شكراً حينئذ ثم وعد الله لهم

تفسير سورة المؤمن وهي مكية

قد كره بعض السلف منهم محمد بن سيرين أن يقال الحواميم وإنما يقال آل حم قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه آل حم ديباج القرآن وقال ابن عباس رضي الله عنهما إن لكل شيء لبابا ولباب القرآن آل حم أو قال الحواميم

وقال مسعر بن كدام كان يقال لمن العرائس روى ذلك كله الامام العالم ابو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله تعالى في كتاب فضائل القرآن

وقال حميد بن زنجويه حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي الاحوص عن عبد الله رضي الله عنه قال : إن مثل القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لأهله منزلا فربما رغيث فيينا هو يسير فيه ويتعجب منه إذ هبط على روضات دمنات فقال عجبت من الرغيث الاول فهذا أعجب وأعجب فقبل له إن مثل الرغيث الاول مثل عظم القرآن ، وإن مثل هؤلاء الروضات الدمنات مثل آل حم في القرآن أوردته البغوي

وقال ابن لميعة عن يزيد بن أبي حبيب ان الجراح بن أبي الجراح حدثه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لكل شيء لباب ولباب القرآن الحواميم ، وقال ابن مسعود رضي الله عنه إذا وقعت في آل حم فقد وقعت في روضات أتائق فيهن

وقال ابو عبيد ثنا الاشجعي حدثنا مسعر هو ابن كدام عن حدثه أن رجلا رأى أبا الدرداء رضي الله عنه يبني مسجدا فقال له ما هذا ؟ فقال أبنيه من أجل آل حم وقد يكون هذا المسجد الذي بناه ابو الدرداء رضي الله عنه هو المسجد المنسوب اليه داخل قلعة دمشق ، وقد يكون صيانته وحفظها ببركته وبركة ما وضع له فان هذا الكلام يدل على التضرع على الاعداء كما قال رسول الله ﷺ لا تحبوا في بعض الغزوات ان يئتم اليلة فقولوا حم لا ينصرون - وفي رواية - لا تنصرون »

﴿ سورة المؤمن خمس وثمانون آية مكية ﴾

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان ثنا أبو جعفر محمد ابن أحمد بن عبد الجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا عبد الله بن موسى ثنا امرأئيل عن أبي اسحاق عن أبي الاحوص عن عبد الله قال ان مثل القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لأهله منزلا فربما رغيث فيينا هو يسير فيه ويتعجب منه إذ هبط على روضات دمنات فقال عجبت من الرغيث الاول فهذا أعجب منه وأعجب فقبل له ان مثل الرغيث الاول مثل عظم القرآن وان مثل هؤلاء الروضات الدمنات مثل آل حم في القرآن

وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا أحمد بن الحكم بن ظبيان بن خلف المازني ومحمد بن الأبي الهمداني قالا حدثنا موسى بن مسعود حدثنا عبد الرحمن بن أبي بكر الملبكي عن زرارة بن مصعب عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من قرأ آية الكرسي وأول حم المؤمن عصم ذلك اليوم من كل سوء » ثم قال لا نعلمه « بروى إلا بهذا الاسناد ورواه الترمذي من حديث الملبكي وقال تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه

بسم الله الرحمن الرحيم

حم (١) تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم (٢) غافر الذنب وقابل التوب شديد

العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير (٣)

أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته هنا وقد قيل ان [حم] اسم من أسماء الله عز وجل وأنشدوا في ذلك بيتا

بذكرني حم والريح شاجر فهلا تلا حم قبل التقدم

وقد ورد في الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي من حديث الثوري عن أبي إسحاق عن المهلب بن أبي صفرة قال : حدثني من سمع رسول الله ﷺ يقول « ان بينم الآية فقولوا حم لا ينصرون » وهذا إسناد صحيح ، واختار أبو عبيد أن يروى فقولوا حم لا ينصروا أى ان قلتم ذلك لا ينصروا جعله جزاء لقوله فقولوا

وقوله تعالى (تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم) أي تنزيل هذا الكتاب وهو القرآن من الله

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أنا أبو محمد الرومي ثنا أبو العباس السراج أنا قتيبة ثنا ابن طهبة عن يزيد بن أبي حبيب أن الجراح بن الجراح حدثه عن ابن عباس قال لكل شيء باب ولباب القرآن الحواميم وقال ابن مسعود اذا وقعت في آل حم وقعت في روضات أناق فيهن وقال سعيد بن ابراهيم كن آل الحواميم بسمين العرائس

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل (حم) قد سبق الكلام في حروف التهجي قال السدي عن ابن عباس حم اسم الله الأعظم وروى عكرمة عنه قال الز وحم ونون حروف الرحمن مقطعة وقال سعيد بن جبير وعطاء الخراساني الحاء افتتاح أسمائه حكيم حميد حي حليم حنان والميم افتتاح أسمائه ملك مجيد منان وقال الضحاك والكسائي معناه فضي ما هو كائن، كانه أشار الى أن معناه حم بضم الحاء وتشديد الميم وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر حم بكسر الحاء والباقون بفتحها (تنزيل الكتاب من الله العزيز

ذي العزة والعلم فلا يرام جنباً ولا يخفى عليه القدر وإن تكاثف حجاباً . وقوله عز وجل [غافر الذنب وقابل التوب] أي يغفر ماسلف من الذنب ويقبل التوبة في المستقبل لمن تاب إليه وخضع لديه وقوله جل وعلا [شديد العقاب] أي لمن تمرد وطفى وآثر الحياة الدنيا وعنا عن أوامر الله تعالى وبغى وهذه كقوله [نبي . عبادي] أي أنا الغفور الرحيم ، وأن عذابي هو العذاب الأليم [بقرن هذين الوصفين كثيراً في مواضع متعددة من القرآن ليبقى العبد بين الرجاء والخوف

وقوله تعالى (ذي الطول) قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني السعة والغنى ، وهكذا قال مجاهد وقتادة ، وقال يزيد الأصم ذي الطول يعني الخير الكثير ، وقال عكرمة [ذي الطول] ذي المن ، وقال قتادة ذي النعم والفواضل ، والمعنى أنه المتفضل على عباده المتطول عليهم بما هم فيه من المن والنعيم التي لا يطبقون القيام بشكر واحدة منها [وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها] الآية

وقوله جلّت عظمته [لا إله إلا هو] أي لا نظير له في جميع صفاته فلا إله غيره ولا رب سواه [إليه المصير] أي المرجع والمآب فيجازي كل عامل بعمله [وهو سريع الحساب] وقال أبو بكر بن عباس سمعت أبا اسحاق السبيعي يقول : جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين إني قتلت فهل لي من توبة ؟ فقرأ عمر رضي الله عنه (حم ، تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم * غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب) وقال احمد ولا تيأس . رواه ابن أبي حاتم واللفظ له وابن جرير

وقال ابن أبي حاتم ثنا أبي ثنا موسى بن مروان الرقي ثنا عمر يعني ابن أيوب أنا جعفر بن برقان عن يزيد بن الأصم قال : كان رجل من أهل الشام ذو بأس وكان يفد إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ففقد عمر فقال ما فعل فلان بن فلان ؟ فقالوا يا أمير المؤمنين تنابع في هذا الشراب ، قال فدعا عمر كاتبه فقال اكتب من عمر بن الخطاب إلى فلان بن فلان سلام عليك فاني أحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير . ثم قال لا محابة ادعوا الله لأخيمكم أن يقبل بقلبه ويتوب الله عليه ، فلما بلغ الرجل كتاب عمر رضي الله عنه جعل يقرؤه ويردده ويقول غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب قد حذرتني عقوبته ووعدني أن يغفر لي ورواه الحافظ أبو نعيم من حديث جعفر بن برقان وزاد فلم يزل يرددّها على نفسه ثم بكى ثم نزع

العليق * غافر الذنب) سائر الذنب (وقابل التوب) يعني التوبة مصدر تاب يتوب توباً وقيل التوب جمع توبة مثل دومة ودوم وحومة وحوم قال ابن عباس غافر الذنب لمن قال لا إله إلا الله وقابل التوب من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله (شديد العقاب) لمن لا يقول لا إله إلا الله (ذي الطول) ذي الغنى عن لا يقول لا إله إلا الله ، وقال مجاهد ذي الطول ذي السعة والغنى وقال الحسن ذو الفضل قال قتادة ذو النعم وقيل ذو القدرة ، وأصل الطول الانعام الذي تطول مدته على صاحبه

فأحسن النزع ، فلما بلغ عمر خبره قال هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخا لكم زل زلة فسددوه ووثقوه وادعوا الله له أن يتوب ولا تكونوا أعوانا للشيطان عليه

وقال ابن أبي حاتم ثنا عمر بن شبة ثنا حماد بن واقد ثنا أبو عمر الصغار ثنا ثابت البناني قال كنت مع مصعب بن الزبير رضي الله عنه في سواد الكوفة فدخلت حائطا أصلي ركعتين فافتحت هم المؤمن حتى بلغت لا إله الا هو اليه المصير فإذا رجل خافي على بغلة شبيهة عليه مقطعات يمنية فقال اذا قلت غافر الذنب فقل يا غافر الذنب اغفر لي ذنبي ، واذا قلت قابل التوب فقل يا قابل التوب اقبل توبتي ، واذا قلت شديد العقاب فقل يا شديد العقاب لاتعاقبني ، قال فالتفت فلم أر أحداً فخرجت إلى الباب فقلت مر بكم رجل عليه مقطعات يمنية ؟ قالوا مارأينا أحداً فكانوا يرون انه الياس ، ثم رواه من طريق أخرى عن ثابت بنحوه وليس فيه ذكر الياس والله سبحانه وتعالى أعلم

ما يجادل الله في آيات الله الا الذين كفروا فلا يفررك قلبهم في البلد (٤) كذبت

قلوبهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل امة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل

ليُدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب (٥) وكذلك حقت كلمت ربك على الذين

كفروا أنهم أصحاب النار (٦)

يقول تعالى ما يدفع الحق ويجادل فيه بعد البيان وظهور البرهان (إلا الذين كفروا) أي الجاحدون

(لا إله الا هو اليه المصير) ما يجادل في آيات الله (في دفع آيات الله بالكذب والانكار) الا الذين كفروا (قال أبو العالية آيتان ما أشدهما على الذين يجادلون في القرآن) ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا - و- ان الذين اختلفوا في الكتاب اني شقاق بعيد)

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أنا عبد الله بن حامد ثنا محمد بن خالد أنا داود ابن سليمان أنا عبد الله بن حميد ثنا الحسين بن علي الجعفي عن زائدة عن ليث عن سعد بن ابراهيم عن أبي سلة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « ان جدالا في القرآن كفر »

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح أنا أبو الحسين ابن بشر أنا اسمعيل بن محمد الصغار أنا أحمد بن منصور الرمادي ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال سمع رسول الله ﷺ قوما يمارون في القرآن فقال « إنما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله بعضه ببعض وإنما نزل كتاب الله بصدق بعضه بعضا ، فلا تكذبوا بعضه ببعض فاعلمت منه ققولوه وما جهلتم فكلوه إلى عاله »

لَا يَأْتِ اللَّهَ وَحِجْجُهُ وَبَرَاهِينُهُ (فَلَا يَفْرُكُ قَلْبُهُمْ فِي الْبِلَادِ) أَي فِي أُمُومِهَا وَنَعِيمِهَا وَزَهْرَتِهَا كَمَا قَالَ جَل وَعَلَا [لَا يَفْرُكُ قَلْبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ وَبُئْسَ الْمِهَادُ] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ [نَمْنَعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ] ثُمَّ قَالَ تَعَالَىٰ مُسْلِمًا لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تَكْذِيبِ مَنْ كَذَبَهُ مِنْ قَوْمِهِ بِأَنَّهُ لَمْ يَأْسُؤْهُ مِنْ سَلَفٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَانَّهُ قَدْ كَذَبَهُمْ أَمَّهُمْ وَخَالَفُوهُمْ وَمَا آمَنَ بِهِمْ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَقَالَ (كَذَبْتَ قَلْبَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ) وَهُوَ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ يَنْهَىٰ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ (وَالْأَحْزَابِ مِنْ بَعْدِهِمْ) أَي مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ (وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ) أَي حَرَّصُوا عَلَىٰ قَتْلِهِ بِكُلِّ مَكْرٍ وَمِنْهُمْ مَنْ قَتَلَ رَسُولَهُ (وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ) أَي مَاحِلُوا بِالشَّبْهِةِ لِيُردُوا الْحَقَّ الْوَاضِحَ الْجَلِيَّ

وَقَدْ قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الطَّبْرَانِيُّ ثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ثَنَا عَارِمُ أَبُو النُّعْمَانِ ثَنَا مُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ سَمِعْتُ أَبِي بِحَدِيثٍ عَنْ حَنْشٍ عَنْ عِكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ « مَنْ أَعَانَ بَاطِلًا لِيُدْحِضَ بِهِ حَقًّا فَقَدْ بَرَأَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللَّهِ تَعَالَىٰ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ ﷺ » وَقَوْلُهُ جَلَّتْ عِظَمَتُهُ (فَأَخَذْتَهُمْ) أَي أَهْلَكْتَهُمْ عَلَىٰ مَا صَنَعُوا مِنْ هَذِهِ الْأَتَامِ وَالذُّنُوبِ الْعِظَامِ (فَكَيْفَ كَانَ عِقَابُ) أَي فَكَيْفَ بَلَغَكَ عَذَابِي لَهُمْ وَنُكَالِي بِهِمْ قَدْ كَانَ شَدِيدًا مُوجِعًا مَوْلاً ، قَالَ قَتَادَةُ كَانَ شَدِيدًا وَاللَّهُ وَقَوْلُهُ جَل جَلَالُهُ (وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ) أَي كَاحَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ كَذَلِكَ حَقَّتْ عَلَى الْمَكْذِبِينَ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُواكَ وَخَالَفُوكَ بِأَحْمَدٍ بِطَرِيقِ الْأَوَّلَى وَالْآخِرَى لِأَنَّ مِنْ كَذْبِكَ فَلَا وَثُوقَ لَهُ بِتَصْدِيقِ غَيْرِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ

قَوْلُهُ تَعَالَى (فَلَا يَفْرُكُ قَلْبُهُمْ فِي الْبِلَادِ) تَصَرَّفُهُمْ فِي الْبِلَادِ لِلتَّجَارَاتِ وَسَلَامَتِهِمْ فِيهَا مَعَ كُفْرِهِمْ فَإِنَّ عَاقِبَةَ أَمْرِهِمُ الْعَذَابُ نَظِيرُهُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ (لَا يَفْرُكُ قَلْبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ) (كَذَبْتَ قَلْبَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابِ مِنْ بَعْدِهِمْ) وَهُمْ الْكُفَّارُ الَّذِينَ تَحْزَبُوا عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِمْ بِالتَّكْذِيبِ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ (وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لِيَقْتُلُوهُ وَيَهْلِكُوهُ وَقِيلَ لِيَأْسُرُوهُ وَالْعَرَبُ تَسْمِي الْأَسِيرِ أَخِيذًا

(وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ) الَّذِي جَاءَ بِهِ الرِّسَالُ ، وَمَجَادَلْتُهُمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ (أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا - وَلَوْلَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَلَائِكَةَ) وَنَحْوُ ذَلِكَ (فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابُ) وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ (بِغَضِي) كَمَا حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْأُمَمِ الْمَكْذِبَةِ حَقَّتْ (عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا) مِنْ قَوْمِكَ (أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ) قَالَ الْأَخْفَشُ لِأَنَّهُمْ أَوْ بَأَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ) حَمَلَةُ الْعَرْشِ وَالطَّاغُوتُ بِهِ وَهُمْ الْكُرُوبِيُّونَ

وذلك هو الفوز العظيم (٩)

وهم سادة الملائكة قال ابن عباس حملة العرش ما بين كعب أحدهم الى أسفل قدميه مسيرة خمسمائة عام ويروى ان أقدامهم في تخوم الارض والارضون والسموات الى حيزتهم وهم يقولون سبحان ذي العزة والجبروت، سبحان ذي الملك والمملوك، سبحان الحي الذي لا يموت، سبحان قدوس رب الملائكة والروح، وقال ميسرة بن عبد ربه أرجلهم في الارض السفلى ورؤسهم تحت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وهم أشد خوفاً من أهل السماء السابعة وأهل السماء السابعة أشد خوفاً من أهل السماء التي تليها والتي تليها أشد خوفاً من التي تليها، وقال مجاهد بين الملائكة والعرش سبعون حجاباً من نور

من ملائكة الله من حملة العرش ما بين شحمة أذنيه الى عاتقيه مسيرة سبعمائة عام »

وروى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده أنه قال : إن ما بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية خفتان الطير المسرع ثلاثين ألف عام ، والعرش يكسى كل يوم سبعين ألف لون من النور لا يستطيع أن ينظر إليه خلق من خلق الله ، والأشياء كلها في العرش كحلقة في فلاة . وقال مجاهد بين السماء السابعة وبين العرش سبعون ألف حجاب ، حجاب من نور وحجاب من ظلمة ، وحجاب نور وحجاب ظلمة . وقال وهب بن منبه إن حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة ، صف خلف صف يطوفون بالعرش يقبل هؤلاء . ويقبل هؤلاء . فإذا استقبل بعضهم بعضا هلل هؤلاء . وكبر هؤلاء ، ومن ررائهم سبعون ألف صف قيام أيديهم إلى أعناقهم قد وضعوها على عواتقهم ، فإذا سمعوا تكبير أولئك ونهليلهم رفعوا أصواتهم فقالوا : سبحانك وبحمدك ما أعظمك وأجلك أنت الله لا إله غيرك أنت الأكبر ، الخلق كلهم لك راجون ، ومن وراء هؤلاء مائة ألف صف من الملائكة قد وضعوا اليمنى على اليسرى ليس منهم أحد إلا وهو بسبح بتحميد لا يسبحه الآخر ، ما بين جناحي أحدهم مسيرة ثلثمائة عام ، وما بين شحمة أذنه إلى عاتقه أربع مائة عام ، واحتجب الله من الملائكة الذين حول العرش بسبعين حجابا من نور وسبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور وسبعين حجابا من در أبيض وسبعين حجابا من

بأنهم يسبحون بحمد ربهم أي يقرنون بين التسبيح الدال على نفي النقائص والتحميد المقتضي لإثبات صفات المدح (ويؤمنون به) أي خاشعون له أذلاء بين يديه وأنهم (يستغفرون للذين آمنوا) أي من أهل الأرض ممن آمن بالغيب ففيض الله تعالى ملائكته المقربين أن يدعوا للمؤمنين بظهر الغيب ولما كان هذا من سجايا الملائكة عليهم الصلاة والسلام كانوا يؤمنون على دعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب كما ثبت في صحيح مسلم « إذا دعا المسلم لأخيه بظهر الغيب قال الملك آمين وقتئذ يمثله » وقد قال الامام احمد حدثنا عبد الله بن محمد هو ابن أبي شيبه ثنا عبيدة بن سليمان عن محمد بن اسحاق عن يعقوب بن عتبة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ « صدق أمية بن أبي الصلت في شيء من شعره » فقال :

زحل وثور تحت رجل يمينه والنسر للأخرى وليث مرصده

فقال رسول الله ﷺ « صدق » فقال :

والشمس تطلع كل آخر ليلة حراما بصبح لونها يتورد

نأبي فما تطلع لنا في رسلها الا معذبة والا تجلد

فقال رسول الله ﷺ « صدق » وهذا إسناد جيد وهو يقتضي أن حملة العرش اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة كانوا ثمانية كما قال تعالى (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) وهنا سؤال وهو أن يقال ما الجرم بين المفهوم من هذه الآية ودلالة هذا الحديث ؟ وبين الحديث الذي رواه أبو داود ثنا محمد بن الصباح البزار ثنا الوليد بن أبي ثور عن سماك عن عبد الله بن عميرة عن الاحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال : كنت بالبطحاء في عصابة فيهم رسول الله ﷺ فرث بهم سحابة فنظر اليها فقال « ما سمعون هذه ؟ » قالوا السحاب ، قال « والمزن » قالوا والمزن

ياقوت أصفر وسبعين حجابا من زبرجد أخضر وسبعين حجابا من ثلج وسبعين حجابا من ما وسبعين حجابا من برد ومالا يعلمه إلا الله تعالى ، قال ولكل واحد من حملة العرش ومن حوله أربعة وجوه وجه ثور ووجه أسد ووجه نسر ووجه إنسان ، ولكل واحد منهم أربعة أجنحة أما جناحان فعلى وجهه مخافة أن ينظر الى العرش فيصعق وأما جناحان فيمضيهما كما يهفو هذا الطائر بجناحيه اذا حركه ليس لهم كلام إلا التسبيح والتحميد والتكبير والتعجيد

قوله عز وجل (يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به) يصدقون بأنه واحد لا شريك له أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني ثنا أبو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا عمر بن عبد الله الرقاشي حدثنا جعفر بن سليمان ثنا هارون بن رباب ثنا شهر بن حوشب قال حملة العرش ثمانية فأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك ، وأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك ، قال وكانهم ينظرون ذنوب بني آدم

قال « والعنان » قالوا والعنان ، قال أبو داود ولم أتقن العنان جيدا ، قال « هل تدرون بعد ما بين السماء والأرض ؟ » قالوا لا ندري ، قال « بعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة ثم السماء فوقها كذلك حتى عد سبع سموات ، ثم فوق السماء السابعة بحر ما بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سما إلى سما ، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهن وركبهن مثل ما بين سما إلى سما ثم على ظهورهن العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سما إلى سما ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك »

ثم رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث سماك بن حرب به وقال الترمذي حسن غريب وهذا يقتضي ان حملة العرش ثمانية كما قال شهر بن حوشب رضي الله عنه حملة العرش ثمانية اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك ، وأربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك ولهذا يقولون اذا استغفروا للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما (أي رحمتك تسمع ذنوبهم وخطاياهم وعلمك محيط بجميع أعمالهم وأقوالهم وحرركاتهم وسكناتهم) فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك (أي فاصفح عن الميسئين اذا تابوا وأبوابا وأقلعوا عما كانوا فيه واتبعوا ما أمرتهم به من فعل الخيرات وترك المنكرات) وقهم عذاب الجحيم (أي وحرزهم عن عذاب الجحيم وهو العذاب الموجه الاليم) ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم (أي اجمع بينهم وبينهم لتقر بذلك أعينهم بالاجتماع في منازل متجاورة كما قال تبارك وتعالى [والذين اتبعهم ذريتهم بائمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء] أي ساوينا بين الكل في الميزلة لتقر أعينهم وما نقصنا العالي حتى يساوي الأدنى بل رفعنا ناقص العمل فساوينا بكثير العمل تفضلا منا ومنه

وقال سعيد بن جبیر ان المؤمن اذا دخل الجنة سأل عن ابيه وابنه واخيه ابنهم فيقال انهم لم يبلغوا طبقتك في العمل فيقول اني اتما عملت لي ولهم فيلحقون به في الدرجة ثم تلا سعيد بن جبیر هذه الآية (ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك انت العزيز الحكيم) قال مطرف بن عبد الله بن الشخير أنصح عباد الله للمؤمنين الملائكة ثم تلا هذه الآية [ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم] الآية وأغش عباده للمؤمنين الشياطين وقوله تبارك وتعالى (انك انت العزيز الحكيم) أي الذي لا يمانع ولا يغالب وما شاء كان

قوله عز وجل (ويستغفرون للذين آمنوا ربنا) يعني يقولون ربنا (وسعت كل شيء رحمة وعلما) قيل نصب على التفسير وقيل على النقل أي وسعت رحمتك وعلمك كل شيء (فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك) دينك (وقهم عذاب الجحيم) قال مطرف أنصح عباد الله للمؤمنين هم الملائكة وأغش الخلق للمؤمنين هم الشياطين (ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح) آمن (من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك انت العزيز الحكيم) قال سعيد بن جبیر يدخل المؤمن الجنة فيقول

وما لم بشأ لم يكن الحكيم في أقوالك وأفعالك من شرعك وقدرك ، وقم السيئات ، أي فعلها أو وبالها ممن وقعت منه [ومن تق السيئات يومئذ] أي يوم القيامة [فقد رحمته] أي لطف به ونجته من العقوبة [وذلك هو الفوز العظيم]

إن الذين كفروا يُنادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون (١٠) قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل ؟ (١١) ذلكم بأنه إذا دُعي الله وحده كفرتم وإن يُشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير (١٢) هو الذي يرِيكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر إلا من ينيب (١٣) فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون (١٤)

يقول تعالى مخبرا عن الكفار أنهم ينادون يوم القيامة وهم في غمرات النيران يتلظنون وذلك عند ما باشروا من عذاب الله تعالى ما لا قبل لأحد به فمقتوا عند ذلك أنفسهم وأبغضوها غاية البغض بسبب ما أسلفوا من الأعمال السيئة التي كانت سبب دخولهم إلى النار فأخبرتهم الملائكة عند ذلك إخبارا عاليا نادواهم نداء بأن مقت الله تعالى لهم في الدنيا حين كان يعرض عليهم الإيمان فيكفرون أشد من مقتكم أيها المعبودون أنفسكم اليوم في هذه الحالة

قال قتادة في قوله تعالى [لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون] يقول لمقت الله أهل الضلالة حين عرض عليهم الإيمان في الدنيا فتركوه وأبوا أن يقبلوه أكبر مما مقتوا أنفسهم حين عاينوا عذاب الله يوم القيامة ، وهكذا قال الحسن البصري ومجاهد والسدي وذر بن عبيد الله الهمداني وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وابن جرير الطبري رحمة الله عليهم أجمعين وقوله (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) قال الثوري عن أبي اسحاق عن أبي الأحوص

أبن أبي ؟ أبن أمي ؟ أبن ولدي ؟ أبن زوجتي ؟ فيقال إنهم لم يعملوا مثل عملك فيقول إني كنت أعمل لي ولهم فيقال ادخلوهم الجنة (وقم السيئات) العقوبات (ومن تق السيئات) أي ومن تق السيئات يعني العقوبات وقيل جزاء السيئات (يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم)

قوله عز وجل (إن الذين كفروا ينادون) يوم القيامة وهم في النار وقد مقتوا أنفسهم حين عرضت عليهم سيئاتهم وعابنوا العذاب فيقال لهم (لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون) يعني لمقت الله إياكم في الدنيا إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون أكبر من مقتكم اليوم أنفسكم عند حلول العذاب بكم (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) قال ابن عباس رضي

عن ابن مسعود رضي الله عنه هذه الآية كقوله تعالى (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون) وكذا قال ابن عباس والضحاك وقتادة وأبو مالك وهذا هو الصواب الذي لا شك فيه ولا حريه

وقال السدي أميتوا في الدنيا ثم أحيوا في قبورهم فخطبوا ، ثم أميتوا ثم أحيوا يوم القيامة ، وقال ابن زيد : أحيوا حين أخذ عليهم الميثاق من صلب آدم عليه السلام ثم خلقهم في الارحام ثم أماتهم ثم أحيام يوم القيامة ، وهذا القولان من السدي وابن زيد ضعيفان لانه يلزمهما على ما قالوا ثلاث إحياءات وإمانات ، والصحيح قول ابن مسعود وابن عباس ومن تابعهما ، والمقصود من هذا كله ان الكفار يسألون الرجعة وهم وقوف بين يدي الله عز وجل في عرصات القيامة كما قال عز وجل (ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون) فلا يجابون ثم إذا رأوا النار وعابنوها ووقفوا عليها ونظروا إلى ما فيها من العذاب والنكال سألو الرجعة أشد مما سألو أول مرة فلا يجابون قال الله تعالى (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين * بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وأنهم لأكاذبون) فاذا دخلوا النار وذاقوا مسها وحسبها ومقامها وأغلاها كان سؤالهم للرجعة أشد وأعظم (وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل ، أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير ؟ فذوقوا فما تظالمين من نصير - ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون * قال اخسؤا فيها ولا تكلمون) وفي هذه الآية الكريمة تطفوا في السؤال وقدموا بين يدي كلامهم مقدمة وهي قولهم (ربنا أمتنا اثنيتين وأحييتنا اثنيتين [أي قدرتك عظيمة فانك أحييتنا بعد ما كنا أمواتا ثم أمتنا ثم أحييتنا فأننت قادر على ما تشاء ، وقد اعترفنا بذنوبنا واننا كنا ظالمين لأنفسنا في الدار الدنيا] فهل إلى خروج من سبيل [أي فهل أنت مجيبنا إلى أن تعيدنا إلى الدار الدنيا فانك قادر على ذلك انعمل غير الذي كنا نعمل فان عدنا إلى ما كنا فيه فانا ظالمون ، فأجيبوا أن لا سبيل إلى عودكم وارجعكم إلى الدار الدنيا ، ثم علل المنع من ذلك بأن سجاياكم لا تقبل الحق ولا تقضيه بل تمجه وتنفيه ، ولهذا قال تعالى (ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وان بشرك به تؤمنوا)

الله تعالى عنهما وقتادة والضحاك كانوا أمواتا في أصلاب آبائهم فأحيام الله في الدنيا ثم أماتهم الموتة التي لا بد منها ثم أحيامهم للبعث يوم القيامة فهما موتتان وحياتان وهذا كقوله تعالى (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم) وقال السدي أميتوا في الدنيا ثم أحيوا في قبورهم فاسألوا ثم أميتوا في قبورهم ثم أحيوا في الآخرة (فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل) أي من خروج من النار إلى الدنيا فنصلح أعمالنا ونعمل بطاعتك نظيره (هل إلى مرد من سبيل) قال الله تعالى (ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم) وفيه متروك استغنى عنه لدلالة الظاهر

أي أنتم هكذا تكونون وان رددتم إلى الدار الدنيا كما قال عز وجل (وتوردوا لها دواب المانها)
عنه وانهم لكاذبون) وقوله جل وعلا (فالحكم لله العلي الكبير) أي هو الحاكم في خلقه العادل
الذي لا يجور فيهدي من يشاء ويضل من يشاء ويرحم من يشاء ويعذب من يشاء لا إله إلا هو

وقوله جل جلاله (هو الذي يرىكم آياته) أي يظهر قدرته لخلقها بما يشاهدونه في خلقه العلوي
والسفلي من الآيات العظيمة الدالة على كمال خالقها ومبدعها ومنشئها وينزل لكم من السماء رزقا وهو
المطر الذي يخرج به من الزروع والثمار ما هو مشاهد بالمش من اختلاف ألوانه وطعومه وروائح
وأشكاله وألوانه وهو ماء واحد فبالقدرة العظيمة فأت بين هذه الأشياء (وما يتذكر) أي يعتبر ويتفكر
في هذه الأشياء ويستدل بها على عظمة خالقها (إلا من ينيب) أي من هو بصير منيب إلى الله تبارك وتعالى
وقوله عز وجل (فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون) أي فأخلصوا الله وحده العبادة
والدعاء وخالفوا المشركين في مسلكهم ومذهبهم

قال الامام احمد حدثنا عبدالله بن نمير حدثنا هشام يعني ابن عروة بن الزبير عن أبي الزبير محمد
ابن مسلم بن مدرس المكي قال : كان عبدالله بن الزبير يقول في دبر كل صلاة حين يسلم لا إله إلا الله
وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا حول ولا قوة إلا بالله ، لا إله إلا الله
ولا نعبد الله إياه ، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن ، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون
قال وكان رسول الله ﷺ يهل بهم دبر كل صلاة . ورواه مسلم وابو داود والنسائي من طرق عن هشام
ابن عروة وحجاج بن أبي عمان وموسى بن عقبة ثلاثهم عن أبي الزبير عن عبدالله بن الزبير قال :
كان رسول الله ﷺ يقول في دبر كل صلاة « لا إله إلا الله وحده لا شريك له » وذكر تمامه

وقد ثبت في الصحيح عن ابن الزبير رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول عقب الصلوات
المكتوبات « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، لا حول
ولا قوة إلا بالله ، لا إله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن ، لا إله إلا الله
مخلصين له الدين ولو كره الكافرون »

وقال ابن أبي حاتم حدثنا الربيع حدثنا الحبيب بن ناصح حدثنا صالح يعني المري عن هشام

عليه ، مجازة فأجيبوا أن لا سبيل إلى ذلك وهذا العذاب والخلود في النار بأنكم اذا دعي الله وحده
كفرتم أي اذا قيل لا إله إلا الله أنكرتم وقتلتم أجعل الآلهة إلهاً واحداً (وان بشرك به) غيره
(تؤمنوا) تصدقوا ذلك الشرك (فالحكم لله العلي الكبير) الذي لا أعلى منه ولا أكبر (هو الذي
يرىكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا) يعني المطر الذي هو سبب الارزاق (وما يتعظ
بهذه الآيات) إلا من ينيب (يرجع إلى الله تعالى في جميع أموره) فادعوا الله مخلصين له الدين

٢٨٦ علو الله تعالى وانزاله الروح من أمره على من يشاء (تفسير ابن كثير والبقوي)

ابن حسان عن ابن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « ادعوا الله تبارك وتعالى وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله تعالى لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه »

رفيع الدرجت ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم

التلاق (١٥) يوم هم برزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار

(١٦) اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب (١٧)

يقول تعالى مخبراً عن عظمته وكبريائه وارتفاع عرشه العظيم العالي على جميع مخلوقاته كالسقف لها كما قال تعالى (من الله ذي المعارج تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة) وسيأتي ان شاء الله تعالى بيان أن هذه مسافة ما بين العرش الى الارض السابعة في قول جماعة من السلف والخلف وهو الأرجح ان شاء الله ، وقد ذكر غير واحد أن العرش من ياقوته حمراء اتساع ما بين قطبيه مسيرة خمسين الف سنة ، وارتفاعه عن الارض السابعة مسيرة خمسين ألف سنة وقد تقدم في حديث الاوعال ما يدل على ارتفاعه عن السموات السبع بشيء عظيم

وقوله تعالى (يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده) كقوله جلّت عظمته [ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا انه لا إله الا أنا فاقنن] وكقوله تعالى [وانه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين] ولهذا قال عز وجل [لينذر يوم التلاق] قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس يوم التلاق اسم من أسماء يوم القيامة حذر الله منه عباده ، وقال ابن جريج قال ابن عباس رضي الله عنهما يلتقي فيه آدم وآخر ولده ، وقال ابن زيد يلتقي فيه العباد . وقال قتادة والسدي وبلال بن سعد وسفيان بن عيينة يلتقي فيه أهل السماء وأهل الارض والمخالق والخلق ، وقال ميمون بن مهران يلتقي الظالم والمظلوم ، وقد يقال ان يوم التلاق يشمل هذا كله ويشمل أن كل عامل سيلقى ماعله من خير وشر كما قاله آخرون

الطاعة والعبادة ﴿ ولو كره الكافرون ﴾ رفيع الدرجات ﴿ رافع درجات الانبياء والاولياء في الجنة ﴾ ﴿ ذو العرش ﴾ خالقه ومالكه ﴿ يلقي الروح ﴾ ينزل الوحي سماه روحاً لانه نجياً به القلوب كما نجى الابدان ﴿ من أمره ﴾ قال ابن عباس من قضائه وقيل من قوله وقال مقاتل بأمره ﴿ على من يشاء من عباده لينذر ﴾ أي لينذر النبي بالوحي ﴿ يوم التلاق ﴾ وقرأ يعقوب بالتاء أي لتنذر أنت يا محمد يوم التلاق يوم يلتقي أهل السماء وأهل الارض قال قتادة ومقاتل يلتقي فيه الخلق والمخالق قال ابن زيد يتلاقى العباد وقال ميمون بن مهران يلتقي الظالم والمظلوم وقيل يلتقي العابدون والمعبودون وقيل يلتقي

وقوله جل جلاله (يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء) أي ظاهرون بادون كلهم لشيء. يكتهم ولا يظلمهم ولا يستمرم ولهذا قال (يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء) أي الجميع في علمه على السواء. وقوله تبارك وتعالى (من الملك اليوم؟ الله الواحد القهار) قد تقدم في حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه تعالى يطوي السموات والأرض بيده ثم يقول أنا الملك أنا الجبار أنا المتكبر أين ملوك الأرض؟ أين الجبارون أين المتكبرون؟ وفي حديث الصور أنه عز وجل إذا قبض أرواح جميع خلقه فلم يبق سواه وحده لا شريك له حينئذ يقول لمن الملك اليوم ثلاث مرات ثم يجيب نفسه قائلا (الله الواحد القهار) أي الذي هو وحده قد قهر كل شيء، وغلبه

وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن غاب الدقاق حدثنا عبيد بن عبيدة حدثنا معتمر عن أبيه حدثنا أبو نضرة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ينادي مناد بين يدي الساعة يا أيها الناس أتنكم الساعة فيسمعها الأحياء والأموات قال وينزل الله عز وجل إلى السماء الدنيا ويقول (من الملك اليوم؟ الله الواحد القهار)

وقوله جل جلالته (اليوم تجزى كل نفس بما تسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب) يخبر تعالى عن عدله في حكمه بين خلقه أنه لا يظلم مثقال ذرة من خير ولا من شر بل يجزي بالحسنة عشر أمثالها وبالسبئة واحدة ولهذا قال تبارك وتعالى (لا ظلم اليوم) كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ فيما يحكي عن ربه عز وجل أنه قال «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا» — إلى أن قال — يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها عليكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله تبارك وتعالى، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه « وقوله عز وجل (إن الله سريع الحساب) أي بحاسب الخلائق كلهم كما بحاسب نفساً واحدة كما قال جل وعلا [ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة] وقال جل جلاله [وما أمرنا إلا واحدة كالمح بالبحر]

وأندرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الخناجر كظلمين مالم للظلمين من حميم ولا شفيع

بطاع (١٨) يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور (١٩) والله يقضي بالحق والذين يدعون من

دونه لا يقضون بشيء إن الله هو السميع البصير (٢٠)

فيه المرء مع عمله ﴿يوم هم بارزون﴾ خارجون من قبورهم ظاهرون لا يستمرم شيء. ﴿لا يخفى على الله منهم﴾ من أعمالهم وأحوالهم ﴿شيء﴾ ويقول الله تعالى في ذلك اليوم بعد فناء الخلق ﴿من الملك اليوم﴾ ولا أحد يجيبه فيجيب بنفسه فيقول ﴿الله الواحد القهار﴾ الذي قهر الخلق بالموت ﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت﴾ يجزي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته ﴿لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب﴾ وأندرهم يوم الآزفة ﴿يعني يوم القيامة سميت بذلك لأنها قريبة إذ كل ما هو آت قريب نظيره

يوم الآزفة اسم من أسماء يوم القيامة وسميت بذلك لاقترابها كما قال تعالى [أزفت الآزفة * ليس لها من دون الله كاشفة] وقال عز وجل [اقتربت الساعة وانشق القمر] وقال جل وعلا [اقرب الناس حسابهم] وقال [أنى أمر الله فلا تستعجلوه] وقال جل جلاله (فلما رآوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا) الآية

وقوله تبارك وتعالى [إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين] قال قتادة وقفت القلوب في الحناجر من الخوف فلا تخرج ولا تعود إلى أماكنها ، وكذا قال عكرمة والسدي وغير واحد ومعنى كاظمين أي ساكتين لا يتكلم أحد إلا بأذنه [يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا] وقال ابن جريج (كاظمين) أي باكين . وقوله سبحانه وتعالى (ما لظالمين من حميم ولا شفيع بطاع) أي ليس للذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله من قريب منهم ينفعهم ولا شفيع يشفع فيهم بل قد تقطعت بهم الأسباب من كل خير

وقوله تعالى (يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور) يخبر عز وجل عن علمه التام المحيط بجميع الأشياء جليلها وحقيقتها ، صغيرها وكبيرها ، دقيقةا واطيفها ليحذر الناس علمه فيمتنعوا من الله تعالى حق الحياء ويتقوه حق تقواه ، وبراقبوه مراقبة من يعلم أنه براء فانه عز وجل يعلم العين الخائنة وإن أبدت أمانة ويعلم ما تنطوي عليه خبايا الصدور من الضمائر والسرائر . قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور) هو الرجل يدخل على أهل البيت بينهم وفيهم المرأة الحسنة أو تمر به وبهم المرأة الحسنة فإذا غفلوا لحظ إليها ، فإذا فطنوا غض بصره عنها فإذا غفلوا لحظ فإذا فطنوا غض ، وقد اطلع الله تعالى من قلبه أنه ود أن لو اطلع على فرجها . رواه ابن أبي حاتم ، وقال الضحاك (خائنة الأعين) هو الغمز ، وقول الرجل رأيت ولم ير ، أو لم أر وقد رأى . وقال ابن عباس رضي الله عنهما يعلم الله تعالى من العين في نظرها هل تريد الخيانة أم لا ؟ وكذا قال مجاهد وقتادة ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (وما تخفي الصدور) يعلم إذا أنت قدرت عليها هل تزني بها أم لا ؟ وقال السدي (وما تخفي الصدور) أي من الوسوسة وقوله عز وجل (والله يقضي بالحق) أي يحكم بالعدل ، قال الاعمش عن سعيد بن جبير عن ابن

قوله عز وجل (أزفت الآزفة) أي قربت القيامة ﴿ إذ القلوب لدى الحناجر ﴾ وذلك أنها نزول عن أماكنها من الخوف حتى تصبح إلى الحناجر فلا هي تعود إلى أماكنها ولا هي تخرج من أنفوسهم فيموتون ويستريحوا ﴿ كاظمين ﴾ مكرويين ممثلين خوفا وحزنا والكظم تردد الغيظ والخوف والحزن في القلب حتى يضيق به ﴿ ما لظالمين من حميم ﴾ قريب ينفعهم ﴿ ولا شفيع بطاع ﴾ فيشفع فيهم ﴿ يعلم خائنة الأعين ﴾ أي خيانتها وهي مسارقة النظر إلى ما لا يحل قال مجاهد هو نظر العين إلى ما نهى الله عنه ﴿ وما تخفي الصدور ﴾ والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه ﴿ يعني الاوثان

عباس في قوله تعالى (والله يقضي بالحق) قادر على أن يجزي بالحسنة الحسنة وبالسيئة السيئة (إن الله هو السميع البصير) وهذا الذي فسر به ابن عباس رضي الله عنهما هذه الآية كقوله تبارك وتعالى (ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى)

وقوله جل وعلا (والذين يدعون من دونه) أى من الاصنام والوثان والانداد (لا يقضون بشيء) أى لا يملكون شيئاً ولا يحكمون بشيء . (ان الله هو السميع البصير) أى سميع لأقوال خلقه بصير بهم فيهدي من يشاء وبضل من يشاء وهو الحاكم العادل في جميع ذلك

أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثاراً في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق (٢١) ذلك

بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله انه قوي شديد العقاب (٢٢)

يقول تعالى (أولم يسروا) هؤلاء المكذبون برسالتك يا محمد (في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم) أى من الامم المكذبة بالانبياء عليهم الصلاة والسلام ما حل بهم من العذاب والشكل مع انهم كانوا أشد من هؤلاء قوة (وآثاراً في الارض) أى أثروا في الارض من النباتات والمعاليم والديارات ما لا يقدر هؤلاء عليه كما قال عز وجل (ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه) وقال تعالى [وأناروا الارض وعمروها آثر مما عمروها] أى ومع هذه القوة العظيمة والبأس الشديد أخذهم الله بذنوبهم وهي كفرهم برسلمهم (وما كان لهم من الله من واق) أى وما دفع عنهم عذاب الله أحد ولا رده عنهم راد ، ولا وقام واق

ثم ذكر علة أخذه إياهم وذنوبهم التي ارتكبوها واجتمروها فقال تعالى [ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات] أى بالدلائل الواضحات ، والبراهين القاطعات [فكفروا] أى مع هذا البيان والبرهان كفروا وجحدوا [فأخذهم الله] تعالى أى أهلكتهم ودمر عليهم ولاكافرين أمثالها [انه قوي شديد العقاب] أى ذو قوة عظيمة وبطش شديد [وهو شديد العقاب] أى عقابه أليم شديد وجيع ، أعاذنا الله تبارك وتعالى منه

(لا يقضون بشيء) لأنها لا تعلم شيئاً ولا تقدر على شيء . قرأ نافع وابن عامر تدعون بالثاء وقرأ الآخرون بالياء . (إن الله هو السميع البصير *) أو لم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة) قرأ ابن عامر منكم بالكاف وكذلك هو في مصاحفهم (وآثاراً في الارض) فلم ينفعهم ذلك (فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق) يدفع عنهم العذاب (ذلك) أى ذلك العذاب الذي نزل بهم (بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا

ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين (٢٣) الى فرعون وهامان وقرون فقالوا
سحر كذاب (٢٤) فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا
نساءهم ، وما كيد الكافرين الا في ضلال (٢٥) وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه
اني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الارض الفساد (٢٦) وقال موسى إني عذت بربي
وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب (٢٧)

يقول تعالى مسايلاً لنبيه محمد ﷺ في تكذيب من كذبه من قومه ومبشراً له بأن العاقبة والنصرة
له في الدنيا والآخرة كما جرى لموسى بن عمران عليه السلام فإن الله تعالى أرسله بالآيات البينات ،
والدلائل الواضحات ، ولهذا قال تعالى (بآياتنا وسلطان مبين) والسلطان هو الحجة والبرهان (إلى
فرعون) وهو ملك القبط بالديار المصرية (وهامان) وهو وزيره في مملكته (وقارون) وكان أكثر
الناس في زمانه مالا وتجارة (فقالوا ساحر كذاب) أي كذبوه وجعلوه ساحراً مجنوناً مموها كذاباً
في أن الله أرسله وهذه كقولته تعالى (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون *
أنواصوا به ؟ بل هم قوم طاغون) [فلما جاءهم بالحق من عندنا] أي بالبرهان القاطع الدال على أن الله
عز وجل أرسله اليهم (قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم) وهذا أمر ثان من فرعون
بقتل ذكور بني اسرائيل ، أما الاول فكان من الاحتراز من وجود موسى أو لاذلال هذا الشعب
وتقليل عددهم أو لمجموع الامرين ، وأما الامر الثاني فللعلة الثانية ولاهانة هذا الشعب ولكي يتشاءموا
بموسى عليه السلام ولهذا قالوا (أؤذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا ، قال عسى ربكم أن يهلك
عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون) قال قتادة هذا أمر بعد أمر ، قال الله عز وجل
(وما كيد الكافرين الا في ضلال) أي وما مكرهم وقصدهم الذي هو تقليل عدد بني اسرائيل

فأخذهم الله انه قوي شديد العقاب * ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين * إلى فرعون وهامان
وقارون فقالوا ساحر كذاب * فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا (يعني فرعون وقومه) اقتلوا أبناء
الذين آمنوا معه (قال قتادة هذا غير القتل الاول لان فرعون كان قد أمسك عن قتل الولدان فلما بعث
موسى عليه السلام أعاد القتل عليهم فعماه أعيدوا عليهم القتل (واستحيوا نساءهم) ليصدوهم بذلك عن
متابعة موسى ومظاهرة (وما كيد الكافرين) وما مكر فرعون وقومه واحتياهم (إلا في ضلال)

لئلا ينصروا عليهم إلا ذاهب وهالك في ضلال (وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه) هذا عزم من فرعون لعنه الله تعالى على قتل موسى عليه الصلاة والسلام أي قال لقومه دعوني حتى أقتل لكم هذا (وليدع ربه) أي لأبالي منه وهذا في غاية الجحد والتجهرم والعناد وقوله قبحه الله (اني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الارض الفساد) يعني موسى ، يخشى فرعون أن يضل موسى الناس ويغير رسومهم وعاداتهم وهذا كما يقال في المثل : صار فرعون مذكراً ، يعني واعظا يشفق على الناس من موسى عليه السلام . وقرأ الآخرون (ان يبدل دينكم وان يظهر في الارض الفساد) وقرأ الآخرون (ان يظهر في الارض الفساد) بالضم (وقال موسى إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) أي لما بلغه قول فرعون (ذروني أقتل موسى) قال موسى عليه السلام استعجرت بالله وعذت به من شره وشر أمثاله ولهذا قال (اني عذت بربي وربكم) أيها المخاطبون (من كل متكبر) أي عن الحق مجرم (لا يؤمن بيوم الحساب) ولهذا جاء في الحديث عن أبي موسى رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ كان إذا خاف قوما قال « اللهم إنا نعوذ بك من شرورهم وندرا بك في نحورهم »

وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ؟ وإن ياك كذباً فليس عليه كذبته وإن ياك سارقاً يصيبكم بعض الذي يمدكم ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب (٢٨) يقوم لكم الملك اليوم ظهري في الأرض فمن ينصرونا من بأس الله ان جاءنا ؟ قال فرعون ما أريكم الا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد (٢٩)

أي يذهب كيدهم باطلا ويحقيق بهم ما يريد الله عز وجل (وقال فرعون) ملكه (ذروني أقتل موسى) وإنما قال هذا لانه كان في خاصة قوم فرعون من يمنعه من قتله خوفا من الهلاك (وليدع ربه) أي وليدع موسى ربه الذي يزعم انه أرسله البنا فيمنعه منا (إني أخاف أن يبدل) أن يغير (دينكم) الذي أنتم عليه (أو أن يظهر في الارض الفساد) قرأ يعقوب وأهل الكوفة أو أن يظهر وقرأ الآخرون (وأن يظهر) وقرأ أهل المدينة والبصرة وحفص بظهر بضم الياء وكسر الهاء على التعدية الفساد نصب لقوله أن يبدل دينكم حتى يكون الفعلان على نسق واحد وقرأ الآخرون بفتح الياء والهاء على المزوم الفساد رفع وأراد بالفساد تبديل الدين وعبادة غيره (وقال موسى) لما توعد فرعون بالقتل (إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) وقال رجل مؤمن من

المشهور أن هذا الرجل المؤمن كان قبطيا من آل فرعون ، قال السدي : كان ابن عم فرعون ويقال أنه الذي نجا مع موسى عليه الصلاة والسلام ، واختاره ابن جرير ورد قول من ذهب الى أنه كان اسرا ئيليا لان فرعون انفعّل لكلامه واستمعه وكف عن قتل موسى عليه السلام ولو كان اسرا ئيليا لأوشك أن يعاجل بالعقوبة لانه منهم

وقال ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما لم يؤمن من آل فرعون سوى هذا الرجل وامرأة فرعون والذي قال (باموسى ان الملائكة يأمرؤن بك ليقتلوك) رواه ابن أبي حاتم وقد كان هذا الرجل يكتم ايمانه عن قومه القبط فلم يظهر الا هذا اليوم حين قال فرعون (ذروني أقتل موسى) فأخذت الرجل غضبة لله عز وجل وأفضل الجهاد كامة عدل عند سلطان جائر كما ثبت بذلك الحديث ولا أعظم من هذه الكلمة عند فرعون وهي قوله (أنقتلون رجلا أن يقول ربي الله) اللهم الا ما رواه البخاري في صحيحه حيث قال حدثنا علي بن عبد الله حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الاوزاعي حدثني يحيى بن أبي كثير حدثني محمد بن ابراهيم النيمي حدثني عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أخبرني بأشد شيء صنعته المشركون برسول الله ﷺ قال بينا رسول الله ﷺ يصلي بفناء الكعبة اذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فأقبل أبو بكر رضي الله عنه فأخذ بمنكبيه ودفعه عن النبي ﷺ ثم قال (أنقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم) انفرد به البخاري من حديث الاوزاعي قال وتابعه محمد بن اسحاق عن ابراهيم بن عروة عن أبيه به

وقال ابن أبي حاتم حدثنا هارون بن اسحاق الهمداني حدثنا عبدة عن هشام يعني ابن عروة عن أبيه عن عمرو بن العاص رضي الله عنه انه سئل ما أشد ما رأيت قريشا بلغوا من رسول الله ﷺ قال ما رأيت قريشا بلغوا من رسول الله ﷺ قال هم ذات يوم فقالوا له أنت تنهانا أن نعبد ما يعبد آبائنا ؟ فقال « أناذاك » فقاموا اليه فأخذوا بمجامع ثيابه فرأيت أبا بكر رضي الله عنه محتضنه من ورائه وهو يصيح بأعلى صوته وان عينيه ليسيلان وهو يقول يا قوم (أنقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم) حتى فرغ من الآية كلها وهكذا رواه النسائي من حديث عبدة فجعله من مسند عمرو بن العاص رضي الله عنه وقوله تعالى (وقد جاءكم بالبينات من ربكم) أي كيف تقتلون رجلا لكونه يقول ربي الله وقد

آل فرعون يكتم ايمانه) واختلفوا في هذا المؤمن قال مقاتل والسدي كان قبطيا ابن عم فرعون وهو الذي حكى الله عنه فقال (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى) وقال قوم كان اسرا ئيليا ومجاز الآية وقال رجل مؤمن يكتم ايمانه من آل فرعون وكان اسمه حزيل عند ابن عباس وأكثر العلماء وقال ابن اسحاق اسمه جبريل وقيل كان اسم الرجل الذي آمن من آل فرعون حبيبا (أنقتلون رجلا أن يقول ربي الله) لان يقول ربي الله (وقد جاءكم بالبينات من ربكم) أي بما يدل على صدقه

أقام لكم البرهان على صدق ما جاءكم به من الحق . ثم تنزل معهم في المحاطبة فقال (وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا بصبكم بعض الذي يعدكم) يعني إذا لم يظهر لكم صحة ما جاءكم به فمن العقل والرأي التام والحزم أن تتركوه ونفسه فلا تؤذوه فإن يك كاذبا فإن الله سبحانه وتعالى سيجازيه على كذبه بالعقوبة في الدنيا والآخرة وإن يك صادقا وقد آذيتموه بصبكم بعض الذي يعدكم فإنه يتوعدكم أن خالفتموه بعذاب في الدنيا والآخرة فمن الجائز عندكم أن يكون صادقا فينبغي على هذا أن لا تعرضوا له بل اتركوه وقومه يدعوهم ويتبعونه : وهكذا أخبر الله عز وجل عن موسى عليه السلام أنه طلب من فرعون وقومه المواجهة في قوله (ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم * أن أدعوا إلى عباد الله أني لكم رسول أمين * وأن لا تعبدوا على الله أني آتيكم بسلطان مبين * وأنني عذت بربي وربكم أن ترجعون وإن لم تؤمنوا لي فاعزّلون) وهكذا قال رسول الله ﷺ لقريش أن يتركوه يدعوا إلى الله تعالى عباد الله ولا يسوء بسوء ويصلوا ما بينه وبينهم من القرابة في ترك أذيته قال الله عز وجل [قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى] أي أن لا تؤذوني فيما بيني وبينكم من القرابة فلا تؤذوني وتتركوا بيني وبين الناس وعلى هذا وقعت الهدنة يوم الحديبية وكان فتحاً مبيناً وقوله جل وعلا [إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب] أي لو كان هذا الذي يزعم أن الله تعالى أرسله اليكم كاذبا كما تزعمون لكان أمره بيننا يظهر لكل أحد في أقواله وأفعاله فكانت تكون في غاية الاختلاف والاضطراب وهذا نرى أمره مسديداً ومنهجه مستقيماً ، ولو كان من المسرفين الكذابين لما هداه الله وأرشده إلى ما ترون من انتظام أمره وفعله ثم قال المؤمن محذراً قومه زوال نعمة الله

(وإن يك كاذبا فعليه كذبه) لا بضررك ذلك (وإن يك صادقا) فكذبتموه وهو صادق (بصبكم بعض الذي يعدكم) قال أبو عبيد المراد بالبعض الكل أي أن قتلتموه وهو صادق أصابكم ما يتوعدكم به من العذاب قال البيهقي بعض هنا صلة يريد بصبكم الذي يعدكم وقال أهل المعاني هذا على الظاهر في الحجاج كأنه قال أقل ما في صدقه أن يصيبكم بعض الذي يعدكم وفي بعض ذلك هلاككم فذكر البعض ليوجب الكل (أن الله لا يهدي) إلى دينه (من هو مسرف) مشرك (كذاب) على الله أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا علي بن عبد الله ثنا الوليد بن مسلم حدثني الأوزاعي حدثني يحيى بن أبي كثير حدثني محمد بن إبراهيم التيمي حدثني عروة بن الزبير قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص أخبرني بأشد ما صنعه المشركون برسول الله ﷺ قال بينا رسول الله ﷺ يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوي ثوبه في عنقه فختمه به ختما شديداً فقبل أبو بكر فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ودفعه عن رسول الله ﷺ وقال (اتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من

٢٩٤ تحذير المؤمن لقوم فرعون بأس الله ونقمته من المتكبرين الجبارين (تفسيرا ابن كثير والبغوي)

عنهم وحلول نعمة الله بهم [يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض] أي قد أنعم الله عليكم بهذا الملك والظهور في الارض بالكلمة النافذة والجاه العريض فراعوا هذه النعمة بشكر الله تعالى وتصديق رسوله ﷺ واحذروا نعمة الله ان كذبتهم رسوله (فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا) أي لا تنفني عنكم هذه الجنود وهذه العساكر ولا نرد عنا شيئا من بأس الله ان أرادنا بسوء (قال فرعون) لقوته راد أعلى ما أشار به هذا الرجل الصالح البار الرشيد الذي كان أحق بالملك من فرعون (أما أريكم إلا ما أرى) أي ما أقول لكم وأشير عليكم إلا ما أراه لنفسي وقد كذب فرعون فانه كان يتحقق صدق موسى عليه السلام فيما جاء به من الرسالة (قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر) وقال الله تعالى [وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا] فقلوه (ما أريكم إلا ما أرى) كذب فيه واقترى وخان الله تبارك وتعالى ورسوله ﷺ ورعيته فنشهم وما نصحهم وكذا قوله [وما أهديكم الا سبيل الرشاد] أي وما أدعوكم الا الى طريق الحق والصدق والرشد وقد كذب أيضا في ذلك وان كان قومه قد أطاعوه واتبعوه قال الله تبارك وتعالى [فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد] وقال جللت عظمته [وأضل فرعون قومه وما هدى] وفي الحديث : ما من امام يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته الا لم يرج راحة الجنة وان رجحها ليجد من مسيرة خمسمائة عام « والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب

وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب (٣٠) مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد (٣١) ويا قوم اني أخاف عليكم يوم التناد (٣٢) يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضل الله فما له من هاد (٣٣) ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زاتم في شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قاتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب (٣٤) الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار (٣٥)

ربكم ﴿ يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض ﴾ غالبن في أرض مصر ﴿ فمن ينصرنا من بأس الله ﴾ من يمننا من عذاب الله ﴿ ان جاءنا ﴾ والمعنى لكم الملك اليوم فلا تعرضوا لعذاب الله بالتكذيب وقتل النبي فانه لا مانع من عذاب الله ان حل بكم ﴿ قال فرعون ما أريكم ﴾ من الرأي والنصيحة ﴿ الا ما أرى ﴾ لنفسي وقال الضحاك لا أعلمكم الا ما أعلم ﴿ وما أهديكم الا سبيل الرشاد ﴾ ما أدعوكم الا الى طريق الهدى ﴿ وقال الذي آمن يا قوم اني أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب ﴾ مثل دأب قوم

هذا اخبار من الله عز وجل عن هذا الرجل الصالح مؤمن آل فرعون انه حذر قومه بأس الله تعالى في الدنيا والآخرة (فقال يا قوم اني أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب) أي الذين كذبوا رسل الله في قديم الدهر كقوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم من الامم المكذبة كيف حل بهم بأس الله وما رده عنهم راد ولا صده عنهم صاد (وما الله يريد ظلماً للعباد) أي انما أهللكم الله تعالى بذنوبهم وتكذيبهم رسوله ومخالفتهم أمره فأنفذ فيهم قدره ثم قال (ويا قوم اني أخاف عليكم يوم التناد) يعني يوم القيامة وسمي بذلك قال بعضهم لما جاء في حديث الصور إن الارض اذا زلزلت وانشقت من قطر إلى قطر وماجت وارتجت فنظر الناس الى ذلك ذهبوا هاربين ينادي بعضهم بعضا وقال آخرون منهم الضحاك بل ذلك اذا جيء بجيهم ذهب الناس هرباً منها فتلقاهم الملائكة فتردهم الى مقام المحشر وهو قوله تعالى ١ والملك على أرجائها) وقوله (يامعشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان)

وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه والحسن والضحاك انهم قرأوا يوم التناد بتشديد الدال من ند البعير اذا تردى وذهب وقيل لان الميزان عنده ملك اذا وزن عمل العبد فرجع نادى بأعلى صوته ألا قد سعد فلان بن فلان سعادة لا بشقى بعدها أبداً ، وإن خف عمله نادى ألا قد شقي فلان ابن فلان وقال قتادة ينادي كل قوم بأعمالهم ينادي أهل الجنة أهل الجنة وأهل النار أهل النار، وقيل سمي بذلك لمناداة أهل الجنة أهل النار (أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا نعم) ومناداة أهل النار أهل الجنة (أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا ان الله

نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم) أي مثل عاداتهم في الإقامة على التكذيب حتى أتاها العذاب (وما الله يريد ظلماً للعباد) أي لا يهلككم قبل ايجاب الحجة عليهم (ويا قوم اني أخاف عليكم يوم التناد) يوم القيامة يدعى كل أناس بأعمالهم وينادي بعضهم بعضاً فينادي أصحاب الجنة أصحاب النار وأصحاب النار أصحاب الجنة وينادي أصحاب الاعراف وينادي بالسعادة والشقاوة ألا ان فلان ابن فلان قد سعد سعادة لا بشقى بعدها أبداً ، وفلان ابن فلان قد شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبداً وينادي حين يذبح الموت يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت، وقرأ ابن عباس والضحاك يوم التناد بتشديد الدال أي يوم التناثر وذلك انهم هربوا فندوا في الارض كما تند الابل اذا شردت عن أربابها وقال الضحاك وكذلك اذا سمعوا زفير النار ندوا هرباً فلا يأتون قطار من الاقطار الا وجدوا الملائكة صفوفا فيرجعون الى المكان الذي كانوا فيه فذلك قوله تعالى (والملك على أرجائها) وقوله (يامعشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا)

حرمها على الكافرين ، ولناداة أصحاب الاعراف أهل الجنة وأهل النار كما هو مذكور في سورة الاعراف واختار البغوي وغيره انه سمي بذلك لمجموع ذلك وهو قول حسن جيد والله أعلم وقوله تعالى (يوم تولون مدبرين) أي ذاهبين هاربين (كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر) ولهذا قال عز وجل (مالكم من الله من عاصم) أي مالكم من مانع يمنعكم من بأس الله وعذابه ومن يضل الله فما له من هاد أي من أضله الله فلا هادي له غيره

وقوله تبارك وتعالى [ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات] يعني أهل مصر قد بعث الله فيهم رسولا من قبل موسى عليه الصلاة والسلام وهو يوسف عليه الصلاة والسلام كان عزيز أهل مصر وكان رسولا يدعو إلى الله تعالى أمته بالقسط فما أطاعوه تلك الطاعة إلا بمجرد الوزارة والجاه الدنيوي ولهذا قال تعالى [فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا] أي ينسبتم قتلهم طامعين [لن يبعث الله من بعده رسولا] وذلك لكفرهم وتكذيبهم [كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب] أي كحالكم هذا يكون حال من يضل الله لا سرافه في أفعاله وارتباب قلبه ثم قال عز وجل [الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم] أي الذين يدفون الحق بالباطل ويجادلون الحجج بغير دليل وحجة معهم من الله تعالى فإن الله عز وجل يمت على ذلك أشد المقت ولهذا قال تعالى [كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا] أي والمؤمنون أيضا يفضون من تكون هذه صفته فإن من كانت هذه صفته يطعم الله على قلبه فلا يعرف بعد ذلك معروفا ولا ينكر منكرا ولهذا قال تبارك وتعالى [كذلك يطعم الله على كل قلب متكبر] أي على اتباع الحق [جبار] روى ابن أبي حاتم عن عكرمة وحكي عن الشعبي أنهما قال لا يكون الانسان جبارا حتى يقتل نفسين وقال أبو عمران الجوني وقادة آية الجبارة القتل بغير حق والله تعالى أعلم

(يوم تولون مدبرين) منصرفين عن موقف الحساب الى النار وقال مجاهد قاربين غير معجزين (مالكم من الله من عاصم) بعصمكم من عذابه (ومن يضل الله فما له من هاد) ولقد جاءكم يوسف من قبل (يعني يوسف بن يعقوب من قبل أي من قبل موسى) بالبينات (يعني قوله [أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار] (فما زلتم في شك مما جاءكم به) قال ابن عباس من عبادة الله وحده لا شريك له (حتى إذا هلك) مات (قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) أي أقنم على كفركم وظننتم ان الله لا يجدد عليكم الحجة (كذلك يضل الله من هو مسرف) مشرك (مرتاب) شاك (الذين يجادلون في آيات الله) قال الزجاج هذا تفسير للمسرف المرتاب يعني الذين يجادلون في آيات الله أي في ابطالها بالكذب (بغير سلطان) حجة (أتاهم) من الله (كبر مقتا) أي كبر ذلك الجدال مقتا (عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطعم الله على كل قلب متكبر جبار) قرأ أبو عمرو وابن عامر قلب بالتنوين وقرأ الآخرون بالاضافة دليله قراءة عبدالله بن مسعود (على

وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب (٣٦) أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون إلا في تباب (٣٧)

يقول تعالى مخبراً عن فرعون وعتوه وتمرده واقترائه في تكذيبه موسى عليه الصلاة والسلام أنه أمر وزيره هامان أن يبني له صرحاً وهو القصر العالي المنيف الشاهق وكان انخاضه من الآجر المضروب من الطين المشوي كما قال تعالى [فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً] ولهذا قال إبراهيم النخعي كانوا يكرهون البناء بالآجر وإن يجعلوه في قبورهم رواه ابن أبي حاتم وقوله [لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات] الخ قال سعيد بن جبير وأبو صالح أبواب السموات وقيل طرق السموات (فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً) وهذا من كفره وتمرده أنه كذب موسى عليه الصلاة والسلام في أن الله عز وجل أرسله إليه قال الله تعالى (وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) أي بصنعه هذا الذي أراد أن يوهم به الرعية أنه يعمل شيئاً يتوصل به إلى تكذيب موسى عليه الصلاة والسلام ولهذا قال تعالى (وما كيد فرعون إلا في تباب) قال ابن عباس ومجاهد يعني إلا في خسران

وقال الذي آمن يقوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد (٣٨) يقوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار (٣٩) من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلاً مما ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب (٤٠) يقول المؤمن لقومه ممن تمرد وطفى وأثر الحياة الدنيا ونسي الجبار الأعلى فقال لهم (يا قوم

كل قلب كل متكبر جبار) (وقال فرعون) لوزير (يا هامان ابن لي صرحاً) والصرح البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وإن بعد رأسه من التصريح وهو الاظهار (لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات) يعني طرقها وأبوابها من مماء إلى مماء (فأطلع إلى إله موسى) قراءة العامة برفع العين نسقاً على قوله أبلغ الأسباب وقرأ حفص عن عاصم بنصب العين وهي قراءة حميد الاعرج على جواب أهل بالقاء (وإني لأظنه) يعني موسى (كاذباً) فيما يقول إن له رباً غيري (وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل)

قرأ أهل الكوفة ويعقوب وصد بضم الصاد نسقاً على قوله زين لفرعون قال ابن عباس صده الله عن سبيل الهدى وقرأ الآخرون بالفتح أي صد فرعون الناس عن السبيل (وما كيد فرعون إلا في تباب) يعني وما كيده في ابطال آيات الله وآيات موسى إلا في خسران وهلاك (وقال الذي آمن

اتبعون أهدكم سبيل الرشاد) لا كما كذب فرعون في قوله (وما أهدى لكم الا سبيل الرشاد) ثم زهدهم في الدنيا التي قد آثروها على الاخرى وصدتهم عن التصديق برسول الله موسى عليه الصلاة والسلام (فقال يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع) أي قليلة زائلة فانية عن قريب تذهب وتضمحل (وان الآخرة هي دار القرار) أي الدار التي لازوال لها ولا انتقال منها ولا ظعن عنها إلى غيرها بل اما نعيم واما جحيم ولهذا قال جلّت عظمته (من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها) أي واحدة مثلها (ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فألئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) أي لا يتقدر بجزاء بل يشييه الله عز وجل ثوابا كثيرا لا انقضاء له ولا نفاد والله تعالى الموفق للصواب

ويقوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار (٤١) تدعونني لا كفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار (٤٢) لا جرم أنما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وأن مردنا إلى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار (٤٣) فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله ان الله بصير بالعباد (٤٤) فوقاء الله سيئات مالمكروا وحق بآل فرعون سوء العذاب (٤٥) النار يُعْرَضُونَ عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب (٤٦)

يقول اهم المؤمن ما بالي أدعوكم الى النجاة وهي عبادة الله وحده لا شريك له وتصديق رسوله ﷺ الذي بعثه (وتدعونني الى النار ؟ تدعونني لا كفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم) أي على جهل بلا دليل (وأنا ادعوكم الى العزيز الغفار) اي هو في عزته وكبريائه يفر ذنب من تاب اليه (لا جرم أنما تدعونني اليه) يقول حقا ، قال السدي وابن جرير معنى قوله (لا جرم) حقا وقال الضحاك (لا جرم) لا كذب وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس (لا جرم) يقول بلى ان الذي تدعونني اليه

يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد) طريق الهدى (يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع) متعة تنتفعون بها مدة ثم تنقطع (وان الآخرة هي دار القرار) التي لا تزول (من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها) ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فألئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب (قال مقاتل لا تبعة عليهم فيما يعطون في الجنة من الخير) ويا قوم مالي أدعوكم الى النجاة) يعني مالكم كما تقول العرب مالي أراك حزينا ؟ اي مالك ؟ يقول اخبروني عنكم كيف هذه الحال ؟ أدعوكم الى النجاة من النار بالايمان بالله (وتدعونني الى النار) الى الشرك الذي يوجب النار ثم فسر فقال (تدعونني لا كفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار) العزيز في انتقامه ممن كفر

من الاصنام والانداد (ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة) قال مجاهد الوثن ليس له شيء ، وقال قتادة يعني الوثن لا ينفع ولا يضر وقال السدي : لا يجيب داعيه لا في الدنيا ولا في الآخرة ، وهذا كقوله تبارك وتعالى (ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ؟) واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء ، وكانوا بعبادتهم كافرين * ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم)

وقوله (وأن مردنا الى الله) أي في الدار الآخرة فيجازي كل بعمله ولهذا قال (وأن المسرفين هم أصحاب النار) أي خالدين فيها بامرأهم وهو شركهم بالله عز وجل (فستذكرون ما أقول لكم) أي سوف تعلمون صدق ما أمرتكم به ونهيتمكم عنه ونصحتكم ووضحت لكم وتذكرونه وتندمون حيث لا ينفعكم الندم (وأفوض أمري الى الله) أي وأتوكل على الله وأستعينه وأقاطعكم وأباعدكم (ان الله بصير بالعباد) أي هو بصير بهم تعالى وتقدس فيهدي من يستحق الهداية ويضل من يستحق الاضلال وله الحجة البالغة والحكمة النامة والقدر النافذ

وقوله تبارك وتعالى (فوقاه الله سيئات ما مكروا) أي في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فنجاه الله تعالى مع موسى عليه الصلاة والسلام وأما في الآخرة فبالجنة (وحق بال فرعون سوء العذاب) وهو الفرق في اليم ثم النقلة منه الى الجحيم ، فإن أرواحهم تعرض على النار صباحا ومساء ، الى قيام الساعة فاذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار ولهذا قال (ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) أي أشده ألما وأعظمه نكالا وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور وهي قوله تعالى (النار يعرضون عليها غدواً وعشيا)

ولكن هنا سؤال وهو أنه لا شك أن هذه الآية مكية وقد استدلوا بها على عذاب القبر في البرزخ وقد قال الامام احمد ثنا هاشم هو ابن القاسم أبو النضر ثنا اسحاق بن سعيد هو ابن عمرو بن

الغفار الذنوب أهل التوحيد (لا جرم) حقا (أن ما تدعونني اليه) أي الى الوثن (ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة) قال السدي لا يستجيب لاحد في الدنيا ولا في الآخرة يعني ليست له استجابة دعوة وقيل ليست له دعوة الى عبادته في الدنيا لان الاوثان لا تدعي الربوبية ولا تدعو الى عبادتها وفي الآخرة تتبرأ من عابديها (وأن مردنا الى الله) مرجعنا الى الله فيجازي كلا بما يستحقه (وأن المسرفين) المشركين (هم أصحاب النار * فستذكرون ما أقول لكم) اذا عابنهم العذاب حين لا ينفعكم الذكر (وأفوض أمري الى الله) وذلك انهم توعدهم لمخالفته دينهم (ان الله بصير بالعباد) يعلم الحق من المبطل ثم خرج المؤمن من بينهم فطلبوه فلم يقدروا عليه

وذلك قوله عز وجل (فوقاه الله سيئات ما مكروا) ما أرادوا به من الشر قال قتادة نجما مع موسى وكان قبطيا (وحق) نزل (بال فرعون سوء العذاب) الفرق في الدنيا والنار في الآخرة وذلك

سعيد بن العاص ثنا سعيد يعني أباه عن عائشة رضي الله عنها أن يهودية كانت تخدمها فلا تصنع عائشة رضي الله عنها اليها شيئا من المعروف الا قالت لها اليهودية وقل الله عذاب القبر قالت عائشة رضي الله عنها فدخل رسول الله ﷺ علي فقلت يا رسول الله هل لقبر عذاب قبل يوم القيامة ؟ قال ﷺ لا من زعم ذلك ؟ قالت هذه اليهودية لا أصنع معها شيئا من المعروف الا قالت وقل الله عذاب القبر قال ﷺ كذبت يهودية وهم على الله أكذب لا عذاب دون يوم القيامة ثم مكث بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث فخرج ذات يوم نصف النهار مشتملا بثوبه محمرا عيناه وهو ينادي بأعلى صوته « القبر كقطع الليل المظلم ، أيها الناس لو تعلمون ما أعلم بكم كثير أ وضحكم قليلا أيها الناس استعينوا بالله من عذاب القبر فان عذاب القبر حق » وهذا اسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه وروى أحمد ومسلم ثنا يزيد ثنا سفيان عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت سألتها امرأة يهودية فأعطتها فقالت لها وقل الله من عذاب القبر فأنكرت عائشة رضي الله عنها ذلك فلما رأت النبي ﷺ قالت له فقال ﷺ لا قالت عائشة رضي الله عنها ثم قال لنا رسول الله ﷺ بعد ذلك « وإنه أوحى الي انكم تفتنون في قبوركم » وهذا أيضا على شرطهما

فيقال فما الجمع بين هذا وبين كون الآية مكية وفيها الدلالة على عذاب البرزخ ؟ والجواب ان الآية دلت على عرض الارواح على النار غدوا وعشيا في البرزخ وليس فيها دلالة على اتصال نالها بأجسادها في القبور اذ قد يكون ذلك مختصا بالروح فأما حصول ذلك للجسد في البرزخ وتألمه بسببه فلم يدل عليه الا السنة في الاحاديث المرضية الآتي ذكرها

وقد يقال ان هذه الآية انما دلت على عذاب الكفار في البرزخ ولا يلزم من ذلك أن يعذب المؤمن في قبره بذنوبه ، ومما يدل على ذلك ما رواه الامام احمد ثنا عثمان بن عمر ثنا يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ دخل عليها وعندها امرأة من اليهود وهي تقول أشعرت انكم تفتنون في قبوركم ؟ فارأى رسول الله ﷺ وقال انما يفتن يهود قالت عائشة رضي الله عنها فلبثنا ليالي ثم قال رسول الله ﷺ أشعرت انه أوحى الي انكم تفتنون في القبور ؟ وقالت عائشة رضي الله عنها فكان رسول الله ﷺ بعد يستعين من عذاب القبر وهكذا رواه مسلم عن هارون بن سعيد وحرمة كلاهما عن ابن وهب عن يونس بن يزيد الايلي عن الزهري به

وقد يقال ان هذه الآية دلت على عذاب الارواح في البرزخ ولا يلزم من ذلك أن يتصل في الاجساد في قبورها فلما أوحى الى النبي ﷺ في ذلك بخصوصه استعاذ منه والله سبحانه وتعالى أعلم وقد روى البخاري من حديث شعبة عن أشعث عن ابن أبي الشعثاء عن أبيه عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها أن يهودية دخلت عليها فقالت نعوذ بالله من عذاب القبر فسألت عائشة رضي

قوله « النار » وهي رفم على البدل من السوء « يعرضون عليها غدوا وعشيا » صباحا ومساء قال

الله عنها رسول الله ﷺ عن عذاب القبر فقال ﷺ « نعم عذاب القبر حق » قالت عائشة رضي الله عنها : فما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلى صلاة إلا تعود من عذاب القبر . فهذا يدل على أنه بادر ﷺ إلى تصديق اليهودية في هذا الخبر وقرر عليه ، وفي الاخبار المتقدمة أنه أنكر ذلك حتى جاءه الوحي فلعلها قضيتان والله سبحانه أعلم وأحاديث عذاب القبر كثيرة جداً

وقال قتادة في قوله تعالى (غدوا وعشيا) صباحا ومساء ما بقيت الدنيا يقال لهم يا آل فرعون هذه منار لكم توبخا وقمة وصغاراً لهم ، وقال ابن زيد هم فيها اليوم بغدى بهم ويراح الى أن تقوم الساعة وقال ابن أبي حاتم ثنا أبو سعيد ثنا المحاربي ثنا ليث عن عبد الرحمن بن ثروان عن هذيل عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : ان أرواح الشهداء في أجواف طيور خضر تسرح بهم في الجنة حيث شاؤا ، وان ارواح ولدان المؤمنين في أجواف عصافير تسرح في الجنة حيث شئت فتأوي الى قناديل معلقة في العرش ، وان ارواح آل فرعون في أجواف طيور سود تغدو على جهنم وتروح عليها فذلك عرضها ، وقد رواه الثوري عن أبي قيس عن أبي الهذيل بن شرحبيل من كلامه في ارواح آل فرعون وكذلك قال السدي .

وفي حديث الاسراء من رواية أبي هارون العبدى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال فيه « ثم انطلق بي الى خلق كثير من خلق الله رجال كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم مصفدون على سابلة آل فرعون وآل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا (ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب) وآل فرعون كالابل المسومة يخبطون بالحجارة والشجر ولا يعقلون » وقال ابن أبي حاتم ثنا علي بن الحسين ثنا زيد بن اخرم ثنا عامر بن مدرك الحارثي ثنا عتبة - يعني بن يقظان - عن قيس بن مسلم عن طارق عن شهاب عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي

ابن مسعود ارواح آل فرعون في أجواف طيور سود يعرضون على النار كل يوم مرتين تغدو وتروح الى النار ويقال يا آل فرعون هذه ما واكم حتى تقوم الساعة وقال قتادة ومقاتل والسدي والكلبي تعرض روح كل كافر على النار بكرة وعشيا مادامت الدنيا

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال « إن أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال له هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيامة

ثم أخبر الله عن مستقرهم يوم القيامة فقال (ويوم تقوم الساعة ادخلوا) قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وأبو بكر الساعة ادخلوا بحذف الالف والوصل وبضمها في الابتداء وضم الحاء من الدخول أي يقال لهم ادخلوا يا (آل فرعون أشد العذاب) وقرأ الآخرون ادخلوا بقطع الالف وكسر

(ص) قال « ما أحسن محسن من مسلم أو كافر إلا أثابه الله تعالى » قال قلنا ما أثابه الله الكافر ؟ فقال « إن كان قد وصل رحماً أو تصدق بصدقة أو عمل حسنة أثابه الله تبارك وتعالى المال والولد والصحة وأشياء ذلك » قلنا فما أثابه في الآخرة ؟ قال ﷺ « عذابا دون العذاب » وقرأ [ادخلوا آل فرعون أشد العذاب] ورواه البزار في مسنده عن زيد بن أخزم ثم قال : لا نعلم له اسناداً غير هذا

وقال ابن جرير ثنا عبد الكريم بن أبي عمير ثنا حماد بن محمد الفزاري البلخي قال سمعت الاوزاعي وسأله رجل فقال رحمك الله رأينا طيوراً تخرج من البحر تأخذ ناحية الغرب بيضاء فوجاً فوجاً لا يعلم عددها إلا الله عز وجل فإذا كان العشي رجع مثلها سوداء قال وفطنتم إلى ذلك ؟ قال نعم ، قال إن ذلك الطير في حواصلها أرواح آل فرعون يعرضون على النار غدواً وعشيا فترجم إلى وكورها وقد احترقت أرياشها وصارت سوداء فينبت عليها من القليل ريش أبيض ويتناثر الأسود ثم تغدو على النار غدواً وعشيا ثم ترمج إلى وكورها ، فذلك دأبهم في الدنيا فإذا كان يوم القيامة قال الله تعالى (أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) قال وكانوا يقولون أنهم ستمائة ألف مقاتل

وقال الامام أحمد ثنا اسحاق ثنا مالك عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله عز وجل إليه يوم القيامة » أخرجه في الصحيحين من حديث مالك به

واذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار ؟ (٤٧) قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد (٤٨) وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب (٤٩) قالوا أولم تك

تأتيكم رسلكم بالبينات ؟ قالوا بلى ، قالوا فادعوا وما دعوا الكافرين إلا في ضلال (٥٠)

يخبر تعالى عن تحاج أهل النار في النار وتخاصمهم وفرعون وقومه من جملتهم فيقول الضعفاء وهم الاتباع للذين استكبروا وهم القادة والسادة والكبراء (إنا كنا لكم تبعاً) أي أطعناكم فيما دعوتونا إليه في الدنيا من الكفر والضلال (فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار) أي قسطاً تتحملونه

الحاء من الإدخال أي يقال للملائكة (أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) قال ابن عباس يريد ألوان العذاب غير الذي كانوا يعذبون به منذ غرقوا (واذا يتحاجون في النار) أي اذكر يا محمد أقومك إذ يختصمون يعني أهل النار في النار (فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً) في الدنيا (فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار) والتبع يكون واحداً وجعاً في قول أهل البصرة واحده تابع

عنا (قال الذين استكبروا انا كل فيها) أي لا تتحمل عنكم شيئاً كفى بنا ما عندنا وما حملنا من العذاب والآنكال (ان الله قد حكم بين العباد) أي قسم بيننا العذاب بقدر ما يستحقه كل منا كما قال تعالى (قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون — وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب) لما علموا أن الله عز وجل لا يستجيب منهم ولا يستمع لدعائهم بل قد قال (اخسؤا فيها ولا تكلمون) سألو الخزنة وهم كالسجانين لأهل النار أن يدعوا لهم الله تعالى في أن يخفف عن الكافرين ولو يوماً واحداً من العذاب فقالت لهم الخزنة رادين عليهم (أولم تك تأتكم رسلكم بالبينات ؟) أي أو ما قامت عليكم الحجج في الدنيا على السنة الرسل ؟ (قالوا بلى قالوا فادعوا) أي أنتم لأنفسكم فنعن لاندعوا لكم ولا نسمع منكم ولا نود خلاصكم ونحن منكم برآء ثم نخبركم أنه سواء دعوتكم أو لم تدعوا لا يستجاب لكم ولا يخفف عنكم ولهذا قالوا (وما دعاء الكافرين إلا في ضلال) أي الا في ذهاب لا يقبل ولا يستجاب

انا لننصر رسلا والذين آمنوا في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد (٥١) يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار (٥٢) ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بني اسرائيل الكتاب (٥٣) هدى وذكرى لأولى الالباب (٥٤) فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكر (٥٥) ان الذين يجادلون في آيت الله بغير سلطان

أنتهم ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله انه هو السميع البصير (٥٦)
قد أورد أبو جعفر ابن جرير رحمه الله تعالى عند قوله تعالى (انا لننصر رسلا والذين آمنوا في الحياة الدنيا) سؤالاً فقال قد علم أن بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام قتله قومه بالكلية كيحيى وزكريا وشعيا ومنهم من خرج من بين أظهرهم اما مهاجراً كإبراهيم ، وإما الى السماء كعيسى فأين النصرة في الدنيا ثم أجاب عن ذلك بجوابين (أحدهما) أن يكون الخبر خرج عاماً والمراد به البعض قال وهذا سائق في اللغة

وقال أهل الكوفة هو جمع لا واحد له وجمعه أتباع ﴿ قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد ﴾ وقال الذين في النار ﴿ حين اشتد عليهم العذاب ﴾ لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب ﴿ قالوا ﴾ يعني خزنة جهنم لهم ﴿ أولم تك تأتكم رسلكم بالبينات ؟ قالوا بلى قالوا فادعوا ﴾ أنتم إذا ربكم أي انا لاندعوا لكم لأنهم علموا أنه لا يخفف عنهم العذاب قال الله تعالى ﴿ وما دعاء الكافرين إلا في ضلال ﴾ أي يبطل وبضل ولا ينفعهم قوله عز وجل ﴿ انا لننصر رسلا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ﴾ قال ابن عباس بالغلبة والقهر

(الثاني) أن يكون المراد بالنصر الانتصار لهم ممن أذاهم وسواء كان ذلك بحضرتهم أو في غيبتهم أو بعد موتهم كما فعل بقتلة يحيى وزكريا وشعيا سلط عليهم من أعدائهم من أهانهم وسفك دماءهم وقد ذكر أن التروذ أخذه الله تعالى أخذ عزيز مقتدر ، وأما الذين راموا صلب المسيح عليه السلام من اليهود فسلط الله تعالى عليهم الروم فأهانوهم وأذلوهم وأظهرهم الله تعالى عليهم ثم قبل يوم القيامة سينزل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام إماما عادلا وحكما مقسطا فيقتل المسيح الدجال وجنوده من اليهود ويقتل الخنزير ويكسر الصليب ، ويضع الجزية فلا يقبل الا الاسلام وهذه نصرة عظيمة وهذه سنة الله تعالى في خلقه في قديم الدهر وحديثه أنه ينصر عباده المؤمنين في الدنيا ويقر أعينهم ممن آذاهم . ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال « يقول الله تبارك وتعالى من عادا لي ولينا فقد بارزني بالحرب »

وفي الحديث الآخر « اني لأثار لأوليائي كما يثار الابلث الحرب » ولهذا أهلك الله عز وجل قوم نوح وعاد وثمود وأصحاب الرس وقوم لوط وأهل مدين وأشباهم وأضرابهم ممن كذب الرسل وخاف الحق ، وأنجى الله تعالى من بينهم المؤمنين فلم يهلك منهم أحداً وعذب الكافرين فلم يفلت منهم أحداً ، قال السدي لم يبعث الله عز وجل رسولا قط الى قوم فيقتلونه أو قومامن المؤمنين يدعون إلى الحق فيقتلون فيذهب ذلك القرن حتى يبعث الله تبارك وتعالى لهم من ينصرهم فيطالب بدمائهم ممن فعل ذلك بهم في الدنيا قال فكانت الانبياء والمؤمنون يقتلوا في الدنيا وهم منصورون فيها ، وهكذا نصر الله نبيه محمداً ﷺ وأصحابه على من خالفه وناواه وكذبه وعاداه فجعل كلمته هي العليا ودينه هو الظاهر على سائر الاديان ، وأمره بالهجرة من بين ظهراني قومه الى المدينة النبوية وجعل له فيها أنصاراً وأعواناً ، ثم منحه أكتاف المشركين يوم بدر فنصره عليهم وخذلهم وقتل صناديدهم ، وأسر سرايتهم فاستاقهم مقرنين في الاصفاد ، ثم من عليهم بأخذه الفداء منهم ثم بعد مدة قريبة فتح عليه مكة ففرت عينه ببلاده وهو البلد المحرم الحرام المشرف المعظم فأنقذه الله تعالى به مما كان فيه من الكفر والشرك وفتح له اليمن ودانت له جزيرة العرب بكاملها ودخل الناس في دين الله أفواجا ، ثم قبضه الله تعالى اليه لما له عنده من الكرامة العظيمة فأقام الله تبارك وتعالى أصحابه خلفاء بعده فبلغوا عنه دين الله عز وجل ودعوا عباد الله تعالى الى الله جل وعلا ، وفتحوا البلاد والرسايق والاقاليم والمدائن والقرى والقلوب حتى انتشرت الدعوة الحمديدية في مشارق الارض ومغاربها ، ثم لا يزال هذا الدين قائما منصوراً ظاهراً إلى قيام الساعة ولهذا قال تعالى (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا

وقال الضحاك بالحجة وفي الآخرة بالعذاب وقيل بالانتقام من الأعداء في الدنيا والآخرة وكل ذلك قد كان للانبياء والمؤمنين فهم منصورون بالحجة على من خالفهم وقد نصرهم الله بالقهر على من ناوهم واهلك أعدائهم ونصرهم بعد أن قتلوا بالانتقام من أعدائهم كما نصر يحيى بن زكريا لما قتل ، قتل

ويوم يقوم الاشهاد) أي يوم القيامة تكون النصره أعظم وأكبر وأجل ، قال مجاهد الا شهداء الملائكة وقوله تعالى (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم) بدل من قوله (ويوم يقوم الاشهاد) وقرأ آخرون يوم بالرفع كأنه فسر به (يوم يقوم الاشهاد يوم لا ينفع الظالمين) وهم المشركون (معذرتهم) أي لا يقبل منهم عذر ولا فدية (ولهم العنة) أي الابداد والطرود من الرحمة (ولهم سوء الدار) وهي النار قاله السدي بشئ المنزل والمقيل ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما (ولهم سوء الدار) أي سوء العاقبة وقوله تعالى (ولقد آتينا موسى الهدى) وهو ما بعثه الله عز وجل به من الهدى والنور (وأورثنا بني اسرائيل الكتاب) أي جعلنا لهم العاقبة وأورثناهم بلاد فرعون وأمواله وحواصله وأرضه بما صبروا على طاعة الله تبارك وتعالى واتباع رسوله موسى عليه الصلاة والسلام وفي الكتاب الذي أورثوه وهو التوراة (هدى وذكرى لأولي الالباب) وهي العقول الصحيحة السليمة

وقوله عز وجل (فاصبر) أي يا محمد (ان وعد الله حق) أي وعدناك انا سنعلي كلمتك ونجعل العاقبة لك ولن اتبعك (والله لا يخلف الميعاد) وهذا الذي أخبرناك به حق لا مريه فيه ولا شك وقوله تبارك وتعالى (واستغفر لذنبك) هذا تهيج للامة على الاستغفار (وسبح بحمد ربك بالعشي) أي في أواخر النهار وأوائل الليل (والابكار) وهي أوائل النهار وأواخر الليل

وقوله تعالى (ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أنام) أي يدفعون الحق بالباطل وبردون الحجج الصحيحة بالشبه الفاسدة بلا برهان ولا حجة من الله (ان في صدورهم الاكبر مام بياغيه) أي مافي صدورهم الا كبر على اتباع الحق واحتقار لمن جاءهم به وليس ما يرومونه من اخقاد

به سبعون ألفا فهم منصورون بأحد هذه الوجوه (ويوم يقوم الاشهاد) يعني يوم القيامة يقوم الحفظة من الملائكة يشهدون للرسول بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم) ان اعتذروا عن كفرهم لم يقبل منهم وان تابوا لم ينفعهم (ولهم العنة) البعد من الرحمة (ولهم سوء الدار) يعني جهنم (ولقد آتينا موسى الهدى) قال مقاتل الهدى من الضلالة يعني التوراة (وأورثنا بني اسرائيل الكتاب) التوراة (هدى وذكرى لأولي الالباب) فاصبر (يا محمد على أدام) ان وعد الله (في اظهار دينك واهلاك أعدائك) حق (قال الكلابي نسخت آية القتال آية الصبر) (واستغفر لذنبك) هذا تعبد من الله ليزيده به درجة وليصير سنة لمن بعده (وسبح بحمد ربك) صل شاكر آ لربك (بالعشي والابكار) قال الحسن يعني صلاة العصر وصلاة الفجر وقال ابن عباس الصلوات الخمس (ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أنام ان في صدورهم) مافي قلوبهم والصدور موضع القلب فكنى به عن القلب لقرب الجوار (إلا كبر) قال ابن عباس ما يحملهم على تكذيبك إلا مافي صدورهم من الكبر والعظمة (مام بياغيه) قال مجاهد مام بياغي مقتضى ذلك الكبر لان الله عز وجل مد لهم قال ابن قتيبة ان في صدورهم إلا تكبر على محمد ﷺ وطمع في أن

٣٠٦ دليل البعث خلق السموات والارض وهي أكبر من خلق الناس (نفسيرا ابن كثير والبغوي

الحق واعلاء الباطل بحاصل لهم بل الحق هو المرفوع وقولهم وقصدهم هو الموضوع (فاستعذ بالله) أي من حال مثل هؤلاء (انه هو السميع البصير) أو من شر مثل هؤلاء المجادلين في آيات الله بغير سلطان هذا تفسير ابن جرير وقال كعب وأبو العالية نزات هذه الآية في اليهود (ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم ان في صدورهم الا كبر ماهم بيالغيه) قال أبو العالية وذلك انهم ادعوا ان الدجال منهم وانهم يملكون به الارض فقال الله تعالى لنبيه ﷺ آتأرأ له ان يستعبد من فتنة الدجال ولهذا قال عز وجل (فاستعذ بالله انه هو السميع البصير) وهذا قول غريب وفيه تعسف بعيد وان كان قد رواه ابن أبي حاتم في كتابه والله سبحانه وتعالى أعلم

خلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٥٧)

وما يستوي الاغنى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ماتذكرون (٥٨)

ان الساعة لا آتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون (٥٩)

يقول تعالى منها على أنه بعيد الخلاق يوم القيامة وان ذلك سهل عليه يسير لديه بانه خلق السموات والارض وخلقهما أكبر من خلق الناس بدأه واعداده فن قدر على ذلك فهو قادر على ما دونه بطريق الاولى والاحرى كما قال تعالى (أولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحبي الموتى بل انه على كل شيء قدير) وقال ههنا (لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون) فلماذا لا يتدبرون هذه الحجة ولا يتأملونها كما كان كثير من العرب

بغلبه ومأم بيالغى ذلك قال أهل التفسير نزلت في اليهود وذلك أنهم قالوا لنبي ﷺ إن صاحبنا المسيح بن داود يعنون الدجال يخرج في آخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر ويرد الملك الينا

قال الله تعالى (فاستعذ بالله) من فتنة الدجال (انه هو السميع البصير) لخلق السموات والارض (مع عظمهما) أكبر (أعظم في الصدور) من خلق الناس (أي من إعادتهم بعد الموت) ولكن أكثر الناس (يعني الكفار) لا يعلمون (حيث لا يستدلون بذلك على توحيد خالقها وقال قوم أكبر أي أعظم من خلق الدجال) ولكن أكثر الناس لا يعلمون (يعني اليهود الذين يخاصمون في أمر الدجال) وروى عن هشام بن عامر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « ما بين خلق آدم الى قيام الساعة خلق أكبر فتنة من الدجال »

أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري أنا جدي عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار أنا محمد ابن زكريا العذافري أنا اسحاق بن ابراهيم الدبري ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن قتادة عن شهر بن

يعترفون بأن الله تعالى خلق السموات والارض وبنكرون المعاد استبعاداً وكفراً وعناداً وقد اعترفوا

حوشب عن أسماء بنت يزيد الانصارية قالت كان رسول الله ﷺ في بيتي فذكر الدجال فقال « إن بين يديه ثلاث سنين تمسك السماء فيها في أول سنة ثلث قطرها والارض ثلث نباتها [والثانية] تمسك السماء ثلثي قطرها والارض ثلثي نباتها [والثالثة] تمسك السماء قطرها كله والارض نباتها كله فلا يبقى ذات ظلف ولا ذات ضرس من البهائم إلا هلك وإن من أشد فتنته أنه يأتي الاعرابي فيقول أرايت أن أحييت لك أهلك ألسنت تعلم أني ربك؟ فيقول بلى فيتمثل له الشيطان نحو ابه كأحسن ما يكون ضروعاً وأعظمه أسنمة ، قال ويأتي الرجل قد مات أخوه ومات أبوه فيقول أرايت إن أحييت لك أباك وأخاك ألسنت تعلم أني ربك؟ فيقول بلى فيتمثل له الشيطان نحو أبيه ونحو أخيه » قالت ثم خرج رسول الله ﷺ لحاجته ثم رجع والقوم في اهتمام وغم مما حدثهم قالت فأخذ بلحمتي الباب فقال « مهيم أسماء » فقلت يا رسول الله لقد خافت أفندتنا بذكر الدجال قال « إن يخرج وأنا حي فأنا حجيجه وإلا فإن ربي خليفتي على كل مؤمن » قالت أسماء فقلت يا رسول الله والله إنا لنعجن عجينا فما نخبز به حتى نجوع فكيف بالمؤمنين يومئذ ؟ قال يجزئهم ما يجزيء أهل السماء من التسبيح والتعديس

وهذا الاسناد أخبرنا معمر عن أبي خثيم عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت : قال رسول الله ﷺ « يمكث الدجال في الارض أربعين سنة السنة كالشهر ، والشهر كالجمعة ، والجمعة كالיום واليوم كاضطرام السعفة في النار »

أخبرنا أبو سعيد الطاهري أنا جدي عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار أنا محمد بن زكريا العذافري أنا اسحاق الدبري ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن سالم عن ابن عمر قال قام رسول الله ﷺ في الناس فأتى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال « إني لا أنذركوه وما من نبي إلا أنذر قومه لقد انذر نوح قومه ولكني سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه تعلمون أنه أعور وإن الله ليس بأعور » أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا جويرية عن نافع عن عبد الله قال ذكر الدجال عند النبي ﷺ فقال « إن الله لا ينجي عليكم إن الله ليس بأعور - وأشار بيده الى عينيه - وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية » أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني أنا عبد الغافر بن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا علي بن حجر ثنا شعيب بن صفوان عن عبد الملك ابن عمير عن ربيعي بن خراش عن عتبة بن عمر وأبي مسعود الانصاري قال انطلقت معه الى حذيفة ابن اليمان فقال له عتبة حدثني ما سمعت من رسول الله ﷺ في الدجال قال : ان الدجال يخرج وان معه ماء وناراً فأما الذي يراه الناس ماء فنار نحرق ، وأما الذي يراه الناس ناراً فماء بارد عذب فمن أدرك ذلك منكم فليقم في الذي يراه ناراً فإنه ماء عذب طيب . فقال عتبة وأنا قد سمعته تصدق بالحذيفة

بما هو أولى مما أنكروا ثم قال تعالى (وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلاً ما تتذكرون) أي كما لا يستوي الأعمى الذي لا يبصر شيئاً والبصير الذي يرى ما انتهى إليه بصره ، بل بينهما فرق عظيم كذلك لا يستوي المؤمنون الأبرار والكفرة الفجار (قليلاً ما تتذكرون) أي ما أقل ما يتذكر كثير من الناس ثم قال تعالى (إن الساعة لآتية) أي لكائنة وواقعة (لأرب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) أي لا يصدقون بها بل يكذبون بوجودها . قال ابن أبي حاتم ثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ثنا أشهب حدثنا مالك عن شيخ قديم من أهل اليمن قدم من ثم قال سمعت أن الساعة إذا دنت اشتد البلاء على الناس واشتد حر الشمس والله أعلم .

وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين (٦٠) هذا من فضله تبارك وتعالى وكرمه أنه ندب عباده إلى دعائه وتكفل لهم بالإجابة كما كان سفيان الثوري يقول يا من أحب عباده إليه من سألته فأكثر سؤاله، ويا من أبغض عباده إليه من لم يسأله وليس

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل حدثني إبراهيم بن المنذر ثنا أبو الوليد حدثنا أبو عمرو وثنا إسحاق حدثني أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال « ليس من بلد إلا سيطئه الدجال إلا مكة والمدينة ليس من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج إليه كل كافر ومنافق »

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الحرقلي أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أنا عبد الله ابن عمر الجوهري ثنا أحمد بن علي الكشميني ثنا علي بن حجر ثنا إسماعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « يأتي المسيح من قبل المشرق وهمته المدينة حتى ينزل دبر أحد ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام وهناك يهلك »

أخبرنا أبو سعيد الطاهري أنا جدي عبد الصمد البزار أنا محمد بن زكريا العذافري أنا إسحاق الدبري ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن هارون العبدى عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ « يتبع الدجال من أمتي سبعون ألفاً عليهم التيجان » وبرويه أبو أمامة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال « مع الدجال يومئذ سبعون ألف يهودي كلهم ذو نواج وسيف محلي »

قوله تعالى (وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلاً ما تتذكرون) اقرأ أهل الكوفة تتذكرون بالتاء وقرأ الآخرون بالياء لأن أول الآيات وآخرها خبر عن قوم (إن الساعة) أي القيامة (لآتية لأرب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) وقال ربكم ادعوني أستجب

أحد كذلك غيرك يارب . رواه ابن أبي حاتم وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

الله بغضب ان تركت سؤاله وبني آدم حين يسئل بغضب

وقال قتادة: قال كعب الاحبار أعطيت هذه الامة ثلاثا لم تعطهن أمة قبلها الانبي : كان اذا أرسل الله نبياً قال له أنت شاهد على أمتك وجعلكم شهداء على الناس ، وكان يقال له ليس عليك في الدين من حرج وقال لهذه الامة (وما جعل عليكم في الدين من حرج) وكان يقال له ادعني استجب لك وقال لهذه الامة (ادعوني استجب لكم) رواه ابن أبي حاتم

وقال الامام الحافظ أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي في مسنده حدثنا أبو ابراهيم الترمذي حدثنا صالح المدني قال سمعت الحسن يحدث عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه عز وجل قال « أربع خصال واحدة منهن لي وواحدة لك وواحدة فيما بيني وبينك وواحدة فيما بينك وبين عبادي ، فأما التي لي فتعبدني لا تشرك بي شيئا وأما التي لك علي فاعملت من خير جزيتك به وأما التي بيني وبينك فمنك الدعاء وعلي الاجابة وأما التي بينك وبين عبادي فأرض لهم ما ترضى لنفسك »

وقال الامام احمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن زر عن يسيم الكندي عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « إن الدعاء هو العبادة » ثم قرأ (ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) وهكذا رواه أصحاب السنن الترمذي والنسائي وابن ماجه وابن أبي حاتم وابن جرير كلهم من حديث الاعمش به وقال الترمذي حسن صحيح ورواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن جرير أيضا من حديث شعبة عن منصور والاعمش كلاهما عن زر به ، وكذا رواه ابن يونس عن أسيد بن عاصم بن مهران حدثنا النعمان بن عبد السلام ثنا سفيان الثوري عن منصور عن زر به ، ورواه ابن حبان والحاكم في صحيحهما وقال الحاكم صحيح الاسناد

وقال الامام احمد حدثنا وكيع حدثني أبو صالح المدني شيخ من أهل المدينة سمعه عن أبي صالح وقال مرة سمعت أبا صالح يحدث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « من لم يدع الله عز وجل غضب عليه » تفرد به أحمد وهذا إسناد لا بأس به وقال الامام احمد أيضا حدثنا مروان الفزاري حدثنا صبيح أبو الملبح سمعت أبا صالح يحدث

لكم) أي اعبدوني دون غيري أجيبكم وأجبكم وأغفر لكم فلما عبر عن العبادة بالدعاء جعل الانابة استجابة اخبرنا عبد الواحد المليحي انا ابو منصور محمد بن محمد بن سماعيل ثنا أبو جعفر محمد بن احمد ابن عبد الجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا محمد بن يوسف ثنا سفيان عن منصور عن أبي زر عن يسيم الكندي عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر « ان الدعاء هو العبادة ثم قرأ (ادعوني أستجب لكم) (ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين)

عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « من لا يسأل الله يغضب عليه » قال ابن معين أبو المليلح هذا اسمه صبيح كذا قيده بالضم عبد الغني بن سعيد وأما أبو صالح هذا فهو الخوزي سكن شعب الخوز قاله البراز في مسنده وكذا وقع في روايته أبو المليلح الفارسي عن أبي صالح الخوزي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « من لم يسأل الله يغضب عليه »

وقال الحافظ أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن الزاهر مزي حدثنا همام حدثنا إبراهيم بن الحسن حدثنا نائل بن نجيع حدثني عائذ بن حبيب عن محمد بن سعيد قال لما مات محمد بن مسلمة الانصاري وجدنا في ذؤابة سيفه كتابا بسم الله الرحمن الرحيم سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان لربكم في بقية أيام دهركم نفحات فتعرضوا له لعل دعوة أن توافق رحمة فيسعد بها صاحبها سعادة لا ينحسر بعدها أبدا » وقوله عز وجل (ان الذين يستكبرون عن عبادتي) أي عن دعائي وتوحيدي سيدخلون جهنم داخرين أي صاغرين حقيرين كما قال الامام احمد حدثنا يحيى بن سعيد عن ابن عجلان حدثني عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال « يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الناس يعلمون كل شيء من الصغار حتى يدخلوا سجنا في جهنم يقال له بولس نعالوهم نار الانيار يستقون من طينة الخبال عصارة أهل النار »

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أبو بكر بن محمد بن يزيد بن خنيس قال سمعت أبي يحدث عن وهيب بن الورد حدثني رجل قال كنت أسير ذات يوم في أرض الروم فسمعت هاتفا من فوق رأس جبل وهو يقول : يارب عجبت لمن عرفك كيف يرجو أحدا غيرك يارب عجبت لمن عرفك كيف يطلب حوائجه الى أحد غيرك . قال ثم ذهبت ثم جاءت الطامة الكبرى قال ثم عاد الثانية فقال يارب عجبت لمن عرفك كيف يتعرض لشيء من سخطك برضى غيرك قال وهيب وهذه الطامة الكبرى قال فناديته أجنبي أنت أم انسي؟ قال بل انسي اشغل نفسك بما يعينك عما لا يعينك

الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل على الناس

ولكن أكثر الناس لا يشكرون (٦١) ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو فأنى

أخبرنا أبو بكر محمد بن احمد بن علي الزرقاني ثنا أبو الحسن علي بن يوسف الشيرازي أنا أبو الحسن احمد بن محمد بن موسى القرشي ببغداد ثنا محمد بن عبيد بن العلاء ثنا احمد بن بديل ثنا وكيع ثنا أبو المليلح قال سمعت أبا صالح يذكر عن أبي هريرة قال قال النبي ﷺ « من لم يدع الله غضب الله عليه » وقبل الدعاء هو الذكر والسؤال (ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) قرأ ابن كثير وأبو جعفر وأبو بكر سيدخلون بضم الياء وفتح الحاء وقرأ الآخرون بفتح الياء وضم الحاء ومعنى داخرين صاغرين ذليلين (الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل على الناس

تؤفكون (٦٢) كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يمجّدون (٦٣) الله الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناءً وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين (٦٤) هو الحي لا إله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين (٦٥)

يقول تعالى ممّتنا على خلقه بما جعل لهم من الليل الذي يسكنون فيه وبسنن يحون من حركات ترددهم في المعاش بالنهار وجعل النهار مبصراً أي مضيئاً ليتصرفوا فيه بالأسفار وقطع الاقطار والتمكن من الصناعات (ان الله لود فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون) أي لا يقومون بشكر نعم الله عليهم ثم قال عز وجل (ذلكم الله ربكم خالق كل شيء . لا إله الا هو) أي الذي فعل هذه الاشياء هو الله الواحد الاحد خالق الاشياء الذي لا إله غيره ولا رب سواه (فأنى تؤفكون) أي فكيف تعبدون غيره من الاصنام التي لا تخلق شيئاً بل هي مخلوقة منوعة

وقوله عز وجل (كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يمجّدون) أي كما ضل هؤلاء بعبادة غير الله كذلك أفك الذين من قبلهم فعبدوا غيره بلا دليل ولا برهان بل بمجرد الجبل والهوى ، وجحدوا حجج الله وآياته . وقوله تعالى (الله الذي جعل لكم الأرض قراراً) أي جعلها لكم مستقراً بساطاً مهاداً تعيشون عليها وتتصرفون فيها وتمشون في مناكبها وأرساها بالجبال لئلا تميد بكم (والسماء بناء) أي سقفاً للعالم محفوظاً (وصوركم فأحسن صوركم) أي خلقكم في أحسن الاشكال ومنحكم أكل الصور في أحسن تقويم (ورزقكم من الطيبات) أي من المأكّل والمشرب في الدنيا فذكر أنه خلق الدار والسكان والأرزاق فهو الخالق الرازق كما قال تعالى في سورة البقرة (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون)

وقال تعالى ههنا بعد خلق هذه الاشياء (ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين) أي فتعالى وتقدس وتنزه رب العالمين كلهم ثم قال تعالى (هو الحي لا إله الا هو) أي هو الحي أزلاً وأبداً لم يزل

ولكن أكثر الناس لا يشكرون * ذلكم الله ربكم خالق كل شيء . لا إله الا هو فأنى تؤفكون * كذلك) يعني كما أفكنكم عن الحق مع قيام الدلائل كذلك (يؤفك الذين كانوا بآيات الله يمجّدون * الله الذي جعل لكم الأرض قراراً) فراشاً (والسماء بناءً) سقفاً كالقبة (وصوركم فأحسن صوركم) قال مقاتل خلقكم فأحسن خلقكم قال ابن عباس خلق ابن آدم قائماً معتدلاً يأكل ويتناول بيده وغير ابن آدم يتناول فيه (ورزقكم من الطيبات) قبل هو من غير رزق الدواب (ذلكم الله ربكم فتبارك

ولا يزال وهو الأول والآخِر والظاهر والباطن (لا إله الا هو) أي لا نظير له ولا عديل له (فادعوه مخلصين له الدين) أي موحدين له مقربين بأنه لا إله الا هو الحمد لله رب العالمين . قال ابن جرير : كان جماعة من أهل العلم يأمرّون من قال لا إله الا الله أن يتبعها بالحمد لله رب العالمين عملاً بهذه الآية ثم روي عن محمد بن علي بن الحسين بن شقيق عن أبيه عن الحسين بن واقد عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال : من يقل لا إله الا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين وذلك قوله تعالى (فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين)

وقال أبو أسامة وغيره عن اسماعيل بن أبي خالد عن سعيد بن جبير قال اذا قرأت (فادعوه الله مخلصين له الدين [قل لا إله الا الله وقل على أثرها الحمد لله رب العالمين ثم قرأ هذه الآية (فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين)

(١) قال الامام أحمد حدثنا ابن غير حدثنا هشيم يعني ابن عروة بن الزبير عن أبي الزبير محمد بن مسلم بن بدر المكي قال كان عبد الله بن الزبير يقول في دبر كل صلاة حين يسلم لا إله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لاحول ولا قوة الا بالله ؟ لا إله الا الله ولا نعبد الا الله له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن ، لا إله الا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون قال وكان رسول الله ﷺ يهل بهم في دبر كل صلاة ورواه مسلم وأبو داود والنسائي من طرق عن هشام بن عروة وحجاج بن أبي عثمان وموسى بن عقبة ثلاثهم عن أبي الزبير عن عبد الله بن الزبير قال : كان رسول الله ﷺ يقول في دبر كل صلاة لا إله الا الله وحده لا شريك له ، وذكر تمامه

(١) هذا الحديث غير موجود في للنسخة المكية

قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي وأمرت

أن أسلم لرب العالمين (٦٦) هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم

طفلاً ثم لتبلغن أشدكم ثم لتكونن شيوخاً ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغن أجلاً مسمى

ولعلمكم تعقلون (٦٧) هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى أمراً فأنما يقول له كن فيكون (٦٨)

يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين إن الله عز وجل ينهى أن يعبد أحد سواه من الاصنام

الله رب العالمين * هو الحي لا إله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين * قال الفراء هو خبر وفيه اضمار الامر مجازة فادعوه واحده . وروي عن مجاهد عن ابن عباس قال : من قال لا إله الا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين فذلك قوله عز وجل (فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين) قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي وأمرت

والانداد والاثان وقد بين تبارك وتعالى أنه لا يستحق العبادة أحد سواه في قوله جات عظمتة (هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً) أي هو الذي يقبلكم في هذه الاطوار كلها وحده لا شريك له وعن أمره وتديبره وتقديره يكون ذلك كله (ومنكم من يتوفى من قبل) أي من قبل أن يوجد ويخرج الى هذه العالم بل تسقطه أمه سقطاً ومنهم من يتوفى صغيراً وشاباً وكهلاً قبل الشيخوخة كقوله تعالى (انبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء إلى أجل مسمى) وقال عز وجل ههنا (ولتبلغوا أجلاً مسمى ولعلكم تعقلون) قال ابن جريج تنذكرون البعث ثم قال تعالى (هو الذي يحيي ويميت) أي هو المتفرد بذلك لا يقدر على ذلك أحد سواه (فاذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) أي لا يخالف ولا يمانع بل ما شاء كان لا محالة

ألم تر الى الذين يجادلون في آيت الله أنى يصرفون؟ (٦٩) الذين كذبوا بالكتب وبما أرسلنا به رُسُلنا فسوف يعلمون (٧٠) اذ الاغْلُل في أعناقهم والسلسل يُسحبون (٧١) في الحميم ثم في النار يُسجرون (٧٢) ثم قيل لهم أين ما كنتم تُشركون (٧٣) من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئاً كذلك يضل الله الكافرين (٧٤) ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون (٧٥) ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين (٧٦)

يقول تعالى ألا تعجب يا محمد من هؤلاء المكذبين بآيات الله ومجادلون في الحق بالباطل كيف تصرف عقولهم عن الهدى الى الضلال (الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رُسُلنا) أي من الهدى والبيان (فسوف يعلمون) هذا تهديد شديد، ووعيد أكيد، من الرب جل جلاله لهؤلاء. كما قال تعالى (ويل يومئذ للمكذبين)

أن أسلم لرب العالمين (وذلك حين دعي الى الكفر) هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم يخرجكم طفلاً (أي أطفالا) ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من قبل) أي من قبل أن يصير شيخاً (ولتبلغوا) جميعاً (أجلاً مسمى) وقتاً معلوماً محدوداً لا تتجاوزونه يريد أجل الحياة الى الموت (ولعلكم تعقلون) أي لكي تعقلوا توحيد ربكم وقدرته

قوله تعالى (هو الذي يحيي ويميت) فإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون * ألم تر الى الذين يجادلون في آيات الله (يعني القرآن يقولون ليس من عند الله) (أنى يصرفون) كيف يصرفون عن دين الحق قيل هم المشركون وعن محمد بن سيرين وجماعة أنها نزلت في القدرية (الذين كذبوا

٣١٤ وضع الاغلال والسلاسل في أعناق الكفار وهم يسحبون في الحميم (تفسير ابن كثير والبعوي)

وقوله عز وجل (اذ الاغلال في أعناقهم والسلاسل) أي متصلة بالاغلال بأيدي الزبانية يسحبونهم على وجوههم تارة الى الحميم ، وتارة الى الجحيم ، ولهذا قال تعالى (يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون) كما قال تبارك وتعالى (هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون * يطوفون بينها وبين حميم آن) وقال تعالى بعد ذكر أكلهم الزقوم وشربهم الحميم (ثم ان مرجعهم لالى الجحيم) وقال عز وجل (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال * في سموم وحميم * وظل من يحموم * لا بارد ولا كريم - الى أن قال - ثم انكم أيها الضالون المكذبون * لا تكلون من شجر من زقوم * فماتون منها البطون * فشاربون عليه من الحميم * فشاربون شرب الهيم * هذا زلهم يوم الدين) وقال عز وجل (ان شجرة الزقوم طعام الاثيم * كاهل يغلي في البطون كغلي الحميم * خذوه فاعتلوه الى سوا الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم * ذق انك أنت العزيز الكريم * ان هذا ما كنتم به تمعرون) أي يقال لهم ذلك على وجه التعريض والتوبيخ والتحقير والتصغير والتهكم والاستهزاء بهم

قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أحمد بن منيع حدثنا منصور بن عمار حدثنا بشير بن طلحة المزاجي عن خالد بن دريك عن يعلى بن منبه رفع الحديث إلى رسول الله ﷺ قال « ينشئ الله عز وجل سحابة لأهل النار سوداء مظلمة ويقال لأهل النار أي شيء تطلبون ؟ فيذكرون بها سحب الدنيا فيقولون نسأل بارد الشراب فتمطرهم أغلالا تزيد في أغلالهم وسلاسل تزيد في سلاسلهم وجرا يلهب النار عليهم » هذا حديث غريب

وقوله تعالى (ثم قيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله ؟) أي قيل لهم أين الاصنام التي كنتم تعبدونها من دون الله هل ينصرونكم اليوم (قالوا ضلوا عنا) أي ذهبوا فلم ينفعونا (بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا) أي جحدوا عبادتهم كقوله جلّت عظمتهم (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) ولهذا قال عز وجل (كذلك بضل الله الكافرين)

وقوله (ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون) أي تقول لهم الملائكة

بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون * اذ الاغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون) يجرّون (في الحميم ثم في النار يسجرون) قال مقاتل توقد بهم النار وقال مجاهد بصيرون وقودا للنار (ثم قيل لهم أينما كنتم تشركون * من دون الله) يعني الاصنام (قالوا ضلوا عنا) فقدناهم فلا نراهم (بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا) قيل أنكروا وقبل معناه بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا بنفع وبضر وقال الحسين بن الفضل أي لم نكن نصنع من قبل شيئا أي ضاعت عبادتنا لها كما يقول من ضاع عمله ما كنت أعمل شيئا

قال الله عز وجل (كذلك) أي كما أضل هؤلاء (بضل الله الكافرين * ذاكم) العذاب الذي نزل بكم (بما كنتم تفرحون) تبطرون وتأشرون (في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون)

هذا الذي أنتم فيه جزاء على فرحكم في الدنيا بغير الحق ومرحكم وأشركم وبطركم ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين (أي فبئس المنزل والمقيل الذي فيه الهوان والعذاب الشديد لمن استكبر عن آيات الله واتباع دلائله وحججه والله أعلم

فاصبر إن وعد الله حق فاما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا يرجعون (٧٧)

ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول

أن يأتي بآية إلا باذن الله، فإذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون (٧٨)

يقول تعالى أمرا رسوله ﷺ بالصبر على تكذيب من كذبه من قومه فإن الله تعالى سينجز لك ما وعده من النصر والظفر على قريتك وجعل العقوبة لك ولن أتبعك في الدنيا والآخرة (فاما نرينك بعض الذي نعدهم) أي في الدنيا وكذلك وقع فإن الله تعالى أقر أعينهم من كبرائهم وعظماهم أبعدوا في يوم بدر ثم فتح الله عليه مكة وسائر جزيرة العرب في حياته ﷺ

وقوله عز وجل (أو نتوفينك فإلينا يرجعون) أي فنذيقهم العذاب الشديد في الآخرة ، ثم قال تعالى مسلما له (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك) كما قال جل وعلا في سورة النساء سواء أي منهم من أوحينا اليك خبرهم وقصصهم مع قومهم كيف كذبوهم ثم كانت لرسول العاقبة والنصرة (ومنهم من لم نقصص عليك) وهم أكثر ممن ذكر باضعاف أضعاف كما تقدم التنبيه على ذلك في سورة النساء والله الخلد والمنة

ويقوله تعالى (وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا باذن الله) أي ولم يكن لواحد من الرسل أن يأتي قومه بخارق لمعادات إلا أن يأذن الله له في ذلك فبدل ذلك على صدقه فيما جاءهم به (فإذا جاء أمر الله) وهو عذابه ونكاله المحيط بالمكذبين (قضي بالحق) فينجي المؤمنين ، ويهلك الكافرين ، ولهذا قال عز وجل (وخسر هنالك المبطلون)

الله الذي جعل لكم الأنعام لتربوا منها ومنها تأكلون (٧٩) ولكم فيها منافع

تفرحون وتختالون (ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين * فاصبر إن وعد الله) بنصرك (حق فاما نرينك بعض الذي نعدهم) من العذاب في حياتك (أو نتوفينك) قبل أن يحل بهم (فإلينا يرجعون * ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك) خبرهم في القرآن (ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا باذن الله) بأمر الله وإرادته (فإذا جاء أمر الله) قضاؤه بين الأنبياء والامم (قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون * الله الذي جعل لكم

وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَى الْفَلَكَ تَحْمَلُونَ (٨٠) وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ؟ (٨١)

يقول تعالى ممتنا على عباده بما خلق لهم من الانعام وهي الابل والبقر والغنم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ، فالابل تركب وتؤكل وتحلب ويحمل عليها الانتقال في الاسفار والرحال الى البلاد النائية ، والاقطاع الشاسعة ، والبقر تؤكل ويشرب ابنها وتحرب عليها الارض ، والغنم تؤكل ويشرب ابنها ، والجميع تجز أصوافها وأشعارها وأوبارها فيتخذ منها الاثاث والياب والامعة كما فصل وبين في اماكن تقدم ذكرها في سورة الانعام وسورة النحل وغير ذلك ولذا قال عز وجل ههنا (لتركبوا منها ومنها تأكلون * ولكم فيها منافع ولتبغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون) وقوله جل وعلا (ويرى آياته) أي حججه وبراهينه في الآفاق وفي أنفسكم (فأى آيات الله تنكرون) أي لا تقدرون على انكار شيء من آياته الا أن تعاندوا وتكبروا

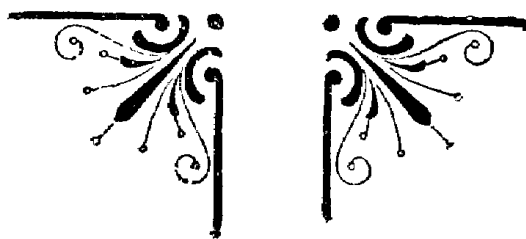
أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون (٨٢) فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون (٨٣) فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين (٨٤) فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون (٨٥)

يخبر تعالى عن الامم المكذبة بالرسول في قديم الدهر وما ذا حل بهم من العذاب الشديد مع شدة قواهم وما أثروه في الارض وجمعوه من الاموال فما أغنى عنهم ذلك شيئا ولا رد عنهم ذرة من بأس الله وذلك لانهم لما جاءتهم الرسل بالبينات والحجج القاطعات والبراهين الدامغات ، لم يلتفتوا اليهم

الانعام لتركبوا منها (بعضها) ومنها تأكلون * ولكم فيها منافع (في أصوافها وأوبارها وأشعارها وألبانها) ولتبغوا عليها حاجة في صدوركم (تحمل أثقالكم من بلد الى بلد ولتبغوا عليها حاجاتكم) وعليها وعلى الفلك تحملون (أي على الابل في البر وعلى السفن في البحر نظيره قوله تعالى [وحملناهم في البر والبحر] (ويرى آياته) دلائل قدرته (فأى آيات الله تنكرون * أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الارض) يعني مصانعهم وقصورهم (فما أغنى عنهم) لم ينفعهم (ما كانوا يكسبون) وقيل هو بمعنى الاستفهام ومجازه

ولا أقبلوا عليهم واستغنوا بما عندهم من العلم في زعمهم عما جاءهم به الرسل قال مجاهد قالوا نحن أعلم منهم إن نبعث وإن نعذب وقال السدي فرحوا بما عندهم من العلم بمجباتهم فأتاهم من بأس الله تعالى ما لا قبل لهم به (وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) أي يكذبون ويستبعدون وقوعه (فلما رأوا بأسنا أي عاينوا وقوع العذاب بهم) قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين (أي وحدوا الله عز وجل وكفروا بالطاغوت ولكن حيث لا تقال العثرات ولا تنفع المذرة وهذا كما قال فرعون حين أدركه الفرق) آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين (قال تبارك وتعالى (آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) أي فلم يقبل الله منه لأنه قد استجاب لنبيه موسى عليه الصلاة والسلام دعاءه عليه حين قال (واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) وهكذا قال تعالى ههنا (فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده) أي هذا حكم الله في جميع من تاب عند معاينة العذاب أنه لا يقبل ولهذا جاء في الحديث «إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغ» أي فاذا غرغ وبلغت الروح الخنجره وعابن الملك فلا توبة حينئذ ولهذا قال تعالى (وخسر هنالك الكافرون)

أي شيء أغنى عنهم كسبهم (فلما جاءهم رسلهم بالبينات فرحوا) رضوا (بما عندهم من العلم) قال مجاهد هو قولهم نحن أعلم إن نبعث ولن نعذب سمي ذلك علما على ما يدعونه ويزعمونه وهو في الحقيقة جهل (وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين (يعني تبرأنا عما كنا نعدل بالله) فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا (عذابنا سنة الله) قيل نصبها بزعم الخافض أي كسنة الله وقيل على المصدر وقيل على الأغراء أي احذروا سنة الله (التي قد خلت في عباده) وتلك السنة أنهم إذا عاينوا عذاب الله آمنوا ولا ينفعهم إيمانهم عند معاينة العذاب (وخسر هنالك الكافرون) بذهب نعيم الدارين قال الزجاج الكافر خاسر في كل وقت ولكنهم يتبين لهم خسرانهم إذا رأوا العذاب



تفسير سورة فصلت وهي مكية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

حم (١) تنزيل من الرحمن الرحيم (٢) كتاب فصلت آياته قرآنا عربياً لقوم يعلمون (٣) بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون (٤) وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون (٥)

يقول تعالى (حم تنزيل من الرحمن الرحيم) يعني القرآن منزل من الرحمن الرحيم كقوله (قل نزله روح القدس من ربك بالحق) وقوله (وانه لتنزيل رب العالمين) نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين) وقوله تبارك وتعالى (كتاب فصلت آياته) أي بينت معانيه وأحكمت أحكامه (قرآنا عربيا) أي في حال كونه قرآنا عربيا بينا واضحا فمعانيه مفصلة وألفاظه واضحة غير مشككة كقوله تعالى (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) أي هو معجز من حيث لفظه ومعناه (لا يأتية الساطع من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) وقوله تعالى (لقوم يعلمون) أي إنما يعرف هذا البيان والوضوح العلماء الراسخون (بشيراً ونذيراً) أي تارة يبشر المؤمنين وتارة ينذر الكافرين (فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون) أي أكثر قريش فهم لا يفهمون منه شيئا مع بيانه ووضوحه (وقالوا قلوبنا في أكنة) أي في غلف مغطاة (مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر) أي صمم عجاظتنا به (ومن بيننا وبينك حجاب) فلا يصل إلينا شيء مما تقول (فاعمل اننا عاملون) أي اعمل أنت على طريقتك ونحن على طريقتنا لا نتابعك

قال الامام العالم عبد بن حميد في مسنده حدثني ابن أبي شيبه حدثنا علي بن مسهر عن الاجلح

﴿سورة فصلت مكية أربع وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿حم • تنزيل من الرحمن الرحيم﴾ قال الاخفش تنزيل مبتدأ وخبره قوله عز وجل ﴿كتاب فصلت آياته﴾ بينت آياته ﴿قرآنا عربيا لقوم يعلمون﴾ اللسان العربي ولو كان بغير لسانهم ما علموه ونصب قرآنا بوقوع البيان عليه أي فصلناه قرآنا ﴿بشيرا ونذيرا﴾ نعتان للقرآن أي بشيرا لاولياء الله ونذيرا لأعدائه ﴿فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون﴾ أي لا يصغون إليه تكبرا ﴿وقالوا﴾ يعني

عن الزبال بن حرمله الاسدي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : اجتمعت قريش يوماً فقالوا انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليات هذا الرجل الذي قد فرق جماعتنا وشدت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولننظر ما ذا برد عليه، فقالوا ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة، فقالوا أنت يا أبا الوليد فأتاه عتبة فقال : يا محمد أنت خير أم عبد الله ؟ فسكت رسول الله ﷺ فقال أنت خير أم عبد المطلب ؟ فسكت رسول الله ﷺ فقال ان كنت تزعم ان هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت وإن كنت تزعم انك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك، أنا والله ما رأينا سخله قط أشأم على قومك منك، فرقت جماعتنا، وشدت أمرنا، وعبت ديننا، وفضحتنا في العرب، حتى لقد طار فيهم ان في قريش ساحراً وإن في قريش كاهناً والله ما ننظر الا مثل صبيحة الحبل أن يقوم بعضنا الى بعض بالسيف حتى نتفانى أيها الرجل ان كان انما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلاً واحداً، وان كان انما بك الباءة فاختر أي نساء قريش شئت فانزوجك عشراً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فرغت ؟ » قال نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (بسم الله الرحمن الرحيم - حم تنزيل من الرحمن الرحيم - حتى بلغ - فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) فقال عتبة حبسك ما عندك غير هذا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا » فرجع الى قريش فقالوا ما وراءك ؟ قال ما تركت شيئاً أرى أنكم تكلمون به الا كلمته، قالوا فهل أجابك ؟ قال نعم والذي نصبها نية ما فممت شيئاً مما قاله غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود، قالوا وذلك بكلمك الرجل بالعربية لا تدرى ما قال ؟ قال لا والله ما فهمت شيئاً مما قال غير ذكر الصاعقة . وهكذا رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده عن أبي بكر ابن أبي شيبة بإسناده مثله سواء ، وقد ساقه البغوي في تفسيره بإسناده عن محمد بن فضيل عن الأجلح وهو ابن عبد الله الكندي الكوفي وقد ضعف بعض الشيء عن الزبال بن حرمله عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه فذكر الحديث الى قوله (فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) فامسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع الى أهله ولم يخرج الى قريش واحتبس عنهم، فقال أبو جهل يامعشر قريش والله ما نرى عتبة الا قد صبا الى محمد وأعجبه طعامه وما ذاك الا من حاجة أصابته فانطلقوا بنا اليه فانطلقوا اليه فقال أبو جهل يا عتبة ما حبسك عنا الا أنك صبات الى محمد وأعجبك طعامه فان كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد، فغضب عتبة وأقسم أن لا يكلم محمد أبداً وقال والله لقد علمت اني من أكثر قريش مالا ولكني أتيتهم وقصصت عليه القصة فأجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر وقرأ السورة الى قوله تعالى (فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) فامسكت بفيه وناشدته بالرحم أن يكف وقد علمت أن محمداً اذا قال شيئاً لم يكذب فخشيت أن ينزل بكم العذاب.

مشركي مكة ﴿ قلوبنا في أكنة ﴾ في أغطية ﴿ مما تدعونا اليه ﴾ فلا نفقه ما تقول ﴿ وفي آذاننا وقر ﴾

٣٢٠ كون قلوب الكفار في اكنة وفي آذانهم وقر عند سماع القرآن (تفسير ابن كثير والبغوي)

وهذا السياق أشبه من سياق البزار وأبي يعلى والله تعالى أعلم ، وقد أورد هذه القصة الامام محمد بن اسحاق بن يسار في كتاب السيرة على خلاف هذا النمط فقال حدثني يزيد بن زباد عن محمد بن كعب القرظي قال: حدثت ان عتبة بن ربيعة وكان سيداً قال يوماً وهو جالس في نادي قريش ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده يامعشر قريش ألا أقوم الى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله أن يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء. وكيف عنا؟ وذلك حين أسلم حمزة رضي الله عنه ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون، فقالوا بلى يا أبا الوليد فقم اليه فكلمه ، فقام اليه عتبة حتى جالس الى رسول الله ﷺ فقال: يا ابن أخي انك منا حيث علمت من البسطة في العشيرة والمكان في النسب، وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم فاسمع مني أعرض عليك أهوراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها . قال فقال له رسول الله ﷺ « قل يا أبا الوليد أسمع » قال يا ابن أخي ان كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمرنا دونك ، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رثياً نراه لا نستطيعرده عن نفسك طلبنا لك الأطباء وبذنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه أو كما قال له ، حتى اذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه قال « أفرغت يا أبا الوليد؟ » قال نعم . قال « فاستمع مني » قال اقبل . قال (بسم الله الرحمن الرحيم * حم تنزيل من الرحمن الرحيم * كتاب فصلت آياته قرآنا عربياً لقوم يعلمون * بشيراً ونذيراً فاعرض أكثرهم فهم لا يسمعون) ثم مضى رسول الله ﷺ فيها وهو يقرؤها عليه ، فلما سمع عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يستمع منه حتى انتهى رسول الله ﷺ الى السجدة منها فسجد ثم قال « قد سمعت يا أبا الوليد ماسمعت فأنت وذاك » فقام عتبة الى أصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به ، فلما جلس اليهم قالوا ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال ورائي اني سمعت قولاً والله ماسمعت مثله قط والله ما هو بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة ، يامعشر قريش أطبعوني واجعلوها لي خلوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعزلوه فوالله ليكون لقوله الذي سمعت نبأ ، فان تصبه العرب فقد كفيتهم بغيركم وإن يظهر على العرب فليكن ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به . قالوا سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ؟ قال هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم . وهذا السياق أشبه من الذي قبله والله أعلم .

صم فلا نسمع ما نقول، والمعنى انا في ترك القبول عنك بمنزلة من لا يفهم ولا يسمع (ومن يبتنا وبينك حجاب) خلاف في الدين وحاجز في النحلة فلانوافقك علي ما تقول (فاعمل) أنت على دينك (انا عاملون)

قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إليكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه
وويل للمشركين (٦) الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كفرون (٧) ان الذين آمنوا وعملوا
الصالحات لهم أجر غير ممنون (٨)

يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المكذبين المشركين إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إليكم إله واحد لا كما تعبدونه من الاصنام والانداد والارباب المتفرقين إنما الله إله واحد (فاستقيموا إليه) أي اخلصوا له العبادة على منوال ما أمركم به على السنة الرسل (واستغفروه) أي لسالف الذنوب (وويل للمشركين) أي دمار لهم وهلاك عليهم [الذين لا يؤتون الزكاة] قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله وكذا قال عكرمة وهذا كقوله تبارك وتعالى [قد أفلح من زكاهما وقد خاب من دساها] وكقوله جلّت عظمتـه [قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى] وقوله عز وجل (قل هل لك إلى أن تزكى) والمراد بالزكاة ههنا طهارة النفس من الاخلاق الرذيلة ومن أم ذلك طهارة النفس من الشرك ، وزكاة المال إنما سميت زكاة لأنها تطهره من الحرام وتكون سببا لزيادته وبركته وكثرة نفعه ونوفيقا الى استعماله في الطاعات ، وقال السدي (وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة) أي لا يدينون بالزكاة ، وقال معاوية بن قررة ليس هم من أهل الزكاة وقال قتادة يمنعون زكاة أموالهم وهذا هو الظاهر عند كثير من المفسرين واختاره ابن جرير وفيه نظر لان إيجاب الزكاة إنما كان في السنة الثانية من الهجرة إلى المدينة على ما ذكره غير واحد وهذه الآية مكية اللهم الا أن يقال لا يبعد أن يكون أصل الصدقة والزكاة كان مأمورا به في ابتداء البعثة كقوله تبارك وتعالى [وآتوا حقه يوم حصاده] فأما الزكاة ذات النصب والمقادير فإما بين أمرها بالمدينة ويكون هذا جمعا بين القولين كما ان اصل الصلاة كان واجبا قبل طلوع الشمس وقبل غروبها في ابتداء البعثة فلما كان ليلة الاسراء قبل الهجرة بسنة ونصف فرض الله تعالى على رسوله ﷺ الصلوات الخمس وفصل شروطها وأركانها وما يتعلق بها بعد ذلك شيئا فشيئا والله أعلم

على ديننا ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم ﴾ يعني كواحد منكم ولولا الوحي مادعوتكم وهو قوله ﴿ يوحى إلي أنما إليكم إله واحد ﴾ قال الحسن علمه الله التواضع ﴿ فاستقيموا إليه ﴾ توجهوا إليه بالطاعة ولا تميلوا عن سبيله ﴿ واستغفروه ﴾ من ذنوبكم ﴿ وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة ﴾

قال ابن عباس الذين لا يقولون لا إله إلا الله وهي زكاة الانفس والمعنى لا يطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد وقال الحسن وفتادة لا يقرون بالزكاة ولا يرون إيمانها واجبا وكان يقول الزكاة فطرة الاسلام فمن قطعها نجسا ومن تخلف عنها هلك وقال الضحاك ومقاتل لا ينفقون في الطاعة

ثم قال جل جلاله بعد ذلك (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) قال مجاهد وغيره غير مقطوع ولا مجبور كقوله تعالى [ما كُتِبَ فيه أبداً] وكقوله عز وجل [عطاء غير مجذوذ] وقال السدي غير ممنون عليهم وقد رد عليه هذا التفسير بعض الأئمة فإن المنّة لله تعالى على أهل الجنة قال الله تبارك وتعالى (بل الله بمنّ عليكم أن هداكم للإيمان) وقال أهل الجنة فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم ، وقال رسول الله ﷺ « إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل »

قل أنتم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك ربّ المّلين (٩) وجعل فيها رواسي من فوقها وبرك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين (١٠) ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين (١١) فقضهنّ سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم (١٢)

هذا انكار من الله تعالى على المشركين الذين عبدوا معه غيره وهو الخالق لكل شيء القاهر لكل شيء المقندر على كل شيء. فقال (قل أنتم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً) أي نظراء وأمثالا تعبدونها معه (ذلك رب العالمين) أي الخالق للأشياء هو رب العالمين كلهم وهذا المكان فيه تفصيل كقوله تعالى [خلق السموات والأرض في ستة أيام] ففصل ههنا ما يختص بالأرض مما اختص بالسماء فذكر أنه خلق الأرض أولاً لأنها كالأساس والأصل أن يبدأ بالأساس

ولا يتصدقون وقال مجاهد لا يزكون أعمالهم ﴿ وهم بالآخرة هم كافرون ﴾ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون ﴿

قال ابن عباس غير مقطوع وقال مقاتل غير منقوص ومنه المنون لأنه ينقص منّة الانسان وقوته وقيل غير ممنون عليهم به وقال مجاهد غير محسوب وقال السدي نزلت هذه الآية في المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة يكتب لهم الاجر كأصح ما كانوا يعملون فيه

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو الحسين بن بشران أنا اسمعيل بن محمد الصفار ثنا أحمد ابن منصور الرمادي ثنا عبد الرزاق أنا معمر بن عاصم بن أبي النجود عن خيثمة بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله ﷺ « ان العبد إذا كان على طريقة حسنة من العبادة ثم مرض قبل للملك الموكل به ان يكتب له مثل عمله اذا كان طليقا حتى أطلقه أو أكفته إلي »

قوله عز وجل ﴿ قل أنتم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين ﴾ يوم الاحد والاثنين

ثم بعده بالسقف كما قال عز وجل [هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات] الآية فأما قوله تعالى [أنتم أشد خلقا أم السماء بناها * رفع سمكها فسواها * وأغطش ليلها وأخرج ضحاها * والارض بعد ذلك دحاها * أخرج منها ماءها ومرعاها * والجبال أرساها متاعا لكم ولأنعامكم] ففي هذه الآية أن دحو الارض كان بعد خلق السماء فالدحو هو مفسر بقوله [أخرج منها ماءها ومرعاها] وكان هذا بعد خلق السماء ، فأما خلق الارض فقبل خلق السماء بالنص وبهذا أجاب ابن عباس رضي الله عنه فيما ذكره البخاري عند تفسير هذه الآية من صحيحه فانه قال : وقال المنهال عن سعيد بن جبير قال : قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما إني لأجد في القرآن أشياء تختلف علي قال [فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون * وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون - ولا يكتُمون الله حديثا - والله ربنا ما كنا مشركين] فقد كتّموا في هذه الآية ، وقال تعالى [أنتم أشد خلقا أم السماء بناها - إلى قوله - والارض بعد ذلك دحاها] فذكر خلق السماء قبل الارض ثم قال تعالى [أنتم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين - إلى قوله - طائعين] فذكر في هذه خلق الارض قبل خلق السماء ، قال (وكان الله غفورا رحيما - عزيزا حكيما - سميعا بصيرا) فكأنه كان ثم مضى

فقال ابن عباس رضي الله عنهما (فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) في النفخة الاولى (ويوم ينفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض إلا من شاء الله) فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون بينهم في النفخة الاخرى [وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون] وأما قوله (والله ربنا ما كنا مشركين) (ولا يكتُمون الله حديثا) فان الله تعالى يغفر لاهل الاخلاص ذنوبهم فيقول المشركون تعالوا نقول لم نكن مشركين فيختم على أفواههم فنطق أيديهم فعند ذلك يعرف ان الله تعالى لا يكتّم حديثا وعنده (يود الذين كفروا) الآية وخلق الارض في يومين ثم خلق السماء ثم استوى الى السماء فسواها في يومين آخرين ثم دحو الارض ودحاها أن أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والرمال والجماد والآكام وما بينهما في يومين آخرين فذلك قوله تعالى دحاها وقوله (خلق الارض في يومين) فخلق الارض وما فيها من شيء في أربعة أيام وخلق السموات في يومين (وكان الله غفورا رحيما) سمى نفسه بذلك وذلك قوله أي لم يزل كذلك فان الله تعالى لم يرد شيئا إلا أصاب به الذي أراد فلا يختلف عليك القرآن فان كلا من عند الله عز وجل

قال البخاري حدثني يوسف بن عدي حدثنا عبيد الله بن عمرو عن زيد بن أبي أنيسة عن المنهال هو ابن عمرو الحديث . وقوله (خلق الارض في يومين) يعني يوم الاحد ويوم الاثنين (وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها) أي جعلها مباركة قابلة للخير والبذر والفراش وقدر فيها أنوارها

(وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين * وجعل فيها) أي في الارض (رواسي) جبالا ثوابت من

وهو ما يحتاج أهلها اليه من الارزاق والاماكن التي تزرع وتغرس يعني يوم الثلاثاء والاربعاء فمما مع اليومين السابقين أربعة ولهذا قال (في أربعة أيام سواء للسائلين) أي لمن أراد السؤال عن ذلك ليعلمه وقال عكرمة ومجاهد في قوله عز وجل [وقدر فيها أقواتها] جعل في كل أرض ما لا يصلح في غيرها ومنه العصب بالين والسابوري بسابور والطيالسة بالري

وقال ابن عباس وقتادة والسدي في قوله تعالى [سواء للسائلين] أي لمن أراد السؤال عن ذلك وقال ابن زيد معناه وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين أي على وفق مراده من له حاجة إلى رزق أو حاجة فإن الله تعالى قدر له ما هو محتاج اليه وهذا القول يشبه ما ذكره في قوله تعالى (وَأَنَّا كُنَّا مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ) والله أعلم

وقوله تبارك وتعالى (ثم استوى إلى السماء وهي دخان) وهو بخار الماء المتصاعد منه حين خلقت الارض [فقال لها وللارض اثنيا طوعا أو كرها] أي استجيبا لامري وانفعلا لفعلي طائعتين أو مكرهتين قال الثوري عن ابن جريج عن سليمان بن موسى عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى [فقال لها وللارض اثنيا طوعا أو كرها] قال قال الله تبارك وتعالى للسموات أطلعي شمسي وقرري ونجمي

فوقها ﴿ من فوق الارض ﴾ (وبارك فيها) أي في الارض بما خلق فيها من البحار والانهار والاشجار والثمار ﴿ وقدر فيها أقواتها ﴾ قال الحسن ومقاتل قسم في الارض أرزاق العباد والبهائم وقال عكرمة والضحاك قدر في كل بلدة ما لم يجعله في الاخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة من بلد إلى بلد قال الكلبي قدر الخبز لاهل قطر والتمر لاهل قطر والذرة لاهل قطر والسمك لاهل قطر وكذلك أقواتها ﴿ في أربعة أيام ﴾ يريد خلق ما في الارض وقدر الاقوات في يومين يوم الثلاثاء والاربعاء فهما مع الاحد والاثنين أربعة أيام رد الآخر على الاول في الذكر كما تقول تزوجت أمس امرأة واليوم ثنتين واحداً هي التي تزوجها بالامس ﴿ سواء للسائلين ﴾ قرأ أبو جعفر سواء رفع على الابتداء أي هي سواء وقرأ يعقوب بالجر على نعت قوله في أربعة أيام وقرأ الآخرون سواء نصب على المصدر أي استوت استواء ومعناه سواء للسائلين عن ذلك، قال قتادة والسدي من سأل عنه فهو كذا الامر سواء لا زيادة ولا نقصان جوابا لمن سأل في كم خلقت الارض والاقوات ﴿ ثم استوى إلى السماء ﴾ أي عمد إلى خلق السماء ﴿ وهي دخان ﴾ وكان ذلك الدخان بخار الماء ﴿ فقال لها وللارض اثنيا طوعا أو كرها ﴾ أي اثنيا ما أمر كما أي افعله كما يقال انت ما هو الاحسن أي افعله وقال طائوس عن ابن عباس اثنيا أعطيا يعني أخرجنا ما خلقت فيكما من المنافع لمصالح العباد قال ابن عباس قال الله عز وجل أما أنت يا سماء فاطلعي شمسك وقمرك ونجومك وأنت يا أرض فشقي أنهارك وأخرجني بمارك ونباتك ، وقال لهما افعلما ما أمرتكما طوعا والا ألباتكما إلى ذلك حتى تفعلاه كرها

وقال للارض شققي أنهارك وأخرجني ثمارك [قالتا أتينا طائعين] واختاره ابن جرير رحمه الله
قالتا أتينا طائعين أي بل نستجيب لك مطيعين بما فينا مما تريد خلقه من الملائكة والجن والانس
جميعا مطيعين لك حكاه ابن جرير عن بعض أهل العربية قال وقيل تنزيلا لمن معاملة من يعقل
بكلامها وقيل ان المتكلم من الارض بذلك هو مكان الكعبة ومن السماء ما بسامته منها والله أعلم

وقال الحسن البصري لو ألبا عليه أمره لعذبهما عذابا يجردان ألمه رواه ابن أبي حاتم (فضاهن
سبع سموات في يومين) أي ففرغ من تسويتهم سبع سموات في يومين أي آخرين وهما يوم الخميس
ويوم الجمعة (وأوحى في كل سماء أمرها) أي ورتب مقررآ في كل سماء ما تحتاج اليه من الملائكة وما فيها
من الاشياء التي لا يعلمها إلا هو (وزينا السماء الدنيا بمصابيح) وهي الكواكب المنيرة المشرقة على أهل
الارض [وحفظا] أي حرسا من الشياطين أن تستمع إلى الملائكة الأعلى [ذلك تقدير العزيز العليم] أي العزيز
الذي قد عز كل شيء فقلبه وقهره العليم بجميع حركات المخلوقات وسكناتهم

قال ابن جرير حدثنا هناد بن السمر حدثنا أبو بكر بن عباس عن أبي سعيد البقال عن عكرمة
عن ابن عباس قال هناد قرأت سائر الحديث ان اليهود أتت النبي ﷺ فسألته عن خلق السموات
والارض فقال ﷺ « خلق الله تعالى الارض يوم الاحد ويوم الاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء
وما فيها من منافع وخلق يوم الاربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والحراب فـ هذه أربعة [قل
أنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجهلون له أندادا ذلك رب العالمين] وجعل فيها رواسي
من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين] لمن سأله قال وخلق يوم الخميس
السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة الى ثلاث ساعات بقيت منه وفي الثانية
ألقى الآفة على كل شيء مما ينتفع به الناس وفي الثالثة آدم وأسكنه الجنة وأمر ابليس بالسجود له
وأخرجه منها في آخر ساعة ثم قالت اليهود . ثم ماذا يا محمد قال [ثم استوى على العرش ، قالوا قد
أصبت لو آمنت . قالوا ثم استراح . فغضب النبي ﷺ غضبا شديدا فنزل [ولقد خلقنا السموات
والارض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب] فاصبر على ما يقولون [هذا الحديث فيه غرابة
فأما حديث ابن جريج عن اسماعيل بن أمية عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع عن أبي هريرة

فاجابتا بالطوع و [قالتا أتينا طائعين] ولم يقل طائعتين لانه ذهب به الى السموات والارض ومن
فيهن مجازة أتينا بما فينا طائعين فلما وصفها بالقول أجراها في الجمع مجرى من يعقل [فضاهن سبع
سموات في يومين] أي آتمن وفرغ من خلقهن [وأوحى في كل سماء أمرها] قال عطاء عن ابن عباس
خلق في كل سماء خلقها من الملائكة وما فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلمه الا الله
وقال قتادة والسدي يعني خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وقال مقاتل وأوحى الى كل سماء

رضي الله قال أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال « خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة فيما بين العصر الى الليل » فقد رواه مسلم والنسائي في كتابيهما من حديث ابن جريج به وهو من غرائب الصحيح وقد علاه البخاري في التاريخ فقال رواه بعضهم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن كعب الاحبار وهو الاصح

فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود (١٣) اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا الا الله ، قالوا لو شاء ربنا لآمنزل ملة واحدة فانا بما أرسلتم به كفرون (١٤) فأما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة ؟ أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة ؟ وكانوا بآيتنا يجحدون (١٥) فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون (١٦) وأما ثمود فدفعنا عنهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون (١٧) ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون (١٨)

يقول تعالى قل يا محمد هؤلاء المشركين المكذبين بما جئتهم به من الحق ان أعرضتم عما جئتمكم به من عند الله تعالى فاني أنذركم حلول نقمة الله بكم كما حلت بالأمم الماضية من المكذبين بالرسلين (صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) أي ومن شاكلهما من فعل كفعلهما (إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم) كقوله تعالى (واذكر أخاعاد إذ أنذر قومهم بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه) أي في القرى المجاورة لبلادهم بعث الله اليهم الرسل يأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له

ما أراد من الامر والنهي وذلك يوم الخميس والجمعة (وزينا السماء الدنيا بمصابيح) كواكب (وحفظا) لها ونصب حفظا على المصدر أي حفظناها بالكواكب حفظا من الشياطين الذين يسترقون السمع (ذلك) الذي ذكر من صنعه (تقدير العزيز) في ملكه (العليم) بخفايه قوله عز وجل (فان أعرضوا) يعني هؤلاء المشركين عن الايمان بهذا البيان (فقل أنذرتكم) خوفكم (صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) أي هلاكا مثل هلاكهم والصاعقة المهلكة من كل شيء (إذ جاءتهم) يعني عادا وثمود (الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم) أراد بقوله من بين أيديهم

ومبشرين ومنذرين ، ورأوا ما أحل الله بأعدائهم من النقم ، وما ألبس أوليائه من النعم ، ومع هذا ما آمنوا ولا صدقوا بل كذبوا وجحدوا وقالوا [لو شاء ربنا لأنزل ملائكة] أي لو أرسل الله رسلا لكانوا ملائكة من عنده [فأنابا أرسلتم به] أي أيها البشر (كفرون) أي لا تتبعكم وأنتم بشر مثنا ، قال

الرسول الذين أرسلوا إلى آبائهم من قبلهم وما خلفهم يعني من بعد الرسل الذين أرسلوا إلى آبائهم الذين أرسلوا إليهم هود وصالح ، فالكناية في قوله من بين أيديهم راجعة إلى عاد وثمود وفي قوله ومن خلفهم راجعة إلى الرسل (أن لا) بـ لا (تعبدوا إلا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل) بدل هؤلاء الرسل (ملائكة) أي لو شاء ربنا دعوة الخلق لأنزل ملائكة (فأنابا أرسلتم به كفرون)

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الطلي ثنا عبد الله بن حامد الاصفهاني ثنا أحمد بن محمد ابن يحيى العبيدي أنا أحمد بن محمد بن العريان ثنا الحناني ثنا ابن فضيل عن الاجلج عن الذيال بن حرملة عن جابر بن عبد الله قال : قال الملاء من قريش وأبو جهل قد التبس علينا أمر محمد فلو التمستم رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فأنابه فكلمه ثم أنانا يبيان من أمره ، فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى على أن كان كذلك فأنابه فلما خرج إليه قال يا محمد أنت خير أم هاشم ؟ أنت خير أم عبد المطلب أنت خير أم عبد الله فبم تشتم آلهتنا ونفضل آباءنا ؟ فإن كنت تريد الرياسة عقدنا لك أوليتنا فكنت رأسا ما بقيت ، وإن كان بك الباءة زوجناك عشرين نسوة تختار من أي بنات قريش وإن كان بك المال جمعنا لك ما تستغني أنت وعقبك من بعدك ورسول الله ﷺ ساكت لا يتكلم فلما فرغ قرأ رسول الله ﷺ بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته - إلى قوله - فإن أعرضوا قتل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود (الآية فأمسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش فاحتبس عنهم ، فقال أبو جهل يا معشر قريش والله ما نرى عتبة إلا قد صبا إلى دين محمد وقد أعجبه طعامه وما ذاك إلا من حاجة أصابته فانطلقوا بنا إليه فانطلقوا إليه فقال أبو جهل والله يا عتبة ما حبسك عنا إلا أنك صبت إلى دين محمد وأعجبك طعامه فإن كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد فغضب عتبة وأقسم أن لا يكلم محمد أبدا وقال والله لقد علمت أني من أكثر قريش مالا ولكني اتيتهم وقصصت عليه القصة فأجابني بشيء ، والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر وقرأ السورة إلى قوله تعالى فإن أعرضوا قتل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسكت بفيه وناشدته بالرحم أن يكف وقد علمت أن محمدا إذا قال شيئا لم يكذب فخنثت أن ينزل بكم العذاب

وقال محمد بن كعب القرظي حدثت أن عتبة بن ربيعة كان سيداً حليماً قال يوماً وهو جالس في نادي قريش ورسول الله ﷺ جالس وحده في المسجد قال يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد وأكلمه وأعرض عليه أمورا الله يقبل منا بعضها فنفعل عليه ويكف عنا وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله

الله تعالى (فأما عاد فاستكبروا في الارض) أي بغوا وعتوا وعصوا [وقالوا من أشد منا قوة؟] أي منوا بشدة تركيهم وقواهم واعتقدوا أنهم يمتنعون بها من بأس الله [أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة؟] أي أفما يتفكرون فيمن يبارزون بالعداوة فإنه العظيم الذي خلق الاشياء وركب فيها قواها الحاملة لها وان بطشه شديد كما قال عز وجل [والسما. بنيهاها بأيد وإنا لموسعون] فبارزوا الجبار بالعداوة وجحدوا بآياته وعصوا رسله فلماذا قال [فأرسلنا عليهم ريحا صرصرآ] قال بعضهم وهي الشديدة الهبوب ، وقيل الباردة ، وقيل هي التي لها صوت ، والحق أنها متصفة بجميع ذلك فأها

ﷺ يزيدون ويكثرون فقالوا إلى يا أبا الوليد فقم إليه فكلمه فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال يا ابن أخي إنك منا حيث علمت من البسطة في العشيرة والمكان في النسب، وإنك قد أنبت قومك بأمر عظيم فرقت جماعتهم ، وسفنت أحلامهم ، وعبت آلهتهم ، وكفرت من مضي من آبائهم ، فاسمع مني اعرض عليك أمورا تنظر فيها فقال رسول الله ﷺ « قل يا أبا الوليد » فقال يا ابن أخي ان كنت إنما تريد بما جئت به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وان كنت تريد شرفا سودناك علينا ، وان كان هذا الذي بك رؤيا تراه لانستطيع رده طلبنا لك الطاب ولعل هذا شعر جاش به صدرك فانكم لعمرى بني عبد المطلب تقدر من ذلك على مالا يقدر عليه غيركم حتى اذا فرغ ما عنده من سائر الامور التي يزعم أنها ترده عما يقول فقال له رسول الله ﷺ « أوقد فرغت يا أبا الوليد؟ » قال نعم قال « فاستمع مني » قال فافعل فقال ﷺ (بسم الله الرحمن الرحيم * حم * تنزيل من الرحمن الرحيم * كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا) ثم مضى فيها يقرأ فلما سمعها عتبة أنصت له والقي يديه خلف ظهره معتمداً عليهم ما يستمع منه حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة فسجد ثم قال « قد سمعت يا أبا الوليد فأنت وذاك » فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس فيهم قالوا ما وراءك يا أبا الوليد فقال ورائي أني قد سمعت قولاً والله ما سمعت بمثله قط ما هو بالشعر ولا السحر ولا السكينة يا معشر قريش أطيعوني خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعزلوه فوالله ليكون لقوله الذي سمعت نبأ فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فلكم ملككم وعزه عزكم فأنتم أسعد الناس به، فقالوا سحره والله يا أبا الوليد بلسانه فقال هذا رأيي لكم فاصنعوا ما بدا لكم قوله عز وجل (فأما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة) وذلك أن هوداً هددهم بالعذاب فقالوا من أشد منا قوة ونحن نقدر على دفع العذاب عنا بفضل قوتنا وكانوا ذوي اجسام طوال

قال الله تعالى ردأ عليهم (أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يمجحدون * فأرسلنا عليهم ريحا صرصرآ) عاصفا شديدة الصوت من الصرة وهي الصيحة وقيل هي الباردة من

كانت ريحاً شديدة قوية لتكون عقوبتهم من جنس ما اغتروا به من قواهم وكانت باردة شديدة البرد جداً كقوله تعالى (بريح صرصر عانية) أي باردة شديدة وكانت ذات صوت مزعج، ومنه سمي النهر المشهور ببلاد المشرق صرصرأ لقوة صوت جريه

وقوله تعالى (في أيام نحسات) أي متتابعات (سبع ليال وثمانية أيام حسوما) وكقوله (في يوم نحس مستمر) أي ابتدأوا بهذا العذاب في يوم نحس عليهم واستمر بهم هذا النحس (سبع ليال وثمانية أيام حسوما) حتى أبادهم عن آخرهم واتصل بهم خزي الدنيا بعذاب الآخرة ولهذا قال [لنذيقهم عذاب الحزى في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى] أي أشد خزيًا لهم [وهم لا ينصرون] أي في الآخرة كما لم ينصروا في الدنيا وما كان لهم من الله من واق يقيمهم العذاب ويذراً عنهم النكال وقوله عز وجل [وأما ثمود فهديناهم] قال ابن عباس رضي الله عنهما وأبو العالية وسعيد بن جبير وقتادة والسدي وابن زيد : بينا لهم . وقال الثوري دعوناهم [فاستحبوا العمى على الهدى] أي بصرناهم وبيننا لهم ووضحنا لهم الحق على لسان نبيهم صالح عليه الصلاة والسلام فخالفوه وكذبوه وعقروا ناقة الله تعالى التي جعلها آية وعلامة على صدق نبيهم [فأخذتهم صاعقة العذاب الهون] أي بعث الله عليهم صيحة ورجفة وذلاً وهواناً وعذاباً ونكلاً [بما كانوا يكسبون] أي من التكذيب والجحود (ونجيناً الذين آمنوا) أي من بين أظهرهم لم يمسهم سوء ولا نالهم من ذلك ضرر بل نجاهم الله تعالى مع نبيهم صالح عليه الصلاة والسلام بإيمانهم وتقواهم له عز وجل

ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون (١٩) حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون (٢٠) وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا؟ قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون (٢١) وما كنتم تستترون أن يشهد

الصر وهو البرد ﴿ في أيام نحسات ﴾ قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب نحسات بسكون الحاء وقرأ الآخرون بكسرها أي نكدات مشؤمات ذات نفوس، وقال الضحاك أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين ودامت الرياح عليهم من غير مطر ﴿ لنذيقهم عذاب الحزى ﴾ أي عذاب الهون والذل ﴿ في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى ﴾ أشد أهانة ﴿ وهم لا ينصرون ﴾ وأما ثمود فهديناهم ﴿ دعوناهم ﴾ قاله مجاهد وقال ابن عباس بينا لهم سبيل الهدى وقيل دللناهم على الخير والشر كقوله (هديناه السبيل) ﴿ فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ فاختاروا الكفر على الإيمان ﴿ فأخذتهم صاعقة العذاب ﴾ أي مهلكة العذاب ﴿ الهون ﴾ أي ذلي الهوان وهو الذي يهينهم ويخزيهم ﴿ بما كانوا يكسبون ﴾ ونجيناً الذين آمنوا وكانوا يتقون * ويوم يحشر أعداء الله إلى النار ﴿ قرأ نافع ويعقوب

عليكم سميعكم ولا أبصركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون (٢٢) وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخسرين (٢٣) فإن يصبروا فالنار مثوى

لهم وإن يستعبدوا فما هم من المعتبين (٢٤)

يقول تعالى [ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون] أي اذكر هؤلاء المشركين يوم يحشرون إلى النار يوزعون أي تجمع الزبانية أولهم على آخرهم كما قال تبارك وتعالى [ونسوق الجرمين إلى جهنم وردا] أي عطاشا .

وقوله عز وجل [حتى إذا ما جاءوها] أي وقفوا عليها [شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون] أي بأعمالهم مما قدموه وأخروه لا يكتف منه حرف [وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا] أي لاموا أعضائهم وجلودهم حين شهدوا عليهم فعند ذلك أجابتهم الأعضاء [قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء] وهو خلقكم أول مرة [أي فهو لا يخاف ولا يمانع واليه ترجعون . قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا علي بن قادم حدثنا شريك عن عبيد المكتب عن الشعبي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال ضحك رسول الله ﷺ ذات يوم أو تبسم فقال ﷺ « ألا تسألوني عن أي شيء ضحكت ؟ » قالوا يا رسول الله من أي شيء ضحكت ؟ قال ﷺ « عجبت من مجادلة العبد ربه يوم القيامة يقول أي رب أليس وعدتني أن لا تظلمني قال بلى فيقول فاني لا أقبل علي شاهدأ إلا من نفسي فيقول الله تبارك وتعالى أوليس كفى بي شهيدأ وبالملائكة الكرام السكاكين ؟ قال فيردد هذا الكلام مراراً قال فيختم على فيه وتكلم أركانه بما كان يعمل ، فيقول بعدأ لكن وصحفاً عنكن كنت أجادل » ثم رواه هو وابن أبي حاتم من حديث أبي عامر الاسدي عن الثوري عن عبيد المكتب عن فضيل بن عمرو عن الشعبي ثم قال لا أعلم رواه عن أنس رضي الله عنه غير الشعبي وقد أخرجه مسلم والنسائي جميعاً عن أبي بكر ابن أبي النضر عن أبي النضر عن عبيد الله بن عبد الرحمن الأشجعي عن الثوري به ، ثم قال النسائي لأعلم أحداً رواه عن الثوري غير الأشجعي وليس كما قال كرايت والله أعلم . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن إبراهيم حدثنا اسماعيل بن علية عن يونس بن عبيد عن حميد بن هلال قال قال أبو بردة قال أبو موسى : وبدع الكافر والمنافق للحساب فيعرض عليه ربه عز وجل عمله فيجعد

نحشر بالنون أعداء نصب وقرأ الآخرون بالياء ورفعها وفتح الشين أعداء رفع أي يجمع إلى النار (فهم يوزعون) يساقون ويدفعون إلى النار وقال قتادة والسدي يحبس أولهم على آخرهم ابتلاحقوا (حتى إذا ما جاءوها) جاؤا النار (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم) أي بشرانهم (بما كانوا يعملون) وقال السدي وجماعة المراد بالجلود الفروج وقال مقاتل تنطق جوارحهم بما كتمت إلا من علمهم (وقالوا) يعني الكفار الذين يحشرون إلى النار (لجلودهم لم شهدتم علينا) قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء (ثم الكلام هنا

ويقول أي رب وعزتك لقد كتب علي هذا الملك ما لم أعمل . فيقول له الملك أما عملت في يوم كذا في مكان كذا ؟ فيقول لا وعزتك أي رب ما عملته . قال فإذا فعل ذلك ختم علي فيه ، قال الأشعري رضي الله عنه فإني لأحسب أول ما ينطق منه فخذة النبي . وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا زهير حدثنا حسن عن ابن لهيعة قال دراج عن أبي القيث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « إذا كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله فجحد وخاصم فيقول هؤلاء جيرانك بشدون عليك فيقول كذبوا فيقول اهلك عسبرتك فيقول كذبوا فيقول احلفوا فيحلفون ثم يصمتهم الله تعالى وتشهد عليهم ألسنتهم ويدخلهم النار » وقال ابن أبي حاتم وحدثنا أبي حدثنا أحمد بن إبراهيم حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال سمعت أبي يقول حدثنا علي بن زيد عن مسلم بن صبيح أبي الضحى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لا ينطقون ولا يعتدرون ولا يتكلمون حتى يؤذن لهم ثم يؤذن لهم فيختصمون فيجحد الجاحد بشركه بالله تعالى فيحلفون له كما يحلفون لكم فيبعث الله تعالى عليهم حين يجحدون شهداء من انفسهم جلودهم وأبصارهم وأيديهم وأرجلهم ويختم على أفواههم ثم يفتح لهم الأفواه فتخاصم الجوارح فنقول (أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء . وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون) فنقر الألسنة بعد الجحود . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبدة بن سليمان حدثنا ابن المبارك حدثنا صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير الحضرمي عن رافع أبي الحسن قال وصف رجلا جحد قال فيشير الله تعالى إلى لسانه فيربو في فيه حتى يملأه فلا يستطيع أن ينطق بكلمة ثم يقول لا ربه كلها تكلمي واشهدي عليه فيشهد عليه سمعه وبصره وجلده وفرجه ويده ورجلاه صنعنا عملنا فعلنا ، وقد تقدم أحاديث كثيرة وآثار عند قول تعالى في سورة يس (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم ونشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) بما أغنى عن إعادته هنا ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سويد بن سعيد حدثنا يحيى بن سليم الطائفي عن أبي خنيم عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال لما رجعت إلى رسول الله ﷺ مهاجرة البحر قل « ألا تحدثون بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة ؟ » فقال فتية منهم بلى يا رسول الله بينما نحن جلوس إذ مرت علينا عجوز من عجائز رهايينهم تحمل على رأسها قلة من ماء فمرت بفتى منهم فجعل إحدى يديه بين كتفيها ثم دفعها فحرت على ركبتيها فانكسرت قائمها فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت سوف تعلم يا غدر إذا وضع الله الكرسي وجم الأوابين والآخرين وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غدا ؟ قال يقول رسول الله ﷺ « صدقت صدقت كيف يقدر الله قوما لا يؤخذ لضعيفهم من شديد » هذا حديث غريب من هذا الوجه ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الأحوال حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا يحيى بن سليم به

وقال الله تعالى (وهو خلقكم أول مرة) وليس هذا من جواب الجلود (وإليه ترجعون) وما

وقوله تعالى [وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم] أي قول لهم الأعضاء والجلود حين يلومونها على الشهادة عليهم ما كنتم تكتمون منا الذي كنتم تفعلونه بل كنتم تبهرون الله بالكفر والمعاصي ولا تبالون منه في زعمكم لأنكم كنتم لا تعتقدون أنه يعلم جميع أفعالكم ولهذا قال تعالى (ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون * وذلك ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم) أي هذا الظن الفاسد وهو اعتقادكم أن الله تعالى لا يعلم كثيراً مما تعلمون هو الذي أتانكم وأرداكم عند ربكم (فأصبحتم من الخاسرين) أي في مواقف القيامة خسرتم أنفسكم وأهلكم قال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن عمار عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله رضي الله عنه قال كنت مستتراً بأستار السكبة فجاء ثلاثة نفر قرشي وختناه ثقفيان — أوتقني وختناه قرشيان — كثير شحم بطونهم، قليل فقه قلوبهم فتكلموا بكلام لم أسمعه فقال أحدهم : أترون أن الله يسمع كلامنا هذا ؟ فقال الآخر إنا إذا رفعنا أصواتنا سمعه وإذا لم نرفعه لم يسمعه ، فقال الآخر ان سمع منه شيئاً سمعه كله — قال — فذكرت ذلك لنبينا ﷺ فأنزل الله عز وجل (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم - إلى قوله - من الخاسرين) وهكذا رواه الترمذي عن هناد عن أبي معاوية بإسناده نحوه، وأخرجه أحمد ومسلم والترمذي أيضاً من حديث سفيان الثوري عن الاعمش عن عمارة بن عمير عن وهب بن ربيعة عن عبد الله بن مسعود بنحوه ، ورواه البخاري ومسلم أيضاً من حديث السفيانيين كلاهما عن منصور عن مجاهد عن أبي معمر عبد الله بن سحيرة عن ابن مسعود رضي الله عنه به

وقال عبد الرزاق حدثنا معمر عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ في قوله تعالى [أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم] قال * إنكم تدعون يوم القيامة مفدما على

كنتم تستترون) أي تستخفون عند أكثر أهل العلم وقال مجاهد نقون وقال قتادة نظنون (أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون) أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا الحبيدي أنا سفيان أنا منصور عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله بن مسعود قال اجتمع عند البيت ثقفيان وقرشي أو قرشيان وثقفي كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم فقال أحدهم أترون أن الله يسمع ما نقول ؟ قال الآخر يسمع أن جهرنا ولا يسمع أن أخفينا وقال الآخر إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا فأنزل الله تعالى (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون) قيل الثقفي عبد باليل وختناه القرشيان ربيعة وصفوان بن أمية قوله تعالى (وذلك ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم) أهلككم أي ظنكم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون أرداكم قال ابن عباس طرحكم في النار (فأصبحتم من الخاسرين)

افواهكم بالفدام فأول شيء يبين عن احدكم فخذوه وكفه قال معمر : وتلا الحسن [وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم] ثم قال قال رسول الله ﷺ « قال الله تعالى انا مع عبدي عند ظنه بي وأنا معه إذا دعاني » ثم افتر الحسن بنظر في هذا فقال : ألا انما عمل الناس على قدر ظنونهم بربهم فأما المؤمن فأحسن الظن بربه فأحسن العمل ، وأما الكافر والمنافق فأساء الظن بالله فأساء العمل ثم قال : قال الله تبارك وتعالى [وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم - الى قوله - وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم] الآية

وقال الامام احمد حدثنا النضر بن اسماعيل القاص وهو أبو المغيرة حدثنا ابن أبي ليلى عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لا يؤمن احدكمكم إلا وهو يحسن بالله الظن فان قوما قد أرداهم سوء ظنهم بالله فقال الله تعالى [وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين] وقوله تعالى [فان يصبروا فالتار مشوى لهم وان يستعقبوا فاهم من المعتبين] اي سواء عليهم صبروا ام لم يصبروا هم في النار لا محيد لهم عنها ولا خروج لهم منها ، وان طلبوا ان يستعقبوا ويبدوا أعذاراً فما لهم أعذار ولا تقال لهم عنرات

قال ابن جرير : ومعنى قوله تعالى [وان يستعقبوا] اي يسألوا الرجعة الى الدنيا فلا جواب لهم قال وهذا كقوله تعالى إخباراً عنهم [قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين] ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قالوا اخشوا فيها ولا تكلمون]

وقيضنا لهم قرآن فزينا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين (٢٥) وقال الذين كفروا لا تساهموا لهذا القرآن والنوا فيه لملككم تغلبون (٢٦) فلنذيقن الذين كفروا عذاباً شديداً ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون (٢٧) ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون (٢٨) وقال الذين كفروا ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والانس نجعلهم تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين (٢٩)

ثم اخبر عن حالهم فقال « فان يصبروا فالتار مشوى لهم » مسكن لهم « وان يستعقبوا » يسترضوا ويطلبوا العتبي « فاهم من المعتبين » المرضيين والمعتب الذي قبل اعتابه واجيب الى ما سأل يقال اعتبني فلان أي ارضاني بعد اسخاطه اياي واستعتبته طلبت منه ان يعتب أن يرضى قوله تعالى « وقبضنا لهم » أي بعثنا ووكلنا وقال مقاتل هبنا وقال الزجاج سببنا لهم « قرنا »

يذكر تعالى أنه هو الذي أضل المشركن وأن ذلك بمشيئته وكونه وقدرته وهو الحكيم في أفعاله بما فيض لهم من القرآن من شياطين الانس والجن (فزينا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم) أي حسنوا لهم أعمالهم في الماضي وبالنسبة إلى المستقبل فلم يروا أنفسهم إلا محسنين كما قال تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين) وأنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون)

وقوله تعالى [وحق عليهم القول] أي كلمة العذاب كحق على أم قد خلت من قبلهم من فعل كفعلمهم من الجن والانس أنهم كانوا خامرين أي استورا هم وإياهم في الخسار والدمار

وقوله تعالى [وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن] أي تواصوا فيما بينهم أن لا يطيعوا للقرآن ولا ينفادوا لأوامره [والقوا فيه] أي اذا نلى لا تسمعوا له كما قال مجاهد والقوا فيه يعني بالملكاء والصفيير والتخليط في المنطق على رسول الله ﷺ اذا قرأ القرآن قريش تفعله ، وقال الضحاك عن ابن عباس [والقوا فيه] عيبوه ، وقال قتادة اجدوا به وأنكروه وعادوه (لعلمكم تغلبون) هذا حال هؤلاء الجهلة من الكفار ومن سلك مسلكهم عند مآع القرآن وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بخلاف ذلك فقال تعالى [واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون]

ثم قال عز وجل متصراً ومتقياً ممن عاداء من أهل الكفران [فلنذيقن الذين كفروا عذاباً شديداً] أي في مقابلة ما اعتمدوه في القرآن وعند سماعه [ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون] أي بشر أعمالهم وسيئ أفعالهم [ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يمحذون] وقال الذين كفروا ربنا أرنا الذين أضلنا من الجن والانس نجعلهم ما نحت أقدامنا ليكونوا

أظراء من الشياطين حتى أضلهم (فزينا لهم ما بين أيديهم) من أمر الدنيا حتى آثروا على الآخرة (وما خلفهم) من أمر الآخرة فدعاهم إلى التكذيب به وانكار البعث (وحق عليهم القول في أمم) أمم أمم (قد خلت من قبلهم من الجن والانس أنهم كانوا خامرين وقال الذين كفروا) من مشركي قريش (لا تسمعوا لهذا القرآن والقوا فيه) قال ابن عباس يعني القطوا فيه وكان بعضهم يوصي إلى بعض اذا رأيت محمداً يقرأ فعارضوه بالرجز والشمر والقوا

قال مجاهد والقوا فيه بالملكاء والصفيير . وقال الضحاك أكثروا الكلام فيختلط عليه ما يقول وقال السدي صبحوا في وجهه (لعلمكم تغلبون) محمداً على قراءته (فلنذيقن الذين كفروا عذاباً شديداً ولنجزينهم أسوأ الذي) يعني بأسوأ الذي أي بأقبح الذي (كانوا يعملون) في الدنيا وهو الشرك بالله (ذلك) الذي ذكرت من العذاب الشديد (جزاء أعداء الله) ثم بين ذلك الجزاء فقال (النار) أي هو النار (لهم فيها) أي في النار (دار الخلد) دار الإقامة لا انتقال منها (جزاء بما كانوا بآياتنا يمحذون) وقال الذين كفروا (أي في النار يقولون) ربنا أرنا الذين أضلنا من الجن والانس (بعنونا ابليس وقاييل بن آدم الذي قتل أخاه لانهما سنا المعصية

من الاسفلين [قال سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل عن مالك بن الحصين الفزاري عن أبيه عن علي رضي الله عنه في قواه تعالى [الذين أضلانا] قال ابليس وابن آدم الذي قتل أخاه . وهكذا روى العوفي عن علي رضي الله عنه مثل ذلك

وقال السدي عن علي رضي الله عنه فابليس يدعو به كل صاحب شرك وابن آدم يدعو به كل صاحب كبيرة فابليس الداعي إلى كل شر من شرك فما دونه وابن آدم الاول كما ثبت في الحديث « ما قتلت نفس ظلما إلا كان علي ابن آدم الاول كفلا من دمها » لانه أول من سن القتل . وقولهم [نجعلهما تحت أقدامنا] أى أسفل منا في العذاب ليكونا أشد عذابا منا لهذا قالوا [ليكونا من الاسفلين] أى في الدرك الأسفل من النار كما تقدم في الاعراف في سؤال الاتباع من الله تعالى أن يعذب قاذبيهم أضعاف عذابهم [قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون] أى انه تعالى قد أعطى كلا منهم ما يستحقه من العذاب والنكال بحسب عمله وفساده كما قال تعالى [الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون]

(ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون (٣٠) نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون (٣١) نزلا من غفور رحيم (٣٢)

يقول تعالى [ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا] أى أخلصوا العمل لله وعملوا بطاعة الله تعالى على ما شرع الله لهم، قال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا الجراح حدثنا مسلم بن قتيبة أبو قتيبة الشعمري ثنا سهل بن أبي حازم حدثنا ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قرأ علينا رسول الله ﷺ هذه الآية [إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا] قد قالها ناس ثم كفروا أكثرهم فن قالها حتى يموت فقد استقام عليها ، وكذا رواه النسائي في تفسيره والبخاري وابن جرير عن عمرو بن علي الفلاس عن مسلم بن قتيبة به . وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن الفلاس به

ثم قال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن أبي اسحاق عن عامر بن سعيد عن سعيد بن عمران قال : قرأت عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه هذه الآية [إن الذين

نجعلهما تحت أقدامنا] في النار [ليكونا من الاسفلين] ليكونا في الدرك الأسفل من النار قال ابن عباس ليكونا أشد عذابا منا قوله عز وجل [ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا] مثل ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه

قالوا ربنا الله ثم استقاموا [قال هم الذين لم يشركوا بالله شيئا . ثم روى من حديث الاسود بن هلال قال : قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه ماتمولون في هذه الآية [إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) قال فقالوا (ربنا الله ثم استقاموا) من ذنب فقال لقد حملتموها على غير المحمل قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلم يلتفتوا الى إله غيره . وكذا قال مجاهد وعكرمة والسدي وغير واحد

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبد الله الظهري أخبرنا حفص بن عمر العقدي عن الحكم بن أبان عن عكرمة قال سئل ابن عباس رضي الله عنهما أي آية في كتاب الله تبارك وتعالى أرخص ؟ قال قوله تعالى [إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا] على شهادة أن لا إله إلا الله ، وقال الزهري تلاعمر رضي الله عنه هذه الآية على المنبر ثم قال استقاموا والله بطاعته ولم يروغوا روغان الثعالب

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما [قالوا ربنا الله ثم استقاموا] على أداء فرائضه ، وكذا قال قتادة قال وكان الحسن يقول اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة ، وقال أبو العالية [ثم استقاموا] أخلصوا له الدين والعمل

وقال الامام أحمد حدثنا هشيم حدثنا يعلى بن عطاء عن عبد الله بن سفيان الثقفي عن أبيه أن رجلا قال يا رسول الله مرني بأمر في الاسلام لا أسأل عنه أحداً بعدك قال ﷺ « قل آمنت بالله ثم استقم » قلت فما أبقي فأومأ الى لسانه . ورواه النسائي من حديث شعبة عن يعلى بن عطاء به

ثم قال الامام أحمد حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا إبراهيم بن سعد حدثني ابن شهاب عن عبد الرحمن بن ماعز الغامدي عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت يا رسول الله حدثني بأمر أعظم به قال قال ﷺ « قل ربّي الله ثم استقم - قلت يا رسول الله ما أكثر ما تخاف علي فأخذ رسول الله ﷺ بطرف لسان نفسه ثم قال - هذا » وهكذا رواه الترمذي وابن ماجه من حديث الزهري به وقال الترمذي حسن صحيح . وقد أخرجه مسلم في صحيحه والنسائي من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن سفيان ابن عبد الله الثقفي قال قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك قال ﷺ « قل آمنت بالله ثم استقم » وذكر تمام الحديث

عن الاستقامة فقال أن لا تشرك بالله شيئا : وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : الاستقامة أن نستقيم على الامر والنهي ولا نروغ روغان الثعالب ، وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه أخلصوا العمل لله ، وقال علي رضي الله عنه أدوا الفرائض ، وقال ابن عباس استقاموا على أداء الفرائض ، وقال الحسن استقاموا على أمر الله تعالى فعملوا بطاعته واجتنبوا معصيته ، وقال مجاهد وعكرمة استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله حتى لحقوا بالله ، وقال مقاتل استقاموا على المعرفة ولم يرتدوا ، وقال قتادة كان الحسن اذا تلا هذه الآية قال اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة .

وقوله تعالى [تنزل عليهم الملائكة] قال مجاهد والسدي وزيد بن أسلم وابنه يعني عند الموت قائلين (أن لا تخافوا) قال مجاهد وعكرمة وزيد بن أسلم أي مما تقدمون عليه من أمر الآخرة (ولا تحزنوا) على ما خلفتموه من أمر الدنيا من ولد وأهل ومال أو دين فانا نخلفكم فيه [وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون] فيبشرونهم بذهاب الشر وحصول الخير : وهذا كما جاء في حديث البراء رضي الله عنه قال « ان الملائكة تقول لروح المؤمن اخرجي أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب كنت تعمريه اخرجي الى روح وربحان ورب غير غضبان » وقيل ان الملائكة تنزل عليهم يوم خروجهم من قبورهم حكاه بن جرير عن ابن عباس والسدي

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا ابو زرعة حدثنا عبد السلام بن مطهر حدثنا جعفر بن سليمان قال سمعت ثابتاً قرأ سورة حم السجدة حتى بلغ [ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تنزل عليهم الملائكة] فوقف فقال بلغنا ان العبد المؤمن حين يبعثه الله تعالى من قبره يتلقاه الملك الاذان كانا معه في الدنيا فبقولان له لا تخف ولا تحزن (وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) قال فيؤمن الله تعالى خوفه ويقر عينه فما عظيمة يخشى الناس يوم القيامة إلا هي للمؤمن قرة عين لما هداه الله تبارك وتعالى ولما كان يعمل في الدنيا وقال زيد بن أسلم يبشرونه عند موته وفي قبره وحين يبعث . رواه ابن أبي حاتم ، وهذا القول يجمع الاقوال كلها وهو حسن جداً وهو الواقع

وقوله تبارك وتعالى (نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة) أي تقول الملائكة المؤمنين عند الاحتضار نحن كنا أولياؤكم أي قرناؤكم في الحياة الدنيا نسددكم ونوفقكم ونحفظكم بأمر الله وكذلك نكون معكم في الآخرة نؤنس منكم الوحشة في القبور وعند النفخة في الصور ونؤمنكم يوم البعث والنشور ونجاوز بكم الصراط المستقيم ونوصلكم الى جنات النعيم (ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم) أي في الجنة من جميع ما يختارون مما تشتهي النفوس وتقر به العيون (ولكم فيها ما تدعون) أي مهما طلبتم وجدتم وحضر بين أيديكم كما اخترتم (زلاً من غفور رحيم) أي ضيافة وعطاء وانعاماً من غفور لذنوبكم رحيم بكم رؤف حيث غفر وستر ورحم ولطف .

قوله عز وجل ﴿ تنزل عليهم الملائكة ﴾ قال ابن عباس عند الموت ، وقال قتادة ومقاتل اذا قاموا من قبورهم ، قال وكيع بن الجراح البصري تكون في ثلاث مواطن عند الموت وفي القبر وعند البعث ﴿ أن لا تخافوا ﴾ من الموت قال مجاهد لا تخافوا على ما تقدمون عليه من أمر الآخرة ﴿ ولا تحزنوا ﴾ على ما خلفتم من أهل وولد فانا نخلفكم في ذلك كله وقال عطاء بن أبي رباح لا تخافوا ولا تحزنوا على ذنوبكم فاني أغفرها لكم ﴿ وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ﴾ نحن أولياؤكم ﴿ تقول لهم الملائكة الذين تنزل عليهم بالبشارة نحن أولياؤكم وأنصاركم وأحباءكم ﴾ في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴿ أي في الدنيا والآخرة وقال السدي تقول الملائكة نحن الحفظة الذين كنا معكم في الدنيا ونحن

وقد ذكر ابن أبي حاتم هنا حديث سوق الجنة عند قوله تعالى (ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم) فقال حدثنا أبي ثنا هشام بن عمار ثنا عبد الحميد بن حبيب ابن أبي العشرين أبو سعيد حدثنا الأوزاعي حدثني حسان بن عطية عن سعيد بن المسيب انه لقي أبا هريرة رضي الله عنه قال أبو هريرة رضي الله عنه أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة فقال سعيد أوفيهما سوق؟ فقال نعم أخبرني رسول الله ﷺ أن أهل الجنة إذا دخلوا فيها نزلوا بفضل أعمالهم فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون الله عز وجل ويبرز لهم عرشه ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة ويوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من ياقوت ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ويجلس أدناهم وما فيهم ذني على كنان المسك والكافور ما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلسا . قال أبو هريرة رضي الله عنه قلت يا رسول الله وهل نرى ربنا قال ﷺ «نعم» هل نمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر؟ قلنا لا : قال ﷺ «فكذلك لا نمارون في رؤية ربكم تعالى ولا يبقى في ذلك المجلس أحد الا حاضره الله محاضرة حتى انه ليقول للرجل منهم يا فلان ابن فلان أتذكر يوم علمت كذا وكذا يذكركه ببعض غدراته في الدنيا . فيقول أي رب أفلم تغفر لي فيقول بلى» فبسة مغفرتي بلغت منزلتك هذه . قال - فبينما هم على ذلك غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه شيئا قط . قال - ثم يقول ربنا عز وجل قوموا الى ما أعددت لكم من الكرامة وخذوا ما اشتهيتم » قال فتأتي سوقا قد حفت به الملائكة فيها ما لم تنظر العيون إلى مثله ولم نسمع الاذان ولم يحظر على القلوب قال فيحمل لنا ما اشتهيتم ليس يباع فيه شيء ولا يشتري وفي ذلك السوق يلتقي أهل الجنة بعضهم بعضا . قال فيقبل الرجل ذو المنزل الرفيعة فيلقى من هو دونه وما فيهم ذني فيروعه ما يرى عليه من اللباس فما ينتفضي آخر حديثه حتى يتمثل عليه أحسن منه وذلك لانه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها ثم تنصرف الى منازلنا فيتلقانا أزواجنا فيقبلن مرحبا وأهلا بحبيبتنا لقد جئت وان بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه فيقول لها جالسا اليوم ربنا الجبار تبارك وتعالى وبحقنا أن نغلب بئيل ما اتقلبتا به . وقد رواه الترمذي في صفة الجنة من جامعه عن محمد بن اسماعيل عن هشام ابن عمار ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار به نحوه . ثم قال الترمذي هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه

وقال الامام احمد حدثنا ابن أبي عدي عن حميد عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «من أحب لقاء الله أحب لقاء الله ومن كره لقاء الله كره لقاءه» قلنا يا رسول الله كلنا نكره الموت قال ﷺ «ليس ذلك كراهية الموت ولكن المؤمن اذا حضر جاءه البشير من الله تعالى بما هو

أوليائكم في الآخرة يقولون لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة » ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم » من الكرامات والذات » ولكم فيها » في الجنة » ما تدعون » تمنون » نزلا » رزقا » من غفور رحيم »

صائر إليه فليس ذلك أحب إليه من أن يكون قد لقي الله تعالى فأحب الله لقاءه قال وإن الفاجر أو الكافر إذا حضر جاء بما هو صائر إليه من الشر أو ما يلقي من الشر فكره لقاء الله فكره الله لقاءه « وهذا حديث صحيح وقد ورد في الصحيح من غير هذا الوجه

ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين (٣٣) ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم (٣٤) وما يلحقها إلا الذين صبروا وما يلحقها إلا ذو حظ عظيم (٣٥) وأما ينزغناك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم (٣٦)

يقول عز وجل (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله) أي دعا عباد الله إليه (وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين) أي وهو في نفسه مهتد بما يقوله فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومتعبد وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه وينهون عن المنكر ويأتونه بل يأمر بالخير وينكر الشر ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى وهذه عامة في كل من دعا إلى خير وهو في نفسه مهتد ورسول الله ﷺ أولى الناس بذلك كما قال محمد بن سيرين والسدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وقيل المراد بها المؤذنون الصالحاء كما ثبت في صحيح مسلم « المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة » وفي السنن مرفوعاً « الامام ضامن والمؤذن مؤتمن فأرشد الله الأئمة وغفر للمؤذنين »

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن عروة المروزي حدثنا غسان قاضي هراة وقال أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن سهمان عن مطر عن الحسن بن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال « سهام المؤذنين عند الله تعالى يوم القيامة كسهام المجاهدين وهو بين الأذان والإقامة كالمنشط في سبيل

قوله عز وجل (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله) إلى طاعته (وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين) قال ابن سيرين والسدي هو رسول الله ﷺ دعا إلى شهادة أن لا إله إلا الله وقال الحسن هو المؤمن الذي أجاب الله في دعوته ودعا الناس إلى ما أجاب إليه وعمل صالحاً في إجابته وقال إنني من المسلمين وقالت عائشة أرى هذه الآية نزلت في المؤذنين وقال عكرمة هو المؤذن وقال أبو امامة الباهلي وعمل صالحاً صلى ركعتين بين الأذان والإقامة وقال قيس بن أبي حازم هو الصلاة بين الأذان والإقامة أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن العباس الحميدي أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ ثنا أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن أيوب الطوسي ثنا أبو يحيى بن أبي ميسرة ثنا عبد الله بن يزيد المقرئ ثنا كهمش بن الحسن بن عبد الله بن بريدة عن عبد الله بن مغفل قال : قال رسول الله ﷺ « بين كل أذانين صلاة ثلاث مرات - ثم قال في الثالثة - لمن شاء »

الله تعالى في دمه قال وقال ابن مسعود رضي الله عنه لو كنت مؤذنا ما باليت أن لأحجج ولا أعتمر ولا أجاهد قال وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو كنت مؤذنا لكل أمري وما باليت أن لا أنتصب لقيام الليل ولا أصيام النهار سمعت رسول الله ﷺ يقول اللهم اغفر للمؤذنين ثلاثا « فقلت يا رسول الله تركتنا ونحن نجتد على الاذان بالسيوف قال ﷺ « كلا يا عمر انه سيأتي على الناس زمان يتركون الاذان على ضعفائهم وتلك لحوم حرمها الله عز وجل على النار لحوم المؤذنين » قال وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها ولهم هذه الآية (ومن أحسن قولاً ممن دعى الى الله وعمل صالحاً وقال انني من المسلمين) قالت فهو المؤذن اذا قال حي على الصلاة فقد دعا الى الله وهكذا قال ابن عمر رضي الله عنهما وعكرمة انها نزلت في المؤذنين

وقد ذكر البغوي عن أبي امامة الباهلي رضي الله عنه أنه قال في قوله عز وجل وعمل صالحاً يعني صلاة ركعتين بين الاذان والاقامة . ثم أورد البغوي حديث عبد الله بن المغفل رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « بين كل أذانين صلاة » ثم قال في الثالثة ان شاء « وقد أخرجه الجماعة في كتبهم من حديث عبد الله بن بريدة عنه وحديث الثوري عن زيد العمي عن أبي إياس معاوية بن قررة عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال الثوري لا أراه الا قد رفعه الى النبي ﷺ « الدعاء لا يرد بين الاذان والاقامة » ورواه أبو داود والترمذي والنسائي في اليوم والليلة كلهم من حديث الثوري به وقال الترمذي هذا حديث حسن ، ورواه النسائي أيضاً من حديث سليمان التيمي عن قتادة عن أنس به ، والصحيح ان الآية عامة في المؤذنين وفي غيرهم فاما حال نزول هذه الآية فانه لم يكن الاذان مشروعاً بالكلية لانها مكية والاذان انما شرع بالمدينة بعد الهجرة حين أربه عبد الله بن زيد بن عبد ربه الانصاري رضي الله عنه في منامه فقصه على رسول الله ﷺ فأمره أن يلقيه على الالارض رضي الله عنه فانه أندى صوتاً كما هو مقرر في موضعه

فالصحيح إذن انها عامة كما قال عبد الرزاق عن معمر عن الحسن البصري انه تلا هذه الآية (ومن أحسن قولاً ممن دعا الى الله وعمل صالحاً وقال انني من المسلمين) فقال هذا حبيب الله هذا ولي الله هذا صفوة الله هذا خيرة الله هذا أحب أهل الارض الى الله أجاب الله في دعوته ودعا الناس الى ما أجاب الله فيه من دعوته وعمل صالحاً في اجابته وقال انني من المسلمين هذا خليفة الله وقوله تعالى (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة) أي فرق عظيم بين هذه وهذه (ادفع بالتى هي

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني ثنا أبو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا محمد بن يوسف ثنا سفيان عن زيد العمي عن أبي إياس معاوية بن قررة عن أنس بن مالك قال سفيان لا اعلمه إلا وقد رفعه الى النبي ﷺ قال « لا يرد الدعاء بين الاذان والاقامة » قوله عز وجل (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة) قال الفراء لا هنا صلة معناه ولا تستوي الحسنة

أحسن) أي من أساء اليك فادفعه عنك بالاحسان اليه كما قال عمر رضي الله عنه : ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه .

وقوله عز وجل (فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) وهو الصديق أي إذا أحسنت الى من أساء اليك فادنه تلك الحسنة اليه الى مصافاتك ومحبتك والحنو عليك حتى يصير كأنه ولي لك حميم أي قريب اليك من الشفقة عليك والاحسان اليك ثم قال عز وجل (وما يلقاها إلا الذين صبروا) أي وما يقبل هذه الوصية ويعمل بها إلا من صبر على ذلك فإنه يشق على النفوس (وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) أي ذو نصيب وافر من السعادة في الدنيا والآخرة ، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير هذه الآية : أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم .

وقوله تعالى [وإما ينزغتك من الشيطان نزع فاستعذ بالله] أي ان شيطان الانس ربما ينخدع بالاحسان اليه فأما شيطان الجن فإنه لا حيلة فيه اذا وسوس إلا الاستعاذة بخاتمه الذي سلطه عليك فإذا استعذت بالله والتجأت اليه كفنه عنك ورد كيده ، وقد كان رسول الله ﷺ اذا قام الى الصلاة يقول « أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه » وقد قدمنا ان هذا المقام لا نظير له في القرآن إلا في سورة الاعراف عند قوله تعالى [خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين] فاما ينزغتك من الشيطان نزع فاستعذ بالله أنه سميع عليم [وفي سورة المؤمنين عند قوله [ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون] وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين * وأعوذ بك رب أن يحضرون]

ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا

والسيئة يعني الصبر والغضب والحلم والجهل والعفو والاساءة (ادفع بالتي هي أحسن) قال ابن عباس أمر بالصبر عند الغضب ، وبالحلم عند الجهل ، وبالعفو عند الاساءة (فإذا الذي بينك وبينه عداوة) يعني اذا فعلت ذلك خضع لك عدوك وصار الذي بينك وبينه عداوة (كأنه ولي حميم) كالصديق والقريب قال مقاتل بن حيان نزلت في أبي سفيان بن حرب وذلك انه لان للمسلمين بعد شدة عداوته بالمصاهرة التي حصلت بينه وبين النبي ﷺ ثم أسلم وصار وليا بالاسلام حميما بالقرابة (وما يلقاها) ما يلقى هذه الحصلة وهي دفع السيئة بالحسنة (إلا الذين صبروا) على كظم الغيظ واحتمال المكروه (وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) في الخير والثواب وقال قتادة الحظ العظيم الجنة أي ما يلقاها إلا من وجبت له الجنة (وإما ينزغتك من الشيطان نزع فاستعذ بالله إنه هو السميع) لاستعاذتك وأقوالك (العليم) بأفعالك وأحوالك

قوله (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن)

لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون (٣٧) فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسثمون (٣٨) ومن آيته أنك ترى الارض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت، إن الذي أحياها لمحي الموتى انه على كل شيء قدير (٣٩)

يقول تعالى منها خلقه على قدرته العظيمة وأنه الذي لا نظير له وأنه على ما يشاء قادر (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر) أي انه خلق الليل بظلامه والنهار بضياءه وهما متعاقبان لا يفتران ، والشمس ونورها وإشراقها والقمر وضياءه وتقدير منازلها في فلكه واختلاف سيره في سمائه يعرف باختلاف سيره وسير الشمس مقادير الليل والنهار والجمع والشهور والاعوام ، ويتبين بذلك حلول الحقوق وأوقات العبادات والمعاملات

ثم لما كان الشمس والقمر أحسن الاجرام المشاهدة في العالم العلوي والسفلي نبه تعالى على أنها مخلوقان عبدان من عبده تحت قهره وتسخيره فقال [لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون] أي ولا تشركوا به فما تنفعكم عبادتكم له مع عبادتكم لغيره فانه لا يفتر أن يشرك به ولهذا قال تعالى [فان استكبروا] أي عن أفراد العبادة له وأبوا إلا أن يشركوا معه غيره (فالذين عند ربك) يعني الملائكة (يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون) كقوله عز وجل (فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين)

وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا سفيان يعني ابن وكيع حدثنا أبي عن ابن أبي ليلى عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « لا تسبوا الليل ولا النهار ولا الشمس ولا القمر ولا الرياح فانها ترسل رحمة لقوم وعذابا لقوم »

وقوله (ومن آياته) أي على قدرته على إعادة الموتى (أنك ترى الارض خاشعة) أي هامة الانبات فيها بل هي ميتة (فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت) أي اخرجت من جميع ألوان الزرع والثمار (ان الذي احياها لمحي الموتى انه على كل شيء قدير)

إن الذين يسجدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمناً يوم

إنما قال خلقهن بالتأنيث لانه اجراها على طريق جمع التكسير ولم يجرها على طريق التثنية المذكور على المؤنث (ان كنتم اياه تعبدون * فان استكبروا) عن السجود (فالذين عند ربك) يعني الملائكة يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون (لا يملون ولا يفترون) (ومن آياته) دلائل قدرته (أنك ترى الارض خاشعة) يابسة غيراء لانبات فيها (فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت) إن الذي احياها لمحي الموتى إنه على كل شيء قدير * ان الذين يلحدون في آياتنا (يملون عن الحق في أدانتنا

القيمة ؟ اعمالوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير (٤٠) ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه
لكتب عزيز (٤١) لا يأتيه البطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد (٤٢) ما يقال
لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم (٤٣)

قوله تبارك وتعالى (ان الذين يلحدون في آياتنا) قال ابن عباس : الاحاد وضع الكلام على غير
مواضعه . وقال قتادة وغيره هو الكفر والعناد ، وقوله عز وجل [لا يخفون علينا] فيه تهديد شديد
ووعيد أكيد اي انه تعالى عالم بمن يلحد في آياته وأمانه وصفاته وسيعجزبه على ذلك بالعقوبة والنكال
ولهذا قال تعالى (أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة ؟) أي أيستوي هذا وهذا ؟
لا يستويان . ثم قال عز وجل تهديدا للكفرة (اعمالوا ما شئتم) قال مجاهد والضحاك وعطاء الخراساني
(اعمالوا ما شئتم) وعيد أي من خير أو شر انه عالم بكم وبصير بأعمالكم ولهذا قال (انه بما تعملون بصير)
ثم قال جل جلاله [ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم] قال الضحاك والسدي و قتادة وهو القرآن
(وانه لكتاب عزيز) أي منيع الجنب لا يرام أن يأتي أحد بمثله (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه) أي ليس للبطلان اليه سبيل لأنه منزل من رب العالمين ولهذا قال (تنزيل من حكيم حميد)
أي حكيم في أقواله وأفعاله حميد بمعنى محمود أي في جميع ما يأمر به وينهى عنه الجميع محمود عواقبه
وغاياته . ثم قال عز وجل [ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك] قال قتادة والسدي وغيرهما

قال مجاهد يلحدون في آياتنا بالمسك ، والتصدي واللفو واللفظ قال قتادة يكذبون في آياتنا قال السدي
يعاندون ويشاقون قال مقاتل نزلت في أبي جهل (لا يخفون علينا أفن يلقى في النار) وهو أبو جهل
(خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة) قيل هو حمزة وقيل عثمان وقيل عمار بن ياسر (اعمالوا ما شئتم)
أمر تهديد ووعيد (انه بما تعملون بصير) عالم فيجازيكم به (ان الذين كفروا بالذكر) بالقرآن
(لما جاءهم) ثم أخذ في وصف الذكر وترك جواب ان الذين كفروا على تقدير ان الذين كفروا
بالذكر يجازون بكفرهم وقيل خبره قوله من بعد (أولئك ينادون من مكان بعيد) (وإنه لكتاب
عزيز) قال الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما كرم على الله ، قال قتادة أعزه الله عز
وجل فلا يجد الباطل اليه سبيلا وهو قوله (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) قال قتادة
والسدي الباطل هو الشيطان لا يستطيع أن يغيره أو يزيد فيه أو ينقص منه ، قال الزجاج معناه انه
محفوظ من أن ينقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه أو يزداد فيه فيأتيه الباطل من خلفه ، وعلى هذا
معنى الباطل الزيادة والنقصان ، وقال مقاتل لا يأتيه التكذيب من الكتب التي قبله ولا يجي من
بعده كتاب فيبطله (تنزيل من حكيم حميد) ثم عزى نبيه ﷺ على تكذيبهم فقال (ما يقال لك)

ما يقال لك من التكذيب إلا كما قد قيل لرسول من قبلك فكما كذبت كذبوا وكما صبروا على أذى قومهم لم قاصبر أنت على أذى قومك لك . وهذا اختيار ابن جرير ولم يحك هو ولا ابن أبي حاتم غيره
وقوله تعالى (إن ربك لذو مغفرة) أي لمن تاب إليه (وذو عقاب أليم) أي لمن استمر على كفره وطفقائه وعناده وشفاقه ومخالفته

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا حماد عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال نزلت هذه الآية [إن ربك لذو مغفرة] قال رسول الله ﷺ « لولا عفو الله وتجاوزه ما هنا أحد العيش ، ولولا وعيده وعقابه لا تأكل كل أحد »

ولو جعلته قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقرء وهو عليهم عى أولئك ينادون من مكان بعيد (٤٤) ولقد آتينا موسى الكتب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم لقي شك منه مريب (٤٥)

لما ذكر تعالى القرآن وفصاحته وبلاغته وأحكامه في لفظه ومعناه ومع هذا لم يؤمن به المشركون نبه على أن كفرهم به كفر عناد ونعت كما قال عز وجل [ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأ عليهم ما كانوا به مؤمنين] وكذلك لو أنزل القرآن كله بلغة العجم لقالوا على وجه النعت والعناد (لولا فصلت آياته أعجمي وعربي) أي لقالوا هلا أنزل مفصلا بلغة العرب ولأنكروا ذلك فقالوا أعجمي وعربي أي كيف ينزل كلام أعجمي على مخاطب عربي لا يفهمه هكذا روي هذا المعنى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والسدي وغيرهم ، وقبل المراد بقولهم (لولا فصلت آياته أعجمي وعربي) أي هل أنزل بعضها بالأعجمي وبعضها بالعربي هذا قول الحسن البصري وكان يقرؤها كذلك بلا استفهام في قوله أعجمي وهو رواية عن سعيد بن جبير وهو في النعت والعناد أبلغ

من الأذى (إلا ما قد قيل لرسول من قبلك) يقول أنه قد قيل للأنبياء والرسل قبلك ساحر كما يقال لك وكذبوا كما كذبت (إن ربك لذو مغفرة) لمن تاب وآمن بك (وذو عقاب أليم) لمن أصر على التكذيب (ولو جعلناه) أي جعلنا هذا الكتاب الذي تقرأه على الناس (قرآنا أعجميا) بغير لغة العرب (لقالوا لولا فصلت آياته) هلا بينت آياته بالعربية حتى نفهمها (أعجمي وعربي) يعني أكتاب أعجمي ورسول عربي وهذا استفهام على وجه الإنكار أي أنهم كانوا يقولون المنزل عليه عربي والمنزل أعجمي ، قال مقاتل وذلك أن رسول الله ﷺ كان يدخل على يسار غلام عامر بن الحضرمي وكان يهوديا أعجميا يكنى أبا فكيهة فقال المشركون إنما يعلمه يسار فضربه سيده وقال انك تعلم محمدا

ثم قال عز وجل (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء) أي قل يا محمد هذا القرآن لمن آمن به هدى لقلبه وشفاء لما في الصدور من الشكوك والريب (والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر) أي لا يفهمون ما فيه (وهو عليهم عى) أي لا يهتدون إلى ما فيه من البيان كما قال سبحانه وتعالى [ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً] (أولئك ينادون من مكان بعيد) قال مجاهد يعني بعيد من قلوبهم

قال ابن جرير معناه كأن من مخاطبتهم يناديهم من مكان بعيد لا يفهمون ما يقول ، قلت وهذا كقوله تعالى [ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء سم بهم عى فهم لا يعقلون] وقال الضحاك ينادون يوم القيامة بأسمائهم

وقال السدي كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه جالسا عند رجل من المسلمين يقضي إذ قال يالبيكاه فقال له عمر رضي الله عنه لم تلي ؟ هل رأيت أحدا أو دعاك أحد ؟ فقال دعاني داع من وراء البحر فقال عمر رضي الله عنه [أولئك ينادون من مكان بعيد] رواه ابن أبي حاتم .

وقوله تبارك وتعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) أي كذب وأوذى فاصبر كاصبر أولو العزم من الرسل (ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى) بتأخير الحساب إلى يوم المعاد [لقضي بينهم] أي اعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موثلا (وانهم لفي شك منه مريب) أي وما كان تكذيبهم له عن بصيرة منهم لما قالوا بل كانوا شاكين فيما قالوه غير محققين لشيء كانوا فيه . هكذا وجه ابن جرير وهو محتمل والله أعلم

من عمل صلحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلم للعبيد (٤٦) إليه يُرَد علم الساعة

وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه ، ويوم يناديهم

فقال يسار هو يعلمني فأنزل الله تعالى هذه الآية (قل) يا محمد (هو) يعني القرآن (للذين آمنوا هدى وشفاء) هدى من الضلالة وشفاء لما في القلوب ، وقيل شفاء من الاوجاع (والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عى) قال قتادة عموا عن القرآن وصموا عنه فلا ينفعون به (أولئك ينادون من مكان بعيد) أي أنهم لا يسمعون ولا يفهمون كما أن من دعي من مكان بعيد لم يسمع ولم يفهم وهذا مثل لقلة انتفاعهم بما يوعظون به كأنهم ينادون من حيث لا يسمعون (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) فصدق ومكذب كما اختلف قومك في كتابك (ولولا كلمة سبقت من ربك) في تأخير العذاب عن المكذبين بالقرآن (لقضي بينهم) لفرغ من عذابهم وعجل اهلاكم (وانهم لفي شك منه) من صدقت (مريب) موقع لهم الريبة (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها

أين شركائي قالوا آذنتك مامننا من شهيد (٤٧) وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا

ما لهم من تحييص (٤٨)

يقول تعالى [من عمل صالحا فلنفسه] أي إنما يعود نفع ذلك على نفسه [ومن أساء فعليها] أي إنما يرجع وبال ذلك عليه (وما ربك بظلام للعبيد) أي لا يعاقب أحدا إلا بذنبه ولا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه وإرسال الرسول إليه ثم قال جل وعلا [إليه يرد علم الساعة] أي لا يعلم ذلك أحد سواه كما قال محمد صلى الله عليه وسلم وهو سيد البشر لجبريل عليه الصلاة والسلام وهو من سادات الملائكة حين سأله عن الساعة فقال « ما المسؤول عنها بأعلم من السائل » ، وكما قال عز وجل [إلى ربك منتهاها] وقال جل جلاله [لا يجيبها لوقتها إلا هو]

وقوله تبارك وتعالى (وما نخرج من ثمرات من أكمامها وما نحمل من ثقل ولا تضع إلا بعلمه) أي الجميع بعلمه لا يعزب عن علمه منقال ذرة في الأرض ولا في السماء وقد قال سبحانه وتعالى [وما تسقط من ورقة إلا بعلمه] وقال جلّت عظمتهم [يعلم ما نحمل كل ثقل وما تغيب الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار] وقال تعالى : وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير . وقوله جل وعلا [ويوم يناديهم أين شركائي ؟] أي يوم القيامة ينادي الله المشركين « ما ربك بظلام للعبيد » . وكفى بالله بديلا . [قل لا آتاكم الله بآية إلا كنتم في شك بآية الله وآياته] أي ليس أحد منا يشهد اليوم أن معك شريكا [وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل] أي ذهبوا فلم ينفعهم [وظنوا ما لهم من محييص] أي وظن المشركون يوم القيامة وهذا بمعنى اليقين [ما لهم من محييص] أي لا محييص لهم عن عذاب الله كقوله تعالى [ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا]

لا يسأم الإنسان من دعاء الخير وإن مسه الشر فيئوس قنوط (٤٩) ولئن أذقناه

وما ربك بظلام للعبيد ، إليه يرد علم الساعة) أي علمها إذا سئل عنها مردود إليه لا يعلمه غيره (وما نخرج من ثمرات من أكمامها) قرأ أهل المدينة والشام وحفص ثمرات على الجمع ، وقرأ الآخرون ثمرة على التوحيد (من أكمامها) أوعيتها واحدها كم ، قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني الكفري قبل أن تنشق (وما نحمل من ثقل ولا تضع إلا بعلمه) إلا بأذنه ، يقول يرد إليه علم الساعة كما يرد إليه علم الثمار والنتاج (ويوم يناديهم) ينادي الله المشركين (أين شركائي) الذين كنتم ترعون أنها آلهة (قالوا) يعني المشركين (آذنتك) أعلمناك (مامننا من شهيد) أي من شاهد بأن لك شريكا لما عاينوا العذاب تبرهوا من الأصنام (وضل عنهم ما كانوا يدعون) يعبدون (من قبل) في الدنيا (وظنوا) أيقنوا (ما لهم من محييص) مهرب (لا يسأم الإنسان) لا يمل الكافر (من دعاء الخير)

رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقو أن هذا لي وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعنا إلى ربي

إن لي عنده للحسنى ، فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ (٥٠)

واذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر فذود دعاء عريض (٥١)

يقول تعالى لا يمل الإنسان من دعا. ربه بالخير وهو المال وصحة الجسم وغير ذلك وإن مسه الشر وهو البلاء أو الفقر [فيؤس قنوط] أي يقع في ذهنه أنه لا يتبأ له بعد هذا خير [ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقو أن هذا لي] أي إذا أصابه خير ورزق بعد ما كان في شدة ليقولن هذا لي إني كنت استحقته عند ربي [وما أظن الساعة قائمة] أي يكفر بقيام الساعة أي لاجل أنه خول نعمة يبطر ويفخر ويكفر كما قال تعالى [كلا إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى] [ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى] أي وإن كان ثم معاد فليحسن إلي كما أحسن إلي في هذه الدار يتمنى على الله عز وجل مع أساءته العمل وعدم اليقين قال الله تبارك وتعالى [فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ] يهدد تعالى من كان هذا عمله واعتقاده بالعقاب والنكال ثم قال تعالى [وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه] أي أعرض عن الطاعة واستكبر عن الانقياد لاوامر الله عز وجل كقوله جل جلاله [فتولى بركنه] وإذا مسه الشر [أي الشدة] فذود دعاء عريض [أي يطيل المسئلة في الشيء الواحد ، فالكلام العريض ماطال لفظه وهل معناه والوجيز عكسه وهو ماقل ودل وقد قال تعالى [وإذا مس الإنسان الضر دعانا لنجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضره] الآية

قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد (٥٢) سنبرهم

أي لا يزال يسأل ربه الخير يعني المال والغنى والصحة (وإن مسه الشر) الشدة والفقر (فيؤس) من روح الله (قنوط) من رحمة (ولئن أذقناه رحمة منا) آتيناها خيراً وعافية وغنى (من بعد ضراء مسته) من بعد شدة وبلاء أصابته (ليقولن هذا لي) أي بعلمي وأنا محبوب بهذا (وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى) يقول هذا الكافر لست على يقين من البعث فإن كان الأمر على ذلك ورددت إلى ربي إن لي عنده للحسنى أي الجنة كما أعطاني في الدنيا سيعطيني في الآخرة (فلننبئن الذين كفروا بما عملوا) قال ابن عباس رضي الله عنهما لنقضهم على ما أوي أعمالهم (ولنذيقنهم من عذاب غليظ * وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر فذود دعاء عريض) كثير والعرب تستعمل الطول والعرض في الكثرة يقال أطال فلان الكلام والدعاء وأعرض أي أكثر (قل أرأيتم إن كان) هذا القرآن (من عند الله ثم كفرتم به من أضل)

آيَاتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شيء

شاهد ؟ (٥٣) ألا إنهم في مِرْية من لقاء ربهم ألا إنه بكل شيء محيط (٥٤)

يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بالقرآن أرايتم ان كان هذا القرآن من عند الله ثم كفرتم به ؟ أي كيف ترون حالكم عند الذي انزله على رسوله ولهذا قال عز وجل [من أضل ممن هو في شقاق بعيد؟] أي في كفر وعناد ومشاقة للحق ومساك بعيد من الهدى ثم قال جل جلاله [سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم] أي سنظهر لهم دلائلنا وحججنا على كون القرآن حقاً منزلاً من عند الله على رسول الله ﷺ بدلائل خارجية [في الآفاق] من الفتوحات وظهور الاسلام على الاقاليم وسائر الاديان قال مجاهد والحسن والسدي ودلائل في أنفسهم قالوا وقعة بدر وفتح مكة ونحو ذلك من الوقائع التي حلت بهم نصر الله فيها محمداً ﷺ وصحبه وخذل فيها الباطل وحزبه ويحتمل أن يكون المراد من ذلك ما الانسان مركب منه وفيه وعليه من المواد والاخلاط والهيآت العجيبة كما هو مبسوط في علم التشریح الدال على حكمة الصانع تبارك وتعالى وكذلك ما هو محبوب عليه من الاخلاق المتباعدة من حسن وقبح وغير ذلك وما هو متصرف فيه تحت الاقدار التي لا يقدر بحوله وقوته وحيله وحذره أن يهزمها ولا يتعدها كما أنشده ابن أبي الدنيا في كتابه التفكير والاعتبار عن شيخه أبي جعفر القرشي حيث قال وأحسن المقال

واذا نظرت تريد معتبراً	فانظر اليك ففك معتبر
أنت الذي تسمي وتصبح في	الدنيا وكل اموره عبر
أنت المصروف كان في صغر	ثم استقل بشخصك الكبير
أنت الذي تنعاه خلقتة	ينعاه منه الشعر والبشر
أنت الذي تعطي وتسلب لا	ينجيه من أن يسلب الحذر
أنت الذي لا شيء منه له	وأحق منه بما له القدر

وقوله تعالى [حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد] أي كفي بالله

من هو في شقاق بعيد) خلاف الحق بعيد عنه أي فلا أحد أضل منكم (سنريهم آياتنا في الآفاق) قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني منازل الأمم الخالية (وفي أنفسهم) بالبلاء والامراض ، وقال قتادة في الآفاق يعني وقائم الله في الامم وفي أنفسهم يوم بدر ، وقال مجاهد والحسن والسدي والكلبي (في الآفاق) ما يفتح من القرى على محمد ﷺ والمسلمين (وفي أنفسهم) فتح مكة (حتى يتبين لهم أنه الحق) يعني دين الاسلام وقبل القرآن يتبين لهم أنه من عند الله وقيل محمد ﷺ يتبين لهم أنه مؤيد من قبل الله تعالى ، وقال عطاء وابن زيد (في الآفاق) يعني أقطار السماء

شهدا على افعال عباده واقوالهم وهو يشهد أن محمدا ﷺ صادق فيما اخبر به عنه كما قال [لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه] الآية

وقوله تعالى ألا انهم في مرية من لقاء ربهم أي في شك من قيام الساعة ولهذا لا يتفكرون فيه ولا يعملون له ولا يحذرون منه بل هو عندهم هدر لا يعبثون به وهو كائن لا محالة وواقع لا ريب فيه قال ابن أبي الدنيا حدثنا أحمد بن ابراهيم حدثنا خلف بن تميم حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا ابن سعيد الانصاري قال: ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه سعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد أيها الناس فاني لم أجمعكم لأمر أحدثه فيكم ، ولكن فكرت في هذا الامر الذي أنتم اليه صائرون فعلمت أن المصدق بهذا الامر أحق والمكذب به هالك ، ثم نزل . ومعنى قوله رضي الله عنه أن المصدق به أحق أي لانه لا يعمل له عمل مثله ولا يحذر منه ولا يخاف من هوله وهو مع ذلك مصدق به موقن بوقوعه وهو مع ذلك ينادى في لعبه وغفلته وشهوته وذنوبه فهو أحق بهذا الاعتبار والاحق في الالة ضعيف العقل ، وقوله والمكذب به هالك هذا واضح والله أعلم

ثم قال تعالى مقررأ أنه على كل شيء قدير وبكل شيء محيط وإقامة الساعة لديه يسير سهل عليه تبارك وتعالى (ألا انه بكل شيء محيط) أي المخلوقات كلها تحت قهره وفي قبضته وتحت طي علمه وهو المتصرف فيها كلها بحكمه فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا إله الا هو

﴿ آخر تفسير سورة حم السجدة والله الحمد والمنة ﴾

والارض من الشمس والقمر والنجوم والنبات والاشجار والأنهار (وفي أنفسهم) من لطيف الصنعة وبديع الحكمة حتى يتبين لهم أنه الحق ﴿ أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ؟ ﴾ قال مقاتل : أولم يكف بربك شاهدا ان القرآن من الله قال الزجاج معنى الكفاية ههنا أن الله عز وجل قد بين من الدلائل ما فيه كفاية يعنى أولم يكف بربك لانه على كل شيء شهيد شاهد لا يغيب عنه شيء . ﴿ ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم ﴾ في شك من البعث ﴿ ألا انه بكل شيء محيط ﴾ أحاط بكل شيء علما



تفسير سورة الشورى وهى مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم (١) عسق (٢) كذلك يوحي اليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم (٣)

له ما فى السموات وما فى الارض وهو العلي العظيم (٤) تكاد السموات يتفطرن من فوقهن

والمسكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الارض إلا إن الله هو الغفور الرحيم (٥)

والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل (٦)

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة . وقد روى ابن جرير ههنا أثراً غريباً عجيباً منكراً فقال أخبرنا أحمد بن زهير حدثنا عبد الوهاب بن نجدة الحوطي حدثنا أبو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج عن ارمطة بن المنذر قال : جاء رجل إلى ابن عباس رضي الله عنهما فقال له وعنده حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه أخبرني عن تفسير قول الله تعالى (حم عسق) قال فأطرق ثم أعرض عنه ثم كرر مقالته فأعرض عنه فلم يجبه بشي . وكره مقاتله ، ثم كررها الثالثة فلم يجبه شيئاً فقال له حذيفة رضي الله عنه أنا أنبتك بها قد عرفت لم كررها نزلت في رجل من أهل بيته يقال له عبد الله وعبد الله ينزل على نهر من أنهار المشرق بنى عليه مدينتان يشق النهر بينهما شفا فإذا أذن الله تبارك وتعالى في زوال ملكهم وانقطاع دولتهم ومدنهم بعث الله عز وجل على إحداها ناراً ليلاً فتصبح سوداء مظلمة وقد احترقت كأنها لم تكن مكانها وتصبح صاحبها منهجبة كيف أفلتت؟ فما هو إلا بياض يومها ذلك حتى يجتمع فيها كل جبار عنيد منهم ثم يخسف الله بها وبهم جميعاً فذلك قوله تعالى (حم عسق) يعني عزبة

﴿ سورة شورى مكية وهى ثلاث وخمسون آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(حم عسق) سئل الحسين بن الفضل لم قطع حم عسق ولم يقطع كيعص ؟ فقال لأنها سور أوائلها حم فحرت بحرفي نظائرهما فكان حم مبتدأ وعسق خبره . ولأنهما عدا آيتين وأخواتهما مثل كيعص والمص والمرعدت آية واحدة ، وقيل لأن أهل التأويل لم يختلفوا في كيعص وأخواتها أنها حروف النهجي لا غير . واختلفوا في حم فأخرجها بعضهم من حيز الحروف وجعلها فعلاً وقال معناها حم أي قضي ما هو كائن ، روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال ح حله م مجده ع علمه من سناؤه ق

من الله تعالى وفتنة وقضاء حم عين يعني عدلا منه سين يعني سيكون ق يعني واقع بهاتين المدينتين وأغرب منه مارواه الحافظ أبو يعلى الموصلي في الجزء الثاني من مسند ابن عباس رضي الله عنه عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ في ذلك ولكن اسناده ضعيف جدا ومنقطع فانه قال حدثنا أبو طالب عبد الجبار بن عاصم حدثنا أبو عبد الله الحسن بن يحيى الخشني الدمشقي عن أبي معاوية قال : سعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه المنبر فقال أيها الناس هل سمع منكم أحد رسول الله صلى الله عليه وسلم بفسر (حم عسق) فوثب ابن عباس رضي الله عنه فقال أنا ، قال حم اسم من أسماء الله تعالى ، قال فعين ؟ قال عابن المولون يوم بدر ، قال فسين ؟ قال سيملم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ، قال فحاف ؟ فسكت فقام أبو ذر ففسر كما قال ابن عباس رضي الله عنهما وقال قاف قارعة من السماء نفشي الناس

وقوله عز وجل (كذلك يوحى اليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم) أي كما أنزل إليك هذا القرآن كذلك أنزل الكتب والصحف على الانبياء قبلك ، وقوله تعالى (الله العزيز) أي في انتقامه (الحكيم) في أقواله وأفعاله

قال الامام مالك رحمه الله عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت ان الحارث ابن هشام سأل رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله ﷺ « أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال ، وأحيانا يأتيني الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول » قالت عائشة رضي الله عنها فلقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ﷺ ليتفصد عرقا . أخرجاه في الصحيحين ولفظه لابن خباري

وقد رواه الطبراني عن عبد الله بن الامام أحمد عن أبيه عن عامر بن صالح عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها عن الحارث بن هشام أنه سأل رسول الله ﷺ كيف ينزل عليك الوحي ؟ فقال ﷺ « في مثل صلصلة الجرس فيفصم عني وقد وعيت ما قال - وقال - وهو أشده علي » قال « وأحيانا يأتيني الملك فيتمثل لي فيكلمني فأعي ما يقول »

وقال الامام احمد حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن عمرو بن الوليد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : سألت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله هل تحس بالوحي ؟

قدرته أقسم الله بها . وقال شهر بن حوشب وعطاء بن أبي رباح : ح حرب بعز فيها الذليل وبذل فيها العزيز من قريش م ملك يتحول من قوم إلى قوم ع عدو لقريش يقصدهم س سبي يكون فيهم ق قدرة الله النافذة في خلقه ، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال ليس من نبي صاحب كتاب إلا وقد أوحيت إليه حم عسق فلذلك قال (كذلك يوحى اليك) وقرأ ابن كثير يوحى بفتح الحاء ووجته قوله أوحينا اليك (وإلى الذين من قبلك) وعلى هذه القراءة قوله (الله العزيز الحكيم) تبين

فقال رسول الله ﷺ « أسمع صلاحاً ثم أسكت عند ذلك فما من مرة يوحى إلي إلا ظننت أن نفسي تقبض » تفرد به أحمد ، وقد ذكرنا كيفية انبائ الوحي الى رسول الله ﷺ في اول شرح البخاري بما أغنى عن اعادته هنا والله الحمد والمنة . وقوله تبارك وتعالى (له ما في السموات وما في الارض) أي الجميع عبيد له وملك له تحت قهره وتصريفه (وهو العلي العظيم) كقوله تعالى (وهو الكبير المتعال — وهو العلي الكبير) والآيات في هذا كثيرة .

وقوله عز وجل (تكاد السموات يتفطرن من فوقهن) قال ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك وقتادة والسدي وكعب الاحبار أي فرقا من العظمة [والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض] كقوله جل وعلا (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما)

وقوله جل جلاله (ألا ان الله هو الغفور الرحيم) اعلام بذلك وتنويه به ، وقوله سبحانه وتعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء) يعني المشركين (الله حفيظ عليهم) أي شهيد على أعمالهم يحصيها ويعدها عداء ، وسيجزئهم بها أوفر الجزاء [وما أنت عليهم بوكيل] أي إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل

وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع

لأريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير (٧) ولو شاء الله لعلله أمة واحدة لا يركن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير (٨)

يقول تعالى وكأ أوحينا إلى الانبياء قبلك (أوحينا اليك قرآنا عربيا) أي واضحا جليا بينا (لتنذر أم القرى) وهي مكة (ومن حولها) أي من سائر البلاد شرقا وغربا ، وسميت مكة أم القرى لأنها

للماعل كأنه قيل من يوحى فقبل الله العزيز الحكيم ، وقرأ الآخرون يوحى بكسر الحاء اليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم

قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما يريد أخبار الغيب ﴿ له ما في السموات وما في الارض وهو العلي العظيم ﴾ تكاد السموات يتفطرن من فوقهن ﴿ أي كل واحدة منها تتفطر فوق التي تليها من قول المشركين اتخذ الله ولداً نظيره في سورة مريم (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئا إدا ﴾ تكاد السموات يتفطرن منه) ﴿ والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض ﴾ من المؤمنين ﴿ ألا ان الله هو الغفور الرحيم ﴾ والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم ﴿ يحفظ أعمالهم ويحصيها عليهم ليجازيهم بها ﴾ (وما أنت عليهم بوكيل) ﴿ لم يوكلك الله عليهم حتى تؤخذ بهم ﴾ (وكذلك) ﴿ مثل ما ذكرنا ﴾ (أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى) مكة يعني أهلها ﴿ ومن

أشرف من سائر البلاد لأدلة كثيرة مذكورة في مواضعها ، ومن أوجز ذلك وأدله ما قال الامام أحمد حدثنا ابو اليمان حدثنا شبيب عن الزهري حدثنا ابوسلمة بن عبد الرحمن قال : ان عبدالله بن عدي بن الحراء الزهري أخبره انه سمع رسول الله ﷺ يقول وهو واقف بالحزورة في سوق مكة « والله انك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلي ولولا أني أخرجت منك ماخرجت » هكذا رواية الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث الزهري به وقال الترمذي حسن صحيح

وقوله عز وجل (وتنذر يوم الجمع) وهو يوم القيامة يجمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد وقوله تعالى [لا رب فيه] أى لا شك في وقوعه وانه كائن لا محالة ، وقوله جل وعلا [فريق في الجنة وفريق في السعير] كقوله تعالى [يوم يجمعهم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن] أى يغيب أهل الجنة أهل النار ، ويقول عز وجل [إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود] وما يؤخره إلا لأجل معدود * يوم يأت لانكلم نفس إلا بأذنه فمنهم شقي وسعيد [

قال الامام احمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا ليث حدثني ابو قبيل الماعفري عن شفي الاصبحي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال : خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان فقال « أندرون ما هذان الكتابان ؟ » قلنا لا الا أن نخبرنا يا رسول الله قال ﷺ للذي في يمينه « هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم » ثم أجلس على آخرهم لايزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً . ثم قال ﷺ للذي في يساره هذا كتاب أهل النار بأسمائهم وأسماء آباءهم وقبائلهم ثم أجلس على آخرهم لايزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً » فقال أصحاب رسول الله ﷺ فلاي شيء نعمل ان كان هذا أمر قد فرغ منه قال رسول الله ﷺ « سدّدوا وقاربوا فان صاحب الجنة يحتم له بعمل أهل الجنة وان عمل أي عمل ، وان صاحب النار يحتم له بعمل أهل النار وان عمل أي عمل » ثم قال ﷺ بيده فقبضها ثم قال « فرغ ربكم عز وجل من العباد - ثم قال باليمن فنبذها فقال - فربو في الجنة - ونبذ

حولها) يعني قري الارض كلها (وتنذر يوم الجمع) أي تنذرم يوم الجمع وهو يوم القيامة يجمع الله الاولين والآخرين وأهل السموات والارضين (لا رب فيه) لا شك في الجمع انه كائن ثم بعد الجمع يتفرقون (فريق في الجنة وفريق في السعير)

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن ابراهيم الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي ثنا أبو منظور الشامي ثنا أبو العباس الاصم ثنا أبو عثمان سعيد التنوخي ثنا بشر بن بكر حدثني سعيد بن عثمان عن أبي الزاهوبه ثنا جرير بن كريب عن عبدالله بن عمرو بن العاص ، قال الثعلبي وأخبرنا أبو عبدالله بن فضالويه الدينوري ثنا أبو بكر بن مالك القطيعي ثنا عبد الله بن احمد بن حنبل حدثني أبي هشام بن القاسم ثنا ليث حدثني أبو قبيل الماعفري عن شفي الاصبحي عن عبدالله بن عمرو قال خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم

بالبصري وقال - فريق في السعير وهكذا رواه الترمذي والنسائي جميعاً عن قتيبة عن الأيث بن سعد وبكر بن مضر كلاهما عن أبي قبيل عن شفي بن مانع الأصمعي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما به ، وقال الترمذي حسن صحيح غريب ، وصاقه البغوي في تفسيره من طريق بشر بن بكر عن سعيد بن عثمان عن أبي الزاهرية عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ فذكره بنحوه وعنده زيادات منها - ثم قال فريق في الجنة وفريق في السعير عدل من الله عز وجل - ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن عبدالله بن صالح كاتب الأيث عن الأيث به ، ورواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن أبي قبيل عن شفي عن رجل من الصحابة رضي الله عنهم فذكره

ثم روي عن يونس عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث وحيوة بن شريح عن يحيى بن أبي أسيد أن أبا فراس حدثه أنه سمع عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما يقول : إن الله تعالى لما خلق آدم نفثه نفث المروود وأخرج منه كل ذريرة فخرج أمثال النصف فقبضهم قبضتين ثم قال شقي وسعيد ثم ألقاهما ثم قبضهما فقال فريق في الجنة وفريق في السعير وهذا الموقوف أشبه بالصواب والله سبحانه وتعالى أعلم وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد يعني بن سلمة أخبرنا الجريري عن أبي نضرة قال : أن رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقال له أبو عبد الله دخل عليه أصحابه يعني يزورونه فوجدوه يبكي ، فقالوا له ما يبكيك ، ألم يقل لك رسول الله ﷺ خذ من شاربك ثم أفره حتى تلقاني ، قال بلى ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الله تعالى قبض يمينه قبضة وأخرى باليد الأخرى قال هذه هذه وهذه وهذه ولا أبالي ، فلا أدري في أي القبضتين أنا . وأحاديث القدر في الصحاح والسنن والمسانيد كثيرة جداً منها حديث علي وابن مسعود وعائشة وجماعة حجة رضي الله عنهم أجمعين

قابضاً على كفيه ومعه كتابان فقال « أتدرون ما هذان الكتابان ؟ » قلنا لا يا رسول الله إلا أن نخبرنا فقال للذي في يده اليمنى « هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وعشائهم وعدتهم قبل أن يستقروا نطقاً في الأصاب ، وقبل أن يستقروا نطقاً في الأرحام إذ هم في الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولا ناقص منهم إجمال من الله عليهم إلى يوم القيامة » ثم قال للذي في يساره « هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وعشائهم وعدتهم قبل أن يستقروا نطقاً في الأصاب وقبل أن يستقروا نطقاً في الأرحام إذ هم في الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولا بناقص منهم إجمال من الله عليهم إلى يوم القيامة » قال عبدالله بن عمرو : ففهم العمل إذاً يا رسول الله ؟ فقال « اعملوا وسددوا وقاربوا فإن صاحب الجنة ينجم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أي عمل ، وإن صاحب النار ينجم له بعمل أهل النار وإن عمل أي عمل - ثم قال - فريق في الجنة فضل من الله ، وفريق في السعير عدل من الله عز وجل »

وقوله تبارك وتعالى (ولو شاء الله لجمعهم أمة واحدة) أي اما على الهداية أو على الضلالة ولكنه تعالى قارت بينهم فهدى من يشاء الى الحق وأضل من يشاء عنه وله الحكمة والحجة البالغة ولهذا قال عز وجل (ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير)
وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا وهيب أخبرني الحارث عن عمرو بن أبي سويد أنه حدثه عن ابن حنبل أنه بلغه أن مومى عليه الصلاة والسلام قال: يارب خلقك الذين خلقتهم جماعات منهم فريقاً في الجنة وفريقاً في النار لو ما أدخلتهم كلهم الجنة فقال يا مومى ارفع درعك فرفع قال قدرفت قال ارفع فرفع فلم يترك شيئاً قال يارب قد رفعت قال ارفع قال قد رفعت إلا ما لاخير فيه قال كذلك دخل خلقي كلهم الجنة الا ما لاخير فيه .

أم اتخذوا من دونه أولياء فאלله هو الولي وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير (٩)
وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذاكم الله ربي عليه توكلت واليه أنيب (١٠) فاطر السموات والارض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الانعام أزواجاً يذروكم فيه ليس كمثل شيء وهو السميع البصير (١١) له مقاليد السموات والارض يسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شيء عليم (١٢)

يقول تعالى منكرأ على المشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله ونخبراً أنه هو الولي الحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده فانه هو القادر على إحياء الموتى وهو على كل شيء قدير
ثم قال عز وجل (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله) أي مهما اختلفتم فيه من الامور وهذا عام في جميع الاشياء (فحكمه الى الله) أي هو الحاكم فيه بكتابه وسنة نبيه ﷺ كقوله جل وعلا (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول) ذاكم الله ربي (أي الحاكم في كل شيء) (عليه توكلت وإليه أنيب) أي أرجع في جميع الامور

قوله تعالى (ولو شاء الله لجمعهم أمة واحدة) قال ابن عباس رضي الله عنهما : على دين واحد وقال مقاتل على ملة الاسلام كقوله تعالى (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) (ولكن يدخل من يشاء في رحمته) في دين الاسلام (والظالمون) الكافرون (ما لهم من ولي) يدفع عنهم العذاب (ولا نصير) ينعمهم من النار (أم اتخذوا) بل اتخذوا اي الكافرون (من دونه) أي من دون الله (أولياء) فأنه هو الولي قال ابن عباس رضي الله عنهما : وإليك يا محمد وولي من اتبعك (وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير) وما اختلفتم فيه من شيء (من أمر الدين) فحكمه الى الله (يقضي فيه

وقوله جل جلاله (فاطر السموات والارض) أي خالقهما وما بينهما (جعل لكم من أنفسكم أزواجا) أي من جنسكم وشكلكم منة عليكم وتفضلا جعل من جنسكم ذكراً وأنثى (ومن الانعام أزواجا) أي وخلق لكم من الانعام ثمانية أزواج

وقوله تبارك وتعالى (يذروكم فيه) أي يخلقكم فيه أي في ذلك الخلق على هذه الصفة لا يزال يذروكم فيه ذكوراً وإناثاً خلقاً من بعد خلق وجيلاً بعد جيل ونسل بعد نسل من الناس والانعام وقال البغوي يذروكم فيه أي في الرحم وقيل في البطن وقيل في هذا الوجه من الخلقة . قال مجاهد نسل بعد نسل من الناس والانعام : وقيل في بمعنى الباء أي يذروكم به (ليس كمثل شيء) أي ليس كخالق الأزواج كلها شيء . لأنه الفرد الصمد الذي لا نظير له (وهو السميع البصير) وقوله تعالى (له مقاليد السموات والارض) تقدم تفسيره في سورة الزمر وحاصل ذلك انه المتصرف الحاكم فيهما (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أي يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء وله الحكمة والعدل التام (انه بكل شيء عليم)

شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وهيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه، كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب (١٣) وما تفرقوا الا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم وان الذين أورشوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب (١٤)

وبحكم يوم القيامة بالفصل الذي يزيل الريب (ذلكم الله) الذي يحكم بين المختلفين هو (ربي عليه توكلت واليه أنيب) فاطر السموات والارض جعل لكم من أنفسكم أزواجا (من مثل خالقكم حلائل قيل انما قال من أنفسكم لأنه خلق حواء من ضلع آدم (ومن الانعام أزواجا) اصنافاً ذكوراً وإناثاً (يذروكم) يخلقكم (فيه) أي في الرحم وقيل في البطن وقيل على هذا الوجه من الخلقة ، قال مجاهد نسل بعد نسل من الناس والانعام . وقيل في بمعنى الباء أي يذروكم به ، وقيل معناه يكثركم بالتزويج (ليس كمثل شيء) مثل صلة أي ليس هو كشيء فادخل المثل للتوكيد كقوله (فان آمنوا بمثل ما آمنتم به) وقيل الكاف صلة مجازة ليس مثله شيء ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : ليس له نظير (وهو السميع البصير له مقاليد السموات والارض) مفاتيح الرزق في السموات والارض ، قال الكلبي : المطر والنبات (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) لان مفاتيح الرزق بيده (انه بكل شيء عليم) قوله عز وجل (شرع لكم من الدين) بين وسن لكم (ما وصى به نوحاً) وهو أول أنبياء

يقول تعالى لهذه الامة (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك) فذكر أول الرسل بعد آدم عليه السلام وهو نوح عليه السلام وآخرهم وهو محمد ﷺ . ثم ذكر من بين ذلك من أولي العزم وهو ابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وهذه الآية انتظمت ذكر الخسة كما اشتملت آية الاحزاب عليهم في قوله تبارك وتعالى (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم) الآية والدين الذي جاءت به الرسل كلهم هو عبادة الله وحده لا شريك له كما قال عز وجل (وما ارسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه أنه لا اله إلا أنا فاعبدون)

وفي الحديث «نحن معشر الانبياء أولاد علات ديننا واحد» أي القدر المشترك بينهم هو عبادة الله وحده لا شريك له وان اختلفت شرائعهم ومناهجهم كفواه جل جلاله (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) ولهذا قال تعالى ههنا (أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) أي وصى الله تعالى جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام بالائتلاف والجماعة ونهاهم عن الاقتراق والاختلاف

وقوله عز وجل (كبر على المشركين ما تدعوهم اليه) أي شق عليهم وانكروا ما تدعوهم اليه يا محمد من التوحيد . ثم قال جل جلاله (الله يحبني اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب) أي هو الذي يقدر الهداية لمن يستحقها ويكتب الضلالة على من آثرها على طريق الرشده ولهذا قال تبارك وتعالى (وما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم) أي إنما كان مخالفتهم للحق بعد بلوغه اليهم وقيام الحجة عليهم وما حملهم على ذلك إلا البغى والعناد والمشاقة

ثم قال عز وجل (ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى) أي لولا الكلمة السابقة من الله تعالى بانظار العباد باقامة حسابهم الى يوم المعاد لعجل عليهم العقوبة في الدنيا سريعا

الشريعة قال مجاهد أوصيناك وإياه يا محمد ديناً واحداً (والذي أوحينا اليك) من القرآن وشرائع الاسلام (وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى) واختصموا في وجه الآية فقال قتادة تحليل الحلال وتحريم الحرام وقال الحكم تحريم الامهات والبنات والاخوات وقال مجاهد لم يبعث الله نبياً إلا أوصاه باقام الصلاة وإيتاء الزكاة والاقرار لله بالطاعة فذلك دينه الذي شرع لهم وقيل هو التوحيد والبراءة من الشرك وقيل هو ما ذكر من بعد وهو قوله (أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) بعث الله الانبياء كلهم باقامة الدين والالفة والجماعة وترك الفرقة والمخالفة (كبر على المشركين ما تدعوهم اليه) من التوحيد ورفض الاوثان ثم قال (الله يحبني اليه من يشاء) بصطفي لدينه من عباده من يشاء (ويهدي إليه من ينيب) يقبل إلى طاعته (وما تفرقوا) يعني أهل الاديان المختلفة . وقال ابن عباس رضي الله عنه يعني أهل الكتاب كما ذكر في سورة المنفكين (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب) الآية (الا من بعد ما جاءهم العلم) بان الفرقة ضلالة ولكنهم فعلوا ذلك (بغيا بينهم) أي لا بغى قال عطاء يعني بغيا بينهم على محمد ﷺ (ولولا كلمة سبقت من ربك) في تأخير العذاب عنهم (إلى أجل مسمى)

وقوله جلت عظمته (وإن الذين أوردوا الكتاب من بعدهم) يعني الجيل المتأخر بعد القرن الاول المكذب للحق (لفي شك منه مريب) أي ليسوا على يقين من أمرهم وإيمانهم وإمامهم مقلدون لآبائهم واسلافهم بلا دليل ولا برهان وهم في حيرة من أمرهم وشك مريب وشقاق بعيد

فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتب

وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله

يجمع بيننا واليه المصير (١٥)

اشتملت هذه الآية الكريمة على عشر كلمات مستقلة كل منها منفصلة عن التي قبلها حكم برأسها قالوا ولا نظير لها سوى آية الكرسي فانها أيضا عشرة فصول كذه

وقوله (فلذلك فادع) أي فلاذني أوحينا اليك من الدين الذي وصينا به جميع المسلمين قبلك أصحاب الشرائع الكبار المتبعة كأولي العزم وغيرهم فادع الناس اليه . وقوله عز وجل (واستقم كما أمرت) أي واستقم أنت ومن اتبعك على عبادة الله تعالى كما أمركم الله عز وجل وقوله تعالى (ولا تتبع أهواءهم) يعني المشركين فيما اختلقوه وكذبوه واقتروه من عبادة الاوثان

وقوله جل وعلا (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب) أي صدقت بجميع الكتب المنزلة من السماء على الانبياء لا نفرق بين أحد منهم . وقوله (وأمرت لأعدل بينكم) أي في الحكم كما أمرني الله وقوله جلت عظمته [الله ربنا وربكم] أي هو المعبود لا إله غيره فنحن تقر بذلك اختياراً وأنهم وإن لم تفعلوه اختياراً فله يسجد من في العالمين طوعاً واجباراً

وقوله تبارك وتعالى [لنا أعمالنا ولكم أعمالكم] أي نحن برآء منكم كقَالَ سبحانه وتعالى [وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما اعمل وأنا بريء مما تعملون] وقوله تعالى [لا حجة

وهو يوم القيامة (لفضي بينهم) بين من آمن وكفر يعني أنزل العذاب بالمكذبين في الدنيا (وإن الذين أوردوا الكتاب) يعني اليهود والنصارى (من بعدهم) أي من بعد أنبيائهم وقيل من بعد الامم الخالية وقال قتادة معناه من قبلهم أي من قبل مشركي مكة (لفي شك منه مريب) أي من محمد ﷺ (فلذلك فادع) أي فإلى ذلك كما يقال دعوت الى فلان وفلان وذلك إشارة الى ما وصى به الانبياء من التوحيد (واستقم كما أمرت) أي اثبت على الدين الذي أمرت به (ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب) أي آمنت بكتب الله كلها (وأمرت لأعدل بينكم) أن أعدل بينكم قال ابن عباس رضي الله عنهما أمرت أن لا أحيف عليكم بأكثر مما افترض الله عليكم من الاحكام وقيل لأعدل بينكم في جميع الاحوال والاشياء (الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم)

بيننا وبينكم [قال مجاهد أي لاختصاصه قال السدي وذلك قبل نزول آية السيف وهذا متجه لان هذه الآية مكية وآية السيف بعد الهجرة

وقوله عز وجل [الله يجمع بيننا) أي يوم القيامة كقوله (قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتح العليم) وقوله جل وعلا (واليه المصير) أي المرجع والمآب يوم الحساب

والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب

ولهم عذاب شديد (١٦) الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة

قريب (١٧) يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق

ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد (١٨)

يقول تعالى متوعدا الذين يصدون عن سبيل الله من آمن به (والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له) اي يجادلون المؤمنين المستجيبين لله ولرسوله ليصدوهم عما سلكوه من طريق الهدى (حجتهم داحضة عند ربهم) أي باطلة عند الله (وعليهم غضب) اي منه (ولهم عذاب شديد) أي يوم القيامة قال ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد جادلوا المؤمنين بعد ما استجابوا لله ولرسوله ليصدوهم عن الهدى وطمعوا أن تعود الجاهلية ، وقال قتادة هم اليهود والنصارى قالوا لهم ديننا خير من دينكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم وأولى بالله منكم وقد كذبوا في ذلك

ثم قال الله تعالى (الله الذي أنزل الكتاب بالحق) يعني الكتاب المنزلة من عنده على انبيائه والميزان وهو العدل والانصاف قاله مجاهد و قتادة وهذه كقوله تعالى (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) وقوله (والسماء رفعها ووضع الميزان * أن لا تطغوا في الميزان * وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان)

يعني إلها واحد وان اختلفت أعمالنا فكل يجازى بعمله ﴿ لا حجة ﴾ لا خصومة ﴿ بيننا وبينكم ﴾ نسختها آية القتال فاذا لم يؤمر بالقتال وأمر بالدعوة لم يكن بينه وبين من لا يجيب خصومة ﴿ الله يجمع بيننا ﴾ في المعاد لفصل القضاء ﴿ واليه المصير ﴾ والذين يحاجون في الله ﴿ يخاصمون في دين الله تعالى نبيه ﷺ وقال قتادة هم اليهود قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن خير منكم فهذه خصومتهم ﴿ من بعد ما استجيب له ﴾ أي استجاب له الناس فأسلموا ودخلوا في دينه لظهور معجزته ﴿ حجبتهم داحضة ﴾ خصومتهم باطلة ﴿ عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد ﴾ في الآخرة ﴿ الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان ﴾ قال قتادة ومجاهد ومقاتل العدل وسمي العدل ميزانا لان الميزان آلة الانصاف والتسوية قال ابن عباس رضي الله عنهما أمر الله تعالى بالوفاء ونهى عن

وقوله تبارك وتعالى (وما يدريك لعل الساعة قريب) فيه ترغيب فيها وترهيب منها وتزهد في الدنيا وقوله عز وجل (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) أي يقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين وإنما يقولون ذلك تكذيباً واستبعاداً وكفراً وعناداً (والذين آمنوا مشفقون منها) أي خائفون وجلون من وقوعها (ويعلمون أنها الحق) أي كائنة لا محالة فهم مستعدون لها عاملون من أجلها وقد روي من طرق تبلغ درجة التوازن في الصحاح والحسان والسنن والمسانيد وفي بعض ألفاظه أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ بصوت جهوري وهو في بعض أسفاره فناداه فقال يا محمد فقال له رسول الله ﷺ « هاؤم » فقال له متى الساعة ؟ فقال له رسول الله ﷺ « ويحك أنها كائنة فما أعددت لها ؟ » فقال حب الله ورسوله ، فقال ﷺ « أنت مع من أحببت » فقوله في الحديث « المرء مع من أحب » هذا متواتر لا محالة والغرض أنه لم يجبه عن وقت الساعة بل أمره بالاستعداد لها وقوله تعالى (ألا إن الذين يمارون في الساعة) أي يجادلون في وجودها ويدفعون وقوعها [اني ضلال بعيد] أي في جهل بين لان الذي خلق السموات والارض قادر على احياء الموتى بطريق الاولى والاخرى كما قال تعالى [وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه]

الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز (١٩) من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤثه منها وما له في الآخرة من نصيب (٢٠) أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم (٢١) ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم ، ذلك هو الفضل الكبير (٢٢)

يقول تعالى مخبراً عن لطفه بخلقه في رزقه إياهم عن آخرهم لا ينسى أحداً منهم سواء في رزقه البر

البخس (وما يدريك لعل الساعة قريب) ولم يقل قريبة لان تأنيثها غير حقيقي ومجازة الوقت قريب وقال الكسائي اتيانها قريب قال مقاتل ذكر النبي ﷺ الساعة ذات يوم وعنده قوم من المشركين فقالوا تكذيباً متى تكون الساعة فأنزل الله هذه الآية (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) ظناً منهم انها غير آتية (والذين آمنوا مشفقون) أي خائفون (منها ويعلمون أنها الحق) انها آتية لا ريب فيها (ألا ان الذين يمارون) يخاصمون وقيل يدخلهم المرية والشك (في الساعة لفي ضلال بعيد *

والفاجر كقوله عز وجل (وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستورها ومستودعها كل في كتاب مبين) ولها نظائر كثيرة

وقوله جل وعلا (يرزق من يشاء) أي يوسع على من يشاء (وهو القوي العزيز) أي لا يعجزه شيء ثم قال عز وجل (من كان يريد حرث الآخرة) أي عمل الآخرة [نزد له في حرثه] أي تقويه ونعيمه على ما هو بصدد ونكثر نماء ونجزيه بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى ما يشاء الله (ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب) أي ومن كان إنما سعيه ليحصل له شيء من الدنيا وليس له إلى الآخرة ثم البتة بالكلية حرمة الله الآخرة والدنيا إن شاء أعطاه منها وإن لم يشأ لم يحصل لا هذه ولا هذه ، وفاز الساعي بهذه النية بالصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة ، والدليل على هذا أن هذه الآية ههنا مقيدة بالآية التي في سبحان وهي قوله تبارك وتعالى [من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا * ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا * كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا * انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض والآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا] وقال الثوري عن معمر عن أبي العالية عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ بشر هذه الامة بالسنة والرفعة والنصر والتمكين في الارض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب

الله لطيف بعباده) قال ابن عباس رضي الله عنهما حفي بهم قال عكرمة بن عمار وقال السدي رفيق بهم قال مقاتل لطيف بالبر والفاجر حيث لم يهلككم جوعا بمعاصيهم يدل عليه قوله (يرزق من يشاء) وكل من رزقه الله من مؤمن وكافر وذو روح فهو ممن يشاء الله أن يرزقه قال جعفر بن محمد الصادق اللطف في الرزق من وجهين أحدهما انه جعل رزقك من الطيبات والثاني انه لم يدفعه اليك مرة واحدة (وهو القوي العزيز * من كان يريد حرث الآخرة) الحرث في اللغة الكسب يعني من كان يريد بعمله الآخرة (نزد له في حرثه) بالتضعيف بالواحد عشرة إلى ما شاء الله من الزيادة (ومن كان يريد حرث الدنيا) يريد بعمله الدنيا (نؤته منها) قال قتادة أي نؤته بقدر ما قسم له كما قال (عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد) (وما له في الآخرة من نصيب) لانه لم يعمل للآخرة

أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو طاهر الزيادي أنا أبو حامد أحمد بن محمد ابن يحيى بن بلال ثنا أبو الازهر أحمد بن منيع البغدادي ثنا محمد بن يونس الفرياني ثنا سفيان عن المغيرة عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ بشرت هذه الامة بالسنة والرفعة والنصرة والتمكين في الارض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب

وقوله جل وعلا (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) أي هم لا يتبعون ما شرع الله من الدين القويم بل يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجن والانس من تحريم ما حرموا عليهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ، وتحليل أكل الميتة والدم والقمار الى نحو ذلك من الضلالات والجهالة الباطلة التي كانوا قد اخترعوها في جاهليتهم من التحليل والتحريم والعبادات الباطلة والاموال الفاسدة وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « رأيت عمرو بن لحي بن قعدة يجر قصبه في النار » لانه أول من سيب السوائب وكان هذا الرجل أحد ملوك خزاعة وهو أول من فعل هذه الاشياء وهو الذي حل قريشاً على عبادة الاصنام لعنه الله وقبحه ولهذا قال تعالى (ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم) أي لعوجلوا بالعقوبة لولا ما تقدم من الانظار إلى يوم المعاد (وإن الظالمين لهم عذاب أليم) أي شديد موجه في جهنم وبئس المصير ، ثم قال تعالى (ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا) أي في عرصات القيامة وهو [وهو واقع بهم] أي الذين يخافون منه واقع بهم لا محالة هذا حالهم يوم معادهم وهم في هذا الخوف والوجل (والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم) فأين هذا من هذا ؟ أي أين من هو في العرصات في الذل والهوان والخوف المحقق عليه بظلمه ممن هو في روضات الجنات فيما يشاء من مآكل ومشرب وملابس ومساكن ومناظر ومناكح وملاذ بمن لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر :

قال الحسن بن عرفة حدثنا عمرو بن عبد الرحمن الابار حدثنا محمد بن سعد الانصاري عن أبي طيبة قال ان الشرب من أهل الجنة لتظلمهم السحابة فنقول ما أمطركم ؟ قال فما يدع داع من القوم بشي . إلا أمطرهم حتى إن القائل منهم ليقول أمطرينا كواعب أربابا . رواه ابن جرير عن الحسن بن عرفة به ، ولهذا قال تعالى (ذلك هو الفضل الكبير) أي الفوز العظيم والنعمة التامة السابغة الشاملة العامة

ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، قل لا أسئلكم عليه أجراً

قوله تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) يعني كفار مكة يقول لهم آلهة سنوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ، قال ابن عباس رضي الله عنهما شرعوا لهم ديناً غير دين الاسلام (ولولا كلمة الفصل) لولا ان الله حكم في كلمة الفصل بين الخلق بتأخير العذاب عنهم إلى يوم القيامة حيث قال (بل الساعة موعدهم) (لقضي بينهم) لفرغ من عذاب الذين يكذبونك في الدنيا (وإن الظالمين) المشركين (لهم عذاب أليم) في الآخرة (ترى الظالمين) المشركين يوم القيامة (مشفقين) وجلين (مما كسبوا وهو واقع بهم) جزاء كسبهم واقع بهم (والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير) ذلك الذي ذكرت

إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا إن الله غفور شكور (٢٣)
 أم يقولون افتري على الله كذبا فإن يشأ الله يحتم على قلبك ويمح الله البطل ويحق الحق
 بكلماته إنه عليم بذات الصدور (٢٤)

يقول تعالى لما ذكر روضات الجنات ، لعباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات (ذلك الذي يبشر
 الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي هذا حاصل لهم كائن لاهتمالة ببيشارة الله تعالى لهم به
 وقوله عز وجل (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) أي قل يا محمد لولا المشركين
 من كفار قريش لا أسألكم على هذا البلاغ والنصح لكم مالا تعطونه وإنما أطلب منكم أن تكفوا
 شرككم عني وتذروني بأبائهم رسالات ربي إن لم تنصروني فلا تؤذوني بما بيني وبينكم من القرابة
 قال البخاري حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة
 قال سمعت طاوساً يحدث عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قوله تعالى إلا المودة في القربى
 فقال سعيد بن جبير قري آل محمد فقال ابن عباس عجلت^(١) إن النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش
 إلا كان له فيهم قرابة فقال لا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة انفرد به البخاري ، ورواه الإمام
 أحمد عن يحيى القطان عن شعبة به ، وهكذا روى عامر الشعبي والضحاك وعلي بن أبي طلحة والعمري
 ويوسف بن مهران وغير واحد عن ابن عباس رضي الله عنهما مثله وبه قال مجاهد وعكرمة وقتادة
 والسدي وأبو مالك وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم

(١) في البغوي عجبت

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا هاشم بن القاسم بن يزيد الطبراني وجعفر القلانسي قال حدثنا
 آدم بن أبي إياس حدثنا شريك عن خفيف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال
 قال لهم رسول الله ﷺ لا أسألكم عليه أجراً إلا أن تودوني في نفسي لقرايتي منكم وتحفظوا

من نعيم الجنة (يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات) بأنهم أهله (قل لا أسألكم عليه
 أجراً إلا المودة في القربى) أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد
 ابن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن بشار ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة
 قال سمعت طاوساً عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قوله (إلا المودة في القربى) قال سعيد
 ابن جبير (قري) آل محمد ﷺ فقال ابن عباس رضي الله عنهما عجبت أن النبي ﷺ لم يكن بطن
 من قريش إلا كان له فيهم قرابة فقال لا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة وكذلك روى الشعبي
 وطاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما قال (إلا المودة في القربى) يعني أن تحفظوا قرايتي وتودوني
 وتصلوا رحمتي واليه ذهب مجاهد وقتادة وعكرمة ومقاتل والسدي والضحاك رضي الله عنهم ، وقال

القرابة التي بيني وبينكم « وروى الامام احمد عن حسن بن موسى حدثنا قزعة يعني ابن سويد وابن أبي حاتم عن أبيه عن مسلم بن ابراهيم عن قزعة بن سويد عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال « لا أسألكم على ما آتيتكم من اليناث والهدى أجراً إلا أن توادوا الله تعالى وأن تقربوا اليه بطاعته » وهكذا روى قتادة عن الحسن البصري مثله وهذا كأنه تفسير بقول ثان كأنه يقول الا المودة في القربى أي الا أن تعملوا بالطاعة التي تقر بكم عند الله زاني ، وقول ثالث وهو ما حكاه البخاري وغيره رواية عن سعيد بن جبير مامعناه أنه قال معنى ذلك أن تودوني في قرابتي أي تحسنوا اليهم وتبرؤم

وقال السدي عن أبي الديلم قال : لما جئ بعلي بن الحسين رضي الله عنه أسيراً فأقيم على درج دمشق قام رجل من أهل الشام فقال الحمد لله الذي قتلك واستأصلك وقطع قرن الفتنة فقال له علي بن الحسين رضي الله عنه أقرأت القرآن ؟ قال نعم : قال أقرأت آل حم قال قرأت القرآن ولم أقرأ آل حم قال ما قرأت (قل لا أسألكم عليه أجراً الا المودة في القربى) قال وانكم لا أنتم هم قال نعم وقال ابو إسحاق السبيعي سألت عمرو بن شعيب عن قوله تبارك وتعالى (قل لا أسألكم عليه أجراً الا المودة في القربى) فقال قربى النبي ﷺ رواها ابن جرير

ثم قال ابن جرير حدثنا ابو كريب حدثنا مالك بن اسماعيل حدثنا عبد السلام حدثني يزيد بن أبي زياد عن مقسم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قالت الانصار فعلنا وفعلناو كأنهم فخرُوا فقال ابن عباس او العباس رضي الله عنهما - شك عبد السلام - لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأنام في محاسنهم فقال « يا معشر الانصار ألم تكونوا اذلة فأعزكم الله بي ؟ » قالوا بلى يا رسول الله ﷺ فقال « ألم تكونوا اضلالاً فهداكم الله بي ؟ » قالوا بلى يا رسول الله ﷺ قال « ألم يخرجك قومك فآويناك ولم يكذبوك فصدقناك ولم يحذلوك فنصرناك - قال فقال زال ﷺ يقول حتى جثوا على الركب وقالوا أموالنا في أيدينا لله ولرسوله قال فنزلت (قل

عكرمة لا أسألكم على ما أدعوك اليه أجراً إلا أن تحفظوني في قرابتي بيني وبينكم وليس كما يقول الكذابون وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس في معنى الآية إلا أن توادوا الله وتقربوا اليه بطاعته وهذا قول الحسن قال هو القربى الى الله يقول إلا التقرب الى الله والتودد اليه بالطاعة والعمل الصالح وقال بعضهم معناه إلا أن تودوا قرابتي وعترتي وتحفظوني فيهم وهو قول سعيد بن جبير وعمرو بن شعيب واختافوا في قرابته قيل هم فاطمة الزهراء وعلي وابناهما وفيهم نزل (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) وروينا عن يزيد بن حبان عن زيد بن أرقم عن النبي ﷺ قال « إني تارك فيكم التقلين كتاب الله وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي » قيل لزيد بن أرقم من أهل بيته ؟ قال هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس . أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي

لا أسألكم عليه أجراً (إلا المودة في القربى) وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن علي بن الحسين عن عبد المؤمن ابن علي عن عبد السلام عن يزيد بن أبي زياد وهو ضعيف بإسناده مثله أو قريباً منه وفي الصحيحين في قسم غنائم حنين قريب من هذا السياق ولكن ليس فيه ذكر نزول هذه الآية ، و ذكر نزولها في المدينة فيه نظر لان السورة مكية وليس يظهر بين هذه الآية وهذا السياق مناسبة والله أعلم

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا رجل ميماء حدثنا حسين الأشقر عن قيس عن الأعشى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين أمر الله بمودتهم ؟ قال « فاطمة وولدها رضي الله عنهم » وهذا إسناد ضعيف فيه بهم لا يعرف عن شيخ شيعي مخترق وهو حسين الأشقر ولا يقبل خبره في هذا المحل ، و ذكر نزول الآية في المدينة بعيداً فانها مكية ولم يكن إذاك لفاطمة رضي الله عنها أولاد بالكعبة فانها لم تتزوج به لي رضي الله عنه . لا بعد بدر من السنة الثانية من الهجرة

والحق تفسير هذه الآية بما فسرهابه حبر الامة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كما رواه عنه البخاري ولا ننكر الوصاة بأهل البيت والامر بالاحسان اليهم واحترامهم وإكرامهم فانهم من ذرية طاهرة من أشرف بيت وجد على وجه الارض فخراً وحسباً ونسباً ولا سيما إذا كانوا متبعين لسنة النبوة الصحيحة الواضحة الجليلة كما كان عليه سلفهم كالأباص وبنيه وعلي وأهل بيته وذريته رضي الله عنهم أجمعين

وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال في خطبته بفدبر خم « اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي وإنهما لم يفترقا حتى يردا علي الخوض »

وقال الامام أحمد حدثنا يزيد بن هارون أنا اسماعيل بن أبي خالد عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله ابن الحارث عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله إن قريشاً إذا لقي بعضهم

أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا عبد الله بن عبد الوهاب ثنا خالد ثنا شعبة عن واقد قال سمعت أبي يحدث عن ابن عمر عن أبي بكر قال ارقبوا محمداً في أهل بيته . وقيل هم الذين تحرم عليهم الصدقة من أقاربه ويقسم فيهم الخمس وهم بنو هاشم وبنو المطلب الذين لم ينفروا في جاهلية ولا في اسلام ، وقال قوم هذه الآية منسوخة وانما نزلت بمكة وكان المشركون يؤذون رسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآية فأمرهم فيها بمودة رسول الله ﷺ وصلة رحمه ، فلما هاجر الى المدينة وآواه الانصار ونصروه أحب الله عز وجل أن يلحقه باخوانه من الانبياء عليهم السلام حيث قال (وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين) فأنزل الله تعالى (قل لا أسألكم عليه أجراً - قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجري) فهي منسوخة بهذه الآية وبقوله (قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكافين)

بعضاً أقوم يبشر حسن وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها ، قال فغضب النبي ﷺ غضبا شديدا وقال « والذي نفسي بيده لا يدخل قلب الرجل الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله » ثم قال أحمد حدثنا جرير عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث عن عبد المطالب بن ربيعة قال دخل العباس رضي الله عنه على رسول الله ﷺ فقال إنا لنخرج نهرى قريشا تحدث فاذا رأونا سكتوا فغضب رسول الله ﷺ ودر عرق بين عينيه ثم قال ﷺ « والله لا يدخل قلب امرئ مسلم إيمان حتى يحبكم لله ولقرايتي » وقال البخاري حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب حدثنا خالد حدثنا شعبة عن واقد قال سمعت أبي يحدث عن ابن عمر رضي الله عنهما عن أبي بكر — هو الصديق — رضي الله عنه قال : ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم في أهل بيته . وفي الصحيح أن الصديق رضي الله عنه قال له لي رضي الله عنه : والله لقراءة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرأني

وقال عمر بن الخطاب لعباس رضي الله عنهما : والله لا سلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم لأن سلامك كان أحب إلي رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب . فقال الشيخين رضي الله عنهما هو الواجب على كل أحد أن يكون كذلك ولهذا كانا أفضل المؤمنين بعد النبيين والمرسلين رضي الله عنهما وعن سائر الصحابة أجمعين

وقال الامام أحمد رحمه الله حدثنا اسماعيل بن إبراهيم عن أبي حيان التميمي حدثني يزيد بن حبان قال انطلقت أنا وحصين بن ميسرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم رضي الله عنه فلما جالسنا إليه قال حصين لقد أقيمت يا زيد خيرا كثيرا : رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت معه . لقد رأيت يا زيد خيرا كثيرا حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله ﷺ فقال : يا ابن أخي لقد كبر سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعني من رسول الله ﷺ فما حدثتكم فاقبلوه

وغيرها من الآيات وإلى هذا ذهب الضحاك بن مزاحم والحسين بن الفضل وهذا قول غير مرضي لأن مودة النبي ﷺ وكف الأذى عنه ومودة أقاربه والتقرب إلى الله بالطاعة والعمل الصالح من فرائض الدين وهذه أقاويل السالف في معنى الآية فلا يجوز المصير إلى نسخ شيء من هذه الأشياء ، وقوله (إلا المودة في القربى) ليس باستثناء متصل بالاول حتى يكون ذلك أجراً في مقابلة أداء الرسالة بل هو منقطع ومعناه ولكنني أذكركم المودة في القربى وأذكركم قرأيتي منكم كما روينا في حديث زيد بن أرقم « أذكركم الله في أهل بيتي »

قوله تعالى ﴿ ومن يقترب حسنة نزد له فيها حسنا ﴾ أى من يكتسب طاعة نزد له فيها حسنا بالتضعيف ﴿ إن الله غفور ﴾ لذنوب ﴿ شكور ﴾ لقليل حتى يضاعفها ﴿ أم يقولون ﴾ بل يقولون يعني كفار مكة ﴿ افترى على الله كذبا فان بشأ الله يختم على قلبك ﴾ قال مجاهد يربط على قلبك بالصبر

وما لا فلا تكلفونه . ثم قال رضي الله عنه : قام رسول الله ﷺ يوماً خطيباً فينا بما يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله تعالى وأثنى عليه وذكر ووعظ ثم قال ﷺ « أما بعد أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب ، وإني تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله تعالى فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به » فحث على كتاب الله ورغب فيه وقال ﷺ « وأهل بيتي أذكر كم الله في أهل بيتي » أذكر كم الله في أهل بيتي » فقال له حمصين ومن أهل بيته بازيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال ان نساءه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم عليه الصدقة بعده قل ومن هم ؟ قال هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس رضي الله عنهم ، قال أكل هؤلاء حرم عليه الصدقة ؟ قال نعم ، وهكذا رواه مسلم في الفضائل والنسائي من طرق عن يزيد بن حبان به

وقال أبو عيسى الترمذي حدثنا علي بن المنذر الكوفي حدثنا محمد بن فضيل حدثنا الاعمش عن عطية عن أبي سعيد والاعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إني تارك فيكم ما ان تمسكنم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، والآخر عترتي أهل بيتي وإن يفرقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما » تفرد بروايته ثم قال هذا حديث حسن غريب

وقال الترمذي أيضاً حدثنا نصر بن عبد الرحمن الكوفي حدثنا زيد بن الحسن عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : رأيت رسول الله ﷺ في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول « يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي » تفرد به الترمذي أيضاً وقال حسن غريب . وفي الباب عن أبي ذر وأبي سعيد وزيد بن أرقم وحذيفة بن أسيد رضي الله عنهم

ثم قال الترمذي أيضاً ثنا أبو داود سليمان الأشعث حدثنا يحيى بن معين حدثنا هشام بن يوسف عن عبد الله بن سليمان النوفلي عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده عبد الله بن عباس رضي الله عنهم قال : قال رسول الله ﷺ « أحبوا الله تعالى لما يغذوكم من نعمه ، وأحبوني بحب الله وأحبوا أهل بيتي بحبي » ثم قال حسن غريب إنما نعرفه من هذا الوجه وقد أوردنا أحاديث أخر عند قوله تعالى [إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً] بما أغنى عن إعادتها ههنا والله الحمد والمنة

حتى لا يشق عليك أذا هم وقولهم انه مقتر ، قال قتادة يعني بطبع على قلبك فيزيحك القرآن وما آتاك فأخبرهم انه لو افترى على الله كذباً لفعل به ما أخبر عنه في هذه الآية ثم ابتداء فقال (وبيح الله الباطل) قال الكسائي فيه تقديم وتأخير مجازه والله يمحو الباطل فهو في محل رفع ولكنه حذفته منه الواو في المصحف على اللفظ كما حذفته من قوله (ويدع الانسان ، وسندع الزبانية) أخبر أن ما يقولونه

وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا سويد بن سعيد حدثنا مفضل بن عبد الله عن أبي اسحاق عن حنش قال سمعت أبا ذر رضي الله عنه وهو آخذ بحلقة الباب يقول : من عرفني فقد عرفني ، ومن أنكرني فأنا أبو ذر سمعت رسول الله ﷺ يقول « إنما مثل أهل بيني فيكم كمثل سفينة نوح عليه الصلاة والسلام من دخلها نجا ، ومن تخلف عنها هلك » هذا بهذا الاسناد ضعيف

وقوله عز وجل (ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا) أي ومن يعمل حسنة زد له فيها حسنا أي أجراً وثواباً كقوله تعالى [إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً] وقال بعض السلف إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها ، ومن جزاء السيئة السيئة بعدها ، وقوله تعالى (إن الله غفور شكور) أي يغفر الكثير من السيئات ويكثر القليل من الحسنات فيستر ويغفر ويضاعف فيشكر وقول جل وعلا (أم يقولون افتري على الله كذباً فإن يشأ الله نخنم على قلبك) أي لو افتريت عليه كذباً كما بزعم هؤلاء الجاهلون [نخنم على قلبك] أي يطع على قلبك وسلبك ما كان آتاك من القرآن كقوله جل جلاله [ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين] أي لا نتقنا منه أشد الانتقام وما قدر أحد من الناس أن يحجز عنه وقوله جلت عظمتة (ويمح الله الباطل) ليس معطوفاً على قوله [نخنم] فيكون مجزوماً بل هو مرفوع على الابتداء . قاله ابن جرير قال وحذفت من كتابته الواو في رسم المصحف الامام كما حذفت في قوله [سندع الزبانية] وقوله تعالى [ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير] وقوله عز وجل (ويحق الحق بكلماته) معطوف على [ويمح الله الباطل ويحق الحق] أي يحققه ويثبت ويبينه ويوضحه بكلماته أي بحججه وبراهينه (انه عليم بذات الصدور) أي بما تكنه الضمائر وتنطوي عليه السرائر

وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون (٢٥) ويستجيب

الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكفرون لهم عذاب شديد (٢٦) ولو

بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير (٢٧)

باطل يحويه الله (ويحق الحق بكلماته) أي الاسلام بما أنزل من كتابه وقد فعل الله ذلك فحبا باطلهم وأعلى كلمة الاسلام (انه عليم بذات الصدور) قال ابن عباس لما نزلت (قل لا أسألكم عليه أجراً الا المودة في القربى) وقع في قلوب قوم منهم شيء : وقالوا يريد أن يحشنا على أقاربه من بعده فنزل جبريل فأخبره أنهم أنهموه وأنزل هذه الآية : فقال القوم الذين أنهموه يا رسول الله انا نشهد أنك صادق فنزل (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده) قال ابن عباس يريد أوليائه وأهل طاعته قيل

وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد (٢٨)

يقول تعالى ممتنا على عباده بقبول توبتهم اليه اذا تابوا ورجعوا اليه انه من ذرعه وحلمه انه يعفو وبصفح ويسر وبغفر كقوله عز وجل (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً) وقد ثبت في صحيح مسلم رحمة الله عليه حيث قال حدثنا محمد بن الصباح وزهير بن حرب قال حدثنا عمر بن يونس حدثنا عكرمة بن عمار حدثنا اسحاق بن أبي طاحه حدثني أنس بن مالك وهو عمه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « الله تعالى أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب اليه من أحدكم كانت راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فينما هو كذلك اذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدى وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح »

وقد ثبت أيضاً في الصحيح من رواية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه نحوه ، وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري في قوله تعالى (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) إن أبا هريرة رضي الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ « الله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته في المكان الذى يخاف أن يقتله فيه العطش »

وقال همام بن الحارث سئل ابن مسعود رضي الله عنه عن الرجل يفجر بالمرأة ثم يتزوجها ؟ قال لا بأس به وقرأ (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) الآية . رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث شرح القاضي عن ابراهيم بن مهاجر عن ابراهيم النخعي عن همام فذكره وقوله عز وجل (ويعفو عن السيئات) أي يقبل التوبة في المستقبل ويعفو عن السيئات في الماضي

التوبة ترك المعاصي نية وفعلاً والاقبال على الطاعة نية وفعلاً قال سهل بن عبد الله التوبة الانتقال من الاحوال المذمومة الى الاحوال الحمودة ﴿ ويعفو عن السيئات ﴾ إذا تابوا فلا يؤاخذهم بها أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان ثنا أبو جعفر محمد بن أحمد ابن عبد الجبار الرياني أنا حميد بن زنجويه ثنا يحيى بن حماد ثنا أبو عوانة عن سليمان الاعمش عن عمارة بن عمير عن الحارث بن سويد قال : دخلت على عبد الله أعوده فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول « الله أفرح بتوبة عبده من رجل أضل في بركة مهلكة مع راحلته عليها طعامه وشرابه فنزل فنام فاستيقظ وقد ضلت راحلته فطاف عليها حتى أدركه العطش فقال أرجع الى حيث كانت راحلتي فأمرت عليه فرجم فأغنى فاستيقظ فاذا هو بها عنده عليها طعامه وشرابه »

أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا محمد بن الصباح وزهير بن حرب قال ثنا عمر بن يونس ثنا

(ويعلم ما يفعلون) أي هو عالم بجميع ما فعلتم وصنعتهم وقتلتم ومع هذا يتوب على من تاب إليه . وقوله تعالى (ويستجيب الذين آمنوا و عملوا الصالحات) قال السدي يعني يستجيب لهم وكذا قال ابن جرير معناه يستجيب لهم الدعاء . لأنفسهم ولاصحابهم وأخوانهم وحكاه عن بعض النحاة وأنه جعلها كقوله عز وجل (فاستجاب لهم ربهم) ثم روى هو وابن أبي حاتم من حديث الأعمش عن شقيق بن سلمة عن سلمة بن سبرة قال خطبنا معاذ رضي الله عنه بالشام فقال أنتم المؤمنون وأنتم أهل الجنة والله إنني لأرجو أن يدخل الله تعالى من تسبون من فارس والروم الجنة وذلك بأن أحدكم إذا عمل له يعني أحدكم عملا قال أحسنت رحمك الله أحسنت بارك الله فيك ثم قرأ (ويستجيب الذين آمنوا و عملوا الصالحات ويزيدهم من فضله)

وحكي ابن جرير عن بعض أهل العربية أنه جعل قوله (الذين يستمعون القول) أي هم الذين يستجيبون للحق ويتبعونه كقوله تبارك وتعالى (إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يعثهم الله) والمعنى الاول أظهر لقوله تعالى (ويزيدهم من فضله) أي يستجيب دعاءهم ويزيدهم فوق ذلك ولهذا قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن المصنفى حدثنا بقية حدثنا إسماعيل ابن عبد الله الكندي حدثنا الأعمش عن شقيق عن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى (ويزيدهم من فضله) قال « الشفاعة لمن وجبت له النار من صنع اليهم معروفاتي الدنيا » وقال قتادة عن إبراهيم النخعي في قوله عز وجل (ويستجيب الذين آمنوا و عملوا الصالحات) قال يشفعون في أخوانهم (ويزيدهم من فضله) قال يشفعون في أخوان أخوانهم . وقوله عز وجل (والكافرون لهم عذاب شديد) لما ذكر المؤمنين وما لهم من الثواب الجزيل ذكر الكافرين وما لهم عنده يوم القيامة من العذاب الشديد الموجه المؤلم يوم معادهم وحسابهم

عكرمة بن عمار ثنا اسحاق بن أبي طلحة حدثني أنس بن مالك وهو عمه قال قال رسول الله ﷺ « الله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها وقد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك » أخطأ من شدة الفرح (ويعفو عن السيئات) فيمحوها إذا تابوا ﴿ ويعلم ما يفعلون ﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص يفعلون بآلاء . وقالوا هو خطاب للمشركين وقرأ الآخرون بالياء . لانه بين خبرين عن قوم . فقال قبله يقبل التوبة عن عباده وبعده ويزيدهم من فضله ﴿ ويستجيب الذين آمنوا ﴾ أي ويجيب الذين آمنوا ﴿ و عملوا الصالحات ﴾ إذا دعوه . وقال عطاء عن ابن عباس ويثيب الذين آمنوا ﴿ ويزيدهم من فضله ﴾ سوى ثواب أعمالهم تفضلا منه وقال أبو صالح عنه يشفعهم في أخوانهم (ويزيدهم من فضله) قال في أخوان أخوانهم ﴿ والكافرون لهم عذاب شديد ﴾ ولو بسط الله الرزق لعباده ﴿ قال خباب بن الارت فينا

وقوله تعالى (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض) أي لو اعطاهم فوق حاجتهم من الرزق لحامهم ذلك على البغي والطغيان من بعضهم على بعض أشراً وبطراً وقال قتادة كان يقال خير العيش مالا يملك ولا بطغيك وذكر قتادة حديث « إنما أخاف عليكم ما يخرج الله تعالى من زهرة الحياة الدنيا » وسؤال السائل أيا تي الخير بالشر ؟ الحديث

وقوله عز وجل (ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير) أي ولكن يرزقهم من الرزق ما يختاره مما فيه صلاحهم وهو أعلم بذلك فيبغى من يستحق الغنى ويفقر من يستحق الفقر كما جاء في الحديث المروي « إن من عبادي من لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لافسدت عليه دينه وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لافسدت عليه دينه »

وقوله تعالى (وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا) أي من بعد إياس الناس من نزول المطر ينزله عليهم في وقت حاجتهم وفقرهم إليه كقوله عز وجل (وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من

نزلت هذه الآية وذلك أنا نظرنا إلى أموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع فتمنيناها فأنزل الله عز وجل هذه الآية (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا) لطفوا وعتوا (في الارض) قال ابن عباس بغيرهم طلبهم منزلة بعد منزلة ومركباً بعد مركب وملبساً بعد ملبس (ولكن ينزل) أرزاقهم (بقدر ما يشاء) كما يشاء نظراً منه لعباده والحكمة اقتضتها قدرته (إنه بعباده خبير بصير) أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو عمر بكر بن محمد المزني ثنا أبو بكر محمد بن عبد الله حفيد العباس بن حمزة ثنا الحسين بن الفضل البجلي ثنا أبو حفص عمر بن سعيد الدمشقي ثنا صدقة بن عبد الله ثنا هشام الكنازي عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ عن جبريل عن الله عز وجل قال « يقول الله عز وجل من أهان لي وأبأ فقد بارزني بالمحاربة وإني لأغضب لأبائي كما يغضب الله الحرد ، وما تقرب إلي عبدي المؤمن بمثل أداء ما افترضت عليه ، وما يزال عبدي المؤمن يتقرب إلي بالتوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصيراً ولساناً ويداً ومؤيداً ، وإن دعاني أجبتة وإن سألني أعطيته وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بد له منه ، وإن من عبادي المؤمنين لمن يسألني الباب من العبادة فأكفه عنه أن لا يدخله عجب فيفسده ذلك ، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الصحة ولو أسقمته لأفسده ذلك ، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الصحة ولو أسقمته لأفسده ذلك ، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا السقم ولو أصححته لأفسده ذلك ، إني أدبر أمر عبادي بعلمي بقلوبهم إني أعلم خبير » قوله عز وجل (وهو الذي ينزل الغيث) المطر (من بعد ما قنطوا) يعني من بعد ما يئس الناس عنه وذلك أدعى لهم إلى الشكر قال مقاتل حبس الله المطر عن أهل مكة سبع سنين حتى قنطوا

٣٧٢ آية الله تعالى في خلق السموات والارض وخلق الدواب فيها (تفسير ابن كثير والبغوي)

قبله لمبلسين) وقوله جل جلاله (وينشر رحمته) أي يعم بها الوجود على ألى ذلك القطر وذلك الناحية قال قتادة ذكر لنا أن رجلا قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه يا أمير المؤمنين قحط المطر وقنط الناس فقال عمر رضي الله عنه مطرتم ثم قرأ (وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد) أي هو المتصرف لخلقهم بما ينفعهم في دنياهم وأخراهم وهو المحمود العاقبة في جميع ما يقدره ويفعله

ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء

قدير (٢٨) وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير (٣٠) وما أتم بمعجزين في الأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير (٣١)

يقول تعالى ومن آياته الدالة على عظمته وقدرته العظيمة وسلطانه القاهر (خلق السموات والارض وما بث فيهما) أي ذرأ فيهما أي في السموات والارض (من دابة) وهذا يشمل الملائكة والانس والجن وسائر الحيوانات على اختلاف اشكالهم وألوانهم ولغاتهم وطباعهم واجناسهم وأنواعهم وقد فرقهم في ارجاء أقطار السموات والارض (وهو) مع هذا كله (على جمعهم إذا يشاء) أي يوم القيامة بجمع الاولين والآخرين وسائر الخلائق في صعيد واحد يسمعون الداعي وينفذهم البصر فيحكم فيهم بحكمه العدل الحق

وقوله عز وجل (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) أي مها أصابكم أيها الناس من المصائب فإنما هي سيئات تقدمت لكم (ويعفو عن كثير) أي من السيئات فلا يجازيكم عليها بل يعفو عنها [ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا مارك على ظهورها من دابة] وفي الحديث الصحيح « والذي نفسي بيده ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن إلا كفر الله عنه بها من خطاياها حتى الشوكة يشاكها »

ثم أنزل الله المطر فذكرهم الله بنعمته (وينشر رحمته) ييسط بطره كما قال (وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته) (وهو الولي) لاهل طاعته (الحميد) عند خلقه (ومن آياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء) أي يعفو عن كثير (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) قرأ أهل المدينة والشام بما كسبت بغير فاء وكذلك هو في مصاحفهم فمن حذف الفاء جعل ما في أول الآية بمعنى الذي يعني الذي أصابكم بما كسبت أيديكم (ويعفو عن كثير) قال الحسن لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ « والذي نفس محمد بيده ما من خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق الا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر »

وقال ابن جرير ثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علية حدثنا أيوب قال : قرأت في كتاب أبي قلابة قال نزلت (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره • ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) وأبو بكر رضي الله عنه يأكل فأمسك وقال : يا رسول الله إني أرى ما عملت من خير وشر ؟ فقال • أرايت ما رأيت مما تكره فهو من مثاقيل ذر الشر وتذكر مثاقيل الخير حتى تعطاه يوم القيامة • قال : قال أبو ادريس فاني أرى مصداقها في كتاب الله تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) ثم رواه من وجه آخر عن أبي قلابة عن أنس رضي الله عنه قال والاول أصح

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن عيسى بن الطباع حدثنا مروان بن معاوية الفزاري حدثنا الازهر بن راشد الكاهلي عن الخضر بن القواس البجلي عن أبي سخيطة عن علي رضي الله عنه قال : ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله عز وجل وحدثنا به رسول الله ﷺ قال • ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وسأفسرها لك يا علي ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم والله تعالى أحلم من أن يثني عليه العقوبة في الآخرة وما عفا الله عنه في الدنيا فالله تعالى أكرم من أن يعود بعد عفو • وكذا رواه الامام أحمد عن مروان بن معاوية وعبد الله عن أبي سخيطة قال : قال علي رضي الله عنه فذكر نحوه مرفوعا

ثم روى ابن أبي حاتم نحوه من وجه آخر موقوفا فقال : حدثنا أبي حدثنا منصور بن أبي مزاحم حدثنا أبو سعيد بن أبي الوضاح عن أبي الحسن عن أبي جحيفة قال : دخلت على بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : ألا أحدثكم بحديث ينبغي لكل مؤمن أن يعيه ؟ قال فسأناه فتلاه هذه الآية (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) قال ما عاقب الله تعالى به في الدنيا فالله أحلم من أن يثني عليه العقوبة يوم القيامة وما عفا الله عنه في الدنيا فالله أكرم من أن يعود في عفو يوم القيامة وقال الامام أحمد حدثنا يعلى بن عبيد حدثنا طلحة يعني ابن يحيى عن أبي بردة عن معاوية هو ابن أبي سفيان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول • ما من شيء يصيب المؤمن في جسده يؤذيه الا كفر الله تعالى عنه به من سيئاته • وقال أحمد أيضا حدثنا حسن عن زائدة عن ليث عن مجاهد عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم • اذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له ما يكفرها ابتلاه الله تعالى بالحرز ليكفرها •

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أخبرني أبو عبد الله بن فنجويه ثنا أبو بكر ابن مالك القطيعي ثنا بشر بن موسى الاسدي ثنا خلف بن الوليد ثنا مروان بن معاوية أخبرني الازهر بن راشد الكاهلي عن الخضر بن القواس البجلي عن أبي سخيطة قال . قال علي بن أبي طالب • ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله عز وجل وحدثنا بها رسول الله ﷺ (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) قال • وسأفسرها لك يا علي ما أصابكم من مرض أو عقوبة

وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو بن عبد الله الأودي حدثنا أبو أسامة عن إسماعيل بن مسلم عن الحسن هو البصري قال في قوله تبارك وتعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) قال لما نزلت قال رسول الله ﷺ « والذي نفس محمد بيده ما من خدش عود ولا اختلاج عرق ولا عثرة قدم إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر »

وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا عمرو بن علي حدثنا هشيم عن منصور عن الحسن عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : دخل عليه بعض أصحابه وقد كان ابتلي في جسده فقال له بعضهم أفتالنيأس لك لما نرى فيك ، قال فلا تبتئس بما ترى فإن ماترى بذنب وما يعفو الله عنه أكثر ثم تلا هذه الآية (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير)

وحدثنا أبي حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني حدثنا جرير عن أبي البلاد قال قلت لعلاء بن بدر (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) وقد ذهب بصري وأنا غلام ؟ قال فبذنوب والديك وحدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا وكيع عن عبد العزيز بن أبي داود عن الضحاك قال ما نعلم أحدا حفظ القرآن ثم نسيه إلا بذنب ثم قرأ الضحاك (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) ثم يقول الضحاك وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن

ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام (٣٢) إن يشأ يسكن الريح فيظللان رواكداً على ظهره إن في ذلك لآيت لكل صبار شكور (٣٣) أو يوقهسن بما كسبوا ويعفو عن كثير (٣٤) ويعلم الذين يجادلون في آيتنا ما لهم من محيص (٣٥)

يقول تعالى ومن آياته الدالة على قدرته الباهرة وسلطانه تسخير البحر لتجري فيه الفلك بأمره وهي الجوار في البحر كالأعلام أي كالجبال قاله مجاهد والحسن والسدي والضحاك أي هذه في البحر كالجبال في البر (إن يشأ يسكن الريح) أي التي تسير في البحر بالسفن لو شاء لسكنها حتى لا تتحرك

أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم والله عز وجل أكرم من أن يذني عليه العقوبة في الآخرة ، وما عفا الله عنه في الدنيا فأن الله أحلم من أن يعود بعد عفو . قال عكرمة : ما من نكبة أصابت عبداً فما فوقها إلا بذنب لم يكن الله ليغفر له إلا بها أو درجة لم يكن الله ليباغها إلا بها (وما أنتم بمعجزين) بفائتين (في الأرض) هربا يعني لا تعجزونني حينما كنتم ولا تسبقوني (وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) قوله عز وجل (ومن آياته الجوار) يعني السفن واحدها جارية وهي السائرة (في البحر كالأعلام) أي الجبال قال مجاهد القصور واحدها علم . وقال الخليل بن أحمد كل شيء مرتفع عند

السفن بل تبقى راكدة لا تبحر ، ولا تذهب بل واقفة على ظاهره أي على وجه الماء ، (إن في ذلك لآيات لكل صبار) أي في الشدائد (شكور) أي ان في تسخير البحر واجرائه في الهوى بقدر ما يحتاجون اليه اسيرهم لدلالات على نعمه تعالى على خلقه لكل صبار أي في الشدائد شكور في الرخاء

وقوله عز وجل (أو يوقن بما كسبوا) أي ولو شاء لأهلك السفن وغرقها بذنوب أهلها الذين هم راكبون فيها (ويعف عن كثير) أي من ذنوبهم ولو آخذهم بجميع ذنوبهم لأهلك كل من ركب البحر ، وقال بعض علماء التفسير معنى قوله تعالى (أو يوقن بما كسبوا) أي لو شاء لأرسل الريح قوية عاتية فأخذت السفن وأحالتها عن سيرها المستقيم فصرفها ذات اليمين أو ذات الشمال آية لانسير على طريق ولا الى جهة مقصد ، وهذا القول هو يتضمن هلاكها وهو مناسب للاول وهو أنه تعالى لو شاء لسكن الريح فوقفت ، أو لقواه فشردت وأبقت وهلكت ، ولكن من لطفه ورحمته أنه يرسله بحسب الحاجة كما يرسل المطر بقدر الكفاية ولو أنزله كثيرا جدا لهدم البنيان أو قليلا لما أنبت الزرع والثمار حتى إنه يرسل الى مثل بلاد مصر سيجاح من أرض أخرى غيرها لأنهم لا يحتاجون الى مطر ولو أنزل عليهم لهدم بنيانهم وأسقط جدرانهم ، وقوله تعالى (ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص) أي لا محيد لهم عن بأسنا ونقمنا فانهم مقهورون بقدرتنا

فما أوتيتهم من شيء فمتنع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون (٣٦) والذين يحبذون كبائر الأثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون (٣٧) والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلوة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقنهم ينفقون (٣٨) والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون (٣٩)

العرب فهو علم (إن بشأ يسكن الريح) التي تجريها (فيظللن) بمعنى الجوارى (رواكد) ثوابت (على ظهره) على ظهر البحر لا تجري (إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور) أي لكل مؤمن لأن صفة المؤمن الصبر في الشدة والشكر في الرخاء (أو يوقن) يهلكن ويفرقن (بما كسبوا) أي بما كسبت ربكاتها من الذنوب (ويعف عن كثير) من ذنوبهم فلا يعاقب عليها (ويعلم) قرأ أهل المدينة والشام ويعلم برفع الميم على الالفتناف كقوله عز وجل في سورة براءة (ويتوب الله على من يشاء) وقرأ الآخرون بالنصب على الصرف والجزم إذا صرف عنه مطلقه نصب ، وهو كقوله تعالى (ويعلم الصابرين) صرف من حال الجزم إلى النصب استخفافا وكرهية لتوالي الجزم (الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص) أي يعلم الذين يكذبون بالقرآن إذا صاروا إلى الله بعد البعث

يقول تعالى محمداً لشأن الحياة الدنيا وزينتها وما فيها من الزهرة والنعم الغاني بقوله تعالى (فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا) أي معها حصلتم وجمعتم فلا تغفروا به فانما هو متاع الحياة الدنيا وهي دار دينه فانية زائلة لا محالة (وما عند الله خير وأبقى) أي ثواب الله تعالى خير من الدنيا وهو باق سرمدي فلا تقدموا الغاني على الباقي ولهذا قال تعالى (للذين آمنوا) أي للذين صبروا على ترك الملاذ في الدنيا (وعلى ربهم يتوكلون) أي ليعينهم على الصبر في أداء الواجبات ، وترك المحرمات ثم قال تعالى (والذين يجتنبون كبائر الأثم والفواحش) وقد قدمنا الكلام على الأثم والفواحش في سورة الاعراف (وإذا ما غضبوا هم يغفرون) أي سيجبتهم تقضي الصفح والعفو عن الناس ليس سيجبتهم الانتقام من الناس

وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ ما انتقم لنفسه قط الا أن تنتهك حرمة الله . وفي حديث آخر كان يقول لأحدنا عند المعبة « ماله تربت يمينه » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي هريرة حدثنا سفيان عن زائدة عن منصور عن إبراهيم قال : كان المؤمنون يكرهون أن يستذلوا ، وكانوا إذا قدروا عفوا

وقوله عز وجل (والذين استجابوا لربهم) أي اتبعوا رسله ، وأطاعوا أمره واجتنبوا زجره ، (وأقاموا الصلاة) وهي أعظم العبادات لله عز وجل [وأمرهم شورى بينهم] أي لا يبرمون أمراً حتى يتشاوروا فيه ليتساعدوا بآرائهم في مثل الحروب وما جرى مجراها كقَالَ تبارك وتعالى (وشاورهم في الأمر) الآية ولهذا كان ﷺ يشاورهم في الحروب ونحوها ليطيب بذلك قلوبهم ، وهكذا لما حضرت عمر بن الخطاب رضي الله عنه الوفاة حين طعن جمل الأمر بعده شورى في ستة نفر وهم : عثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم فاجتمع رأي الصحابة كلهم رضي الله عنهم على تقديم عثمان عليهم رضي الله عنهم (ومما رزقناهم ينفقون) وذلك بالاحسان إلى خلق الله الأقرب اليهم مهم فالأقرب

أن لا مهرب لهم من عذاب الله ﴿ فما أوتيتم من شيء ﴾ من ريش الدنيا ﴿ فمتاع الحياة الدنيا ﴾ ليس من زاد الماد ﴿ وما عند الله ﴾ من الثواب ﴿ خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ﴾ فيه بيان أن المؤمن والكافر يستويان في أن الدنيا متاع لما يتمتعان بها فإذا صارا إلى الآخرة كان ما عند الله خيراً للمؤمن ﴿ والذين يجتنبون كبائر الأثم ﴾ قرأ حمزة والكسائي كبير الأثم على الواحد ههنا وفي سورة النجم وقرأ الآخرون كبائر بالجمع وقد ذكرنا معنى الكبائر في سورة النساء ﴿ والفواحش ﴾ قال السدي يعني الزنا . وقال مجاهد ومقاتل ما يوجب الحد ﴿ وإذا ما غضبوا هم يغفرون ﴾ يحملون ويكظمون الغيظ ويتجاوزون ﴿ والذين استجابوا لربهم ﴾ أجابوه إلى ما دعاهم إليه من طاعته ﴿ وأقاموا الصلوة وأمرهم شورى بينهم ﴾ يتشاورون فيما يبدولهم ولا يعجلون ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ والذين إذا أصابهم

وقوله عز وجل [والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون] أي فيهم قوة الانتصار من ظلمهم واعتدى عليهم ليسوا بالعاجزين ولا الأذلين بل يقدرّون على الانتقام من بغي عليهم وإن كانوا مع هذا إذا قدرّوا عفو كما قال يوسف عليه الصلاة والسلام لاختونه [لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لكم] مع قدرته على مؤاخذتهم ومقابلتهم على صنيعهم إليه، وكما عفا رسول الله ﷺ عن أولئك نفر الثمانين الذين قصدوه عام الحديبية ونزلوا من جبل التنعيم فلما قدر عليهم من عليهم مع قدرته على الانتقام، وكذلك عفو ﷺ عن غورث بن الحارث الذي أراد الفتك به حين اخترط سيفه وهو قائم فاستيقظ ﷺ وهو في يده مصلاً فأنهره فوضعه من يده وأخذ رسول الله ﷺ السيف في يده ودعا أصحابه ثم أعلمهم بما كان من أمره وأمر هذا الرجل وعفا عنه، وكذلك عفا ﷺ عن أبي بن العاصم الذي سحره عليه السلام ومع هذا لم يعرض له ولا عاتبه مع قدرته عليه وكذلك عفو ﷺ عن المرأة اليهودية - وهي زينب أخت مرحب اليهودي الخبيري الذي قتله محمود بن سلمة - التي سمت الذراع يوم خيبر فأخبره الذراع بذلك فدعاها فاعترفت فقال ﷺ « ما حلك على ذلك ؟ » قالت أردت أن كنت نبيا لم يضرّك وإن لم تكن نبيا استرحنا منك فأطاعها عليه الصلاة والسلام، ولكن لما مات منه بشر بن البراء رضي الله عنه قتلها به، والاحاديث والآثار في هذا كثيرة جداً والله سبحانه وتعالى أعلم

وجزاؤ سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين (٤٠)
ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل (٤١) إنما السبيل على الذين يظلمون
الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم (٤٢) ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور (٤٣)

قوله تبارك وتعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) كقوله تعالى (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) وكنه قوله (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به الآية فشرع العدل وهو القصاص

البغي) الظلم والعدوان (هم ينتصرون) ينتقمون من ظالمهم من غير أن يعتدوا. قال ابن زيد جعل الله المؤمنين صنفين صنف يعفون عن ظالمهم فبدأ بذكرهم وهو قوله (وإذا ما غضبوا هم يغفرون) وصنف ينتصرون من ظالمهم وهم الذين ذكروا في هذه الآية قال إبراهيم في هذه الآية كانوا يكرهون أن يستذلوا فإذا قدرّوا عفو. قال عطاء هم المؤمنون الذين أخرجهم الكفار من مكة وبغوا عليهم ثم مكّنهم الله في الأرض حتى انتصروا من ظلمهم. ثم ذكر الله الانتصار فقال (وجزاء سيئة سيئة مثلها) سمي الجزاء سيئة وإن لم يكن سيئة لتشابهها في الصورة. قال مقاتل يعني القصاص في (تفسيرا ابن كثير والبغوي) (٤٨) (الجزء السابع)

ونذب الى الفضل وهو العفو كقوله جل وعلا (والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له) ولهذا قال ههنا (فمن عفا وأصلح فأجره على الله) أي لا يضيع ذلك عند الله كما صح ذلك في الحديث ، وما زاد الله تعالى عبدًا بعفو إلا عزًا

وقوله تعالى (انه لا يحب الظالمين) أي المعتدين وهو المبتديء بالسينة ثم قال جل وعلا (ولئن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل) أي ليس عليهم جناح في الانتصار عن ظلمهم قال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع حدثنا معاذ بن معاذ حدثنا ابن عون قال كنت أسأل عن الانتصار (ولئن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل) فحدثني علي بن زيد بن جدعان عن أم محمد امرأة أبيه قال ابن عون: زعموا أنها كانت تدخل على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت أم المؤمنين رضي الله عنها دخل علينا رسول الله ﷺ وعندنا زينب بنت جحش رضي الله عنها فجعل ﷺ يصنع بيده شيئاً فلم يظن لها فقلت بيده حتى فطنته لها فأمسك وأقبلت زينب رضي الله عنها تفهم لعائشة رضي الله عنها فنهاها فأبت أن تنتهي ، فقال لعائشة رضي الله عنها « سبها » فسبها فغلبتها وانطلقت زينب رضي الله عنها فأنت عليا رضي الله عنه فقالت ان عائشة تقيم بكم وتفعل بكم فجاءت فاطمة رضي الله عنها فقال ﷺ لها « أنها حبة أهلك ورب الكعبة » فانصرفت وقالت لعلي رضي الله عنه اني قلت له ﷺ كذا وكذا فقال لي كذا وكذا قال وجاء علي الى النبي ﷺ وكلمه في ذلك هكذا أورد هذا السياق وعلي بن زيد بن جدعان يأتي في رواياته بالمنكرات غالباً وهذا فيه نكارة ، والصحيح خلاف هذا السياق كما رواه النسائي وابن ماجه من حديث خالد بن سلمة الفأقا ، عن عبد الله البهي عن عروة قال قالت عائشة رضي الله عنها ما علمت حتى دخلت علي زينب بغير إذن وهي غضبي ثم قالت لرسول الله ﷺ حسبك اذا قلبت لك ابنة ابي بكر درعاً ثم أقبلت علي فأعرضت عنها حتى قال النبي ﷺ « دونك فانهصري » فأقبلت عليها حتى رأيت ريقها قد يس في فمها ما ترد علي شيئاً فأريت النبي ﷺ يتهلل وجهه وهذا لفظ النسائي

الجراحات والدماء . قال مجاهد والسدي هو جواب القبيح إذا قال له أحد أخراك الله . يقول أخراك الله : وإذا شتمك فاشتمه بمثلاً من غير أن تعتدي . قال سفيان بن عيينة قلت لسفيان الثوري ما قوله عز وجل جزاء سيئة سيئة مثلها . قال أن يشتمك رجل فنشتمه . أو أن يفعل بك فتفعل به فلم أجده عنده شيئاً . فسألت هشام بن حجير عن هذه الآية . فقال إن الجراح إذا جرح يقتص منه وليس هو أن يشتمك فنشتمه . ثم ذكر العفو فقال (فمن عفا) عن ظلمه (وأصلح) بالعفو بينه وبين ظالمه (فأجره على الله) قال الحسن إذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له على الله أجراً فليقم فلا يقوم إلا من عفا . ثم قرأ هذه الآية (انه لا يحب الظالمين) قال ابن عباس الذين يبدؤن بالظلم (ولئن انتصر بعد ظلمه) أي بعد ظلم الظالم إياه (فأولئك) يعني المنتصرين (ما عليهم من سبيل)

وقال الزار حدثنا يوسف بن موسى حدثنا ابو غسان حدثنا ابو الاحوص عن أبي حمزة عن ابراهيم عن الاسود عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ « من دعا على من ظلمه فقد انتصر » رواه الترمذي من حديث أبي الاحوص عن أبي حمزة واسمه ميمون ثم قال لا نعرفه إلا من حديثه ، وقد تكلم فيه من قبل حفظه

وقوله عز وجل (إنما السبيل) أي إنما الحرج والعنت (على الذين يظلمون الناس ويغفون في الارض بغير الحق) أي يبدون الناس بالظلم كما جاء في الحديث الصحيح « المستبان ما قالوا فعلى الباديء مالم يعتد المظلوم » (أولئك لهم عذاب أليم) أي شديد موجم

قال ابو بكر بن أبي شيبة حدثنا الحسن بن موسى حدثنا سعيد بن زيد أخو حماد بن زيد ثنا عثمان الشام حدثنا محمد بن واسع قال قدمت مكة فاذا على الخندق قطرة فأخذت فانطلق بي الى مروان بن المهلب وهو أمير على البصرة فقال ما حاجتك؟ يا أبا عبدالله قلت حاجتي ان استطعت أن تكون كما كان أخو بني عدي، قال ومن أخو بني عدي؟ قال العلاء بن زياد استعمل صديقا له مرة على عمل فكتب اليه أما بعد فإن استطعت أن لا يبيت إلا وظهرك خفيف وبطنك خميص وكفك نقية من دماء المسلمين وأموالهم فأنك اذا فعلت ذلك لم يكن عليك سبيل (إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويغفون في الارض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم) فقال مروان صدق والله ونصح ثم قال ما حاجتك يا أبا عبدالله؟ قلت حاجتي أن تلحقني بأهلي قال نعم. رواه ابن أبي حاتم ثم ان الله تعالى لما ذم الظالم وأهله وشرع القصاص قال نادى بالى العفو والعفوى (لمن صبر وغفر) أي صبر على الاذى وستر السيئة (فإن ذلك لمن عزم الأمور) قال سعيد بن جبير يعني لمن حق الأمور التي أمر الله تعالى بها أي لمن الأمور المشكورة والافعال الحيدة التي عليها ثواب جزيل وثناء جميل

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمران بن موسى الطرسوسي حدثنا مصعب بن يزيد خادم الفضيل بن عياض قال سمعت الفضيل بن عياض يقول اذا أتاك رجل يشكو اليك رجلا قتل بأخي اعف عنه فإن العفو أقرب للتقوى فان قال لا يحتمل قلبي العفو واسكن أنتصر كما أمرني الله عز وجل فقل له ان كنت تحسن أن تنتصر والا فارجم الى باب العفو فانه باب واسم فانه من عفا وأصاح فأجره على الله ، وصاحب العفو ينام على فراشه بالليل وصاحب الانتصار يقلب الأمور

وقال الامام أحمد حدثنا يحيى يعني ابن سعيد القطان عن ابن عجلان حدثنا سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ان رجلا شتم أبا بكر رضي الله عنه والنبي ﷺ جالس فجعل النبي ﷺ يعجب ويتبسم فلما أكثر رد عليه بعض قوله ففضب النبي ﷺ وقام فاحتمه أبو بكر

بعقوبة ومؤاخذه (إنما السبيل على الذين يظلمون الناس) يبدؤن بالظلم (ويغفون في الارض بغير الحق) يعملون فيها بالمعاصي (أولئك لهم عذاب أليم لمن صبر وغفر) فلم ينتصر (ان ذلك) الصبر

رضي الله عنه فقال يا رسول الله انه كان يشتدني وأنت جالس لما رددت عليه بعض قوله غضبت وقت قال : انه كان معك ملك يرد عنك فلما رددت عليه بعض قوله حضر الشيطان فلم أكن لأقدم مع الشيطان - ثم قال - يا أبا بكر ثلاث كلهن حق ما من عبد ظلم بمظلمة فيغضبي عنها الله إلا أعزه الله تعالى بها ونصره ، وما فتح رجل باب عطية يريد بها صلة إلا زاده الله بها كثرة ، وما فتح رجل باب مسألة يريد بها كثرة إلا زاده الله عز وجل بها قلة

وكذا رواه أبو داود عن عبد الأعلى بن حماد عن سفیان بن عيينة قال ورواه صفوان بن عيسى كلاهما عن محمد بن عجلان ورواه من طريق الألبان عن سعيد المقبري عن بشر بن الحر عن سعيد بن المسيب مرسلًا وهذا الحديث في غاية الحسن في المعنى وهو مناسب للصديق رضي الله عنه

ومن يضل الله فما له من ولي من بعده وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل؟ (٤٤) وتراهم يعرضون عليها خشعين من الذل ينظرون من طرف خفي وقال الذين آمنوا ان الخسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ان الظالمين في عذاب مقيم (٤٥) وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دوز الله ومن يضل الله فما له من سبيل (٤٦)

يقول تعالى مخبراً عن نفسه الكريمة (انه ما شاء كان ولا راد له وما لم يشأ لم يكن فلا موجد له وانه من هداه فلا مضل له ومن يضل الله فلا هادي له كما قال عز وجل) ومن يضل فان نجد له وليا مرشدا) ثم قال عز وجل مخبراً عن الظالمين وهم المشركون بالله (لما رأوا العذاب) أي يوم القيامة تمنوا الرجعة الى الدنيا (هل الى مرد من سبيل ؟) كما قال جل وعلا (ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين * بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون)

والتجاوز (لمن عزم الامور) حقها وحزمها . قال مقاتل من الامور التي أمر الله بها . قال الزجاج الصابر يؤتى بصبره الثواب فالرغبة في الثواب أتم عزمًا (ومن يضل الله فما له من ولي من بعده) فما له من أحد يلي هدايته بعد إضلال الله إياه أو يمنعه من عذاب الله (وترى الظالمين لما رأوا العذاب) يوم القيامة (يقولون هل الى مرد من سبيل ؟) يسألون الرجعة الى الدنيا (وتراهم يعرضون عليها) أي

وقوله عز وجل (وتراهم يعرضون عليها) أي على النار (خاشعين من الذل) أي الذي قد اعتراهم بما أسلفوا من عصيان الله تعالى [ينظرون من طرف خفي] قال مجاهد يعني ذليل أي ينظرون إليها مسارقة خوفا منها والذي يحذرون منه واقع لا محالة وما هو أعظم مما في نفوسهم أجازنا الله من ذلك [وقال الذين آمنوا] أي يقولون يوم القيامة [إن الخاسرين] أي الخسار الأكبر (الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة) أي ذهب بهم إلى النار فهدموا لذتهم في دار الأبد وخسروا أنفسهم وفرق بينهم وبين أحبائهم وأحبابهم وأهاليهم وقراباتهم فخسروهم (ألا إن الظالمين في عذاب مقيم) أي دائم سرمدي أبدي لا خروج لهم منها ولا محيد لهم عنها
وقوله تعالى (وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله) أي يفتقدونهم مما هم فيه من العذاب والنكال (ومن يضل الله فما له من سبيل) أي ليس له خلاص

استجيبوا الربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ، ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم

من نكير (٤٧) فإن أعرضوا فإنا أرسلناك عليهم حفيظا ، إن عليك إلا الباع ، وإنا إذا أذقنا الانس

منارحة فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور (٤٨)

لما ذكر تعالى ما يكون في يوم القيامة من الأهوال والامور العظام الهائلة تحذر منه وأمر بالاستعداد له فقال (استجيبوا الربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله) أي إذا أمر بكونه فإنه كالمح البصر يكون وليس له دافع ولا مانع
وقوله عز وجل (ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير) أي ليس لكم حصن تتحصنون فيه ولا

على النار (خاشعين متواضعين) من الذل ينظرون من طرف خفي (خفي النظر لما عليهم من الذل يسارقون النظر إلى النار خوفا منها وذلة في أنفسهم وقيل من بمعنى الباء أي بطرف خفي ضعيف من الذل وقيل إنما قال من طرف خفي لأنه لا يفتح عينه إنما ينظر ببعضها وقيل معناه ينظرون إلى النار بقلوبهم لأنهم يحشرون عميا والنظر بالقلب خفي (وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة) قيل خسروا أنفسهم بأن صاروا إلى النار وأهليهم بأن صاروا لغيرهم في الجنة (ألا إن الظالمين في عذاب مقيم * وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضل الله فما له من سبيل) طريق إلى الصواب وإلى الوصول إلى الحق في الدنيا والجنة في العقبى قد انسدت عليهم طرق الخير (استجيبوا الربكم) أجبوا داعي الله بعني محمدا ﷺ (من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله) لا يقدر أحد على دفعه وهو يوم القيامة (ما لكم من ملجأ) تلجأون إليه (يومئذ وما لكم من نكير) من منكر بغير ما بكم (فإن أعرضوا) عن الإجابة (فما أرسلناك عليهم

مكان يستركم وتنكرون فيه فتغييرون عن نصره تبارك وتعالى بل هو محيط بكم بعلمه وبصره وقدرته فلا ما جاء منه الا اليه (يقول الانسان يومئذ أين المفر ؟ كلا لاوزر إلى ربك يومئذ المستقر) وقوله تعالى (فان أعرضوا) يعني المشر كين [فما أرسلناك عليهم حفیظاً] أي است عليهم عساطر وقول عز وجل [إيس عليك هدام ولكن الله يهدي من يشاء] وقال تعالى [فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب] وقال جل وعلا ههنا [إن عليك الا البلاغ] أي انما كلفناك أن تبلغهم رسالة الله اليهم ثم قال تبارك وتعالى (وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة فرح بها أي اذا أصابه رخاء ونعمة فرح بذلك (وان تصيبهم) يعني الناس (سيئة) أي جذب ونقمة وبلاء وشدة (فان الانسان كفور) أي يحمده ما تقدم من النعم ولا يعرف إلا الساعة الراحنة فان أصابته نعمة أشمر واطار وان أصابته محنة يأس وقط كما قال رسول الله ﷺ للنساء « يامعشر النساء تصدقن فاني رأيتكن أكثر أهل النار » فقالت امرأة ولم يارسول الله ؟ فقال ﷺ « لأنكن تكثرن الشكاية وتكفرن العشير ولو احسنت الى احدهن الدهر ثم تركت يوما قالت ما رأيت منك خيراً قط » وهذا حال أكثر النساء إلا من هداه الله تعالى وألممه رشده وكان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات فالؤمن كما قال ﷺ « ان أصابته مرأ شكر فكان خيراً له » وان أصابته ضراء صير فكان خيراً له » وليس ذلك لأحد إلا المؤمن لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور (٤٩)

أو يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيماً (٥٠)

يخبر تعالى انه خالق السموات والارض ومالكهما والمتصرف فيهما وانه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن وانه يعطي من يشاء ويمنع من يشاء ولا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع وأنه يخلق ما يشاء (يهب لمن يشاء أنثا) أي يرزقه البنات فقط قال البغوي ومنهم لوط عليه الصلاة والسلام (ويهب لمن يشاء الذكور) أي يرزقه البنين فقط قال البغوي كإبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام لم يولد له أنثى (أو يزوجهم ذكرانا واناثا) أي ويعطي لمن يشاء من الناس الزوجين الذكر والانثى أي من هذا وهذا قال البغوي كمحمد ﷺ (ويجعل من يشاء عقيماً) أي لا يولد له قال البغوي كجحي

حفیظا ان عليك) ما عليك (الا البلاغ وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة) قال ابن عباس يعني الغنى والصحة (فرح بها وان تصيبهم سيئة) قحط (بما قدمت أيديهم فان الانسان كفور) أي لما تقدم من نعمة الله عليه ينسى ويحمد بأول شدة جميع ما سلف من النعم (لله ملك السموات والارض) له التصرف فيهما بما يريد (يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء أنثا) فلا يكون له ولد ذكر . قيل من يمن المرأة تبكيها بالأنثى قل الذكر لان الله تعالى بدأ بالاناث (ويهب لمن يشاء الذكور) فلا يكون له أنثى (أو يزوجهم ذكرانا واناثا) يجمع له ايها فيولد له الذكور والاناث (ويجعل من يشاء عقيماً) فلا

(سورة الشورى ٤٢ جزء ٢٥) كلام الله لبشر إما وحيًا أو من وراء حجاب أو بواسطة الملك ٣٨٣

وعيسى عليهما الصلاة والسلام ، فجعل الناس أربعة أقسام منهم من يعطيه البنات ومنهم من يعطيه البنين ومنهم من يعطيه من النوعين ذكراً وإناثاً ومنهم من يمنه هذا وهذا فيجعله عقيماً لا نسل له ولا ولد له (انه عليم) أي بمن يستحق كل قسم من هذه الاقسام (قدير) أي على ما يشاء من تفاوت الناس في ذلك وهذا المقام شبيه بقوله تبارك وتعالى عن عيسى عليه الصلاة والسلام (ولنجعلها آية للناس) أي دلالة لهم على قدرته تعالى وتقدس حيث خلق الخلق على أربعة أقسام قادم عليه الصلاة والسلام مخلوق من تراب لا من ذكر ولا أنثى ، حواء عليها السلام مخلوقة من ذكر بلا أنثى ، وسائر الخلق سوى عيسى عليه السلام من ذكر وأنثى ، وعيسى عليه السلام من أنثى بلا ذكر فتمت الدلالة بخلق عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام . ولهذا قال تعالى (ولنجعلها آية للناس) فهذا المقام في الآباء والمقام الاول في الابناء وكل منهما أربعة أقسام فسبحان العليم القدير

وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيًا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بأذنه

ما يشاء انه عليّ حكيم (٥١) وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب

ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهيدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم (٥٢)

صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض ألا إلى الله تصير الامور (٥٣)

هذه مقامات الوحي بالنسبة الى جناب الله عز وجل وهو انه تبارك وتعالى تارة يقذف في روع النبي ﷺ شيئاً لا يمارى فيه أنه من الله عز وجل كما جاء في صحيح ابن حبان عن رسول الله ﷺ انه قال « إن روح القدس نفث في روعي ان نفسا ان تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله واجملوا في الطلب . وقوله تعالى (أو من وراء حجاب) كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام فانه سأل الرؤية بعد التكلم فحجب عنها

يلد ولا يولد له ، قبل هذا في الانبياء عليهم السلام بهب لمن يشاء إناثا يعني لو طأ لم يولد له ذكر إنما يولد له إبتنان (وبهب لمن يشاء الذكور) يعني إبراهيم عليه السلام لم يولد له أنثى (أو يزوجهم ذكرانا وإناثا) يعني محمداً ﷺ ولد له بنون وبنات (ويجعل من يشاء عقيماً) يحيى وعيسى عليهما السلام لم يولد لهما وهذا على وجه التمثيل والآية عامة في حق كافة الناس (انه عليم قدير)

قوله عز وجل (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيًا) وذلك ان اليهود قالوا للنبي ﷺ ألا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه فقال لم ينظر موسى الى الله عز وجل فانزل الله تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيًا) يوحى اليه في المنام أو بالألهام (أو من وراء

٣٨٤ كلام الله لبشر إما وها أو من وراء حجاب أو بواسطة الملائكة (نفسيرا ابن كثير والبغوي)

وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لجابر بن عبد الله رضي الله عنهما « ما كلم الله أحداً إلا من وراء حجاب وإنه كلم أباك كفاحاً » كذا جاء في الحديث وكان قد قتل يوم أحد ولكن هذا في عالم البرزخ والآية إنما هي في الدار الدنيا

وقوله عز وجل [أو يرسل رسولا فيوحي بأذنه ما يشاء] كما ينزل جبريل عليه الصلاة والسلام وغيره من الملائكة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام [انه علي حكيم] فهو علي عليم خبير حكيم وقوله عز وجل [وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا] يعني القرآن [ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان] أي على التفصيل الذي شرع لك في القرآن [ولكن جعلناه] أي القرآن [نوراً نهيدي به من نساء من عبادنا] كقوله تعالى [قل هو الذي آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عى] الآية

وقوله تعالى [وإنا] أي يا محمد (لنهدي إلى صراط مستقيم) وهو الحق القويم ثم فسر بقوله تعالى (صراط الله) أي شرعه الذي أمر به الله (الذي له ما في السموات وما في الأرض) أي ربهما ومالكهما والمتصرف فيهما والحاكم الذي لا معقب لحكمه (ألا إلى الله تصير الأمور) أي ترجع الأمور في فصلها وبحكم فيها سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً

حجاب) بسمعه كلامه ولا يراه كما كلمه موسى عليه الصلاة والسلام (أو يرسل رسولا) إما جبريل أو غيره من الملائكة (فيوحي بأذنه ما يشاء) أي يوحي ذلك الرسول إلى المرسل إليه بأذن الله ما يشاء ، قرأ نافع أو يرسل برفع اللام على الابتداء فيوحي ساكنة الياء وقرأ الآخرون بنصب اللام والياء عطفاً على محل الوحي لأن معناه وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا أن يوحي إليه أو يرسل رسولا (انه علي حكيم) وكذلك (أي كما أوحينا إلى سائر رسلنا) (أوحينا إليك روحاً من أمرنا) قال ابن عباس نبوة . وقال الحسن رحمة . وقال السدي ومقاتل وحيا وقال الكلبي كتاباً . وقال الربيع جبريل . وقال مالك بن دينار يعني القرآن (ما كنت تدري) قبل الوحي (ما الكتاب ولا الإيمان) يعني شرائع الإيمان ومعامله .

قال محمد بن اسحاق بن خزيمة الإيمان في هذا الموضع الصلاة ودليله قوله عز وجل (وما كان الله ليضيع إيمانكم) وأهل الأصول على أن الأنبياء عليهم السلام كانوا مؤمنين قبل الوحي . وكان النبي ﷺ بعد الله قبل الوحي على دين إبراهيم ولم يتبين له شرائع دينه (ولكن جعلناه نوراً) قال ابن عباس يعني الإيمان وقال السدي يعني القرآن (نهدي به) نرشد به (من نساء من عبادنا) نهيدي (أي لنهدي) إلى صراط مستقيم (يعني الاسلام) صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض (ألا إلى الله تصير الأمور) أي أمور الخلائق كلها في الآخرة

تفسير سورة الزخرف وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم (١) والكتاب المبين (٢) إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون (٣) وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم (٤) أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين (٥) ولم أرسلنا من نبي في الاولين (٦) وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزءون (٧) فأهلكنا أشد منهم بطشا ومضى مثل الاولين (٨)

يقول تعالى (حم والكتاب المبين) أي البين الواضح الجلي المعاني والالفاظ لانه نزل بلغة العرب التي هي أفصح اللغات للتخاطب بين الناس ولهذا قال تعالى (إنا جعلناه) أي أنزلناه (قرآنا عربيا) أي بلغة العرب فصيحاً واضحاً (لعلكم تعقلون) أي تفهموه وتتدبرونه كما قال عز وجل (بلسان عربي مبين) وقوله تعالى (وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم) بين شرفه في الملأ الأعلى ليشرفه ويعظمه ويطبعه أهل الارض فقال تعالى (وانه) أي القرآن (في أم الكتاب) أي اللوح المحفوظ قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد (لدينا) أي عندنا قاله قتادة وغيره (لعلي) أي ذو مكانة عظيمة

﴿ سورة الزخرف مكية وهي تسع وثمانون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ حم والكتاب المبين ﴾ أقسم بالكتاب الذي أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وأبان ما يحتاج اليه الامة من الشريعة ﴿ إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ﴾ قوله جعلناه أي صيرنا هذا الكتاب عربيا وقيل بيناه وقيل سميناه وقيل وصفناه يقال جعل فلان زيدا أعلم الناس أي وصفه بهذا كقوله تعالى (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إنانا - وقوله - جعلوا القرآن عضين) وقال (أجعلتم سقاية الحاج) كلها بمعنى الوصف والتسمية ﴿ وانه ﴾ يعني القرآن ﴿ في أم الكتاب ﴾ في اللوح المحفوظ . قال قتادة أم الكتاب أصل الكتاب وأم كل شيء أصله . قال ابن عباس أول ما خلق الله القلم فأمره أن يكتب بما يريد أن يخلق فالكتاب عنده ، ثم قرأ وانه في أم الكتاب ﴿ لدينا ﴾ فالقرآن مثبت عند الله في اللوح المحفوظ كما قال (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ ﴾ لعلي حكيم ﴿ قال قتادة يخبر عن منزلته

وشرف وفضل قاله قتادة (حكيم أي محكم بري من الابس والزيف وهذا كله تنبيه على شرفه وفضله كما قال نبارك وتعالى [إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون * لا يمسه إلا المطهرون * تنزيل من رب العالمين] وقال تعالى (كلا انها تذكرة * فمن شاء ذكره في صحف مكرمة * مرفوعة مطهرة * بأيدي سفرة كرام بررة) ولهذا استنبط العلماء رضي الله عنهم من هاتين الآيتين أن الحديث لا يمس المصحف كما ورد به الحديث إن صح لان الملائكة يعظمون المصاحف المشتعلة على القرآن في الملا الأعلى، فأهل الارض بذلك أولى وأحرى، لانه نزل عليهم، وخطابه متوجه اليهم، فهم أحق أن يقابلوه بالاكرام والتعظيم، والالتقاد له بالقبول والتسليم، لقوله تعالى (وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم)

وقوله عز وجل (أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين ؟) اختلف المفسرون في معناها فقبل معناها أمحسبون أن نصفح عنكم فلا نعذبكم ولم تفعلوا ما أمرتم به . قاله ابن عباس رضي الله عنهما وأبو صالح ومجاهد والسدي واختاره ابن جرير، وقال قتادة في قوله تعالى (أفنضرب عنكم الذكر صفحا ؟) والله لو أن هذا القرآن رفع حين رده أوائل هذه الامة لهلكوا ولكن الله تعالى عاد بعائده ورحمته فكرره عليهم ودعاهم اليه عشرين سنة أو ماشاء الله من ذلك وقول قتادة لطيف المعنى جداً وحاصله أنه يقول في معناه انه تعالى من لطفه ورحمته بخلقه لا يترك دعاهم الى الخير والى الذكر الحكيم وهو القرآن وإن كانوا مسرفين معرضين عنه بل أمر به ليهتدى من قدر هدايته وتقوم الحاجة على من كتب شقاوته

ثم قال جل وعلا مسليا لنبيه ﷺ في تكذيب من كذبه من قومه وآمرأ له بالصبر عليهم (وكم

وشرفه أي إن كذبتم بالقرآن يا أهل مكة فانه عندنا لعلي رفيع شريف محكم من الباطل) (أفنضرب عنكم الذكر صفحا؟) يقال ضربت عنه وأضربت عنه اذا تركته وأمسكت عنه، والصفح مصدر قولم صفحت عنه إذا عرضت عنه وذلك حين توليه صفحة وجهك وعنقك والمراد بالذكر القرآن ومعناه أفترك عنكم الوحي ونسك عن انزال القرآن فلا نأمركم ولا ننهاكم من أجل انكم أمرتم في كفركم وتركتم الايمان، استفهام بمعنى الانكار أي لا نفعل ذلك وهذا قول قتادة وجاعة . قال قتادة والله لو كان هذا القرآن رفع حين رده أوائل هذه الامة لهلكوا ولكن الله عاد عليهم بعائده ورحمته فكرره عليهم عشرين سنة أو ماشاء الله . وقيل معناه (أفنضرب عنكم الذكر) تذكرينا إياكم صالحين معرضين قال الكسائي والسدي أفطوي عنكم الذكر طيا؟ فلا تدعون ولا توعظون وقال السكابي أفترككم سدى لا نأمركم ولا ننهاكم

وقال مجاهد والسدي أفعرض منكم ونترككم فلا نعاقبكم على كفركم (أن كنتم قوما مسرفين؟) قرأ أهل المدينة وحزة والكسائي بكسر الهمزة على معنى اذ كنتم كقولهم وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين وقرأ الآخرون بالفتح على معنى لان كنتم مسرفين مشركين (وكم أرسلنا من نبي في

أرسلنا من نبي في الاولين (أي في شيع الاولين) وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون (أي يكذبونه وبسخرون به . وقوله تبارك وتعالى (فأهلكنا أشد منهم بطشا) أي فأهلكنا المكذبين بالرسول وقد كانوا أشد بطشا من هؤلاء المكذبين لك يا محمد كقوله عز وجل [أفلم يسروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة] والآيات في ذلك كثيرة جداً

وقوله جل جلاله (ومضى مثل الاولين) قال مجاهد سنهم ، وقال قتادة عقوبتهم ، وقال غيرهما عبرتهم أي جعلناهم عبرة لمن بعدهم من المكذبين أن يصيبهم ما أصابهم كقوله تعالى في آخر هذه السورة (فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين) وكقوله جل جلالته [سنة الله التي قد خلت في عباده] وقال عز وجل [ولن نجد لسنة الله تبديلاً]

واثن سألهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم (٩) الذي جعل لكم الارض مهدياً وجعل لكم فيها سبلاً لعلكم تهتدون (١٠) والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشربنا به بلدة ميثاً كذلك تخرجون (١١) والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون (١٢) لتستولوا على ظهوره ثم تذكروا نعمه ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحن الله الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين (١٣) وإنا إلى ربنا لمنقلبون (١٤)

يقول تعالى واثن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله العابدين معه غيره (من خلق السموات والارض ؟ ليقولن خلقهن العزيز العليم) أي ليعترفن بأن الخالق لذلك هو الله وحده لا شريك له وهم مع هذا يعبدون معه غيره من الاصنام والانناد ثم قال تعالى (الذي جعل لكم الارض مهدياً) أي فراشا قراراً ثابتة تسبرون عليها وتقومون وتنامون وتنصرفون مع أنها مخلوقة على تيار الماء لكنه أسأها بالجبيل لثلاثين يوماً هكذا ولا هكذا (وجعل لكم فيها سبلاً) أي طرقاً بين الجبال والودية

الاولين * وما يأتيهم * أي وما كان يأتيهم * من نبي الا كانوا به يستهزئون * كما تهزاء قومك بك يعزي به نبيه ﷺ (فأهلكنا أشد منهم بطشا) أي أقوى من قومك يعني الاولين الذين أهلكوا بتكذيب الرسل * ومضى مثل الاولين * أي صفتهم وسنتهم وعقوبتهم فعاقبة هؤلاء كذلك في الاهلاك * واثن سألهم * أي سألت قومك * من خلق السموات والارض ؟ ليقولن خلقهن العزيز العليم * وأقروا بأن الله خالقها وأقروا بعزه وعلمه ثم عبدوا غيره وأنكروا قدرته على البعث لفرط جهلهم ، إلى ههنا تم الاخبار عنهم ثم ابتداء دالاً على نفسه بصنعه فقال (الذي جعل لكم الارض مهدياً

(لعلكم تهتدون) أى فى سيركم من بلد الى بلد ، وقطر الى قطر ، واقليم الى اقليم (والذي نزل من السماء ماء بقدر) أى بحسب الكفاية لزروعكم وثماركم وشربكم لأنفسكم ولأنعامكم وقوله ، تبارك وتعالى (فأنشرنا به بلدة ميتا) أى أرضا ميتة فلما جاءها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، ثم نبه تعالى بأحياء الأرض على أحياء الأجساد يوم المعاد بعد موتها فقال (كذلك تخرجون)

ثم قال عز وجل (والذي خلق الأزواج كلها) أى مما تبت الأرض من سائر الأصناف من نبات وزروع وثمار وأزاهير وغير ذلك ، ومن الحيوانات على اختلاف أجناسها وأصنافها (وجعل لكم من الفلك) أى السفن (والأنعام ما تركبون) أى ذلها لكم وسخرها ويسرها لاكم لحومها وشربكم ألبانها وركوبكم ظهورها ولهذا قال جل وعلا (لتستوها على ظهوره) أى لتستوها متمكنين مرتفقين (على ظهوره) أى على ظهور هذا الجنس (ثم تذكروا نعمة ربكم) أى فيما سخر لكم (إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين) أى مقاومين ولولا تسخير الله لنا هذا ما قدرنا عليه . قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والسدي وابن زيد مقرنين أى مطبقين (وانا إلى ربنا لمقلبون) أى يصائرهم اليه بعد مماتنا واليه سيرنا الا كبر وهذا من باب التنبيه بسير الدنيا على سير الآخرة كما نبه بالزاد الدنيوي على الزاد الآخروي في قوله تعالى (وتزودوا فان خير الزاد التقوى) وبالباس الدنيوي على الآخروي في قوله تعالى (وربشأ ولباس التقوى ذلك خير)

(ذكر الاحاديث الواردة عند ركوب الدابة)

(حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب) رضي الله عنه قال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا شريك ابن عبد الله عن أبي إسحاق عن علي بن ربيعة قال رأيت عليا رضي الله عنه أتى بدابة فلما وضع رجله

وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون) الى مقاصدكم في أسفاركم (والذي نزل من السماء ماء بقدر) أى بقدر حاجتكم اليه لا كما أنزل على قوم نوح بغير قدر حتى أهلكتهم (فأنشرنا) أى حيينا (به بلدة ميتا كذلك) أى كما أحيينا هذه البلدة الميتة بالمطر كذلك (تخرجون) من قبوركم أحياء (والذي خلق الأزواج كلها) أى الأصناف كلها (وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون) فى البر والبحر (لتستوها على ظهوره) ذكر الكناية لانه ردها الى ما (ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه) بتسخير المراكب فى البر والبحر (وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا) ذال لنا هذا (وما كنا له مقرنين) مطبقين وقيل ضابطين (وانا إلى ربنا لمقلبون) لمنصرفون فى المعاد

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران أنا اسمعيل ابن محمد الصفار أنا أحمد بن منصور الرمادى ثنا عبد الرزاق أنا معمر بن أبي إسحاق أخبرني علي بن أبي

في الركاب قال بسم الله فلما استوى عليها قال الحمد لله (سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون) ثم حمد الله تعالى ثلاثا وكبر ثلاثا ثم قال سبحانك لا اله الا انت قد ظلمت نفسي فاغفر لي ثم ضحك فقلت له مم ضحكك يا أمير المؤمنين؟ فقال رضي الله عنه رأيت رسول الله ﷺ فعل مثل ما فعلت ثم ضحك فقلت مم ضحكك يا رسول الله فقال ﷺ «بِعَجَبِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ عَبْدِهِ إِذَا قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَيَقُولُ عِلْمُ عَبْدِي أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرِي» وهكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث أبي الاحوص زاد النسائي ومنصور عن أبي إسحاق السبيعي عن علي بن ربيعة الاسدي الوالي به وقال الترمذي حسن صحيح، وقد قال عبد الرحمن بن مهدي عن شعبة قلت لأبي إسحاق السبيعي ممن سمعت هذا الحديث؟ قال من يونس بن خباب فقلت يونس بن خباب فقلت ممن سمعته؟ فقال من رجل سمعته من علي بن ربيعة ورواه بعضهم عن يونس بن خباب عن شقيق بن عقبة الاسدي عن علي بن ربيعة الوالي به

(حديث عبد الله بن عباس) رضي الله عنهما قال الامام أحمد حدثنا أبو المغيرة حدثنا أبو بكر ابن عبد الله عن علي بن أبي طلحة عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : ان رسول الله ﷺ أردفه على دابته فلما استوى عليها كبر رسول الله ﷺ ثلاثا وحمد ثلاثا وسبح ثلاثا وهلل الله واحدة ثم استلقى عليه وضحك ثم أقبل عليه فقال «ما من امرئ مسلم يركب دابته فيصنع كما صنعت إلا أقبل الله عز وجل عليه فضحك اليه كما ضحكك اليك» تفرد به أحمد

(حديث عبد الله بن عمر) رضي الله عنهما قال الامام أحمد حدثنا أبو كامل حدثنا حماد بن سلمة عن أبي الزبير عن علي بن عبد الله البارق عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : ان النبي ﷺ كان اذا ركب راحلته كبر ثلاثا ثم قال «سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون» ثم يقول - اللهم اني أسألك في سفري هذا البر والتقوى ، ومن العمل ما ترضى ، اللهم هون علينا السفر واطولنا البعيد ، اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل ، اللهم اصحبنا في سفرنا واخلفنا في أهلنا » وكان ﷺ اذا رجع الى أهله قال «آيئون تائبون ان شاء الله عابدون لربنا حامدون» وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي من حديث ابن جريج والترمذي من حديث حماد بن سلمة كلاهما عن أبي الزبير به

(حديث آخر) قال الامام أحمد حدثنا محمد بن عبيد حدثنا محمد بن اسحاق عن محمد بن ابراهيم

ربيعة انه شهد عليا رضي الله عنه حين ركب فلما وضع رجله في الركاب قال بسم الله فلما استوى قال الحمد لله ثم قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون ثم حمد ثلاثا وكبر ثلاثا ثم قال لا اله الا الله ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت ثم ضحك فقلت له ما بضحكك يا أمير المؤمنين؟ قال رأيت رسول الله ﷺ فعل مثل ما فعلت وقال مثل ما قلت ثم

٩٠ اقترأ المشركين في جعلهم بعض الانعام لطواغيث وبعضها لله (تفسير ابن كثير والبغوي)

عن عمرو بن الحكم بن ثوبان عن أبي لاس الخزاعي قال حملنا رسول الله ﷺ على ابل من ابل الصدقة الى الحج فقلنا يا رسول الله ما ترى أن نحملنا هذه فقال ﷺ « ما من بهير الا في ذروته شيطان فاذكروا اسم الله عليها اذا ركبتوها كما أمركم ثم امتنوها لانفسكم فانما يحمل الله عز وجل » أبو لاس اسمه محمد بن الاسود بن خلف

(حديث آخر) في معناه قال احمد حدثنا عتاب أخبرنا عبدالله بن علي بن اسحاق أخبرنا عبدالله يعني ابن المبارك أخبرنا اسامة بن زيد أخبرني محمد بن حمزة أنه سمع أباه يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « على ظهر كل بهير شيطان فاذا ركبتوها فسموا الله عز وجل ثم لا تقصروا عن حاجاتكم »

وجعلوا له من عباده جزءاً إن الإنسان لكفور مبين (١٥) أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين (١٦) وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً ظل وجهه مسوداً وهو كظيم (١٧) أو من ينشئ في الحلية وهو في الخصام غير مبين ؟ (١٨) وجعلوا الملائكة الذين هم عبد الرحمن إنسا شهدوا أخلاقهم ؟ ستكتب شهدتهم ويسئلون (١٩) وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدتهم ما عبدتهم ما لهم بذلك من علم إن هم الا بخرصون (٢٠)

يقول تعالى مخبراً عن المشركين فيما افتروه وكذبوه في جعلهم بعض الانعام لطواغيثهم وبعضها لله تعالى كما ذكر الله عز وجل عنهم في سورة الانعام في قوله تبارك وتعالى (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا اشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون) وكذلك جعلوا له من قسمي البنات والبنين أخسهما وأردأهما وهو البنات كما قال تعالى (أنكم الذكر وله الانثى ؟ تلك إذا قسمة ضيزى) وقال جل وعلا ههنا [وجعلوا له من عباده جزءاً إن الإنسان لكفور مبين] ثم قال جل وعلا [أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين ؟] وهذا انكار عليهم غاية الانكار

ضحك قلنا ما يضحكك يا نبي الله ؟ قال عجبت العبد - أو قال عجبت للعبد - اذا قال لا اله الا الله ظلمت نفسي فاغفر لي أنه لا يغفر الذنوب الا أنت، يعلم أنه لا يغفر الذنوب الا هو »

قوله تعالى (وجعلوا له من عباده جزءاً) أي نصيباً وبعضاً وهو قولهم الملائكة بنات الله ومعنى الجعل ههنا الحكم بالشيء، والقول كما تقول جعلت زيداً أفضل الناس أي وصفته وحكمت به (أن الإنسان) يعني الكافر (لكفور) لجهود انعم الله (مبين) ظاهر الكفران (أم اتخذ مما يخلق بنات) هذا استفهام توبيخ وانكار يقول اتخذ ربكم لنفسه البنات (وأصفاكم بالبنين ؟) كقوله

ثم ذكر تمام الانكار فقال جلّت عظمته (واذا بشر أحدم بما ضرب الرحمن مثلا ظل وجهه مسوداً وهو كظيم) أي اذا بشر أحد هؤلاء بما جعلوه لله من البنات يأنف من ذلك غاية الانفة وتعلوه كآبة من سوء ما بشر به ويتوارى من القوم من خجله من ذلك يقول تبارك وتعالى فكيف تأفون أنتم من ذلك وتنسبونه الى الله عز وجل ؟

ثم قال سبحانه وتعالى [أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين ؟] أي المرأة ناقصة يكل نقصها بلبس الحلي منذ تكون طفلة واذا خاصمت فلا عبارة لها بل هي عاجزة عيبة أو من يكون هكذا ينسب الى جناب الله العظيم ؟ فلأنني ناقصة الظاهر والباطن في الصورة والمعنى فيكل نقص ظاهرها وصورتها بلبس الحلي وما في معناه ليجبر ما فيها من نقص كما قال بعض شعراء العرب وما الحلي إلا زينة من تقيصة يتم من حسن اذا الحسن قصرا وأما اذا كان الجمال موفراً كحسنك لم يحتاج الى أن يزورا

وأما نقص معناها فانها ضعيفة عاجزة عن الانتصار عند الانتصار لآعبارة لها ولاهمة كقال بعض العرب وقد بشر بنت ماهي بنعم الولد نصرها بكاء ، وبرها مرفقة وقوله تبارك وتعالى [وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا] أي اعتقدوا فيهم ذلك فانكر عليهم تعالى قولهم ذلك فقال [أشهدوا خلقهم ؟] أي شاهدوه وقد خلقهم الله اناثا [ستنكب

[أقاصمكم ربكم بالبين واتخذ من الملائكة اناثا ؟] (واذا بشر أحدم بما ضرب الرحمن مثلا) أي بما جعل لله شبها وذلك ان ولد كل شيء يشبهه يعني اذا بشر أحدم بالبنات ، كما ذكر في سورة النحل [واذا بشر أحدم بالانثى] (ظل وجهه مسوداً وهو كظيم) من الغيظ والحزن (أو من ينشأ) قرأ حمزة والكسائي وحفص ينشأ بضم الباء وفتح الزون وتشديد الشين أي يربي وقرأ الآخرون بفتح الباء وسكون الزون وتخفيف الشين أي ينبت ويكبر (في الحلية) في الزينة يعني النساء (وهو في الخصام غير مبين) للحجة من ضعفين وسفهن

قال قتادة في هذه الآية قلما تنكلم امرأة تريد أن تنكلم بحجتها الا تكلمت بالحجة عليها ، ومن في محل من ثلاثة أوجه الرفع على الابتداء والنصب على الاضمار مجازة أو من ينشأ في الحلية يجعلونه بنات الله والخفض ردا على قوله مما يخلق وقوله بما ضرب (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا) قرأ أهل الكوفة وأبو عمرو عباد الرحمن بالياء والالف بعدها ورفع الدال كقوله تعالى [بل عباد مكرمون] وقرأ الآخرون عند الرحمن بالزون ونصب الدال على الظرف وتصديقه كقوله عز وجل (ان الذين عند ربك) الآية (أشهدوا خلقهم ؟)

قرأ أهل المدينة على ما لم يسم فاعله ولينوا الهمزة الثانية بعد همزة الاستفهام أي أحضروا خلقهم ؟ وقرأ الآخرون بفتح الشين أي أحضروا خلقهم حين خلقوا وهذا كقوله (أم خلقنا الملائكة اناثا

شهادتهم [أي بذلك] ويسئلون [عن ذلك يوم القيامة وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد] وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم [أي لو أراد الله لحال بيننا وبين عبادة الاصنام التي هي على صورة الملائكة التي هي بنات الله فانه عالم بذلك وهو يقررنا عليه فجمعوا بين انواع كثيرة من الخطأ (أحدها) جعلهم لله تعالى ولداً تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علواً كبيراً [الثاني] دعواهم انه اصطفى البنات على البنين فجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثاً [الثالث] عبادتهم لهم مع ذلك كله بلا دليل ولا برهان ولا اذن من الله عز وجل بل بمجرد الآراء والاهواء والتقليد للاسلاف والكبراء والاباء والحبيط في الجاهلية الجاهلاء [الرابع] احتجاجهم بتقديرهم على ذلك قدرا وقد جعلوا في هذا الاحتجاج جهلاً كبيراً فانه تعالى قد انكر ذلك عليهم أشد الانكار فانه منذ بعث الرسل وانزل الكتب يأمر بعبادته وحده لا شريك له وينهى عن عبادة ما سواه قال تعالى [ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ؟]

وقال عز وجل [واسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا أبعثنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ؟] وقال جل وعلا في هذه الآية بعد أن ذكر حججهم هذه [ما لهم بذلك من علم] أي بصحة ما قالوه واحتجوا به [انهم إلا يخرصون] أي يكذبون ويتقولون وقال مجاهد في قوله تعالى [ما لهم بذلك من علم انهم إلا يخرصون] يعني ما يعلمون قدرة الله تبارك وتعالى على ذلك

أم آتينهم كتباً من قبله فهم به مستمسكون (٢١) بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثرهم مهتدون (٢٢) وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثرهم مقتدون (٢٣) قل أولو جئتمكم بأهدي

وهم شاهدون [ستكتب شهادتهم] على الملائكة أنهم بنات الله [ويسئلون] عنها قال الكلبي ومقاتل لما قالوا هذا القول سألهم النبي ﷺ فقال ما يدريكم أنهم بنات الله قالوا سمعنا من آبائنا ونحن نشهد أنهم لم يكذبوا فقال الله تعالى [ستكتب شهادتهم ويسئلون] عنها في الآخرة [وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم] يعني الملائكة قاله قتادة ومقاتل والكلبي وقال مجاهد يعني الاوثان وانما لم يجعل عقوبتنا على عبادتنا اياها لرضاه منا بعبادتها

قال الله تعالى [ما لهم بذلك من علم] فيما يقولون ما هم الا كاذبون في قولهم ان الله تعالى رضي منا بعبادتها وقيل انهم الا يخرصون فيما يقولون [انهم الا يخرصون] في قولهم ان الملائكة اناث وانهم بنات الله [أم آتيناهم كتاباً من قبله] أي من قبل القرآن بأن يعبدوا غير الله [فهم

مما وجدتم عليه اباؤكم قالوا انا بما ارسلتم به كفرون (٢٤) فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عقبة المكذبين (٢٥)

يقول تعالى منكرا على المشركين في عبادتهم غير الله بلا برهان ولا دليل ولا حجة [أم آتيناكم كتابا من قبله [أي من قبل شرركم [فهم به مستمسكون [أي فيما هم فيه أي ليس الامر كذلك كقوله عز وجل (أم ازلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون) أي لم يكن ذلك. ثم قال تعالى [بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون [أي ليس لهم مستند فيهم فيه من الشرك سوى تقليد الآباء والاجداد بأنهم كانوا على أمة والمراد بها الدين ههنا وفي قوله تبارك وتعالى [وإن هذه أمتكم أمة واحدة) وقولهم [وانا على آثارهم [أي وراءهم [مهتدون] : عوى منهم بلا دليل ثم بين جل وعلا أن مقالة هؤلاء قد سبقهم اليها أشباههم ونظراؤهم من الامم السالفة المكذبة المرسل تشابهت قلوبهم فقالوا مثل مقالتهم [كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون * أتواصوا به بل هم قوم طاغون ؟] وهكذا قال ههنا [وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون [ثم قال عز وجل [قل [أي يا محمد لهؤلاء المشركين [أولو جنتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ؟ قالوا انا بما أرسلتم به كافرون [أي ولو علموا وتيقنوا صحة ما جنتهم به لما انقادوا لذلك لسوء قصدكم ومكابرتهم للحق وأهله قال الله تعالى (فانتقمنا منهم) أي من الامم المكذبة بأنواع من العذاب كافضه تبارك وتعالى في قصصهم [فانظر كيف كان عاقبة المكذبين [أي كيف بادوا وهلكوا وكيف نجى الله المؤمنين

وإذ قال ابراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون (٢٦) إلا الذي فطرني فإنه

به مستمسكون * بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة) على دين وملة قال مجاهد على امام (وإنا على آثارهم مهتدون) جعلوا أنفسهم باتباع آباءهم الاولين مهتدين (وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها) أغنياؤها ورؤساؤها (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) بهم (قال) قرأ ابن عامر وحفص قال على الخبر وقرأ الآخرون قل على الامر (أولو جنتكم) قرأ أبو جعفر جنتكم على الجمع والآخرون على الواحد (بأهدى) بدين أصوب (مما وجدتم عليه آباءكم) قال الزجاج قال لهم أنتبعون ما وجدتم عليه آباءكم وإن جنتكم بأهدى منه فأبوا أن يقبلوه (قالوا انا بما أرسلتم به كافرون) فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين

قوله عز وجل (وإذ قال ابراهيم لأبيه وقومه إنني براء) أي بريء ولا يثنى البراء ولا يجمع (ففسرها ابن كثير والبقوي) (٥٥) (الجزء السابع)

٢٩٤ تبرؤ ابراهيم عليه السلام من أبيه وقومه في عبادتهم الاوثان (تفسير ابن كثير والبغوي)

سهيدين (٢٧) وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون (٢٨) بل تمتع هؤلاء آباءهم حتى

جاءهم الحق ورسول مبين (٢٩) ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كفرون (٣٠) وقالوا

لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم (٣١) أم يقسمون رحمت ربك نحن

قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم

بعضا سخرياً ورحمت ربك خير مما يجمعون (٣٢) ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا

لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سفكاً من فضة ومعارج عليها يظهرون (٣٣) وليبوتهم أبواً وسراً

عليها يتكثون (٣٤) وزخرفوا إن كل ذلك لمامتّع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين (٣٥)

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله وخليفه امام الحنفاء ووالد من بعث بعده من الانبياء الذي

تنسب اليه قريش في نسبها ومذهبها أنه تبرأ من أبيه وقومه في عبادتهم الاوثان فقال [انني براء مما

تعبدون الا الذي فطرني فانه سهيدين * وجعلها كلمة باقية في عقبه] أي هذه الكلمة وهي عبادة الله

وحده لا شريك له وخلع ماسواه من الاوثان وهي لا إله الا الله أي جعلها دائمة في ذريته يقتدى به

فيها من هداه الله تعالى من ذرية ابراهيم عليه الصلاة والسلام (لعلهم يرجعون) أي اليها ، قال عكرمة

ومجاهد والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم في قوله عز وجل (وجعلها كلمة باقية في عقبه) يعني لا إله

الا الله لا يزال في ذريته من يقولها . وروي نحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وقال ابن زيد كلمة

الاسلام وهو يرجع إلى ما قاله الجماعة

ثم قال جل وعلا (بل تمتع هؤلاء) يعني المشركين (وآباءهم) أي فتناول عليهم العمر في

ولا يؤنث لانه مصدر وضع موضع النعت (مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سهيدين) يرشدني لذنبه

(وجعلها) يعني هذه الكلمة كلمة باقية في عقبه ، قال مجاهد وقتادة يعني كلمة التوحيد وهي لا اله الا الله

(كلمة باقية في عقبه) أي في ذريته قال قتادة لا يزال في ذريته من يعبد الله ويوحده وقال القرظي

يعني جعل وصية ابراهيم التي أوصى بها بنيه باقية في نسله وذريته وهو قوله عز وجل [ووصى بها

ابراهيم بنيه ويعقوب] وقال ابن زيد يعني قوله [أسلمت لرب العالمين] وقرأ (هو سماكم المسلمين)

(لعلهم يرجعون) لعل أهل مكة يتبعون هذا الدين ويرجعون عما هم عليه إلى دين ابراهيم

وقال السدي لعلهم يتوبون ويرجعون إلى طاعة الله عز وجل (بل تمتع هؤلاء وآباءهم) يعني

ضلالهم (حتى جاءهم الحق ورسول مبين) أي بين الرسالة والندارة [ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون] أي كبروه وعاندوه ودفعوا بالصدور والراح كفرة وحسداً ونفياً [وقالوا] أي كالمعتزين على الذي أنزله تعالى وتقدس (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) أي هلا كان أنزال هذا القرآن على رجل عظيم كبير في أعينهم من القريتين يعنون مكة والطائف . قاله ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة ومحمد بن كعب القرظي وقادة والسدي وابن زيد

وقد ذكر غير واحد منهم أنهم أرادوا بذلك الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي ، وقال مالك عن زيد بن أسلم والضحاك والسدي يعنون الوليد بن المغيرة ومسعود بن عمرو الثقفي ، وعن مجاهد يعنون حمير بن عمرو بن مسعود الثقفي ، وعنه أيضاً أنهم يعنون عتبة بن ربيعة ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما جبار من جبابرة قريش ، وعنه رضي الله عنهما أنهم يعنون الوليد بن المغيرة وحبيب بن عمرو بن حمير الثقفي وعن مجاهد يعنون عتبة بن ربيعة بمكة وابن عبد المطلب بالطائف ، وقال السدي عنوا بذلك الوليد بن المغيرة وكنانة بن عبد عمرو بن حمير الثقفي والظاهر أن مرادهم رجل كبير من أي البلدين كان . قال الله تبارك وتعالى راداً عليهم في هذا الاعتراض (أم يقسمون رحمة ربك) أي ليس الأمر مردوداً إليهم بل إلى الله عز وجل والله أعلم حيث يجعل رسالاته فإنه لا ينزلها إلا على أئمة الخلق قلباً ونفساً وأشرفهم بيتاً وأطهرهم أصلاً

ثم قال عز وجل مبيناً أنه قد قاوت بين خلقه فيما أعطاهم من الأموال والأرزاق والمقول والفهم وغير ذلك من القوى الغاهرة والباطنة فقال [نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا] الآية ، وقوله جلّت عظمتهم [ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً] قيل معناه ليسخر بعضهم بعضاً في الأعمال لاحتياج هذا

المشركين في الدنيا ولم أعاجلهم بالعقوبة على كفرهم (حتى جاءهم الحق) يعني القرآن وقال الضحاك الإسلام (ورسول مبين) يبين لهم الأحكام وهو محمد ﷺ وكان من حق هذا الانعام أن يطيعوه فلم يفعلوا وعصوا وهو قوله (ولما جاءهم الحق) يعني القرآن (قالوا هذا سحر وإنا به كافرون) وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم

يعنون الوليد بن المغيرة من مكة وعروة بن مسعود الثقفي بالطائف قاله قتادة وقال مجاهد عتبة ابن ربيعة من مكة وابن عبد المطلب من الطائف وقيل الوليد بن المغيرة من مكة ومن الطائف حبيب ابن عمرو بن حمير الثقفي ويروى هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما

قال الله تعالى (أم يقسمون رحمة ربك) يعني النبوة قال مقاتل يقول أبأيديهم مفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاؤوا ثم قال (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا) فجعلنا هذا غنياً وهذا فقيراً وهذا ملكاً وهذا مملوكاً فكما فضلنا بعضهم على بعض في الرزق كما شئنا كذلك اصطفينا بالرسالة من شئنا (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) بالغنى والمال (ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً)

إلى هذا وهذا إلى هذا . قاله السدي وغيره ، وقال قتادة والضحاك ليملك بعضهم بعضا وهو راجع إلى الأول ، ثم قال عز وجل [ورحمة ربك خير مما يجمعون] أي رحمة الله بخلقه خير لهم مما بأيديهم من الأموال ومتاع الحياة الدنيا

ثم قال سبحانه وتعالى [ولولا أن يكون الناس أمة واحدة] أي لولا أن يعتقد كثير من الناس الجهلة أن إعطاءنا المال دأبل على محبتنا لمن أعطيناه فيجتمعوا على الكفر لأجل المال ، هذا معنى قول ابن عباس والحسن وقتادة والسدي وغيرهم [لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج] أي سلام ودرجا من فضة . قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي وابن زيد وغيرهم [عليها يظهرون] أي يصعدون [وليبوتهم أبوابا] أي اغلاقا على أبوابهم [ومسررا] أي عليها يتكئون [أي جسيم ذلك يكون فضة (وزخرفا) أي وذهبا . قاله ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد

ثم قال تبارك وتعالى (وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا) أي إنما ذلك من الدنيا الفانية الزائلة الحفيرة عند الله تعالى أي يجعل لهم بحسناتهم التي يعملونها في الدنيا ما كل ومشارب ليوافوا الآخرة وليس لهم عند الله تبارك وتعالى حسنة يجزيهم بها كما ورد به الحديث الصحيح . وورد في حديث آخر « لو أن الدنيا وزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء » أسنده البغوي من رواية زكريا ابن منظور عن أبي حازم عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ فذكره ، ورواه الطبراني من طريق

ليستخدم بعضهم بعضا فيسخر الأغنياء بأموالهم الأجراء الفقراء بالعمل فيكون بعضهم لبعض سبب المعاش هذا بماله وهذا بأعماله فيلتنم قوام أمر العالم

وقال قتادة والضحاك يملك بعضهم بما لهم بعضا بالعبودية والملك ﴿ ورحمة ربك ﴾ يعني الجنة ﴿ خير ﴾ المؤمنين ﴿ مما يجمعون ﴾ مما يجمع الكفار من الأموال ﴿ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة ﴾ أي لولا أن يصيروا كلهم كفارا فيجتمعون على الكفر ﴿ لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ﴾ قرأ ابن كثير وأبو جعفر وأبو عمرو وسقفا بفتح السين وسكون القاف على الواحد ومعناه الجعم كقوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم ، وقرأ الآخرون بهم السين والقاف على الجمع وهي جمع سقف مثل رهن ورهن

قال أبو عبيدة ولأثالث لها وقيل هو جمع سقف وقيل جمع سقف جمع الجمع ﴿ ومعارج ﴾ مصاعد ودرجا من فضة ﴿ عليها يظهرون ﴾ يعملون ويترقون يقال ظهرت على السطح إذا علوت ﴿ وليبوتهم أبوابا ﴾ من فضة ﴿ ومسررا ﴾ أي وجعلنا لهم سررا من فضة ﴿ عليها يتكئون وزخرفا ﴾ أي وجعلنا مع ذلك لهم زخرفا وهو الذهب نظيره أو يكون لك بيت من زخرف ﴿ وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا ﴾ قرأ عامر وحزة لما بالتشديد على معنى وما كل ذلك إلا متاع الحياة الدنيا فكأن لما بمعنى إلا وخففه الآخرون على معنى وكل ذلك متاع الحياة الدنيا فيكون أن للابتداء وما صلة يريد أن

زمنة بن صالح عن أبي حازم عن سهل بن سعد عن النبي ﷺ « لو عدلت الدنيا عند الله جناح بعوضة ما أعطى كافراً منها شيئاً » ثم قال سبحانه وتعالى [والآخرة عند ربك للمتقين] أي هي لهم خاصة لا يشاركهم فيها أحد غيرهم ولهذا لما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرسول الله ﷺ حين صعد إليه في تلك المشربة لما آلى ﷺ من نسائه فرآه على رمال حصير قد أثر بجنبه فابتدرت عيناه بالبكاء وقال يا رسول الله هذا كسرى وقصر فيها هما فيه وأنت صفة الله من خلقه وكان رسول الله ﷺ متكئاً لجلس وقال « أوفي شك أنت يا ابن الخطاب ؟ » ثم قال ﷺ « أولئك قوم عجات لهم طيبانهم في حياتهم الدنيا » وفي رواية « أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة ؟ »

وفي الصحيحين أيضاً وغيرهما أن رسول الله ﷺ قال « لا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافها فإنها لهم في الدنيا ولنا في الآخرة » وإنما خولهم الله تعالى في الدنيا لحقارنها كما روى الترمذي وابن ماجه من طريق أبي حازم عن سهل بن سعد قال قال رسول الله ﷺ « لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ماسقى منها كافراً شربة ماء أبداً » قال الترمذي حسن صحيح

ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين (٣٦) وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون (٣٧) حتى إذا جاءنا قال يليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين (٣٨) ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مبشركون (٣٩) أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين ؟ (٤٠) فأما نذيرين بك فانا منهم منتقمون (٤١)

هذا كله منافع الحياة الدنيا بزول ويذهب (والآخرة عند ربك للمتقين) خاصة يعني الجنة أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو العباس عبد الله بن محمد بن هارون الطيسفوني أنا أبو الحسن محمد بن أحمد التبراني أنا أبو بكر أحمد محمد بن عمر بن بسطام أنا أحمد بن سيار القرشي ثنا عبد الرحمن بن يونس ثنا أبو مسلم ثنا أبو بكر بن مطور عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال قال رسول الله ﷺ « لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ماسقى منها كافراً منها قطرة ماء » أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا محمد ابن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الحلال أنا عبد الله بن المبارك عن خالد بن سعيد عن قيس بن حازم عن المستورد بن شداد أخي بني فهر قال كنت في الركب الذين وقفوا مع رسول الله ﷺ على السخلة الميتة فقال رسول الله ﷺ « أترون هذه هانت على أهلها حتى ألقوها ؟ » قالوا من هو أنها ألقوها قال رسول الله ﷺ « فالدنيا أهون على الله من هذه على أهلها » قوله عز وجل (ومن يعيش عن ذكر الرحمن) أي يعرض عن ذكر الرحمن فلم يخف عقابه ولم

أَوْ تَرَىٰكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَأَنَّا عَلِيمٌ مِّمَّكَتَدْرُونَ (٤٢) فَاسْتَمْسَكَ بِالَّذِي أَوْحَىٰ إِلَيْكَ إِنَّا كَاشِفُ الْعَذَابِ عَنْ قَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ (٤٤) وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مَنْ رَسَلْنَا أَجْمَعِينَ مَنْ دُونَ الرَّحْمَنِ إِلَهٌ يَمْدُونَ ؟ (٤٥)

يقول تعالى [ومن يش] أي يتعاضى ويتغافل ويعرض (عن ذكر الرحمن) والعشا في العين ضعف بصرها، والمراد هنا عشا البصرة [نقيض له شيطاناً فهو له قرين] كقوله تعالى [ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى] الآية وكقوله [فلما زاغوا أزاغ الله لولهم] وكقوله جل جلاله [وقبضنا لهم قرننا فزبدوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم] الآية ولهذا قال تبارك وتعالى هنا [وانهم ليهضدونهن عن السبيل] وبحسبون أنهم مهتدون * حتى إذا جاءنا [أي هذا الذي تغافل عن الهدى نقيض له من الشياطين من بضله ويهديه إلى صراط الجحيم، فإذا وافى الله عز وجل يوم القيامة يتبرم بالشيطان الذي وكل به] قال ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين [وقرأ بعضهم] حتى إذا جاءنا [بمعنى القرين والمقارن]

قال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن سعيد الجري قال : بلغنا أن الكافر إذا بعث من قبره يوم القيامة شفع بيده شيطان فلم يفارقه حتى يصيرهما الله تبارك وتعالى إلى النار فذلك حين يقول [ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين] والمراد بالمشرقين هنا هو ما بين المشرق والمغرب، وإنما استعمل هنا تغليباً كما يقال القمران والعمران والأبوان. قاله ابن جرير وغيره

برج ثوابه يقال عشوت إلى النار أعشوا عشواً إذا قصدتها مهتدياً بها وعشوت عنها أعرضت عنها كما يقول عدلت إلى فلان وعدلت عنه وملت إليه وملت عنه، قال القرطبي يول ظهره عن ذكر الرحمن وهو القرآن، قال أبو عبيدة والاختش بظلم بصره عنه، قال الخليل بن أحمد أصل العشو النظر بصر ضعيف، وقرأ ابن عباس ومن يش بفتح الشين أي يعم يقال عشى بعشى عشياً إذا عى فهو أعشى وامرأة عشواء ﴿نقيض له شيطاناً﴾ قرأ يعقوب يقيض بالياء والباقون بالنون نسب له شيطاناً ونضمه إليه ونسلطه عليه ﴿فهو له قرين﴾ لا يفارقه يزين له العمى ويخيل إليه أنه على الهدى ﴿وانهم﴾ يعني الشياطين ﴿ليصدونهم عن السبيل﴾ أي لينمعنهم عن الهدى وجمع الكناية لأن قوله (ومن يش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً) في مذهب جمع وإن كان اللفظ على الواحد ﴿وبحسبون أنهم مهتدون﴾ ويحسب كفار بني آدم أنهم على هدى ﴿حتى إذا جاءنا﴾ قرأ أهل العراق غير أبي بكر جاءنا على الواحد يعنون الكافر، وقرأ الآخرون جاءنا على التثنية يعنون الكافر وقرينه قد جعلنا في سلسلة واحدة ﴿قال﴾ الكافر لقرينه الشيطان ﴿ياليت بيني وبينك بعد المشرقين﴾ أي بعدما بين المشرق

ثم قال تعالى [ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون] أي لا ينبغي عنكم اجتماعكم في النار واشتراككم في العذاب الاليم

وقوله جلست عظمتة [أفأنت تسمع العم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين ؟] أي ليس ذلك اليك إنما عليك البلاغ وليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء وهو الحكم العدل في ذلك . ثم قال تعالى [فاما نذهب بلك فانا منهم منتقمون] أي لا بد أن نتقم منهم ونعاقبهم ولو ذهب أنت [أو نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون] أي نحن قادرون على هذا وعلى هذا ، ولم يقبض الله تعالى رسوله ﷺ حتى أقر عينه من أعدائه وحكمه في نواصبيهم ، ومملكه مانضه منته صباصيم ، هذا معنى قول السدي واختاره ابن جرير

وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا أبو ثور عن معمر قال تلا فتادة [فاما نذهب بلك فانا منهم منتقمون] فقال ذهب النبي ﷺ وبقيت النعمة ولم ير الله تبارك وتعالى نبيه ﷺ في أمته شيئا يكرهه حتى مضى ولم يكن نبي قط الا وقد رأى العقوبة في أمته إلا نبيكم ﷺ قال وذكر لنا أن رسول الله ﷺ أرى ما يصيب أمته من بعده فإرني ضاحكا منبسطا حتى قبضه الله عز وجل وذكر من رواية سعيد بن أبي عروبة عن فتادة نحوه

ثم روى ابن جرير عن الحسن نحوه ذلك أيضا وفي الحديث النجوم أمانة لاسماء فاذا ذهب النجوم أتى السماء ماتوعدا وأنا أمانة لأصحابي فاذا ذهب أتى أصحابي ما يوعدون

والمغرب فقلب اسم أحدهما على الآخر كما يقال للشمس والقمر القمران ولأبي بكر وعمر العمران ، وقيل أراد بالشرقيين مشرق الصيف ومشرق الشتاء والاول أصح (فبئس القرين)

قال أبو سعيد الخدري إذا بعث الكافر زوج بهرته الشيطان فلا يفارقه حتى يصيروا إلى النار (ولن ينفعكم اليوم) في الآخرة (إذ ظلمتم) أشركتم في الدنيا (أنكم في العذاب مشتركون) يعني لا ينفعكم الاشتراك في العذاب ولا يخفف الاشتراك عنكم العذاب لأن لكل واحد من الكفار والشياطين الحظ الاوفر من العذاب قال مقاتل لن ينفعكم الاعتذار والندم اليوم فأنتم وقرواؤكم اليوم مشتركون في العذاب كما كنتم مشتركين في الكفر (أفأنت تسمع العم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين) يعني الكافرين الذين حقت عليهم كلمة العذاب لا يؤمنون (فاما نذهب بلك) بأن نيمتك قبل أن نعذبهم (فانا منهم منتقمون) بالقتل بعدك (أو نرينك) في حياتك (الذي وعدناهم) من العذاب (فانا عليهم مقتدرون) قادرون متى شئنا عذبناهم وأراد به مشركي مكة انتقم منهم يوم بدر وهذا قول أكثر المفسرين . وقال الحسن وفتادة عن به أهل الاسلام من أمة محمد ﷺ وقد كان بعد النبي ﷺ نعمة شديدة في أمته فأكرم الله نبيه وذهب به ولم يره في أمته إلا الذي يقر عينه وأبقى النعمة بعده ، وروي أن النبي ﷺ أرى ما يصيب أمته بعده فإرني ضاحكا منبسطا حتى

ثم قال عز وجل (فاستمسك بالذي أوحى إليك أنك على صراط مستقيم) أي خذ بالقرآن المنزل على قلبك فإنه هو الحق وما يهدي إليه هو الحق المنفذي إلى صراط الله المستقيم، الموصل إلى جنات النعيم، والخير الدائم المقيم . ثم قال جل جلاله (وأنه لذكر لك ولقومك) قيل معناه لشرف لك ولقومك قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ومجاهد وقتادة والسدي وابن زيد واختاره ابن جرير ولم يحك سواء . وأورد الترمذي هنا حديث الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن معاوية رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « أن هذا الأمر في قريش لا ينافيهم فيه أحد إلا أكرهه الله تعالى على وجهه ما أقاموا الدين » رواه البخاري ومعناه أنه شرف لهم من حيث أنه أنزل بلغتهم فهم أفهم الناس له فينبغي أن يكونوا أقوم الناس به وأعلمهم بمقتضاه ، وهكذا كان خيارهم وصفوتهم من الخالص من المهاجرين السابقين الأولين ومن شابههم وتابهم ، وقيل معناه (وأنه لذكر لك ولقومك) أي لتذكركم لك ولقومك وتخصيصهم بالذكر لا ينفي من سواهم كقوله تعالى (لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون) وكقوله تبارك وتعالى (وأنذر عشيرتلك الأقرين) (وسوف تسئلون) أي عن هذا القرآن وكيف كنتم في العمل به والاستجابة له

وقوله سبحانه وتعالى (واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) أي جميع الرسل دعوا إلى مادعوت الناس إليه من عبادة الله وحده لا شريك له ونهوا عن

قبضه الله (فاستمسك بالذي أوحى إليك أنك على صراط مستقيم * وأنه) يعني القرآن (لذكر لك) أي لشرف لك (ولقومك) من قريش نظيره لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أي شرفكم (وسوف تسئلون) عن حقه وإدائه شكره ، روى الضحاك عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان إذا سئل لمن هذا الأمر بعدك لم يجيب بشيء حتى نزلت هذه الآية فكان بعد ذلك إذا سئل لمن هذا قال لقريش

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا عبد الرحمن بن شريح أنا أبو القاسم البغوي ثنا علي بن الجعد أنا عاصم بن محمد بن زيد عن أبيه عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي اثنان »

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل حدثنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهري قال كان محمد بن جبير بن مطعم يحدث عن معاوية قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا أكرهه الله على وجهه ما أقاموا الدين » وقال مجاهد القوم هم العرب فالقرآن لهم شرف إذ نزل بلغتهم ثم يختص بذلك الشرف الأخص فالأخص من العرب حتى يكون الأكثر قريش وأبي هاشم ، وقيل ذلك شرف لك بما أعطاك من الحكمة ولقومك المؤمنين بما هداهم الله به وسوف تسئلون عن القرآن وعما يلزمكم من القيام بحقه قوله (واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) اختلفوا

(سورة الزخرف ٤٣ جزء ٢٥٠) ارسال موسى الى فرعون وملئه واستهزاؤهم بآيات الله ٤٠٦

عبادة الاصنام والانداد كقوله جلّت عظمته (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) قال مجاهد في قراءة عبدالله بن مسعود رضي الله عنه (واسئل الذين أرسلنا اليهم قبلك رسلنا) وهكذا حكاه قتادة والضحاك والسدي عن ابن مسعود رضي الله عنه ، وهذا كأنه تفسير لا تلاوة والله أعلم . وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم واسألهم ليلة الاسراء فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام جمعوا له ، واختار ابن جرير الاول والله أعلم

ولقد أرسلنا موسى بآيتنا إلى فرعون وملئه فقال اني رسول رب الملين (٤٦) فلما

جاءهم بآيتنا اذا هم منها يضحكون (٤٧) وما نريهم من آية الا هي أكبر من أختها وأخذتهم

بالعذاب لعلمهم يرجعون (٤٨) وقالوا ياأيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا

لمنتدون (٤٩) فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكتون (٥٠)

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله موسى عليه الصلاة والسلام انه ابثه الى فرعون وملئه من الاسراء والوزراء والقادة والاتباع والرعايا من القبط وبني اسرائيل ، يدعوهم الى عبادة الله وحده لا شريك له وينهاهم عن عبادة ما سواه ، وانه بعث معه آيات عظيمة كيد وعصاه ، وما أرسل معه من الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، ومن نقص الزروع والافنس والخمرات ، ومع هذا كله استكبروا عن اتباعها والاعتقاد لها وكذبوها وسخروا منها وضحكوا بمن جاءهم بها (وما تانيهم من آية الا هي أكبر من أختها) ومع هذا مارجعوا عن غيهم وضلالهم وجهلهم وخباياهم ، وكلما جاءتهم آية من هذه

في هؤلاء المسؤولين قال عطاء عن ابن عباس لما أمرى بالنبي ﷺ بعث الله له آدم وولده من المرسلين فاذن جبريل ثم أقام وقال يا محمد تقدم فصل بهم فلما فرغ من الصلاة قال له جبريل سل يا محمد من أرسلنا قبلك من رسلنا الآية فقال رسول الله ﷺ « لا أسأل فقد اكتفيت » وهذا قول الزهري وسعيد بن جبير وابن زيد قالوا جمع الله له المرسلين ليلة أسرى به وأمره أن يسألهم فلم يشك ولم يسأل وقال اكثر المفسرين سل مؤمني أهل الكتاب الذين أرسلت اليهم الانبياء هل جاءتهم الرسل الا بالتوحيد ، وهو قول ابن عباس في سائر الروايات ومجاهد وقاتدة والضحاك والسدي والحسن ومقاتل يدل عليه قراءة عبد الله وأبي (واسئل الذين أرسلنا اليهم قبلك رسلنا) ومعنى الامر بالسؤال التقرير لمشركي قريش أنه لم يأت رسول ولا كتاب بعبادة غير الله عز وجل (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملئه فقال اني رسول رب العالمين) فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون (استهزاء) وما نريهم من آية الا هي أكبر من أختها (قرينتها وصاحبها التي كانت

« تفسير ابن كثير والبغوي » (٥١) « الجزء السابع »

الآيات بضرعون الى موسى عليه الصلاة والسلام ويتلطفون له في العبارة بقولهم (ياأيها الساحر) أي العالم قاله ابن جرير وكان علماء زمانهم هم السحرة ، ولم يكن السحر في زمانهم مذموماً عندهم فليس هذا منهم على سبيل الانتقاص منهم لان الحال حال ضرورة منهم اليه لاتناسب ذلك وإنما هو تعظيم في زعمهم ففي كل مرة يمدون موسى عليه السلام ان كشف عنهم هذا أن يؤمنوا به ويرسلوا معه بني إسرائيل ، وفي كل مرة ينكثون ما عاهدوا عليه وهذا كقوله تبارك وتعالى (فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين * ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل * فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون)

ونادى فرعون في قومه قال يقوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي

أفلا تبصرون ؟ (٥١) أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين ؟ (٥٢) فلولاً ألقى

عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين (٥٣) فاستخف قومه فأطاعوه إنهم

كانوا قوماً فاسقين (٥٤) فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقهم أجمعين (٥٥) فجعلناهم سلفاً

ومثلاً للآخرين (٥٦)

يقول تعالى مخبراً عن فرعون ونمرده وعتوه وكفره وعناده أنه جمع قومه فنادى فيهم متبجحاً مفتخراً بملك مصر وتصرفه فيها (أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي) قال قتادة قد

قبلها (وأخذناهم بالعذاب) بالسنين والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس فكانت هذه دلالات لموسى وعذاباً لهم فكانت كل واحدة أكبر من التي قبلها (لعلهم يرجعون) عن كفرهم (وقالوا) لموسى لما عابوا العذاب (يا أيها الساحر) ياأيها العالم الخادق وإنما قالوا هذا توقيفاً وتعظيماً له لان البحر عندهم كان علماً عظيماً وصفة ممدوحة وقبل معناه ياأيها الذي غلبنا بسحره وقال الزجاج خاطبوه به لما تقدم له عندهم من التسمية بالساحر (ادع لنا ربك بما عهد عندك) أي بما أخبرتنا من عهده اليك إن آمنا كشف عنا العذاب فأسأله يكشف عنا العذاب (اننا لمهتدون) مؤمنون فدعا موسى فكشف عنهم فلم يؤمنوا فذلك قوله عز وجل . (فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون) ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم

(ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار) أمهات النيل (تجري من تحتي) من تحت قصوري ، وقال قتادة تجري من بين يدي في جنائي وبساتيني . وقال الحسن بأمرى (أفلا

كانت لهم جنات وأنهار ماء (أفلا تبصرون) أي أفلا ترون ما أنا فيه من العظمة والملك يعني موسى وأتباعه فقراء ضعفاء ، وهذا كقوله تعالى (فخشعوا وذاتوا بطنهم) فقال أنا ربكم الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة والاولى)

وقوله [أم أنا خير من هذا الذي هو مهين] قال السدي يقول بل أنا خير من هذا الذي هو مهين وهكذا قال بعض نحاة البصرة ان أم ههنا بمعنى بل ، ويؤيد هذا ما حكاه الفراء عن بعض القراء أنه قرأها (أما أنا خير من هذا الذي هو مهين) قال ابن جرير ولو صحت هذه القراءة لكان معناها صحيحا واضحا ولكنها خلاف قراءة الامصار فانهم قرؤا (أم أنا خير من هذا الذي هو مهين) على الاستفهام قلت وعلى كل تقدير فانما يعني فرعون لعنه الله بذلك أنه خير من موسى عليه الصلاة والسلام وقد كذب في قوله هذا كذبا بينا واضحا فعليه لعائن الله المتتابعة الى يوم القيامة ، ويعني بقوله مهين كما قال سفيان حقيير وقال قتادة والسدي يعني ضعيف ، وقال ابن جرير يعني لأمك له ولا سلطان ولا مال (ولا يكاديين) يعني لا يكاد يفصح عن كلامه فهو عبي حصر قال السدي (لا يكاديين) أي لا يكاد يفهم وقال قتادة والسدي وابن جرير يعني عبي اللسان وقال سفيان يعني في لسانه شيء من الجرة حين وضعها في فيه وهو صغير ، وهذا الذي قاله فرعون لعنه الله كذب واختلاق وإنما حمله على هذا الكفر والعناد وهو ينظر الى موسى عليه الصلاة والسلام بعين كفرة شقية وقد كان موسى عليه السلام من الجلالة والعظمة والبهاء في سورة يهر أبصار ذوي الالباب ، وقوله [مهين] كذب بل هو المهين الحقير خلفة وخلقا ودينا ، وموسى هو الشريف الرئيس الصادق البار الراشد ، وقوله (ولا يكاديين) اقترأ ايضا فانه وان كان قد أصاب لسانه في حال صغره شيء من جهة تلك الجرة فقد سأل الله عز وجل أن يحل عقدة من لسانه ليفقهوا قوله وقد استجاب الله تبارك وتعالى له ذلك في قوله [قد أوتيت سؤلك يا موسى] وبتقدير أن يكون قد بقي شيء لم يسأل ازالته كما قاله الحسن البصري وإنما سأل زوال ما يحصل معه الا بلاغ والافهام فالاشياء الخلقية التي ليست من فعل العبد لا يعاب بها ولا يذم عليها وفرعون وان كان يفهم وله عقل فهو يدري هذا وإنما أراد الترويج على رعيته فانهم كانوا جهلة أغبياء وهكذا قوله (فلو لا اتني عليه اسورة من ذهب) وهي ما يجعل في الايدي من الخلي قاله

تبصرون) عظمتي وشدة ملكي (أم أنا خير) بل أنا خير أم يعني بل وليس بحرف عطف على قول أكثر المفسرين . وقال الفراء الوقف على قوله أم وفيه إخبار مجازه أفلا تبصرون ألا تبصرون . ثم ابتداء فقال أنا خير (من هذا الذي هو مهين) ضعيف حقير يعني موسى قوله (ولا يكاديين) يفصح بكلامه لثبته التي في لسانه (فلو لا اتني عليه) ان كان صادقا (أسورة من ذهب) قرأ حفص ويعقوب أسورة جمع سوار وقرأ الآخرون أسورة على جمع الاسورة وهي جمع الجمع . قال مجاهد كانوا اذا سودوا رجلا سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب يكون ذلك دلالة لسباده فقال فرعون هلا

ابن عباس رضي الله عنهما وقادة وغير واحد (أو جاء معه الملائكة مقترنين) أي يكفونه خدمة
له ويشهدون بحسنه نظر إلى الشكل الظاهر ولم ينهم السر المعزى الذي هو أظهر مما ناز اليه لو
كان بهم ولذا قال تعالى (فاستخف قومه فأطاعوه) أي استخف عقولهم فدعاهم إلى الضلالة
فاستجابوا له إلههم كانوا قوماً فاسقين)

قال الله تعالى (فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس
رضي الله عنهما آسفونا استعطونا وقال الضحاك عنه أفضبونا وهكذا قال ابن عباس أيضاً ومجاهد
وجرير وعبد بن جبير ومحمد بن كعب القرظي وقادة والسدي وغيرهم من المفسرين

وقال ابن أبي حاتم حدثنا عبيد الله بن أخي ابن وهب حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمير عن عتبة
ابن مسلم التميمي عن عتبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : إذا رأيت الله تبارك
وتعالى يهلك العباد ما يشاء وهو مقبض على معاصيه فأما ذلك استدراج منه له ثم تلا ﷺ (فلما
آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين) وحدثنا أبي حدثنا يحيى بن عبد الحميد الخثمي حدثنا قيس بن
الزبير عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال كنت عند عبد الله رضي الله عنه فذكر عنده موت
القباء فقال مخيف على المؤمن وخسرة على الكافر ثم قرأ رضي الله عنه [فلما آسفونا انتقمنا منهم
فأغرقناهم أجمعين] فقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وجدت النعمة مع الفاقة يعني قوله تبارك
وتعالى [فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين]

وقوله سبحانه وتعالى (فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين) قال أبو مجاز سلفاً لمثل من عمل
بظلمهم وقال هو ومجاهد ومثلاً أي عبرة لمن بعدهم والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب واليه المرجع والمآب

وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُون (٥٧) وَقَالُوا آلُ هَارُونَ أَكْثَرُ

ألقى رب موسى عليه أسودة من ذهب إن كان سيداً تحب علينا طاعته (أو جاء معه الملائكة مقترنين)
متتابعين بنام بعضهم بعضاً يشهدون له بصحته ويعبونه على أمره . قال الله تعالى (فاستخف قومه)
أي استخف فرعون قومه القبط أي وجدهم جهالاً وقيل حملهم على الخفة والجهل يقال استخفه عن
رأيه إذا حسه على الجهل وأزاله عن الصواب (فأطاعوه) على تكذيبه موسى (إنهم كانوا قوماً
فاسقين فلما آسفونا) أفضبونا (انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين) فجعلناهم سلفاً (قرأ حمزة والكسائي
سلفاً بضم السين واللام ، قال الفراء هو جمع سليف من سلف بضم اللام يسلف أي تقدم . وقرأ
الآخرين بفتح السين واللام على جمع السالف مثل حارس وحرس وخادم وخدم ورأسد ورصد
وهما جميعاً لماضون للتقدمون من الأمم يقال سلف يسلف إذا تقدم والسلف من تقدم من الآباء
فجعلناهم متقدمين ليحفظ بهم الآخرون (ومثلاً للآخرين) عبرة وعظة لمن بقي بعدهم وقيل سلفاً
لكنهم هذه الأمة إلى النار ومثلاً لمن بقي بعدهم (ولما ضرب ابن مريم مثلاً) قال ابن عباس

لك إلا جد لا بل هم قوم خصمون (٥٨) إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبي
اسرائيل (٥٩) ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخفون (٦٠) وإنه لعلم للساعة فلا
تترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم (٦١) ولا يصدنكم الشيطان إنه لكم عدو مبين (٦٢)
ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولا بين لکم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا
الله وأطيعون (٦٣) إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم (٦٤) فاختلف
الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم (٦٥)

يقول تعالى مخبراً عن تعنت قريش في كفرهم وتعمد العناد والجدل (ولما ضرب ابن مريم مثلاً
إذا قومك منه يصدون) قل غير واحد عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة والسدي
والضحاك يضحكون أي اعجبوا بذلك

وقال قتادة يجزعون ويضحكون . وقال ابراهيم النخعي يعرضون . وكان السبب في ذلك ما ذكره
محمد بن اسحاق في السيرة حيث قال : وجلس رسول الله ﷺ فيما باغني يوماً مع الوليد بن المغيرة
في المسجد فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم وفي المجلس غير واحد من رجال قريش فتكلم
رسول الله ﷺ فعرض له النضر بن الحارث فكلّمه رسول الله ﷺ حتى أغضبته ثم تلا عليه
وعليهم [أنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون] الآيات . ثم قام رسول الله
ﷺ وأقبل عبد الله بن الزهري التميمي حتى جلس فقال الوليد بن المغيرة له : والله ما قام النضر بن
الحارث لابن عبد المطلب وما قعد ، وقد زعم محمد أنا وما نعد من آلهتنا هذه حصب جهنم ، فقال
عبد الله بن الزهري أما والله لو وجدته لحصته سلوا محمداً أكل ما يعبد من دون الله في جهنم مع من
عبده ؟ فحين نعد الملائكة واليهود تعبد عزيراً والنصارى تعبد المسيح عيسى بن مريم ، فعجب
الوليد ومن كان معه في المجلس من قول عبد الله بن الزهري ورأوا أنه قد احتج وخاصم فذكر ذلك
لرسول الله ﷺ فقال « كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده فانهم إنما يعبدون
الشيطان ومن أمرهم بعبادته » فأنزل الله عز وجل [إن الذين سبقتم منّا الحسنى أولئك فيها
مبعدون] أي عيسى وعزير ومن عبد معهما من الأقباط والرهبان الذين مضوا على طاعة الله عز
وجل فاتخذهم من بعدهم من أهل الضلالة أرباباً من دون الله ونزل فيما يذكر من أنهم يعبدون الملائكة
وأكثر للفسرين أن الآية نزلت في مجادلة عبد الله بن الزهري مع النبي ﷺ في شأن عيسى عليه
السلام لما نزل قوله تعالى (أنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) وقد ذكرناه في سورة الانبياء
عليهم السلام (إذا قومك منه يصدون) قرأ أهل المدينة والشام والكسائي يصدون بضم الصاد أي

٤٠٦ نعت كفل قريش وجداهم في عيسى بن مريم عليه السلام (تفسير ابن كثير والبغوي)

وأنهم بنات الله [وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون] الآيات ونزل فيها يذكر من أمر عيسى عليه الصلاة والسلام وأنه يعبد من دون الله وعجب الوليد ومن حضره من حجة وخصومة [ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون] أي يصدون عن أمرك بذلك من قوله ، ثم ذكر عيسى عليه الصلاة والسلام فقال [إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لابي اسرائيل ولو أنشأ جملتنا منكم لأملاكم في الأرض يخلفون] وأنه لم للساعة [أي ما وضع على يديه من الآيات من إحياء الموتى وإبراء الأصقام فكفى به دليلاً على علمه] (فلا تترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم) وذكر ابن جرير من رواية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله [ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون] قال يعني قريشاً لما قبل لهم [أنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون] إلى آخر الآيات فقالت له قريش فما ابن مريم ؟ قال « ذاك عبد الله ورسوله » فقالوا والله ما يريد هذا إلا أن نتخذه رباً كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم رباً فقال الله عز وجل [ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون]

وقال الامام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا شيبان عن عاصم بن أبي النجود عن أبي رزبن عن أبي يحيى مولى بن عقيل الانصاري قال قال ابن عباس رضي الله عنهما : لقد علمت آية من القرآن ما سألتني عنها رجل قط ولا أدري أعلمها الناس فلم يسألوا عنها أم لم يفظنوا لها فيسألوا عنها . قال ثم طلق يحدثننا فلما قام تلاومنا أن لا نكون سألناه عنها فقلت أنا لها إذا راح غداً فلما راح الغد قلت يا ابن عباس ذكرت أمس ان آية من القرآن لم بسألك عنها رجل قط فلا تدري أعلمها الناس أم لم يفظنوا لها فقلت أخبرني عنها وعن الآتي قرأت قبلها ، قال رضي الله عنه نعم ان رسول الله ﷺ قال لقريش « يا معشر قريش انه ليس أحد يعبد من دون الله في خير » وقد علمت قريش ان النصارى

يعرضون نظيره قوله تعالى [يصدون عنك صدوداً] وقرأ الآخرون بكسر الصاد واختلفوا في معناه قال الكسائي هما لغتان مثل يعرشون ويعرشون وشد عليه بشد وبشد ونم بالحديث يتم ويتم وقال ابن عباس معناه يضجون وقال سعيد بن المسيب يصيحون ، وقال الضحاك يصجون . وقال قتادة يمجرون وقال القرظي يضجرون (ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون) يقولون ما يريد منا محمد إلا أن نعبده ونتخذنه إلهاً كما عبدت النصارى عيسى (وقالوا . آلهتنا خير أم هو) قال قتادة أم هو يعنون محمداً فنعبد ونطيعه ونترك آلهتنا ، وقال السدي وابن زيد أم هو يعنون عيسى ، قالوا يزعم محمد أن كل ما عبد من دون الله في النار فنحن نرضى أن تكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة في النار قال الله تعالى (ما ضربوه) يعني المثل (لك إلا جدلاً) خصومة بالباطل وقد علموا أن المراد من قوله (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) هؤلاء الأصنام (بل هم قوم خصمون) أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعابي أنا أبو بكر عبد الرحمن بن عبد الله

(سورة الزخرف ٤٣ جز ٢٥) نعت كمار قريش وجداهم في عيسى بن مريم عليه السلام ٧٧

نعت عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام وما تقول في محمد ﷺ فقالوا يا محمد أأنت تزعم أن عيسى عليه الصلاة والسلام كان نبيا وعبداً من عباد الله صالحا فإن كنت صادقا كان آلهتهم كاتقولون قال فأنزل الله عز وجل [ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون] قلت ما يصدون ؟ قال يضحكون [وانه لهم الساعة] قال هو خروج عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام قبل يوم القيامة

وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن يعقوب الدمشقي حدثنا آدم حدثنا شيبان عن عامر بن أبي النجود عن أبي أحمد مولى الانصار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « يا معشر قريش انه ليس أحد بعد من دون الله فيه خير » فقالوا له أأنت تزعم أن عيسى كان نبيا وعبداً من عباد الله صالحا فقد كان بعد من دون الله فأنزل الله عز وجل (ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون) وقال مجاهد في قوله تعالى (ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون) قالت قريش إنما يريد محمد أن نعبده كما عبد قوم عيسى عليه السلام ونحو هذا قال قتادة

وقوله (وقالوا آلهتنا خير أم هو) قال قتادة يقولون آلهتنا خير منه ، وقال قتادة قرأ ابن مسعود رضي الله عنه وقالوا آلهتنا خير أم هذا يعنون محمداً ﷺ

وقوله تبارك وتعالى (ما ضربوه لك إلا جدلاً) أي مراء وهم يعلمون انه ليس بوارد على الآية لأنها لما لا يعقل وهي قوله تعالى (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) ثم هي خطاب لقريش وهم انما كانوا يعبدون الاصنام والانداد ولم يكونوا يعبدون المسيح حتى يوردوه فتعين أن مقاتلهم انما كانت جدلاً منهم ليسوا يعتقدون صحتها

وقد قال الامام أحمد رحمه الله حدثنا ابن نمير حدثنا حجاج بن دينار عن أبي غالب عن أبي امامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل » ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية (ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون) وقد رواه الترمذي وابن ماجه وابن جرير من حديث حجاج بن دينار به ، ثم قال الترمذي حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديثه كذا قال .

الجشادي أنا احمد بن جعفر بن حمدان القطيعي ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي ثنا عبد الله بن نمير ثنا حجاج بن دينار الواسطي عن أبي غالب عن أبي امامة قال ، قال رسول الله ﷺ « ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل » ثم قرأ (ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون) ثم ذكر عيسى فقال (إن هو) ما هو يعني عيسى عليه السلام (إلا عبد أنعمنا عليه) بالنبوة (وجعلناه مثلاً) آية وعبرة (لبني اسرائيل) يعرفون به قدرة الله عز وجل على ما يشاء حيث خلقه من غير أب (ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة) أي ولو نشاء لأهلكناكم وجعلنا بدلاً منكم ملائكة (في الارض يخلفون) يكونون خلفاء منكم يعمرون الارض ويعبدونني ويطيعونني وقيل يخلف بعضهم بعضاً (وانه) يعني عيسى عليه السلام (لهم الساعة) يعني نزوله من أشراط الساعة

٤٠٨ كون عيسى بن مريم عبداً لله الذين أنعم عليهم بالرسالة (تفسير ابن كثير والبغوي)

(١) هذه الرواية غير موجودة في النسخة المكية

(١) وقد روي من وجه آخر عن أبي امامة رضي الله عنه بزيادة فقال ابن أبي حاتم حدثنا حميد بن عياش الرمي حدثنا مؤمل حدثنا حماد أخبرنا ابن مخزوم عن القاسم بن أبي عبد الرحمن السامي عن أبي امامة رضي الله عنه قال حماد لأدري رفعه أم لا ؟ قال : ما ضلت أمة بعد نبيها الا كان أول ضلالها التكذيب بالقدر ، وما ضلت أمة بعد نبيها إلا أعطوا الجدل . ثم قرأ (ما ضربوه لك الا جدلاً بل هم قوم خصمون) وقال ابن جرير أيضاً حدثنا أبو كريب حدثنا أحمد بن عبد الرحمن عن عبادة بن عباد عن جعفر عن القاسم عن أبي امامة رضي الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ خرج على الناس وهم يتنازعون في القرآن فنضب غضباً شديداً حتى كأنما صب على وجهه الخل ثم قال ﷺ لا تضربوا كتاب الله ببعضه ببعض فانه ماضل قوم قط الا أوتوا الجدل ، ثم تلا صلى الله عليه وسلم (ما ضربوه لك الا جدلاً بل هم قوم خصمون)

وقوله تعالى (إن هو الا عبد أنعمنا عليه) يعني عيسى عليه الصلاة والسلام ما هو الا عبد من عباد الله عز وجل أنعم الله عليه بالنبوة والرسالة (وجعلناه مثلاً لذي اسرائيل) أي دلالة وحجة وبرهاناً على قدرتنا على ما نشاء ، وقوله عز وجل (ولو نشاء لجعلنا منكم) أي بدلتم (ملائكة في الارض يخلفون) قال السدي يخلفونكم فيها ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقناة يخلف بعضهم بعضاً كما يخاف بعضهم بعضاً وهذا القول يستلزم الاول ، وقال مجاهد يعبرون الارض بدلتم

وقوله سبحانه وتعالى (وانه لعل الساعة) تقدم تفسير ابن اسحاق أن المراد من ذلك ما بعث به عيسى عليه الصلاة والسلام من احياء الموتى وبراء الاكابر والابرص وغير ذلك من الاسقام وفي هذا نظر ، وأبعد منه ما حكاه قتادة عن الحسن البصري وسعيد بن جبير أن الضمير في وانه عائد على القرآن بل الصحيح أنه عائد على عيسى عليه الصلاة والسلام فان السياق في ذكره ثم المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة كما قال تبارك وتعالى (وإن من أهل الكتاب الا ليؤنن به قبل موته) أي قبل موت عيسى عليه الصلاة والسلام (ثم يوم القيامة يكون عليهم شهيداً) ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى

يعلم به قربها وقرأ ابن عباس وأبو هريرة وقناة (وانه لعل الساعة) بفتح اللام والعين أي أماراة وعلامة وروينا عن النبي ﷺ أنه قال « ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية وتهلك في زمانه الملل كلها الا الاسلام »

ويروى انه ينزل على ثنية بالارض المقدسة وعليه ثوبان مصرتان وشعر رأسه ذهبن ويده حربة وهي التي يقتل بها الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة العصر فيتأخر الامام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد ﷺ ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيعة والكنائس ويقتل النصارى إلا من آمن به

[وانه لم الساعة] أي أماره ودليل على وقوع الساعة قال مجاهد [وانه لم الساعة] أي آية الساعة خروج عيسى بن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة وهكذا روي عن أبي هريرة وابن عباس وأبي العالية وأبي مالك وعكرمة والحسن وقادة والضحاك وغيرهم ، وقد تواترت الاحاديث عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة اماما عادلا وحكما مقسطا

وقوله تعالى (فلا تمترن بها) أي لا تشكوا فيها إنها واقعة وكائنة لا محالة [وانبعون] أي فيما أخبركم به [هذا صراط مستقيم • ولا يصدنكم الشيطان] أي عن اتباع الحق [انه لكم عدو مبين ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة] أي بالنبوة [ولأين لكم بعض الذي تختلفون فيه] قال ابن جرير يعني من الامور الدينية لا الدنيوية وهذا الذي قاله حسن جيد ثم رد قول من زعم أن بعض ههنا بمعنى كل واستشهد بقول لبيد الشاعر حيث قال :

نزال أمكنة اذا لم أرضها أو يعتلق بعض النفوس حامها

وأولوه على أنه أراد جميع النفوس ، قال ابن جرير وإنما أراد نفسه فقط وعبر بالبعض عنها وهذا الذي قاله محتمل . وقوله عز وجل (فاتقوا الله) أي فيما أمركم به (وأطيعوا) فيما جئتكم به (إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) أي أنا وأنتم عبيد له قراء اليه مشتركون في عبادته وحده لا شريك له (هذا صراط مستقيم) أي هذا الذي جئتكم به هو الصراط المستقيم وهو عبادة الرب جل وعلا وحده . وقوله سبحانه وتعالى (فاختلف الأحزاب من بينهم) أي اختلفت الفرق وصاروا شيعا فيه منهم من يقر بأنه عبد الله ورسوله وهو الحق ، ومنهم من يدعي أنه ولد الله ، ومنهم من يقول إنه الله تعالى

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا ابن بكير ثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن نافع مولى أبي قتادة الانصاري أن أبا هريرة قال قال رسول الله ﷺ « كيف أنتم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم ؟ » وقال الحسن وجماعة وانه يعني وان القرآن لم الساعة يعلمكم قيامها ويخبركم بأحوالها وأهوالها (فلا تمترن بها) فلا تشكوا فيها . قال ابن عباس لا تكذبوا بها (وانبعون) على التوحيد (هذا) الذي أنا عليه (صراط مستقيم • ولا يصدنكم) لا يصرفنكم (الشيطان) عن دين الله (إنه) لأنه (لكم عدو مبين • ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة) بالنبوة (ولأين لكم بعض الذي تختلفون فيه) من أحكام التوراة قال قتادة يعني اختلاف الفرق الذين تمزبوا على أمر عيسى

قال الزجاج الذي جاء به عيسى في الانجيل إنما هو بعض الذي اختلفوا فيه وبين لهم في غير الانجيل ما احتاجوا اليه (فاتقوا الله وأطيعوا) ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه • هذا صراط

٤١ عداوة الاخلاء لبعضهم يوم القيامة مع اعدا المتقين (تفسير ابن كثير والبغوي)

الله عن قولهم علواً كبيراً ، ولهذا قال تعالى (فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم)

هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون؟ (٦٦) إلا أخلاء يومئذ بعضهم

لبعض عدو إلا المتقين (٦٧) يعباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون (٦٨) الذين

آمنوا بآيتنا وكانوا مسلمين (٦٩) ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون (٧٠) يطاف عليهم

بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهي النفس وتلد الأعين وأنتم فيها خالدون (٧١)

وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون (٧٢) لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون (٧٣)

يقول تعالى هل ينتظر هؤلاء المشركون المكذبون لمرسل إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون ؟ أي قاتها كائنة لا محالة وواقعة وهؤلاء غافلون عنها غير مستعدين ، فاذا جاءت انما تجيء وهم لا يشعرون بها فحينئذ يندمون كل الندم حيث لا ينفعهم ولا يدفع عنهم

وقوله تعالى (الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) أي كل صداقة وصحابة لغير الله فانها تنقلب يوم القيامة عداوة إلا ما كان لله عز وجل فانه دائم بدوامه وهذا كما قال ابراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه (انما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً ومأواكم النار وما لكم من ناصرين)

وقال عبدالرزاق أخبرنا إسماعيل عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي رضي الله عنه (الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) قال خليلان مؤمنان وخليلان كافران فتوفي أحد المؤمنين وبشر بالجنة فذكر خليله فقال اللهم ان فلانا خليلي كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسلك ويأمرني بالخير وينهاني

مستقيم * فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم * هل ينظرون * هل ينظرون (إلا الساعة) يعني أنها تأتيهم لا محالة فكانهم ينتظرونها (أن تأتيهم بغتة) فجأة (وهم لا يشعرون * الاخلاء) على المعصية في الدنيا (يومئذ) يوم القيامة (بعضهم لبعض عدو * إلا المتقين) إلا المتعاضدين في الله عز وجل على طاعة الله عز وجل

أخبرنا أحمد بن ابراهيم الشريمي أنا أبو اسحاق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعالبي أخبرني عقيل ابن محمد بن أحمد أن أبا الفرج البغدادي القاضي أخبرهم عن محمد بن جرير ثنا ابن عبد الأعلى عن قتادة ثنا أبو ثور عن معمر عن قتادة عن أبي اسحاق أن علياً قال في هذه الآية خليلان مؤمنان وخليلان كافران فسات أحد المؤمنين فقال يارب ان فلانا كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسلك ويأمرني

عن الشر وينبئني آتي ملائكتك اللهم فلا تضله بعدي حتى تربيه مثل ما أربيتني ، وترضى عنه كما رضيت عنى ، فيقال له اذهب فلو تعلم حاله عندي لضحكت كثيرا وبكيت قليلا قال ثم يموت الآخر فتجتمع ارواحهما فيقال ليهن أحدكما على صاحبه فيقول كل واحد منهما لصاحبه نعم الاخ ونعم الصاحب ونعم الخليل ، واذا مات أحد الكافرين وبشر بالنار ذكر خليفه فيقول اللهم ان خليلي فلانا كان يأمرني بمعصيتك ومعهبة رسولك ، ويأمرني بالشر وينهايني عن الخير ويخبرني آني غير ملائكتك اللهم فلا تضله بعدي حتى تربيه مثل ما أربيتني وتسخط عليه كما سخطت علي قال فيموت الكافر الآخر فيجتمع بين ارواحهما ، فيقال ليهن كل واحد منهما على صاحبه فيقول كل واحد منهما لصاحبه بئس الاخ وبئس الصاحب وبئس الخليل. رواه ابن أبي حاتم ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة صارت كل خلة عداوة يوم القيامة إلا المتقين

وروى الحافظ بن عساكر في ترجمة هشام بن أحمد عن هشام بن عبد الله بن كثير حدثنا أبو جعفر محمد بن الخضر بالرقعة عن معاذي حدثنا حكيم بن نافع عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لو أن رجلين تحابا في الله أحدهما بالشرق والآخر بالغرب لجم الله تعالى بينهما يوم القيامة بقول هذا الذي أحببته في »

وقوله تبارك وتعالى (يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) ثم بشرهم فقال (الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين) أي آمنت قلوبهم وبواطنهم وانقادت لشرع الله جوارحهم وظواهرهم قال المعتبر بن سليمان عن أبيه اذا كان يوم القيامة فان الناس حين يبعثون لا يبقى احد منهم الا فرح فينادي مناد (يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) فيرجوها الناس كلهم قال فيقبضها (الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين) قال فيياس الناس منها غير المؤمنين [ادخلوا الجنة] أي يقال لهم ادخلوا الجنة [أنتم وأزواجكم] أي نظراكم [تجبرون] أي تنعمون وتسعدون ، وقد تقدم تفسيرها في سورة الروم [يطاف عليهم بصحاف من ذهب] أي زبادي آنية الطعام (وأكواب) وهي آنية الشراب أي

بالخير وينهايني عن الشر ويخبرني آني ملائكتك يارب فلا تضله بعدي واحده كما هدبتني وأكرمتني ، فاذا مات خليفه المؤمن جمع بينهما فيقول ليهن أحدكما على صاحبه فيقول نعم الاخ ونعم الخليل ونعم الصاحب ، قال ويموت أحد الكافرين فيقول يارب ان فلانا كان ينهايني عن طاعتك وطاعة رسولك ويأمرني بالشر وينهايني عن الخير ويخبرني آني غير ملائكتك^(١) بئس الاخ وبئس الخليل وبئس الصاحب (يا عباد) فيقال لهم يا عبادي (لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون)

(١) كذا في الاصول
وقد رواه ابن كثير
مع زيادة فليراجع
في أعلى الصفحة

روى عن المعتبر بن سليمان عن أبيه قال سمعت أن الناس حين يبعثون ليس منهم أحد الا فرح فينادي مناد (يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) فيرجوها الناس كلهم فيقبضها (الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين) فيياس الناس منها غير المسلمين فيقال لهم (ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تجبرون) تسرون وتنعمون (يطاف عليهم بصحاف) جمع صحفة وهي القعبة الواسعة (من ذهب

من ذهب لاخر اطعم لها ولا عرى (وفيها ما تشتهي النفس) وقرأ بعضهم تشتهي النفس (وتلد الأعين) أي طيب الطعم والريح وحسن المنظر قال عبدالرزاق أخبرنا معمر أخبرني إسماعيل بن أبي سعيد قال : أن عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهما أخبره أن رسول الله ﷺ قال « أن أدنى أهل الجنة منزلة وأسفلهم درجة لرجل لا يدخل الجنة بعده أحد يفسح له في بصره مسيرة مائة عام في قصور من ذهب وخيام من لؤلؤ ليس فيها موضع شبر إلا معمور يغدى عليه ويراح بسبعين ألف صحيفة من ذهب ليس فيها صحيفة إلا فيها لون ليس في الأخرى مثله ، شهوره في آخرها كشهوره في أولها لو نزل به جميع أهل الأرض لوسم عليهم مما أعطي لا ينقص ذلك مما أوتي شيئاً »

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا عمرو بن سواد السرحي حدثني عبدالله بن وهب عن ابن لميعة عن عقيل بن خالد عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن أبا امامة رضي الله عنه حدث أن رسول الله ﷺ حدثهم وذكر الجنة فقال « والذي نفس محمد بيده يأخذن أحدكم القمعة فيجعلها في فيه ثم يخطار على باله طعام آخر فيتحول الطعام الذي في فيه على الذي اشتهى » ثم قرأ رسول الله ﷺ [وفيها ما تشتهي النفس وتلد الأعين وأنتم فيها خالدون]

وقال الامام احمد حدثنا حسن هو ابن موسى حدثنا مسكين بن عبدالعزيز ثنا أبو الاشعث الضري عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن أدنى أهل الجنة منزلة من له السبع درجات وهو على السادسة وفوقه السابعة وإن له ثلثمائة خادم ويقدى عليه ويراح كل يوم بثلثمائة صحيفة ولا اعلمه إلا قال من ذهب في كل صحيفة لون ليس في الأخرى وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره ، ومن الأشربة ثلثمائة إناء في كل إناء لون ليس في الآخر وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره وإنه ليقول يارب لو أذنت لي لأطعمت أهل الجنة وسقيتهم لم ينقص مما عندي شيء وإن له من الخور العين لاثنتين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا وإن الواحدة منهن لتأخذ مقعدها قدر

وأكواب) جمع كوب وهو إناء مستدير مدور الرأس لا عرى لها (وفيها) أي في الجنة (ما تشتهي النفس) قرأ أهل المدينة والشام وحفص تشتهي النفس وكذلك هي في مصاحفهم وقرأ الآخرون بحذف الهمزة (وتلد الأعين وأنتم فيها خالدون)

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا محمد ابن يعقوب الكسائي أبا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الحلال ثنا عبد الله بن المبارك عن سفيان عن علقمة بن مرثد عن عبد الرحمن بن سابط قال قال رجل يا رسول الله أفني الجنة خيل فاني أحب الخيل ؟ فقال « ان يدخلك الله الجنة فلا تشاء ان تترك فرسا من ياقوتة حمراء تطير بكشي أي الجنة شئت إلا فعلت » وقال أعرابي يا رسول الله أفني الجنة إبل فاني أحب الإبل ؟ فقال « يا أعرابي

مبل من الارض . وقوله تعالى (وأنتم فيها) أي في الجنة (خالدون) أي لا تخرجون منها ولا تبغون عنها حولا . ثم قيل لهم على وجه التفضل والامتنان (وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون) أي أعمالكم الصالحة كانت سببا لشمول رحمة الله إليكم فإنه لا يدخل أحدا عمله الجنة ولكن رحمة الله وفضله وإنما الدرجات ينال تفاوتها بحسب الأعمال الصالحات

قال ابن أبي حاتم ثنا الفضل بن شاذان المقرئ ثنا يوسف بن يعقوب يعني الصفار حدثنا أبو بكر ابن عياش عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « كل أهل النار يرى منزله من الجنة حسرة فيقول (لو أن الله هداني لكنت من المتقين) وكل أهل الجنة يرى منزله من النار فيقول (وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) فيكون له شكرا » قال وقال رسول الله ﷺ « ما من أحد إلا وله منزل في الجنة ومنزل في النار قال كافر يرث المؤمن منزله من النار ، والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة » وذلك قوله تعالى (وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون) وقوله تعالى (لكم فيها فاكهة كثيرة أي من جميع الانواع (منها تأكلون) أي هما اخترتم وأردنم ولما ذكر الطعام والشراب ذكر بعده الفاكهة لثم النعمة والغبطة والله تعالى أعلم

إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون (٧٤) لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون (٧٥) وما ظلمهم ولكن كانوا هم الظالمين (٧٦) ونادوا يملك ليقتض علينا ربك قال انكم مكشون (٧٧) لقد جئتمكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون (٧٨) أم أبرموا أمرا فإنا مبرمون (٧٩) أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجوتهم ؟ بلى ورسأنا لديهم يكتبون (٨٠)

لما ذكر تعالى حال السعداء ثنى بذكر الاشقياء فقال (إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون » لا يفتر عنهم) أي ساعة واحدة (وهم فيه مبلسون) أي آبسون من كل خير (وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين) أي بأعمالهم السيئة بعد قيام الحجة عليهم وأرسال الرسل اليهم فكذبوا وعصوا فجزوا بذلك جزاء وفاقا وما ربك بظالم لعبيد (ونادوا يا مالك) وهو خازن النار قال البخاري حدثنا حجاج بن منهال حدثنا صفيان بن عيينة عن عمر بن عطاء عن صفوان

إن يدخلك الله الجنة أصبت فيها ما اشتبهت نفسك ولدت عينك » (وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون » لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون) وفي الحديث لا ينزع رجل من الجنة من ثمرها إلا نبت مكانها مثلاها (إن المجرمين) المشركين (في عذاب جهنم خالدون » لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون » وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ، ونادوا يا مالك) بدعون خازن النار (ليقتض علينا ربك)

ابن علي عن أبيه رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقرأ على المنبر (ونادوا يا مالك ليقبض علينا ربك) أي يقبض أرواحنا فيرجعنا مما نحن فيه فانهم كما قال تعالى (لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها) وقال عز وجل (ويتجنبها الأشقي الذي يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيا) فلما سألو أزيوتوا أجابهم مالك (قال إنكم ما كثون) قال ابن عباس مكث ألف سنة ثم قال إنكم ما كثون رواه ابن أبي حاتم أي لا خروج لكم منها ولا محيد لكم عنها، ثم ذكر سبب شقتهم وهو مخالفتهم للحق ومعاندتهم له فقال (لقد جئناكم بالحق) أي بيناه لكم ووضحناه وفدروا (ولكن أكثركم للحق كارهون) أي ولكن كانت سجاياكم لا تقبله ولا تقبل عليه وإنما تنقاد للباطل وتعظمه وتصد عن الحق وتأباه وتبغض أهله فعودوا على أنفسكم بالملامة واندموا حيث لا تنفعكم الندامة . ثم قال تبارك وتعالى (أم أبرموا أمرا ؟ فانا مبرمون) قال مجاهد أرادوا كيد شر فكذبناهم وهذا الذي قاله مجاهد كما قال تعالى (ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون) وذلك لأن المشركين كانوا يتحيلون في رد الحق بالباطل بحيل ومكر يسلكونه فكادهم الله تعالى ورد وبال ذلك عليهم ولهذا قل [أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم ؟] أي سرهم وعلاقتهم [بل ورسلناهم يكتبون] أي نحن نعلم ما هم عليه والملائكة أيضا يكتبون أعمالهم صغيرها وكبيرها

قل ان كان المرحمن ولد فانا أول العابدين (٨١) سبحانه رب السموات والارض رب

ليتنا ربك فتستريح فيجيبهم مالك بعد ألف سنة (قال انكم ما كثون) مقيمون في العذاب أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا محمد بن أحمد بن الحارث أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الحلال ثنا عبد الله بن المبارك عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة يذكره عن أبي أيوب عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال ان اهل النار يدعون مالك فلا يجيبهم اربعين عاما ثم يرد عليهم انكم ما كثون قال هانت والله دعوتهم على مالك وعلى رب مالك ثم يدعونهم فيقولون (ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين، ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون) قال فيسكت عنهم قدر الدنيامين ثم يرد عليهم (اخسثوا فيها ولا تكلمون) قال فوالله ما نبتس القوم بعدها بكلمة وما هو الا الزفير والشهيق في نار جهنم تشبه أصواتهم بأصوات الخير او لها زفير وآخرها شهيق (لقد جئناكم بالحق) يقول ارسلنا اليكم بامر شر قريش رسولنا بالحق (ولكن أكثركم للحق كارهون أم ابرموا) احكموا (امرا) في المكر برسول الله ﷺ (فانا مبرمون) محكمون امرا في مجازاتهم قال مجاهد ان كادوا شرا كذبهم مثله (أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم) ما يسرونه من غيرهم ويتناجون به بينهم (بل) نسمع ذلك ونعلم (ورسلنا) ايضا من الملائكة يعني المظلة (لديهم يكتبون قل ان كان الرحمن ولد فانا أول العابدين) يعني ان كان

العرش عما يصغون (٨٢) فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يُلَاقُوا يَوْمَهُم الذي يوعدون (٨٣) وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله وهو الحكيم العليم (٨٤) وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه تُرْجَعُونَ (٨٥) ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون (٨٦) ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأني يَوْفَاكون (٨٧) وقيله يُرب أن هؤلاء قوم لا يؤمنون (٨٨) فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون (٨٩)

يقول تعالى [قل] يا محمد [إن كان لرحمن ولد فأنا أول العابدين] أي لو فرض هذا لعبدته على ذلك لا شيء عبد من عبده مطيع لجميع ما يأمرني به ليس عندي استكبار ولا إباء عن عبادته فلو فرض هذا لكان هذا ولكن هذا ممتنع في حقه تعالى والشرط لا يلزم منه الوقوع ولا الجواز أيضاً كما قال عز وجل [لو أراد الله أن يتخذ ولداً لأصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار] وقال بعض المفسرين في قوله تعالى [فأنا أول العابدين] أي الآنفين ومنهم سفيان الثوري والبخاري حكاة فقال ويقال أول العابدين الجاهدين من عبد بعبد، وذكر ابن جرير لهذا القول من الشواهد ما رواه عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب حدثني ابن أبي ذئب عن أبي قسيط عن بهجة ابن بدر الجهمي أن امرأة منهم دخلت على زوجها وهو رجل منهم أيضاً فولدت له في ستة أشهر فذكر ذلك زوجها لعثمان بن عفان رضي الله عنه فأمر بها أن ترحم فدخل عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : إن الله تعالى يقول في كتابه [وحمله وفصاله ثلاثون شهراً] وقال عز وجل [وفصاله في عامين] قال فوالله ما عبد عثمان رضي الله عنه أن بعث إليهم بآلهم قال يونس قال ابن وهب عبد استنكف وقال الشاعر مني ما يشاء ذو الود يصرم خليله ويعبد عليه لا محالة ظالماً

وهذا القول فيه نظر لأنه كيف يلتزم مع الشرط فيكون تقديره أن كان هذا فأنا ممتنع منه هذا فيه نظر فليتأمل اللهم إلا أن يقال إن أن ليست شرطاً وإنما هي نافية كما قال علي بن أبي طالب عن ابن

ولد في قولكم وعلى زعمكم فأنا أول من عبده بأنه واحد لا شريك له ولا ولد قال ابن عباس إن كان أي ما كان لرحمن ولد فأنا أول العابدين الشاهدين له بذلك جعل أن يعني الجحد، وقال السدي معناه لو كان لرحمن ولد فأنا أول من عبده بذلك ولكن لا ولد له، وقيل العابدين بمعنى الآنفين يعني أول الجاهدين والمنكرين لما قلتم، ويقال معناه أنا أول من غضب لرحمن

عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (قل ان كان للرحمن ولد) يقول لم يكن للرحمن ولد فانا اول الشاهدين وقال قتادة هي كلمة من كلام العرب [ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين] أي ان ذلك لم يكن فلا ينبغي ، وقال ابو صخر [قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين] أي فانا اول من عبده بأن لا ولد له ، وأول من وحده ، وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وقال مجاهد [فانا اول العابدين] أي أول من عبده ووحده وكذبكم

وقال البخاري (فانا اول العابدين) الا نفين وهما لغتان رجل عابد وعبد والاول أقرب على أنه شرط وجزا . ولكن هو ممتنع ، وقال السدي [قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين] يقول لو كان له ولد كنت أول من عبده بأن له ولدا ولكن لا ولد له وهو اختيار ابن جرير ورد قول من زعم أن ان نافية ، ولهذا قال تعالى (سبحانه رب السموات والارض رب العرش عما يصفون) أي تعالى وتقدس وتنزه خالق الاشياء عن أن يكون له ولد فانه فرد أحد صمد لا نظير له ولا كف له فلا ولده وقوله تعالى (فذرهم يخوضوا) أي في جهلهم وضلالهم (ويلعبوا) في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي

يوعدون وهو يوم القيامة أي فسوف يعلمون كيف يكون مصيرهم وما لهم وحالم في ذلك اليوم وقوله تبارك وتعالى (وهو الذي في السماء إله وفي الارض إله) أي هو إله من في السماء . وإله من في الارض يعبد أهلهما وكلهم خاضعون له أذلاء بين يديه وهو الحكيم العليم وهذه الآية كقوله سبحانه وتعالى (وهو الله في السموات وفي الارض به) لم مركم وجهركم ويعلم ما تكسبون) أي هو المدعو الله في السموات والارض (وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما) أي هو خالقهما ومالكهما والمتصرف فيهما بلا مدافعة ولا ممانعة فسبحانه وتعالى عن الولد وتبارك أي استقر له السلامة من العيوب والنقائص لانه الرب العلي العظيم المالك للاشياء الذي بيده أزمة الامور نقضا وابراما (وعنده علم الساعة) أي لا يجليها لوقتها الا هو (واليه ترجعون) أي فيجازي كلاهما ان خيرا فخير وإن شرا فشر . ثم قال تعالى (ولا يملك الذي يدعون من دونه) أي من الاصنام والاولئان (الشفاعة)

ان يقال له ولد يقال عبد يعبد اذا أنف أو غضب عبدا وقال قوم قلما يقال عبد فهو عابد انما يقال عبد فهو عبد ثم نزه نفسه فقال (سبحانه رب السموات والارض رب العرش عما يصفون) عما يقولون من الكذب (فذرهم يخوضوا) في باطلهم (ويلعبوا) في دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) يعني يوم القيامة (وهو الذي في السماء إله وفي الارض إله)

قال قتادة يعبد في السماء وفي الارض لا إله الا هو (وهو الحكيم) في تدبير خلقه (العليم) بمصالحهم (وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما) وعنده علم الساعة واليه ترجعون (قرأ ابن كثير وحمة والسكسائي برجعون بالياء والآخرين بالتاء) ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم عيسى وعزير والملائكة فانهم عبدوا من دون الله ولهم الشفاعة

أي لا يقدرّون على الشفاعة لهم [إلا من شهد بالحق وهم يعلمون] هذا استثناء منقطع أي لكن من شهد بالحق على بصيرة وعلم فانه تنفع شفاعة عنده باذنه له

ثم قال عز وجل (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون) أي ولئن سألت هؤلاء المشركين بالله العابدین معه غيره (من خلقهم ليقولن الله) أي هم يعترفون أنه الخالق للالشیاء جميعها وحده لا شريك له في ذلك ، ومع هذا يعبدون معه غيره ممن لا يملك شيئاً ولا يقدر على شيء فهم في ذلك في غاية الجهل والسفاهة وسخافة العقل ، ولهذا قال تعالى (فأنى يؤفكون)

وقوله جل وعلا (وقيله يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون) أي وقال محمد ﷺ قبله أي شكى الى ربه شكواه من قومه الذين كذبوه فقال يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون كما أخبر تعالى في الآية الاخرى [وقال الرسول يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً] وهذا الذي قلناه هو قول ابن مسعود رضي الله عنه ومجاهد وقتادة وعليه فسر ابن جرير ، قال البخاري وقرأ عبدالله يعني ابن مسعود رضي الله عنه [وقال الرسول يارب] وقال مجاهد في قوله (وقيله يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون) قال يأنر الله عز وجل قول محمد ﷺ وقال قتادة هو قول نبيكم ﷺ يشكو غومه إلى ربه عز وجل ثم حكى ابن جرير في قوله تعالى [وقيله يارب] قراءتين احدهما النصب ولها توجيهاً ان احدهما انه معطوف على قوله تبارك وتعالى [نسمع سرهم ونجواهم] والثاني أن يقدر فعل وقال قبله ، والثانية الخفض وقيله عطفاً على قوله [وعنده علم الساعة] تقديره وعلم قبله

وقوله تعالى (فاصفح عنهم) أي امحهم من سجلهم [وقل سلام] أي لا تميلوهم بمثل ما يحاطبونك به من الكلام السيئ ولكن تألفهم واصفح عنهم فعلاً ودلاً [فسوف يعلمون] هذا تهديد من الله تعالى لهم ولهذا أحل بهم بأسه الذي لا يرد وأعلى دينه وكلمته وشرع بعد ذلك الجهاد والجلاد حتى دخل الناس في دين الله أفواجا وانتشر الاسلام في المشرق والمغرب والله أعلم

(آخر تفسير سورة الزخرف)

وعلى هذا يكون من في محل الرفع وقيل من في محل الخفض وأراد بالدين يدعون عيسى وعزير والملائكة يعني انهم لا يملكون الشفاعة الا لمن شهد بالحق والاول أصح وأراد بشهادة الحق قول لا إله الا الله كلمة التوحيد (وهم يعلمون) بقلوبهم ما شهدوا به بالسهم (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون) يعترفون عن عبادته (وقيله يارب) يعني قول محمد ﷺ شاكياً الى ربه يارب (ان هؤلاء قوم لا يؤمنون) قرأ عاصم وحزمة وقيله بجر اللام والماء على معنى وعنده علم الساعة وعلم قبله يارب وقرأ الآخرون بالنصب وله وجهان احدهما معناه ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله يارب والثاني وقال قبله (فاصفح عنهم) اعرض عنهم (وقل سلام) معناه المأثرة كقوله تعالى (سلام عليكم لا نبئكم الجاهلین) (فسوف يعلمون) قرأ اهل المدينة والشام بالتاء وقرأ الباقر بالباء قال مقاتل نستخيا آية السيف

(الجزء السابع)

(٥٣)

(تفسير ابن كثير والبغوي)

تفسير سورة الدخان وهي مكية

قال الترمذي حدثنا سفيان بن وكيم حدثنا زيد بن الحباب عن عمر بن أبي خثعم عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك » ثم قال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وعمر بن أبي خثعم يضعف قال البخاري منكر الحديث

ثم قال حدثنا نصر بن عبد الرحمن الكوفي حدثنا زيد بن الحباب عن هشام أبي المقدم عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة غفر له » ثم قال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وهشام أبو المقدم يضعف والحسن لم يسمع من أبي هريرة رضي الله عنه . كذا قال أيوب ويونس بن عبيد وعلي بن زيد رحمة الله عليهم أجمعين وفي مسند البزار من رواية أبي الطفيل عامر بن واثلة عن زيد بن حارثة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابن صياد « إني قد خبأت خبأ فها هو » وخبأ له رسول الله ﷺ سورة الدخان فقال هو الدخ ، فقال « أخسأ ماشاء الله » ثم انصرف

بسم الله الرحمن الرحيم

حم (١) والكتب المبين (٢) إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين (٣) فيها يفرق كل أمر حكيم (٤) أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين (٥) رحمة من ربك انه هو السميع العليم (٦) رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين (٧) لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الاولين (٨)

﴿ سورة الدخان مكية وهي تسع وخمسون آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ حم والكتاب المبين ﴾ إنا أنزلناه في ليلة مباركة قال قتادة وابن زيد في ليلة القدر أنزل الله القرآن في ليلة القدر من أم الكتاب إلى السماء الدنيا ثم نزل به جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم نجيهاً في عشرين سنة وقال آخرون هي ليلة النصف من شعبان أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني ثنا أبو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا

يقول تعالى مخبراً عن القرآن العظيم أنه أنزله في ليلة مباركة وهي ليلة القدر كما قال عز وجل (انا أنزلناه في ليلة القدر) وكان ذلك في شهر رمضان كما قال تبارك وتعالى [شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن] وقد ذكرنا الاحاديث الواردة في ذلك في سورة البقرة بما أغنى عن اعادته ، ومن قال انها ليلة النصف من شعبان كما روي عن عكرمة فقد أبعد النجعة فان نص القرآن أنها في رمضان ، والحديث الذي رواه عبد الله بن صالح عن الثبث عن عقيل عن الزهري أخبرني عثمان بن محمد بن المغيرة بن الاخنس قال : إن رسول الله ﷺ قال « تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له وقد أخرج اسمه في الموتى » فهو حديث مرسل ومثله لا يعارض به النصوص وقوله عز وجل (انا كنا منذرين) أي معلمين الناس ما ينفعهم ويضرهم شرعاً لتقوم حجة الله على عباده ، وقوله (فيها يفرق كل أمر حكيم) أي في ليلة القدر يفصل من القوح المحفوظ الى الكتبة أمر السنة وما يكون فيها من الآجال والارزاق وما يكون فيها إلى آخرها . وهكذا روي عن ابن عمر ومجاهد وأبي مالك والضحاك وغير واحد من السلف

وقوله جل وعلا (حكيم) أي محكم لا يبدل ولا يغير ولهذا قال جل جلاله (أمراً من عندنا) أي جيم ما يكون ويقدره الله تعالى وما يوجب به فأمره وأذنه وعلمه (انا كنا مرسلين) أي إلى الناس

الاصبح بن فرج أخبرني ابن وهب عمرو بن الحارث ان عبد الملك بن عبد الملك حدثه أن ابن أبي ذئب حدثه عن القاسم بن محمد عن أبيه أو عمه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ينزل الله جل ثناؤه ليلة النصف من شعبان الى السماء الدنيا فيغفر لكل نفس إلا انساناً في قلبه شحنة أو مشرك بالله » (انا كنا منذرين فيها) أي في الليلة المباركة (يفرق) أي يفصل (كل أمر حكيم) محكم وقال ابن عباس يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما هو كائن في السنة من الخير والشر والارزاق والآجال حتى الحجاج يقال يحج فلان ويحج فلان قال الحسن ومجاهد وقتادة يبرم في ليلة القدر في شهر رمضان كل أجل وعمل وخلق ورزق وما يكون في تلك السنة ، وقال عكرمة هي ليلة النصف من شعبان يبرم فيها أمر السنة وتنسخ الاحياء من الاموات فلا يزداد فيهم أحد ولا ينقص منهم أحد ، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا ابو منصور السمعاني ثنا أبو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا عبد الله بن صالح حدثني الثبث حدثني عقيل عن ابن شهاب أخبرني عثمان بن محمد بن المغيرة بن الاخنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « تقطع الآجال من شعبان الى شعبان حتى إن الرجل لينكح ويولد له ولقد خرج اسمه في الموتى »

وروي ابو الضحى عن ابن عباس رضي الله عنه ان الله يقضى الاقضية في ليلة النصف من شعبان ويسلها الى أربابها في ليلة القدر (أمراً) أي أنزلنا أمراً (من عندنا) قال الفراء نصب على معنى فيها يفرق كل أمر حكيم فوقاً وأمر أي نأمر أمراً ببيان ذلك (انا كنا مرسلين) بهذا صلى الله

رسولا يتلو عليهم آيات الله مبينات فان الحاجة كانت ماسة اليه ولهذا قال تعالى (رحمة من ربك انه هو السميع العليم) رب السموات والارض وما بينهما (أي الذي أنزل القرآن هو رب السموات والارض وخالقهما ومالكهما وما فيهما) (إن كنتم موقنين) أي إن كنتم متحققين ثم قال تعالى (لا إله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الاولين) وهذه الآية كقوله تعالى [قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والارض لا إله الا هو يحيي ويميت] الآية

بل هم في شك يلعبون (٩) فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين (١٠) يفتنى الناس

هذا عذاب أليم (١١) ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون (١٢) أنى لهم الذكرى وقد جاءهم

رسول مبين (١٣) ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون (١٤) انا كاشفو العذاب قليلا انكم

عائدون (١٥) يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون (١٦)

يقول تعالى بل هؤلاء المشركون في شك يلعبون أي قد جاءهم الحق اليقين وهم يشكون فيه ويمترون ولا يصدقون به ، ثم قال عز وجل متوعداً لهم ومهدداً (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين) قال سليمان بن مهران الاحمسي عن أبي الضحى عن مسلم بن صبيح عن مسروق قال دخلنا المسجد يعني مسجد الكوفة عند أبواب كندة فاذا رجل يقص على أصحابه (يوم تأتي السماء بدخان مبين) تدرون ما ذلك الدخان ؟ ذلك دخان يأتي يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم ويأخذ المؤمنين منه شبه الزكام قال فأتينا ابن مسعود رضي الله عنه فذكرنا ذلك له وكان مضطجعا ففرغ فقعد وقال ان الله عز وجل قال لتبكيكم صلى الله عليه وسلم (قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين) ان من العلم ان يقول الرجل لما لا يعلم الله أعلم سأحدثكم عن ذلك ان قريشا لما أبطأت عن الاسلام واستعصمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بسنين كسني يوسف فاصابهم من الجهد والجوع حتى أكلوا العظام والميتة وجعلوا يرفضون أبصارهم إلى السماء فلا يرون الا الدخان وفي رواية فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد قال الله تعالى (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يفتنى الناس هذا عذاب أليم) فاتي رسول

عليه وسلم ومن قبله من الانبياء (رحمة من ربك) قال ابن عباس رافة مفي بخلفي ونعمة عليهم بما بشنا اليهم من الرسل ، وقال الزجاج أنزلناه في ليلة مباركة للرحمة (انه هو السميع العليم) رب السموات والارض وما بينهما (قرأ أهل الكوفة بحمد رب على قوله من ربك ورفع الآخرون رداً على قوله هو السميع العليم وقيل على الابتداء (ان كنتم موقنين) أن الله رب السموات والارض (لا إله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الاولين) بل هم في شك (من هذا القرآن) يلعبون (يهزلون به لاهون عنه) فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين (يفتنى الناس هذا عذاب أليم) تقديره هذا عذاب إلهي ويجوز أن يكون حكاية

الله ﷺ قبيل يا رسول الله استسق الله لمضر فانها قد هلكت فاستسقى ﷺ لهم فسقوا فزلت (انا كاشفو العذاب قليلا إنكم عائدون) قال ابن مسعود رضي الله عنه فيكشف عنهم العذاب يوم القيامة فلما أصابهم الرفاهية عادوا الى حالهم فانزل الله عز وجل (يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون) قال يعني يوم بدر قال ابن مسعود رضي الله عنه قد مضى خمسة : الدخان والروم والقمر والبطشة والزام ، وهذا الحديث مخرج في الصحيحين ورواه الامام احمد في مسنده وهو عند الترمذي والنسائي في تفسيريهما وعند ابن جرير وابن أبي حاتم من طرق متعددة عن الاعمش به وقد وافق ابن مسعود رضي الله عنه على تفسير الآية بهذا أن الدخان مضي جماعة من السلف كجاهد وأبي العالية وابراهيم النخعي والضجك وعطية العوفي وهو اختيار ابن جرير

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا جعفر بن مسافر حدثنا يحيى بن حسان حدثنا ابن لهيعة حدثنا عبد الرحمن الاعرج في قوله عز وجل (يوم تأتي السماء بدخان مبين) قال كان يوم فتح مكة وهذا القول غريب جداً بل منكر . وقال آخرون لم يمض الدخان بعد بل هو من أمارات الساعة كما تقدم من حديث أبي سريجة حذيفة بن أسيد الفخاري رضي الله عنه قال أشرف علينا رسول الله ﷺ من عرفة ونحن نتذاكر الساعة فقال ﷺ « لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات : طلوع الشمس من مغربها ، والدخان والدابة وخروج يأجوج ومأجوج وخروج عيسى بن مريم والدجال وثلاثة خسوف خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس - أو تحشر الناس - تبيت معهم حيث باتوا ، وتقبل معهم حيث قالوا » تفرد بإخراجه مسلم في صحيحه

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لابن صياد « إني خبأت لك خبأ » قال هو الدخ فقال ﷺ له « أخساً فلن تعدو قدرك » قال وخبأ له رسول الله ﷺ (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين) وهذا فيه اشعار بأنه من المنتظر المرتقب وابن صياد كاشف على طريقة الكهان بلسان الجان وهم يفرطون العبارة ولهذا قال هو الدخ يعني الدخان فمندها عرف رسول الله ﷺ مادته وانها شيطانية فقال ﷺ « أخساً فلن تعدو قدرك » ثم قال ابن جرير وحدثني عصام بن رواد بن الجراح حدثنا أبي حدثنا سفيان بن أبي سعيد الثوري حدثنا منصور بن المعتمر عن ربعي بن خراش قال سمعت

لكلامهم بما بعده أي يقولون هذا عذاب أليم اختلفوا في هذا الدخان

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن كثير عن سفيان ثنا منصور والاعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال يمارجل يحدث في كندة فقال يحيى دخان يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم ويأخذ المؤمنين كهيئة الزكام ففرغنا فأنعت ابن مسعود وكان متكئاً فنهض فجلس فقال من علم فليقل ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فان من العلم أن يقول لما لا يعلم : لا أعلم ، الله ورسوله أعلم فان الله قال لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل

حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يقول قل رسول الله ﷺ « إن أول الآيات الدجال وزول عيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام ونار تخرج من قعر عدن أين تسوق الناس إلى المحشر تقبل معهم إذا قالوا والدخان - قال حذيفة رضي الله عنه يا رسول الله وما الدخان ؟ فتلا رسول الله ﷺ هذه الآية (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين * يغشى الناس هذا عذاب أليم) - يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوماً وليلة أما المؤمن فيصيبه منه كهيئة لوزة ، وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره ، قال ابن جرير لو صح هذا الحديث لكان فاصلاً وإنما لم يشهد له بالصحة لأن محمد بن خلف العسقلاني حدثني أنه سأل رواداً عن هذا الحديث هل سمعه من سفيان ؟ فقال له لا قال فقلت أقرأته عليه ؟ قال لا قال فقلت له أقرئ ، عليه وأنت حاضر فأقر به ؟ فقال لا فقلت له فن أن جئت به فقال جاءني به قوم فعرضوه علي وقالوا لي اسمعه منا فقرأوه علي ثم ذهبوا به فحدثوا به عني أو كما قال وقد أجاد ابن جرير في هذا الحديث ههنا فإنه موضوع بهذا السند وقد أكثر ابن جرير من سياقه في أماكن من هذا التفسير وفيه منكرات كثيرة جداً ولا سيما في أول سورة بني إسرائيل في ذكر المسجد الأقصى والله أعلم

وقال ابن جرير أيضاً حدثني محمد بن عوف حدثنا محمد بن اسماعيل بن عياش حدثني أبي حدثني ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن ربكم اندركم ثلاثاً الدخان يأخذ المؤمن كالزكاة ، يأخذ الكافر فينفخ حتى يخرج من كل مسم منه ، والثانية الدابة والثالثة الدجال » ورواه الطبراني عن هاشم بن يزيد عن محمد بن اسماعيل ابن عياش به وهذا اسناد جيد

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا خليل عن الحسن عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « يهبج الدخان بالناس فأما المؤمن فيأخذه كالزكاة وأما الكافر فينفخه حتى يخرج من كل مسم منه » ورواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه موقوفاً ، وروى سعيد بن عوف عن الحسن مثله

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن صالح بن مسلم حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي رضي الله عنه قال : لم تمض آية الدخان بعد يأخذ المؤمن كهيئة الزكاه وتنفخ الكافر حتى

ما استلكنكم عليه من أجر وما أنا من المتكلمين) وإن قريشاً أبطوا عن الإسلام فدعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال « اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف » فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها وأكلوا الميتة والعظام وبرى الرجل ما بين السماء والأرض كهيئة الدخان فجاء أبو سفيان فقال يا محمد جئت تأمر بصلة الرحم وإن قومك قد هلكوا فادع الله لهم فقرأ [فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين - إلى قوله - أنكم عائدون] أفيكشف عنهم عذاب الآخرة إذا جاء ثم عادوا إلى كفرهم فذلك قوله (يوم نبطش البطشة

ينفذ . وروى ابن جرير من حديث الوليد بن جميع عن عبد الملك بن المغيرة عن عبد الرحمن بن البجائي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : يخرج الدخان فيأخذ المؤمن كهيئة الزكام ويدخل مسامع الكافر والمنافق حتى يكون كالرأس الحنيد أي المشوي على الرضف

ثم قال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن ابن جريج عن عبد الله بن أبي مليكة قال غدت على ابن عباس رضي الله عنهما ذات يوم فقال مائت ايلة حتى أصبحت قلت لم قال قالوا طلع الكوكب ذو القنب فخشيت أن يكون الدخان قد طرقت فمائت حتى أصبحت ، وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن ابن عمر عن سفيان عن عبد الله بن أبي مليكة عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره ، وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما جبر الأمة وترجمان القرآن ، وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين مع الاحاديث المرفوعة من الصحاح والحسن وغيرهما التي أوردوها مما فيه مقنع ودلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة مع أنه ظاهر القرآن قال الله تبارك وتعالى [فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين] أي بين واضح براه كل أحد وعلى مفسر به ابن مسعود رضي الله عنه إنما هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد وهكذا قوله تعالى (يغشى الناس) أي يتغشاهم ويعميهم ، ولو كان أمراً خيالياً يخص أهل مكة المشركين لما قيل فيه (يغشى الناس)

وقوله تعالى (هذا عذاب أليم) أي يقال لم ذلك تقرعاً وتوبيخاً كقوله عز وجل (يوم يدعون إلى نار جهنم دعا هذه النار التي كنتم بها تكذبون) أو يقول بعضهم لبعض ذلك

وقوله سبحانه وتعالى (ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون) أي يقول الكافرون إذا عاينوا عذاب الله وعقابه سائلين رفعه وكشفه عنهم كقوله جلت عظمتـه (ولو نرى إذ وقفوا على النار فقالوا

الكبرى) يعني يوم بدر ولزاما يوم بدر [ألم غلبت الروم - إلى - سيفلبون] والروم قد مضى ورواه محمد ابن اسماعيل عن يحيى عن وكيع عن الأعمش قال قالوا (ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون) فقيل له ان كشفنا عنهم عادوا إلى كفرهم فدعاهم فكشف عنهم فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر فذلك قوله [فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين - إلى قوله - إنا منتقمون]

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا يحيى ثنا وكيع عن الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عبد الله قال خمس قد مضين : الزام والروم والبطشة والقمر والدخان ، وقال قوم هو دخان يحيى قبل قيام الساعة ولم يأت بعد فدخل في أسماع الكفار والمنافقين حتى يكون كالرأس الحنيد ويغري المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه النار وهو قول ابن عباس وابن عمر والحسن

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا إسحاق الثعلبي أخبرني عقيل بن محمد الجرجاني ثنا أبو الفرج المعاني ثنا زكريا البغدادي ثنا محمد بن جرير الطبري حدثني عصام بن رواد بن الجراح ثنا أبي أنا

بالتناز ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) وكذا قوله جل وعلا (وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجيب دعوتك وتب الرحمة ، أولم تكونوا أقسمتم من قبل ؟ ما لكم من زوال) وهكذا قال جل وعلا ههنا (أني لم أذكرى وقد جاءهم رسول مبين * ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون) يقول كيف لم بالتذكر وقد أرسلنا اليهم رسولا بين الرسالة والندارة وهم هذا تولوا عنه وما واقفوه بل كذبوه وقالوا معلم مجنون وهذا كقوله جل وعلا عظمت (يوم يتذكر الانسان وأني له الذكرى الآية وكقوله عز وجل (ولو ترى إذ فرغوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب وقالوا آمنا به وأنى لم التناوش من مكان بعيد) إلى آخر السورة

وقوله تعالى (إنا كشفنا العذاب قليلا إنكم عائدون) يحتمل معنيين (أحدهما) انه يقول تعالى ولو كشفنا عنكم العذاب ورجعناكم إلى الدار الدنيا لعدتم إلى ما كنتم فيه من الكفر والتكذيب كقوله تعالى (ولو رحناهم وكشفنا ما بهم من ضر لجوا في طغيانهم يعمهون) وكقوله جل وعلا عظمت (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون)

[والثاني] أن يكون المراد إنا مؤخرو العذاب عنكم قليلا بعد انعقاد أسبابه ووصوله اليكم وأنتم مستمرين فيما أنتم فيه من الظلم والضلال ولا يلزم من الكشف عنهم أن يكون باشرهم كقوله تعالى [الا قوم بنو نوح لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين] ولم يكن العذاب باشرهم وانصل بهم بل كان قد انعقد سببه عليهم ، ولا يلزم أيضا أن يكونوا قد أغفلوا عن كفرهم ثم عادوا إليه قال الله تعالى اخبراً عن شعيب عليه السلام انه قال لقومه حين قالوا (لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين ؟ قد افترينا على الله كذباً ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها) وشعيب عليه السلام لم يكن على ملتهم وطريقهم وقال قتادة انكم عائدون إلى عذاب الله

وقوله عز وجل [يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون] فسر ذلك ابن مسعود رضي الله عنه

أبو سفيان بن سعيد ثنا منصور بن المعتمر عن ربي بن خراش قال سمعت حذيفة بن اليمان يقول قال رسول الله ﷺ « أول الآيات الدخان ونزل عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المشرق تقبل معهم اذا قالوا ، والدخان - قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان ؟ فتلا هذه الآية (يوم تأتي السماء بدخان مبين) - بلاء ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوماً وليلة ، أما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكام وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج من منخرته وأذنيه ودبره » (أني لم أذكرى) من أن لم التذكر والانعاظ يقول كيف يتذكرون ويتعظون (وقد جاءهم رسول مبين) ظاهر الصدق يعني محمداً ﷺ (ثم تولوا عنه) أعرضوا عنه (وقالوا معلم) أي بعلمه بشر (مجنون) قال الله تعالى (إنا كشفنا العذاب) أي عذاب الجوع (قليلا) أي زماناً يسيراً قال مقاتل إلى يوم بدر (إنكم عائدون) إلى كفركم (يوم نبطش البطشة الكبرى) وهو يوم بدر (إنا منتقمون) وهذا قول

يوم بدر وهذا قول جماعة ممن وافق ابن مسعود رضي الله عنه على تفسيره الدخان بما تقدم وروي أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما من رواية العوفي عنه وعن أبي بن كعب رضي الله عنه وهو محتمل والظاهر أن ذلك يوم القيامة وإن كان يوم بدر يوم بطشة أيضا

قال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن عليه حدثنا خالد الحذاء عن عكرمة قال قال ابن عباس رضي الله عنهما قال ابن مسعود رضي الله عنه : البطشة الكبرى يوم بدر وأنا أقول هي يوم القيامة وهذا اسناد صحيح عنه وبه يقول الحسن البصري وعكرمة في أصح الروايتين عنه والله أعلم

ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم (١٧) أن أدوا إلي عباد الله إني لكم

رسول أمين (١٨) وأن لا تعبدوا على الله إني آتيكم بسلطان مبين (١٩) وإني عذت بربي

وربكم أن ترجون (٢٠) وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون (٢١) فدعا ربه أن هؤلاء قوم

مجرمون (٢٢) فأمر بعبادي ليلا أنكم تتبعون (٢٣) وأترك البحر رهوا لأنهم جند مغرقون (٢٤)

كم تركوا من جنات وعيون (٢٥) وزروع ومقام كريم (٢٦) ونعمة كانوا فيها فاكهين (٢٧)

كذلك وأورثناها قوما آخرين (٢٨) فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين (٢٩)

ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المبين (٣٠) من فرعون انه كان عاليا من السرفين (٣١)

ولقد اخترناهم على علم على العالمين (٣٢) وآتينهم من الآيات ما فيه بلو مبين (٣٣)

يقول تعالى ولقد اخترنا قبل هؤلاء المشركين قوم فرعون وهم قبط مصر (وجاءهم رسول كريم) يعني موسى عليه الصلاة والسلام (أن أدوا إلي عباد الله) كقوله عز وجل [أن أرسل معنا بني اسرائيل ولا نعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى] وقوله جل وعلا [إني لكم رسول أمين] أي مأمون على ما أبلغكموه

وقوله تعالى (وأن لا تعبدوا على الله) أي لا تستكبروا عن اتباع آياته والالتقياد لحججه والايمان ببراهيمه كقوله عز وجل [إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين] (إني آتيكم

ابن مسعود وأكثر العلماء وقال الحسن يوم القيامة . وروي عكرمة ذلك عن ابن عباس (ولقد فتنا) بلونا (قبلهم) قبل هؤلاء . (قوم فرعون وجاءهم رسول كريم) على الله وهو موسى بن عمران (أن أدوا إلي عباد الله) يعني بني اسرائيل أطلقهم ولا نعذبهم (إني لكم رسول أمين) على الوحي (وأن لا تعبدوا على الله) أي لا تتجبروا عليه بترك طاعته (إني آتيكم بسلطان مبين) ببرهات بين على

بسلطان مبين) أى بحجة ظاهرة واضحة وهي ما أرسله الله تعالى به من الآيات البينات والادلة القاطعات (وإني عذت بربي وربكم أن ترجون) قال ابن عباس رضي الله عنهما وأبو صالح هو الرجم باللسان وهو الشتم ، وقال قتادة الرجم بالحجارة أى أعود بالله الذى خلقني وخلقكم من أن تصلوا إلي بسوء من قول أو فعل (وإن لم تؤمنوا لي فاعزلون) أى فلا تعرضوا لي ودعوا الامر بيني وبينكم مسألة إلى أن يقضي الله بيننا فلما طال مقامه ﷺ بين أظهرهم وأقام حجج الله تعالى عليهم كل ذلك وما زادهم ذلك إلا كفرأ وعناداً دعاربه عليهم دعوة نفذت فيهم كما قال تبارك وتعالى (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا لبالغنا من سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم - قال قد أجيبك دعوتكما فاستقيما) وهكذا قال ههنا (فدعاربه أن هؤلاء قوم مجرمون) فعند ذلك أمره الله تعالى أن يخرج بني اسرائيل من بين أظهرهم من غير أمر فرعون ومشاورته واستئذانه ولهذا قال جل جلاله (فأمر بعبادي ليلأ انكم متبعون) كما قال تعالى [ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا يخشى]

وقوله عز وجل ههنا (وارك البحر رهوا انهم جند مفرقون) وذلك أن موسى عليه الصلاة والسلام لما جاوز هو وبني اسرائيل البحر أراد موسى أن يضربه بعصاه حتى يعود كما كان ليصير حائلا بينهم وبين فرعون فلا يصل اليهم فأمره الله تعالى أن يتركه على حاله ساكنا وبشره بأنهم جند مفرقون فيه وأنه لا يخاف دركا ولا يخشى ، قال ابن عباس رضي الله عنهما (وارك البحر رهوا) كهيئة وامضه ، وقال مجاهد رهوا طريقا يبسا كهيئة يقول لا تأمره يرجم اتركه حتى يرجم آخرهم وكذا قال عكرمة والريعم بن أنس والضحاك وقاتدة وابن زيد وكعب الاحبار ومالك بن حرب وغير

صدق قولي فلما قال ذلك توعدوه بالقتل فقال (وإني عذت بربي وربكم أن ترجون) أن تقتلوني وقال ابن عباس نشتموني وتقولوا هو ساحر . وقال قتادة ترجوني بالحجارة (وإن لم تؤمنوا لي فاعزلون) فاتركوني لا معي ولا علي . وقال ابن عباس فاعزلوني أذاي باليد واللسان فلم يؤمنوا (فدعاربه ان هؤلاء قوم مجرمون) مشركون فأجابهم الله وأمره أن يسري فقال (فأمر بعبادي ليلأ أي بني اسرائيل (انكم متبعون) يتبعكم فرعون وقومه (وارك البحر) اذا قطعته أنت وأصحابك (رهوا) ساكنا على حاله وهيئته بعد أن ضربته ودخلته، معناه لا تأمره أن يرجم اتركه حتى يدخله آل فرعون وأصل الرهو السكون . وقال مقاتل معناه اترك البحر راهيا أي ساكنا فسمي بالمصدر أي ذا رهو . وقال كعب اتركه طريقا ، قال قتادة طريقا يبسا ، قال قطعتم موسى البحر عطف ليضرب البحر بعصاه ليلتم وخاف أن يتبعه فرعون وجنوده فليل له اترك البحر رهوا كما هو (إنهم جند مفرقون) أخبر موسى انه يفرقهم ليطمئن قلبه في ترك البحر كما جاوزه ثم ذكر ما تركوا بمصر فقال

واحد ثم قال تعالى (كم تركوا من جنات) وهي البساتين [وعيون وزروع] والمراد بها الانهار والآبار [ومقام كريم] وهي المساكن الانيقة والاماكن الحسنة

وقال مجاهد وسعيد بن جبير [ومقام كريم] المناير ، وقال ابن لميعة عن وهب بن عبد الله المعافري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال نيل مصر سيد الانهار سخر الله تعالى له كل نهر بين المشرق والمغرب وذلك له فاذا اراد الله عز وجل أن يجرى نيل مصر أمر كل نهر أن يمدده فأمده الله الانهار بمائها وفجر الله تبارك وتعالى له الارض عيوناً فاذا انتهى جريه إلى ما اراد الله جل وعلا أوحى الله تعالى إلى كل ماء أن يرجع إلى عنصره وقال في قول الله تعالى [فأخرجناهم من جنات وعيون * وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين] قال كانت الجنان بمحافتي نهر النيل من أوله إلى آخره في الشقين جميعاً ما بين اسوان إلى رشيد وكان له تسم خلج : خلج الاسكندرية ، وخليج دمياط ، وخليج سردرس ، وخليج منف ، وخليج الفيوم ، وخليج المنتهى متصلة لا يقطع منها شيء عن شيء . وذرع ما بين الجبلين كله من أول مصر إلى آخر ما يبلغه الماء . وكانت جميع أرض مصر تروى من ستة عشر ذراعاً لما قدروا ودبروا من قناطرها وجسورها وخلقها (ونعمة كانوا فيها فاكهين) أي عيشة كانوا يتفكحون فيها فيأكلون ماشوا ويلبسون ما أحبوا مع الاموال والجاهات والحكم في البلاد فسلبوا ذلك جميعه في صبيحة واحدة وفارقوا الدنيا وصاروا إلى جهنم وبئس المصير ، واستولى على البلاد المصرية وتلك الحواصل الفرعونية ، والممالك القبطية بنو اسرائيل كما قال تبارك وتعالى (كذلك وأورثناها بني اسرائيل) وقال في الآية الاخرى (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها ونمت كلمة ربك الحسنی على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون) وقال عز وجل ههنا (كذلك وأورثناها قوماً آخرين) وهم بنو اسرائيل كما تقدم وقوله سبحانه وتعالى (فما بكت عليهم السماء والارض) أي لم تكن لهم أعمال صالحة تصعد في أبواب السماء فتبكي على قدحهم ولا لهم في الارض بقاء عبدوا الله تعالى فيها فقدنهم فلمذا استحقوا ان لا ينظروا ولا يؤخروا لكفرهم واجرامهم وعتوم وعنادهم

قال الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده حدثنا أحمد بن إسحاق البصري حدثنا مكى بن ابراهيم حدثنا موسى بن عبيدة حدثني يزيد الرقاشي حدثني أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال

(كم تركوا) يعني بعد الفرق (من جنات وعيون وزروع ومقام كريم) مجلس شريف . قال قتادة الكريم الحسن (ونعمة) ونبعة وعيش لين (كانوا فيها فاكهين) ناعمين وفاكهين أشربين بطرين (كذلك) قال الكلبي كذلك أفعل بمن عصاني (وأورثناها قوماً آخرين) يعني بني اسرائيل (فما بكت عليهم السماء والارض) وذلك إن المؤمن إذا مات تبكي عليه السماء والارض أربعين صباحاً وهو لا يمكن يصعد لهم عمل صالح فتبكي السماء على فقدته ولا لهم على الارض عمل صالح فتبكي الارض

« ما من عبد إلا وله في السماء بابان باب يخرج منه رزقه وباب يدخل منه عمله وكلامه فإذا مات فقداه وبكى عليه وتلا هذه الآية (فما بكت عليهم السماء والارض) - وذكر - أنهم لم يكونوا عملوا على الارض هملا صالحا يبكي عليهم ولم يصعد لهم الى السماء من كلامهم ولا من عملهم كلام طيب ولا عمل صالح فتقدم فبكي عليهم » ورواه ابن أبي حاتم من حديث موسى بن عبيدة وهو الزبدي

وقال ابن جرير حدثني يحيى بن طلحة حدثنا عيسى بن يونس عن صفوان بن عمرو عن شريح ابن عبيد الحضرمي قال : قال رسول الله ﷺ « ان الاسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ ألا لا غربة على مؤمن ، مامات مؤمن في غربة غابت عنه فيها بوا كيه الا بكت عليه السماء والارض - ثم قرأ رسول الله ﷺ - (فما بكت عليهم السماء والارض) ثم قال - انهما لا يبكيان على الكافر »

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عاصم حدثنا ابو أحمد يعني الزبيري حدثنا العلاء بن صالح عن المنهال بن عمرو عن عباد بن عبد الله قال سأل رجل عليا رضي الله عنه هل تبكي السماء والارض على أحد ؟ فقال له لقد سألتني عن شيء ما سأني عنه أحد قبلك انه ليس من عبد الا له مصلى في الارض ومصعد عمله من السماء ، وان آل فرعون لم يكن لهم عمل صالح في الارض ولا عمل يصعد في السماء ثم قرأ علي رضي الله عنه (فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين)

وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا طلق بن غنام عن زائدة عن منصور عن منهال عن سعيد ابن جبير قال أتى ابن عباس رضي الله عنهما رجل فقال يا أبا العباس أرايت قول الله تعالى [فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين ؟] فهل تبكي السماء والارض على أحد ؟ قال رضي الله عنه نعم انه ليس أحد من الخلائق الا وله باب في السماء منه ينزل رزقه وفيه يصعد عمله فإذا مات المؤمن فأغلق بابه من السماء الذي كان يصعد فيه عمله وينزل منه رزقه ففقدته بكى عليه وإذا فقدته مصلاه من الارض التي كان يصلي فيها وبذكر الله عز وجل فيها بكت عليه ، وان قوم فرعون لم تكن لهم في الارض آثار صالحة ولم يكن يصعد إلى الله عز وجل منهم خير فلم تبك عليهم السماء والارض وروى العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما نحو هذا

وقال سفيان الثوري عن أبي يحيى القنات عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان

عليه : أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا ابو اسحاق الثعلبي أنا أبو عبد الله الفنجوي ثنا أبو علي المقرئ ثنا أبو يعلى الموصلي ثنا أحمد بن اسحاق البصري ثنا مكي بن ابراهيم ثنا موسى بن عبيدة الزبدي أخبرني يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال « ما من عبد إلا له في السماء بابان باب يخرج منه رزقه وباب يدخل فيه عمله فإذا مات فقداه وبكى عليه » ثم تلا (فما بكت عليهم السماء والارض) قال عطاء بكا، السماء حمرة أطرافها ، قال السدي لما قتل الحسين بن علي بكت عليه السماء وبكاؤها حمرتها (وما كانوا منظرين) لم ينظروا حين أخذهم العذاب لتوبة ولا تغيرها (ولقد

يقال تبكي الارض على المؤمن أربعين صباحا ، وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وغير واحد وقال مجاهد أيضا مامات مؤمن إلا بكت عليه السماء والارض أربعين صباحا قال فقالت له أنبكي الارض ؟ فقال أتعجب ؟ وما الارض لا تبكي على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود ؟ وما السماء لا تبكي على عبد كان لتكبيره وتسبيحه فيها دوي كدوي النحل ، وقال قتادة كانوا أهون على الله عز وجل من أن تبكي عليهم السماء والارض

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا عبد السلام بن عاصم حدثنا إسحاق بن اسماعيل حدثنا الثوردي بن سابق عن عبيد المكتب عن ابراهيم قال ما بكت السماء منذ كانت الدنيا الا على اثنين قلت لعبيد أليس السماء والارض تبكي على المؤمن ؟ قال ذلك مقامه حيث يصعد عنه قال وتدرى ما بكاء السماء ؟ قلت لا قال تحمر وتصير وردة كالدهان ان يحيى بن زكريا عليه الصلاة والسلام لما قتل احمرت السماء وقطرت دما ، وان الحسين بن علي رضي الله عنهما لما قتل احمرت السماء وحدثنا علي بن الحسين حدثنا أبو غسان محمد بن عمرو زنيج حدثنا جرير عن يزيد بن أبي زياد قال لما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما احمرت آفاق السماء أربعة أشهر قال يزيد واحمرارها بكاءها وهكذا قال السدي الكبير وقال عطاء الخراساني بكاءها أن تحمر أطرافها ، وذكروا أيضا في مقتل الحسين رضي الله عنه انه ما قلب حجر يومئذ إلا وجد تحته دم عبيط وانه كسفت الشمس واحمر الافق وسقطت حجارة وفي كل من ذلك نظر ، والظاهر انه من سخط الشيعة وكذبهم ليعظموا الامر ولا شك انه عظيم ولكن لم يقع هذا الذي اختلقوه وكذبوه وقد وقع ما هو اعظم من قتل الحسين رضي الله عنه ولم يقع شيء مما ذكره فانه قد قتل أبوه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو افضل منه بالاجماع ولم يقع شيء من ذلك ، وعثمان بن عفان رضي الله عنه قتل محصورا مغالوما ولم يكن شيء من ذلك ، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه قتل في المحراب في صلاة الصبح وكان المسلمين لم تطرقهم مصيبة قبل ذلك ولم يكن شيء من ذلك وهذا رسول الله ﷺ وهو سيد البشر في الدنيا والآخرة يوم مات لم يكن شيء مما ذكره ، ويوم مات ابراهيم بن النبي ﷺ خسفت الشمس فقال الناس خسفت لموت ابراهيم فصلى بهم رسول الله ﷺ صلاة الكسوف وخطبهم وبين لهم أن الشمس والقمر لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته وقوله تبارك وتعالى (وقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين * من فرعون إنه كان عاليا من المسرفين) بمن عليهم تعالى بذلك حيث اتقذم مما كانوا فيه من اهانة فرعون واذلاله لهم وتسخيره إياهم في الاعمال المهينة الشاقة وقوله تعالى (من فرعون إنه كان عاليا) أي مستكبرا جبارا عنيدا كقوله عز وجل (إن فرعون علا في الارض) ، وقوله جلت عظمتة (فاستكبروا وكانوا قوما عالين) من المسرفين أي مسرف في أمره سخيف الرأي على نفسه

نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين * قتل الابناء واستعباء النساء والتعب في العمل * من فرعون

٤٣٠ انكار المشركين للبعث والمعاد وانكار الله عليهم ذلك (تفسير ابن كثير والبغوي)

وقوله جل جلاله (ولقد اخترناهم على علم على العالمين) قال مجاهد (اخترناهم على علم على العالمين) على من هم بين ظهره وقال قتادة اختيروا على أهل زمانهم ذلك وكان يقال ان لكل زمان علما وهذا كقوله تعالى (قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس) أى أهل زمانه ذلك كقوله عز وجل لمريم عليها السلام [واصطفاك على نساء العالمين] أى في زمانها فان خديجة وضي الله عنها إما افضل منها أو متساوية لها في الفضل وكذا آسية بنت مزاحم امرأة فرعون وفضل عائشة رضي الله عنها على النساء كفضل التريد على سائر الطعام

وقوله جل جلاله [وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين] أى اختبار ظاهر جلي لمن اهتدى به

إن هؤلاء ليقولون (٣٤) إن هي الا موتتنا الاولى وما نحن بمنشرين (٣٥) فأتوا

بآبائنا ان كنتم صادقين (٣٦) أم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم اهلكناهم ؟ انهم كانوا مجرمين (٣٧) يقول تعالى منكرا على المشركين في انكارهم البعث والمعاد وأنه ماتم إلا هذه الحياة الدنيا ولا حياة بعد المات ولا بعث ولا نشور ويحتجون بآبائهم الماضين الذين ذهبوا فلم يرجعوا فان كان البعث حقا [فأتوا بآبائنا ان كنتم صادقين] وهذه حجة باطلة وشبهة فاسدة فان المعاد إنما هو يوم القيامة لا في الدار الدنيا بل بعد انتضائها وذهابها وفراغها بعيد الله العالمين خلقا جديداً ويجعل الظالمين نار جهنم وقوداً ، يوم تكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ،

ثم قال تعالى متهدداً لهم ومتوعداً ومنذراً لهم بأسه الذي لا يرد كما حل باشباههم ونظرائهم من المشركين المنكرين للبعث كقوم تبع وهم سبأ حيث اهلكهم الله عز وجل وخرب بلادهم وشردم في البلاد وفرقهم شذر مذر كما تقدم ذلك في سورة سبأ وهي مصدرة بانكار المشركين للمعاد وكذلك ههنا شبههم بأولئك وقد كانوا عرباً من قحطان كما أن هؤلاء عرب من عدنان وقد كانت حمير وهم سبأ كلما ملك فيهم رجل سموه تبعاً كما يقال كسرى لمن ملك الفرس وقيصر لمن ملك الروم وفرعون لمن ملك مصر كافراً والنجاشي لمن ملك الحبشة وغير ذلك من أعلام الاجناس ، ولكن اتفق أن بعض

انه كان عالياً من المسرفين * ولقد اخترناهم يعني مؤمني بني اسرائيل (على علم) بهم (على العالمين) على عالمي زمانهم (وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين) قال قتادة نعمة بينة من فلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوي والنعمة التي أنعمها عليهم ، قال ابن زيد ابتلاهم بالرخاء والشدة وقرأ (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) (ان هؤلاء) يعني المشركين (ليقولون إن هي الا موتتنا الاولى) أي لا موة الا هذه التي نموتها في الدنيا ثم لا بعث بعدها وهو قوله (وما نحن بمنشرين) بمبعوثين بعد موتتنا (فأتوا بآبائنا) الذين ماتوا (ان كنتم صادقين) انا نبعث أحياء بعد الموت ثم خوفهم

تبايعهم خرج من اليمن وسار في البلاد حتى وصل الى سمرقند واشتد ملكه وعظم سلطانه وجيشه وانسعت مملكته وبلاده وكثرت رعاياه وهو الذي مصر الحيرة فاتفق أنه مر بالمدينة النبوية وذلك في أيام الجاهلية فأراد قتال أهلها فأنعوه وقاتلوه بالتهار وجعلوا يقرونه بالليل فاستحيا منهم وكف عنهم واستصحب معه حبرين من أحبار يهود كانا قد نصحاء وأخبراه أنه لا سبيل له على هذه البلدة فأنها مهاجر نبي يكون في آخر الزمان فرجم عنها وأخذها معه الى بلاد اليمن فلما اجتاز بمكة أراد هدم الكعبة فهباه عن ذلك أيضا وأخبراه بعظمة هذا البيت وأنه من بناء ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وأنه سيكون له شأن عظيم على يدي ذلك النبي المبعوث في آخر الزمان فعظمها وطاف بها وكساها الملا والوصائل والحبر ثم كر راجعا الى اليمن ودعا أهلها الى اليهود معه وكان اذ ذاك دين موسى عليه الصلاة والسلام فيه من يكون على الهداية قبل بعثة المسيح عليه الصلاة والسلام فهو دمه غامة أهل اليمن ، وقد ذكر القصة بطولها الامام محمد بن اسحاق في كتابه السيرة وقد ترجمه الحافظ ابن عساكر في تاريخه ترجمة حافلة أورد فيها أشياء كثيرة مما ذكرنا وما لم نذكر وذكر أنه ملك دمشق وأنه كان اذا استعرض الخيل صفت له من دمشق الى اليمن ، ثم ساق من طريق عبد الرزاق عن معمر عن ابن أبي ذئب عن المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « ما أدري الحدود طهارة لأهلها أم لا ؟ ولا أدري أتبع كان لعينا أم لا ؟ ولا أدري ذو القرنين نبيًا كان أم لا » وقال غيره - عزيز أكلن نبيًا أم لا » وكذا رواه ابن أبي حاتم عن محمد بن حماد الطبراني عن عبد الرزاق قال الدارقطني تفرد به عبد الرزاق

مثل عذاب الامم الخالية فقال (أم خبر أم قوم تبع ؟) أي ليسوا خيرا منهم يعني أقوى واشد وأكثر من قوم تبع ، قال قتادة هو تبع الحيري وكان سار بالجيش حتى مصر الحيرة وبنى سمرقند وكان من ملوك اليمن ، سمي تبعا لكثرة أتباعه وكل واحد منهم يسمى تبعا لانه يتبع صاحبه وكان هذا الملك بعيد النار فأسلم ودعا قومه الى الاسلام وهم حير فكذبوه وكان من خبره ما ذكره محمد بن اسحاق وغيره وذكر عكرمة عن ابن عباس قال كان تبع الآخر وهو ابو كرب أسعد بن مالك ابن يكر بن حنين أقبل من المشرق وجعل طريقه على المدينة ، وقد كان حين مر بها خلف بين أظهرهم ابنا له قتل غيلة فقدمها وهو مجمع على خرابها واستئصال أهلها فجمع له هذا الحي من الانصار حين سمعوا ذلك من أمره فخرجوا لقتاله وكان الانصار يقاتلونه بالتهار ويقرونه بالليل فأعجبه ذلك وقال ان هؤلاء لكرام فبينما هو كذلك إذ جاءه حبران اسمهما كعب وأسد من أحبار بني قريظة عالمان وكانا ابني عم حنين سمعا ما يريد من اهلاك المدينة وأهلها فقالا له أيها الملك لا تفعل فانك ان آيت الا ما تريد حيل بينك وبينها ولم تأمن عليك عاجل العقوبة فأنها مهاجر نبي يخرج من هذا الحي من قريش اسمه محمد مولده مكة وهذه دار هجرته ومنزل الذي أنت به يكون به من القتل والجراح أمر كبير في أصحابه

ثم روي ابن عساكر من طريق محمد بن كريب عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً «عزير لا أدري أنبياً كان أم لا؟ ولا أدري أمين تبعاً أم لا؟» ثم أورد ما جاء في النهي عن سبه ولعنته كما سيأتي إن شاء الله تعالى وكأنه والله أعلم كان كافراً ثم أسلم وناهج دين الكليم على يدي من كان من أحبار اليهود في ذلك الزمان على الحق قبل بعثة المسيح عليه السلام وحيج البيت في زمن الجرميين وكساه الملا والوصائل من الحرير والحبر ونحر عنده ستة آلاف بدنة وعظمه وأكرمه، ثم عاد إلى النبي وقد ساق قصته بطولها الحافظ ابن عساكر من طرق متعددة مطولة مبسطة عن أبي بن كعب وعبد الله بن سلام وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم وكعب الأحبار وإليه المرجع في ذلك كله وإلى عبد الله بن سلام أيضاً وهو أثبت وأكبر وأعلم، وكذا روى قصته وهب بن منبه ومحمد بن اسحاق في السيرة كما هو مشهور فيها

وقد اختلط على الحافظ ابن عساكر في بعض السياقات ترجمة تبع هذا بترجمة آخر متأخر عنه بدهر طويل فإن تبعاً هذا المشار إليه في القرآن أسلم قومه على يديه ثم لما توفي عادوا بعده إلى عبادة النيران والأصنام فعاقبهم الله تعالى كذا ذكره في سورة سبأ وقد بسطنا قصتهم هناك والله الحذر المنة وقال سعيد بن جبير كسا تبع الكعبة وكان سعيد ينهى عن سبه وتسم هذا هو تبع الأوسط واسمه أسعد أبو كريب بن مليكرب التيماني ذكروا أنه ملك على قومه ثلاثمائة سنة وستة وعشرين سنة ولم يكن في حير أطول مدة منه وتوفي قبل مبعث رسول الله ﷺ بنحو من سبعمائة سنة. وذكروا أنه لما ذكر له الحبران من يهود المدينة أن هذه البلدة مهاجرة نبي في آخر الزمان اسمه أحمد قال في ذلك شعراً واستودعه عند أهل المدينة فكانوا يتوارثونه ويروونه خلفاً عن سلف وكان ممن يحفظه أبو أيوب خالد بن زيد الذي نزل رسول الله ﷺ في داره وهو

وفي عدوم قال تبع من يقاتله وهو نبي قالوا يسير إليه قومه فيقتلون ههنا فتناهى لقولها عما كان يريد بالمدينة ثم انهما دعوا إلى دينهما فأجابهما واتبعهما على دينهما وأكرمهما وانصرف عن المدينة وخرج بهما ونفر من اليهود عامدين إلى اليمن فأتاه في الطريق نفر من هذيل وقالوا انا ندلك على بيت فيه كنز من أولؤ وزبرجد وفضة قال أي بيت قالوا بيت بمكة وإنما تريد هزيل هلاكة لانهم عرفوا أنه لم يرد أحد قط بسوء إلا هلك فذكر ذلك للأحبار فقالوا ما نعلم الله في الأرض بيتاً غير هذا البيت فانخذ مسجداً وأنسك عنده وانحر واحلق رأسك وما أراد القوم إلا هلاكك لأنه ما نأواه أحد قط إلا هلك فأكرمه وأصنع عنده ما يصنع أهله فلما قالوا له ذلك أخذ النفر من هذيل فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ثم صلبهم فلما قدم مكة نزل الشعب شعب البطائح وكسا البيت الوصائل وهو أول من كسا البيت ونحر بالشعب ستة آلاف بدنة وأقام به ستة أيام وطاق به وحلق وانصرف فلما دنا من اليمن ليدخلها حالت حير بين ذلك وبينه وقالوا لا تدخل علينا وقد فارقت ديننا فدعاهم إلى

شهدت على أحمد انه رسول من الله باري النسم
فلو مد عمري إلى عمره لكنت وزيراً له وابن عم
وجاهدت بالسيف أعداءه . وفرجت عن صدره كل غم

وذكر ابن أبي الدنيا انه حفر قبر بصنعاء في الاسلام فوجدوا فيه امرأتين صبيحتين وعند
رؤسهما لوح من فضة مكتوب فيه بالذهب : هذا قبر حيي وتميس وروي حيي وتماضر ابنتي تبع ماتتا
وهما تشهدان أن لا إله إلا الله ولا تشركان به شيئاً وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما . وقد ذكرنا
في سورة سبا شعر سبا في ذلك أيضاً

قال قتادة ذكر لنا أن كعباً كان يقول في تبع نعت الرجل الصالح ذم الله تعالى قومه ولم يذمه قال
وكانت عائشة رضي الله عنها تقول : لا نسبوا تبعاً فإنه قد كان رجلاً صالحاً

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا عبد الله بن لميعة عن
أبي زرعة - يعني عمرو بن جابر الحضرمي قال سمعت سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه يقول
قال رسول الله ﷺ « لا نسبوا تبعاً فإنه قد كان أسلم » ورواه الامام أحمد في مسنده عن حسن بن
موسى عن أبي لميعة به . وقال الطبراني حدثنا أحمد بن علي الابار حدثنا أحمد بن محمد بن أبي برزة
حدثنا مؤمل بن اسماعيل حدثنا سفیان عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي
ﷺ قال « لا نسبوا تبعاً فإنه قد أسلم »

وقال عبدالرزاق أيضاً أخبرنا معمر عن ابن أبي ذئب عن المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه

دينه وقال انه دين خير من دينكم قالوا فهاكنا الى النار وكانت باليمن نار في أسفل جبل يتحاكون اليها
فما يختلفون فيه فتأكل الظالم ولا تضر المظلوم ، فقال تبع أنصفتم : فخرج القوم بأوثانهم وما يتقربون
به في دينهم وخرج الخبران بمصاحفهما في أعناقهما حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذي تخرج منه ،
فخرجت النار فأقبلت حتى غشيتهم فأكالت الاوثان وما قربوا معها ومن حمل ذلك من رجال حمير
وخرج الخبران بمصاحفهما في أعناقهما يتلوان التوراة تعرق جباههما لم تضرهما ونكصت النار حتى
رجعت الى مخرجها الذي خرجت منه فاصفقت عند ذلك حمير على دينهما فمن هنالك كان أصل
اليهودية في اليمن . وذكر أبو حاتم عن الرقاشي قال كان أبو كرب أسعد الحميري من التبابعة آمن
بالنبي محمد ﷺ قبل أن يبعث بسبعمائة سنة وذكر لنا ان كعباً كان يقول ذم الله قومه ولم يذمه وكانت
عائشة تقول لا نسبوا تبعاً فإنه كان رجلاً صالحاً وقال سعيد بن جبير هو الذي كسا البيت

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أنا عبد الله بن فنجويه الدينوري ثنا أبو بكر
ابن مالك القطيعي ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ثنا أبي ثنا حسين بن موسى ثنا ابن لميعة ثنا أبو

قال قال رسول الله ﷺ « ما أدري تبع نبيا كان أم غير نبي » وتقدم بهذا السند من رواية ابن أبي حاتم كما أورده ابن عساكر « لا أدري تبع كان لعينا أم لا » فالحق أعلم . ورواه ابن عساكر من طريق زكريا ابن يحيى المدني عن عكرمة عن ابن عباس موقوفا

وقال عبد الرزاق أخبرنا عمران أبو الهذيل أخبرني نمير بن عبد الرحمن قال قال عطاء بن أبي رباح لا نسبوا تبعاً فان رسول الله ﷺ نهى عن سبه والله تعالى أعلم

وما خلقنا السموات والارض وما بينهما المبين (٣٨) ما خلقناها الا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون (٣٩) ان يوم الفصل ميقاتهم أجمعين (٤٠) يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون (٤١) الا من رحم الله انه هو العزيز الرحيم (٤٢)

يقول تعالى مخبراً عن عدله وتنزيهه نفسه عن الاعب والعبث والباطل كقوله جل وعلا (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار) وقال تعالى (أخصبتم إنما خلقناكم عبداً وانكم اليها لانرجعون * فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم) ثم قال تعالى (ان يوم الفصل ميقاتهم أجمعين) وهو يوم القيامة يفصل الله تعالى فيه بين الخلائق فيعذب الكافرين ويثيب المؤمنين . وقوله عز وجل [ميقاتهم أجمعين] أي يجمعهم كلهم أولهم وآخرهم [يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا] أي لا ينفع قريب قريباً كقوله سبحانه وتعالى [فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون] وكقوله جات عظمته [ولا يسأل حميم حميما يبصرونهم] أي لا يسأل أحداً له عن حاله وهو براه عياناً

زرعة بن عمر بن جرير عن سهل بن سعد قال سمعت النبي ﷺ يقول « لا نسبوا تبعاً فانه كان قد أسلم » أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه ثنا ابن أبي شيبه ثنا محمد ابن علي بن سالم الهمداني ثنا أبو الازهر أحمد بن الازهر النيسابوري ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن ابن أبي ذئب عن المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « ما أدري تبع أكان نبياً أو غير نبي » (والذين من قبلهم) من الامم الكافرة (أهلكناهم) انهم كانوا عجميين * وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعين * ما خلقناها الا بالحق (قبل يعني للحق وهو الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية) ولكن أكثرهم لا يعلمون * ان يوم الفصل (يوم يفصل الرحمن بين العباد) ميقاتهم أجمعين (يوافي يوم القيامة الاولون والآخرون) (يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا) لا ينفع قريب

وقوله جل وعلا (ولا هم ينصرون) أى لا ينصر القريب قريبه ولا يأنيه نصره من خارج ثم قال (إلا من رحم الله) أى لا ينفع يومئذ إلا رحمة الله عز وجل بخلقه (انه هو العزيز الرحيم) أى هو عزيز ذو رحمة واسعة

إن شجرة الزقوم (٤٣) طعامُ الاثيم (٤٤) كالمهل يَغلي في البطون (٤٥) كفلي

الحميم (٤٦) خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم (٤٧) ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الجحيم (٤٨)

ذق إنك أنت العزيز الكريم (٤٩) إن هذا ما كنتم به تمترون (٥٠)

يقول تعالى مخبراً عما يهذب به الكافرين الجاحدين لقائه (إن شجرة الزقوم طعام الاثيم) والاثيم أي في قوله وفعله وهو الكافر وذكر غير واحد أنه أبو جهل ولا شك في دخوله في هذه الآية ولكن ليست خاصة به

قال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن الاعمش عن ابراهيم عن همام بن الحارث أن أبا الدرداء كان يقري رجلاً (إن شجرة الزقوم طعام الاثيم) فقال طعام الاثيم فقال أبو الدرداء رضي الله عنه قل إن شجرة الزقوم طعام الفاجر أي ليس له طعام من غيرها ، قال مجاهد ولو وقعت قطرة منها في الارض لأفسدت على أهل الارض معاشهم ، وقد تقدم نحوه مرفوعاً ، وقوله (كالمهل) قالوا كعكر الزيت (يغلي في البطون كفلي الحميم) أي من حرارتها وردائها ، وقوله (خذوه) أي الكافر ، وقد ورد أنه تعالى إذا قال للزبانية خذوه ابتدره سبعون ألفاً منهم ، وقوله (فاعتلوه) أي سوقوه سحباً ودفعاً في ظهره ، قال مجاهد (خذوه فاعتلوه) أي خذوه فادفموه وقال الفرزدق :

قريبه ولا بدفع عنه شيئاً (ولا هم ينصرون) لا يمنعون من عذاب الله (إلا من رحم الله) يريد المؤمنين فإنه يشفع بعضهم لبعض (انه هو العزيز) في انتقامه من أعدائه (الرحيم) بالمؤمنين (إن شجرة الزقوم طعام الاثيم) أي ذى الائم وهو أبو جهل (كالمهل) هو دردي الزيت الاسود (يغلي في البطون) قرأ ابن كثير وحفص بن علي بالياء جملاً الفعل للمهل وقرأ الآخرون بالياء لتأنيث الشجرة في البطون أي بطون الكفار (كفلي الحميم) كالماء الخار إذا اشتد غليانه

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو بكر العبدوسي أنا أبو بكر محمد بن حمدون بن خالد ابن يزيد ثنا سليمان بن يوسف ثنا وهب بن جرير ثنا شعبة عن الاعمش عن مجاهد عن عبد الله بن عباس قال قال رسول الله ﷺ « أيها الناس اتقوا الله حق تقاته فلو أن قطرة من الزقوم قطرت على الارض لأمرت على أهل الدنيا معيشتهم فكيف بمن تكون طعامه وليس لهم طعام غيره ؟ »

قوله تعالى (خذوه) أي يقال للزبانية خذوه بمعنى الاثيم (فاعتلوه) قرأ أهل الكوفة وأبو

ليس الكرام بنا حليك أياهم حتى ترد إلى عطية نعتل

(إلى سواء الجحيم) أي وسطها [ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الجحيم] كقوله عز وجل [يصب من فوق رؤسهم الجحيم يصربه مافي بطونهم والجلود] وقد تقدم أن الملك يضربه بمقمة من حديد فتفتح دماغه ثم يصب الجحيم على رأسه فينزل في بدنه فيسلت مافي بطنه من امعائه حتى تحرق من كعبه أعاذنا الله تعالى من ذلك

وقوله تعالى (ذق انك أنت العزيز الكريم) أي قولوا له ذلك على وجه التهكم والتوبيخ ، وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما أي لست بهزب ولا كريم . وقد قال الاموي في مغازبه حدثنا أسباط بن محمد حدثنا أبو بكر الهذلي عن عكرمة قال لقي رسول الله ﷺ أبا جهل لعنه الله فقال « إن الله تعالى أمرني أن أقول لك أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى » قال فزع ثوبه من يده وقال ما نستطيع لي أنت ولا صاحبك من شيء . ولقد علمت أني أمنع أهل البطحاء ، وأنا العزيز الكريم ، قال قتله الله تعالى يوم بدر وأذله وغيره بكلمته وأزل (ذق انك أنت العزيز الكريم)

وقوله عز وجل (ان هذا ما كنتم به تمثرون) كقوله تعالى [يوم يدعون الى نار جهنم دعا هذه النار التي كنتم بها تكذبون * أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون] ولهذا قال تعالى ههنا (إن هذا ما كنتم به تمثرون)

ان المتقين في مقام أمين (٥١) في جنات وعيون (٥٢) يلبسون من سندس وإستبرق

متنـبلين (٥٣) كذلك وزوجنهم بحور عين (٥٤) يدعون فيها بكل فاكهة آمنين (٥٥) لا يذوقون

فيها الموت الا الموتة الاولى ووقسهم عذاب الجحيم (٥٦) فضلا من ربك ذلك هو الفوز

العظيم (٥٧) فانما يسرناه بلسانك اعلمهم يتذكرون (٥٨) فارتقب انهم مرتقبون (٥٩)

جعفر وأبو عمرو بكسر التاء وقرأ الباقون بضمها وهما لغتان أي ادفعوه وسوقوه يقال عثله بعثله عثلا اذا ساقه بالعنف والدفع والجذب (إلى سواء الجحيم) وسطه (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الجحيم) قال مقاتل ان خازن النار يضربه على رأسه فينقلب رأسه عن دماغه ثم يصب فيه ماء حميم قد انتهى حره ثم يقال له (ذق) هذا العذاب (انك) قرأ الكسائي انك بفتح الالف أي لانك كنت تقول انا العزيز الكريم وقرأ الآخرون بكسرها على الابتداء (أنت العزيز الكريم) عند قومك بزعمك وذلك ان أبا جهل كان يقول أنا عز أهل الوادي وأكرمهم فتقول له هذا اللفظ خزنة النار على طريق الاستهزاء والتوبيخ (ان هذا ما كنتم به تمثرون) تشكون فيه ولا تؤمنون به ثم ذكر مستقر المتقين فقال (ان المتقين في مقام أمين)

لما ذكر تعالى حال الاشقياء عطف بذكر السعداء ولهذا سمي القرآن مثاني فقال (ان المتقين) أي الله في الدنيا (في مقام أمين) أي في الآخرة وهو الجنة قد آمنوا فيها من الموت والخروج من كل هم وحزن وجزع وتعب ونصب ومن الشيطان وكبده وسائر الآفات والمصائب (في جنات وعميون) وهذا في مقابلة ما أولئك فيه من شجرة الزقوم وشرب الحميم

وقوله تعالى (يلبسون من سندس) وهو رفيع الحرير كالقمرصان ونحوها (واستبرق) وهو ما فيه بريق ولمعان وذلك كالرياش وما يلبس على أعالي القماش (متقابلين) أي على السرر لا يجلس أحد منهم وظهره إلى غيره وقوله تعالى (كذلك وزوجناهم بحور عين) أي هذا العطاء مع ما قد منحناهم من الزوجات الحور العين الحسان اللاتي لم يطمئنن أنس قبلهم ولا جان * كأنهن الياقوت والمرجان (هل جزاء الاحسن الا الاحسان ؟)

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا نوح بن حبيب حدثنا نصر بن مزاحم العطار حدثنا عمر بن سعد عن رجل عن أنس رضي الله عنه رفعه نوح قال : لو أن حوراء بزقت في بحر لحي لعذب ذلك الماء العذوبة ريقها . وقوله عز وجل (يدعون فيها بكل فاكهة آمنين) أي مها طلبوا من أنواع الثمار أحضر لهم وهم آمنون من انقطاعه وامتناعه بل يحضر اليهم كلما أرادوا

وقوله (لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الاولى) هذا استثناء يؤكد النفي فانه استثناء منقطع ومعناه أنهم لا يذوقون فيها الموت أبداً كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « يؤتى بالموت في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم يذبح ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلاموت وبأهل النار خلود فلاموت » وقد تقدم في الحديث في سورة مريم عليها الصلاة والسلام

قرأ أهل المدينة والشام في مقام بضم الميم على المصدر أي في اقامة وقرأ الآخرون بفتح الميم أي في مجلس أمين آمنوا فيه من التغير أي من الموت ومن الخروج منه (في جنات وعميون * يلبسون من سندس واستبرق متقابلين * كذلك وزوجناهم) أي كما أكرمناهم بما وصفنا من الجنات والعيون واللباس كذلك أكرمناهم بأن زوجناهم (بحور عين) أي قرناهم بهن ليس من عقد التزويج لانه لا يقال زوجته بامرأة قال أبو عبيدة جعلناهم أزواجا لمن كما يزوج النعل بالنعل أي جعلناهم اثنين اثنين والحور هن النساء النقيات البياض قال مجاهد يحار فيهن الطرف من بياضهن وصفاء لونهن وقال أبو عبيدة الحور هن شديديات بياض الاعين الشديديات سوادها واحدها أحور والمرأة حوراء والعين جمع العينا وهي عظمة العينين (يدعون فيها بكل فاكهة) اشتبهوا (آمنين) من نفاذها ومن مضرتها وقال قتادة آمنين من الموت والاصاب والسياطين (لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى) أي سوى الموتة الاولى التي ذاقوها في الدنيا وبعدها ، وضع إلا موضع سوى وبعد وهذا كقوله تعالى

وقال عبدالرزاق حدثنا سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن أبي مسلم الاغر عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « يقال لأهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً ، وإن لكم أن تعيشوا فلا تموتوا أبداً ، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً ، وإن لكم أن تشبوا فلا تنهزموا أبداً » رواه مسلم عن إسحاق بن راهويه وعبد بن حميد كلاهما عن عبدالرزاق به هكذا يقول أبو إسحاق وأهل العراق أبو مسلم الاغر وأهل المدينة يقولون أبو عبدالله الاغر

وقال أبو بكر بن أبي داود السجستاني حدثنا أحمد بن حفص عن أبيه عن ابراهيم بن طهمان عن الحجاج هو ابن حجاج عن عبادة عن عبيد الله بن عمرو عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من اتقى الله دخل الجنة ينعم فيها ولا يئأس ويحيا فيها فلا يموت لانيلى ثيابه ولا يفنى شبابه » وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن يحيى حدثنا عمرو بن محمد الناقد حدثنا سالم ابن عبدالله الرقي حدثنا مصعب بن ابراهيم حدثنا عمران بن الزيم الكوفي عن يحيى بن سعيد الانصاري عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه قال : سئل نبي الله ﷺ أينام أهل الجنة ؟ فقال ﷺ « النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون » وهكذا رواه أبو بكر بن مردويه في تفسيره حدثنا أحمد ابن القاسم بن صدقة المصري حدثنا المقدم بن داود حدثنا عبدالله بن المغيرة حدثنا سفيان الثوري عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون »

وقال أبو بكر البزار في مسنده حدثنا الفضل بن يعقوب حدثنا محمد بن يوسف الفريابي عن سفيان عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه قال قيل يا رسول الله هل ينام أهل الجنة ؟ قال ﷺ « لا النوم أخو الموت » ثم قال لا نعلم أحداً أسنده عن ابن المنكدر عن جابر رضي الله عنه الا الثوري ولا عن الثوري إلا الفريابي هكذا قال وقد تقدم خلاف ذلك والله أعلم

وقوله تعالى (ووقاهم عذاب الجحيم) أي مع هذا النعيم العظيم المقيم قد وقاهم وسلمهم ونجاهم وزحزحهم عن العذاب الاليم في دركات الجحيم فحصل لهم المطلوب ونجاهم من المروهب ولهذا قال عز وجل (فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم) أي انما كان هذا بفضلهم عليهم واحسانه اليهم كما

[ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف] أي سوى ما قد سلف وبعد ما قد سلف وقبل انما استثنى الموتة الاولى وهي في الدنيا من موت في الجنة لان السعداء حين يموتون يصيرون بلطف الله الى أسباب الجنة يلقون الروح والريحان ويرون منازلهم في الجنة فكان موتهم في الدنيا كلهم في الجنة لا تصالهم بأسبابها ومشاهدتهم آياها (ووقاهم عذاب الجحيم) فضلا من ربك (أي فعل ذلك بهم فضلا منه) ذلك هو الفوز العظيم فانما يسرناه (سهلنا القرآن كناية عن غير مذكور

ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال « اعملوا وسددوا وقاربوا واعلموا أن أحدكم لن يدخله عمله الجنة قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ﷺ ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل » وقوله تبارك وتعالى (فأنما يسرناه بلسانك لعلمهم يتذكرون) أي إنما يسرنا هذا القرآن الذي أنزلناه سهلاً واضحاً بيناً جلياً بلسانك الذي هو أفصح اللغات وأجلها وأعلاها (لعلمهم يتذكرون) أي يفهمون ويعملون . ثم لما كان مع هذا الوضوح والبيان من الناس من كفر وخالف وعاند قال الله تعالى لرسوله ﷺ مسلياً له وواعداً له بالنصر ومتوعداً لمن كذبه بالعطب والهلاك (فارتقب) أي انتظر (أنهم مرتقبون) أي فسيعلمون لمن تكون النصرة والظفر وعلو الكلمة في الدنيا والآخرة فأنها لك يا محمد ولاخوانك من النبيين والمرسلين ومن اتبعكم من المؤمنين كما قال تعالى (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي) الآية وقال تعالى (أنا لننصر رسلاً والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد • يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم العنة ولهم سوء الدار)

(آخر تفسير سورة الدخان)

﴿ والله الحمد والمنة والله سبحانه وتعالى أعلم ﴾

(بلسانك) على لسانك (لعلمهم يتذكرون) يتعظون (فارتقب) فانتظر النصر من ربك وقبل فانتظر لهم العذاب (أنهم مرتقبون) ينتظرون قهرك بزعمهم

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أخبرني الحسين بن فنجويه

ثنا يحيى بن محمد بن يحيى ثنا أبو عيسى موسى بن علي الحنظلي ثنا أبو هاشم الرقاعي

ثنا زيد بن الحباب ثنا عمر بن عبد الله بن أبي خثعم عن يحيى بن كثير

عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ

« من قرأ الدخان في ليلة أصبح يستغفر له

سبعون ألف ملك »

والله أعلم

تفسير سورة الجاثية وهي مكية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

حم (١) تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم (٢) إن في السموات والارض لايات
للمؤمنين (٣) وفي خلقكم وما يبت من دابة آيات لقوم يوقنون (٤) واختلف الليل
والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح
آيت لقوم يعقلون (٥)

يرشد تعالى خلقه إلى التفكير في آلائه ونعمه وقدرته العظيمة التي خلق بها السموات والارض
وما فيهما من المخلوقات المختلفة الاجناس والانواع من الملائكة والجن والانس والدواب والطيور
والوحوش والسباع والحشرات وما في البحر من الاصناف المتنوعة واختلاف الليل والنهار في تعاقبهما
دائبين لا يفتران هذا بظلامه وهذا بضياؤه وما أنزل الله تبارك وتعالى من السحاب من المطر في وقت
الحاجة اليه وسماه رزقا لأن به يحصل الرزق (فأحيا به الارض بعد موتها) أي بعد ما كانت هامدة
لأنبات فيها ولا شيء . وقوله عز وجل (وتصريف الرياح) أي جنوبا وشمالا وديورا وصبا برية
وبحرية ليلية ونهارية ، ومنها ما هو للطر ، ومنها ما هو للقمح ، ومنها ما هو غذاء للأرواح ، ومنها ما هو عقيم
لا ينتج . وقال سبحانه وتعالى أولا (لايات للمؤمنين) ثم يوقنون ثم يعقلون وهو ترق من حال شريف
إلى ما هو أشرف منه وأعلى ، وهذه الآيات شبيهة بآية البقرة وهي قوله تعالى (إن في خلق السموات

﴿ سورة الجاثية مكية وهي سبع وثلاثون آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ﴾ ان في السموات والارض لايات للمؤمنين *
وفي خلقكم وما يبت من دابة آيات ﴿

قرأ حمزة والكسائي ويعقوب آيات وتصريف الرياح آيات بكسر التاء فيهما رداً على قوله
لايات وهو في موضع النصب، وقرأ الآخرون برفعهما على الاستئناف على ان العرب تقول ان لي
عليك مالا وعلى أخيك مال ينصبون الثاني ويرفعونه ﴿ لقوم يوقنون ﴾ أنه لا إله غيره ﴿ واختلف
الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق ﴾ يعني الغيث الذي هو سبب أرزاق العباد فأحيا

والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون (وقد أورد ابن أبي حاتم ههنا عن وهب بن منبه أثر أطول بلاغيا في خلق الانسان من الاخلاط الاربعة والله أعلم

(٥) تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون (٦) ويل

لكل أفاك أثيم (٧) يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره

بعذاب أليم (٨) وإذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين (٩) من

ورائهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء ولهم عذاب

عظيم (١٠) هذا هدى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم

يقول تعالى (تلك آيات الله) يعني القرآن بما فيه من الحجج والبيّنات (نتلوها عليك بالحق) أي متضمنة الحق من الحق فاذا كانوا لا يؤمنون بها ولا ينقادون لها فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون ؟ ثم قال تعالى (ويل لكل أفاك أثيم) أي أفاك في قوله كذاب حلاف مهين أثيم في فعله وقلبه كافر بآيات الله ولهذا قال (يسمع آيات الله تتلى عليه) أي تقرأ عليه (ثم يصر) أي على كفره وجحوده استكبارا وعنادا (كأن لم يسمعها) أي كأنه ماسمعا (فبشره بعذاب أليم) أي فاخبره أن له عند الله تعالى يوم القيامة عذابا أليما موجعا (وإذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا) أي اذا حفظ شيئا من القرآن كفر به واتخذته سخريا وهزوا (أولئك لهم عذاب مهين) أي في مقابلة ما استهان بالقرآن واستهزأ به

به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون * تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق ﴿ يريد هذا الذي قصصنا عليك من آيات الله نقصها عليك بالحق ﴾ فبأي حديث بعد الله ﴿ بعد كتاب الله ﴾ وآياته يؤمنون ﴿ قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر ويعقوب يؤمنون بالتاء على معنى قل لهم يا محمد فبأي حديث تؤمنون وقرأ الآخرون بالياء ﴾ ويل لكل أفاك أثيم ﴿ كذاب صاحب أثم يعني النضر بن الحارث ﴾ يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها كان في أذنيه وقرأ فبشره بعذاب أليم * وإذا علم من آياتنا ﴿

قال مقاتل من القرآن ﴾ شيئا اتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين ﴾ وذكر بانظ الجم ردا

ولهذا روي مسلم في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال نهي رسول الله ﷺ أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو ثم فسر العذاب الحاصل له يوم معاده فقال (من ورائهم جهنم) أي كل من انصف بذلك سيصرون إلى جهنم يوم القيامة (ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئاً) أي لا تنفعهم أموالهم ولا أولادهم (ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء) أي ولا تغني عنهم الآلهة التي عبدوها من دون الله شيئاً (ولهم عذاب عظيم)

ثم قال تبارك وتعالى (هذا هدى) يعني القرآن (والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم) وهو المؤلم المجمع والله سبحانه وتعالى أعلم

(١١) الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم

تشكرون (١٢) وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه إن في ذلك لآيات لقوم

يتفكرون (١٣) قل للذين آمنوا ينفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوما بما كانوا

يكسبون (١٤) من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون (١٥)

يذكر تعالى نعمه على عبده فيما سخر لهم من البحر (لتجري الفلك) وهي السفن فيه بأمره تعالى فانه هو الذي أمر البحر بحملها (ولتبتغوا من فضله) أي في المتاجر والمكاسب (ولعلكم تشكرون) أي على حصول المنافع المطلوبة اليكم من الاقاليم النائية والآفاق القاصية

ثم قال عز وجل (وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض) أي من الكواكب والجبال والبحار والانهار وجميع ما تنفعون به أي الجميع من فضله واحسانه ولهذا قال (جميعاً منه) أي من عنده وحده لا شريك له في ذلك كما قال تبارك وتعالى (وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون)

إلى كل في قوله (لكل أفاك اثم) (من ورائهم) أمامهم (جهنم) يعني أنهم في الدنيا متمتعون بأموالهم ولم في الآخرة النار يدخلونها (ولا يغني عنهم ما كسبوا) من الاموال (شيئاً) ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء (ولا ما عبدوا من دون الله من الآلهة) (ولهم عذاب عظيم) هذا يعني هذا القرآن (هدى) بيان من الضلالة (والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم) الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض ومعنى تسخيرها انه خلقها لمنافعنا فهو مسخر لنا من حيث اننا ننتفع به (جميعاً منه) فلا تجعلوا لله أنداداً، قال ابن عباس جميعاً منه كل ذلك رحمة منه، قال الزجاج كل ذلك تفضل منه

وروي ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تبارك وتعالى (وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه) كل شيء هو من الله وذلك الاسم فيه اسم من اسمائه فذلك جميع منه ولا ينزعه فيه المنازعون واستيقن انه كذلك

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن خلف العسقلاني حدثنا الفريابي عن سفيان عن الاعمش عن المنهال بن عمرو عن أبي أرا كة قال سأل رجل عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال لم خلق الخلق؟ قال من النور والدار والظلمة والثرى قال واثبت ابن عباس رضي الله عنهما فأسأله فأنه فقال له مثل ذلك فقال ارجع اليه فسله ثم خلق ذلك كله ؟ فرجع اليه فأسأله فتلا [وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه] أثر غريب وفيه نكارة (ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)

وقوله تعالى (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله) أي ليصفحوا عنهم ويتحملوا الأذى منهم وكان هذا في ابتداء الاسلام أمروا أن يصبروا على أذى المشركين وأهل الكتاب ليكون ذلك كالتأليف لهم ثم لما أمروا على العناد شرع الله للمؤمنين الجلال والجهاد هكذا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقناة وقال بجاهد لا يرجون أيام الله لا ينالون نعم الله تعالى

وقوله تبارك وتعالى (ليجزي قوما بما كانوا يكسبون) أي اذا صفحوا عنهم في الدنيا فان الله عز وجل مجازيهم بأعمالهم السيئة في الآخرة ولهذا قال تعالى (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون) أي تعودون اليه يوم القيامة فتعرضون بأعمالكم عليه فيجزىكم بأعمالكم خيرا وشرها والله سبحانه وتعالى أعلم

ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على

واحسان (ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون * قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله) أي لا يخافون وقائم الله ولا يبالون نعمته ، قال ابن عباس ومقاتل نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك ان رجلا من بني غفار شتمه بمكة فهم عمر رضي الله تعالى عنه أن يبطش به فأنزل الله هذه الآية وأمره أن يعفو عنه . وقال القرظي والسدي نزلت في أناس من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل مكة كانوا في أذى شديد من المشركين من قبل أن يؤمروا بالقتال فشكوا ذلك الى رسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآية ثم نسخها آية القتال (ليجزي قوما) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي لنجزي بانثون، وقرأ الآخرون بالياء أي ليجزي الله وقرأ أبو جعفر ليجزي بضم الياء الاولى وسكون الثانية وفتح الزاي ، قال أبو عمرو وهو لحن قال الكسائي معناه ليجزي الجزاء قوما (بما كانوا يكسبون من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون * ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب)

العلمين (١٦) وآتينهم بينت من الامر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون (١٧) ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون (١٨) انهم ان يغنوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين (١٩) هذا بصئر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون (٢٠)

يذكر تعالى ما أنعم به على بني اسرائيل من ازال الكتب عليهم وارسال الرسل اليهم وجعله الملك فيهم ولهذا قال تبارك وتعالى (ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات) أي من المأكول والمشروب (وفضلناهم على العالمين) أي في زمانهم (وآتيناهم بينات من الامر) أي حججا وبراهين وأدلة قاطعات فقامت عليهم الحجج ثم اختلفوا بعد ذلك من بعد قيام الحجة وأما كان ذلك بغيا منهم على بعضهم بعضا (ان ربك) يا محمد (يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) أي سيفصل بينهم بحكمه العدل وهذا فيه تحذير لهذه الامة أن تسلك مسلكهم وأن تقصد منهجهم ولهذا قال جل وعلا (ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها) أي اتبع ما أوحى اليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين

وقال جل جلاله هنا (ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون * إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض) أي وماذا تقف عنهم ولا يتهم بعضهم بعضا فانهم لا يزيدونهم إلا خسارا ودمارا وهلاكاً (والله ولي المتقين) وهو تعالى يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات ثم قال عز وجل (هذا بصائر للناس) يعني القرآن (وهدى ورحمة لقوم يوقنون)

التوراة (والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات) الحلالات يعني المن والسلوى (وفضلناهم على العالمين) أي عالمي زمانهم قال ابن عباس لم يكن أحد من العالمين في زمانهم أكرم على الله ولا أحب اليه منهم (وآتيناهم بينات من الامر) يعني العلم بمبعث محمد ﷺ وما بين لهم من امره (فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون * ثم جعلناك) يا محمد (على شريعة) سنة وطريقة بعد موسى (من الامر) من الدين (فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) يعني مراد الكافرين، وذلك انهم كانوا يقولون له ارجع الى دين آبائك فانهم كانوا أفضل منك . فقال جل ذكره (انهم ان يغنوا عنك من الله شيئا) ان يدفعوا عنك من عذاب الله شيئا ان اتبعت أهواءهم (وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين * هذا) يعني القرآن (بصائر) معالم (للناس) في الحدود والاحكام يصرون بها (وهدى ورحمة لقوم يوقنون *)

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مِجْمَعُهُمْ وَمِمَّا تَهُمُّ سَاءٌ مَا يَحْكُمُونَ (٢١) وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلَتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٢) أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ؟ (٢٣)

يقول تعالى لا يستوي المؤمنون والكافرون كما قال عز وجل (لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون)

وقال تبارك وتعالى ههنا (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ) أي عملوها وكسبوها (أن نجعلهم كالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مِجْمَعُهُمْ وَمِمَّا تَهُمُّ) أي نساويهم بهم في الدنيا والآخرة (سَاءٌ مَا يَحْكُمُونَ) أي ساء ما ظنوا بنا وبعثنا أن نساوي بين الأبرار ، والفجار في الدار الآخرة وفي هذه الدار قال الحافظ أبو يعلى حدثنا مؤمل بن إهاب حدثنا بكير بن عثمان التتويحي حدثنا الوضين بن عطاء عن يزيد بن يزيد الباجي عن أبي ذر رضي الله عنه قال : إن الله تعالى بنى دينه على أربعة أركان فمن صبر عليها ولم يعمل بها لقي الله من الفاسقين قيل وما هن يا أبا ذر ؟ قال بسم حلال الله ، وحرام الله ، وأمر الله ، ونهي الله ، لا يؤمن عليهن إلا الله قال أبو القاسم رحمته الله : كما أنه لا يجتنى من الشوك العنب كذلك لا ينال الفجار منازل الأبرار ، هذا حديث غريب من هذا الوجه وقد ذكر محمد بن اسحاق في كتاب السيرة أنهم وجدوا حجراً بمكة في أس الكعبة مكتوب عليه : نعملون السيئات وترجون الحسنات أجل كما يجنى من الشوك العنب ، وقد روى الطبراني من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي الضحى عن مسروق أن نبيماً الداري قام ليلة حتى أصبح يردد هذه الآية (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) ولهذا قال تعالى

أَمْ حَسِبَ ﴿ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ ﴾ أَكْتَسَبُوا الْمَعَاصِيَ وَالْكَفَرَ ﴿ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ ﴿ نَزَاتِ فِي نَفَرٍ مِنْ مُشْرِكِي مَكَّةَ قَالُوا لِلْمُؤْمِنِينَ إِنْ كَانَ مَا تَقُولُونَ حَقًّا لَنُفَضِّلَنَّ عَلَيْكُمْ فِي الْآخِرَةِ كَمَا فَضَّلْنَا عَلَيْكُمْ فِي الدُّنْيَا ﴾ ﴿ سَوَاءٌ مِجْمَعُهُمْ ﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب سواء بالنصب أي نجعلهم سواء يعني أحسبوا أن حياة الكافرين ﴿ وَمِمَّا تَهُمُّ ﴾ كحياة المؤمنين وموتهم سواء ؟ كلا وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء والخبر أي مجيهم ومماتهم سواء فالضمير فيها يرجع إلى المؤمنين والكافرين جميعاً ، معناه المؤمن مؤمن مجيهم ومماته أي في الدنيا والآخرة والكافر كافر مجيهم ومماته في الدنيا والآخرة ﴿ سَاءٌ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ بئس ما يقضون ، قال مسروق قال لي رجل من أهل مكة هذا مقام أخيك نعيم الداري ، لقد رأيت ذات ليلة حتى أصبح أو كرب أن يصبح ،

(ساء ما يحكمون) وقال عز وجل (وخلق الله السموات والارض بالحق) أي بالعدل (واتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون)

ثم قال جل وعلا (أفأريت من اتخذ إلهه هواه ؟) أي انما يأتمر به هواه فلهما رآه حسنا فعله ومهما رآه قبيحا تركه وهذا قد يستدل به على المعنزة في قولهم بالتحسين والتقبيح العقليين وعن مالك فيما روى عنه من التفسير لا يهوى شيئا إلا عبده وقوله (وأضله الله على علم) يحتمل قولين (أحدهما) وأضله الله لعله أنه يستحق ذلك (والآخر) وأضله الله بعد بلوغ العلم اليه وقيام الحجة عليه والثاني يستلزم الاول ولا ينعكس (وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة) أي فلا يسمع ما ينفعه ولا يبي شيئا يهتدي به ولا يرى حجة يستضي بها ولهذا قال تعالى (فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) كقوله تعالى (من يضل الله فلا هادي له وبذرهم في طغيانهم يعمهون)

وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم

إن هم إلا يظنون (٢٤) وإذا تتلى عليهم آياتنا بينت ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا

إن كنتم صادقين (٢٥) قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيمة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٢٦)

يخبر تعالى عن قول الدهرية من الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في انكار المعاد (وقالوا

يقرأ آية من كتاب الله يرددها يركم بها ويسجد ويبكي) أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات (الآية) وخلق الله السموات والارض بالحق ولنجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون * أفأريت من اتخذ إلهه هواه ؟ قال ابن عباس والحسن وقتادة معناه ذلك الكافر اتخذ دينه ما بهواه فلا يهوى شيئا إلا ركه لانه لا يؤمن بالله ولا بخلافه ولا يحرم ما حرم الله ، وقال الآخرون معناه اتخذ معبوده هواه فيعبد ما تهواه نفسه .

قال سعيد ابن جبير كانت العرب يعبدون الحجارة والذهب والفضة فاذا وجدوا شيئا أحسن من الاول رموه وكسروه وعبدوا الآخر قال الشعبي انما سمي الهوى لانه يهوى بصاحبه في النار (وأضله الله على علم) منه بعاقبة أمره وقيل على ما سبق في علمه انه ضال قبل أن يخلق (وختم) طبع (على سمعه) فلم يسمع الهدى (وقلبه) فلم يعقل الهدى (وجعل على بصره غشاوة)

قرأ حمزة والكسائي غشوة بفتح الغين وسكون الشين والباقون غشاوة ظلمة فهر لا يبصر الهدى (فمن يهديه من بعد الله ؟) أي فمن يهديه بعد أن أضله الله (أفلا تذكرون * وقالوا) يعني منكري

ماهي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا) أي ماتم إلا هذه الدار يموت قوم ويعيش آخرون وما تم معاد ولا قيامة وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون المعاد وتقول الفلاسفة الالهيون منهم وهم ينكرون البداية والرجعة وتقول الفلاسفة الدهرية الدورية المنكرون للصانع المعتقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهى فكابروا المعقول وكذبوا المنقول ولهذا قالوا (وما يهلكنا إلا الدهر) قال الله تعالى [وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون] أي يتوهمون ويتخيلون . فأما الحديث الذي أخرجه صاحبنا الصحيح وأبو داود والنسائي من رواية سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله تعالى يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر ، بيدي الأمر أقلب ليله ونهاره » وفي رواية « لا تسبوا الدهر فإن الله تعالى هو الدهر »

وقد أورده ابن جرير بسباق غريب جدا فقال : حدثنا أبو كريب حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « كان أهل الجاهلية يقولون إنما يهلكنا الليل والنهار وهو الذي يهلكنا يميتنا ويحيينا فقال الله تعالى في كتابه (وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر) وبسبون الدهر فقال الله عز وجل « يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار »

وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أحمد بن منصور عن شريح بن النعمان عن ابن عيينة مثله ثم روي عن يونس عن ابن وهب عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « قال الله تعالى يسب ابن آدم الدهر وأنا الدهر بيدي الليل والنهار » وأخرجه صاحبنا الصحيح والنسائي من حديث يونس بن يزيد به

البعث « ما هي إلا حياتنا الدنيا » أي ما الحياة إلا حياتنا الدنيا « نموت ونحيا » أي يموت الآباء ويحيا الأبناء ، وقال الزجاج يعني نحن نموت ونحيا فالوا والاجتماع « وما يهلكنا إلا الدهر » أي وما يفنينا إلا مر الزمان وطول العمر واختلاف الليل والنهار « وما لهم بذلك » أي الذي قالوه « من علم » أي لم يقولوه عن علم علموه « إن هم إلا يظنون »

أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزبادي أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان ثنا أبو الحسن أحمد بن يوسف السلمي ثنا عبد الرزاق أنا معمر بن همام بن منبه ثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « قال الله تعالى لا يقل ابن آدم يا خيبة الدهر فاني أنا الدهر أرسل الليل والنهار فإذا شئت قبضتهما » أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري ثنا جدي عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار أنا أحمد

وقال محمد بن اسحاق عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « يقول الله تعالى استقرضت عبيدي فلم يعطني وسبني عبيدي يقول وادهراء وأنا الدهر » قال الشافعي وأبو عبيدة وغيرهما من الأئمة في تفسير قوله ﷺ « لاتسبوا الدهر فإن الله هو الدهر » كانت العرب في جاهليتها إذا أصابهم شدة أو بلاء أو نكبة قالوا يا خيبة الدهر فيسندون تلك الأفعال إلى الدهر ويسبونه وإنما فاعلها هو الله تعالى فكانهم إنما سبوا الله عز وجل لأنه فاعل ذلك في الحقيقة فلهذا نهى عن سب الدهر بهذا الاعتبار لأن الله تعالى هو الدهر الذي يعنونه ويسندون إليه تلك الأفعال هذا أحسن ما قيل في تفسيره وهو المراد والله أعلم ، وقد غلط ابن حزم ومن نحوه من الظاهرية في عدم الدهر من الأسماء الحسنى أخذاً من هذا الحديث

وقوله تعالى (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات) أي إذا استدل عليهم وبين لهم الحق وأن الله تعالى قادر على إعادة الأبدان بعد فناها وفرقتها [ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآياتنا إن كنتم صادقين] أي أحيوهم إن كان ما تقولونه حقاً قال الله تعالى [قل الله يحييكم] أي كما نشاهدون ذلك يخرجكم من العدم إلى الوجود (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم) [ثم يميتكم] أي الذي قدر على البداة قادر على الإعادة بطريق الأولى والأخرى (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) [ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لاريب فيه] أي إنما يجمعكم إلى يوم القيامة لا يعيدكم في الدنيا حتى تقولوا [ائتوا بآياتنا إن كنتم صادقين] (يوم يجمعكم ليوم الجمع - لأي يوم أجلت - ليوم الفصل - وما نوخره إلا لأجل معدود) وقال ههنا [ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لاريب فيه] أي لا شك فيه [ولكن أكثر الناس لا يعلمون] أي فلماذا ينكرون المعاد ويستبعدون قيام الأجساد قال الله تعالى [إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً] أي يرون وقوعه بعيداً والمؤمنون يرون ذلك سهلاً قريباً

ولله ملك السموات والأرض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون (٢٧) وترى

ابن زكريا العذافي أنا اسحاق بن ابراهيم الدبري ثنا عبد الرزاق أنا معمر بن أيوب عن ابن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لا يسب أحدكم الدهر فإن الله هو الدهر ولا يقولن لعن الكرم فإن الكرم هو الرجل المسلم » ومعنى الحديث أن العرب كان من شأنهم ذم الدهر وسبه عند النوازل لأنهم كانوا ينسبون إليه ما يصيبهم من المصائب والمكاره فيقولون أصابتهم قوارع الدهر وأبادهم الدهر كما أخبر الله تعالى عنهم وما يهلكنا إلا الدهر فإذا أضفوا إلى الدهر ما نالهم من الشدائد سبوا فاعلها وكان مرجع سبهم إلى الله عز وجل إذ هو الفاعل في الحقيقة للامور التي يضيفونها إلى الدهر فنهوا عن سب الدهر (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآياتنا إن كنتم صادقين) قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة (أي ليوم القيامة) لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون • والله ملك السموات والأرض ويوم تقوم الساعة يومئذ

كل أمة جاثية كل أمة تدعى الى كتبها اليوم تجزوز ما كنتم تعملون (٢٨) هذا كتبنا ينطق
عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون (٢٩)

يخسر الميطلون (أي يوم تقوم الساعة) أي يوم القيامة (يخسر الميطلون) وهم الكافرون بالله الجاحدون بما أنزله
على رسله من الآيات البينات والدلائل الواضحات

وقال ابن أبي حاتم قدم سفيان الثوري المدينة فسمع المعافري يتكلم ببعض ما يضحك به
الناس فقال له يا شيخ أما علمت أن الله تعالى يوما يخسر فيه الميطلون قال فما زالت تعرف
في المعافري حتى لحق بالله تعالى ذكره ابن أبي حاتم

ثم قال تعالى (وترى كل أمة جاثية) أي على ركبها من الشدة والعظمة ويقال إن هذا إذا جيء
بجهم فأنها تزفر ذفرة لا يبقى أحد إلا جثا لركبته حتى إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ويقول نفسي
نفسى لا أسألك اليوم إلا نفسي وحتى أن عيسى عليه الصلاة والسلام يقول لا أسألك
اليوم إلا نفسي لا أسألك مريم التي ولدني . قال مجاهد وكعب الأحبار والحسن البصري (كل أمة
جاثية) أي على الركب وقال عكرمة جاثية متميزة على ناحيتها وليس على الركب والاول أولى

قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن
عبد الله بن بابويه أن رسول الله ﷺ قال «كأنى أراكم جاثين بالكوم دون جهم»

وقال اسمعيل أبي بن رافع المدني عن محمد بن كعب عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا في حديث
الصور فيتميز الناس وتمنوا الامم وهي التي يقول الله تعالى (وترى كل أمة جاثية) كل أمة تدعى
الى كتابها وهذا فيه جمع بين القواين ولا منافاة والله أعلم

وقوله عز وجل (كل أمة تدعى الى كتابها) يعني كتاب أعمالها كقوله جل جلاله (ووضع
الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء) ولهذا قال سبحانه وتعالى (اليوم تجزوز ما كنتم تعملون) أي

يخسر الميطلون) يعني الكافرين الذين هم أصحاب الباطيل يظهر في ذلك اليوم خسراهم بأن يصيروا
الى النار (وترى كل أمة جاثية) باركة على الركب وهي جلسة المحاصرين بين يدي الحاكم ينتظر القضاء
من الله ، قال سلمان الفارسي إن في القيامة ساعة هي عشر سنين يجر الناس فيها جثاة على ركبهم حتى
إبراهيم عليه السلام ينادي ربه لا أسألك إلا نفسي (كل أمة تدعى الى كتابها) الذي فيه أعمالهم
وقرأ ابن يعقوب كل أمة نصب ويقال لهم (اليوم تجزوز ما كنتم تعملون) هذا كتابنا) يعني

تجاوزون بأعمالكم خيرها وشرها كقوله عز وجل (يَبْنِى الْإِنسَانُ يُؤْمِنُ بِمَا قَدِمَ وَأُخِّرَ * بَلِ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ) ولهذا قال جلت عظمتُه (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق) أي يستحضر جميع أعمالكم من غير زيادة ولا نقص كقوله جل جلاله (ووضع الكتاب قترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا) وقوله عز وجل (انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) أي انا كنا نأمر الحفظة ان تكتب أعمالكم عليكم قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره تكتب الملائكة أعمال العباد ثم تصعد بها الى السماء فيقابلون الملائكة الذين في ديوان الاعمال على ما بأيدي الكتابة مما قد أبرز لهم من اللوح المحفوظ في كل ليلة قدر ما كتبه الله في الاقدم على العباد قبل ان يخلقهم فلا يزيد حرفا ولا ينقص حرفا ثم قرأ [انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون]

فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين (٣٠)
وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين ؟ (٣١) وإذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة ، ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين (٣٢) وبدا لهم سينات ما عملوا وحق بهم ما كانوا به يستهزون (٣٣)
وقيل اليوم نفسا كم كما كنتم لقاء يومكم هذا وماؤاكم النار وما لكم من ناصرين (٣٤)
ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزواً وغرتمكم الحيوة الدنيا فالיום لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون (٣٥) فله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين (٣٦) وله الكبرياء في السموات والارض وهو العزيز الحكيم (٣٧)

ديوان الحفظة (ينطق عليكم بالحق) يشهد عليكم ببيان شاف فكأنه ينطق وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ (انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) أي نأمر الملائكة بنسخ أعمالكم أي بكتبتها وإثباتها عليكم وقيل نستنسخ أي نأخذ نسخته وذلك ان الملكين يرفعان عمل الانسان فيثبت الله منه ما كان له فيه ثواب أو عقاب ويطرح منه الفقر ، نحو قولهم ، هلم واذهب ، وقيل الاستنساخ من اللوح المحفوظ تنسخ الملائكة كل عام ما يكون من أعمال بني آدم ، والاستنساخ لا يكون الا من أصل فينسخ كتاب من كتاب ، وقال الضحاك نستنسخ أي ثبت ، وقال السدي نكتب ، وقال الحسن نحفظ (فأما

(سورة الجاثية ٤٥ جزء ٢٥) تأنيب الذين كفروا وتقريرهم على استكبارهم وكفرهم بآيات الله (٤٥)

يخبر تعالى عن حكمه في خلقه يوم القيامة فقال تعالى [فأما الذين آمنوا و عملوا الصالحات] أي آمنت قلوبهم وعملت جوارحهم الاعمال الصالحة وهي الخاصة الموافقة للشرع [فيدخلهم ربهم في رحمته] وهي الجنة كما ثبت في الصحيح ان الله تعالى قال للجنة أنت رحمتي أرحم بك من أشاء [ذلك هو الفوز المبين] أي البين الواضح

ثم قال تعالى [وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم ؟] أي يقال لهم ذلك تقريباً وتوبيخاً أما قرئت عليكم آيات الله تعالى فاستكبرتم عن اتباعها وأعرضتم عن معانيها وكنتم قوماً مجرمين في أفعالكم مع ما اشتهت عليه قلوبكم من التكذيب ؟ (وإذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها) أي إذا قال لكم المؤمنون ذلك [قلتم ما ندرى ما الساعة] أي لا نعرفها [ان نظن الا ظناً] أي إن نتوهم وتوهمها إلا توهماً أي مرجوحاً ولهذا قال (وما نحن بمستيقنين) أي بمنتهقين قال الله تعالى (وبدلهم سيئات ما عملوا) أي وظهر لهم عقوبة أعمالهم السيئة (وحق بهم) أي أحاط بهم (ما كانوا به يستهزئون) أي من العذاب والنتكال [وقيل اليوم تنساكم] أي نعاملكم معاملة الناسي لكم في نار جهنم [كما نسيتم لقاء يومكم هذا] أي فلم تعملوا له لانكم لم تصدقوا به [وماؤاكم النار وما لكم من ناصرين]

وقد ثبت في الصحيح ان الله تعالى يقول لبعض العبيد يوم القيامة « ألم أزورك ؟ ألم أكرمك ؟ ألم أسخر لك الخيل والابل وأدرك ترأس وتربع ؟ فيقول بلى يا رب فيقول أظننت أنك ملاقي ؟ فيقول لا فيقول الله تعالى فاليوم انسأك كما نسيتني »

قال الله تعالى (ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزواً) أي إنما جازيناكم هذا الجزاء لانكم اتخذتم حجاج الله عليكم سخرى تسخرون وتستهزئون بها [وغرتكم الحياة الدنيا] أي خدعتكم فاطمأنتم اليها فاصبحتم من الخاسرين ولهذا قال عز وجل [فاليوم لا يخرجون منها] أي من النار [ولا هم يستعتبون]

الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين (الغافر الظاهر) (وأما الذين كفروا) يقال لهم (أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوماً مجرمين) (متكبرين كافرين) (وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها) قرأ حزة والساعة نصب عطفاً على الوعد وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء (قلتم ما ندرى ما الساعة ان نظن الا ظناً) أي ما نعلم ذلك الا حدساً وتوهماً (وما نحن بمستيقنين) أنها كائنة (وبدلهم) في الآخرة (سيئات ما عملوا) في الدنيا أي جزاؤها (وحق بهم ما كانوا به يستهزئون » وقيل اليوم تنساكم) تترككم في النار (كما نسيتم لقاء يومكم هذا) تركتم الايمان والعمل لقاء هذا اليوم (وماؤاكم النار وما لكم من ناصرين » ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزواً وغرتكم الحياة الدنيا) حتى قلتم لا بعث ولا حساب (فاليوم لا يخرجون منها)

﴿ انفراد الله بالربوبية وله الكبرياء في السموات والارض ﴾ (تفسير ابن كثير والبقوي)

أبي يطلب منهم العتبي بل يعذبون بغير حساب ولا عتاب كما تدخل طائفة من المؤمنين بغير عذاب ولا حساب . ثم لما ذكر تعالى حكمه في المؤمنين والكافرين قال [فله الحمد رب السموات ورب الأرض] أي المالك لهما وما فيهما ولهذا قال [رب العالمين] ثم قال جل وعلا [وله الكبرياء في السموات والارض] قال مجاهد يعني السلطان أي هو العظيم المجد الذي كل شيء خاضع لده فقير اليه وقد ورد في الحديث الصحيح « يقول الله تعالى العظمة ازارني ، والكبرياء ردائي فمن نازعني واحداً منهما اسكتته ناري » رواه مسلم من حديث الاعمش عن أبي اسحاق عن الأغر أبي مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ بنحوه ، وقوله تعالى [وهو العزيز] أي الذي لا يغالب ولا يعانق [الحكيم] في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره تعالى وتقدس لا إله إلا هو

آخر تفسير سورة الجاثية وله الحمد والمنة

وبه التوفيق والعصمة

قرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وضم الراء وقروا الآخرون بضم الياء وفتح الراء (ولاهم يستعنيون) لا يطلب منهم أن يرجعوا الى طاعة الله لانه لا يقبل ذلك اليوم عذو ولا توبة ﴿ فله الحمد رب السموات ورب الأرض وب العالمين ﴾ وله الكبرياء ﴿ العظمة ﴾ في السموات والارض وهو العزيز الحكيم أخبرنا الامام ابو علي الحسين بن محمد القاضي ثنا السيد ابو الحسن محمد بن الحسين العلوي أنا ابو حامد أحمد بن محمد بن الحسن الشرقي ثنا احمد بن حفص وعبد الله بن محمد الفراء وقطن بن ابراهيم قالوا أنا حفص بن عبد الله حدثني ابراهيم بن طهمان عن عطاء بن السائب عن الاغر أبي مسلم عن أبي هريرة رضي الله قال « قال رسول الله ﷺ يقول الله عز وجل الكبرياء ردائي والعظمة ازارني فمن نازعني في واحد منهما أدخلته النار »



تفسير سورة الاحقاف وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم (١) تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم (٢) ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى والذين كفروا عما أنذروا معرضون (٣) قل أرأيتم ما تدعون من دون الله؟ أروني ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك في السموات ائتوني بكتب من قبل هذا أو أثرة من علم ان كنتم صدقين (٤) ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيمة وهم عن دعائهم غفلون؟ (٥) واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين (٦)

يخبر تعالى انه أنزل الكتاب على عبده ورسوله محمد ﷺ صلوات الله وسلامه عليه دائماً الى يوم الدين ووصف نفسه بالعزة التي لا ترام، والحكمة في الاقوال والافعال ثم قال تعالى [ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق] أي لاعلى وجه البعث والباطل [وأجل مسمى] أي والى مدة معينة مضروبة لا تزيد ولا تنقص

وقوله تعالى [والذين كفروا عما أنذروا معرضون] أي لاهون عما يراد بهم وقد أنزل الله تعالى اليهم كتابا وارسل اليهم رسولا وهم معرضون عن ذلك كله أي وسيعطون غب ذلك ثم قال تعالى (قل) أي هؤلاء المشركين العابدين مع الله غيره (أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض؟) أي ارشدوني الى المكان الذي استقلوا بخلقهم من الارض (أم لهم شرك في السموات؟) أي ولا شرك لهم في السموات ولا في الارض وما يملكون من قطيع ان الملك

﴿ سورة الاحقاف مكية وهي خمس وثلاثون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ حم ﴾ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم • ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى • يعني يوم القيمة وهو الاجل الذي تنتهي اليه السموات والارض وهو إشارة إلى فتلها • والذين كفروا عما أنذروا • خوفوا به في القرآن من البعث والحساب • معرضون • قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض؟ أم لهم شرك في السموات؟ ائتوني بكتاب

والتصرف كله إلا لله عز وجل فكيف يعبدون معه غيره وتشركون به من أرشدكم إلى هذا من دعاكم إليه فهو امركم به أم هو شيء اقترحتموه من عند أنفسكم ولهذا قال (انتوني بكتاب من قبل هذا) أي هاتوا كتابا من كتب الله المنزلة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام بأمركم بعبادة هذه الاصنام (أو إثارة من علم) أي دليل بين على هذا المسلك الذي سلمتموه [ان كنتم صادقين] أي لا دليل لكم لا قليا ولا عقليا على ذلك ولهذا قرأ آخرون أو أثره من علم أي أو علم صحيح تأثروا به عن أحد ممن قبلكم كما قال مجاهد في قوله تعالى [أو إثارة من علم] أو أحد يأثر علما وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما أو بينة من الامر

وقال الامام احمد حدثنا يحيى عن سفيان عن صفوان بن سليم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سفيان لا أعلم إلا عن النبي ﷺ أو أثره من علم قل الخط وقال أبو بكر بن عياش أو بقية من علم وقال الحسن البصري أو إثارة شيء يستخرجه فيثبته وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وأبو بكر بن عياش أيضا أو إثارة من علم يعني الخط وقال قتادة أو إثارة من علم خاصة من علم وكل هذه الأقوال متقاربة وهي راجعة إلى ما قلناه وهو اختيار ابن جرير رحمه الله وأكرمه وأحسن مثواه

وقوله تبارك وتعالى [ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة] أي لا يستجيب له [ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة] وهي غافلة عما يقول لا تسمع ولا تبصر ولا تبطش لأنها جهاد حجارة صم وقوله تبارك وتعالى [وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين] كقوله عز وجل [واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا] كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا أي سيخونونهم أحوج ما يكونون اليهم وقال الخليل عليه الصلاة والسلام [إنما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين]

من قبل هذا) أي بكتاب جاءكم من الله قبل القرآن فيه بيان ما تقولون (أو إثارة من علم) قال الكلبي أي بقية من علم يؤثر عن الاولين أو بسند اليهم . قال مجاهد وعكرمة ومقاتل رواية عن الانبياء وقال قتادة خاصة من علم وأصل الكلمة من الاثر وهو الرواية ، يقال أثرت الحديث أثرا وإثارة ومنه قيل لاخبر أثر (ان كنتم صادقين) ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له) يعني الاصنام لا نجيب عابديها إلى شيء يسألونها (إلى يوم القيامة) يعني أبدا ما دامت الدنيا (ومن دعاكم دعاكم غافلون) لأنها جهاد لا تسمع ولا تفهم (وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم

وإذا تلى عليهم آيتنا بينت قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين (٧)
أم يقولون افتريته؟ قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا هو أعلم بما تفيضون فيه كفى
به شهيداً بيني وبينكم وهو الغفور الرحيم (٨) قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري
ما يفعل بي ولا بكم ان أتبع الا ما يوحى إلي وما أنا الا نذير مبين (٩)

يقول عز وجل مخبراً عن المشركين في كفرهم وعنادهم أنهم إذا تلى عليهم آيات الله بينات أي
في حال بيانها ووضوحها وجلالها يقولون (هذا سحر مبين) أي سحر واضح وقد كذبوا وافتروا
وضلوا وكفروا (أم يقولون افتراه؟) يعنون محمداً ﷺ
قال الله عز وجل (قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا) أي لو كذبت عليه وزعمت أنه
أرسلني وليس كذلك لعاقبني أشد العقوبة ولم يقدر أحد من أهل الأرض لأنهم ولا غيركم أن يجيرني
منه كقوله تبارك وتعالى (قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً) * إلا بلاغا من
الله ورسالته (وقال تعالى) ولو تقول علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم قطعنا منه
الوئين * فما منكم من أحد عنه حاجزين) ولهذا قال سبحانه وتعالى ههنا (قل ان افتريته فلا تملكون
لي من الله شيئا هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيداً بيني وبينكم) هذا تهديد لهم ووعد أ كيد
وترهيب شديد : وقوله جل وعلا (وهو الغفور الرحيم) ترغيب لهم إلى التوبة والانابة أي ومع هذا
كله ان رجعتهم ونبتهم تاب عليكم وعنا عنكم وغفر ورحم وهذه الآية كقوله عز وجل في سورة الفرقان
(وقالوا أساطير الاولين اكتبها فهي تلى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذي يعلم السر في السموات
والارض انه كان غفورا رحيماً)

وقوله تبارك وتعالى (قل ما كنت بدعا من الرسل) أي لست بأول رسول طرق العالم بل قد

كافرين (جاحدين بانه قوله) تبرأنا اليك ما كانوا إيانا يعبدون) (وإذا تلى عليهم آياتنا بينات قال
الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين) يسمون القرآن سحراً (أم يقولون افتراه؟) محمد من
قبل نفسه ، فقال الله عز وجل (قل) يا محمد (ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا) لا تقدرون
أن تردوا عني عذابه ان عذابي على اقترائي فكيف أقترى على الله من أجلكم؟ (هو أعلم) أي الله أعلم
(بما تفيضون فيه) مخوضون فيه من التكذيب بالقرآن والقول فيه انه سحر (كفى به شهيداً بيني
وبينكم) ان القرآن جاء من عنده (وهو الغفور الرحيم) في تأخير العذاب عنكم

قال الزجاج هذا دعاء لهم إلى التوبة معناه ان الله عز وجل غفور لمن تاب منكم رحيم به (قل ما كنت
بدعا من الرسل) أي بديعاً مثل نصف ونصف وجمع البدع أبداع أي لست بأول مرسل، قد بعث

جاءت الرسل من قبلي فما أنا بالامر الذي لا نظير له حتى تستكروني وتستبعدون بعثي إليكم فانه قد أرسل الله جل وعلا قبلي جميع الانبياء إلى الامم قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة [قل ما كنت بدعا من الرسل] ما أنا بأول رسول ولم يحك ابن جرير ولا ابن أبي حاتم غير ذلك وقوله تعالى [وما أدري ما يفعل بي ولا بكم] قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية نزل بعدها [ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر] وهكذا قال عكرمة والحسن وقتادة انها منسوخة بقوله تعالى [ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر] قالوا ولم تنزل هذه الآية قال رجل من المسلمين هذا قد بين الله تعالى ما هو فاعل بك يا رسول الله فما هو فاعل بنا؟ فأنزل الله تعالى [ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار] هكذا قال والذي هو ثابت في الصحيح أن المؤمنين قالوا هنيئاً لك يا رسول الله فما لنا؟ فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية وقال الضحاك [وما أدري ما يفعل بي ولا بكم] أي ما أدري بماذا أؤمر وبما ذا أنهى بعد هذا؟ وقال ابو بكر الهذلي عن الحسن البصري في قوله تعالى [وما أدري ما يفعل بي ولا بكم] قال أما في الآخرة فعاذ الله وقد علم أنه في الجنة ولكن قال لا أدري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا أخرج كما اخرجت الانبياء عليهم الصلاة والسلام من قبلي؟ أم أقتل كما قتلت الانبياء من قبلي ولا أدري أن يحسف بكم أو ترمون بالحجارة وهذا القول هو الذي عول عليه ابن جرير وأنه لا يجوز غيره ولا شك أن

قبلي كثير من الانبياء فكيف تنكرون نبوتي (وما أدري ما يفعل بي ولا بكم؟) اختلف العلماء في معنى هذه الآية فقال بعضهم معناه ما أدري ما يفعل بي ولا بكم يوم القيامة؟ فلما نزلت هذه الآية فرح المشركون فقالوا والللات والعزى ما أمرنا وأمر محمد عند الله الا واحد وما له علينا من مزية وفضل ولولا انه ابتدع ما يقوله من ذات نفسه لأخبره الذي بعثه بما يفعل به فأنزل الله (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) فقالت الصحابة هنيئاً لك يا نبي الله، قد علمنا ما يفعل بك، فما ذا يفعل بنا؟ فأنزل الله تعالى (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات) الآية وأنزل (وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيراً) فبين الله تعالى ما يفعل به وبهم وهذا قول أنس وقتادة والحسن وعكرمة قالوا انما قال هذا قيل أن يخبر بغير ان ذنبه وإنما أخبر بغير ان ذنبه عام الحديثية فنسخ ذلك

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا ابو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران أنا اسماعيل ابن محمد الصفار ثنا احمد بن منصور الرمادي ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن خارجة بن زيد قال كانت أم العلاء الانصارية تقول لما قدم المهاجرون المدينة اقترعت الانصار على سكنائهم قالت فطار لنا عهان بن مفاعون في السكنى فرض فرضناه، ثم توفي فجاء رسول الله ﷺ فدخل فقلت رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي عليك أن قد أكرمك الله، فقال النبي ﷺ وما يدريك أن الله فيه أكرمه؟ فقلت لا والله لا أدري، فقال النبي ﷺ أما هو فقد أتاه اليقين من ربه وإنني لأرجو

هذا هو اللائق به ﷺ فانه بالنسبة الى الآخرة جازم انه بصير الى الجنة هو ومن اتبعه ، وأما في الدنيا فلم يدرك ما كان يؤل اليه أمره وأمر مشركي قريش الى ماذا يؤمنون أم يكفرون فيعذبون فيستأصلون بكفرهم ، فأما الحديث الذي رواه الامام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن ابن شهاب عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أم العلاء وهي امرأة من نسائهم أخبرته وكانت بايعت رسول الله ﷺ قالت طار لهم في السكينة حين اقترعت الانصار على سكنى المهاجرين عثمان بن مظعون رضي الله عنه فاشتكى عثمان رضي الله عنه عندنا فرفضناه حتى اذا توفي أدرجناه في أثوابه فدخل علينا رسول الله ﷺ فقلت رحمة الله عليك أبا السائب شهادتي عليك لقد أكرمك الله عز وجل فقال رسول الله ﷺ « وما يدريك أن الله تعالى أكرمه ؟ » فقلت لأدري بأبي أنت وأمي فقال رسول الله ﷺ « أما هو فقد جاءه اليقين من ربه واني لأرجو له الخير ، والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي » قالت فقلت والله لا أزي أحدًا بعده أبداً وأحزنتي ذلك فزمت فرأيت لعثمان رضي الله عنه عينا نجري فجيئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بذلك فقال رسول الله ﷺ « ذاك عمله » فقد انفرد باخراجه البخاري دون مسلم ، وفي لفظ له « ما أدري وأنا رسول الله ﷺ ما يفعل به » وهذا أشبه أن يكون هو المحفوظ بدليل قولها فأحزنتي ذلك وفي هذا وأمثاله دلالة على أنه لا يقطع لمعين بالجنة إلا الذي نص الشارع على تعيينهم كالعشرة وابن سلام والعميصاء وبلال وسراقة وعبد الله بن عمرو بن

له الخير والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي ولا بكم » قالت فوالله لا أزي أحدًا أبداً ، قالت ثم رأيت لعثمان بعد في النوم عينا نجري فقصصتها على رسول الله ﷺ فقال « ذاك عمله » وقال جماعة قوله ما أدري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا أما في الآخرة فقد علم انه في الجنة وأن من كذبه فهو في النار ، ثم اختلفوا فيه قال ابن عباس رضي الله عنهما لما اشتد البلاء بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رسول الله ﷺ فيما يرى النائم وهو بمكة أرضاً ذات سباح ونخل رفعت له يهاجر اليها فقال له أصحابه متى تهاجر الى الارض التي أريت ؟ فسكت ، فأنزل الله تعالى هذه الآية (وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) أترك في مكاني أم أخرج أنا وأنتم إلى الارض التي رفعت لي وقال بعضهم وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إلى ماذا بصير عاقبة أمري وأمركم في الدنيا بأن أقيم معكم في مكانكم أم أخرج كما خرجت الانبياء من قبلي أم أقتل كما قتل الانبياء من قبلي وأنتم أيها المصدقون لا أدري تخرجون معي أم تتركون أم ماذا يفعل بكم أيها المكذبون أنتمون بالحجارة من السماء أم يخسف بكم أم أي شيء يفعل بكم كما فعل بالأمم المكذبة

ثم أخبر الله عز وجل انه يظهر دينه على الأديان فقال (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) وقال في أمته (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم

٤٥٨ شهادة الكتب المتقدمة بصحة القرآن وأنه من عند الله (نفيرا ابن كثير والبغوي)

حرام والد جابر والقراء السبعين الذين قتلوا بيتر معونة وزيد بن حارثة وجعفر وابن رواحة وما أشبه هؤلاء رضي الله عنهم . وقوله (إن أتبع إلا ما يوحى إلي) أي إنما أتبع ما ينزله الله علي من الوحي (وما أنا إلا نذير مبين) أي بين النذارة أمرى ظاهر لكل ذي لب وعقل والله أعلم

قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله

فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين (١٠) وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان

خييراً ما سبقونا إليه وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم (١١) ومن قبله كتب

موسى إماماً ورحمة وهذا كتب مصدق لساناً عربياً لينذر الذين ظلموا وبشرى

للمحسنين (١٢) إن الذين قالوا ربنا الله ثم استغفروا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (١٣)

أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون (١٤)

يقول تعالى قل يا محمد هؤلاء المشركين الكافرين بالقرآن أرأيتم إن كان هذا القرآن [من عند الله وكفرتم به] أي ما ظنكم أن الله صانع بكم إن كان هذا الكتاب الذي جئتم به قد أنزله علي لأبلغكموه وقد كفرتم به وكذبتموه (وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله) أي وقد شهدت بصدقه وصحته الكتب المتقدمة المنزلة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل بشرت به وأخبرت بمنزل ما أخبر هذا القرآن به

وقوله عز وجل (فآمن) أي هذا الذي شهد بصدقه من بني إسرائيل لمعرفته بحقيقته (واستكبرتم) أنتم عن اتباعه ، وقال مسروق فآمن هذا الشاهد بنبيه وكتابه وكفرتم أنتم بنبيكم وكتابكم (إن الله لا يهدي القوم الظالمين) وهذا الشاهد اسم جنس يعبر عبد الله بن سلام رضي الله عنه وغيره فإن

وهم يستغفرون) فأخبر الله ما يصنع به وبأتمه هذا قول السدي ﴿ إن أتبع إلا ما يوحى إلي ﴾ أي ما أتبع إلا القرآن ولا أبتدع من عندي شيئاً ﴿ وما أنا إلا نذير مبين ﴾ قل أرأيتم ﴾ معناه أخبروني ما ذا تقولون ﴿ إن كان ﴾ يعني القرآن ﴿ من عند الله وكفرتم به ﴾ أي المشركون ﴿ وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله ﴾ المثل صلة يعني عليه أي على أنه من عند الله ﴿ فآمن ﴾ يعني الشاهد ﴿ واستكبرتم ﴾ عن الإيمان به وجواب قوله [إن كان من عند الله] محذوف على تقدير أليس قد ظنتم يدل على هذا المحذوف قوله ﴿ أن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ وقال الحسن جوابه فن أضل منكم كما قال في سورة السجدة، واختلفوا في هذا الشاهد قال قتادة والضحاك هو عبد الله بن سلام شهد على نبوة المصطفى ﷺ وآمن به واستكبر اليهود فلم يؤمنوا

هذه الآية مكبة نزلت قبل اسلام عبد الله بن سلام رضي الله عنه وهذه كقوله تبارك وتعالى [واذا ينلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين] وقال [إن الذين أوتوا العلم من قبله اذا ينلى عليهم يخرون للاذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً] قال مسروق والشعبي ايس بعبد الله بن سلام هذه الآية مكبة واسلام عبد الله بن سلام رضي الله عنه كان بالمدينة . رواه عنهما ابن جرير وابن أبي حاتم واختاره ابن جرير

وقال مالك عن أبي النضر عن عامر بن سعد عن أبيه قال ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لأحد يمشي على وجه الارض إنه من أهل الجنة الا لعبد الله بن سلام رضي الله عنه قال وفيه نزلت (وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله) رواه البخاري ومسلم والنسائي من حديث مالك به ، وكذا قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والضحاك وقتادة وعكرمة ويوسف بن عبد الله بن سلام وهلال بن يساف والسدي والثوري ومالك بن أنس وابن زيد أنهم كانوا قالوا إنه عبد الله بن سلام

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا عبد الله بن منير سمع عبد الله بن بكر ثنا حميد عن أنس قال سمع عبد الله سلام يقدم رسول الله ﷺ وهو في أرض يخترق فأتى النبي ﷺ فقال إني سألك عن ثلاث لا يعلمن الا نبي فبأول أشرط الساعة وما أول طعام أهل الجنة وما ينزع الولد الى أبيه أو الى أمه ؟ قال « أخبرني بهن جبريل آتفا - قال جبريل ؟ قال - نعم - قال ذاك عدو اليهود من الملائكة فقرأ هذه الآية [فل من كان عدواً لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله] - أما أول أشرط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت ، واذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد واذا سبق ماء المرأة نزع » قال أشهد أن لا إله إلا الله وأنتك رسول الله يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وانهم ان يعلموا باسلامي من قبل أن نسألم يهتوني ، فجاءت اليهود ، فقال لهم « أي رجل عبد الله فيكم ؟ » قالوا خيرنا وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا ، قال « رأيتم ان أسلم عبد الله بن سلام » قالوا أعاده الله من ذلك فخرج عبد الله بن سلام . فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله : فقالوا شرنا وابن شرنا . فأنه تصوه . قال هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا عبد الله بن يوسف قال سمعت مالكا يحدث عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله عن عامر ابن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي على وجه الارض انه من أهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزلت هذه الآية [وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله] قال لأدري قال مالك الآية أو في الحديث ، وقال الاخرون الشاهد هو موسى بن عمران

وقوله تعالى (وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه) أى قالوا عن المؤمنين بالقرآن لو كان القرآن خيراً ما سبقنا هؤلاء إليه يعنون بلالا وعماراً وصهيباً وخباباً رضي الله عنهم وأشباههم وأضرابهم من المستضعفين والعبيد والاماء وما ذاك الا لأنهم عند أنفسهم يعتقدون أن لهم عند الله وجاهة وله بهم عناية ، وقد غلطوا في ذلك غلطاً فاحشاً وأخطأوا خطأً بيناً كما قال تبارك وتعالى [وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا] أي تبعجبون كيف اهتدى هؤلاء دوننا ولهذا قالوا [لو كان خيراً ما سبقونا إليه] وأما أهل السنة والجماعة فيقولون في كل فعل وقول لم يثبت عن الصحابة رضي الله عنهم هو بدعة لأنه لو كان خيراً لسبقونا إليه لأنهم لم يتركوا خصلة من خصال الخير إلا وقد بادروا إليها

وقوله تعالى (واذا لم يهتدوا به) أي بالقرآن [فيقولون هذا افك قديم] أي كذب قديم أي ماثور عن الناس الاقدمين فينتقصون القرآن وأهله وهذا هو الكبر الذي قال رسول الله ﷺ بطر الحق وغطت الناس ثم قال تعالى (ومن قبله كتاب موسى) وهو التوراة [اماماً ورحمة وهذا كتاب] يعني القرآن [مصدق] أي لما قبله من الكتب (اساناً عربياً) أي فصيحاً بيناً واضحاً (لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين) أي مشتمل على النذارة للكافرين والبشارة للمؤمنين

وقال الشعبي قال مسروق في هذه الآية والله ما نزلت في عبد الله بن سلام بالمدينة لان آل [حم] نزلت بمكة وانما أسلم عبد الله بن سلام بالمدينة ونزلت هذه الآية في محاجة كانت من رسول الله ﷺ لقومه . ومثل القرآن التوراة فشهد موسى على التوراة ومحمد ﷺ على القرآن . وكل واحد يصدق الآخر وقيل هو نبي من بني اسرائيل قائم واستكبرتم فلم تؤمنوا (وقال الذين كفروا) من اليهود (للذين آمنوا لو كان دين محمد ﷺ خيراً ما سبقونا إليه) يعني عبد الله بن سلام وأصحابه وقال قتادة نزلت في مشركي مكة . قالوا لو كان ما يدعوننا إليه محمد خيراً ما سبقنا إليه فلان وفلان وقال الكلبي الذين كفروا أسد وغطفان قالوا للذين آمنوا يعني جهينة ومزينة لو كان ماجاء به محمد خيراً ما سبقنا إليه رعاء البهم قال الله تعالى (واذا لم يهتدوا به) يعني بالقرآن كما اهتدى أهل الإيمان (فيقولون هذا افك قديم) كما قالوا أساطير الاولين (ومن قبله) أي ومن قبل القرآن (كتاب موسى) يعني التوراة (اماماً) يقتدى به (ورحمة) من الله لمن آمن به ونصبا على الحال عن الكسائي وقال أبو عبيدة فيه اضرار أي جعلناه اماماً ورحمة وفي الكلام محذوف تقديره وتقدمه كتاب موسى اماماً ولم يهتدوا به كما قال في الآية الاولى واذا لم يهتدوا به (وهذا كتاب مصدق) أي القرآن مصدق للكتب التي قبله (اساناً عربياً) نصب على الحال وقيل باسان عربي (لينذر الذين ظلموا) يعني مشركي مكة قرأ أهل الحجاز والشام ويعقوب لتنذر بالناء على خطاب النبي ﷺ وقرأ الآخرون بالياء يعني الكتاب (وبشرى للمحسنين) وبشرى في محل الرفع أي هذا كتاب مصدق وبشرى

وقوله تعالى (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) تقدم تفسيرها في سورة حم السجدة ، وقوله تعالى (فلا خوف عليهم) أي فيما يستقبلون (ولا هم يحزنون) على ما خلفوا (أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون) أي الاعمال سبب انيل الرحمة لهم وسبوغها عليهم والله أعلم

ووصينا الانسان بوالديه احسننا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصله ثلثون شهرا حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصليح لي في ذرأتي إني تبت اليك وإني من المسلمين (١٥) أولئك الذين تتقبل عنهم أحسن ما عملوا وتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون (١٦)

لما ذكر تعالى في الآية الاولى التوحيد واخلاص العبادة والاستقامة اليه عطف الوصية بالوالدين كما هو مقرون في غير ما آية من القرآن كقوله عز وجل [وقضى ربك ألا تعبدوا الا إياه وبالوالدين إحسانا] وقوله جل جلاله [أن اشكركي ولوالدك الى المصير] الى غير ذلك من الآيات الكثيرة وقال عز وجل هنا [ووصينا الانسان بوالديه إحسانا] أي أمرناه بالاحسان اليهما والحنو عليهما وقال أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة أخبرني سهاك بن حرب قال سمعت مصعب بن سعد يحدث عن سعد رضي الله عنه قال قالت أم سعد لسعد أليس قد أمر الله بطاعة الوالدين فلا آكل طعاما ولا أشرب شرابا حتى تكفر بالله تعالى فامتنعت من الطعام والشراب حتى جعلوا يفتحون فاها بالعصا وزات هذه الآية (ووصينا الانسان بوالديه إحسانا) الآية ، ورواه مسلم وأهل السنن إلا ابن ماجه من حديث شعبة باسناد نحوه وأطول منه (حملته أمه كرها) أي قاست بسببه في حال حمله مشقة وتعبا من وحم وغشيان وثقل وكرب إلى غير ذلك مما تنال الحوامل من التعب والمشقة (ووضعته كرها) أي بمشقة أيضا من الطلق وشده [وحمله وفصاله ثلاثون شهرا] وقد استدلل علي رضي الله عنه بهذه الآية مع التي في لقمان (وفصاله في عامين) وقوله تبارك وتعالى

(إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون)

قوله عز وجل (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) وقرأ أهل الكوفة احسانا . كقوله تعالى (وبالوالدين احسانا) (حملته أمه كرها) ووضعته كرها) يريد شدة الطلق قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو كرها بفتح الكاف فيهما وقرأ الآخرون بضمهما (وحمله وفصاله) فطامه وقرأ يعقوب وفصله بغير

[والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد يمه الرضاعة] على ان أقل مدة الحمل ستة أشهر وهو استنباط قوي صحيح ووافقه عليه عثمان وجهادة من الصحابة رضي الله عنهم قال محمد بن اسحاق ابن يسار عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن معمر بن عبد الله الجهني قال تزوج رجل منا امرأة من جبهة فولدت له تمام ستة أشهر فانطلق زوجها الى عثمان رضي الله عنه فذكر ذلك له فبعث اليها فلما قامت اتلبس ثيابها بكت أختها فقات وما يبكيك فوالله ما التبس بي أحد من خلق الله تعالى غيره قط فيرضي الله سبحانه وتعالى في ما شاء فلما أتى بها عثمان رضي الله عنه أمر برجها فبلغ ذلك علياً فأتاه فقال له ما صنع؟ قال ولدت تماماً ستة أشهر وهل يكون ذلك؟ فقال له علي رضي الله عنه أما تقرأ القرآن؟ قال بلى قال أما سمعت الله عز وجل يقول (وحمله وفصاله ثلاثون شهراً) وقال (حولين كاملين) فلم نجده بقي الا ستة أشهر قال فقال عثمان رضي الله عنه والله ما فطنت بهذا علي بالمرأة فوجدوها قد فرغ منها قال فقال معمر فوالله ما الغراب بالغراب ولا البيضة بالبيضة بأشبه منه بأبيه فلما رآه أبوه قال انبي والله لا أشك فيه قال وابتلأه الله تعالى بهذه القرحة بوجهه الا كلة ما زالت تأكله حتى مات رواء ابن أبي حاتم وقد أوردناه من وجه آخر عند قوله عز وجل (فأنا أول العابدين)

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي ثنا فروة بن أبي المغراء حدثنا علي بن مسهر عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : اذا وضعت المرأة تسعة أشهر كفاه من الرضاع أحد وعشرون شهراً واذا وضعت اسبعة أشهر كفاه من الرضاع ثلاثة وعشرون شهراً واذا وضعت ستة أشهر فحولين كاملين لان الله تعالى يقول (وحمله وفصاله ثلاثون شهراً حتى اذا بلغ أشده) أي قوي وشب وارتمج (وبلغ أربعين سنة) أي تنهى عقله وكل فهمه وحلمه ويقال انه لا يتغير غالباً عما يكون عليه ابن الاربعين قال أبو بكر بن عياش عن الاعش عن القاسم بن عبد الرحمن قال قلت لسروق متى يؤخذ الرجل بذنوبه قال إذا بلغت الاربعين فخذ حذرك

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا أبو عبد الله القواريري حدثنا عروة بن قيس الازدي وكان

الف (ثلاثون شهراً) يريد أقل مدة الحمل وهي ستة أشهر واكثر مدة الرضاع أربعة وعشرون شهراً وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال اذا حملت المرأة تسعة أشهر ارضعت احدى وعشرين شهراً واذا حملت ستة أشهر ارضعت أربعة وعشرين شهراً (حتى اذا بلغ أشده) نهاية قوته وغاية شبابه واستوائه وهو ما بين ثمانين عشرة سنة الى اربعين سنة فذلك قوله (وبلغ أربعين سنة) وقال السدي والضحاك نزلت في سعد بن أبي وقاص وقد مضت القصة، وقال الآخرون نزلت في أبي بكر الصديق وأبيه أبي قحافة عثمان بن عمرو وأمه أم الخير بنت صخر بن عمرو وقال علي بن أبي طالب نزلت الآية في أبي بكر اسلم ابواه جميعاً ولم يجتمع لاحد من المهاجرين اسلم ابواه غيره اوصاه الله

قد بلغ مائة سنة حدثنا أبو الحسن الكوفي عمرو بن أوس قال قال محمد بن عمرو بن عثمان عن عثمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «العبد المسلم إذا بلغ أربعين سنة خفف الله تعالى حسابه وإذا بلغ ستين سنة رزقه الله تعالى الانابة اليه وإذا بلغ سبعين سنة أحبه أهل السماء وإذا بلغ ثمانين سنة ثبت الله تعالى حسنته ومحاسناته وإذا بلغ تسعين سنة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وشفعه الله تعالى في أهل بيته وكتب في السماء أسير الله في أرضه»

وقد روي هذا من غير هذا الوجه وهو في مسند الامام أحمد وقد قال الحجاج بن عبد الله الحكمي أحد أمراء بني أمية بدمشق تركت المعاصي والذنوب أربعين سنة حياء من الناس ثم تركتها حياء من الله عز وجل وما أحسن قول الشاعر

صبا ماصباحي علا الشيب رأسه * فلما علاه قال للباطل ابعده

(قال رب أوزعني) أي ألهمني (أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه) أي في المستقبل (وأصلح لي في ذريتي) أي نسلي وعقبى (أني تبت إليك وإني من المسلمين) وهذا فيه ارشاد لمن بلغ الاربعين ان يجدد التوبة والانابة الى الله عز وجل ويعزم عليها وقد روى أبو داود في سننه عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم أن يقولوا في التشهد اللهم ألف بين قلوبنا وأصابع ذات يدينا ، واهدنا سبل السلام ، ونجنا من الظلمات إلى النور وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وبارك لنا في أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا وأزواجنا وذرياتنا، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ، واجعلنا شاكرين لنعمتك مثنين بها عليك قابليها وأتمها علينا، قال الله عز وجل (أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا وتتجاوز عن سيئاتهم في

بهما ولزم ذلك من بعده وكان ابوبكر صاحب النبي ﷺ وهو ابن ثمانين سنة والنبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة في تجارة الى الشام فلما بلغ أربعين سنة ونبي النبي ﷺ آمن به ودعا ربه ﴿ قال رب أوزعني ﴾ الهمني ﴿ ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي ﴾ بالهداية والايمان ﴿ وان اعمل صالحا ترضاه ﴾

قال ابن عباس وأجابه الله عز وجل فأعنت تسعة من المؤمنين يعذبون في الله ولم يرد شيئا من الخير الا اعان الله عليه ودعا ايضا فقال ﴿ وأصلح لي في ذريتي ﴾ فأجابه الله فلم يكن له ولد الا آمنوا جميعا فاجتمع له اسلام ابويه وارلاده جميعا فأدرك ابو قحافة النبي ﷺ وابنه ابو بكر وابنه عبد الرحمن ابن ابي بكر وابن عبد الرحمن ابو عتيق كلهم أدركوا النبي ﷺ ولم يكن ذلك لاحد من الصحابة قوله ﴿ اني تبت إليك وإني من المسلمين ﴾ أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ﴾ يعني أعمالهم الصالحة التي عملوها في الدنيا وكلها حسن والاحسن يعني الحسن فيثيبهم عليها ﴿ وتتجاوز عن سيئاتهم ﴾ فلا نعاقبهم عليها قرأ حمزة والكسائي وحفص نتقبل ونتجاوز بالنون أحسن نصب وقرأ الآخرون بالياء، وضمها

أصحاب الجنة) أي هؤلاء المتصفون بما ذكرنا التائبون إلى الله المنيبون إليه المستدركون ما فات بالثوبة والاستغفار هم الذين تتقبل عنهم أحسن ما عملوا وتتجاوز عن سيئاتهم فيغفر لهم الكثير من الزلل وتتقبل منهم اليسير من العمل في أصحاب الجنة) أي هم في جملة أصحاب الجنة وهذا حكمهم عند الله كما وعد الله عز وجل من تاب إليه وأناب ، ولهذا قال تعالى (وعد الصدق الذي كانوا يوعدون) قال ابن جرير حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا المعتمر بن سليمان عن الحكم بن أبان عن العطفري عن جابر بن زيد عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ عن الروح الأمين عليه الصلاة والسلام قال « يؤتى بحسنة العبد وسيئاته فيقتص بعضها ببعض فان بقيت حسنة وسم الله تعالى له في الجنة » قال فدخلت على زداد فحدث بمثل هذا قال قلت فان ذهب الحسنة قال (أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا وتتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة * وعد الصدق الذي كانوا يوعدون) وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن محمد بن عبد الأعلى الصنعاني عن المعتمر بن سليمان بإسناده مثله وزاد عن الروح الأمين . قال قال الرب جل جلاله يؤتى بحسنة العبد وسيئاته فذكره وهو حديث غريب وإسناده جيد لا بأس به

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سليمان بن معبد حدثنا عمرو بن عاصم الكلبي حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر جعفر بن أبي وحشية عن أبي وحشية عن يوسف بن سعد عن محمد بن حاطب قال وزل في داري حيث ظهر علي رضي الله عنه على أهل البصرة فقال لي يوما لقد شهدت أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه وعنده عمار وصهبة والاشتر ومحمد بن أبي بكر رضي الله عنهم فذكروا عثمان رضي الله عنه فقالوا منه فكان علي رضي الله عنه على السرير ومعه عود في يده فقال قائل منهم إن عندكم من يفصل بينكم فسألوه فقال علي رضي الله عنه كان عثمان رضي الله عنه من الذين قال الله تعالى (أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا وتتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة * وعد الصدق الذي كانوا يوعدون) قال والله عثمان وأصحاب عثمان رضي الله عنهم قالها ثلاثا قال يوسف فقلت لمحمد بن حاطب آله لسمعت هذا من علي رضي الله عنه؟ قال آله لسمعت هذا من علي رضي الله عنه

والذي قال لولديه أفٍ لكما أتميدا نني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما

يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله حق ، فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين (١٧) أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس إنهم كانوا خاسرين (١٨)

أحسن ورفع (في أصحاب الجنة) مع أصحاب الجنة (وعد الصدق الذي كانوا يوعدون) وهو قوله عز وجل (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار) (والذي قال لولديه) إذ

ولكل درجة مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون (١٩) ويوم يُعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيببتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون (٢٠)

لما ذكر تعالى حال الداعين للوالدين البارين بهما وما لهم عنده من الفوز والنجاة عطف بحال الاشقياء العاقين للوالدين فقال (والذي قال لوالديه أف لكما) وهذا عام في كل من قال هذا ومن زعم أنها نزلت في عبدالرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما فقوله ضعيف لأن عبدالرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما أسلم بعد ذلك وحسن اسلامه وكان من خيار أهل زمانه وروى العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت في ابن لأبي بكر الصديق رضي الله عنهما وفي نسخة هذا أنظر والله تعالى أعلم وقال ابن جرير عن مجاهد نزلت في عبدالله بن أبي بكر رضي الله عنهما قاله ابن جريج، وقال آخرون عبدالرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما، وهذا أيضا قول السدي وإنما هذا عام في كل من عقى والديه وكذب بالحق فقال لوالديه أف لكما عتقا

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن العلاء حدثنا يحيى بن أبي زائدة عن اسماعيل بن أبي خالد اخبرني عبدالله بن المديني قال إني أفي المسجد حين خطب مروان فقال ان الله تعالى قد أرى أمير المؤمنين في يزيد رأيا حسنا وإن يستخلفه فقد استخاف أبو بكر عمر رضي الله عنهما فقال عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما أهرقية؟ إن أبا بكر رضي الله عنه والله ما جعلها في أحد من ولده ولا أحد من أهل بيته ولا جعلها معاوية إلا رحمة وكرامة لولده فقال مروان أأنت الذي قال لوالديه أف لكما؟ فقال عبد الرحمن رضي الله عنه أأنت ابن الذي لعن رسول الله ﷺ أباك قال وسمعتها عائشة رضي الله عنها فقالت يا مروان أنت القاتل لعبدالرحمن رضي الله عنه كذا وكذا كذبت ما فيه نزلت ولكن نزلت في فلان بن فلان ثم انتحب مروان ثم نزل عن المنبر حتى أتى باب حجرتها فجعل يكلمها حتى انصرف

وقد رواه البخاري بإسناد آخر ولفظ آخر فقال حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن يوسف بن ماهك قال كان مروان على الحجاز استعمله معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما فخطب وجهل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما شيئا فقال خذوه فدخل بيت عائشة رضي الله عنها فلم يقدروا عليه فقال مروان ان

دعوا إلى الايمان بالله والاقرار بالبعث (أف لكما) وهي كلمة كراهية (أنعداني أن أخرج) من (تفسير ابن كثير والبغوي) (٥٩) (الجزء السابع)

هذا الذي انزل فيه (والذي قال لوالديه أف لكما أتعداني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي) فقالت عائشة رضي الله عنها من وراء الحجاب : ما انزل الله عز وجل فبنا شيئا من القرآن إلا أن الله تعالى انزل عذري .

(طريق أخرى) قال النسائي حدثنا علي بن الحسين حدثنا أمية بن خالد حدثنا شعبة عن محمد ابن زياد قال لما بايع معاوية رضي الله عنه لابنه قال مروان سنة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقال عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما سنة هرقل وقبصر فقال مروان هذا الذي انزل الله تعالى فيه [والذي قال لوالديه أف لكما] الآية فبايع ذلك عائشة رضي الله عنها فقالت كذب مروان والله ما هو به ولو شئت أن اسمي الذي انزل فيه لسميته ولكن رسول الله ﷺ لعن أبا مروان ومروان في صلبه فمروان نفيض من لعنه الله

وقوله (أتعداني أن أخرج ؟) أي ابنت (وقد خلت القرون من قبلي) أي مضى الناس فلم يرجع منهم مخبروها يستغيثان الله أي بسألان الله فيه أن يهديه ويقولان لولدهما (وبلك آمن ان وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الاولين)

قال الله تعالى (أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس إنهم كانوا خاسرين) أي دخلوا في زمرة أشباههم وأخراهم من الكافرين الخاسرين أنفسهم وإهليهم يوم القيامة وقوله (أولئك) بعد قوله والذي قال دليل على ما ذكرناه من أنه جنس بعم كل من كان كذلك وقال الحسن وقنادة هو الكافر الفاجر العاق لوالديه المكذب بالبعث

(١) وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة سهل بن داود من طريق همام بن عمار حدثنا حماد بن عبد الرحمن حدثنا خالد الزبرقان العليمي عن سليم بن حبيب عن أبي امامة الباهلي رضي الله عنه عن

(١) هذا الحديث غير موجود في النسخة المكية

قبري حيا (وقد خلت القرون من قبلي) فلم يبعث منهم أحد (وهما يستغيثان الله) يستصرخان ويستغيثان الله عليه ويقولان له (وبلك آمن ان وعد الله حق فيقول ما هذا) الذي تدعواني اليه (إلا أساطير الاولين)

قال ابن عباس والسدي ومجاهد نزلت في عبد الله ، وقيل في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل اسلامه كان أبواه يدعوانه الى الاسلام وهو يأبى ويقول : أحيوا لي عبد الله بن جدعان وعامر بن كعب ومشاج قريب حتى أسألمهم عما يقولون . وأنكرت عائشة رضي الله عنها أن يكون هذا في عبد الرحمن ابن أبي بكر والصحيح أنها نزلت في كافر عاق لوالديه قاله الحسن وقنادة . وقال الزجاج قول من قال أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل اسلامه يبطله قوله (أولئك الذين حق عليهم القول) الآية . أعلم الله تعالى ان هؤلاء قد حققت عليهم كلمة العذاب وعبد الرحمن مؤمن من أفاضل المسلمين فلا يكون ممن حققت عليه كلمة العذاب ومعنى أولئك الذين حق عليهم القول . وجب عليهم العذاب

(سورة الاحقاف ٤٦ جزء ٢٩) النهي عن عقوق الوالدين وعن التأفيف وما رودة فيه ٤٦٧

النبي ﷺ قال « أربعة لعنهم الله تعالى من فوق عرشه وأمنت عليهم الملائكة مضل المساكين قال خالد الذي يهوي بيده الى المسكين فيقول لهم أعطيك فاذا جاءه قال ايس معي شيء ، والذي يقول للماعون ابن ^(١) وليس بين يديه شيء والرجل يسأل عن دار القوم فيدلونه على غيرها والذي يضرب الوالدين حتى يستغيثا » غريب جدا

(١) كذا في النسخة
الاميرية

وقوله تبارك وتعالى (ولكل درجات مما عملوا) أي لكل عذاب بحسب عمله [وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون] أي لا يظلمهم مثقال ذرة فما دونها قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم درجات النار تذهب سفلا ودرجات الجنة تذهب علوا

(في أم) مع أم (قد خلت من قبلهم من الجن والانس إنهم كانوا خامسين • ولكل درجات مما عملوا) قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد من سبق الى الاسلام فهو أفضل ممن تخاف عنه وتلو بساعة قال مقاتل ولكل فضائل بأعمالهم فيوفيهم الله جزاء أعمالهم وقيل ولكل يعني واحدا من الفريقين المؤمنين والكافرين درجات منازل ومراتب عند الله يوم القيامة بأعمالهم فيجازيهم عليها قال ابن زيد في هذه الآية درج أهل النار تذهب سفلا ودرج أهل الجنة تذهب علوا (وليوفيهم) قرأ ابن كثير وأهل البصرة وعاصم بالياء وقرأ الباقر بالنون (أعمالهم) ليكتمل لهم ثواب أعمالهم (وهم لا يظلمون • ويوم يعرض الذين كفروا على النار) فيقال لهم (أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا) قرأ ابن كثير وابن عامر وابو جعفر ويعقوب أذهبتم بالاستفها وبهمز ابن عامر همزتين والآخرون بلا استفهام على الخبر وكلاهما فصيحان لان العرب تستفهم بالتوبيخ وترك الاستفهام فتقول اذهبتم ففعلت كذا وذهبت ففعلت كذا (واستمتعتم بها) يقول أذهبتم طيباتكم يعني اللذات وتمتعتم بها (فاليوم نجزون عذاب الهون) أي العذاب الذي فيه ذل وخزي (بما كنتم تستكبرون) تكبرون (في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون) فلما وج الله الكافرين بالتمتع بالطيبات في الدنيا آثر النبي ﷺ وأصحابه والصالحون اجتناب اللذات في الدنيا رجاء ثواب الآخرة

وروينا عن عمر قال دخلت على رسول الله ﷺ فاذا هو مضطجع على رمال حصير قد أثر الرمال بجنبه فقلت يا رسول الله ادع الله فليوسع على أمتك فان فارس والروم قد وسع عليهم وهم لا يعبدون الله فقال أولئك « قوم قد عجّلوا طيباتهم في الحياة الدنيا »

أخبرنا ابو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجورجاني انا ابو القاسم علي بن احمد الخزاعي انا ابو سعيد الهيثم بن كليب ثنا ابو عيسى الترمذي ثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن أبي اسحاق قال سمعت عبد الرحمن بن يزيد يحدث عن الاسود بن يزيد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : ما أشجع آل محمد ﷺ من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقوله عز وجل [ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها] أي يقال لهم ذلك تقريبا وتوبيخا، وقد تورع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن كثير من طيبات المآكل والمشارب وتنزه عنها ويقول إني أخاف أن أكون كالذين قال الله لهم وبخهم وقرعهم [أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها] وقال أبو مجلز ليفقدن أقوام حسنت كانت لهم في الدنيا فيقال لهم أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا
وقوله عز وجل [فاليوم نجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو الحسين بن بشران أنا إسماعيل بن محمد الصفار ثنا أحمد ابن المنصور الرمادي ثنا عبد الرزاق ثنا معمر بن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : لقد كان يأتي علينا الشهر مانوقد فيه نارا وما لنا إلا الماء والتمر غير أن جرى الله نساء من الانصار خيرا كن ربما أهدين لنا شيئا من اللبن

أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد الجورجاني أنا أبو القاسم الخزاعي أنا الهيثم بن كليب ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا عبد الله بن معاوية الجمحي ثنا ثابت بن يزيد عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتتابعة طاويا وأهله لا يجدون عشاء وكان أكثر خبزهم خبز الشعير

أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد الجورجاني أنا أبو القاسم الخزاعي أنا الهيثم بن كليب ثنا أبو عيسى ثنا عبد الله بن عبد الرحمن ثنا روح بن أسلم ثنا أبو حاتم البصري ثنا حماد بن سلمة أنا ثابت عن أنس قال قال رسول الله ﷺ « لقد أخفت في الله وما يخاف أحد ولقد أوديت في الله وما يؤذى أحد ولقد أمت علي ثلاثون من بين ليلة ويوم وما لي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شي من التمر يواريه أبط بلال »

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا يوسف بن عيسى ثنا ابن فضيل عن أبيه عن أبي حازم عن أبي هريرة أنه قال : لقد رأيت سبعين الفا من أصحاب الصفة ما منهم رجل عليه رداء إما إزار وإما كساء قد ربطوا في أعناقهم فيها ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ الكميين فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة الكشميهني ثنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث ثنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن شعبة بن الحجاج عن سعد بن إبراهيم عن أبيه إبراهيم أن عبد الرحمن بن عوف أتني بطعام وكان صائما فقال: قتل مصعب بن عمير وهو خير مني فكفن في بردة أن غطي بها رأسه بدت رجلاه وأن غطي بها رجلاه بدا رأسه قال وأراه ، قال وقتل حمزة وهو خير مني ثم بسط لنا من الدنيا

(سورة الاحقاف ٤٦ جز ٢٦٠) تأمى النبي ﷺ بهود عليه السلام في تكذيب عاد الأولى له ٤٦٩

كنتم تفسقون [فجوزوا من جنس علمهم فكما منعوا انفسهم واستكبروا عن اتباع الحق وتعاطوا الفسق والمعاصي جازاهم الله تبارك وتعالى بعذاب الهون وهو الاهانة والحزى والآلام الموجهة والخسرات المتتابعة والمنازل في الدركات المفظة أجارنا الله سبحانه وتعالى من ذلك كله

واذكر أخا عادٍ إذ أنذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه
ألا تعبدوا إلا الله إني أخافُ عليكم عذابَ يومٍ عظيمٍ (٢١) قالوا أجبثنا لتأفكنا عن
آلهتنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين (٢٢) قال إنما العلم عند الله وأبلغكم ما أرسلت
به ولكني أرىكم قوماً تجهلون (٢٣) فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض
ممطرنا بل هو ما اسمعجلتم به ريح فيها عذابٌ أليم (٢٤) تدمر كل شيء بأمر ربها
فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين (٢٥)

يقول تعالى مسايلا لنبية ﷺ في تكذيب من كذبه من قومه (واذكر أخا عاد) وهو هود عليه
الصلاة والسلام بعنه الله عز وجل الى عاد الاولى وكانوا يسكنون الاحقاف جمع حقف وهو الجبل من
الرمل قاله ابن زيد ، وقال عكرمة الاحقاف الجبل والغار ، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه :
الاحقاف واد بحضرموت يدعى برهوت تلقى فيه أرواح الكفار ، وقال قتادة ذكر لنا أن عاداً كانوا
حيا باليمن أهل رمل مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر

قال ابن ماجه (باب اذا دعا فليبدأ بنفسه) حدثنا الحسين بن علي الحلال حدثنا أبي حدثنا

ما بسط أو قال أعطينا من الدنيا ما اعطينا ، وقد خشينا ان تكون حسناتنا عجبات لنا ثم جعل يبكي
حتى ترك الطعام ، وقال جابر بن عبد الله رأى عمر بن الخطاب لحما معلقا في بدي ، فقال ما هذا
يا جابر ؟ قلت اشتبهت لحما فاشتريته فقال عمر أوكلما اشتبهت شيئا يا جابر اشتريته ؟ أما تخاف هذه الآية ؟
(أذهبتم طيبانكم في حياتكم الدنيا)

قوله عز وجل (واذكر أخا عاد) يعني هودا (اذ أنذر قومه بالاحقاف) قال ابن عباس
الاحقاف واد بين عمان ومهرة وقال مقاتل كانت منازل عاد باليمن في حضرموت بموضع يقال له مهرة واليهما
تنسب الابل المهرية وكانوا أهل عمد سبارة في الربيع فاذا هاج العود رجعوا إلى منازلهم وكانوا من قبيلة ارم
قال قتادة ذكر لنا ان عادا كانوا حيا باليمن وكانوا أهل رمل مشرفين على البحر بأرض يقال

زید بن الحباب حدثنا سفیان حدثنا علی بن اسحاق عن سعید بن جبیر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « برحنا الله وأخا عاد »

وقوله تعالى (وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه) يعني وقد أرسل الله تعالى الى من حول بلادهم في القرى مرسلين ومنذرين كقوله عز وجل [فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها] وكقوله جل وعلا [فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم] أي قال لهم هود ذلك فأجابته قومه قائلين [أجبثنا لتأفكننا عن آلهتنا] أي لتصدنا عن آلهتنا [فاثبتنا بما نعدنا إن كنت من الصادقين] استعجلوا عذاب الله وعقوبته استبعاداً منهم وقوعه كقوله جلت عظمتهم [يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها] [قال إنما العلم عند الله] أي الله أعلم بكم إن كنتم مستحقين لتعجيل العذاب فسيجعل ذلك بكم وأنا أنا فن شأني أي أبلغكم ما أرسلت به [ولكني أراكم قوما تجهلون] أي لا تعقلون ولا تفهمون قال الله تعالى (فلما رأوه عارضاً مستقرباً أوديتهم) أي لما رأوا العذاب مستقبليهم اعتقدوا أنه عارض مطر ففرحوا واستبشروا به وقد كانوا محملين محتاجين إلى المطر قال الله تعالى (بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم) أي هو العذاب الذي قلتم فاثبتنا بما نعدنا إن كنت من الصادقين (تدمر) أي تخرب (كل شيء) من بلادهم مما من شأنه الخراب (بأمر ربها) أي بأذن الله لها في ذلك كقوله سبحانه وتعالى [ما نذر من شيء أنت عليه إلا جعلته كالريم] أي كالشيء البالي ولهذا قال عز وجل (فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم) أي قد بادوا كلهم عن آخرهم ولم تبق لهم باقية (كذلك نجزي القوم المجرمين) أي هذا حكمنا فيمن كذب رسلنا وخالف أمرنا ، وقد ورد حديث في قصتهم وهو غريب جداً من غرائب الحديث وافراده

قال الامام أحمد حدثنا زید بن الحباب حدثني أبو المنذر سلام بن سليمان النحوي قال حدثنا عاصم ابن أبي النجود عن أبي وائل عن الحارث البكري قال خرجت أشكو العلاء بن الحضرمي إلى رسول

له الشجر ، والاحقاف جمع حقف وهي المستطيل المعوج من الرمال قال ابن زيد هي ما استطال من الرمل كثيثة الجبل ولم يبلغ أن يكون جبلاً

قال السكسائي هي ما استدار من الرمال (وقد خلت النذر) مضت الرسل (من بين يديه) أي من قبل هود (ومن خلفه) إلى قومهم (ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم * قالوا اجثنا لتأفكننا) لتصرفنا (عن آلهتنا) أي عن عبادتها (فاثبتنا بما نعدنا) من العذاب (إن كنت من الصادقين) ان العذاب نازل بنا (قال) هود (إنما العلم عند الله) وهو يعلم متى يأتيكم العذاب (وأبلغكم ما أرسلت به) من الوحي اليكم (ولكني أراكم قوما تجهلون فلما رأوه) يعني ما يوعدون به من العذاب (عارضاً) سحاباً يعرض أي يبدو في ناحية من السماء ثم يطبق

الله ﷺ فررت بالربذة فاذا عجوز من بني تميم منقطع بها فقالت لي يا عبد الله : إن لي الى رسول الله حاجة فهل أنت مبلغني اليه ؟ قال فحملتها فأنيت بها المدينة فاذا المسجد غاص بأهله ، واذا راية سوداء تخفق ، واذا بلال رضي الله عنه متقلداً السيف بين يدي رسول الله ﷺ فقلت ما شأن الناس ؟ قالوا يريد أن يبعث عمرو بن العاص وجها قال فجلست فدخل منزله أو قال رحله فاستأذنت عليه فأذن لي فدخلت فسلمت فقال ﷺ « هل كان بينكم وبين تميم شيء ؟ » قلت نعم وكانت لنا الدائرة عليهم ومررت بعجوز من بني تميم منقطع بها فسألتني أن أحملها اليك فهاهي بالباب فأذن لها فدخلت فقلت يا رسول الله إن رأيت أن نجعل بيننا وبين تميم حاجزاً فاجعل الدهماء فخميت العجوز واستوفزت وقالت يا رسول الله فالي أين يضطر مضطرك ؟ قال قلت إن مثلي ما قال الاول : معزى حملت حنفها . حملت هذه ولا أشعر انها كانت لي خصماً أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد قال « هي وما وافد عاد ؟ » وهو أعلم بالحديث منه ، ولكن يستطعمه قلت إن عاداً قحطوا فبعثوا وفداً لهم يقال له قيل فمر بماوية ابن بكر فأقام عنده شهراً يسقيه الحمر وتغنيه جاريثان يقال لهما الجرادتان فلما مضى الشهر خرج الى جبال مورة فقال اللهم انك تعلم أنني لم أجيء إلى سريض فأداويه ولا إلى أسير فأقاده اللهم اسق عاداً ما كنت تسقيه فررت به سحابت سود فتودي منها اخيراً فأوأمأ الى سحابة منها سوداء فتودي منها خذها رماداً رمدياً ، لا تبقي من عاد أحداً ، قال فما باني أنه أرسل عليهم من الريح إلا فدر ما يجري في خاني هذا حتى هلكوا ، قال أبو وائل وصدق ، وكانت المرأة والرجل اذا بعثوا وفداً لهم قالوا لا نكن كوافد عاد . ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه كما تقدم في سورة الاعراف .

وقال الامام أحمد حدثنا هارون بن معروف اخبرنا ابن وهب اخبرنا عمرو أن ابا النضر حدثه عن سليمان بن يسار عن عائشة رضي الله عنها انها قالت ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعا ضاحكا

السماء (مستقبل أوديتهم) فخرجت عليهم سحابة سوداء من واد لهم يقال له المغيث وكانوا قد حبس عنهم المطر فلما رأوها استبشروا (قالوا هذا عارض ممطرنا)

يقول الله تعالى (بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم) فجعلت الريح تحمل الفسائط وتحمل الطعينة حتى ترى كأنها جردة (تدمر كل شيء) مرت به من رجال عاد وأموالها (بأمر ربها) فأول ما عرفوا انها عذاب رأوا ما كان خارجاً من ديارهم من الرجال والمواشي تطير بهم الريح بين السماء والارض فدخلوا بيوتهم وأغلقوا أبوابهم فجاءت الريح فقلعت أبوابهم وصرفتهم وأمر الله الريح فأمات عابهم الرمال وكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية أيام لم ينين ثم أمر الله الريح فكشفت عنهم الرمال فاحتلمتهم فرمت بهم في البحر

أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الاسفرائيني أنا أبو عوانة يعقوب بن اسحاق الحافظ أنا يونس أنا ابن وهب أنا عمرو بن الحارث أنا النضر حدثه

حتى أرى منه لهوانه إنما كان يتبسم وقالت كان رسول الله ﷺ إذا رأى غيا أو ريحا عرف ذلك في وجهه قالت يا رسول الله إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر وأراك إذا رأيته عرفت في وجهك الكراهية فقال رسول الله ﷺ « يا عائشة ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب، قد عذب قوم بالريح وقد رأى قوم العذاب وقالوا هذا عارض ممطرنا » وأخرجاه من حديث ابن وهب

(طريق أخرى) قال الامام احمد حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن المقدم ابن شريح عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت إن رسول الله ﷺ كان إذا رأى ناشئا في أفق من آفاق السماء ترك عمله وإن كان في صلاته ثم يقول « اللهم إني أعوذ بك من شر عاقبه فان كشفه الله تعالى حمد الله عز وجل وإن أمطر قال اللهم صيبا نافعا »

طريق أخرى قال مسلم في صحيحه حدثنا ابو بكر الطاهر اخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن جريج يحدثنا عن عطاء بن أبي رباح عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ إذا عصفت الريح قال « اللهم إني أسألك خيرا وخيرا ما فيها وخيرا ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به » قالت وإذا نخلت السماء تغير لونه وخرج وأقبل وأدبر فإذا أمطرت سري عنه فعرفت ذلك عائشة رضي الله عنها فسأته فقال رسول الله ﷺ « لعله يا عائشة كما قال قوم عاد (فلما راوه عارضا مستقبل أودينهم قالوا هذا عارض ممطرنا) وقد ذكرنا قصة هلاك قوم عاد في سورة الاعراف وهوود بما اغنى عن اعادته ههنا والله تعالى الحمد والمنة

وقال الطبراني حدثنا عبدان بن احمد ثنا اسماعيل بن زكريا الكوفي حدثنا ابو مالك بن مسلم الملائي عن مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « ما فتح على عاد من الريح إلا مثل موضع الخاتم ثم أرسلت عليهم البدو الى الحضرة فلما راها اهل الحضرة قالوا

عن سليمان بن يسار عن عائشة أنها قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعا ضاحكا حتى أرى منه يياض لهوانه وكان إذا رأى غيا أو ريحا عرف ذلك في وجهه فقالت يا رسول الله إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر وإذا رأيته عرف في وجهك الكراهية فقال « يا عائشة ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب قد عذب قوم بالريح وقد رأى قوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا » الآية أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الاسفرايني أنا ابو عوانة ثنا يوسف هو ابن مسلم ثنا حجاج عن ابن جريج عن عطاء قال قالت عائشة كان النبي ﷺ إذا رأى مغيرة وجهه وتلون ودخل وخرج وأقبل وأدبر فإذا أمطرت السماء سري عنه قالت وذكرت له الذي رأيت قال « وما يدريك لعله يا عائشة كما قال قوم عاد فلما راوه عارضا مستقبل أودينهم قالوا هذا عارض ممطرنا » الآية (فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم)

قرأ عاصم وحزمة ويعقوب يرى بضم الياء مساكنهم برفع النون يعني لا يرى شيء إلا مساكنهم

هذا عارض ممطرنا مستقبل اوديتنا وكان اهل البوادي فيها فالتقى اهل البادية على اهل الحاضرة حتى هلكوا قال عنت على خزائنها حتى خرجت من خلال الابواب والله سبحانه وتعالى اعلم

ولقد مكنتهم فيما ان مكنتكم فيه وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون (٢٦) ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون (٢٧) فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك افكهم وما كانوا يفترون (٢٨)

يقول تعالى ولقد مكنا الامم السالفة في الدنيا من الاموال والاولاد واعطيناهم منها ما لم نعطيكم مثله ولا قريباً منه وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة (فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) اي واحاط بهم العذاب والنكال الذي كانوا يكذبون به ويستبعدون وقوعه اي فاحذروا ايها المخاطبون ان تكونوا مثلم فيصيبكم مثل ما اصابهم من العذاب في الدنيا والآخرة

وقوله تعالى (ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى) يعني اهل مكة وقد اهلك الله الامم المكذبة بالرسول مما حولها كهاد وكانوا بالاحقاف بحضرموت عند اليمن وعمود وكانت منازلهم بينهم وبين الشام وكذلك سبأ وهم اهل اليمن ومدين وكانت في طريقهم وممرهم الى غزة وكذلك بحيرة قوم لوط كانوا يبرون بها ايضاً وقوله عز وجل [وصرفنا الآيات] اي بيناها ووضحناها [لعلهم يرجعون] فلولا

وقرأ الآخرون بالتاء وفتحها مساكنهم نصب يعني لا ترى انت يا محمد الامساكنهم لان السكان والانعام بادت بالربح فلم يبق الا هود ومن آمن معه (كذلك نجزي القوم المجرمين * ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه) يعني فيما لم نمكنكم فيه من قوة الابدان وطول العمر وكثرة المال

قال المبرد ما في قوله فيما بمنزلة الذي وان بمنزلة ما وتقديره ولقد مكناهم * في الذي ما مكناكم وإن صلة فيه (وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون * ولقد أهلكنا ما حولكم) يا اهل مكة (من القرى) كحجر ثمود وأرض سدوم ونحوهما (وصرفنا الآيات) الحجج والبيانات (لعلهم يرجعون) عن كفرهم فلم يرجعوا فأهلكناهم بخوف مشركي مكة (فلولا) فهلا (نصرهم الذين اتخذوا

٤٧٤ استماع الجن للقرآن من النبي ﷺ وإيمانهم به وما ورد في ذلك (تفسير ابن كثير والبغوي)

نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة [أي فهل نعروهم عند احتياجهم إليهم] بل ضلوا عنهم [أي بل ذهبوا عنهم أحوج ما كانوا إليهم] وذلك أفكمهم [أي كذبهم] وما كانوا يفكرون [أي وافترأؤهم في اتخاذهم إياهم آلهة وقد خابوا وخسروا في عبادتهم لها واعتمادهم عليها والله اعلم

واذ صرنا إليك نقرأ من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فله أقضي

ولوا إلى قومهم مُنذرين (٢٩) قالوا : ومنا أنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصداقاً لما

بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم (٣٠) يُقومنا أجيوباً داعي الله وآمنوا به

يفغر لكم من ذنوبكم ويُجركم من عذاب أليم (٣١) ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في

الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين (٣٢)

(١) قال الامام احمد حدثنا سفيان حدثنا عمرو سمعت عكرمة عن الزبير (واذا صرنا إليك نقرأ من الجن يستمعون القرآن قال بنخله ورسول الله ﷺ يصلي العشاء الآخرة (كادوا يكونون عليه لبدا) قال سفيان البد بعضهم على بعض كاللبد بعضهم على بعض تفرد به احمد وسباني من رواية ابن جرير عن عكرمة عن ابن عباس انهم سبعة من جن نصيين

وقال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا ابو عوانة ح

وقال الامام الشهير الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه دلائل النبوة أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد ابن عبدان أخبرنا احمد بن عبيد الصفار حدثنا اسماعيل القاضي أخبرنا مسدد حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا

من دون الله قربانا آلهة يعني الاوثان التي اتخذوها آلهة يتقربون بها إلى الله عز وجل والقربان كل ما يتقرب به إلى الله عز وجل وجمعه قرايين كالرهبان والراهبين (بل ضلوا عنهم)

قال مقاتل بل ضلت الآلهة عنهم فلم تنفعهم عند نزول العذاب (وذلك أفكمهم) أي كذبهم الذي كانوا يقولون أنها تقربهم إلى الله عز وجل وتنفع لهم (وما كانوا يفكرون) يكذبون أنها آلهة قوله عز وجل (واذا صرنا إليك نقرأ من الجن يستمعون القرآن) الآية

قال المفسرون لما مات أبو طالب خرج رسول الله ﷺ وحده إلى الطائف يلتمس من ثقيف النصر والمنعة له من قومه، فروى محمد بن اسحاق عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال لما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف وهم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم وهم إخوة ثلاثة : عبد البليل ومسعود وحبيب بن عمرو بن عمير وعند أحدهم امرأة من قريش من بني

(١) هذا الحديث غير موجود في النسخة المكية

رآهم انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد جبل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا مالكم؟ فقالوا جبل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب قالوا ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها وانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها ينتفون ما هذا الذي حال بينهم وبين خبر السماء فانصرف أولئك النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ وهو بنحلة عامداً إلى سوق عكاظ وهو بصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء فهناك حين رجعوا إلى قومهم (قلوا يا قومنا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمننا به وإن نشرك بربنا أحداً) وأنزل الله على نبيه ﷺ (قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن) وإنما أوحى إليه قول الجن رواه البخاري عن مسدد بن عمارة ، وأخرجه مسلم عن شيبان بن فروخ عن أبي عوانة به ، ورواه الترمذي والنسائي في التفسير من حديث أبي عوانة .

وقال الامام أحمد أيضا حدثنا أبو أحمد حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان الجن يستمعون الوحي فيسمعون الكلمة فيزبدون فيها عشراً فيكون ماسمعوها حقاً وما زادوا باطلا وكانت النجوم لا برمي بها قبل ذلك فلما بعث رسول الله ﷺ كان أحدهم لا يأتي مقعده إلا رمي بشهاب يحرق ما أصاب فشكوا ذلك إلى إبليس فقال ما هذا إلا من أمر قد حدث فبث جنوده فإذا بالنبي ﷺ بصلي بين جبلي نخلة فأتوه فأخبروه فقال هذا الحدث الذي حدث في الأرض ، ورواه الترمذي والنسائي في كتابي التفسير من سننهما من حديث إسرائيل به ، وقال الترمذي حسن صحيح ، وهكذا رواه أبو بوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وكذا رواه العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً بمثل هذا السياق بطوله وهكذا قال الحسن البصري إنه ﷺ ما شعر بأمرهم حتى أنزل الله تعالى عليه يخبرهم

جميع فجلس اليهم فدعاهم إلى الله وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال له أحدهم هو يربط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك وقال الآخر ما وجد الله أحداً يرسله غيرك وقال الثالث والله ما أكلت كلمة أبداً إن كنت رسولاً من الله كما تقول لانت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام وإن كنت تكذب على الله فما ينبغي لي أن أكلت فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد ينس من خير ثيف وقال لهم اذ فعلتم ما فعلتم فآتموه علي وكره رسول الله أن يبالغ قومه فيذيرهم عليه ذلك فلم يفعلوا وأغروا به سفهاهم وعبيدهم يسبونهم ويصبحون به حتى اجتمع عليه الناس وألجأوه إلى حائط لعبية وشيبة ابني ربيعة وهما فيه فرجم عنه سفهاً ثيفاً ومن كان تبعه فعمد إلى ظل حبله من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران إليه ويربان ما لقي من سفهاً

وذكر محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان عن محمد بن كعب القرظي قصة خروج النبي ﷺ إلى الطائف ودعائه إياهم إلى الله عز وجل وإبانهم عليه فذكر القصة بطولها وأورد ذلك الدعاء الحسن والهم البك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت أرحم الراحمين وأنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني؟ إلى عدو بعيد يتجهمني أم إلى صديق قريب ملكته أمري إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي غير أن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلى عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي غضبك أو يحل بي سخطك ولك العتبي حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك قال فلما انصرف عنهم بات بنخلة فقرأ تلك الآية من القرآن فاتممه الجن من أهل نصيبين. وهذا صحيح ولكن قوله أن الجن كان استماعهم تلك الآية فيه نظر فإن الجن كان استماعهم في ابتداء الإيماء كما دل عليه حديث ابن عباس رضي الله عنهما المذكور وخروجه ﷺ إلى الطائف كان بعد موت عمه، وذلك قبل الهجرة بسنة أو سنتين كما قرره ابن إسحاق وغيره والله أعلم

وقال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: هبطوا على النبي ﷺ وهو يقرأ القرآن بيطن نخلة فلما سمعوه قالوا أنصتوا قال صه وكانوا تسعة أحدهم زوبعة فأنزل الله عز وجل (واذ صرنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين - إلى - ضلال مبين) فهذا مع الأول من رواية ابن عباس رضي الله عنهما يقتضي أن رسول الله ﷺ لم يشعر بحضورهم في هذه المرة، وإنما استمعوا قرآنه ثم رجعوا إلى قومهم ثم بعد ذلك وفدوا إليه أرسالا قوماً بعد قوم وفوجاً بعد فوج كما سنأتي بذلك الأخبار في موضعها والآثار مما سنوردها هنا إن شاء الله تعالى وبه الثقة

فأما ما رواه البخاري ومسلم جميعاً عن أبي قدامة عبيد الله بن سعيد السرخسي عن أبي أسامة حماد بن أسامة عن مسعود بن كدام عن معن بن عبد الرحمن قال سمعت أبي يقول سألت مسروقاً عن أذن النبي ﷺ ليلة

ثقيف وألقي رسول الله ﷺ تلك المرأة من بني جمح فقال لها ماذا لقين من إيمانك فلما أطمأن رسول الله ﷺ قال «الهم أني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس وأنت أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلى عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك أو يحل علي سخطك ولك العتبي حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك»

فلما رأى ابناً ربيعة ما ألقى تحركت له رحمتهما فدعوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له عداس فقالا له خذ قطناً من هذا العنب وضعه في ذلك الطبق ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يا كل منه ففعل

استمعوا القرآن فقال حدثني أبوك يعني ابن مسعود رضي الله عنه أنه آذنته بهم شجرة فيحتمل أن يكون هذا في المرة الاولى ويكون اثباتا مقدما على نفي ابن عباس رضي الله عنهما ويحتمل أن يكون في الاولى ولكن لم يشعر بهم حال اسماءهم حتى آذنته بهم الشجرة أي أعلمته باجتماعهم والله أعلم ويحتمل أن يكون هذا في بعض المرات المتأخرات والله أعلم

قال الحافظ البيهقي وهذا الذي حكاه ابن عباس رضي الله عنهما إنما هو أول ما سمعت الجن قراءة رسول الله ﷺ وعلمت حاله وفي ذلك الوقت لم يقرأ عليهم ولم يرمهم ثم بعد ذلك أنه داعي الجن فقرأ عليهم القرآن ودعاهم الى الله عز وجل كما رواه عبدالله بن مسعود رضي الله عنه

﴿ ذكر الرواية عنه بذلك ﴾

قال الامام أحمد حدثنا اسماعيل بن ابراهيم حدثنا داود عن الشعبي وابن ابي زائدة أخبرنا داود عن الشعبي عن علقمة قال : قلت لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه هل صاحب رسول الله ﷺ ليلة الجن منكم أحد ؟ فقال ما صاحبه منا أحد ولكننا فقدناه ذات ليلة بمكة فقلنا اغتيل استطير ما فعل ؟ قال فبنا بشر ليلة بات بها قوم فلما كان في وجه الصبح أو قال في السحر اذا نحن به بجي من قبل حراء فقلنا يارسول الله فذكروا له الذي كانوا فيه فقال « انه أناني داعي الجن فأنيتهم فقرأت عليهم » قال فانطلق فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم قال : قال الشعبي سألوه الزاد ، قال عامر سألوه بمكة وكانوا من جن الجزيرة فقال « كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحما وكل بعرة أو روثه علف لدوابكم قال فلا تستنجوا بهما فانهما زاد اخوانكم من الجن » وهكذا رواه مسلم في صحيحه عن علي بن حجر عن اسماعيل بن علية به نحوه

وقال مسلم أيضا حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عبد الاعلى حدثنا داود وهو ابن ابي هند عن عامر قال سألت علقمة هل كان ابن مسعود رضي الله عنه شهد مع رسول الله ﷺ ليلة الجن ؟ قال فقال

ذلك عداس ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ فلما وضع رسول الله ﷺ يده قال « بسم الله » ثم أكل فنظر عداس الى وجهه ثم قال والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة فقال له رسول الله ﷺ « من أي البلاد أنت يا عداس وما دينك ؟ » قال أنا نصراني وأنا رجل من أهل نينوى فقال له رسول الله ﷺ « أمن قرية الرجل الصالح بنون بن منى ؟ » قال له وما يدريك ما بنون بن منى فقال له رسول الله ﷺ « ذاك أخي كان نبيا وأنا نبي » فأكب عداس على رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم وقبل رأسه ويديه وقدميه قال فيقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه اما غلامك فقد أفسده عليك فلما جاءهم عداس قالوا له ويلك يا عداس مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟ قال يا سيدي ما في الارض خير من هذا الرجل لقد أخبرني بأمر ما يعلمه الا نبي ، فقال ويحك يا عداس لا تبصر فك عن

عاقمة أنا سألت ابن مسعود رضي الله عنه فقلت هل شهد أحد منكم مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال لا ولكننا كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة فقدناه فالتفتنا في الأودية والشعاب فقبل استطير اغتيل قال فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء قال فقلنا يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فقال «أتاني داعي الجن فذهبت معهم فقرأت عليهم القرآن» قال فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال «كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحما وكل بكرة أو روثة علف لدرابكم» قال رسول الله ﷺ «فلا تستنجوا بهما فانهما طعام أخوانكم»

(طريق أخرى) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال ابوجه فر ابن جرير حدثني أحمد بن عبد الرحمن حدثني عبي الله بن يونس عن الزهري عن عبيد الله قال: إن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «بت الليلة اقرأ على الجن واقفا بالحجون»

(طريق أخرى) فيها أنه كان معه ليلة الجن قال ابن جرير رحمه الله حدثني أحمد بن عبد الرحمن ابن وهب حدثنا عبيد الله بن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب عن أبي عثمان بن شبة الخزاعي وكان من أهل الشام قال: إن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لأصحابه وهو بمكة» من أحب منكم أن يحضر أمر الجن الليلة فليفعل» فلم يحضر منهم أحد غيري قال فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة خط لي برجله خطا ثم أمرني أن أجلس فيه ثم انطلق حتى قام فانفتح القرآن فغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته ثم طفقوا يقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين حتى بقي منهم رهط ففرغ رسول الله ﷺ مع الفجر فانطلق فتبرز ثم أتاني فقال «مانع الرهط؟» قلت هم أولئك يا رسول الله فأعطاهم عظاما وروثا زاد ثم نهى أن يستطيب أحد بروث أو عظم. ورواه ابن جرير عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم عن أبي زرعة وعب بن راشد عن يونس بن يزيد الأيلي به

دينك فإن دينك خير من دينه، ثم إن رسول الله ﷺ انصرف من الطائف راجعا إلى مكة حين يأس من خير ثقيف حتى إذا كان بنخلة قام من جوف الليل يصلي فرب به نفر من جن أهل نصيبين الجن فاستمعوا له فلما فرغ من صلاته ولوا إلى قومهم منذرين قد آمنوا واجابوا لما سمعوا فقص الله خبرهم عليه فقال (واذ صرفنا إليك نفرا من الجن) الآية

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا مسدد ثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال «انطلق النبي ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، فأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا ما لكم؟ قالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا

ورواه البيهقي في الدلائل من حديث عبد الله بن صالح كاتب الليث عن يونس به ، وقد روى اسحاق بن راهويه عن جرير عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن مسعود رضي الله عنه فذكر نحوه ما تقدم . ورواه الحافظ أبو نعيم من طريق موسى بن عبيدة عن سعيد بن الحارث عن أبي المعلى عن ابن مسعود رضي الله عنه فذكر نحوه أيضاً

(طريق أخرى) قال أبو نعيم حدثنا أبو بكر بن مالك حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي قال حدثنا عفان وعكرمة قال حدثنا معتمر قال : قال أبي حدثني أبو تيمية عن عمرو وولده قد يكون قال البجلي بمحدثه عمرو عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : استتبعتني رسول الله ﷺ فانطلقتا حتى أتينا مكان كذا وكذا فخط لي خطا فقال « كن بين ظهر هذه لا تخرج منها فانك إن خرجت منها هلكت » فذكر الحديث بطوله وفيه غرابة شديدة

(طريق أخرى) قال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا ابن نور عن معمر عن يحيى بن أبي كثير عن عبد الله بن عمرو بن غيلان الثقفي أنه قال لابن مسعود رضي الله عنه حدثت أنك كنت مع رسول الله ﷺ ليلة وفد الجن قال أجل ، قال فكيف كان فذكر الحديث وذكر أن النبي ﷺ خط عليه خطا وقال « لا تبرح منها » فذكر مثل العجاجة السوداء فغشيت رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم فذعر ثلاث مرات حتى إذا كان قريبا من الصبح أتاني النبي ﷺ فقال « أمت ؟ » فقلت لا والله واتدهمت مراراً أن استغيث بالناس حتى سمعتك تقرأهم بعصاك تقول « اجلسوا » فقال ﷺ « لو خرجت لم آمن أن يتخطفك بعضهم » ثم قال ﷺ « هل رأيت شيئا ؟ » قلت نعم رأيت رجلا سوداً مستغفرين ثيابا بياضا^(١) قال ﷺ « أولئك جن نصيين سألوني المتاع والمتاع الزاد فمتعتهم بكل عظم حائل أو بعرة أو روثة - فقلت يا رسول الله وما يعني ذلك عنهم ؟ فقال ﷺ - « إنهم لا يجدون عظما إلا وجدوا عليه لحم يوم أكل ، ولا روثا إلا وجدوا فيها حبا يوم أكلت فلا يستنقون أحد منهم إذا خرج من الخلاء بهظم ولا بعرة ولا روثة »

(١) في النسخة المكية
ثياب بياض

الشهب ، قالوا ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء ، فانصرف أولئك الذين توجهوا إلى تهامة إلى النبي ﷺ وهو بنحلة عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن استمعوا له ، فقالوا هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء ، فهناك رجعوا إلى قومهم ، فقالوا (يا قومنا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشاد فآمننا به ولن نشرك بربنا أحدا) فأزل الله على نبيه (قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن) وأما أرحي إليه قول الجن .

وروي أنهم لما رجعوا بالشهب بعث ابليس سراياه لتعرف الخبر وكان أول بعث بعث ركباً من أهل نصيبين وهم أشرف الجن وساداتهم فبعثهم إلى تهامة ، وقال أبو حمزة الثمالاني بلغنا أنهم من بني

(طريق أخرى) قال الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي وأبو نصر بن قتادة قال أخبرنا أبو محمد يحيى بن منصور القاضي حدثنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم البوشنجي حدثنا روح بن صلاح حدثنا موسى بن علي بن رباح عن أبيه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال استبعني رسول الله ﷺ فقال « إن نقرأ من الجن خمسة عشر بني أخوة وبني عم يأتوني الليلة اقرأ عليهم القرآن » فانطلقت معه إلى المكان الذي أراد فخط لي خطا وأجلسني فيه وقل لي « لا تخرج من هذا » فبت فيه حتى أتاني رسول الله ﷺ مع السحر في يده عظم حائل وروثة وحة فقال « إذا ذهبت إلى الخلا فلا تستنج بشيء من هؤلاء » قال فلما أصبحت قلت لأعلن حيث كان رسول الله ﷺ قال فذهبت فرأيت موضع مبرك ستين بعيراً

(طريق أخرى) قال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس الأصم حدثنا العباس بن محمد الدوري حدثنا عثمان بن عمر عن الشعر بن الريان عن أبي الجوزاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال انطلقت مع رسول الله ﷺ ليلة الجن حتى أتني الحجون فخط لي خطاً ثم تقدم إليهم فازدحموا عليه فقال سيد لهم يقال له وزدان أنا أرحلهم عنك فقال إني إن يجبرني من الله أحد (طريق أخرى) قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا سفيان عن أبي فزارة العبسي حدثنا أبو زيد مولى عمرو بن حريث عن ابن مسعود رضي الله عنه قال لما كان ليلة الجن قال لي النبي ﷺ « أمعك ماء ؟ » قلت ليس معي ماء ولكن معي إداوة فيها نبيذ فقال النبي ﷺ « ثمرة طيبة وماء طهور » رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث ابن زيد به

(طريق أخرى) قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن اسحاق أخبرنا ابن لميعة عن قيس بن الحجاج عن حنش الصنعاني عن ابن عباس عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهم قال إنه كان مع رسول الله ﷺ ليلة الجن فقال رسول الله ﷺ « يا عبد الله أمعك ماء ؟ » قال معي نبيذ في إداوة قال ﷺ « أصيب علي » فتوضأ فقال النبي ﷺ « يا عبد الله شراب وطهور » تفرد به أحمد من هذا الوجه وقد أورده الدارقطني من طريق آخر عن ابن مسعود رضي الله عنه به

الشيصان وهم أكثر الجن عدداً وهم عامة جنود إبليس ، فلما رجموا قالوا [انا سمعنا قرآنا عجيباً] وقال جماعة بل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينذر الجن ويدعوهم إلى الله تعالى ، ويقرأ عليهم القرآن فصرف إليه نفر من الجن من أهل نينوى وجمعهم له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إني أمرت أن أقرأ على الجن الآية فأبكم يتبعني » فأطرقوا ، ثم استبعمهم فأطرقوا ، ثم استبعمهم الثالثة فأطرقوا ، فأنبعه عبد الله بن مسعود ، قال عبد الله ولم يحضر معه أحد غيري « فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة دخل نبي الله ﷺ شعباً يقال له شعب الحجون وخط لي خطاً ثم أمرني أن أجلس فيه - وقال لا تخرج منه حتى أعود إليك . ثم انطلق حتى قام فافتتح القرآن فجعلت أرى أمثال النسر تهوي

(طريق اخرى) قال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق أخبرني أبي عن ميناء عن عبد الله رضي الله عنه قال كنت مع رسول الله ﷺ ليلة وفد الجن فلما انصرف تنفس فقلت ماشأناك؟ قال « نعيت إلي نفسي يا ابن مسعود » هكذا رأيته في المسند مختصراً وقد رواه الحافظ أبو نعيم في كتابه دلائل النبوة فقال حدثنا سليمان بن احمد بن أبوب حدثنا اسحاق بن ابراهيم وحدثنا أبو بكر بن مالك حدثنا عبد الله بن احمد بن حنبل حدثنا أبي قال حدثنا عبد الرزاق عن أبيه عن ميناء عن ابن مسعود قال كنت مع رسول الله ﷺ ليلة وفد الجن فتتنفس فقلت مالك يا رسول الله؟ قال « نعيت إلي نفسي يا ابن مسعود » قلت استخاف قال « من؟ » قلت أبا بكر قال فسكت ثم مضى ساعة فتتنفس فقلت ماشأناك بأبي أنت وأمي يا رسول الله؟ قال « نعيت إلي نفسي يا ابن مسعود » قلت استخاف قال « من؟ » قلت عمر فسكت ثم مضى ساعة ثم تنفس فقلت ماشأناك؟ قال « نعيت إلي نفسي » قلت فاستخلف قال ﷺ « من؟ » قلت علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال ﷺ « أما والذي نفسي بيده لئن أطاعوه ليدخلن الجنة اجمعين أكتعين » وهو حديث غريب جداً وأحر به أن لا يكون محفوظاً وبتقدير صحته فالظاهر أن هذا بعد وفودهم اليه بالمدينة على ما سنورده ان شاء الله تعالى فان في ذلك الوقت كان في آخر الامر لما فتحت مكة ودخل الناس والجان أيضاً في دين الله أفواجا نزات سورة (اذا جاء نصر الله والفتح » ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا » فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً) وهي السورة التي نعتت نفسه الكريمة فيها اليه كأنص على ذلك ابن عباس رضي الله عنهما ووافقه عمر بن الخطاب رضي الله عنه عليه وقد ورد في ذلك حديث سنورده ان شاء الله تعالى عند تفسيرها والله أعلم

وقد رواه أبو نعيم أيضاً عن الطبراني عن محمد بن عبد الله الحضرمي عن علي بن الحسين بن أبي بردة عن يحيى بن سعيد الاسلمي عن حرب بن صبيح عن سعيد بن سلمة عن أبي مرة الصنعاني عن أبي عبد الله الجدي عن ابن مسعود رضي الله عنه فذكره وذكر فيه قصة الاستخلاف وهذا إسناد غريب وسياق عجيب (طريق اخرى) قال الامام أحمد : حدثنا أبو سعيد حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي رافع عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ خط حوله فكان أحدهم مثل سواد النحل وقال « لا تبرح

وسمعت لفظاً شديداً حتى خفت على نبي الله ﷺ وغشيت أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته ، ثم ما نقوا ينقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين ففرغ رسول الله ﷺ مع الفجر فانطلق الي وقال لي « أمت؟ » فقلت لا والله يا رسول الله ولقد هممت مراراً أن أستغيث بالناس حتى سمعتك تقرأهم بعصاك تقول « اجلسوا » قال لو خرجت لم آمن عليك أن يتخطفك بعضهم ثم قال « هل رأيت شيئاً » قلت نعم يا رسول الله رأيت رجالاً سوداً مستغفري ثياب بيض ، قال « أولئك جن نصيبين

مكانك فأقرهم كتاب الله « فلما رأى المرعى قال كأنهم هؤلاء. وقال النبي ﷺ « أمعك ماء؟ »
قلت لا قال « أمعك نبيذ؟ » قلت نعم فتوضأ به

(طريق أخرى مرسله) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبد الله الطبراني أخبرنا حفص بن عمر
المدني حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة في قوله تعالى (وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن) قال هم
اثنا عشر ألفاً جاؤا من جزيرة الموصل فقال النبي ﷺ لابن مسعود رضي الله عنه « انظرني حتى
آتيك » وخط عليه خطا وقال « لا تبرح حتى آتيك » فلما خشيهم ابن مسعود رضي الله عنه كاد
أن يذهب فذكر قول رسول الله ﷺ فلم يبرح فقال له النبي ﷺ « لو ذهبت ما التقينا الى يوم القيامة »
(طريق أخرى مرسله أيضا) قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله تعالى (وإذ صرفنا
إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن) قال ذكر لنا أنهم صرفوا اليه من يذنوي وإن نبي الله ﷺ
قال « اني أمرت أن أقرأ على الجن فايبكم بآيكم » فأطرقوا ثم استتبهم فأطرقوا ثم استتبهم الثالثة
فقال رجل يا رسول الله ان ذلك لذنوب فأتبعه ابن مسعود رضي الله عنه أخوه هذيل قال فدخل
النبي ﷺ شعبا يقال له شعب الحجر وخط عليه وخط على ابن مسعود رضي الله عنه خطا ليثبتته
بذلك قال فجعلت أهال وأرى أمثال النور تمشي في دفوفها وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على
نبي الله ﷺ ثم تلا القرآن فلما رجع رسول الله ﷺ قلت يا رسول الله ما اللفظ الذي سمعت؟
قال ﷺ « اختصموا في قبيل فقضي بينهم بالحق » رواه ابن جرير وابن أبي حاتم

فهذه الطرق كلها تدل على أنه ﷺ ذهب الى الجن قصداً فتلا عليهم القرآن ودعاهم إلى الله
عز وجل وشرع الله تعالى لهم على لسانه ما هم محتاجون اليه في ذلك الوقت . وقد يحتمل أن أول مرة
سمعوه يقرأ القرآن لم يشعروا به كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما، ثم بعد ذلك وفدوا اليه كما رواه
ابن مسعود رضي الله عنه

وأما ابن مسعود رضي الله عنه فإنه لم يكن مع رسول الله ﷺ حال مخاطبته للجن ودعائه إياهم
وأنما كان بعيداً منه ولم يخرج مع النبي ﷺ أحد سواء ومع هذا لم يشهد حال مخاطبته، هذه طريقة
البهقي . وقد يحتمل أن يكون أول مرة خرج اليهم لم يكن معه ﷺ ابن مسعود رضي الله عنه ولا

سألوني المتاع والمتاع الزاد فتعنتهم بكل عظم حائل وروثة وبكرة « قال فقالوا يا رسول الله تقذرنا الناس
فنهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يستنجى بالعظم والروث : قال فقلت يا رسول الله وما يغني ذلك
عنهم ؟ قال « أنهم لا يجدون عظما الا وجدوا عليه لحمة يوم أكل، ولا روثا الا وجدوا فيها حبها يوم أكلت »
قال . فقلت يا رسول الله سمعت لغطا شديدا فقال « ان الجن تدارأت من قبيل قتل بينهم فتعناكوا الي
فقضيت بينهم بالحق » قال ثم تبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أتاني ، فقال « هل معك ماء؟ »
قلت يا رسول الله معي إداوة فيها شيء من نبيذ التمر فاستدعاه فصببت علي يده فتوضأ وقال « تمر طيبة

غيره كما هو ظاهر سياق الرواية الاولى من طريق الامام أحمد وهي عند مسلم ، ثم بعد ذلك خرج معه ليلة أخرى والله أعلم كما روى ابن أبي حاتم في تفسير (قل أوحى إلي) من حديث ابن جريج قال قال عبد العزيز بن عمر : أما الجن الذين ألقوه بنخلة فجن نينوى وأما الجن الذين لقوه بمكة فجن نصيبين وتأوله البيهقي على أنه يقول فبئنا بشر ليلة بات بها قوم على غير ابن مسعود رضي الله عنه ممن لم يعلم بخروجه ﷺ إلى الجن وهو محتمل على بعد والله أعلم

وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو عمرو محمد بن عبد الله الأديب حدثنا أبو بكر الاسماعيلي أخبرنا الحسن بن صفيان حدثني سويد بن سعيد حدثنا عمرو بن يحيى عن جده سعيد بن عمرو قال كان أبو هريرة رضي الله عنه يتبع رسول الله ﷺ بأداة لوضوئه وحاجته فأدركه يوماً فقال « من هذا » قال أنا أبو هريرة قال ﷺ « انتهي بأحجار أستنج بها ولا تأتي بعظم ولا روث » فأتيته بأحجار في ثوبي فوضعتها إلى جنبه حتى إذا فرغ وقام اتبعته فقالت يا رسول الله ما بال العظم والروث ؟ قال ﷺ « آتاني وفد جن نصيبين فسألوني الزاد فدعوت الله تعالى لهم أن لا يمرؤا بروث ولا عظم إلا وجدوه طعاماً » أخرجه البخاري في صحيحه عن موسى بن اسماعيل عن عمرو بن يحيى باسناده قريباً منه . فهذا يدل مع ما تقدم على أنهم وفدوا عليه بعد ذلك . وسنذكر أن شاء الله تعالى ما يدل على تكرار ذلك . وقد روي عن ابن عباس غير ما روي عنه أولاً من وجه جيد فقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عبد الحميد الحفاني حدثنا النضر بن عربي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (وإذا صرفنا إليك نفراً من الجن) الآية قال كانوا سبعة نفر من أهل نصيبين فجعلهم رسول الله ﷺ رسلاً إلى قومهم . فهذا يدل على أنه قد روى القصة

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا سويد بن عبد العزيز حدثنا رجل سمع عن ابن جريج عن مجاهد (وإذا صرفنا إليك نفراً من الجن) الآية قال كانوا سبعة نفر ثلاثة من أهل حران وأربعة من أهل نصيبين وكانت أمماؤهم حمي وحسي ومسي وسامر ونامر والارد وایان والاحتم وذكر أبو حمزة الثمالي أن هذا الحي من الجن كان يقال لهم بنو الشيبان وكانوا أكثر الجن عدداً وأشرفهم نسبا وهم كانوا عامة جنود ابليس

وماء طهور ، وقال قتادة ذكر لنا أن ابن مسعود لما قدم الكوفة رأى شيوخاً شعثاً من الزط فأفزعوه حين رآهم فقال اظهروا قبيل له أن هؤلاء قوم من الزط . فقال ما أشبههم بالنفر الذين صرفوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الجن

أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد ثنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد بن صفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا محمد بن المثنى ثنا عبد الأعلى ثنا داود وهو ابن أبي هند

وقال سفيان الثوري عن عاصم عن زر عن ابن مسعود (رض) كانوا تسعة أحدهم زوبعة أتوه من أصل نخلة وتقدم عنهم أنهم كانوا خمسة عشر ، وفي رواية أنهم كانوا على ستين راحلة وتقدم عنه أن أمهم سبدهم وردان وقبيل كانوا ثمانمائة وتقدم عن عكرمة أنهم كانوا اثني عشر الفا فلعل هذا الاختلاف دليل على تكرر وفادتهم عليه ﷺ وما يدل على ذلك ما قاله البخاري في صحيحه حدثنا يحيى بن سليمان حدثني ابن وهب حدثني عمر هو ابن محمد قال ان سالما حدثه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال ما سمعت عمر (رض) يقول شيئا قط اني لا ظنه هكذا إلا كان كابظن ييامر ابن الخطاب [رض] جالس اذ مر به رجل جميل فقال لقد أخطأ ظني أو أن هذا على دينه في الجاهلية أو لقد كان كاهنهم علي بالرجل فدعى له فقال له ذلك فقال ما رأيت كاليوم استقبل به رجل مسلم قل فاني أعزم عليك الا ما أخبرتي قال كنت كاهنهم في الجاهلية قال فما أعجب ما جاءك بك به جنيتك قل بينما أنا يوما في السوق جاءني أعرف فيها الغزم فقالت

ألم تر الجن وابلاسها ويأسها من بعد انكاسها ولحوقها بالقلاص واحلاسها

قال عمر [رض] صدق بينما أنا نائم عند آلتهم إذ جاء رجل بعجل فذبجه فصرخ به صارخ لم أسمع صارخا قط أشد صوتا منه يقول باجليح أمر نجيح رجل فصيح يقول لا اله إلا الله قال فوثب القوم فقلت لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا ثم نادى باجليح أمر نجيح رجل فصيح يقول لا اله إلا الله فقامت فما نشبنا ان قبل هذا نبي . هذا سياق البخاري ، وقد رواه البيهقي من حديث ابن وهب بنحوه ثم قال وظاهر هذه الرواية يوم أن عمر [رض] بنفسه سمع الصارخ بصرخ من العجل الذي ذبح وكذلك هو صريح في رواية ضعيفة عن عمر رضي الله عنه وسائر الروايات تدل على أن هذا الكاهن هو الذي أخبر بذلك عن رؤيته وسماعه والله أعلم ، وهذا الذي قاله البيهقي هو المنتجه وهذا الرجل هو سواد بن قارب ، وقد ذكرت هذا مستقويا في سيرة عمر رضي الله عنه فمن أراد فليأخذه من ثم والله الحمد والمثني . وقال البيهقي حديث سواد بن قارب وبشبه أن يكون هذا هو الكاهن الذي لم يذكر اسمه في الحديث الصحيح

أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب المفسر من أصل سماعه أخبرنا أبو عبد الله محمد بن

عن عاصم قال سألت علقمة هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ؟ قال فقال علقمة انا سألت ابن مسعود فقلت هل شهد أحد منكم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ؟ قال لا ، ولكننا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ففقدناه . فالتفتنا في الاودية والشعاب فقلنا استطير أو اغتيل . قال فبتنا بشر ليلة بات بها قوم . فلما أصبحنا اذا هو جاء من قبل حراء قال قلنا يا رسول الله قد ناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فقال «أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن» قال فانطلق بنا فأرانا آثامهم وآثارهم فقال وسألوه

عبد الله الصفار الاصهباني قراءة عليه حدثنا أبو جعفر أحمد بن موسى الحمار الكوفي بالكوفة حدثنا زياد بن يزيد بن بادويه ثنا أبو بكر القصري حدثنا محمد بن نواس الكوفي حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي إسحاق عن البراء رضي الله عنه قال بينما عمر بن الخطاب [رض] بخطب الناس على منبر رسول الله ﷺ إذ قال أيها الناس أفياكم سواد بن قارب؟ قل فلم يجبه أحد تلك السنة فلما كانت السنة المقبلة قال: أيها الناس أفياكم سواد بن قارب؟ قال فقلت يا أمير المؤمنين وما سواد بن قارب؟ قال فقال له عمر [رض] أن سواد بن قارب كان يبدع إسلامه شيئا عجيبا قال فيبيننا نحن كذلك إذ طلعت سواد بن قارب قال فقال له عمر (رض) يا سواد حدثنا يبدع إسلامك كيف كان قال سواد [رض] فإني كنت نازلا بالهند وكان لي رثي من الجن قال فيبيننا أنا ذات ليلة نائم إذ جاءني في منامي ذلك قال قم فافهم واعقل إن كنت تفعل قد بعث رسول من أوتي بن غالب ثم أنشأ يقول

عجبت للجن ونحساسها وشدها العيس بأحلاسها

تهوي إلى مكة تبغي الهدى ماخير الجن كأنحاسها

فأنهض إلى الصفوة من هاشم واسم بعينيك إلى رأسها

قال ثم أنبهني فأفرغني وقال يا سواد بن قارب إن الله عز وجل بعث نبيا فأنهض إليه تهتد وترشد فلما كان من الليلة الثانية أناني فأنبهني ثم أنشأ يقول

عجبت للجن ونظايرها وشدها العيس بأقنابها

تهوي إلى مكة تبغي الهدى ليس قدأماها كأذناها

فأنهض إلى الصفوة من هاشم واسم بعينيك إلى قابها

فلما كان في الليلة الثالثة أناني فأنبهني ثم قال

عجبت للجن ونخبأرها وشدها العيس بأكوأرها

تهوي إلى مكة تبغي الهدى ليس ذوو الشر كأخبأرها

فأنهض إلى الصفوة من هاشم مامؤمنو الجن ككفارها

قال فلما سمعته تكرر ليلة بعد ليلة وقم في قلبي حب الإسلام من أمر رسول الله ﷺ ماشاء الله قال فأنطلقت إلى رحلي فشددته على راحلتي فمأحلت تسعة ولا عقدت أخرى حتى أتيت رسول الله ﷺ فإذا هو بالمدينة يعني مكة والناس عليه كعرف الفرس فلما رأي النبي ﷺ قال «مرحبا بك يا سواد بن قارب قد علمنا ما جاء بك» قال قلت يا رسول الله قد قلت شعرا فاسمعه مني قال صلى الله عليه وسلم «قل يا سواد» فقلت

الزاد فقال لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحما وكل بعرة علف لدوابكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «فلا تستنجوا بهما فأنهما طاهمان أخوانكم» ورواه مسلم عن علي بن حجر

أتاني ربي بعد ليل وهجمة ولم يك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ايل قوله كل ليلة أذاك رسول من أوي بن غالب
فسمرت عن ساقى الازار ووسط بي الدعلب الوجناء غير السباب
فأشهد أن الله لا رب غيره وأنتك مأمون على كل غائب
وانك أدنى المرسلين وسيلة إلى الله يا ابن الاكرمين الاطايب
فرنا بما يأتيك ياخير مرسل وإن كان فيما جاء شيب الذوائب
وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة سواك يعقن عن سواد بن قارب

قال فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه وقال لي « أفأحيت يا سواد » فقال لا عمر رضي الله عنه هل يأتيك ربيك الآن ؟ فقال « منذ قرأت القرآن لم يأتي ونعم العوض كتاب الله عز وجل من الجن » ثم أسنده البيهقي من وجهين آخرين

ومما يدل على وفادتهم اليه ﷺ بعد ما هاجر إلى المدينة الحديث الذي رواه الحافظ أبو نعيم في كتاب دلائل النبوة حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن عبدة المصيصي حدثنا أبو توبة الربيع ابن نافع حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن أسلم أنه سمع أبا سلام يقول حدثني من حدثه عمرو بن غيلان الثقفي قال أتيت عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقلت له حدثت أنك كنت مع رسول الله ﷺ ليلة وفد الجن ؟ قال أجل ، قلت حدثني كيف كان شأنه ؟ فقال إن أهل الصفة أخذ كل رجل منهم رجل بعشيه وتركتم فلم يأخذني أحد منهم فمر بي رسول الله ﷺ فقال « من هذا ؟ » فقلت أنا ابن مسعود ، فقال ﷺ « مأخذك أحد بعشيك ؟ » فقلت لا ، قال ﷺ « فأنطلق اعلي أجد لك شيئا » قال فأنطلقنا حتى أتى رسول الله ﷺ حجرة أم سلمة رضي الله عنها فتركني قائما ودخل الى أهله ثم خرجت الجارية فقالت يا ابن مسعود إن رسول الله ﷺ لم يجد لك عشاء فارجم إلى مضجعك قال فرجعت إلى المسجد فجمعت حصاء المسجد فتوسدته والتفتت بشوبي فلم ألبث إلا قليلا حتى جاءت الجارية فقالت أجب رسول الله ﷺ فاتبعها وأنا أرجو العشاء حتى بلغت مقامي خرج رسول الله ﷺ وفي يده عسيب من نخل فعرض به على صدري فقال ﷺ « انطلق أنت ، هي حيث انطلقت قلت ماشاء الله فأعادها علي ثلاث مرات كل ذلك أقول ماشاء الله فأنطلق وانطلقت معه حتى أتينا بقيع الفرق فخط ﷺ بعصاه خطا ثم قال « اجلس فيها ولا تبرح حتى آتيك » ثم انطلق بعشي وأنا أنظر اليه خلال النخل حتى إذا كان من حيث لا أراه ثارت قبلة العجاجة السوداء ففرقت فقلت ألحق برسول الله ﷺ فاني أخاف أن هوازن مكروا برسول الله ﷺ ليعتلولوه فأسعى إلى البيوت فاستغيث

ثنا اسماعيل بن ابراهيم عن دارد بهذا الاسناد الى قوله وآثار نيرانهم . قال الشعبي وسأله الزاد وكانوا من جن الجزيرة الى آخر الحديث من قول الشعبي مفصلا من حديث عبد الله . قوله عز وجل

الناس فذكرت أن رسول الله ﷺ أوصاني أن لأبرح مكاني الذي أنا فيه فسمعت رسول الله ﷺ يقرعهم بعصاه ويقول « اجلسوا » فجلسوا حتى كاد ينشق عمود الصبح ثم ثاروا وذهبوا فأنا في رسول الله ﷺ فقال « أمت بعدي ؟ » فقلت لا ولقد فرغت الفرقة الاولى حتى رأيت أن آتي البيرت فاستغيث الناس حتى سمعتك يقرعهم بعصاك وكنت أظنها هرازن مكروا برسول الله ﷺ ليزنلوه فقال « لو أنك خرجت من هذه الخلقة ماأمنت عليك أن يختطفك بعضهم قبل رأيت من شيء منهم ؟ فقلت رأيت رجالا سوداً مستغفرين بثياب بيض ، فقال رسول الله ﷺ « أوأنتك وفدجن نصيبين أتوني فسالوني الزاد والمتاع فمتعهم بكل عظم حائل أو روثة أو برة » قلت فما يعني عنهم ذلك ؟ قال ﷺ « انهم لا يجدون عظما الا وجدوا عليه لحمه الذي كان عليه يوم أكل ، ولا روثة إلا وجدوا فيها حبها الذي كان فيها يوم أكلت فلا يستنقي أحد منكم بعظم ولا برة » وهذا اسناد غريب جداً ولكن فيه رجل مبهم لم بسم والله تعالى أعلم

وقد روى الحافظ أبو نعيم من حديث بقية بن الوليد حدثني فبر بن زيد القنبر حدثنا أبي حدثنا قحانة بن ربيعة حدثني الزبير بن العوام رضي الله عنه قال : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح في مسجد المدينة فلما انصرف قال « أيكم يتبعني إلى وفد الجن الليلة ؟ » فاسكت القوم ثلاثا فمررت فأخذ بيدي فجعلت أمشي معه حتى حبست عن جبال المدينة كلها وأفضينا إلى أرض رازآ فاذا برجال طوال كأنهم الرماح مستغفرين بثيابهم من بين أرجاءهم فلما رأيتهم غشيتني رعدة شديدة ثم ذكر نحو حديث ابن مسعود المتقدم وهذا حديث غريب والله أعلم

ومما يتعلق بوفود الجن مارواه الحافظ أبو نعيم حدثنا أبو محمد بن حبان حدثنا أبو الطيب أحمد ابن روح حدثنا يعقوب الدورقي حدثنا الوليد بن بكر النخعي حدثنا حصين بن عمر اخبرني عبيد المكتب عن ابراهيم قال خرج نفر من اصحاب عبد الله يريدون الحج حتى اذا كانوا في بعض الطريق اذام بحية تنثنى على الطريق أبيض ينفع منه ريح المسك فقلت لأصحابي امضوا فاست بيارح حتى انظر الى ما يصير اليه أمر هذه الحية قال فما لبثت أن مانت فعمدت إلى خرقة بيضاء فلفقتها فيها ثم نحييتها عن الطريق فدفنتها وأدركت أصحابي في المتعشى ، قال فوالله إنا لنعوذ اذ أقبل أربع نسوة من قبل المغرب فقالت واحدة منهن : أيكم دفن عمرا ؟ قلنا ومن عمرو ؟ قالت أيكم دفن الحية ؟ قال فقلت أنا قالت أما والله لقد دفنت صواما قراما يأمر بما أنزل الله تعالى ولقد آمن ببيكم وسمع صفته من السماء قبل أن يبعث بأربعائة عام قال الرجل لخدمنا الله تعالى ثم قضينا حاجتنا ثم مرت بعمر بن الخطاب رضي الله عنه بالمدينة فأنبأه بأمر الحية فقال صدقت سمعت رسول الله ﷺ يقول « لقد آمن بي قبل أن ابعث بأربعائة سنة » وهذا حديث غريب جدا والله أعلم

(واذا مررنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن) اختلفوا في عدد ذلك النفر : فقال ابن عباس

قال أبو نعيم : وقد روى الثوري عن أبي اسحاق عن الشعبي عن رجل من ثيف بنحوه ، وروى عبدالله بن أحمد والظاهراني عن صفوان بن المعطل - هو الذي زل ودفن تلك الحبة من بين الصحابة وانهم قالوا انه آخر التسعة موتا الذين أتوا رسول الله ﷺ يستمعون القرآن

وروى أبو نعيم من حديث الايث بن سعد عن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون عن عمار بن عبد الله بن معمر قال كنت جالسا عند عثمان بن عفان رضي الله عنه فجاء رجل فقال يا أمير المؤمنين اني كنت بفلاة من الارض فذكر أنه رأى ثعبانين اقتتلا ثم قتل أحدهما الآخر قال فذهبت الى المعترك فوجدت حبات كثيرة مقتولة وإذا ينفع من بعضها ربح المسلم فجعلت أشمها واحدة واحدة حتى وجدت ذلك من حبة صفراء رقيقة فلففتها في عمامتي ودفنتها ، فبينما أنا أمشي إذ ناداني مناد : يا عبد الله لقد هدبت هذان حيان من الجن بنو شعيبان وبنو قيس التقيوا فكان من القتل ما رأيت واسنشهد الذي دفنته وكان من الذين سمعوا الوحي من رسول الله ﷺ قال فقال عثمان لذلك الرجل ان كنت صادقا فقد رأيت عجبا وان كنت كاذبا فعليك كذبك

وقوله تبارك وتعالى (وإذا صرفنا إليك نفرا من الجن) أي طائفة من الجن (يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا) أي استمعوا وهذا أدب منهم

وقد قال الحافظ البيهقي حدثنا الامام أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان أخبرنا أبو الحسن محمد ابن عبدالله الدقاق حدثنا محمد بن ابراهيم البوشنجي حدثنا هشام بن عمار الدمشقي حدثنا الوليد ابن مسلم عن زهير بن محمد عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال قرأ رسول الله ﷺ سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال « مالي أراكم سكوتا ؟ لجن كانوا أحسن منكم ردا ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة (فبأي آلاء ربكما تكذبان) إلا قالوا : ولا بشيء من آلائك أو نعمك ربنا نكذب فلك الحمد » ورواه الترمذي في التفسير عن أبي مسلم عبد الرحمن بن واقد عن الوليد بن مسلم به قال خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن فذكره ثم قال الترمذي : غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد عن زهير ، كذا قال وقد رواه البيهقي من حديث مروان ابن محمد الطاطري عن زهير بن محمد به مثله

كانوا سبعة من جن نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم . وقال آخرون كانوا تسعة وروى عاصم عن زر بن حبیش كان زبعة من التسعة الذين استمعوا القرآن (فلما حضروه قالوا أنصتوا) قالوا صه وروى في الحديث ان الجن ثلاثة أصناف صنف لهم أجنحة يطيرون بها في الهواء وصنف حبات وكلاب وصنف بحلون ويطعنون فلما حضروه قال بعضهم لبعض أنصتوا استمعوا لنستمع الى قراءته فلا يحول بيننا وبين الاستماع شيء فأنصتوا واستمعوا القرآن حتى كاد يقع بعضهم

وقوله عز وجل (فلما قضى) أي فرغ كقوله تعالى (فإذا قضيت الصلاة - ففضاها من سبع سموات في يومين - فإذا قضيتُم مناسككم [ولوا إلى قومهم منذرين] أي رجعوا إلى قومهم فأنذروهم باسمعوه من رسول الله (ص) كقوله جل وعلا (لينفقوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) وقد استدلل بهذه الآية على أنه في الجن نذر وليس فيهم رسل ولا شك أن الجن لم يبعث الله تعالى منهم رسولا كقوله تعالى (وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى) وقال عز وجل (وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق) وقال عن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام (وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب) فكل نبي بعثه الله تعالى بعد إبراهيم فمن ذريته وسلالته

فأما قوله تبارك وتعالى في الانعام (يا معشر الجن والانس أليكم رسل منكم) فالمراد من مجموع الجنس من فيصدق على أحدهما وهو الانس كقوله (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) أي أحدهما ثم أنه تعالى فسر انذار الجن اقومهم فقال مخبراً عنهم (قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى) ولم يذكروا عيسى لان عيسى عليه السلام أنزل عليه الانجيل فيه مواعظ وترقيقات وقليل من التحليل والنحرى وهو في الحقيقة كاللحم لشربه التوراة فالعمدة هو التوراة فهذا قالوا أنزل من بعد موسى ، وهكذا قال ورقة بن نوفل حين أخبره النبي ﷺ بقصة نزول جبريل عليه عليه الصلاة والسلام أول مرة فقال يخ يخ هذا الناموس الذي كان يأتي موسى باليتني أكون فيها جذعا (مصدقا لما بين يديه) أي من الكتب المنزلة على الانبياء قبله ، وقولهم (يهدي إلى الحق) أي في الاعتقاد والاخبار وإلى طريق مستقيم) في الاعمال فان القرآن مشتمل على شيتين خبر وطلب فخره صدق وطلبه عدل كما قال تعالى (ونمت كفة ربك صدقا وعدلا)

وقال سبحانه وتعالى (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق) فالهدى هو العلم النافع ودين الحق هو العمل الصالح ، وهكذا قالت الجن (يهدي إلى الحق) في الاعتقادات (وإلى طريق مستقيم) أي في العمليات (يا قومنا أجبوا داعي الله) فيه دلالة على أنه تعالى أرسل محمداً ﷺ إلى الثقلين الجن والانس حيث دعاهم إلى الله تعالى وقرأ عليهم السورة التي فيها خطاب الفريقين وتكليفهم ووعدهم ووعدهم وهي سورة الرحمن ولهذا قال (أجبوا داعي الله وآمنوا به)

وقوله تعالى (يغفر لكم من ذنوبكم) قبل إن من ههنا زائدة وفيه نظر لان زبادتها في الاثبات

على بعض من شدة حرصهم (فلما قضى) فرغ من تلاوته (ولوا إلى قومهم) انصرفوا إليهم (منذرين) مخوفين داعين بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم (قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم) قال عطاء كان دينهم اليهودية لذلك قالوا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى (يا قومنا أجبوا داعي الله) يعني محمداً صلى الله عليه وسلم (تفسير ابن كثير والبغوي) (٦٢) (الجزء السابع)

قليل ، وقيل انها على بابها لتبعض (ويجرم من عذاب أليم) أي ويقبكم من عذابه الأليم ، وقد استدلل بهذه الآية من ذهب من العلماء إلى أن الجن المؤمنين لا يدخلون الجنة وإنما جزاء صالحهم أن يجاروا من عذاب النار يوم القيامة ولهذا قالوا هذا في هذا المقام وهو مقام تبجح ومبالغة فلو كان لهم جزاء على الايمان أعلى من هذا لا وشك أن يذكروه .

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي قال حدثت عن جرير عن إيث عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قالما لا يدخل مؤمنو الجن الجنة لانهم من ذرية ابليس ولا تدخل ذرية ابليس الجنة ، والحق أن مؤمنهم مؤمنوا الانس يدخلون الجنة كما هو مذهب جماعة من السلف وقد استدلل بعضهم لهذا بقوله عز وجل (لم يطلعهن انس قبلهم ولا جان) وفي هذا الاستدلال نظر ، وأحسن منه قوله جل وعلا [ولئن خلف مقلم رب جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان] فقد امتن تعالى على الثقلين بأن جعل جزاء محسنهم الجنة وقد قابلت الجن هذه الآية بالشكر القوي أبلغ من الانس فقالوا ولا بشيء جعل آلئك ربنا نكذب فلك الحمد فلم يكن تعالى ليمتن عليهم بجزاء لا يحصل لهم وأيضاً فإنه اذا كان يجازى كافرهم بالنار وهو مقام عدل فلأن يجازى مؤمنهم بالجنة وهو مقام فضل بطريق الاولى والاخرى . وما يدل أيضاً على ذلك عموم قوله تعالى [إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً] وما أشبه ذلك من الآيات

وقد أفردت هذه المسئلة في جزء على حدة والله الحمد والمنة وهذه الجنة لا يزال فيها فضل حتى ينشئ الله تعالى لها مخلقا أفلا يسكنها من آمن به وعمل له صالحا وما ذكروه ههنا من الجزاء على الايمان من تكفير الذنوب والاجارة من العذاب الأليم هو يستلزم دخول الجنة لانه ليس في الآخرة الا الجنة أو النار فمن أجبر من النار دخل الجنة لا محالة ولم يرد معنا نص صريح ولا ظاهر عن الشارع أن مؤمنوا الجن لا يدخلون الجنة وإن أجبروا من النار ولو صح قلنا به والله أعلم وهذا نوح عليه الصلاة والسلام يقول لقومه (يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى)

(وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم) من صلة أي ذنوبكم كلف (ويجرم من عذاب أليم) قال ابن عباس رضي الله عنهما فاستجاب لهم من قومهم نحو من سبعين رجلا من الجن فرجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافوهم في البطحاء فقرأ عليهم القرآن وأمرهم ونهاهم ، وفيه دليل على انه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الجن والانس جميعا ، قال مقاتل لم يبعث قبله نبي الى الانس والجن جميعا ، واختلف العلماء في حكم مؤمنوا الجن فقال قوم ليس لهم ثواب الانجائهم من النار وتأولوا قوله (يغفر لكم من ذنوبكم) ويجرم من عذاب أليم) واليه ذهب أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه وحكي سفيان عن إيث قال الجن ثوابهم ان يجاروا من النار ثم يقال لهم كونوا ثوابا وهذا مثل البهائم وعن أبي الزناد قال اذا قضى بين الناس قيل للمؤمن الجن عودوا ثوابا فيعودون ثوابا فعند ذلك يقول المكفر يا ليتني كنت ثوابا

ولا خلاف أن مؤمني قومه في الجنة فكذلك هؤلاء . وقد سلكي فيهم أقوال غريبة فمن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنهم لا يدخلون بمجوعة الجنة وإنما يكونون في ربضها وحولها وفي أرجائها . ومن الناس من زعم أنهم في الجنة براحم بنو آدم ولا يرون بني آدم بعكس ما كانوا عليه في الدار الدنيا ، ومن الناس من قال لا يأكلون في الجنة ولا يشربون وإنما يلهمون التسبيح والتحميد والتتدريس عوضاً عن الطعام والشراب كالملائكة لأنهم من جنسهم ، وكل هذه الأقوال فيها نظر ولا دلائل عليها ، ثم قال مخبر أعينهم (ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض) أي بل قدرة الله شاملة له ومحيطه به (وليس لهم من دونه أولياء) أي لا يجيزهم منه أحد (أولئك في ضلال مبين) وهذا مقام تهديد وتهييب فدعوا قومهم بالترغيب والترهيب ولهذا انجم في كثير منهم وجاءوا إلى رسول الله ﷺ وفوداً وفوداً كما تقدم بيانه والله الخلد والمنة والله أعلم

أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقدر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير (٢٣) ويوم يُعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق؟ قالوا بلى وربنا ، قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون (٣٤) فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار باغ فبل يهلك إلا القوم الفاسقون؟ (٣٥)

يقول تعالى أولم ير هؤلاء المنكرون بالبعث يوم القيامة المستبعدون لقيام الاجساد يوم المعاد أن الله الذي خلق السموات والأرض (ولم يعي بخلقهن) أي ولم يكن ثمره خلقهن بل قال لها كوني فتكاثرت بلا ممانعة ولا مخالفة بل طائفة عجيبة خائفه وجله أفليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى؟ كما قال عز

وقال الآخرون يكون لهم الثواب في الإحسان كما يكون عليهم العقاب في الإساءة كالانس وإليه ذهب مالك وابن أبي ليلى وقال جرير عن الضحاك الجن يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون ، وذكر النقاش في تفسيره حديثاً أنهم يدخلون الجنة فقيل هل يصيبون من نعمها قال يلهمهم الله تسبيحه وذكره فيصيبون من بقائه ما يصيبه بنو آدم من نعم الجنة ، وقال ارطاة بن المنذر سألت ضمرة بن حبيب هل للجن ثواب قال نعم وقرأ (لم يطمئئن انس قبلهم ولا جان) قال قال انسيات الانس والجنيات للجن وقال عمر بن عبد العزيز ان مؤمني الجن حول الجنة في ربض ورحاب وليسوا فيها (ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض) لا يعجز الله فيغفوه (وليس له من دونه أولياء) أنصار بمنونه من الله (أولئك في ضلال مبين) * أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن؟

وجل في الآفة الاخرى (لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون)
ولهذا قال تعالى [بلى انه على كل شيء قدير]

ثم قال جل جلاله متهدداً ومتوعداً لمن كفر به [ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق ؟] أى يقال لهم أما هذا حق أفسح هذا أم أنتم لا تبصرون [قالوا بلى وربنا] أى لا يسعهم إلا الاعتراف [قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون]

ثم قال تبارك وتعالى آمراً رسوله ﷺ بالصبر على تكذيب من كذبه من قومه (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) أى على تكذيب قومهم لهم ، وقد اختلفوا في تعداد أولي العزم على أقوال وأشهرها أنهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وخاتم الانبياء كلهم محمد ﷺ قد نص الله تعالى على أسمائهم من بين الانبياء في آيتين من سورتي الاحزاب والشورى ، وقد يحتمل أن يكون المراد بأولي العزم جميع الرسل فتكون [من] في قوله من الرسل لبيان الجنس والله أعلم

لم يعجز عن ابداعهم (بقادر) هكذا قراءة العامة واختلفوا في وجه دخول الباء فيه فقال أبو عبيدة والاعفش الباء زائدة للتأكيد كقوله (تذبذب بالدهن)

وقال الكسائي والفراء العرب تدخل الباء في الاستفهام مع الجحد فنقول ما أظنك بقائم وقرأ بفتح الباء (بقدر) بالياء على الفعل واختار أبو عبيدة قراءة العامة لأنها في قراءة عبدالله قادر بغير باء (على أن يحیی الموتى بلى انه على كل شيء قدير * ويوم يعرض الذين كفروا على النار) فيقال لهم (أليس هذا بالحق ؟ قالوا بلى وربنا قال) أى فيقال لهم (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون * فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) قال ابن عباس ذوو الحزم ، وقال الضحاك ذوو الجهد والصبر واختلفوا فيهم فقال ابن زيد كل الرسل كانوا أولي عزم لم يبعث الله نبياً إلا كان ذا عزم وحزم ورأى وقال بفتح الباء (وأما أدخلت من لتجنيس لا لتبعض كما يقال اشتريت أ كسبة من الخبز واردة من ال) وقال بعضهم الانبياء كلهم أولو عزم إلا يونس بن متى لعجلة كانت منه ألا ترى انه قبل للنبي ﷺ (ولا تكن كصاحب الحوت) وقال قوم هم نجباء الرسل المذكورين في سورة الانعام وهم ثمانية عشر لقوله تعالى بعد ذكرهم (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده)

وقال الكلبي هم الذين أمروا بالجهاد وأظهروا المكشفة مع أعداء الدين وقيل هم ستة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام وهم المذكورون على النسق في سورة الاعراف والشعراء وقال مقاتل : هم ستة نوح صبر على أذى قومه وإبراهيم صبر على النار وإسحاق صبر على الذبح ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف صبر على البئر والسجن وأيوب صبر على الضر ، وقال ابن عباس وقتادة هم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى أصحاب الشرائع فهم مع محمد ﷺ خمسة قال الشيخ الامام محيي السنة قلت ذكرهم الله على التخصيص في قوله (واذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن

وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن الحجاج الحضرمي حدثنا السري بن حبان حدثنا عباد بن عباد حدثنا مجالد بن سعيد عن الشعبي عن مسروق قال قالت لي عائشة رضي الله عنها : ظل رسول الله ﷺ صائماً ثم طواه ثم ظل صائماً ثم طواه ثم ظل صائماً ثم قال « يا عائشة ان الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله تعالى لم يرض من أولي العزم من الرسل إلا بالصبر على مكروها والصبر عن محبوبها ثم لم يرض مني إلا أن يكافئي ما كلفهم فقال (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) واني والله لأصبرن كما صبروا جهدي ولا قوة إلا بالله » [ولا تستعجل لهم] أي لا تستعجل لهم حلول العقوبة بهم كقوله تبارك وتعالى [فذرني والمكذبين أولي النعمة ومهم قليل] وكقوله تعالى [فهل الكافرين أمهلهم رويداً] (كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار) كقوله جل وعلا (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها) وكقوله عز وجل (ويوم نحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم) الآية. وقوله جل وعلا (بلاغ) قال ابن جرير يحتمل معنيين (أحدهما) أن يكون تقديره وذلك لبث بلاغ (والآخر) أن يكون تقديره هذا القرآن بلاغ وقوله تعالى (فهل يهلك إلا الفاسقون ؟) أي لا يهلك على الله إلا هالك ، وهذا من عدله عز وجل انه لا يعذب إلا من يستحق العذاب والله أعلم

نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم) وفي قوله تعالى (شرعناكم من الدين ما وصى به نوحا) الآية. أخبرنا أبو طاهر المطهر بن علي بن عبيد الله الفارسي ثنا أبو ذر محمد بن إبراهيم سبط الصالحاني أنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان المعروف بأبي الشيخ الحافظ أنا عبد الرحمن بن أبي حاتم أنا محمد بن الحجاج أنا السري بن حبان أنا عباد بن عباد ثنا مجالد بن سعيد عن الشعبي عن مسروق قال قلت عائشة رضي الله عنها (قال لي رسول الله ﷺ يا عائشة ان الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله لم يرض من أولي العزم إلا بالصبر على مكروها والصبر عن محبوبها ولم يرض مني إلا أن يكافئي ما كلفهم وقال (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) واني والله لا بد لي من طاعته والله لأصبرن كما صبروا وأجهدن كما جهدوا ولا قوة إلا بالله »

قوله تعالى (ولا تستعجل لهم) أي ولا تستعجل العذاب لهم فإنه نازل بهم لا محالة كأنه ضجر بعض الضجر فأحب أن ينزل العذاب بمن أبي منهم فأمر بالصبر وترك الاستعجال ثم أخبر عن قرب العذاب فقال (كأنهم يوم يرون ما يوعدون) من العذاب في الآخرة (لم يلبثوا) في الدنيا (إلا ساعة من نهار) أي اذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم في الدنيا والبرزخ كأنه ساعة من نهار لان ما مضى وان كان طويلاً كان لم يكن ثم قال (بلاغ) أي هذا القرن وما فيه من البيان بلاغ من الله اليكم والبلاغ بمعنى التبليغ (فهل يهلك) بالعذاب اذا نزل (إلا القوم الفاسقون) الخرجون من أمر الله قال الزجاج تأويله لا يهلك مع رحمة الله وفضله إلا القوم الفاسقون ولهذا قال قوم ما في الرجا لرحمة الله آية أقوى من هذه الآية

تفسير سورة القتال وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله أضلّ أعمّاهم (١) والذين آمنوا وعملوا الصالحات
وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم (٢) ذلك بأن
الذين كفروا اتبعوا البطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله
للناس أمثالهم (٣)

يقول تعالى (الذين كفروا) أي بآيات الله (وصدوا) غيرهم (عن سبيل الله أضلّ أعمّاهم) أي
أبطلها وأذهبها ولم يجعل لها ثواباً ولا جزاء كقوله تعالى (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء
منشوراً) ثم قال جل وعلا (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي آمنت قلوبهم وصرائرهم وانقادته
أشعر الله جوارحهم وبواطنهم وظواهرهم (وآمنوا بما نزل على محمد) عطف خاص على عام وهو دليل
على أنه شرط في صحة الإيمان بعد بعثته ﷺ
وقوله تبارك وتعالى (وهو الحق من ربهم) جملة معترضة حسنة ولهذا قال جل جلاله (كفر
عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم) قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي أمرهم وقال مجاهد: شأنهم وقال قتادة
وابن زيد: حالهم والسكل متقارب
وقد جاء في حديث تشميت العاطس «يهديكُم الله ويصلح بالكم» ثم قال عز وجل [ذلك بأن

﴿سورة محمد ﷺ مدنية وهي ثمان وثلاثون آية﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضلّ أعمّاهم﴾ أبطلها فلم يقبلها وأراد بالأعمال ما فعلوا
من أطعام الطعام وصلة الأرحام قال الضحاك أبطل كيدهم ومكرهم بالنبي ﷺ وجعل الدائرة عليهم
﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد﴾ قال سفيان الثوري يعني لم يخالفوه في
شيء (وهو الحق من ربهم) قال ابن عباس رضي الله عنهما (الذين كفروا وصدوا) مشركو مكة
(والذين آمنوا وعملوا الصالحات) الأنصار (كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم) حالهم
قال ابن عباس رضي الله عنهما عصمهم أيام حياتهم يعني أن هذا الإصلاح يعود إلى إصلاح أعمالهم

الذين كفروا اتبعوا الباطل [أي انما أبطنا أعمال الكفار، وتجاوزنا عن سيئات الابرار، وأصلحنا شؤونهم لان الذين كفروا اتبعوا الباطل أي اختاروا الباطل على الحق (وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم) أي يبين لهم مآل أعمالهم ، وما يصيرون اليه في معادهم ، والله سبحانه وتعالى أعلم

فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما من بعد واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها ، ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم (٤) سيهديهم ويصلح بالهم (٥) ويدخلهم الجنة عرفها لهم (٦) يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم (٧) والذين كفروا فتعسأ لهم وأضل أعمالهم (٨) ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم (٩)

يقول تعالى مرشداً للمؤمنين الى ما يعتمدونه في حروبهم مع المشركين (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب) أي اذا واجهتموهم فاحصدوهم حصداً بالسيوف، (حتى اذا اثخنتموهم) أي اهلكتموهم قتلاً (فشدوا الوثاق) الاسارى الذين تأسروهم ثم انتم بعد انقضاء الحرب وانفصال المعركة تخيرون في أمرهم ان شئتم مننم عليهم فأطلقتم أسرارهم مجاناً وان شئتم فاديتهم بمال تأخذونه منهم وتشارطونهم عليه، والظاهر ان هذه الآية نزلت بعد وقعة بدر فان الله سبحانه وتعالى عاتب المؤمنين على الاستكثار من الاسارى يومئذ لياخذوا منهم الفداء، والتقابل من القتل يومئذ فقال (ما كان لني أن يكون له امرى حتى يشخن في الارض تربدون عرض الدنيا والله يربد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) ثم قد ادعى بعض العلماء أن هذه الآية التحيرة بين مفاداة الاسير والمن عليه منسوخة بقوله تعالى (فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين

حتى لا يعضوا) ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل (الشيطان) وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم (يعني القرآن) كذلك يضرب الله للناس أمثالهم (اشكالهم قال الزجاج كذلك يبين الله أمثال حسنات المؤمنين واخلال أعمال الكافرين) فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب (نصب على الاغراء أي فاضربوا رقابهم يعني أعناقهم) حتى اذا اثخنتموهم (بالقتل في القتل وقهرنهم) فشدوا الوثاق (يعني في الامر حتى لا يفلتوا منكم والامر يكون بعد المبالغة في القتل كما قال (ما كان لني أن يكون له امرى حتى يشخن في الارض) فاما ما بعد واما فداء (يعني بعد أن تأسروهم

حيث وجدتموه (الآية رواه العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما) وقاله قتادة والضحاك والسدي وابن جريج وقال الآخرون وهم الآكثرون ليست بمنسوخة ، ثم قال بعضهم إنما الامام مخير بين المن على الأسير ومفادته فقط ولا يجوز له قتله وقال آخرون منهم بل له أن يقتله إن شاء لحديث قتل النبي ﷺ النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط من أسارى بدر وقال ثمامة بن أثال لرسول الله ﷺ حين قال له « ما عندك يا ثمامة ؟ » فقال ان تقتل تقتل ذامم وان تمنن تمنن على شاكر وان كنت تريد المال فاسأل تعط منه ما شئت ، وزاد الشافعي رحمة الله عليه فقال الامام مخير بين قتله أو المن عليه أو مفادته أو استرقاقه أيضاً وهذه المسئلة محررة في علم الفروع وقد دللنا على ذلك في كتابنا الاحكام والله سبحانه وتعالى الحمد والمنة

فاما أن تمنوا عليهم منا باطلاقهم من غير عوض واما أن تفادوهم فداء ، واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال قوم هي منسوخة بقوله فاما تتفقههم في الحرب فشردهم من خلفهم وبقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والى هذا القول ذهب قتادة والضحاك والسدي وابن جريج وهو قول الاوزاعي وأصحاب الرأي قالوا لا يجوز المن على من وقع في الامر من الكفار ولا الفداء وذهب آخرون الى ان الآية محكمة والامام بالخيار في الرجال العاقلين من الكفار اذا وقعوا في الاسر بين أن يقتلهم أو يسترقهم أو يمن عليهم فيطلقهم بلا عوض أو يفاديهم بالمال أو بأسارى المسلمين واليه ذهب ابن عمر وبه قال الحسن وعطاء ، وأكثر الصحابة والعلماء ، وهو قول الثوري والشافعي وأحمد وإسحاق قال ابن عباس لما كثر المسلمون واشتد سلطانهم أنزل الله عز وجل في الاسارى فاما منا بعد واما فداء وهذا هو الاصح والاختيار لانه عمل به رسول الله ﷺ والخلفاء بعده

أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا عبد الله بن يوسف ثنا ابيث ثنا سعيد بن أبي سعيد سمع أبا هريرة قال بعث النبي ﷺ خيلاً قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة فربطوه بسارية من سواري المسجد فخرج اليه رسول الله ﷺ فقال « ماذا عندك يا ثمامة ؟ » فقال عندي يا محمد خير إن تقتل تقتل ذامم وإن تمنن تمنن على شاكر وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فتركه رسول الله ﷺ حتى كان الغد فقال له « ما عندك يا ثمامة ؟ » فقال عندي ما قلت لك ان تمنن تمنن على شاكر فتركه رسول الله ﷺ حتى كان الغد فقال له « ما عندك يا ثمامة ؟ » فقال عندي ما قلت لك فقال رسول الله ﷺ أطلقوا ثمامة فانطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، يا محمد والله ما كان على وجه الارض وجه أبغض إلي من وجهك ، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إلي ، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك فأصبح دينك أحب الدين كله إلي والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إلي ، وإن خيلاً أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى ، فيشره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن يعتمر ، فلما قدم مكة قال له

وقوله عز وجل (حتى تضع الحرب أوزارها) قال مجاهد حتى ينزل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وكأنه أخذه من قوله ﷺ « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يقاتل آخرهم الدجال » وقال الامام أحمد حدثنا الحكم بن نافع حدثنا اماماعيل بن عياش عن ابراهيم بن سليمان عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشي عن جبير بن نفير قال ان سلمة بن نفيل أخبرهم أنه أتى رسول الله ﷺ فقال اني سيئت الخيل وأقيت السلاح ووضعت الحرب أوزارها وقلت لا قتال فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « الآن جاء القتال لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الناس يزيع الله تعالى قلوب أقوام فيقاتلونهم ويرزقهم الله منهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك ، الا ان عقددار المؤمنين الشام والخيال معتود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة » وهكذا رواه النسائي من طريقين عن جبير بن نفير عن سلمة بن نفيل السكوني به

وقال أبو القاسم البغوي حدثنا داود بن رشيد حدثنا الوليد عن جبير بن محمد بن مهاجر عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشي عن جبير بن نفير عن النواس بن سميان (رض) قال لما فتح على رسول الله ﷺ فتح فقالوا بارسل الله سيئت الخيل ووضعت السلاح ووضعت الحرب أوزارها قالوا لا قتال قال « كذبوا الآن جاء القتال لا يزال الله تعالى يزيع قلوب قوم يقاتلونهم فيرزقهم منهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك وعقددار المسلمين بالشام » وهكذا رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي عن داود بن رشيد به ، والمحفوظ أنه من رواية سلمة بن نفيل كما تقدم وهذا يقوي القول بعدم النسخ كأنه شرع هذا الحكم في الحرب الى أن لا يبقى حرب

قائل أصبوت ؟ فقال لا ، ولكني أسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا والله لا يأتكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ✎ أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال ثنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي المهلب عن عمران بن حصين قال أمر أصحاب رسول الله ﷺ رجلا من بني عقيل فأوثقوه وكانت ثقيف قد أسرت رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ففداه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجلين الذين أسرتهم ثقيف

قوله تعالى (حتى تضع الحرب أوزارها) أي أثقالها وأحمالها يعني حتى تضع أهل الحرب السلاح فيمسكوا عن الحرب ، وأصل الوزر ما يحمله الانسان فسمى الاسلحة أوزارا لأنها تحمل وقيل الحرب هم المحاربون كالشرب والركب وقيل الاوزار الأثام ومعناه حتى يضم المحاربون آثامها بأن يتوبوا من كفرهم فيؤموا بالله ورسوله وقيل حتى تضع حربكم وقاتلكم أوزار المشركين وقبائح أعمالهم بأن يسلموا ، ومعنى الآية أنخذوا المشركين بالقتل والامر حتى يدخل أهل الملل كلها في

وقال قتادة حتى تضع الحرب أوزارها حتى لا يبقى شرك وهذا كقوله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ثم قال بعضهم حتى تضع الحرب أوزارها أي أوزار الممارين وهم المشركون بأن يتوبوا إلى الله عز وجل وقيل أوزار أهلها بأن يبذلوا الوسع في طاعة الله تعالى وقوله عز وجل (ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم) أي هذا ولو شاء الله لانتقم من الكافرين بعقوبة ونكال من عنده (ولكن ليبلو بعضكم بعض) أي ولكن شرع لكم الجهاد وقتال الأعداء ليختبركم ويبيلو أخباركم كما ذكر حكيمته في شرعية الجهاد في سورتي آل عمران وبراءة في قوله تعالى (أم حسبهم أن ندخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين)

وقال تبارك وتعالى في سورة براءة (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم) ثم لما كان من شأن القتال أن يقتل كثير من المؤمنين قال (والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم) أي لن يذهبها بل يكثرها وينميها وبضاعفها . ومنهم من يجري عليه عمله طول برزخه كما ورد بذلك الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده حيث قال حدثنا زيد بن يحيى الدمشقي حدثنا ابن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن كثير بن مرة عن قيس الجذامي رجل كانت له صحيفة قال قال رسول الله ﷺ « يعطى الشهيد ست خصال : عند أول قطرة من دمه تكفر عنه كل خطيئة ويرى مقعده من الجنة ويزوج من الحور العين ويأمن من الفزع الأكبر ومن عذاب القبر ويحلى حلة الإيمان » تفرد به أحمد رحمه الله

(حديث آخر) قال أحمد أيضا حدثنا الحكم بن نافع حدثني اسماعيل بن عياش عن يحيى بن سعيد عن خالد بن معدان عن المقدم بن معد يكرب الكندي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « إن الشهيد عند الله ست خصال أن يغفر له في أول دفقة من دمه ، ويرى مقعده من الجنة ، ويحلى

الاسلام ويكون الدين كله لله فلا يكون بعده جهاد ولا قتال ، وذلك عند نزول عيسى بن مريم عليهما السلام ، وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم « الجهاد ماض منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال » وقال الكلبي حتى يسلموا أو يسالموا ، وقال الفراء حتى لا يبقى إلا مسلم أو مسلم (ذلك) الذي ذكرت وبينت من حكم الكفار (ولو يشاء الله لانتصر منهم) فأهلكهم وكفأهم أمرهم بغير قتال (ولكن) أمركم بالقتال (ليبلو بعضكم بعض) فيصبر من قتل من المؤمنين إلى الثواب ومن قتل من الكافرين إلى العذاب (والذين قتلوا في سبيل الله) قرأ أهل البصرة وحفص قتلوا بضم القاف وكسر التاء خفيف يعني الشهداء وقرأ الآخرون قاتلوا بالالف من المقاتلة وهم المجاهدون (فلن يضل أعمالهم) قال قتادة ذكر لنا أن هذه الآية نزلت يوم أحد وقد فشت في

حلة الايمان ، ويزوج من الحور العين ويحار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الاكبر ، وبوضع على رأسه تاج الوقار مرصع بالدر والياقوت الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع في سبعين انساناً من أقاربه ، وقد أخرجه الترمذي وصححه وابن ماجه وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن أبي قتادة (رض) أن رسول الله ﷺ قال « يغفر لأشبه كل شيء إلا الدين » وروى من حديث جماعة من الصحابة رضي الله عنهم ، وقال أبو الدرداء (رض) قال رسول الله ﷺ « يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته » ورواه أبو داود والاحاديث في فضل الشهيد كثيرة جداً

وقوله تبارك وتعالى (سيديهم) أي إلى الجنة كقوله تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم فجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم)

وقوله عز وجل (وبصلح بالهم) أي أمرهم وحالهم (ويدخلهم الجنة عرفها لهم) أي عرفهم بها وهداهم إليها قال مجاهد يهتدي أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم وحيث قسم الله لهم منها لا يخطئون كأنهم ساكنوها منذ خلقوا لا يستدلون عليها أحداً ، وروى مالك عن زيد بن أسلم نحوه هذا ، وقال محمد بن كعب يعرفون بيوتهم إذا دخلوا الجنة كما يعرفون بيوتكم إذا انصرفتم من الجمعة

وقال مقاتل بن حيان بلغنا أن الملك الذي كان وكل بحفظ عمله في الدنيا يعيش بين يديه في الجنة ويتبعه ابن آدم حتى يأتي أقصى منزل هو لا يعرفه كل شيء . أعطاه الله تعالى في الجنة فإذا انتهى إلى أقصى منزله في الجنة دخل إلى منزله وأزواجه وانصرف الملك عنه ذكره ابن أبي حاتم رحمه الله

وقد ورد الحديث الصحيح بذلك أيضاً رواه البخاري من حديث قتادة عن أبي المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إذا خلاص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار يتقاضون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة والذي نفسي بيده إن أحدهم بمنزله في الجنة أهدي منه بمنزله الذي كان في الدنيا » ثم قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) كقوله عز وجل (وانصرون الله من ينصره) فان الجزاء من جنس العمل ولهذا قال تعالى (ويثبت أقدامكم) كما جاء

المسلمين الجراحات والقتل (سيديهم) أيام حياتهم في الدنيا إلى أرشد الأمور وفي الآخرة إلى الدرجات (وبصلح بالهم) برضي خصامهم ويقبل أعمالهم (ويدخلهم الجنة عرفها) أي بين لهم منازلهم في الجنة حتى يهتدوا إلى مساكنهم لا يخطئون ولا يستدلون عليها أحداً كأنهم ساكنها منذ خلقوا فيكون المؤمن أهدي إلى درجته وزوجته وخدمته منه إلى منزله وأهله في الدنيا هذا قول أكثر المفسرين ، وروى عطاء عن ابن عباس عرفها لهم أي طيبها لهم من العرف وهو الریح الطيبة وطعام معرف أي مطيب (يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله) أي دينه ورسوله (ينصركم) على عدوكم

٥٠٠ طلب السير في أرض الله للاعتبار بالأمم المتقدمة وعاقبتهم (تفسير ابن كثير والبغوي)

في الحديث « من بلغ ذا سلطان حاجة من لا يستطيع ابلاغها ثبت الله تعالى قدميه على الصراط يوم القيامة » ثم قال تبارك وتعالى (والذين كفروا فتعسا لهم) عكس نذيت الاقدام المؤمنين الناصر بن الله تعالى ورسوله (ص) وقد ثبت في الحديث عن رسول الله [ص] أنه قال « تعس عبد الدنيا تعس عبد الدرهم تعس عبد الطعيفة تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش » أي فلا شفاه الله عز وجل وقوله سبحانه وتعالى (وأضل أعمالهم) أي أحبطها وأبطلها ولهذا قال (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله) أي لا يريدونه ولا يحبونه فأحبط أعمالهم

أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها (١٠) ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم (١١) إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم (١٢) وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم (١٣)

يقول تعالى (أفلم يسيروا) يعني المشركين بالله المكذبين لرسوله (في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم أي عاقبتهم بتكذيبهم وكفرهم أي ونجى المؤمنين من بين أظهرهم ولهذا قال تعالى (وللكافرين أمثالها)

ثم قال (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم) ولهذا لما قال أبو سفيان صخر بن حرب رئيس المشركين يوم أحد حين سأل عن النبي ﷺ وعن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فلم يجب وقال أما هؤلاء فقد هلكوا ، وأجاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال كذبت ياعبد الله بل ابقي الله تعالى لك ما بسوءك وإن الذين عددت لأحياء ، فقال أبو سفيان يوم بيوم بدر

(ويثبت أقدامكم) عند القتال (والذين كفروا فتعسا لهم) قال ابن عباس بعدا لهم وقال أبو العالية سقوطا لهم ، وقال الضحاك خيبة لهم ، وقال ابن زيد شقاء لهم ، قال الفراء هو نصب على المصدر على سبيل الدعاء ، وقيل في الدنيا العثرة وفي الآخرة التردى في النار ويقال للعائر تعسا إذا لم يريدوا قيامه وضدها إذا أرادوا قيامه (وأضل أعمالهم) لأنها كانت في طاعة الشيطان (ذلك) التعس والاضلال (بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم) ثم خوف الكفار فقال (أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم) أي أهلكهم (وللكافرين أمثالها) أن لم يؤمنوا بتوعد مشركي مكة (ذلك) الذي ذكرت (بأن الله مولى الذين آمنوا) وليهم وناصرهم

(سورة القتال ٤٧ جز ٢٦) ادخال الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ٥٠١

والحرب سجال أما إنكم سنجدون مثله لم آسر بها ولم انه عنها ثم ذهب يرتجز ويقول * اعل هبل اعل هبل * فقال رسول الله ﷺ « ألا تنجيبيوه ؟ » فقالوا يا رسول الله وما تقول ؟ قال ﷺ قولوا « الله أعلى وأجل » ثم قال أبو سفيان لنا العزى ولا عزى لكم فقال ﷺ « ألا تنجيبيوه ؟ » قالوا وما نقول يا رسول الله ؟ قال قولوا « الله مولانا ولا مولى لكم »

ثم قال سبحانه وتعالى (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار) أي يوم القيامة (والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام) أي في دنياهم يتمتعون بها ويأكلون منها كأكل الانعام خفيا وقضا ليس لهم همة إلا في ذلك ولهذا ثبت في الصحيح « المؤمن يأكل في معى واحد ، والكافر يأكل في سبعة أمعاء » ثم قال تعالى (والنار مثوى لهم) أي يوم جزائهم وقوله عز وجل (وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك) يعني مكة هلكناهم فلا ناصر لهم وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد لأهل مكة في تكذيبهم لرسول الله ﷺ وهو سيد الرسل وخاتم الانبياء فإذا كان الله عز وجل قد أهلك الأمم الذين كذبوا الرسل قبله بسببهم وقد كانوا أشد قوة من هؤلاء فماذا ظن هؤلاء أن يفعل الله بهم في الدنيا والاخرى ؟ فإن رفع عن كثير منهم العقوبة في الدنيا لبركة وجود الرسول نبي الرحمة فإن العذاب يوفر على الكافرين به في معادهم (بضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) وقوله تعالى (من قريتك التي أخرجتك) أي الذين أخرجوك من بين أظهرهم

وقال ابن أبي حاتم ذكر أبي عن محمد بن عبد الأعلى عن المعتمر بن سليمان عن أبيه عن حنش عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لما خرج من مكة إلى الغار وأنه قالتفت إلى مكة وقال « أنت أحب بلاد الله إلى الله ، وأنت أحب بلاد الله إلي ، ولولا أن المشركين أخرجوني لم أخرج منك » فأعدى الأعداء من عدا على الله تعالى في حرمه ، أو قتل غير قاتله ، أو قتل بذحول الجاهلية فأنزل الله تعالى على نبيه ﷺ (وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم)

﴿ وان الكافرين لا مولى لهم ﴾ لا ناصر لهم ثم ذكر مآل الفريقين فقال ﴿ ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون ﴾ في الدنيا ﴿ ويأكلون كما تأكل الانعام ﴾ ليس لهم همة الا بطونهم وفروجهم وهم لاهون ساهون عما في غد قيل المؤمن في الدنيا ينزود والمنافق ينزبن والكافر يتمتع ﴿ والنار مثوى لهم ﴾ وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك ﴿ أي أشد قوة من اهل مكة ﴾ التي أخرجتك ﴿ أي أخرجك أهلها ، قال ابن عباس كم رجال هم أشد من اهل مكة يدل عليه قوله ﴿ أهلكناهم ﴾ ولم يقل أهلكناهم ﴿ فلا ناصر لهم ﴾ قال ابن عباس لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى الغار التفت إلى مكة وقال « أنت أحب بلاد الله إلى

الانهار منها بعد « ورواه الترمذي في صفة الجنة عن محمد بن يسار عن يزيد بن هارون عن سعيد بن أبي اياس الجريبي به وقال حسن صحيح

وقال أبو بكر بن مردويه حدثنا أحمد بن محمد بن عاصم حدثنا عبدالله بن محمد بن النعمان حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا الحارث بن عبيد ابو قدامة الايادي حدثنا أبو عمران الجوني عن أبي بكر بن عبدالله بن قيس عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ « هذه الانهار تشخب من جنة عدن في جوبة ثم تصدع بعد أنهاراً » وفي الصحيح « اذا سألت الله تعالى فاسأله الفردوس فانه أوسط الجنة وأعلى الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة ، وفوقه عرش الرحمن »

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا مصعب بن ابراهيم بن حمزة الزبيري وعبدالله بن الصفر السكري قالا حدثنا ابراهيم بن المنذر الحرامي حدثنا عبد الرحمن بن المغيرة حدثني عبد الرحمن بن عياش عن دهم بن الاسود قال دهم وحدثني أيضاً أبو الاسود عن عاصم بن لقيط أن لقيط بن عاصم خرج وافداً إلى رسول الله ﷺ قلت يا رسول الله فعلى ما نطلع من الجنة ؟ قال ﷺ « على أنهار غسل مصقى ، وأنهار من خمر ما بها صداع ولا ندامة ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وماء غير آسن ، وفاكهة لم يهر إهلك ما تعلمون وخير من مثله ، وأزواج مطهرة » قلت يا رسول الله أولنا فيها أزواج مصلمات ؟ قال « الصالحات الصالحين اللذين مثل لذاتكم في الدنيا ويلذونكم غير أن لا تولد » وقال أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا حدثنا يعقوب بن عبيد عن يزيد بن هارون أخبرني الجريبي عن معاوية بن قرة عن أبيه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : أهلكم تظنون أن أنهار الجنة تجري في أخدود في الأرض والله أنها تجري سائحة على وجه الأرض حافاتها قباب الاواو وطينها المسك الاذفر . وقد رواه أبو بكر بن مردويه من حديث مهدي بن حكيم عن يزيد بن هارون به مرفوعاً .

وقوله تعالى (ولهم فيها من كل الثمرات) كقوله عز وجل [يدعون فيها بكل فاكهة آمنين] وقوله تبارك وتعالى [فيها من كل فاكهة زوجان] وقوله سبحانه (ومغفرة من ربهم) أي مع ذلك كله ، وقوله سبحانه وتعالى (من هو خالد في النار) أي أهؤلاء الذين ذكرنا منزلتهم من الجنة كن هو

أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر انا عبد الغافر بن محمد انا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم ابن محمد بن سفيان ثنا سلم بن الحجاج ثنا ابو بكر بن ابي شيبة انا ابو اسامة وعبدالله بن عمر وعلي ابن مسهر عن عبد الله بن عمر عن حبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « سيحان وجيحان والنيل والفرات كل من أنهار الجنة » قال كعب الاحبار نهر دجلة نهر ماء أهل الجنة ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم ونهر سيحان نهر غسلهم وهذه الانهار الاربعة تخرج من نهر الكوثر ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كن هو خالد في النار

خالد في النار ليس هؤلاء ، هؤلاء ، وليس من هو في الدرجات كن هو في الدرجات (وسقوا ماء حميا) أي حارا شديدا الحر لا يستطيع (فقطع أمعاءهم) أي قطع مافي بطونهم من الأمعاء والاحشاء عباداً بالله تعالى من ذلك

ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا ؟ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم (١٦) والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم (١٧) فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم اذا جاءتهم ذكرهم (١٨) فادلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم (١٩)

يقول تعالى مخبراً عن المنافقين في بلادهم وقلة فهمهم حيث كانوا يجلسون إلى رسول الله ﷺ ويستمعون كلامه فلا يفهمون منه شيئا فاذا خرجوا من عنده (قالوا للذين أوتوا العلم) من الصحابة رضي الله عنهم (ماذا قال آنفا) أي الساعة ، لا يفقهون ما قال ولا يكثرثون له قال الله تعالى (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم) أي فلا فهم صحيح ولا قصد صحيح ، ثم قال عز وجل (والذين اهتدوا زادهم هدى) أي والذين قصدوا الهداية وفقهم الله تعالى لما فهداهم إليها وثبتهم عليها وزادهم منها (وآتاهم تقواهم) أي ألهمهم رشدهم وقوله تعالى (فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة) أي وهم غافلون عنها (فقد جاء أشراطها)

أي من كان في هذا النعيم كن هو خالد في النار ﴿ وسقوا ماء حميا ﴾ شديدا الحر تسعر عليه جهنم منذ خلقت اذا أدنى منهم بشوي وجوهم ووقعت فروة رءوسهم فاذا شربوه ﴿ فقطع أمعاءهم ﴾ فخرجت من أديبارهم والأمعاء جميع مافي البطن من الحوايا واحدا معا ﴿ ومنهم ﴾ يعني من هؤلاء الكفار ﴿ من يستمع اليك ﴾ وهم المنافقون يستمعون قولك فلا يعونه ولا يفهمونه تهاونا به وتغافلا ﴿ حتى اذا خرجوا من عندك ﴾ يعني فاذا خرجوا من عندك ﴿ قالوا للذين أوتوا العلم ﴾ من الصحابة ﴿ ماذا قال ﴾ محمد ﴿ آنفا ﴾ يعني الآن وهو من الائتناف ويقال ائتنفت الامر أي ابتدأته وأنف الشيء اوله قال مقاتل وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب ويبعيب المنافقين فاذا خرجوا من المسجد سألوا عبد الله بن مسعود استهزا. ماذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال ابن عباس وقد سئلت فيمن سئل ﴿ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم ﴾ فلم يؤمنوا ﴿ واتبعوا أهواءهم ﴾ في الكفر والنفاق ﴿ والذين اهتدوا ﴾ يعني المؤمنين ﴿ زادهم ﴾ ما قال الرسول ﴿ هدى ﴾ وآتاهم تقواهم ﴿ وفقهم للعمل بما أمرهم به وهو التقوى ، قال سعيد بن جبير وآتاهم ثواب تقواهم ﴾ فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة ﴿

أي أمارات اقترابها كقوله تبارك وتعالى [هذا نذير من النذر الأولى أُرِفت الآزفة] وكقوله جلت عظمتة [اقتربت الساعة وانشق القمر] وقوله سبحانه وتعالى [أنى أمر الله فلا تستعجلوه] وقوله جل وعلا [اقرب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون] فبعثة رسول الله ﷺ من أشراط الساعة لأنه خاتم الرسل الذين أكمل الله تعالى به الدين وأقام به الحججة على العالمين ، وقد أخبر ﷺ بأمارات الساعة وأشراطها وأبان عن ذلك وأوضحه بما لم يؤته نبي قبله كما هو مبسوط في موضعه ، وقال الحسن البصري بعثة محمد ﷺ من أشراط الساعة وهو كما قال ولهذا جاء في أسمائه ﷺ أنه نبي التوبة ونبي الملحمة والحاشر الذي يحشر الناس على قدميه ، والعاقب الذي ليس بعده نبي وقال البخاري حدثنا أحمد بن المقدم حدثنا فضيل بن سليمان حدثنا أبو رجاء حدثنا سهل بن سعد رضي الله عنه قال : رأيت رسول الله ﷺ قال بأصبعيه هكذا بالوسطى والتي تليها « بعثت أنا

أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت ثنا أبو اسحاق الهاشمي ثنا الحسين بن الحسن ثنا ابن المبارك أنا معمر بن راشد عن سمع المقبري يحدث عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما ينتظر أحدكم من الدنيا الا غنى مطغيا او فقرا منسيا او مرضا مفسدا او هرما مفندا أو موتا مجهزا أو الدجال فالدجال شر غائب ينتظر أو الساعة والساعة ادهى وأمر »

قوله عز وجل ﴿ فقد جاء أشراطها ﴾ أي أماراتها وعلاماتها واحدا شرط وكان النبي صلى الله عليه وسلم من أشراط الساعة

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أحمد بن المقدم ثنا فضيل بن سليمان ثنا أبو حازم ثنا سهل بن سعد قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم قال بأصبعيه هكذا بالوسطى والتي تلي الإبهام « بعثت أنا والساعة كهاتين »

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا حفص بن عمر الخوضي ثنا هشام عن قتادة عن أنس قال لا أحدثكم بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحدثكم به أحد غيري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويكثر الجهل ويكثر الزنا ويكثر شرب الخمر ويقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد »

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن سنان ثنا فليح حدثني هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم إذ جاءه أعرابي فقال متى الساعة ؟ ففزع رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدث فقال بعض القوم سمع ما قال فكبره ما قال ، وقال بعضهم بل لم يسمع حتى إذا

والساعة كهاين « ثم قال تعالى (فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم؟) أي فكيف لا يكافرون بالتذكر اذا جاءتهم القيامة حيث لا ينفعهم ذلك؟ كقوله تعالى (يوم يتذكر الانسان وأنى له الذكري؟) وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد)

وقوله عز وجل (فاعلم أنه لا إله الا الله) هذا إخبار بأنه لا إله الا الله ولا يتأتى كونه أمراً يعلم ذلك ولهذا عطف عليه قوله عز وجل (واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) وفي الصحيح - أن رسول الله ﷺ كان يقول « اللهم اغفر لي خطيئتي وجنلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني اللهم اغفر لي هزلي وجدي وخطيئتي وعمدي وكل ذلك عندي »

وفي الصحيح انه كان يقول في آخر الصلاة « اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به مني أنت إلهي لا إله الا أنت » وفي الصحيح انه قال « يا أيها الناس توبوا إلى ربكم فاني أستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة »

وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عاصم الاحول قال سمعت عبد الله بن مسرخرس قال أنيت رسول الله ﷺ فأكلت معه من طعامه فقلت غفر الله لك يا رسول الله فقال ﷺ « ولك » فقلت أستغفر لك؟ فقال رسول الله ﷺ « نعم ولكم » وقرأ (واستغفر الذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) ثم نظرت إلى بعض كتفه الايمن - أو كفه الايسر شعبة الذي شك - فاذا هو كهيئة الجمل عليه الثآليل. ورواه مسلم والترمذي والنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم من طرق عن عاصم الاحول به ، وفي الحديث الآخر الذي رواه أبو يعلى حدثنا محمد بن عون حدثنا عثمان بن

قضى حديثه ، قال « أين السائل عن الساعة » قال ها أنا يا رسول الله قال « فاذا ضيعت الامة فانتظر الساعة » قال كيف اضاعتها قال « اذا وسد الامر الى غير اهله فانتظر الساعة »

قوله عز وجل (فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم) فمن ابن التذكر والانتظار والتوبة إذا جاءتهم الساعة نظيره (يومئذ يتذكر الانسان وأنى له الذكري) (فاعلم انه لا إله الا الله) قيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره وقيل معناه فأنيت عليه ، وقال الحسين بن الفضل فازد دعماً على علامك ، وقال ابو العالية وابن عيينة هو متصل بما قبله معناه إذا جاءتهم الساعة فاعلم انه لا ملجأ ولا مفرج عند قيامها الا الى الله وقيل (فاعلم انه لا إله الا الله) ان المالك تبطل عند قيامها فلا ملك ولا حكم لاحد الا الله (واستغفر لذنبك) أمر بالاستغفار مع انه مغفور له لتستين به أمته

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا ابو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد بن زيد عن ثابت عن أبي بردة عن الاغر المازني قال « قال رسول الله ﷺ انه ليغان على قلبي واني لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة »

قوله عز وجل (وللمؤمنين والمؤمنات) هذا اكرام من الله تعالى لهذه الامة حيث أمر نبيهم

مطر حدثنا عبد الغفور عن أبي نصر عن أبي رجاء عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ انه قال « عليكم بلائله الا الله والاستغفار فأكثروا منهما فان ابليس قال انما أهلك الناس بالذنوب وأهلكوني بلائله الا الله والاستغفار فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالاهواء فهم يحسبون انهم مهتدون » وفي الاثر المروي « قال ابليس وعزتك وجلالك لا ازال أغويهم مادامت ارواحهم في أجسادهم فقال الله عز وجل وعزتي وجلالي لا ازال أغفر لهم ما استغفروني » والاحاديث في فضل الاستغفار كثيرة جداً وقوله تبارك وتعالى (والله يعلم متقلبكم ومثواكم) أي يعلم تصرفكم في نهاركم وستقركم في ليلكم كقوله تبارك وتعالى (وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار) وقوله سبحانه وتعالى (وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين) وهذا القول ذهب اليه ابن حريج وهو اختيار ابن جرير، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: متقلبكم في الدنيا ومثواكم في الآخرة، وقال السدي: متقلبكم في الدنيا ومثواكم في قبوركم والاول أدنى وأظهر والله أعلم

ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال

رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت فأولي لهم (٢٠)

طاعة وقول معروف، فاذا عزم الامر فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم (٢١) فهل عسيتم

إن توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم (٢٢) أولئك الذين لعنهم الله

فأصمهم وأعمى أبصرهم (٢٣)

يقول تعالى مخبراً عن المؤمنين أنهم تمنوا شرعية الجهاد فلما فرضه الله عز وجل وأمر به نكل عنه كثير من الناس كقوله تبارك وتعالى (ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا

ﷺ أن يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المحاب فيهم (والله يعلم متقلبكم ومثواكم) قال ابن عباس والضحاك متقلبكم منصرفكم ومنشركم في أعمالكم في الدنيا (ومثواكم) مصيركم في الآخرة إلى الجنة أو إلى النار، وقال مقاتل وابن جرير (متقلبكم) منصرفكم لاشغالكم بالنهار (ومثواكم) مأواكم إلى مضاجعكم بالليل، وقال عكرمة متقلبكم من أصلاب الآباء إلى أرحام الامهات (ومثواكم) مقامكم في الارض، وقال ابن كيسان متقلبكم من ظهر إلى بطن (ومثواكم) مقامكم في القبور والمعنى أنه عالم بجميع أحوالكم فلا يخفى عليه شيء منها

وقوله تعالى (ويقول الذين آمنوا) حرصاً منهم على الجهاد (لولا نزلت سورة) تأمرنا بالجهاد

ربنا لم كتب علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلًا) وقال عز وجل ههنا (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة) أي مشتملة على حكم القتال ولهذا قال (فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت) أي من فزعهم ورعبهم وجبنهم من لقاء الأعداء .
ثم قال مشجعاً لهم [فأولى لهم طاعة وقول معروف] أي وكان الأولى بهم أن يسمعوا وبطيعوا أي في الحالة الراهنة [فإذا عزم الأمر] أي جد الحال ، وحضر القتال [فلو صدقوا الله] أي أخلصوا له النية [لكان خيراً لهم]

وقوله سبحانه وتعالى (فهل عسى إن توليتم) أي عن الجهاد ونكصتم عنه (أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم) أي تعودوا إلى ما كنتم فيه من الجاهلية الجهلاء تسفكون الدماء وتقطعون الأرحام ولهذا قال تعالى (أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم) وهذا نهى عن الفساد في الأرض عموماً وعن قطع الأرحام خصوصاً بل قد أمر الله تعالى بالإصلاح في الأرض وصلة الأرحام وهو الإحسان إلى الأقارب في المقال والأفعال وبذل الأموال ، وقد وردت الأحاديث الصحاح والحسان بذلك عن رسول الله ﷺ من طرق عديدة ووجوه كثيرة

قال البخاري حدثنا خالد بن مخلد حدثنا سليمان حدثني معاوية بن أبي مزرود عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « خلق الله تعالى الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بمحموي الرحم عز وجل فقال له فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة فقال تعالى : ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت بلى قال فذاك لك » قال أبو هريرة [رض] أقرءوا إن شئتم (فهل عسى إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم) ثم رواه البخاري من طريقين آخرين عن معاوية بن أبي مزرود به قال : قال رسول الله ﷺ « أقرءوا إن شئتم فهل عسى إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم » ورواه مسلم من حديث معاوية بن أبي مزرود به

وقال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل بن علية حدثنا عيينة بن عبد الرحمن بن جوشن عن أبيه عن أبي

(فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال) قال قتادة كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة وهي أشد القرآن على المنافقين (رأيت الذين في قلوبهم مرض) يعني المنافقين (ينظرون إليك) شذراً بتعديق شديد كراهية منهم للجهاد وجبناً عن لقاء العدو (نظر المغشي عليه من الموت) كما ينظر الشخص بصره عند الموت (فأولى لهم) وعيد وتهديد ومعنى قولهم في التهديد أولى لك أي وليك وقاربك ما تكره ثم قال (طاعة وقول معروف) وهذا ابتداء محذوف الخبر تقديره طاعة وقول أمثل أي لو أطاعوا وقالوا قولاً معروفاً كان أمثل وأحسن ، وقيل مجازة يقول هؤلاء المنافقون قبل نزول سورة المحكمة طاعة رفع على الحكاية أي أمرنا طاعة أو منا طاعة وقول معروف حسن ، وقيل هو

بكرة [رض] قال : قال رسول الله ﷺ « مامن ذنب أخرى أن يعجل الله تعالى عقوبته في الدنيا مع ما يدخر لصاحبه في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم » ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث اسماعيل هو ابن علي به وقال الترمذي هذا حديث صحيح
وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن بكر حدثنا ميمون أبو محمد المراني حدثنا محمد بن عباد الخزومي عن ثوبان [رض] عن رسول الله ﷺ قال « من سره النساء في الاجل والزبادة في الرزق فليصل رحمه » تفرد به أحمد وله شاهد في الصحيح

وقال أحمد أيضا حدثنا يزيد بن هارون حدثنا حجاج بن أرطاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إن لي ذوي أرحام أصل ويقطعون وأعفو وبظلمون وأحسن وبسيئون أنا كاتفهم قال ﷺ « لا ، اذن تتركون جميعا ولكن جديا افضل وصلهم فانه ان يزال معك ظهير من الله عز وجل ما كنت على ذلك » تفرد به أحمد من هذا الوجه وله شاهد من وجه آخر

وقال الامام أحمد حدثنا يعلى حدثنا مطر عن مجاهد عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « ان الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل بالمكالي . ولكن الواصل الذي اذا قطعت رحمه وصلها » رواه البخاري

وقال أحمد حدثنا بهز حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا قتادة عن أبي أمامة الثقفي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « توضع الرحم يوم القيامة لها حجة كحجة المفضل تكلم بلسان طلق ذلق فتقطع من قطعها وتصل من وصلها »

وقال الامام أحمد حدثنا سفيان حدثنا عمرو عن أبي قابوس عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما يبلغ به النبي ﷺ قال « الراحون برحمهم الرحمن ارحموا أهل الارض يرحمكم أهل السماء والرحم شجنة من الرحمن من وصلها وصلته ومن قطعها قطعه » وقد رواه أبو داود والترمذي من حديث سفيان بن عيينة عن عمر بن دينار به وهذا هو الذي يروى بتسلسل الاواية وقال الترمذي حسن صحيح

متصل بما قبله واللام في قوله لم بمعنى الباء مجازة فأولى بهم طاعة الله ورسوله وقول معروف بالاجابة أى لو أطاعوا كانت الطاعة والاجابة أولى بهم وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء . (فإذا عزم الامر) أى جد الامر ولزم فرض القتال وصار الامر معزوما (فلو صدقوا الله) في اظهار الايمان والطاعة (لكان خيرا لهم) وقيل جواب اذا محذوف تقديره فإذا عزم الامر نكلوا وكذبوا فيما وعدوا (فلو صدقوا الله لكان خيرا) (فهل عسيتم) فاعلمكم (إن توليتم) أعرضتم عن القرآن وفارقتم أحكامه (أن تفسدوا في الارض) تعودوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية ففسدوا في الارض بالمعصية والبغي وسفك الدماء وترجعوا إلى الفرقة بعد ما جمعكم الله بالاسلام (وتقطعوا أرحامكم)

وقال الامام احمد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا هشام الدستوائي عن يحيى بن أبي كثير عن ابراهيم ابن عبد الله بن فارض ان ابا عبد الله عليه السلام دخل على عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وهو مريض فقل له عبد الرحمن [رض] وصلى الله عليك رحم ان رسول الله ﷺ قال « قال الله عز وجل انا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن يصلها اصله ومن يقطعها اقطعها فأبته - او قال - من بنتها أبته » تفرد به احمد من هذا الوجه ، ورواه احمد ايضا من حديث الزهري عن ابي سلمة عن المرداد او ابي المرداد عن عبد الرحمن ابن عوف به ، ورواه ابو داود والترمذي من رواية ابي سلمة عن ابيه ، والاحاديث في هذا كثيرة جداً ^(١) وقال الظهيراني حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا محمد بن عمار الموصلي حدثنا عيسى بن يونس عن الحجاج بن يونس عن الحجاج بن القرافصة عن ابي عمر البصري عن سليمان قال : قال رسول الله ﷺ « الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » وبه قال رسول الله ﷺ « اذا ظهر القول وخرن العمل واختلفت الاسنة وتباغضت القلوب وقطم كل ذي رحم رحمه فعند ذلك لعنهم الله وأصمهم وأعمى أبصارهم » والاحاديث في هذا كثيرة والله أعلم

(١) هذا الحديث غير موجود في النسخة المكية

أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها؟ (٢٤) إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سؤل لهم وأملئ لهم (٢٥) ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم أسرارهم (٢٦) فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبرهم؟ (٢٧) ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم (٢٨)

يقول تعالى آمراً بتدبر القرآن وتفهمه ونهايا عن الاعراض عنه فقال (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها؟) أي بل على قلوب أقفالها فهي مطبقة لا يخلص إليها شيء من معانيه

قرأ يعقوب (و تقطعوا) بفتح التاء خفيف والآخرون بالتشديد من التقطيع على التكثير لا جل الارحام قال قتادة كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله؟ ألم يسفكوا الدم الحرام وقطعوا الارحام وعصوا الرحمن؟ وقال بعضهم هو من الولاية ، وقال المسيب بن شريك والفراء يقول فهل عسيتم إن وليهم أمر الناس أن تفسدوا في الارض بالظلم نزلت في بني أمية وبني هاشم يدل عليه قراءة علي بن ابي طالب توليهم بضم التاء والواو وكسر اللام يقول إن وليتكم ولا جائرة خرجتم معهم في الفتنة وعادتموهم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم) عن الحق (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها؟) فلا تفهم مواضع القرآن وأحكامه ، وأم بمعنى بل

قال ابن جرير حدثنا بشر حدثنا حماد بن زيد حدثنا هشام بن عروة عن أبيه رضي الله عنه قال تلا رسول الله ﷺ يوماً (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها؟) فقال شاب من أهل اليمن بل عليها أقفالها حتى يكون الله تعالى يفتحها أو يفرجها فما زال الشاب في نفس عمر رضي الله عنه حتى ولي فاستعان به . ثم قال تعالى (إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى) أي فارقوا الإيمان ورجعوا إلى الكفر (من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم) أي زين لهم ذلك وحسنه (وأملى لهم) أي غرهم وخدعهم (ذلك بأنهم قالوا الذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر) أي ما لوهم وناصحهم في الباطن على الباطل وهذا شأن المنافقين بظهور خلاف ما يبطنون ولهذا قال الله عز وجل (والله يعلم أسرارهم) أي ما يسرون وما يخفون والله مطلع عليه وعالم به نقوله تبارك وتعالى (والله يكتب ما يبيتون)

ثم قال تعالى (فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم) أي كيف حالهم إذا جاءتهم الملائكة لقبض أرواحهم ونعاصت الأرواح في أجسادهم واستخرجتها الملائكة بالعنف والقهر والضرب كما قال سبحانه وتعالى (ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم) الآية وقال تعالى (ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم) أي بالضرب

أخبرنا أحمد بن إبراهيم أنا أبو اسحاق الثعلبي أنبأني عقيل بن محمد أنا المعافي بن زكريا أنا محمد بن جرير ثنا بشر ثنا حماد بن زيد ثنا هشام بن عروة عن أبيه قال : تلا رسول الله ﷺ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها؟ فقال شاب من أهل اليمن بل على قلوب أقفالها حتى يكون الله يفتحها أو يفرجها فما زال الشاب في نفس عمر حتى ولي فاستعان به

قوله (إن الذين ارتدوا على أدبارهم) رجعوا كفاراً (من بعد ما تبين لهم الهدى) قال قتادة هم كفار أهل الكتاب كفروا بمحمد ﷺ بعد ما عرفوه ووجدوا نفعه في كتابهم ، وقال ابن عباس والضحاك والسدي هم المنافقون (الشيطان سول لهم) زين لهم القبيح (وأملى لهم) قرأ أهل البصرة بضم الالف وكسر اللام وفتح الباء على ما لم يسم فاعله ، وقرأ مجاهد بارسال الباء على وجه الخبر من الله عز وجل عن نفسه أنه يفعل ذلك وتروى هذه القراءة عن يعقوب وقرأ الآخرون وأملى لهم بفتح الالف أي وأملى الشيطان لهم مد لهم في الأمل (ذلك بأنهم) يعني المنافقين أو اليهود (قالوا) الذين كرهوا ما نزل الله (وهم المشركون) سنطيعكم في بعض الأمر (في التعاون على عداوة محمد ﷺ والقعود عن الجهاد وكانوا يقولونه سرا فأخبر الله تعالى عنهم) والله يعلم أسرارهم (قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر بكسر الهمزة على المصدر والباقون يفتحها على جمع السر) فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ذلك (أي بالضرب) بأنهم اتبعوا ما أسخط الله (قال ابن

(أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون) ولهذا قال ههنا (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم)

أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم (٢٩) ولو نشاء لأريناكم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم (٣٠) ولنبلونكم حتى نعلم المجهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم (٣١)

يقول تعالى (أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ؟) أي أيعتقد المنافقون أن الله لا يكشف أمرهم لعباده المؤمنين بل سيوضح أمرهم ويجليه حتى يفهم ذوو البصائر وقد أنزل الله تعالى في ذلك سورة براءة فيبين فيها فضائحهم وما يعتمدونه من الأفعال الدالة على نفاقهم ولهذا كانت تسمى الفاضحة . والأضغان جمع ضغن وهو ماني النفوس من الحسد والحقد الاسلام وأهله والقائمين بنصره ، وقوله تعالى (ولو نشاء لأريناكم فلعرفتهم بسيماهم) يقول عز وجل ولو نشاء لأريناكم أشخاصهم فعرفتهم عيانا ولكن لم يفعل تعالى ذلك في جميع المنافقين سترأ منه على خلقه وحلا للأمر على ظاهر السلامة ورداً للسرائر إلى عالمها (ولتعرفنهم في لحن القول) أي فيما يبدو من كلامهم الدال على مقاصدهم يفهم المتكلم من أي الحزبين هو بمعاني كلامه وخفواه وهو المراد من لحن القول كما قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه : ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه وفتلت لسانه

وفي الحديث « ما أسر أحد سريرة إلا كساه الله تعالى جلبابها إن خيرا فخير وإن شرا فشر »

عباس بما كنتموا من التورات وكفروا بمحمد (ص) (وكرهوا رضوانه) كرهوا ما فيه رضوان الله وهو الطاعة والإيمان (فأحبط أعمالهم) أم حسب الذين في قلوبهم مرض ؟ يعني المنافقين (أن لن يخرج الله أضغانهم ؟) أن لن يظهر أحقادهم على المؤمنين فيبيديها حتى يعرفوا نفاقهم واحدا ضغن قال ابن عباس حسدهم (ولو نشاء لأريناكم) أي لعلناكم وعرفناكم (فلعرفتهم بسيماهم) بعلامتهم قال الزجاج المعنى لو نشاء لجعلنا على المنافقين علامة نعرفهم بها

قال أنس ما خفي على رسول الله (ص) بعد نزول هذه الآية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم (ولتعرفنهم في لحن القول) في معناه ومقصده ولحن وجها صواب وخطأ فالفعل من الصواب لحن يلحن لحناً فهو لحن إذا فطن لشيء ومنه قول النبي (ص) « ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض » والفعل من الخطأ لحن يلحن لحناً فهو لحن والاصل فيه ازالة الكلام عن جهته ، والمعنى نعرفهم فيما يمرضون به من تهجين أمرك وأمر المسلمين والاستهزاء بهم فكان بعد

وقد ذكرنا ما يستدل به على نفاق الرجل وتكلمنا على نفاق العمل والاعتقاد في أول شرح البخاري بما أغنى عن إعادته هنا وقد ورد في الحديث تعيين جماعة من المنافقين

قال الامام أحمد حدثنا وكيم حدثنا سفيان عن سلمة بن عياض عن أبيه عن أبي مسعود عقبة بن عمرو رضي الله عنه قال خطبنا رسول الله ﷺ خطبة فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال « إن منكم منافقين فمن سميت فليقم - ثم قال - قم يا فلان قم يا فلان - حتى سمي ستة وثلاثين رجلاً ثم قال - إن فيكم - أو منكم - منافقين فاتقوا الله » قال فمر عمر رضي الله عنه برجل ممن سمي مقنع قد كان يعرفه فقال مالك ؟ فحدثه بما قال رسول الله ﷺ فقال بعد ذلك سائر اليوم

وقوله عز وجل (ولبلونكم) أي لنتخبرنكم بالأوامر والنواهي (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) وليس في تقدم علم الله تعالى بما هو كائن أنه سيكون شك ولا ريب فالمراد حتى نعلم وقوعه ولهذا يقول ابن عباس رضي الله عنهما في مثل هذا إلا لنعلم أي لنرى

ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى

لن يضرنا الله شيئا وسيجزي أعمالهم (٣٢) يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا

الرسول ولا تبطلوا أعمالكم (٣٣) ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم

كفروا فلن يغفر الله لهم (٣٤) فلا تنهوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الاعلون والله معكم

ولن يترك أعمالكم (٣٥)

يخبر تعالى عن كفر وصد عن سبيل الله وخالف الرسول وشاقه واراد عن الإيمان من بعد ما تبين له الهدى انه لن يضر الله شيئا وإنما يضر نفسه ويخسرها يوم معادها وسيجزي الله عمله

هذا لا يتكلم منافق عند النبي (ص) الا عرفه بقوله ويستدل بفحوى كلامه على فساد خلته وعقيدته (والله يعلم أعمالكم) ولنعاملنكم معاملة الخبير بأن نأمركم بالجهاد والقتال (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) أي علم الوجود يريد حتى يتبين المجاهد والصابر على دينه من غيره (ونبلو أخباركم) أي نظرها ونكشفها بآباء من يابى القتال ولا يصبر على الجهاد وقرأ أبو بكر عن عاصم ولبلونكم حتى يعلم ويلو بالياء فيمن لقوله تعالى [والله يعلم أعمالكم]

وقرأ الآخرون بالنون فيمن لقوله تعالى [ولو نشاء لآريناكم] وقرأ يعقوب ونبلو ساكنة الواو رداً على قوله ولبلونكم وقرأ الآخرون بالفتح رداً على قوله حتى نعلم (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) أي سبيل رسول الله (ص) (وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضرنا

فلا يثيب على سائر ما تقدم من عمله الذي عقبه برؤيته مثقال بعوضة من خير بل يحبطه ويحقه بالكلية كما ان الحسنات يذهبن السيئات

وقد قال الامام محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة حدثنا أبو قدامة حدثنا وكيع حدثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية قال كان أصحاب رسول الله (ص) يرون أنه لا يضرهم مع لا إله إلا الله ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل فترات (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) فخافوا أن يبطل الذنب العمل، ثم روي من طريق عبد الله بن المبارك أخبرني بكر بن معروف عن مقاتل بن حيان عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا معشر أصحاب رسول الله (ص) نرى أنه ليس شيء من الحسنات إلا مقبول حتى نزلت (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) فقلنا ما هذا الذي يبطل أعمالنا؟ قلنا الكبائر والموجبات والفواحش حتى نزل قوله تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فلما نزلت كففنا عن القول في ذلك فكنا نخاف على من أصاب الكبائر والفواحش ونرجو لمن لم يصبها

ثم أمر تبارك وتعالى عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله التي هي سعادتهم في الدنيا والآخرة ونهاهم عن الارتداد الذي هو مبطل للأعمال ولهذا قال تعالى (ولا تبطلوا أعمالكم) أي بالردة، ولهذا قال بعدها (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم) كقوله سبحانه وتعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) الآية

ثم قال جل وعلا لعباده المؤمنين (فلا تنهوا) أي لا تضعفوا عن الأعداء (وتدعوا إلى السلم) أي المهادنة والمسالمة ووضع القتال بينكم وبين الكفار في حال قوتكم وكثرة عددكم وعددكم ولهذا قال (فلا تنهوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون) أي في حال علوكم على عدوكم، فأما إذا كان الكفار

الله شيئا) انما يضرون أنفسهم (وسيجبط أعمالهم) فلا يرون لها ثوابا في الآخرة قال ابن عباس رضي الله عنهما هم المطعمون يوم بدر نظير ما قوله عز وجل [إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله] الآية (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) قال عطاء بالشك والتناق وقال الكلبي بالرياء والسمعة وقال الحسن بالمعاصي والكبائر وقال أبو العالية كان أصحاب رسول الله ﷺ يرون أنه لا يضرهم مع الإخلاص ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل فترات هذه الآية فخافوا الكبائر بعد أن تحبط الأعمال وقال مقاتل لا تمنوا على رسول الله ﷺ فتبطلوا أعمالكم نزلت في بني أسد وسند كره في سورة الحجرات ان شاء الله تعالى

(إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم) قبلهم أصحاب القلبين وحكمها عام (فلا تنهوا) لا تضعفوا (وتدعوا إلى السلم) أي لا تدعوا إلى الصلح ابتداء

فيهم قوة وكثرة بالنسبة الى جميع المسلمين ورأى الامام في المهادنة والمعاودة مصلحة فله ان يفعل ذلك كما فعل رسول الله ﷺ حين صده كفار قريش عن مكة ودعوه الى الصلح ووضع الحرب بينهم وبينه عشر سنين فأجابهم ﷺ الى ذلك

وقوله جلت عظمتة (والله معكم) فيه بشارة عظيمة بالنصر والظفر على الاعداء (ولن يترككم أعمالكم) أي ولن يحبطها ويطلها ويسلبكم اياها بل يوفىكم ثوابها ولا ينقصكم منها شيئاً والله أعلم

إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسئلكم أموالكم (٣٦) ان يسئلكموها فيحففكم تبخلوا ويخرج أضغاثكم (٣٧) ها أنتم هؤلاء تدعون

لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه، والله الغني وأنتم الفقراء وان تولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم (٣٨)

يقول تعالى تحفيرا لأمر الدنيا وتهوينا لشأنها [إنما الحياة الدنيا لعب ولهو] أي حاصلها ذلك إلا ما كان منها لله عز وجل ولهذا قال تعالى [وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم] أي هو غني عنكم لا يطلب منكم شيئاً وإنما فرض عليكم الصدقات من الاموال مواساة لأخوانكم الفقراء ليعود نفع ذلك عليكم ، ويرجم ثوابه اليكم

ثم قال جل جلاله (إن يسألكموها فيحففكم تبخلوا) أي يحوجكم تبخلوا (ويخرج أضغاثكم) قال قتادة : قد علم الله تعالى ان في إخراج الاموال اخراج الاضغان وصدق قتادة فان المال محبوب ولا يصرف الا فيما هو أحب الى الشخص منه

منع الله المسلمين ان يدعوا الكفار الى الصلح وأمرهم بحرهم حتى يسلّموا (وأنتم الاعلون) الغالبون قال الكلبي آخر الامر لكم وان غلبوكم في بعض الاوقات (والله معكم) بالهون والنصرة (ولن يترككم أعمالكم) لن ينقصكم شيئاً من ثواب أعمالكم بقل وتره يتره وتره وتره اذا نقص حقه قال ابن عباس وفتادة ومقاتل والضحاك ان يظلمكم أعمالكم الصالحة بل يؤتيكم أجورها ثم حض على طلب الآخرة فقال (إنما الحياة الدنيا لعب ولهو) باطل وغرور (وإن تؤمنوا وتتقوا) الفواخس (يؤتكم أجوركم) جزاء أعمالكم في الآخرة (ولا يسألكم) ربكم (أموالكم) لا بناء الاجر بل بامرهم بالايمان والطاعة ليثيبكم عليها الجنة نظيره قوله [ما أريد منهم من رزق] وقيل لا يسألكم محمد أموالكم نظيره [قل ما أسألكم عليه من أجر] وقيل معنى الآية لا يسألكم الله ورسوله أموالكم كلها في الصدقات إنما يسألكم غيضا من فيض ربع العشر فطيّبوا بها نفوسا وقروا عينا والى هذا القول ذهب ابن عيينة يدل عليه سباق الآية (ان يسألكموها فيحففكم) أي يجهدكم ويلحف عليكم بمسئلة

وقوله تعالى (ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل) أي لا يجيب الى ذلك (ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه) أي انما نقص نفسه من الاجر وانما يعود وبال ذلك عليه (والله الغني) أي عن كل ما سواه وكل شيء فقير اليه دائما ولهذا قال تعالى (وأنتم الفقراء) أي بالذات اليه، فوصفه بالغنى وصف لازم له، ووصف الخلق بالفقر وصف لازم لهم لا ينفكون عنه
وقوله تعالى (وان تتولوا) أي عن طاعته واتباع شرعه (يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) أي ولكن يكونون سامعين مطيعين له ولا وأمره

وقال ابن أبي حاتم وابن جرير حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا ابن وهب أخبرني مسلم بن خالد عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ان رسول الله ﷺ تلا هذه الآية (وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين ان تولينا استبدل بنا ثم لا يكونوا أمثالنا؟ قال فضرب بيده على كتف سلمان الفارسي رضي الله عنه ثم قال « هذا وقومه ولو كان الدين عند الثريا لتناولوه رجال من الفرس » تفرد به مسلم بن خالد الزنجي ورواه عنه غير واحد وقد تكلم فيه بعض الأئمة رحمة الله عليهم والله أعلم

آخر تفسير سورة القتال والله الحمد والمنة

جميعها يقال أحق فلان فلانا اذا أجده وألحف عليه بالمسئلة (تبخاوا) بها فلا تعطوها (وبخرج أضغانكم) بفضلكم وعداوتكم قال قتادة علم الله ان مسئلة الاموال خروج الاضغان (ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله) يعني اخراج ما فرض الله عليكم (فمنكم من يبخل) بما فرض عليه من الزكاة (ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغني) عن صدقاتكم وطاعتكم (وأنتم الفقراء) اليه وإلى ما عنده من الخير (وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) بل يكونوا أمثال منكم وأطوع له منكم قال السكابي هم كندة والنخع وقال الحسن هم العجم وقال عكرمة فارس والروم أخبرنا أبو بكر أحمد بن أبي نصر الكوفاني أنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن اسحاق النجبي المصري المعروف بابن النحاس أنا أبو الطيب الحسن بن محمد الرياش ثنا يونس بن عبد الأعلى ثنا ابن وهب ثنا مسلم بن خالد عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ تلا هذه الآية (وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين ان تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا أمثالنا؟ فضرب على فخذه سلمان الفارسي ثم قال « هذا وقومه ولو كان الدين عند الثريا لتناولوه رجال من الفرس »

تفسير سورة الفتح وهي مدنية

قال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا شعبة عن معاوية بن قره قال سمعت عبد الله بن مغفل يقول قرأ رسول الله (ص) عام الفتح في مسيره سورة الفتح على راحلته فرجع فيها قال معاوية لولا اني اكره ان يجتمع الناس علينا لحكيت قراءته، أخرجه من حديث شعبة به

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً (١) ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً (٢) وينصرك الله نصراً عزيزاً (٣)

﴿ سورة الفتح مدنية تسع وعشرون آية ﴾

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أنا أبو علي زاهر بن أحمد الطوسي أنا أبو اسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن يزيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يسير مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فسأله عمر عن شيء فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه ثم سأله فقال لكأنك أمك يا عمر كررت علي رسول الله ﷺ ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك قال عمر فحركت بعيري ثم تقدمت أمام الناس وخشيت أن ينزل في قرآن فسا لبثت أن سمعت صارخاً بصرخ بي قلت لقد خشيت أن يكون نزل في قرآن فجنث رسول الله ﷺ فسلمت عليه فقال « لقد أنزلت علي الآية سورة هي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس » ثم قرأ (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر)

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح أنا أبو عمر بكر المزني ثنا أبو بكر محمد بن عبد الله حفيد العباس ابن حمزة ثنا الحسين البجلي ثنا عفان ثنا همام ثنا قتادة ثنا أنس قال نزلت علي النبي ﷺ (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً) إلى آخر الآية مرجعه من الحديث وأصحابه مخالطهم الحزن والساكبة فقال نزلت علي آية هي أحب إلي من الدنيا جميعاً فلما تلاها نبي الله ﷺ قال رجل من القوم هنيئاً مريناً لك قد بين الله ما يفعل بك فماذا يفعل بنا؟ فانزل الله هذه الآية التي بعدها (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار) حتى ختم الآية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ﴾ اختلفوا في هذا الفتح، روي عن أبي جعفر الرازي

فإن هذه السورة الكريمة لما رجع رسول الله (ص) من الحديبية في ذي القعدة من سنة ست من الهجرة حين صده المشركون عن الوصول إلى المسجد الحرام فبقي عمرته فيه وحالوا بينه وبين ذلك ثم مالوا إلى المصالحة والمهادنة وأن يرجع عامه هذا ثم يأتي من قابل فأجابهم -م إلى ذلك على تكريم من جماعة من الصحابة منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما سيأتي تفصيله في موضعه من تفسير هذه السورة إن شاء الله تعالى ، فلما نحر هديه حيث أحصر ورجع أنزل الله عز وجل هذه السورة فلما كان من أمره وأمرهم وجعل ذلك الصلح فتحاً باعتبار ما فيه من المصالحة وما آل الأمر إليه كما روى ابن مسعود رضي الله عنه وغيره أنه قال: أنتم تعدون الفتح فتح مكة ونحن نعد الفتح صلح الحديبية، وقال الأعمش عن أبي سفيان عن جابر رضي الله عنه قال: ما كنا نعد الفتح إلا يوم الحديبية

وقال البخاري حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء رضي الله عنه قال: تعدون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحاً ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع رسول الله ﷺ أربع عشرة مائة والحديبية بئر فترحنها فلم تترك فيها قطرة فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأنابها فجلس على شفيرها ثم دعا بانه من ماء فتوضأ ثم تغمض ودعا ثم صب فيها فتركنها غير بعيد ثم أنها أصدرتنا ماشئنا ونحن وركائبنا

وقال الإمام أحمد حدثنا نوح حدثنا مالك بن أنس عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر قال فسألته عن شيء ثلاث مرات فلم يرد علي ، قال فقلت في نفسي ثكلتك أمك يا ابن الخطاب ألححت كرت على رسول الله ﷺ ثلاث مرات فلم يرد عليك ، قال فركبت راحتي فخركت بعيري فتقدمت مخافة أن يكون نزل في شيء قال فإذا أنا بمناد يامر قال فرجعت وأنا أظن أنه نزل في شيء قال فقال النبي ﷺ « نزل علي البارحة سورة هي أحب إلي من الدنيا وما فيها » (أنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر) ورواه البخاري والترمذي والنسائي من طرق عن مالك رحمه الله ، وقال علي بن المديني هذا أصناد مدني جيد لم نجده إلا عندهم

عن قتادة عن أنس أنه فتح مكة ، وقال مجاهد فتح خيبر والاكثرون على أنه صلح الحديبية ومعنى الفتح فتح المنفاق والصلح مع المشركين بالحديبية كان متعذراً حتى فتحه الله عز وجل ، وروى شعبة عن قتادة عن أنس أنا فتحنا لك فتحاً مبيناً قال صاحب الحديبية

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء قال: تعدون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحاً ، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع النبي ﷺ أربع عشرة مائة والحديبية بئر فترحنها فلم تترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبي ﷺ فأنابها فجلس على شفيرها ثم دعا

وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال نزلت على النبي ﷺ (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) مرجعه من الحديبية قال النبي ﷺ « لقد أنزلت علي الآية أحب إلي مما على الأرض » ثم قرأها عليهم النبي ﷺ فقالوا هنيئنا مريئنا يا نبي الله بين الله عز وجل ما يفعل بك فماذا يفعل بنا ؟ فنزلت عليه صلى الله عليه وسلم : يدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار — حتى يبلغ — فوزاً عظيماً (أخرجاه في الصحيحين من رواية قتادة به .

وقال الامام أحمد حدثنا اسحاق بن عيسى حدثنا مجهم بن يعقوب قال سمعت أبي يحدث عن عمه عبد الرحمن بن زيد الانصاري عن عمه مجهم بن حارثه الانصاري رضي الله عنه وكان أحد القراء الذين قرؤوا القرآن قال شهدنا الحديبية فلما انصرفنا عنها اذا الناس ينفرون الاباعر فقال الناس بعضهم لبعض ما لنا قالوا أوحى إلى رسول الله ﷺ فخرجنا مع الناس فوجدنا رسول الله ﷺ على راحلته عند كراع الغميم فاجتمع الناس عليه فقرأ عليهم (انا فتحنا لك فتحاً مبيناً) قال فقال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ أي رسول الله أوفتح هو ؟ قال ﷺ « أي والذي نفس محمد بيده انه لفتح » قسمت خيبر على أهل الحديبية لم يدخل معهم فيها أحد إلا من شهد الحديبية فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية عشر سهماً وكان الجيش ألفاً وخمسمائة منهم ثلثمائة فارس فأعطى الفارس سهماً وأعطى الرجل سهماً ، ورواه أبو داود في الجهاد عن محمد بن عيسى عن مجهم بن يعقوب به .

وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع حدثنا أبو يحيى حدثنا شعبة حدثنا جامع بن شداد عن أبي عبد الرحمن بن أبي علقمة قال سمعت عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول : لما أقبلنا من الحديبية عرسنا فنمنا فلم نذيقط إلا والشمس قد طلعت فاستيقظنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم قال قلنا أيقظوه فاستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « اقموا ما كنتم تفعلون وكذلك يفعل من نام أو نسي » قال وفقدنا ناقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلبناها فوجدناها قد تعلق

بأذن من ماء فتوضأ ثم نضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم انها أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا ، قال الشعبي في قوله (انا فتحنا لك فتحاً مبيناً) قال فتح الحديبية غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وأطعموا نخل خيبر وبلغ الهدي محله وظهرت الروم على فارس ففرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على الجوس ، قال الزهري لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية وذلك ان المشركين اختلطوا بالمسلمين فسعوا كلامهم فتمكن الاسلام في قلوبهم ألم في ثلاث سنين خلق كثير وكثر بهم سماد الاسلام ، قوله عز وجل (انا فتحنا لك فتحاً مبيناً) أي قضينا لك قضاء بيننا وقال الضحاك انا فتحنا لك فتحاً مبيناً بغير قتال وكان الصلح من الفتح المبين قيل اللام في قوله ليفر لام كي معناه انا فتحنا لك فتحاً مبيناً لكي يجتمع لك مع المغفرة تمام النعمة في الفتح ، وقال الحسين بن الفضل هو مردود إلى

خطأها بشجرة فأثبته بها فركبها فبينما نحن نسير إذ أناه الوحي قال وكان إذا أناه الوحي اشتد عليه فلما سري عنه أخبرنا أنه أنزل عليه (إنا فتحنا لك فتحا مبينا) وقد رواه أحمد وأبو داود والنسائي من غير وجه عن جامع بن شداد به

وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن زياد بن علاقة قال سمعت المغيرة بن شعبة يقول : كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي حتى ترم قدماء فتيل له أليس قد غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « أفلا أكون عبداً شكوراً » أخرجاه وبقية الجماعة إلا أبا داود من حديث زياد به

وقال الامام أحمد حدثنا هارون بن معروف حدثنا بن وهب حدثني أبو صخر عن ابن قسيط عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تنفطر رجلاه فقالت له عائشة رضي الله عنها يا رسول الله أتصنع هذا وقد غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال ﷺ « يا عائشة أفلا أكون عبداً شكوراً » أخرجه مسلم في الصحيح من رواية عبد الله بن وهب به وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا عبد الله بن عون الخزاز وكان ثقة بمكة حدثنا محمد بن بشر حدثنا مسعر عن قتادة عن أنس قال قام رسول الله ﷺ حتى تورمت قدماء أو قال ساقاه فتيل له أليس قد غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال « أفلا أكون عبداً شكوراً » غريب من هذا الوجه . فقوله (إنا فتحنا لك فتحا مبينا) أي بينا ظاهراً والمراد به صلح الحديبية فإنه حصل بسببه خير جزيل ، وآمن الناس واجتمع بعضهم ببعض ، وتكلم المؤمن مع الكافر وانتشر العلم النافع والایمان

وقوله تعالى (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) هذا من خصائصه ﷺ التي لا يشاركه فيها غيره وليس في حديث صحيح في ثواب الاعمال كغيره غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهذا فيه تشريف عظيم لرسول الله ﷺ وهو ﷺ في جميع أموره على الطاعة والبر والاستقامة التي لم ينلها بشر سواه لا من الاولين ولا من الآخرين وهو ﷺ أكمل البشر على الإطلاق وسيدم في

قوله [واستغفر لذنبك والمؤمنين والمؤمنات] (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) [وليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات] الآية وقال محمد بن جرير هو راجع الى قوله (إذا جاء نصر الله والفتح) ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا * فسبح بحمد ربك واستغفره) (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك) في الجاهلية قبل الرسالة (وما تأخر) الى وقت نزول هذه السورة وقيل ما تأخر مما يكون وهذا على طريقة من يجوز الصفائر على الانبياء ، وقال سفيان الثوري ما تقدم مما عملت في الجاهلية وما تأخر كل شيء لم عمله ، وبذكر مثل ذلك على طريق التأكيد كما يقال أعطى من رآه ومن لم يره ، وضرب من لقيه ومن لم يلقه ، وقال عطاء الخراساني ما تقدم من ذنبك يعني ذنب أبويك

الدنيا والآخرة ، ولما كان أطوع خلق الله تعالى وأشدحم تعظيماً لأوامره ونواهيه قال حين بركت به الناقة حبسها حابس الفيل ثم قال ﷺ « والذي نفسي بيده لا يسألوني اليوم شيئاً يعظمون به حرمة الله إلا أجبتهم إليها » فلما أطاع الله في ذلك وأجاب إلى الصلح قال الله تعالى له (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً * ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر * ويتم نعمته عليك) أي في الدنيا والآخرة (ويهديك صراطاً مستقيماً) أي بما بشره لك من الشرع العظيم والدين القويم (وينصرك الله نصراً عزيزاً) أي بسبب خضوعك لأمر الله عز وجل يرفعك الله وينصرك على أعدائك كما جاء في الحديث الصحيح « وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله عز وجل إلا رفعه الله تعالى » وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : ما عاقبت أحداً عصى الله تعالى فيك بمثل أن تطيع الله تبارك وتعالى فيه

هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليماً حكيماً (٤) ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزاً عظيماً (٥) ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً (٦) ولله جنود السموات والأرض وكان الله عزيزاً حكيماً (٧)

يقول تعالى (هو الذي أنزل السكينة) أي جعل الطمأنينة قاله ابن عباس رضي الله عنهما وعنه الرحمة ، وقال قتادة الوقار في قلوب المؤمنين وهم الصحابة رضي الله عنهم يوم الحديبية الذين استجابوا لله ورسوله ، وانقادوا لحكم الله ورسوله فلما اطمانت قلوبهم بذلك واستقرت زادهم إيماناً مع إيمانهم آدم وحواء لا يبركنك وما تأخر ذنوب أمتك بدعوتك (ويتم نعمته عليك) بالنبوة والحكمة (ويهديك صراطاً مستقيماً) أي يثبتك عليه ، والمعنى ليجتمع لك مع الفتح تمام النعمة بالمغفرة والهداية إلى الصراط المستقيم وهو الاسلام وقيل ويهديك أي يهدي بك (وينصرك الله نصراً عزيزاً) غالباً وقيل معزاً (هو الذي أنزل السكينة) الطمأنينة والوقار (في قلوب المؤمنين) لئلا تنزعج نفوسهم لما يرد عليهم قال ابن عباس كل سكينة في القرآن فهي طمأنينة إلا التي في سورة البقرة (ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم) قال ابن عباس بعث الله رسوله بشهادة أن لا إله إلا الله فلما صدقوه زادهم الصلاة ثم الزكاة ثم الصيام (تفسير ابن كثير والبغوي) (٦٦) (الجزء السابع)

وقد استدلل بها البخاري وغيره من الائمة على تفاضل الايمان في القلوب ثم ذكر تعالى انه لو شاء لانصر من الكافرين فقال سبحانه وتعالى (والله جنود السموات والارض) أي ولو أرسل عليهم ملكا واحدا لأباد خضراهم واسكنه تعالى شرع لعباده المؤمنين الجهاد والقتال لماله في ذلك من الحكمة البالغة والحجة القاطعة والبراهين الدامغة ولهذا قال جات عظمته (وكان الله عليا حكيما)

ثم قال عز وجل (لا يدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) قد تقدم حديث أنس رضي الله عنه حين قالوا هنيئا لك يا رسول الله هذا لك فقالنا فانزل الله تعالى (لا يدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) أي ما كثر فيها أبداً ويكفر عنهم سيئاتهم (أي خطاياهم وذنوبهم فلا يعاقبهم عليها بل يغفروهم ويغفروهم ويسترهم ويرحمهم ويشكرهم) وكان ذلك عند الله فوزاً عظيماً (كقوله جل وعلا (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) الآية . وقوله تعالى (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء) أي يتهمون الله تعالى في حكمه ويظنون بالرسول (ص) وأصحابه رضي الله عنهم أن يقتلوا ويذهبوا بالكلية ولهذا قال تعالى (عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم) أي أبعدهم من رحمته (وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً)

ثم قال عز وجل (مؤكداً لقدرته على الانتقام من الأعداء أعداء الاسلام من الكفرة والمنافقين) (والله جنود السموات والارض وكان الله عزيزاً حكيماً)

انا أرسلناك شهيداً ومبشراً ونذيراً (٨) لتؤمنوا بالله ورسوله وتذروه وتوقروه

وتسبحوه بكرة وأصيلاً (٩) إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن

نكث فأنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً (١٠)

ثم الحج ثم الجهاد حتى أكل لهم دينهم فكلما أمروا بشيء فصدقوه ازدادوا تصديقاً الى تصديقهم وقال الضحاك يقينا مع يقينهم ، قال الكلبي هذا في أمر الحديبية حين صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ﴿ والله جنود السموات والارض وكان الله عليا حكيماً ﴾ لا يدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزاً عظيماً ﴿ وقد ذكرنا عن أنس ان الصحابة قالوا لما نزل (لا يغفر لك الله) هنيئاً مريئاً فما يفعل بنا فنزل (لا يدخل المؤمنين والمؤمنات جنات) الآية ﴿ ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ﴾ يريد أهل النفاق بالمدينة وأهل الشرك بمكة ﴿ الظانين بالله ظن السوء ﴾ أن ان ينصر محمداً والمؤمنين ﴿ عليهم دائرة السوء ﴾ بالعذاب والهلاك ﴿ وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً ﴾ ﴿ والله جنود السموات والارض وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾ انا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ﴿ لتؤمنوا بالله ورسوله

يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (انا أرسلناك شاهداً) أي على الخلق (ومبشراً) أي للمؤمنين (ونذيراً) أي للكافرين وقد تقدم تفسيرها في سورة الاحزاب (انؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه) قال ابن عباس رضي الله عنهما وغير واحد تعظموه (وتوقروه) من التوقير وهو الاحترام والاحلال والاعظام (وتسبحوه) أي تسبحون الله (بكرة وأصيلاً) أي أول النهار وآخره ثم قال عز وجل لرسوله ﷺ تشرىفاً له وتعظيماً وتكرماً (إن الذين يبايعونك انما يبايعون الله كقوله جل وعلا (من يطع الرسول فقد أطاع الله) (يد الله فوق أيديهم) أي هو حاضر معهم بسمع أقوالهم ويرى مكانهم ويعلم ضمائرهم وظواهرهم فهو تعالى هو المبايع بواسطة رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أرفى بهذه من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم)

وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا الفضل بن يحيى الانباري حدثنا علي بن بكار عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سل سيفه في سبيل الله فقد بايع الله »

وحدثنا أبي حدثنا يحيى بن المغيرة أخبرنا جرير عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ في الحجر « الله ليبعثنه الله عز وجل يوم القيامة له عيان ينظر بهما ولسان ينطق به ويشهد على من استلمه بالحق فمن استلمه فقد بايع الله تعالى » ثم قرأ رسول الله [ص] (إن الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم) ولما هذا قال تعالى (فمن نكث فانما ينكث على نفسه) أي انما يعود وبال ذلك على الناكث والله غني عنه ومن أرفى بما عاهد عليه الله فسيؤتية أجراً عظيماً) أي ثواباً جزيلاً وهذه البيعة هي بيعة الرضوان وكانت تحت شجرة سمرة بالحديبية وكان الصحابة رضي الله عنهم الذين بايعوا رسول الله (ص) يومئذ قيل ألفا وثلاثمائة ، وقيل وأربعمائة ، وقيل وخمسمائة والارسط أصح

﴿ ذكر الاحاديث الواردة في ذلك ﴾

قال البخاري حدثنا قتيبة حدثنا سفیان عن عمرو عن جابر رضي الله عنه قال كنا يوم الحديبية ألفا وأربعمائة . ورواه مسلم من حديث سفیان بن عيينة به ، وأخرجاه أيضا من حديث الاعمش عن سالم بن أبي الجعد عن جابر رضي الله قال : كنا يومئذ ألفا وأربعمائة ووضع يده في ذلك الماء فجعل

وتعزروه ﴿ أي تعينوه وتنصروه ﴾ (وتوقروه) أي تعظموه وتفخموه وهذه الكنايات راجعة الى النبي ﷺ وهما وقف ﴿ وتسبحوه ﴾ أي تسبحوا الله يريد تصلوا له ﴿ بكرة وأصيلاً ﴾ بالغداة والعشي

الماء ينبع من بين أصابعه حتى رروا كلهم وهذا مختصر من سياق آخر حين ذكر قصة عطشهم يوم الحديبية وأن رسول الله [ص] أعطاهم سهما من كنانته فوضعه في بئر الحديبية فجاشت بالماء حتى كفتهم فقبل لجابر رضي الله عنه كم كنتم يومئذ؟ قال كنا ألفا وأربعمائة ولو كنا مائة ألف لكفانا، وفي رواية في الصحيحين عن جابر رضي الله عنه أنهم كانوا خمس عشرة مائة

وروى البخاري من حديث قتادة قلت لسعيد بن المسيب كم كان الذين شهدوا بيعة الرضوان؟ قال خمس عشرة مائة، قلت فإن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال كانوا أربع عشرة مائة قال رحمه الله وهم هو حدثني أنهم كانوا خمس عشرة مائة. قال البيهقي هذه الرواية تدل على أنه كان في القديم يقول خمس عشرة مائة ثم ذكر الوهم فقال أربع عشرة مائة

وروى العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم كانوا ألفا وخمسمائة وخمسة وعشرين والمشهور الذي رواه عنه غير واحد أربع عشرة مائة وهذا هو الذي رواه البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن العباس الدوري عن يحيى بن معين عن شاذان بن سوار عن شعبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة ألفا وأربعمائة، وكذلك هو الذي في رواية سلمة بن الأكوع ومثقل بن يسار والبراء بن عازب رضي الله عنهم، وبه يقول غير واحد من أصحاب المغازي والسير، وقد أخرج صاحبها الصحيح من حديث شعبة عن عمرو بن مرة قال: سمعت عبد الله بن أبي أرفى رضي الله عنه يقول: كان أصحاب الشجرة ألفا وأربعمائة وكانت أسلم يومئذ بمن المهاجرين.

وروى محمد بن إسحاق في السيرة عن الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان ابن الحكم أنهما حدثاه قالا: خرج رسول الله ﷺ عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالا وساق معه الهدي سبعين بدنة وكان الناس سبعمائة رجل كل بدنة عن عشرة نفر وكان جابر بن عبد الله رضي الله عنهما فيما بلغني عنه يقول: كنا أصحاب الحديبية أربعة عشرة مائة. كذا قال ابن إسحاق وهو معدود من أوهامه فإن المحفوظ في الصحيحين أنهم كانوا بضع عشرة مائة كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

﴿ ذكر سبب هذه البيعة العظيمة ﴾

قال محمد بن إسحاق بن يسار في السيرة ثم دعا رسول الله [ص] عمر بن الخطاب [رض] ليعينه إلى مكة ليباغ عنه أشراف قريش ماجاء له فقال يا رسول الله إني أخاف فريشاء على نفسي وليس

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ليؤمنوا ويعزروه ويوقروه ويسبحوه بالياء فيهن لقوله (في قلوب المؤمنين) وقرأ الآخرون بآباء فيهن ﴿ ان الذين يبايعونك ﴾ يا محمد بالحديبية على ان لا يفروا ﴿ انما يبايعون الله ﴾ لانهم باعوا أنفسهم من الله بالجنة

بمكة من بني عدي بن كعب من يمنة وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظي عليها ولكنني أدركت على رجل أعزها مني عثمان بن عفان [رض] نبعته إلى أبي سفيان وأشرف قريش بخبرهم أنه لم يأت للحرب وأنه إنما جاء زائرا لهذا البيت ومعظما لحرمته فخرج عثمان [رض] إلى مكة فلقبه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فحمله بين يديه ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله [ص] فانطلق عثمان [رض] حتى أتى أبا سفيان وعظما قريش فبلغهم عن رسول الله [ص] ما أرسله به فقالوا لعثمان [رض] حين فرغ من رسالة رسول الله [ص] إليهم إن شئت أن نطوف بالبيت فطف فقال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله [ص] واحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله [ص] والمسلمين أن عثمان [رض] قد قتل

قال ابن اسحاق فحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله [ص] قال حين بلغه أن عثمان قد قتل « لا تبرح حتى تناجز القوم » ودعا رسول الله [ص] الناس إلى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة فكان الناس يقولون بآيهم رسول الله [ص] على الموت وكان جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول : إن رسول الله [ص] لم يبايعهم على الموت ولكن بايعنا على أن لا نفر فبايع الناس ولم يتخلف أحد من المسلمين حضرها إلا الجدي بن قيس أخو بني سلمة فكان جابر رضي الله عنه يقول والله لكأني أنظر إليه لاصقا بأبط ناقته قد صبا إليها يستتر بها من الناس ثم أتى رسول الله [ص] أن الذي كان من أمر عثمان رضي الله عنه باطل

وذكر ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة ابن الزبير رضي الله عنهما قريبا من هذا السياق وزاد في سياقه أن قريشا بعثوا وعندهم عثمان [رض] سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص إلى رسول الله ﷺ فبينما هم عندهم اذ وقع كلام بين بعض المسلمين وبعض المشركين وتراهم بالنبل والحجارة وصاح الفريقان كلاهما وأرسل كل من الفريقين من عندهم من الرسل ونادى منادي رسول الله [ص] ألا إن روح القدس قد نزل على رسول الله [ص] وأمر بالبيعة فاخرجوا على اسم الله تعالى فبايعوا فصار المسلمون إلى رسول الله [ص] وهو تحت الشجرة فبايعوه على أن لا يفروا أبدا فارع ذلك المشركين وأرسلوا من كان عندهم من المسلمين ودعوا إلى المودة والصالح وقال الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان أخبرنا أحمد بن عبيد الصغار حدثنا هشام حدثنا الحسن بن بشير حدثنا الحكم بن عبد الملك عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال لما أمر رسول الله ﷺ ببيعة الرضوان كان عثمان بن عفان رضي الله عنه رسول رسول الله ﷺ إلى أهل مكة فبايع الناس فقال رسول الله ﷺ « اللهم ان عثمان في حاجة الله تعالى وحاجة رسوله

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا حاتم بن إسماعيل عن يزيد بن أبي عبيد قال قلت لاسامة بن الأكوع

فضرب باحدى يديه على الاخرى فكانت يد رسول الله ﷺ له أن رضي الله عنه خير من أيديهم لأنفسهم ،

قال ابن هشام حدثني من أثق به عن حدثه بإسناده عن ابن أبي ليكة عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : بايع رسول الله ﷺ اثمان رضي الله عنه فضرب باحدى يديه على الاخرى . وقال عبد الملك بن هشام النحوي فذكر وكيم عن اسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي قال : ان أول من بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان ابو سنان الاسدي ، وقال أبو بكر عبد الله بن الزبير الحبيدي حدثنا سفيان حدثنا ابن أبي خالد عن الشعبي قال لما دعا رسول الله ﷺ الناس الى البيعة كان أول من انتهى اليه أبو سنان الاسدي فقال ابسط يدك أبابك فقال النبي ﷺ : علام تباعني ؟ فقال أبو سنان [رض] على ما في نفسك ، هذا أبو سنان بن وهب الاسدي [رض]

وقال البخاري حدثنا شجاع بن الوليد أنه سمع النضر بن محمد يقول حدثنا صخر بن الربيع عن نافع [رض] قال ان الناس يتحدثون أن ابن عمر [رض] أسلم قبل عمر وليس كذلك ولكن عمر [رض] يوم الحديبية أرسل عبد الله الى فارس له عند رجل من الانصار أن يأتي به ليقا تل عليه ورسول الله ﷺ يبايع عند الشجرة وعمر [رض] لا يدري بذلك فبايعه عبد الله [رض] ثم ذهب الى الفرس فجاء به الى عمر رضي الله عنه وعمر رضي الله عنه يستلم لقتال فأخبره أن رسول الله ﷺ يبايع تحت الشجرة فانطلق فذهب معه حتى بايع رسول الله ﷺ وهي التي يتحدث الناس أن ابن عمر أسلم قبل عمر رضي الله عنهما

ثم قال البخاري وقال هشام بن عمار حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا عمرو بن محمد العمري أخبرني نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : إن الناس كانوا مع رسول الله ﷺ قد تفرقوا في ظلال الشجر فاذا الناس محذوقون بالنبي ﷺ فقال يعني عمر رضي الله عنه يا عبد الله انظر ماشأن الناس قد أحذقوا برسول الله ﷺ فوجدهم يبايعون فبايع ثم رجم إلى عمر رضي الله عنه فخرج فبايع

وقد أسنده البيهقي عن أبي عمرو الاديب عن أبي بكر الاسماعيلي عن الحسن بن سفيان عن دحيم حدثني الوليد بن مسلم فذكره ، وقال الليث عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه قال : كنا يوم الحديبية ألفا وأربعمائة فبايعناه وعمر رضي الله عنه أخذ بيده تحت الشجرة وهي سرة وقال بايعناه على أن لا نفر ولم نبايعه على الموت . رواه مسلم عن قتيبة عنه

وروى مسلم عن يحيى بن يحيى عن يزيد بن زريع عن خالد عن الحكم بن عبد الله الاعرج عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال : لقد رأيتني يوم الشجرة والنبي ﷺ يبايع الناس وأنا رافع غصنا

على أي شيء . بايعهم رسول الله ﷺ يوم الحديبية قال على الموت
أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم

من أغصانها عن رأسه ونحن أربع عشرة مائة قال ولم نبايعه على الموت ولكن بابعناه على أن لا نفر
وقال البخاري حدثنا المكي بن إبراهيم عن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع رضي الله
عنه قال : بايعت رسول الله ﷺ تحت الشجرة قال يزيد قلت يا أبا مسلمة على أي شيء كنتم تبايعون
يومئذ ؟ قال على الموت .

وقال البخاري أيضاً حدثنا أبو عاصم حدثنا يزيد بن أبي عبيد عن سلمة رضي الله عنه قال :
بايعت رسول الله ﷺ يوم الحديبية ثم تنحيت فقال ﷺ « يا سلمة ألا تبايع ؟ » قلت قد بايعت ، قال
ﷺ « أقبل فبايع » فدنوت فبايعته ، قلت علام ببايعته يا سلمة ؟ قال على الموت . وأخرجه مسلم
من وجه آخر عن يزيد بن أبي عبيد ، وكذا روى البخاري عن عباد بن تميم أنهم بايعوه على الموت .
وقال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو الفضل بن إبراهيم حدثنا أحمد بن سلمة حدثنا
إسحاق بن إبراهيم حدثنا أبو عامر العقدي حدثنا عبد الملك بن عمرو حدثنا عكرمة بن عمار التميمي
عن إياس بن سلمة عن أبيه سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال : قدمنا الحديبية مع رسول الله ﷺ
ونحن أربع عشرة مائة وعليها خمسون شاة لا نروها فقدم رسول الله ﷺ على حباها يعني الركي فاما
دعا وإما بصق فيها فجاشت فسقينا واستقينا ، قال ثم إن رسول الله ﷺ دعا إلى البيعة في أصل
الشجرة فبايعته أول الناس ثم بايع وبايع حتى إذا كان في وسط الناس قال ﷺ « بايعني يا سلمة »
قال قلت يا رسول الله قد بايعتك في أول الناس قال « وأيضاً » قال ورآني رسول الله ﷺ عزلاً فأعطاني
جحفة أو درقة ثم بايع حتى إذا كان في آخر الناس قال ﷺ « ألا تبايع يا سلمة ؟ » قال قلت يا رسول
الله قد بايعتك في أول الناس وأوسطهم ، قال ﷺ « وأيضاً » فبايعته الثالثة ، فقال ﷺ « يا سلمة
أين جحفتك أو درقتك التي أعطيتك ؟ » قال قلت يا رسول الله لقيني عامر عزلاً فأعطيتها إياه فضحك
رسول الله ﷺ ثم قال « انك كالذي قال الأول اللهم ابغني حبيبا هو أحب إلي من نفسي » قال
ثم إن المشركين من أهل مكة راسلونا في الصلح حتى مشى بعضنا في بعض فاصطاحنا قال وكنت
خدما لطلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أسقي فرسه وأجنبه وآكل من طعامه وترك أهلي ومالي مهاجراً
إلى الله ورسوله ، فلما اصطاحنا نحن وأهل مكة واختلط بعضنا بعض أتيت شجرة فكشحت شوكتها
ثم اضطجعت في أصلها في ظلها فأناني أربعة من مشركي أهل مكة فجعلوا يقعون في رسول الله ﷺ
فأبغضتهم وتحولت إلى شجرة أخرى فعلقوا سلاحهم واضطجعوا فيها هم كذلك إذ نادى مناد من
أسفل الوادي باللهمهاجرين قتل ابن زنيم فاخترطت سببي فشددت على أولئك الأربعة وهم رقود

ابن محمد بن سفيان عن مسلم بن الحجاج ثنا يحيى بن يحيى ثنا يزيد بن زريع عن خالد عن الحكم بن
عبد الله بن الأعرج عن معقل بن بسار قال لقد رأيته يوم الشجرة والنبي ﷺ يبايع الناس وأنا
رافع غصنا من أغصانها عن رأسه ونحن أربع عشرة مائة قال لم نبايعه على الموت ولكن بابعناه على

فأخذت سلاحهم وجعلته ضغثاً في يدي ثم قلت والذي كرم وجهه محمد ﷺ لا يرفع أحد منكم رأسه إلا ضربت الذي فيه عيناه ، قال ثم جئت بهم أسوقهم إلى رسول الله ﷺ قال وجاء عمي عامر برجل من العبلات يقال له مكرز من المشركين يقوده حتى وقفنا بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين من المشركين فنظر اليهم رسول الله ﷺ وقال « دعوهم يكن لهم بدء الفجور وثناؤه » فغفا عنهم رسول الله ﷺ وأنزل الله عز وجل (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم) الآية ، وهكذا رواه مسلم عن إسحاق بن راهويه بسنده نحوه أو قرياً منه

وثبت في الصحيحين من حديث أبي عوانة عن طارق عن سعيد بن المسيب قال : كان أبي ممن بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة قال فانطلقنا من قابل حاجين فخفي علينا مكانها فان كان بيننا لكم فأنتم أعلم ، وقال أبو بكر الحليدي حدثنا سفيان حدثنا أبو الزبير حدثنا جابر رضي الله عنه قال لما دعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة وجدنا رجلاً منا يقال له الجدي بن قيس مخبئاً تحت إبط بعيره ، رواه مسلم من حديث ابن جريج عن ابن الزبير به

وقال الحليدي أيضاً حدثنا سفيان عن عمرو أنه سمع جابر رضي الله عنه قال كنا يوم الحديبية الغا وأربعائة فقال لنا رسول الله ﷺ « أنتم خير أهل الأرض اليوم » قال جابر رضي الله عنه : لو كنت أبصر لأريتكم موضع الشجرة ، قال سفيان أنهم اختلفوا في موضع آخر جاءه من حديث سفيان ، وقال الامام أحمد حدثنا يونس حدثنا الليث عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال « لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة »

وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن هارون الفلاس المحرمي حدثنا سعيد بن عمرو الأشعشي حدثنا محمد بن ثابت العبدي عن خدّاش بن عياش عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « يدخل من بايع تحت الشجرة كلهم الجنة إلا صاحب الجمل الأحمر » قال فانطلقنا نبتدّره فاذا رجل قد أضل بعيره فقلنا تعال فبايع قال أصيب بعيري أحب إلي من أن أبايع

وقال عبد الله بن أحمد حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا قرة عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « من يصعد النسيئة ثنية المزار فانه يحط عنه ما حط عن بني إسماعيل » فكان أول من صعد خيل بني الخزرج ثم تبادر الناس بعد فقال النبي ﷺ « كلّم مغفور له إلا صاحب

أن لا نفر ، قال أبو عيسى معنى الحديثين صحيح بايعه جماعة على الموت أي لا تزال تقايل بين يديك ما لم تقتل وبإيعه آخرون وقالوا لا نفر ﴿ يد الله فوق أيديهم ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما يد الله بالوفاء لما وعدهم من الخير فوق أيديهم وقال السدي كانوا يأخذون بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبايعونه ويد الله فوق أيديهم في المبايعه قال الكلبي نعمة الله عليهم في الهداية فوق ما صنعوا من

الجل الآخر « فلما نعال يستغفر لك رسول الله ﷺ قال والله لأن أجد ضالتي أحب إلي من أن يستغفر لي صاحبكم فاذا هو رجل بذشد ضالة ، رواه مسلم عن عبيد الله به
وقال ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر أ رضي الله عنه يقول أخبرني أم مبشر أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول عند حفصة رضي الله عنها « لا بدخل النار ان شاء الله تعالى من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها أحد » قالت بلى يا رسول الله فأنتم لها فقامت حفصة رضي الله عنها (وإن منكم إلا واردها) فقال النبي ﷺ « قد قال الله تعالى (ثم نتجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) » رواه مسلم ، وفيه ايضاً عن قتبية عن الأيث عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه قال : ان عبد الحاطب بن أبي بلتعة جاء يشكو حاطباً فقال يا رسول الله ليدخل حاطب النار فقال رسول الله (ص) « كذبت لا يدخلها فانه قد شهد بدرأ والحديبية » ولهذا قال تعالى في الشاء عليهم (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما) كما قال عز وجل في الآية الاخرى [لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا]

سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا ، يقولون
بالستهم ما ليس في قلوبهم ، قل فمن يملك لكم من الله شيئاً ان أراد بكم ضرأ أو أراد بكم نفعاً ؟
بل كان الله بما تعملون خبيراً (١١) بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم
أبدأ وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوماً بوراً (١٢) ومن لم يؤمن بالله ورسوله
فإننا أعتدنا للكافرين سعيراً (١٣) ولله ملك السموات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء
وكان الله عفواً رحيماً (١٤)

يقول تعالى مخبراً رسوله [ص] بما يعتذر به المخلفون من الاعراب الذين اختاروا المقام في أهليهم
وشغلهم وتركوا المسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذروا بشغلهم بذلك وسألوا أن يستغفر

البيعة (فن نكث) نقض البيعة (فانما ينكث على نفسه) عليه وباله (ومن أوفى بما عاهد عليه الله)
ثبت على البيعة (فسيؤتيه) قرأ أهل العراق فسيؤتيه بالياء ، وقرأ الآخرون بالنون (أجر أعظيما)
وهو الجنة (سيقول لك المخلفون من الاعراب) قال ابن عباس ومجاهد يعني أعراب بني غفار
ومزينة وجهينة وأشجع وأسلم وذلك ان رسول الله ﷺ حين أراد المسير الى مكة عام الحديبية
« تفسير ابن كثير والبغوي » (٦٧) « الجزء السابع »

لم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذلك قول منهم لا على سبيل الاعتقاد بل على وجه التقية والمصانعة ولهذا قال تعالى [يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا؟] أي لا يقدر أحد أن يرد ما اراده الله فيكم تعالى وتقدس وهو العليم بسرائركم وضمائركم وان صانعتونا ونافعتونا ولهذا قال تعالى [بل كان الله بما تعملون خبيراً]

ثم قال تعالى [بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً] أي لم يكن تخلفكم تخلف معذور ولا عاص بل تخلف نفاق [بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً] أي اعتقدتم أنهم يقتلون ويستأصل شافتهم وتستبيد خضر أؤم ولا يرجع منهم مخبر (وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بوراً) أي هلكى قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وغير واحد ، وقال قتادة فاسدين ، وقيل هي لغة عمان

ثم قال تعالى (ومن لم يؤمن بالله ورسوله) أي من لم يخلص العمل في الظاهر والباطن لله فان الله تعالى سيعذب في السعير وان أظهر للناس ما يعتقدون خلاف ما هو عليه في نفس الامر . ثم بين تعالى أنه الحاكم المالك المتصرف في أهل السموات والارض (يفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيماً) أي لمن تاب إليه وأتاب وخضع لديه

معتمرا استغفر من حول المدينة من الاعراب وأهل البوادي اخرجوا معه حذرا من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت فأحرم بالعمرة وساق معه الهدي ليعلم الناس انه لا يريد حربا فتشاقق عنه كثير من الاعراب وتخلفوا واعتلوا بالشغل فأنزله الله تعالى فيهم (سيقول لك المخلفون من الاعراب) يعني الذين خلفهم الله عز وجل عن صحبتك فاذا انصرفت من سفرك اليهم فعاتبهم على التخلف عنك (شفاننا أموالنا وأهلونا) يعني النساء والذراري أي لم يكن لنا من يخلفنا فيهم (فاستغفر لنا) تخلفنا عنك فكذبهم الله عز وجل في اعتذارهم فقال (يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم) من أمر الاستغفار فانهم لا يبالون استغفر لهم النبي ﷺ أو لا (قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان أراد بكم ضرا) سؤا (أو أراد بكم نفعا؟) قرأ حمزة والكسائي ضرا بضم الضاد وقرأ الآخرون بفتحها لانه قابله بالنفع والنفع ضد الضر ، وذلك انهم ظنوا ان تخلفهم عن النبي ﷺ يدفع عنهم الضر ويعجل لهم النفع بالسلامة في انفسهم وأموالهم فأخبرهم الله تعالى انه إن أراد بهم شيئا من ذلك لم يقدر احد على دفعه (بل كان الله بما تعملون خبيراً * بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً) أي ظننتم ان العدو يستأصلهم فلا يرجعون (وزين ذلك في قلوبكم) زين الشيطان ذلك الظن في قلوبكم (وظننتم ظن السوء) وذلك انهم قالوا ان محمدا وأصحابه أكلة رأس فلا يرجعون فأين تذهبون معه ؟ انتظروا ما يكون من أمرهم (وكنتم قوما بورا) هلكى لا تصلحون لخير (ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا للكافرين سعيرا * والله مالك السموات

سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا تتبعكم يريدون أن يبدلوا
كلام الله قل إن تتبعونا كذلككم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا
لا يفقهون الا قليلا (١٥)

يقول تعالى مخبرا عن الاعراب الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في عمرة الحديبية اذ ذهب
النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم إلى خيبر يفتحونها انهم يألون أن يخرجوا معهم إلى المغانم وقد
تخلفوا عن وقت محاربة الاعداء ومجالدتهم ومصابرتهم فأمر الله تعالى رسول الله [ص] أن لا يأذن
لهم في ذلك معاقبة لهم من جنس ذنبهم فان الله تعالى قد وعد أهل الحديبية بمغانم خيبر وحدثهم لا يشاركونهم
فيها غيرهم من الاعراب المتخلفين فلا يقع غير ذلك شرعا ولا قدرا ولهذا قال تعالى (يريدون أن
يبدلوا كلام الله) قال مجاهد وقتادة وجويبر وهو الوعد الذي وعد به أهل الحديبية واختاره ابن
جرير ، وقال ابن زيد هو قوله تعالى فان رجعت الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل ان يخرجوا
معي أبدا ولن يقاتلوا معي عدوا إنكم رضيتم بالعود أول مرة فاقعدوا مع الخائفين وهذا الذي قاله
ابن زيد فيه نظر لان هذه الآية التي في براءة نزلت في غزوة تبوك وهي متأخرة عن عمرة الحديبية
وقال ابن جرير [يريدون أن يبدلوا كلام الله] يعني بتشبيطهم المسلمين عن الجهاد [قل إن تتبعونا
كذلككم قال الله من قبل] أي وعد الله أهل الحديبية قبل سؤالكم الخروج معهم [فسيقولون بل

والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما * س- يقول المخلفون) يعني هؤلاء
الذين تخلفوا عن الحديبية (إذا انطلقتم) سرتهم وذهبتهم أي المؤمنون (إلى مغانم لتأخذوها) يعني
غنائم خيبر (ذرونا تتبعكم) إلى خيبر نشهد معكم قتال أهلها وذلك انهم لما انصرفوا من الحديبية
وعدهم الله فتح خيبر وجعل غنائمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضا عن غنائم أهل مكة إذا انصرفوا
عنهم على صلح ولم يصيبوا منهم شيئا

قال الله تعالى (يريدون أن يبدلوا كلام الله) قرأ حمزة والكسائي كلم الله بغير الف جمع كلمة
وقرأ الآخرون كلام الله قبل يريدون أن يغفروا مواعيد الله تعالى لأهل الحديبية بغنيمة خيبر خاصة
وقال مقاتل يعني أمر الله نبيه ﷺ أن لا يسير معه منهم أحد قال ابن زيد هو قول الله عز وجل
(فاستأذنوك للخروج فقل لن يخرجوا معي أبدا) والاول أصوب وعليه عامة أهل التأويل (قل إن تتبعونا)
إلى خيبر (كذلككم قال الله من قبل) أي من قبل مرجعنا إليكم ان غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية
ليس غيرهم فيها نصيب (فسيقولون بل تحسدوننا) أي يمنعكم الحسد من أن نصيب معكم الغنائم

نحسدوننا [أي ان نشر كسكم في الغمام] بل كانوا لا يفتقون إلا قليلا [أي ليس الامر كما زعموا ولكن لانهم لهم

قل للخلفين من الاعراب ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقتلونهم أو يسلمون

فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما (١٦)

ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله

ورسوله يدخله جننت تجري من تحتها الانهر ومن يتول يعذب به عذابا أليما (١٧)

اختلاف المفسرون في هؤلاء القوم الذين يدعون اليهم الذين هم أولو بأس شديد على أقوال (أحدها) أنهم هوازن رواه شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير أو عكرمة أو جميعا ورواه هشيم عن أبي بشر عنها وبه يقول قتادة في رواية عنه

[الثاني] ثقيف قاله الضحاك [الثالث] بنو حنيفة قاله جوير ورواه محمد بن إسحاق عن الزهري وروى مثله عن سعيد وعكرمة (الرابع) هم أهل فارس رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنها وبه يقول عطاء ومجاهد وعكرمة في إحدى الروايات عنه ، وقال كعب الاحبار هم الروم وعن ابن أبي ليلى وعطاء والحسن وقاتدة هم فارس والروم ، وعن مجاهد هم أهل الاوثان وعنه أيضا هم رجال أولو بأس شديد ولم يعين فرقة وبه يقول ابن جريج وهو اختيار ابن جرير

وقال ابن أبي حاتم حدثنا الأشج حدثنا عبد الرحمن بن اسحاق القواريري عن معمر عن الزهري في قوله تعالى [ستدعون الى قوم أولي بأس شديد] قال لم يأت أولئك بعد وحدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن ابن أبي خالدة عن أبيه عن أبي هريرة [رض] في قوله تعالى [ستدعون الى قوم أولي بأس شديد] قال هم البارزون

قال وحدثنا سفيان عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي [ص] قال « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما صغار الاعين ذاف الانوف كأن وجوههم المجان المطرقة »

﴿ بل كانوا لا يفتقون ﴾ لا يعلمون عن الله ما لهم وعليهم من الدين ﴿ الا قليلا ﴾ منهم وهو من صدق الله والرسول ﴿ قل للخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم أولي بأس شديد ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وعطاء ، هم أهل فارس وقال كعب هم الروم وقال الحسن فارس والروم وقال سعيد بن جبير هوازن وثقيف وقال قتادة هوازن وغطفان يوم حنين وقال الزهري ومقاتل وجماعة هم بنو حنيفة أهل البجامة أصحاب مسيلمة الكذاب قال رافع بن خديج كنا نقرأ هذه الآية ولا نعلم من هم حتى

قال سفيانهم الترك قال ابن أبي عمرو وجدت في مكان آخر حدثنا ابن أبي خالد عن أبيه قال نزل علينا أبو هريرة [رض] ففسر قول رسول الله ﷺ « تقاتلون قوما نعلمهم الشعر » قال هم البارزون يعني الأكراد

وقوله تعالى (تقاتلونهم أو يسلمون) يعني شرع لكم جهادهم وقتالهم فلا يزال ذلك مستمرا عليهم ولكم النصرة عليهم أو يسلمون فيدخلون في دينكم بلا قتال بل باختيار . ثم قال عز وجل (فان تطيعوا) أي نستجيبوا وتنفروا في الجهاد وتؤدوا الذي عليكم فيه (يؤتكم الله أجرا حسنا وان تتولوا كما توأبتم من قبل) يعني زمن الحديبية حيث دعيتهم فخلفتم (يعذبكم عذابا أليما) ثم ذكر تعالى الأعذار في ترك الجهاد فمنها لازم كالعمى والعرج المستمر وعارض كالمرض الذي يطرأ أليما ثم يزول فهو في حال مرضه ملحق بذوي الأعذار اللازمة حتى يبرأ ثم قال تبارك وتعالى مرغبا في الجهاد وطاعة الله ورسوله (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتول) أي ينكل عن الجهاد ويقبل على المعاش (يعذبهم الله عذابا أليما) في الدنيا بالمدلة وفي الآخرة بالنار والله تعالى أعلم .

لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة

عليهم وأثنى عليهم فتحا قريبا (١٨) ومنعناهم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما (١٩)
يخبر تعالى عن رضاه عن المؤمنين الذين بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة وقد تقدم ذكر عندهم وأنهم كانوا ألفا وأربعمائة وأن الشجرة كانت سمرة بأرض الحديبية
قال البخاري حدثنا محمود حدثنا عبيد الله عن إسرائيل عن طارق بن عبد الرحمن رضي الله عنه

دعا أبو بكر إلى قتال بني حنيفة فعلمنا أنهم هم وقال ابن جريج دعاهم عمر رضي الله عنه إلى قتال فارس وقال أبو هريرة لم يأت تأويل هذه الآية بعد (تقاتلونهم أو يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا) يعني الجنة (وان تتولوا) تعرضوا (كما توأبتم من قبل) عام الحديبية (يعذبكم عذابا أليما) وهو النار فلما نزلت هذه الآية قال أهل الزمالة كيف بنا يا رسول الله فأنزل ؟ الله تعالى (ليس على الأعمى حرج) يعني في التخلف عن الجهاد (ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج * ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتول يعذبهم الله عذابا أليما)

قرأ أهل المدينة والشام ندخله ونعذبهم بالنون فيهما وقرأ الآخرون بالياء لقوله (ومن يطع الله ورسوله) (لقد رضي عن المؤمنين إذ يبايعونك) بالحديبية على أن ينجزوا قربشا ولا يفرؤا (تحت الشجرة) وكانت سمرة قال سعيد بن المسيب حدثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة قال فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله

٥٣٤ هـ رضا الله عن المؤمنين الذين بايعوا النبي (ص) تحت الشجرة (نفسيرا ابن كثير والبغوي)

قال انطلقت حاجا فررت بقوم يصلون فقلت ما هذا المسجد ؟ قالوا هذه الشجرة حيث بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان فأتيت سعيد بن المسيب فأخبرته فقال سعيد حدثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة قال فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها فقال سعيد إن أصحاب محمد ﷺ لم يعلموها وعلمتموها أنتم فأنتم أعلم

وقوله تعالى (فعلم ما في قلوبهم) أي من الصدق والوفاء والسمو والطاعة : فأزل السكينة إلهي الطمأنينة (عليهم وأثابهم فتحا قريبا) وهو ما أجرى الله عز وجل على أيديهم من الصلح بينهم وبين أعدائهم وما حصل بذلك من الخير العام المستمر المتصل بفتح خيبر وفتح مكة ثم فتح سائر البلاد والاقليم عليهم وما حصل لهم من العز والنصر والرفعة في الدنيا والآخرة ولهذا قال تعالى (ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيماً)

عنه مر بذلك المكان بعد ان ذهبت الشجرة فقال ابن كانت ؟ فجعل بعضهم يقول ههنا وبعضهم ههنا فلما كثر اختلافهم قال سبروا قد ذهبت الشجرة

أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد ابن اسمعيل ثنا علي بن عبد الله ثنا سفيان قال عمرو سمعت جابر بن عبد الله قال قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية « أنتم خير أهل الارض » وكنا ألفاً وأربع مائة لو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان عن مسلم بن الحجاج ثنا محمد بن حاتم ثنا حجاج عن ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابرا يسئل كم كانوا يوم الحديبية قال كنا أربع عشرة مائة فبايعناه وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة فبايعناه غير جد بن قيس الانصاري اختبأ تحت بطن بعيره

وروى سالم عن جابر قال كنا خمس عشرة مائة وقال عبد الله بن أبي أوفى كان أصحاب الشجرة ألفاً وثلاثمائة وكانت اسلم ثمن المهاجرين . وكان سبب هذه البيعة على ما ذكره محمد بن اسحاق عن أهل العلم ان رسول الله ﷺ دعا خراش بن أبي أمية الخزاعي حين نزل الحديبية فبعثه الى قريش بمكة وحمله على جمل له يقال له الثعاب ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له ففعلوا به جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله فننعتة الاحابيش فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب لبيعه الى مكة فقال يا رسول الله إني أخاف قريشا على نفسي وليس بمكة من بنى عدي بن كعب أحد بمنعني وقد عرفت قريش عداوتي اياها وغلظتي عليها ولكن أدلك على رجل هو أعز بها مني عثمان بن عفان فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم انه لم يأت للحرب وانما جاء زائراً لهذا البيت معظما لحرمة فخرج عثمان الى مكة فلقاه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فزله عن دابته وحمله

قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان حدثنا عبيد الله بن موسى يعني ابن عبيدة حدثني إياس بن سلمة عن أبيه قال : بينما نحن قائلون إذ نادى منادي رسول الله ﷺ أيها الناس البيعة البيعة نزل روح القدس قال ففرنا إلى رسول الله ﷺ وهو تحت شجرة سمرة فبايعناه فذلك قول الله تعالى (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) قال فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان رضي الله عنه باحدى يديه على الاخرى فقال الناس هنيئا لابن عفان يطوف بالبيت ونحن همنا فقال رسول الله ﷺ « لو مكث كذا وكذا سنة ما طاف حتى أطوف »

وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فمجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما (٢٠) وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديرا (٢١) ولو قتلتم الذب كفروا ولو لا الابرثم لا يمدون وليا

بين يديه ثم أردفه وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو سفيان وعظما قرش لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت أن تطوف بالبيت فطاف به ، قال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتبسته قرش عندها فبلغ رسول الله (ص) والمسلمين أن عثمان قد قتل فقال رسول الله (ص) « لا نبرح حتى نناجز القوم » ودعا الناس الى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة وكان الناس يقولون بايعهم رسول الله (ص) على الموت قال بكر بن الاشج بإيموه على الموت فقال رسول الله (ص) « بل على ما استطعتم » وقال جابر بن عبد الله ومعتل بن يسار لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على أن لا نفر فكان أول من بايع بيعة الرضوان رجلا من بني أسد يقال له أبو سنان بن وهب ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها الاجد بن قيس أخو بني سلمة قال جابر إكأنني أنظر اليه لاصفا بابط ناقة مستترا بها من الناس ثم أتى رسول الله وسلم ان الذي ذكر من أمر عثمان باطل

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الذهلي أخبرني الحسين بن محمد بن فنجويه ثنا علي ابن احمد بن نصر بن فنجويه ثنا أبو عمران موسى بن سهل بن عبد الحميد الجوني ثنا محمد بن ربح ثنا الليث ابن سعد عن أبي الزبير عن جابر عن رسول الله (ص) انه قال « لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجر قوله عز وجل (فعلم ما في قلوبهم) من الصدق والوفاء (فأنزل السكينة) الطمأنينة والرضا (عليهم وأنابهم فتحا قريبا) يعني فتح خيبر (ومغانم كثيرة يأخذونها) من أموال يهود خيبر وكانت خيبر ذات عقار وأموال فاقسمها رسول الله (ص) بينهم (وكان الله عزيزا حكيم) وعدمكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) وهي الفئوح التي تفتح لهم الى يوم القيامة (فعجل لكم هذه) يعني خيبر

ولا نصير آ (٢٢) سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تبدل سنة الله أبدياً (٢٣) وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيراً (٢٤)

قال مجاهد في قوله تعالى (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) هي جميع المغانم إلى اليوم (فعجل لكم هذه) يعني فتح خيبر ، وروى العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما (فعجل لكم هذه) يعني صلح الحديبية ، وكف أيدي الناس عنكم (أي لم ينلكم سوء مما كان أعداؤكم أضمره لكم من المحاربة والقتال ، وكذلك كف أيدي الناس عنكم الذين خلفتموهم وراء ظهوركم عن عيالكم وحريكم) (ولتكون آية للمؤمنين) أي يعتبرون بذلك فإن الله تعالى حافظهم ونصرهم على سائر الأعداء مع قلة عددهم وليعلموا بصنيع الله هذا بهم أنه العالم بمواقب الأمور وأن الحيرة فيما يختاره لعباده المؤمنين وأن كرهه في الظاهر كما قال عز وجل [وعسى أن نكرهوا شيئاً وهو خير لكم - ويهديكم صراطاً مستقيماً] أي بسبب انقيادكم لأمره واتباعكم طاعته وموافقتكم رسول الله ﷺ وقوله تبارك وتعالى (وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديراً)

(وكف أيدي الناس عنكم) وذلك أن النبي (ص) لما قصد خيبر وحاصر أهلها هت قبائل من بني أسد وغطفان أن يفتروا على عيال المسلمين وذرائعهم بالمدينة فكف الله أيديهم بالقاء الرعب في قلوبهم وقيل كف أيدي الناس عنكم يعني أهل مكة بالصلح (ولتكون) كفهم وسلامتهم (آية للمؤمنين) على صدقك وبعلموا أن الله هو المتولي حياتهم وحراستهم في مشيهم ومنازلهم (ويهديكم صراطاً مستقيماً) يثبتكم على الإسلام ويزيدكم بصيرة ويقينا بصلح الحديبية وفتح خيبر وذلك أن رسول الله (ص) لما رجع من الحديبية أقام بالمدينة بقية ذي الحجة وبعض المحرم ثم خرج في بقية المحرم سنة سبع إلى خيبر

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا قتبية بن سعيد ثنا إسماعيل بن جعفر عن حميد عن أنس بن مالك أن النبي (ص) كان إذا غزا بنا قوما لم يكن يفزو بنا حتى يصبح وينظر إليهم فإن سمع أذاناً كف عنهم وإن لم يسمع أذاناً أغار عليهم قال فخرجنا إلى خيبر فاتتهينا إليهم ليلاً فلما أصبح ولم يسمع أذاناً ركب وركبت خلف أبي طلحة وإن قدي لمس قدم النبي (ص) قال فخرجوا إلينا بمكاتلهم ومساحيقهم فلما رأوا النبي (ص) قالوا الحمد لله محمد والحجيس فلجأوا إلى الحصن فلما رأى رسول الله (ص) قال الله أكبر الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد القاهر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم ابن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي أنا أبو علي الحنفي ثنا عبد الله

أي وغنيمة أخرى وفتح آخر معين لم تكونوا تقدر علىها قد بسرها الله عليكم وأحاط بها لكم فانه تعالى برزق عباده المتقين له من حيث لا يحتسبون ، وقد اختلف المفسرون في هذه الغنيمة فاما المراد بها فقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما هي خيبر وهذا على قوله في قوله عز وجل (فعجل لكم هذه) انها صلح الحديبية ، وقاله الضحاك وابن اسحاق وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وقال قتادة هي مكة واختاره ابن جرير ، وقال ابن أبي ليلى والحسن البصري هي فارس والروم ، وقال مجاهد هي كل فتح وغنيمة إلى يوم القيامة

وقال أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن سماك الحنفي عن ابن عباس رضي الله عنهما (وأخرى لم تقدر علىها قد أحاط الله بها) قال هذه الفتوح التي تفتح إلى اليوم وقوله تعالى (ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الاديبار ثم لا يجدون ولياً ولا نصيراً) يقول عز وجل مبشراً لعباده المؤمنين بأنه لو ناجزهم المشركون لنصر الله رسوله وعباده المؤمنين عليهم ولا يهزم جيش الكفر فاراً مدبراً لا يجد ولياً ولا نصيراً لأنهم محاربون لله ولرسوله ولجبه المؤمنين

ابن عبد المجيد ثنا عكرمة بن عمار ثنا اياس بن سلمة حدثني أبي قال خرجنا الى خيبر مع رسول الله (ص) قال فجعل عبي يرنجز بالقوم شعرا

تالله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

ونحن عن فضلك ما استغنينا فثبت الاقدام إن لاقينا

وأزلن سكة علينا ان الألى قد بغوا علينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا ؟ قال أنا عامر قال غفر لك ربك قال وما استغفر رسول الله (ص) لانيسان يخصه الا استشهد قال فنأدى عمر بن الخطاب وهو على جمل له يأنبي الله لولا متعتنا بعامر قال فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم مرحب بخطر بسيفه يقول شعرا قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب اذا الحروب أقبلت تلتهب قال وبرز له عبي عامر فقال

قد علمت خيبر أني عامر شاكي السلاح بطل مغامر

قال فاختلفا ضربين فوق سيف مرحب في ترس عامر وذهب عامر بسفل له فرجع سيفه على نفسه فقطع ا كحلته وكانت فيها نفسا قال سلمة فخرجت فاذا نفر من أصحاب النبي [ص] يقولون بطل عمل عامر قتل نفسه فأنيث النبي [ص] وأنا أبكي فقلت يا رسول الله بطل عمل عامر قتل نفسه قال رسول الله ﷺ « من قال ذلك ؟ » قال قلت ناس من أصحابك ، قال « كذب من قال ذلك ، بل له أجره مرتين » ثم أرساني الى علي رضي الله عنه وهو أرمد فقال « لا أعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله » قال فأنيث علياً رضي الله عنه فنجت به أقرده وهو أرمد حتى أنيث به

ثم قال تبارك وتعالى (سنة الله التي قد خلت من قبل ولن نجد لسنة الله تبديلاً) أي هذه سنة الله وعادته في خلقه : ما تقابل الكفر والايان في موطن فيصل إلا نصر الله الايمان على الكفر ورفع الحق ووضع الباطل ، كما فعل تعالى يوم بدر بأوليائه المؤمنين نصرهم على أعدائه من المشركين مع قلة عدد المسلمين وعددهم وكثرة المشركين وعددهم

وقوله سبحانه وتعالى (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيراً) هذا امتنان من الله تعالى على عباده المؤمنين حين كف أيدي المشركين عنهم فلم يصل اليهم منهم سوء وكف أيدي المؤمنين عن المشركين فلم يقاتلوه عند المسجد الحرام بل صان كلا من الفريقين وأوجد بينهم صلحاً فيه خيرة للمؤمنين وعافية لهم في الدنيا والآخرة ، وقد تقدم في حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه حين جاءوا بأولئك السبعين الاساري فأوثقهم بين يدي رسول الله ﷺ فنظر اليهم فقال «أرسلوهم يكن لهم بدء الفجور وثناؤه» قال وفي ذلك أنزل الله عز وجل [وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم] الآية

رسول الله ﷺ فبصق في عينه فبرأ وأعطاه الراية وخرج مرحب به قد علمت خير أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب اذا الحروب أقبلت تلب فقال علي رضي الله عنه أنا الذي سمعتني أمي حيدره كاث غابات كربه المنظرة أوفيههم بالصاع كيل السندره قال فضرب رأس مرحب فقتله ، ثم كان الفتح على يديه ، وروى حديث خير جماعة سهل بن سعد وأنس وأبو هريرة يزيدون وينقصون ، وفيه أن رسول الله ﷺ كان قد أخذته الشقيقة فلم يخرج إلى الناس فأخذ أبو بكر رضي الله راية رسول الله ﷺ ثم نهض فقاتل قتالا شديداً ثم رجع فأخذها هو رضي الله عنه فقاتل قتالا شديداً هو أشد من القتال الاول ثم رجع فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال «لا عطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه» فدعا علي ابن أبي طالب فأعطاه إياها وقال له «امش ولا تلفت حتى يفتح الله عليك» فأتى مدينة خيبر ، فخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مغفر وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه وهو يرتجز ، فبرز اليه علي فصر به فقد الحجر والبيضة والمغفر وقلق رأسه حتى أخذ السيف في الاضراس ، ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر وهو يرتجز فخرج اليه الزبير بن العوام فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب أيقتل ابني يا رسول الله قال «لا» بل ابنك يقتله ان شاء الله ثم التقيا فقتله الزبير ، ثم لم يزل رسول الله ﷺ يفتح الحصون ويقتل المتانلة ويسبي القرية ويحوز الاموال : قال محمد بن اسحاق وكان أول حصونهم افتتح حصن ناعم وعنده قتل محمود بن مسلمة ألفت عليه اليهود حجراً فقتله : ثم فتح العموص حصن ابن أبي الحقيق فأصاب منه سبايا منهم صفية بنت حبي بن أخطب جاء بلال بها وبأخرى معها فمر

وقال الامام أحمد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا حماد عن ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال لما كان يوم الحديبية هبط على رسول الله ﷺ وأصحابه ثمانون رجلا من أهل مكة بالاسلح من قبل جبل التنعيم يريدون غرة رسول الله ﷺ فدعا عليهم فأخذوا قال عفان فعفا عنهم ونزلت هذه الآية [وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم] ورواه مسلم وأبو داود في سننه والترمذي والنسائي في التفسير من سننهما من طرق عن حماد بن سلمة به وقال أحمد أيضا حدثنا زيد بن الحباب حدثنا الحسين بن واقد حدثنا ثابت البناني عن عبد الله ابن مغفل المزني [رض] قال كنا مع رسول الله ﷺ في أصل الشجرة التي قال الله تعالى في القرآن وكان يقم من أغصان تلك الشجرة على ظهر رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وسهيل ابن عمرو بين يديه فقال رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فأخذ

بهما على قتلى من قتلى يهود فلما رأتهم التي مع صفية صاحت وصكت وجهها وحشت التراب على رأسها فلما رآها رسول الله ﷺ قال « أعزبوا عني هذه الشيطانة وأمر بصفية فحيزت خلفه وألقى عليها رداة فعرف المسلمون ان رسول الله ﷺ اصطفاها لنفسه ، وقال رسول الله ﷺ لبلال لما رأى من تلك اليهودية ما رأى « أنزعت منك الرحمة يا بلال حيث تمر بامرأتين على قتلى رجالهما ؟ » وكانت صفية قد رأت في المنام وهي عروس بكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ان القمر وقع في حجرها فعرضت رؤياها على زوجها فقال ما هذا الا انك تمنين ملك الحجاز محمدا ، فلطم وجهها الطمة اخضرت عينها منها فأني رسول الله ﷺ بها وبها أثر منها فسألها ما هو فأخبرته هذا الخبر ، وأني رسول الله ﷺ يزوجها كنانة بن الربيع وكان عنده كنز بني النضير فسأله فجحدته أن يكون بعلم مكانه فأني رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم برجل من اليهود فقال لرسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم اني قد رأيت كنانة بطوف بهذه الخربة كل غداة فقال رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم لكنانة « رأيت ان وجدناه عندك أنفلك » قال نعم : فأمر رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم بالخربة فحيزت فأخرج منها بعض كنزهم ثم سأله ما بقي فأني ان يؤديه فأمر رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام فقال عذبه حتى تستاصل ما عنده فكان الزبير يقدح بزند في صدره حتى أشرف على نفسه ثم دفعه رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم إلى محمد بن مسلمة فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة

أخبرنا عبد الواحد المليحي انا أحمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا يعقوب بن إبراهيم ثنا بن علي ثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس ان رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم غزا خيبر فصلينا عندها صلاة الغداة بغلس فركب رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم وركب أبو طلحة وأنس وديف أبي طلحة فأجرى نبي الله ﷺ صلى الله عليه وسلم في زقاق خيبر وان ركبتني أنس فخذني الله ثم أحسر الأزار عن فخذته حتى اني لا نظار الى يداي فخذ نبي الله ﷺ صلى الله عليه وسلم فلما دخل القرية قال

سهيل بيده وقال ما نعرف الرحمن الرحيم أكتب في قضيتنا ما نعرف فقال « اكتب باسمك اللهم - وكتب - هذا ما صالح عليه محمد رسول الله أهل مكة » فأمسك سهيل بن عمرو بيده وقال لقد ظلمناك إن كنت رسوله اكتب في قضيتنا ما نعرف فقال « اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله » فبينما نحن كذلك إذ خرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم رسول الله ﷺ فأخذ الله تعالى بأجمعهم فقمنا اليهم فأخذناهم فقال رسول الله ﷺ « هل جئتم في عهد أحد؟ أو هل جعل لكم أحد أمانا؟ » فقالوا لا نغلي سبيلهم فأثرل الله تعالى [وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم بطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم] الآية رواه النسائي من حديث حسين بن واقد به

وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب القمي حدثنا جعفر عن ابن أبي عمير قال لما خرج النبي ﷺ بالهدى وانتهى إلى ذي الحليفة قال له عمر [رض] يا نبي الله تدخل على قوم لك حرب

« الله أكبر خربت خيبر أنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » قالها ثلاثا قال وخرج القوم إلى أعمالهم فقالوا محمد قاله عبد العزيز وقال بعض أصحابنا والخيم يعني الجيش قال فأصابتها عنوة فجمع السبي فجاء دحية فقال يا نبي الله أعطني جارية من السبي قال « اذهب فخذ جارية فاخذ » صفية بنت حبي فجاء رجل إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله أعطيت دحية صفية بنت حبي سيدة قريظة والنضير لا تصلح إلا لك ، قال « ادعوه بها » فجاء بها فلما نظر إليها النبي صلى الله عليه وسلم قال « خذ جارية من السبي غيرها » قال فاعتقها النبي صلى الله عليه وسلم وتزوجها فقال له ثابت يا أبا حمزة ما أصدقها قال نفسها أعتقها فتزوجها حتى إذا كان بالطريق جزتها له أم سليم فأهدتها له من الليل فأصبح النبي صلى الله عليه وسلم عروسا فقال من كان عنده شيء فليجيء به وبسط نطعا فجعل الرجل يجيء بالتمر وجعل الآخر يجيء بالسمن قال وأحسبه قد ذكر السويق قال فحاسوا حيسا فكانت ولبة رسول الله صلى الله عليه وسلم

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد ابن إسماعيل ثنا موسى بن إسماعيل ثنا عبد الواحد الشيباني قال سمعت ابن أبي أوفى يقول أصابتنا مجاعة لبالي خيبر فلما كان يوم خيبر وقعنا في الحر الأهلية فانتحرناها فلما غلت القدور نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكفوا القدور ولا تطعموا من لحوم الحرشينا ، قال عبد الله بن عباس قتلنا إنما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عنها لأنها لم تخمس ، وقال آخرون حرما البتة وسألت عنها سعيد بن جبير فقال حرما البتة

أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا يحيى بن حبيب الحارثي أنا خالد بن الحارث ثنا شعبه عن هشام ابن يزيد عن أنس أن امرأة يهودية أتت رسول الله بشاة مسمومة فأكل منها فجيء بها إلى رسول

بغير سلاح ولا كراع قال فبعث ﷺ إلى المدينة فلم يدع فيها كراعا ولا سلاحا إلا حملة فلما دنا من مكة منعوه أن يدخل فصار حتى أتى منى فزحل بمنى فأناه عينه أن عكرمة بن أبي جهل قد خرج عليك في خمائة فقال لخالد بن الوليد رضي الله عنه « يا خالد هذا ابن عمك قد أنك في الخيل » قال خالد رضي الله عنه أنا سيف الله وسيف رسوله فيومئذ سمي سيف الله فقال يارسول الله ابعثن أبن شئت فبعثه على خيل فلقي عكرمة في الشعب فهزمه حتى أدخله حيطان مكة ثم عاد في الثانية فهزمه حتى أدخله حيطان مكة ثم عاد في الثالثة فهزمه حتى أدخله حيطان مكة فأنزله الله تعالى [وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة — إلى قوله تعالى — عذابا أليما] قال فكف الله عز وجل النبي ﷺ عنهم من بعد أن أظفروا عليهم لبقايا من المسلمين كانوا أبقوا فيها كراهية أن تطأهم الخيل ورواه ابن أبي حاتم عن ابن أبيزى بنحوه وهذا السياق فيه نظر فإنه لا يجوز أن يكون أيام الحديبية

الله ﷺ فسألها عن ذلك فقالت أردت أن أقذك قال « ما كان الله ليسلطك على ذلك — أو قال علي » قالوا ألا تقتلها يارسول الله قال « لا » وتجاوز عنها رسول الله ﷺ قال فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله (ص) وقال محمد بن اسمعيل قال يونس عن الزهري قال عروة قالت عائشة كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بنخير فهذا أو ان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل أنا محمد بن بشار أنا حرمي أنا شعبة قال أخبرني عمارة عن عكرمة عن عائشة قالت لما فتحت خيبر قلنا الآن نشيع من التمر . أنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أحمد بن المقدم ثنا فضيل بن سليمان ثنا موسى بن عقبة أخبرني نافع عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز وكان رسول الله ﷺ لما ظهر على أهل خيبر أراد أن يخرج اليهود منها وكانت الأرض حين ظهر عليها لله ولرسوله والمسلمين فسأل اليهود رسول الله ﷺ أن يتركهم على أن يكفوا العمل ولم نصف التمر فقال رسول الله ﷺ « نترككم على ذلك ما شئنا » فأقروا حتى أجلام عمر في أمارته إلى تبا . وأربحاء . قال محمد بن إسحاق فلما سمع أهل فدك بما صنع رسول الله ﷺ بنخير بعثوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يسيرهم ويحقن لهم دماءهم ويخلوا له الأموال ففعل ثم إن أهل خيبر سألوا رسول الله ﷺ أن يعاملهم الأموال على النصف ففعل على أنا إذا شئنا أخرجنكم فصالحه أهل فدك على مثل ذلك فكانت خيبر للمسلمين وكانت فدك خالصة لرسول الله ﷺ لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا راكب فلما اطمان رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية وقد سألت أي عضو من الشاة أحب إلى رسول الله (ص) فقيل لها الذراع فأكرت فيها السم وسمت سائر الشاة ثم جاءت بها فلما وضعتها

لأن خالداً [رض] لم يكن أسلم بل قد كان طليعة المشركين يومئذ كما ثبت في الصحيح ولا يجوز أن يكون في عمرة القضاء لأنهم قاضوه على أن يأتي في العام القابل فيعتمر ويقيم بمكة ثلاثة أيام ولما قدم ﷺ لم يمانعوه ولا حاربوه ولا قاتلوه ، فإن قيل فيكون يوم الفتح فالجواب ولا يجوز أن يكون يوم الفتح لأنه لم يسق عام الفتح هدياً وإنما جاء محارباً مقاتلاً في جيش عرهم فهذا السياق فيه خلل وقد وقع فيه شيء فليتأمل والله أعلم

وقال ابن إسحاق : حدثني من لا أتهم عن عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنه قال إن قريشاً بعثوا أربعين رجلاً منهم أو خمسين وأمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله ﷺ ليصيروا من أصحابه أحداً فأخذوا أخذاً فأني بهم رسول الله ﷺ فمعا غنمهم وخلي سبيلهم وقد كانوا رموا إلى عسكر

بين يدي رسول الله (ص) تناول الذراع فأخذها فلاك منها مضغاً فلم يسفها ومعه بشر بن البراء ابن معرور وقد أخذ منها كما أخذ رسول الله (ص) فأما بشر فأساغها وأما رسول الله (ص) فلفظها ثم قال « إن هذا العضو ليخبرني أنه مسموم ثم دعا بها فاعترفت فقال « ما حلاك على ذلك ؟ » قالت بلغت من قومي ما لم يخف عليك فقلت إن كان ملكاً استرحمت منه وإن كان نبياً فسيخبر عنها فتجاوز عنها رسول الله (ص) . ومات بشر بن البراء من أكلته التي أكل . قال ودخلت أم بشر بن البراء على رسول الله (ص) تعودته في مرضه الذي توفي فيه « فقال يا أم بشر ما زالت أكلة خيبر التي أكلت بخيبر مع ابنك تعادني فهذا وإن انقطع أبيري » وكان المسلمون يرون أن رسول الله (ص) مات شهيداً مع ما أكرمه الله من النبوة

قوله عز وجل ﴿ وأخرى لم تقدرُوا عليها ﴾ أي وعدكم الله فتح بلدة أخرى لم تقدرُوا عليها ﴿ قد أحاط الله بها ﴾ حتى يفتحها لكم كأنه حفظها لكم ومنعها من غيركم حتى تأخذوها قال ابن عباس علم الله أنه يفتحها لكم واختلفوا فيها فقال ابن عباس والحسن ومقاتل هي فارس والروم وما كانت العرب تقدر على قتال فارس والروم بل كانوا خولاً لهم حتى قدرُوا عليها بالاسلام وقال الضحاك وابن زيد هي خيبر وعدها الله نبيه ﷺ قبل أن يصيبها ولم يكونوا يرجونها وقال قتادة هي مكة وقال عكرمة حنين وقال مجاهد ما فتحوا حتى اليوم ﴿ وكان الله على كل شيء قديراً ﴾ ولو قاتلكم الذين كفروا ﴿ يعني أسد وغطفان وأهل خيبر ﴾ لولوا الأبادر ﴿ لأنهم موا ﴾ ثم لا يجدون وإيا ولا نصيراً ﴿ سنة الله التي قد خلت من قبل ﴾ أي كسنة الله في نصر أوليائه وقهر أعدائه ﴿ ولن تجد لسنة الله تبديلاً ﴾

قوله عز وجل ﴿ وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم بطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيراً ﴾ قرأ أبو عمرو بالبلاء وقرأ الآخرون بالياء واختلفوا في هؤلاء . أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن

رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجارة والنبل . قال ابن إسحاق وفي ذلك أنزل الله تعالى (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم) الآية

وقال قتادة ذكر لنا أن رجلا يقال له ابن زنيم اطعم على الثنية من الحديدية فرماه المشركون بهم فقتلوه فبعث رسول الله ﷺ خيلا فأنوه بأني عشر من الكفار فقال لهم « هل لكم علي عهد ؟ هل لكم علي ذمة ؟ » قالوا لا فأرسلهم وأنزل الله تعالى في ذلك (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم) الآية

هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفاً أن يبلغ محله ، ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطوؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء ، لو تزيلوا لعدبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما (٢٥) إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها ، وكان الله بكل شيء عليما (٢٦)

يقول تعالى مخبرا عن الكفار من مشركي العرب من قريش ومن مالا ثم على نصرتهم على رسول الله ﷺ (هم الذين كفروا) أي هم الكفار دون غيرهم (وصدوكم عن المسجد الحرام) أي وأنتم

محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا عمر بن محمد الناقد ثنا يزيد بن هارون أنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنهم أن ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على رسول الله ﷺ من جبل التنعيم متسلحين يريدون غدر النبي ﷺ وأصحابه فأخذوا سبائا فاستعجابهم وأنزل الله عز وجل هذه الآية [وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم بطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم] وقال عبد الله بن مغفل المزني كنا مع النبي ﷺ بالحديدية في أصل الشجرة التي قال الله تعالى في القرآن وعلى ظهره غصن من أغصان تلك الشجرة فرفعه عن ظهره وعلي بن أبي طالب بين يديه يكتب كتاب الصلح فخرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم نبي الله ﷺ فأخذ الله بأبصارهم فقمنا إليهم فأخذناهم فقال لهم رسول الله ﷺ « جنتم في عهد أحد أو جعل لكم أحد أمانا ؟ » فقالوا اللهم لا فخلى سبيلهم فأنزل الله عز وجل هذه الآية

قوله عز وجل (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام) الآية روى الزهري عن عروة ابن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحسك قال خرج رسول الله ﷺ من المدينة زمن الحديدية في بضع عشرة مائة من أصحابه يريدون زيارة البيت لا يريد قتالا وساق معه سبعين بدنة والناس سبعائة رجل وكانت كل بدنة عن عشرة نفر فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدى وأشعره وأحرم

أحق به وأنتم أهله في نفس الامر (والهدي معكوفاً أن يبلغ محله) أي رصدوا الهدى أن يصل إلى محله وهذا من بغيتهم وعنادهم وكان الهدى سبعين بدنة كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى وقوله عز وجل [ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات] أي بين أظهرهم ممن يكنتم إيمانهم وبخفيه منهم خيفة على أنفسهم من قومهم لكننا ساطناكم عليهم فقتلتهم وأبدتم خضراءهم ولكن بين افنائهم من المؤمنين والمؤمنات أقوام لا نعرفونهم حالة القتل ولهذا قال تعالى [لم تعلموهم أن تطؤوهم فتصديكم منهم معرفة] أي أتم وغرامة [بغير علم يدخل الله في رحمته من يشاء] أي يؤخر عقوبتهم ليخلص من بين أظهرهم المؤمنين وليرجع كثير منهم إلى الاسلام

ثم قال تبارك وتعالى [لو تزيلوا] أي لو تميز الكفار من المؤمنين الذين بين أظهرهم [لهدبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً] أي لسلطناكم عليهم فقتلتهم وهم قتلا ذريعاً

قال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا أبو الزباع روح بن الفرج حدثنا عبد الرحمن بن أبي عباد المكي حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن سعيد مولى بني هاشم حدثنا جبر بن خلف قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول سمعت جنيد بن سبيع يقول قاتلت رسول الله ﷺ أول النهار كافراً وقاتلت معه آخر النهار مسلماً وفيما نزلت [ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات] قال كنا تسعة نفر سبعة رجال وامرأتين ثم رواء من طريق أخرى عن محمد بن عباد المكي به وقال فيه عن أبي جمعة جنيد بن سبيع فذكره والصواب أبو جعفر حبيب بن سباع ، ورواه ابن أبي حاتم من حديث جبر بن خلف به وقال كنا ثلاثة رجال وتسع نسوة وفيما نزلت [ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات]

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن اسماعيل البخاري حدثنا عبد الله بن عثمان بن جبلة عن أبي حمزة عن عطاء عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى

منها بعرة وبعث عينا له من خزاعة يخبره عن قريش وسار النبي ﷺ حتى كان بغدير الاشطاط قريبا من عسفان أتاه عتبة الخزاعي وقال ان قريشا جمعوا لك جموعا وقد جمعوا لك الاحابيش وهم مقاتلون وصادوك عن البيت فقال النبي ﷺ « أشيروا علي أيها الناس » آرون أن أميل على ذراري هؤلاء الذين عاونوهم فتصديهم فان قعدوا قعدوا موتورين وان نجوا تكن عنقا قطعها الله ، أو ترون أن نؤم البيت فن صدنا عنه قاتلناه » فقال أبو بكر يا رسول الله إنما خرجت عامدا لهذا البيت لا تريد قتال أحد ولا حربا فتوجه له فن صدنا عنه قاتلناه قال « امضوا على اسم الله » فنفذوا قال النبي ﷺ « ان خالد بن الوليد بالغيم في خيل قريش طليعة فخذوا ذات اليمين » فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقرة الجيش فانطلق بركض فذيرا لقريش وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بالثنية التي بهبط عليهم منها بركت به راحته فقال الناس حل حل فالت فقالوا خلأت القصور خلأت القصور فقال النبي ﷺ « ما خلأت القصور وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حبس الفيل - ثم قال - » والذي نفسي بيده

[لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما] يقول لو تزيل الكفار من المؤمنين لعذبهم الله عذابا أليما بقتلهم إياهم . وقوله عز وجل [إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحية حمية جاهلية] وذلك حين أبوا أن يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم وأبوا أن يكتبوا هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله [فأنزل الله سكينة على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى] وهي قول لا إله إلا الله كما قال ابن جرير وعبد الله بن الإمام أحمد حدثنا الحسن بن قزعة أبو علي البصري حدثنا سفيان بن حبيب حدثنا شعبة عن نويرة عن أبيه عن الطائيل يعني ابن أبي بن كعب عن أبيه رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول [وألزمهم كلمة التقوى] قال « لا إله إلا الله » وكذا رواه الترمذي عن الحسن بن قزعة وقال غريب لا نعرفه إلا من حديثه وسألت أبا زرعة عنه فلم يعرفه إلا من هذا الوجه

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن منصور الرمادي حدثنا عبد الله بن صالح حدثني الليث حدثني عبد الرحمن بن خالد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة رضي الله عنه أخبره أن رسول الله ﷺ قال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بجمه وحسابه على الله عز وجل » وأنزل الله عز وجل في كتابه وذكر قوما فقال (أنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون) وقال الله جل ثناؤه (وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها) وهي لا إله إلا الله محمد رسول الله فاستكبروا عنها واستكبر عنها المشركون يوم الحديبية فكانهم رسول الله ﷺ على قضية المدة وكذا رواه بهذه الزيادات ابن جرير من حديث الزهري والظاهر أنها مدرجة من كلام الزهري والله أعلم .

وقال مجاهد كلمة التقوى الاخلاص ، وقال عطاء بن أبي رباح هي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، وقال يونس بن بكير عن ابن اسحاق عن الزهري عن عروة بن المنذر (وألزمهم كلمة التقوى) لا إله إلا الله وحده لا شريك له

لا تدعوني قربش اليوم الى خطة يعظمون فيها حرمت الله وفيها صلة الرحم الا أعطيتهم اياها ثم زجرها فوثبت قال فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على تمد قليل الماء يتربضه الناس تربضا فلم يلبث الناس ان نزحوه وشكى الناس إلى النبي ﷺ العطش فأنزع سحما من كنانته وأعطاه رجلا من أصحابه يقال له ناجية بن عمير وهو سائق بدن النبي ﷺ فنزل في البئر ففرزه في جوفه فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه ، فبيناهم كذلك اذ جاء بدبل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة وكانوا عيبة نصح رسول الله ﷺ من أهل تهامة فقال اني تركت كعب بن لؤي وعامر ابن لؤي نزولوا على أعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلون وصادوك عن البيت فقال النبي ﷺ إنا لم نجى . لقتال أحد . ولكننا جئنا معتمرين وان قربشا قد نهكتهم الحرب وأضررت بهم فان شاؤا ماددوهم مدة ويخولوا بيني وبين الناس فان أظهر فان شاؤا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا

وقال الثوري عن سلمة بن كهيل عن عياش بن ربيع عن علي رضي الله عنه (وألزمهم كلمة التقوى) قال لا إله إلا الله والله أكبر ، وكذا قال ابن عمر رضي الله عنهما ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى (وألزمهم كلمة التقوى) قال يقول شهادة أن لا إله إلا الله وهي رأس كل تقوى ، وقال سعيد بن جبير [وألزمهم كلمة التقوى] قال لا إله إلا الله والجهاد في سبيله ، وقال عطاء الخراساني هي لا إله إلا الله محمد رسول الله

وقال عبد الله بن المبارك عن معمر عن الزهري [وألزمهم كلمة التقوى] قال بسم الله الرحمن الرحيم ، وقال قتادة [وألزمهم كلمة التقوى] قال لا إله إلا الله [وكانوا أحق بهاد] كانوا (أهلها وكان الله بكل شيء عليما) أي هو عليهم بمن يستحق الخير ممن يستحق الشر

وقد قال النسائي حدثنا إبراهيم بن سعيد حدثنا شعبة بن سوار عن أبي رزبن عن عبد الله بن العلاء بن نوير عن بشر بن عبيد الله عن أبي ادريس عن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه كان يقرأ (إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية) ولو حميتهم كما حموا لفسد المسجد الحرام فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فأغاظ له فقال انك لتعلم أني كنت أدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعلمني مما علمه الله تعالى ، فقال عمر رضي الله عنه بل أنت رجل عندك علم وقرآن فاقرا وعلم مما علمك الله تعالى ورسوله

وهذا ذكر الاحاديث الواردة في قصة الحديدية وقصة الصلح ﴿

قال الامام أحمد حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا محمد بن اسحاق بن يسار عن الزهري عن عروة ابن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم رضي الله عنهما قالا : خرج رسول الله ﷺ يريد

والا فقد جوا وان هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي أوليفذن الله أمره ، فقال بديل سأبلغهم ما تقول فانطلق حتى أتى قريشا قال انا جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولاً فان شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا قال فقال سفهاؤهم لا حاجة لنا أن نخبرنا عنه بشيء ، وقال ذووا الرأي منهم هات ما سمعته يقول قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبي ﷺ فقام عروة بن مسعود الثقفي فقال أي قوم الستم بالوالد ؟ قالوا بلى قال وأست بالولد ؟ قالوا بلى قال فهل تهمونني قالوا لا قال أستم تعلمون أني استنذرت أهل عكاظ فلما بلغوا علي جئتمكم بأهلي وولدي ومن أطاعني ؟ قالوا بلى قال فان هذا قد عرض عليكم خطة رشدا فاقبلوها ودعوني آتة قالوا آتته فأناه فجعل يكلم النبي ﷺ فقال النبي ﷺ نحوا من قوله لبديل فقال عروة عند ذلك أي محمد أريت ان استأصلت أمر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاحت أصله قبلك ؟ وان تكن الاخرى فاني والله لا أرى وجوها واني لا أرى أشوابا من الناس خليقا أن يفروا ويدعوك ، فقال له أبو بكر الصديق

زبارة البيت لا يربد قتالا وساق معه الهدي سبعين بدنة وكان الناس سبعائة رجل فكانت كل بدنة عن عشرة وخرج رسول الله ﷺ حتى اذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكهبي فقال يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجت معها العوذ المطافيل قد لبست جلود النمر يعاهدون الله تعالى أن لا تدخلها عليهم عنوة أبداً وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموه إلى كراع الغميم فقال رسول الله ﷺ « يا ذريح قريش قد أكاتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر الناس؟ فإن أصابوني كان الذي أرادوا، وإن أظهرني الله تعالى دخلوا في الاسلام وهم وافرون وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فإذا نظر قريش فوالله لا أزال أجاهدكم على الذي بعثني الله تعالى به حتى يظهرني الله عز وجل أو تنفرد هذه الساقفة » ثم أمر الناس فسلموا ذات اليمين بين ظهري الحصن على طريق تخرجه على ثنية المزار والحديبية من أسفل مكة، قال فسلك بالجيش تلك الطريق فلما رأت خيل قريش قفرة الجيش قد خالفوا عن طريقهم ركضوا راجعين إلى قريش فخرج رسول الله (ص) حتى اذا سلك ثنية المزار بركت ناقته فقال الناس خلأت فقال رسول الله (ص) « ما خلأت وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة، والله لا تدعوني قريش اليوم إلى خطبة يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها » ثم قال (ص) « للناس » انزلوا، قالوا يا رسول الله ما بالوادي من ماء ينزل عليه الناس فأخرج رسول الله (ص) سهماً من كنانته فأعطاه رجلاً من أصحابه فنزل في قلب من تلك القباب ففرزه فيه فجاش بالماء حتى ضرب الناس عنه بطنه، فلما اطمان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بديل بن ورقاء في رجال من خزاعة فقال لهم كقولهم لبشر بن سفيان فرجعوا إلى قريش فقالوا : يا معشر قريش انكم تعجلون على محمد (ص) إن محمداً لم يأت لقتال إنما جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحقه فاتهم وهم قال محمد بن اسحاق قال الزهري وكانت خزاعة عيبة نصيح رسول الله (ص) مشركها ومسلمها لا يخفون

امصص بظر اللات أنحن نفر عنه رندعه؟ فقال من ذا؟ قالوا أبو بكر فقال أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجرك بها لاجبتك قال وجعل بكلم النبي (ص) وكلماً كلمه أخذ بلعبته والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي (ص) ومعه السيف وعليه المغفر فكلماه أهوى عروة بيده إلى لحية النبي (ص) ضرب يده بفعل السيف أخر يده عن لحية رسول الله (ص) فرفع عروة رأسه فقال من هذا؟ قالوا المغيرة بن شعبة فقال أي غدر الست اسعى في غدرتك وكان المغيرة صاحب قوما في الجاهلية يقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء. قال لم فقال النبي ﷺ أما الاسلام فأقبل وأما المال فلدت منه في شيء. ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ بهنيه قالوا فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحذون اليه النظر تعظيماً له فرجم عروة إلى أصحابه فقال أي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى

على رسول الله ﷺ شيئاً كان بكه قفوا وإن كان إنما جاء. لذلك فوالله لا يدخلها أبداً علينا عنة ولا يتحدث بذلك العرب ثم بعثوا اليه مكرز بن حفص أحد بني عامر بن لؤي فلما رآه رسول الله ﷺ قال هذا رجل غادر فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ [ص] كلمه رسول الله ﷺ [ص] بنحو مما تكلم به مع أصحابه ثم رجع إلى قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله ﷺ فبعثوا اليه الحليس بن علقمة الكناني وهو يومئذ سيد الاحابيش فلما رآه رسول الله ﷺ قال « هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدي » فلما رأى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله رجع ولم يصل إلى رسول الله ﷺ [ص] اعظاما لما رأى فقال يامعشر قريش لقد رأيت مالا يحل صد الهدي في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله قالوا اجلس إنما أنت أعرابي لا علم لك فبعثوا اليه عروة بن مسعود الثقفي فقال يامعشر قريش إني قد رأيت ما يلقى منكم من تبشون إلى محمد إذا جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ وقد عرفتم أنكم إلى والد وأنا ولد وقد سمعت بالذي نابكم فجمعت من أطاعني من قومي ثم جئت حتى آسينكم بنفسي قالوا صدقت ما أنت عندنا بمنهم فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ (ص) فجلس بين يديه فقال يا محمد جمعت أوباش الناس ثم جئت بهم لبيضتك لنقضها إنما قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل قد أبسوا جلود النور يعاهدون الله تعالى أن لا تدخلها عليهم عنة أبداً وإيم الله لكأنني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غداً قال وأبو بكر [رض] قاعد خلف رسول الله ﷺ [ص] فقال احص بظر اللات أنحن تنكشف عنه قال من هذا يا محمد قال [ص] « هذا ابن أبي قحافة » قال أما والله لولا يد كانت لك عندي لكافأتك بها ولكن هذه بها ثم تنازل لحية رسول الله ﷺ [ص] والمغيرة بن شعبه [رض] واقف على رأس رسول الله ﷺ [ص] بالحديد قال فقرع يده ثم قال أمسك يدك عن لحية رسول الله ﷺ [ص] قبل والله أن لا تصل إليك قال وبحك ما أفظك

والنجاشي والله إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ومحمداً والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيماً له وأنه قد عرض عليكم خطة رشداً فاقبلوها قال رجل من بني كنانة دعوني آتته فقالوا آتته فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه قال رسول الله ﷺ هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له فبعثت له واستقبله الناس يلبون فلما رأى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت فلما رجع إلى أصحابه قال رأيت البدن قد قلدت واشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت ثم بعثوا اليه الحليس بن علقمة وكان يومئذ سيد الاحابيش فلما رآه رسول الله ﷺ ان هذا من قوم يتألهون فابعثوا بالهدي في وجهه حتى يراه فلما رأى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله ﷺ اعظاما لما رأى فقال يامعشر قريش إني

وأغلظك فتبسم رسول الله [ص] قال من هذا يا محمد؟ قال [ص] « هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبه » قال أغدر وهل غلظت سواك إلا بالأمس؟ قال فكلمه رسول الله ﷺ بمثل ما كلم به أصحابه وأخبره أنه لم يأت يريد حرباً قال فقام من عند رسول الله [ص] وقد رأى ما يصنع به أصحابه لا يتوضأ وضوءاً إلا ابتدره ، ولا يبصق بصاقاً إلا ابتدره ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه فرجع إلى قريش فقال : يا معشر قريش إني جئت كسرى في ملكه وجئت قيصر والنجاشي في ملكهما والله ما رأيت ملكاً قط مثل محمد (ص) في أصحابه ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشيء أبداً فروا رأيكم . أقال وقد كان رسول الله ﷺ قبل ذلك بعث خراش بن أمية الخزاعي إلى مكة وجهه على جمل له يقال له الثعلب فلما دخل مكة عقرت به قريش وأرادوا قتل خراش فمنعهم الاحابيش حتى أتى رسول الله ﷺ فدعا عمر رضي الله عنه ليعثه إلى مكة فقلل يارسول الله إني أخاف قريشا على نفسي وليس بها من بني عدي أحد يمنعني ، وقد عرفت قريش عداوتي إياها وأغلظني عليها ولكن أدلك على رجل هو أعز مني بها عثمان بن عفان رضي الله عنه قال فدعاه رسول الله (ص) فبعثه يخبرهم أنه لم يأت للحرب أحد وإنما جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحرمته فخرج عثمان رضي الله عنه حتى أتى مكة فلقبه أبان بن سعيد بن العاص فغزل عن دابته وجهه بين يديه وردفه خلفه وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله (ص) فأنطاق عثمان رضي الله عنه حتى أتى أبا سفيان وعظماً قريش فبلغهم عن رسول الله (ص) ما أرسله به فقالوا لعثمان (رض) إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به فقال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله (ص) قال واحتبسته قريش عندها قال وبلغ رسول الله (ص) أن عثمان رضي الله عنه قد قتل

قال محمد فحدثني الزهري أن قريشا بعثوا سهيل بن عمرو وقالوا أنت محمد فأصلحه ولا تلن في

قد رايت مالا يحل صد الهدي في قلائده وقد اكل اوتاره من طول الحبس عن محله فقالوا له اجلس إنما انت رجل اعرابي لا علم لك ففضب الحلبس عند ذلك فقال يا معشر قريش والله ما على هذا حالناكم ولا على هذا عاقدناكم ان تصدوا عن بيت الله من جاءه معظماً له والذي نفس الحلبس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له أو لا نفرن بالاحابيش نفرة رجل واحد فقالوا له مه كف عنا يا حلبس حتى نأخذ لأنفسنا بما ترضى به فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال دعوني آتة فقالوا أنه فلما أشرف عليهم قال النبي ﷺ هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي (ص) فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو قال عكرمة فلما رآه النبي [ص] قال قد سهل لكم من أمركم قال الزهري في حديثه فجاء سهيل بن عمرو فقال هات اكتب بيننا وبينكم كتاباً فدعا رسول الله (ص) علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال له « اكتب بسم الله الرحمن الرحيم » فقال سهيل أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو ؟ ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله لا نكتبها إلا

صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا فوالله لا نتحدث العرب أنه دخلها علينا عنوة أبدا فأتاه سهيل بن عمرو فلما رآه رسول الله (ص) قال قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلموا وأطالا الكلام وتراجعا حتى جرى بينهما الصلح فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر بن الخطاب (رض) فأتى أبا بكر رضي الله عنه فقال يا أبا بكر أو ليس برسول الله؟ أو اسنا بالمسلمين؟ أو ليسوا بالمشركين؟ قال لي قل فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه الزم غرضه حيث كان فاني أشهد أنه رسول الله فقال عمر رضي الله عنه وأنا أشهد ثم أتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أو اسنا بالمسلمين أو ليسوا بالمشركين قال ﷺ «لي» قال فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ قال ﷺ «انا عبد الله ورسوله ان اخالف أمره وان يضيعني» ثم قال عمر رضي الله عنه ما زلت أصوم وأصلي وأصدق وأعقب من الذي صنعت مخافة كلامي الذي تكلمت به يومئذ حتى رجوت ان يكون خيرا

قال ثم دعا رسول الله (ص) علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقال «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم» فقال سهيل لا اعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم فقال رسول الله [ص] «اكتب باسمك» اللهم هذا ما صلح عليه محمد رسول الله «فقال سهيل بن عمرو لو شهدت انك رسول الله لم اقاتلك ولكن اكتب هذا ما صلح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو على وضع الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض على انه من أتى رسول الله [ص] من اصحابه بغير إذن وليه رده عليه ومن أتى قريشا ممن مع رسول الله (ص) لم يردوه عليه وان بيننا عيبة مكفوفة وانه لا أسلار ولا اغلال، وكان في شرطهم حين كتبوا الكتاب : انه من احب ان يدخل في عقد محمد [ص] وعهده دخل فيه ومن احب ان يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه فتوالت خراة فقالوا نحن في

بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي [ص] لعلى «اكتب باسمك اللهم» ثم قال - اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله «فقال سهيل والله لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «والله اني لرسول الله وان كذبتموني اكتب يا علي محمد بن عبد الله» قال الزهري وذلك لقوله لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمة الله الا أعطيتهم اياها فكتب : هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو واصطالحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيه الناس ويكف بعضهم عن بعض فقال له النبي [ص] وعلى أن نخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال سهيل والله لا نتحدث العرب انا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب ، فقال سهيل وعلى انه لا يأتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته بنا قال المسلمون سبحان الله كيف رد إلى المشركين وقد جاء مسلما؟

وروى أبو اسحاق عن البراء قصة الصلح وفيه قالوا لو نعلم أنك رسول الله ما منعناك شيئا ولكن

عقد رسول الله [ص] وعهده وتواثبت بنو بكر فقالوا نحن في عقد قريش وعهدهم ، وأنتك ترجع عنا عامنا هذا فلا تدخل علينا مكة وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلها بأصحابك وأقت بها ثلاثا معك سلاح الراكب لا تدخلها بغير السيوف في القرب فبينما رسول الله [ص] يكتب الكتاب إذ جاءه أبو جندل بن سهيل بن عمرو في الحديد قد انفلت إلى رسول الله [ص]

قال وقد كان أصحاب رسول الله [ص] خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرواها رسول الله [ص] فلما رأوا مارأوا من الصلح والرجوع وما نحمل رسول الله [ص] على نفسه دخل الناس من ذلك امر عظيم حتى كادوا أن يهلكوا ، فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه وقال يا محمد قد تمت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا قال « صدقت » فقام إليه فأخذ بتلابيه قال وصرخ أبو جندل بأعلى صوته يا معشر المسلمين أتردوني إلى أهل الشرك فيفتنوني في ديني ؟ قال فزاد الناس شرا إلى ما بهم فقال رسول الله ﷺ « يا أبا جندل اصبر واحتسب فإن الله تعالى جاءك ولك ومن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا فأعطيناهم على ذلك وأعطونا عليه عهدا وإنا لن نقدر بهم » قال فوثب إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فحمل بمشي مع أبي جندل إلى جنبه ويقول اصبر أبا جندل فإنما هم المشركون وإنما دم أحدهم دم كلب قال ويدني قائم السيف منه قال يقول رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به إياه قال فضع الرجل بآبيه ، قال ونفذت القضية فلما فرغا من الكتاب وكان رسول الله (ص) يصلي في الحرم وهو مضطرب في الحل قال فقام رسول الله (ص) فقال « يا أيها الناس انمحروا واحلقوا » قال فما قام أحد ، قال ثم عاد (ص) بمثلها فما قام رجل ثم عاد ﷺ بمثلها فما قام رجل فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على أم سلمة رضي الله عنها فقال

أنت محمد بن عبد الله قال « أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله » ثم قال لعلي رضي الله عنه « امح رسول الله قال على لا والله لا أمحوك أبدا قال فأرنيه فأراه إياه فحاه النبي (ص) بيده وفي رواية فآخذ رسول الله (ص) الكتاب وليس يحسن أن يكتب فكتب هذا ما قاضى محمد بن عبد الله قال البراء صالح على ثلاثة أشياء على أن من أتاه من المشركين رد إليهم ومن أتاهم من المسلمين لم يردوه وعلى أن يدخلها من قابل ويقيم بها ثلاثة أيام ولا يدخلها إلا بجلبان السلاح السيف والقوس ونحوه وروى ثابت عن أنس أن قريشا صالحوا النبي (ص) فاشترطوا أن من جاءنا منكم لم نرده عليكم ومن جاءكم منا رددنوه علينا فقالوا يا رسول الله أنك كتب هذا قال نعم أنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا

رجعنا إلى حديث الزهري قال فبينما هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده قد انفلت وخرج من أمقل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه أن تردده إلي فقال النبي [ص] « أنا لم نقض الكتاب بعد » قال فوالله إذا لأصالحك

« بأم سلمة ماشان الناس ؟ » قالت يا رسول الله قد دخلهم ما رأيت فلا تكلمن منهم إنسانا واعد إلى هديك حيث كان فانحمره واحلق فلو قد فعلت ذلك فعل الناس ذلك فخرج رسول الله [ص] لا يكلم أحداً حتى إذا أتى هديه فنحره ثم جلس فحلق قال فقام الناس ينحرون ويحلقون حتى إذا كان بين مكة والمدينة في وسط الطريق نزلت سورة الفتح ، هكذا ساقه أحمد من هذا الوجه وهكذا رواه يونس بن بكير وزياد البكائي عن أبي إسحاق بنحوه ، وقد رواه أيضاً عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري به نحوه وخالفه في أشياء وفيه اغراب

وقد رواه البخاري رحمه الله في صحيحه فساقه ببيانات حسنة مطولة بزيادات جيدة فقال في كتاب الشرط من صحيحه حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أنا معمر أخبرني الزهري أخبرني عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة وروان بن الحكم يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية في بضعة عشرة مائة من أصحابه فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدي وأشعره وأحرم منها بعمرة وبعث عيناله من خزاعة وسار حتى إذا كان بغدير الاشطاط أتاه عبينه فقال ان قرب شاذ جمعوا لك جموعاً وقد جمعوا لك الاحايش وهم مقاتلوك وصادوك ومانعوك فقال ﷺ « أشيروا أيها الناس علي أترون أن نميل على عيالهم وذراي هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت » وفي لفظ « أترون أن نميل على ذراي هؤلاء الذين أعانوم فإن يأتونا كان الله قد قطع عنقا من المشركين وإلا تركناهم محزونين » وفي لفظ « فإن قعدوا قعدوا موتورين مجهودين محزونين وإن نجوا يكن عنقا قطعها الله عز وجل

على شيء أبدا فقال النبي [ص] « فاجره لي » فقال فما أنا بجيره لك قال « بلى فافعل » قال ما أنا بفاعل ثم جعل سهيل يحجره ليرده إلى قريش قال أبو جندل أي معشر المسلمين أرد إلى المشركين وقد جئت مسلماً ألا ترون ما قد أقيمت ؟ وكان قد عذب عذاباً شديداً في الله

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال « يا أبا جندل احتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم عقداً وصلحاً وأنا لا نقدر » فوثب عمر بمشي إلى جنب أبي جندل فقال اصبر فإنما هم المشركون ودم أحدهم كدم كلب ويدني قائم السيف منه قال عمر رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه ففضن الرجل بأبيه ، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله (ص) فلما رأوا ذلك دخل الناس أمر عظيم حتى كادوا يهلكون وزادهم أمر أبي جندل شراً إلى ما بهم

قال عمر والله ما شككت منذ أسلمت إلا يومئذ قال الزهري في حديثه عن عروة عن مروان والور ودرواه أبو وائل عن سهل بن حنيف قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأتيت النبي ﷺ فقلت ألسنت نبي الله حقاً ؟ قال « بلى » قالت ألسنة على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال « بلى » قلت أليس قلنا

أم نرون أن نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه » فقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرباً فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه ، وفي لفظ فقال أبو بكر رضي الله عنه أنه ورسوله أعلم إنما جئنا معتمرين ولم نجيء لقتال أحد ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه فقال النبي ﷺ « فرددوا اذن »

وفي لفظ « فامضوا على اسم الله تعالى » حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي ﷺ إن خالد بن الوليد في خيل قريش طليعة فخذوا ذات اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بفترة أخيش فانطلق بركض نذيراً لقريش ، وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته فقال الناس حل حل فالتفتوا فقالوا خلأت القصواء خلأت القصواء فقال النبي ﷺ « ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلاق ولكن حبها حابس الفيل - ثم قال [ص] - والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمة الله تعالى إلا أعطيتهم إياها » ثم زجرها فوثبت فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمذ قليل الماء يبرضه الناس تبرضاً فلم يلبث الناس حتى نزحوه وشكوا إلى رسول الله [ص] العطش فأنزع [ص] من كنانته - ها ثم أمرهم أن يجعلوه فيه فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه ، فبيناهم كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة وكانوا غيبة نصيح رسول الله [ص] من أهل نهامة فقال إني تركت كعب بن أوحي وعامر بن أوحي نزلوا أعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطائيل وهم مقاتلونك وصادوك عن البيت فقال النبي [ص] « أنا لم نجيء لقتال أحد ولكن جئنا معتمرين وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب فأضرت بهم فإن شاءوا ماددتهم مدة ويخلفوا بيني وبين الناس

في الجنة وقتلهم في النار قال « بلى » قلت فلم تعطى الدنيا في ديننا اذن؟ قال إني رسول الله واستأصبيه وهو ناصري؟ قلت أو ليس كنت تحدثنا أناساً في البيت فنطوف به؟ قال « بلى فأخبرتكم أنا نأتيه العام؟ » قلت لا قال فأنك آتيه ومطوف به قال فأنيت أبا بكر فقلت يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقا قال بلى قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال بلى قلت أليس قتلنا في الجنة وقتلهم في النار قال بلى قلت فلم تعطى الدنيا في ديننا اذن؟ قال أيها الرجل انه رسول الله وليس بعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بفرزه فوالله انه على الحق قلت أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به قال بلى فأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلت لا قال فأنك آتيه ومطوف به قال الرهري قال عمر فعملت لذلك أعمالاً قال فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صحابه « قووا فانحروا ثم احلقوا » قال فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يبق منهم أحد قام فدخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس فقالت أم سلمة يا نبي الله أحب ذاك؟ أخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك نحر بدنك ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحاق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غموا حزناً قال ابن عمر وابن عباس خلق رجال

فان اظهر فان شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا وإلا فقد جئوا ، وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لا فأنزلهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي أو لينفذن الله أمره .

قال بديل سأبلغهم ما تقول فانطلق حتى أتى قريشا فقال انا قد جئنا من عند هذا الرجل وسمعه يقول قولاً فان شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم لاحاجة لنا أن نخبرنا عنه بشيء . وقال ذوو الرأي منهم هات ما سمعته يقول قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال رسول الله [ص] فقام عروة بن مسعود فقال : أي قوم أستم بالوالد ؟ قالوا بلى ، قال أرأيت بالولد ؟ قالوا بلى ، قال فهل تنهونني ؟ قالوا لا ، قال أستم تعلمون أي استنفرت أهل مكة كما ظنوا بلحوا علي جئتمكم بأهلي وولدي ومن أطاعني ؟ قالوا بلى ، قال فان هذا قد عرض عليكم خطة رشدة فاقبلوها ودعوني أنه قالوا ائنه فأناء فجعل يكلم النبي [ص] فقال النبي [ص] : نحواً من قوله لبديل بن ورقاء فقال عروة عند ذلك أي محمد أرايت إن استأصلت امر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاحت أصله قبلك ؟ وإن تك الأخرى فاني والله لا أرى وجوها وإني لأرى أشواها من الناس خليفاً أن يفروا ويدعوك . فقال له أبو بكر رضي الله عنه امصص بظار اللات أمحن نفر وندعه ؟ قال من ذا ؟ قالوا أبو بكر ، قال أما والذي نفسي بيده لولا يدك عندي لم أجرك بها لأجبتك قال وجعل يكلم النبي (ص) فكلما كلمه أخذ بالحجة (ص) والمغيرة بن شعبة (رض) قائم على رأس النبي ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر وكلما هوى عروة يده إلى لحية النبي (ص) ضرب يده بنعل السيف وقال أخر يدك عن لحية رسول الله ﷺ فرفع عروة رأسه وقال من هذا ؟ قالوا المغيرة بن شعبة قال أي غدر ألسنت أسعى في غدرتك ؟ وكان المغيرة ابن شعبة (رض) صاحب قوما في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبي ﷺ : أما الإسلام فأقبل ، وأما المال فلاست منه في شيء . ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي صلى الله عليه وآله

يوم الحديبية وقصر آخرون فقال رسول الله (ص) : برحم الله المخاضين - قالوا والمقصرون قال - برحم الله المحلقين - قالوا يا رسول الله والمقصرون قال - والمقصرين - قالوا يا رسول الله فلم ظاهرت الترحم للمحلقين دون المقصرين ؟ قال - لأنهم لم يشكروا قال ابن عمر وذلك انه ترخص قوم وقالوا لعلنا نطوف بالبيت ، قال ابن عباس وأهدى رسول الله (ص) يوم الحديبية في هداياه جلالاً بي جهل في رأسه برة من فضة ليغبط المشركين بذلك وقال الزهري في حديثه ثم جاءه نسوة مؤمنات فانزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات - حتى بلغ - بعنهم الكوافر) فطلق عمر رضي الله عنه يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك فتزوج احداهما معارية بن أبي سفيان والأخرى صفوان بن أمية قال فتهاهم أن يزدوا النساء . وأمر برد الصداق قال ثم رجع النبي (ص) إلى المدينة فجاء أبو بصير عتبة بن أسيد رجل من قريش وهو مسلم وكان ممن حبس بمكة فكتب فيه أزهر بن عبدعوف والخنس بن شريق الثقفي إلى رسول الله [ص] وبعثا في طلبه رجلاً من بني عامر بن لؤي ومعه مولى لهم فقدموا على

وسلم بعينيه قال فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر إليه تعظيماً له ﷺ فرجع عروة إلى أصحابه فقال أي قوم والله لقد وفدت على الملوك وفدت على كسرى وقبصر والنجاشي والله إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه رجل ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر إليه تعظيماً له ، وأنه قد عرض عليكم خطة رشداً فأقبلوها فقال رجل منهم من بني كنانة دعوني آتة فقالوا آتته فلما اشرف على النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم قال النبي ﷺ « هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له » فبعثت له واستقبله الناس بلبون فلما رأى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء . أن يصدوا عن البيت فلما رجع إلى أصحابه قال رأيت البدن قد قلت وأشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت . فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حنص فقال دعوني آتة فقالوا آتته فلما اشرف عليهم قل النبي ﷺ « هذا مكرز وهو رجل فاجر » فجعل يكلم النبي ﷺ فيما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو . وقال معمر أخبرني أبوب عن عكرمة أنه قال لما جاء سهيل بن عمرو قال النبي ﷺ « قد سهل لكم من أمركم »

قال معمر قال الزهري في حديثه فجاء سهيل بن عمرو فقال هات اكتب بيننا وبينك كتاباً فدا النبي ﷺ بعلي رضي الله عنه وقال « اكتب بسم الله الرحمن الرحيم » فقال سهيل بن عمرو أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي ﷺ « اكتب باسمك اللهم » ثم قال - هذا ما قاضى عليه

رسول الله [ص] وقالوا العهد الذي جعلت لنا فقال رسول الله [ص] « يا أبا بصير أنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ولا يصالح في ديننا القدر وإن الله جاءك ولك من المستضعفين فرجا ومخرجاً ثم دفعه إلى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة فنزلوا يأكلون من تمر لهم فقال أبو بصير لأحد الرجلين والله أني لأرى سيفك هذا يا فلان جيداً فاستله الآخر من غرده فقال أجل والله أنه لجيد لقد جربت به ثم جربت به فقال أبو بصير أرني انظر إليه فاخذه وعلام به فضر به حتى برد وفر الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد بعدوا فقال رسول الله [ص] حين رآه « لقد رأى هذا ذعراً » فلما انتهى إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال « ويا لك مالك » قال قتل والله صاحبي وأنني لمقتول فوالله ما برح حتى طلع أبو بصير متوشحاً بالسيف حتى وقف على رسول الله [ص] فقال يا نبي الله قد والله أوفى الله ذمتك قد رددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم فقال النبي [ص] « ويل أمه مسعر حرب لو كان معه أحد » فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم فخرج حتى أتى سيف البحر وبايع المسلمين الذين

رسول الله ، فقال سهيل والله لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال النبي ﷺ « والله اني لرسول الله وإن كذبتوني ، اكتب محمد بن عبد الله » قال الزهري وذلك لقوله « والله لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمة الله تعالى إلا أعطيتهم ايأها » فقال له النبي ﷺ « على أن تخلوا بيننا وبين البيت فتطوف به » فقال سهيل والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل وعلى أن لا يأتيك منارجل وان كان على دينك الا رددته الينا فقال المسلمون سبحان الله كيف يرد الى المشركين وقد جاء مسلما ؟ فيينا هم كذلك اذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده قد خرج من أسفل مكة حتى رعى بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه ان ترده الي فقال النبي ﷺ « إنا لم نقض الكتاب بعد » قال فوالله اذا لا اصالحك على شيء أبدا ، فقال النبي ﷺ « فأجزء لي » قال ما أنا بمجبر ذلك لك قل « لي فافعل » قال ما أنا بفاعل قال مكرز بن أبي قد أجزناه لك قال أبو جندل أي معشر المسلمين أرد الى المشركين وقد جئت مسلما ألا ترون ما قد آتيت ؟ وكان قد عذب عذابا شديدا في الله عز وجل

قال عمر رضي الله عنه فأنت نبى الله ﷺ فقلت ألسنت نبى الله حقا ؟ قال ﷺ « بلى » قالت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال ﷺ « بلى » قلت فلم نعطي الدنية في ديننا اذا ؟ قال ﷺ « اني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري قلت أولست كنت تحدثنا اناسنا في البيت ونطوف به قال ﷺ « بلى أأأخبرتك أنا نأنيه العام ؟ » قلت لا قال ﷺ « فانك آتية ومطوف به » قال فأنت أبا بكر فقلت يا أبا بكر أليس هذا نبى الله حقا ؟ قال بلى قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا اذا ؟ قال أيها الرجل انه رسول الله وليس بعصبي ربه وهو ناصره فاستمسك بفرزه فوالله انه على الحق قلت أوليس كان يحدثنا اناسنا في البيت ونطوف به ؟ قال بلى قال فأخبرك انك تأنيه العام ؟ قلت لا قال فانك تأنيه وتطوف به

احتبسوا بمكة قول رسول الله ﷺ « لا نبى بصير » وبل امه مسهر حرب لو كان معه أحد فخرج عصابة منهم اليه وانفلت أبو جندل بن سهيل فلحق بابي نصير حتى اجتمع اليه قريب من سبعين رجلا فوائه ما يسمعون بهير خرجت اقربش الى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوه وأخذوا أموالهم فأرسلت اقربش الى النبي ﷺ تناشده الله والرحم لما أرسل اليهم فن أناء فهو آمن ، فأرسل اليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقدموا عليه المدينة فأزل الله تعالى (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا - حتى بانر - حمية الجاهلية) وكانت حميتهم انهم لم يقرؤا انه نبى الله صلى الله عليه وسلم ولم يقرؤا بيسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينه وبين البيت قال الله تعالى (هم الذين كفروا) يعني كفار مكة (وصدوكم عن المسجد الحرام) أن تطوفوا به

قال الزهري قال عمر رضي الله عنه فعلت لذلك أعمالا . قال فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله (ص) لأصحابه « قوموا فانحروا ثم احلقوا » قال فوالله ما قام منهم رجل حتى قال (ص) ذلك ثلاث مرات فلما لم يبق منهم أحد دخل (ص) على أم سلمة رضي الله عنها فذكر لها ما لقي من الناس قالت له أم سلمة (رض) يا نبي الله أتحب ذلك اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدئك وتدعو حائكك فيحلقك فخرج رسول الله (ص) فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه ودعا حائه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات - حتى بلغ - بعصم الكوافر) فطلق عمر رضي الله عنه يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك فتزوج إحداهما معاوية ابن أبي سفيان والاخرى صفوان بن أمية ، ثم رجع النبي (ص) إلى المدينة فجاء أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا العهد الذي جعلت لنا فدفعه إلى الرجلين فخرجا به حتى إذا بلغا ذا الحليفة فتزلا يا كلون من تمر لهم فقال أبو بصير لأحد الرجلين والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيدا فاستله الآخر فقال أجل والله انه لجيد لقد جربت منه ثم جربت فقال أبو بصير أرني أنظر اليه فامكنه منه فضربه حتى برد وفر الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله (ص) حين رآه « لقد رأى هذا ذعرا » فلما انتهى إلى النبي (ص) قال قتل والله صاحبي واني لمقتول فجاء أبو بصير فقال يا رسول الله قد والله أوفى الله ذمتك قد رددتني اليهم ثم نجاني الله تعالى منهم فقال النبي (ص) « ويل أمه مسهر حرب لو كان معه أحد » فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده اليهم فخرج حتى أتى سيف البحر قال وتلفت منهم أبو جندل بن سهيل فالحق بأبي بصير فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة فوالله ما يسمعون بهير

(والهدي) أي وصدروا الهدي وهي البدن التي ساقها رسول الله [ص] وكانت سبعين بدنة (معكوكا) محبوسا يقال عكفته عكفا اذا حبسته وعكوكا لازم كما يقال رجم رجعا ورجوعا (أن يبلغ محله) منحره وحيث يحل نحره يعني الحرم (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) يعني المستضعفين بمكة (لم تعلموهم) لم تعرفوهم (أن تطؤوهم) بالقتل وتوقعوا بهم (فتصيبكم منهم معة) معة بغير علم قال ابن زيد معة يعني ثم وقال ابن اسحاق غرم الدية وقيل الكفارة لان الله أوجب على قاتل المؤمن في دار الحرب اذا لم يعلم إيمانه الكفارة دون الدية فقال (فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبته مؤنة) وقيل هو ان المشركين يعيبونكم ويقولون قتلوا أهل دينهم والمعة المشقة يقول لولا أن تطؤا رجلا مؤمنا ونساء مؤمنات لم تعلموهم فيلزمكم بها كفارة أو يلحقكم سبة ، رجواب لولا محذوف تقديره لاذن لكم في دخولها ولكنه حال بينكم وبين ذلك (ليدخل الله في رحمته من شاء) فاللام في ليدخل متعلق بمحذوف دل عليه معنى الكلام يعني حال بينكم وبين ذلك ليدخل الله في رحمته في دين الاسلام

خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لما فقتلوه وأخذوا أموالهم فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناسده الله والرحم لما أرسل إليهم فن أناء منهم فهو آبن فأرسل النبي ﷺ وأنزل الله عز وجل (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة - حتى بلغ - حمية الجاهلية) وكانت حمية انهم لم يقرؤا انه رسول الله ولم يقرؤا بيسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينهم وبين البيت ، هكذا ساقه البخاري ههنا وقد أخرجه في النفس-ير وفي عمرة الحديبية وفي الحج وغير ذلك من حديث معمر وسفيان بن عيينة كلاهما عن الزهري به

ووقع في بعض الاماكن عن الزهري عن عروة بن مروان والمصورين عن رجال من أصحاب النبي (ص) بذلك وهذا أشبه والله أعلم ولم يسقه أبسط من ههنا وبينه وبين سباق ابن إسحاق تباين في مواضع وهناك فوائد ينبغي إضافتها إلى ما هنا ولذلك سقنا تلك الرواية وهذه والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم

وقال البخاري في التفسير حدثنا أحمد بن إسحاق السلمي حدثنا يعلى حدثنا عبد العزيز بن سياه عن حبيب بن أبي ثابت قال أتيت أبا وائل أسأله فقال كنا بصفين فقال رجل ألم تر إلى الذين يدعون إلى كتاب الله فقال علي بن أبي طالب (رض) نعم فقال سهل بن حنيف انهموا أنفسكم فلقد رأيتنا يوم الحديبية يعني الصلح الذي كان بين النبي (ص) والمشركين ولو ترى قتالا لقاتلنا فجاء عمر (رض) فقال ألسنا على الحق وهم على الباطل ؟ أليس قاتلنا في الجنة وقتلناهم في النار ؟ فقال بلى قال فقيم نعلني الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا فقال (ص) يا ابن الخطاب اني رسول الله ولن يضيعني الله أبداً ، فرجع متقيظاً فلم يصبر حتى جاء أبا بكر (رض) فقال يا أبا بكر ألسنا على الحق وهم على الباطل ؟ فقال يا ابن الخطاب انه رسول الله ولن يضيعه الله أبداً فنزلت سورة الفتح وقد رواه البخاري ايضاً في مواضع أخر ومسلم والنسائي من طرق أخر عن أبي وائل سفیان

من يشاء من أهل مكة بعد الصلح قبل أن تدخلوها ﴿ لو تزيلوا ﴾ لو تميزوا يعني المؤمنين من الكفار ﴿ لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً ﴾ بالسبي والقتل بأيديكم

وقال بعض أهل العلم لعذبنا جواب الكلامين أحدهما لولا رجال والثاني لو تزيلوا ثم قال لا يدخل الله في رحمته من يشاء) يعني المؤمنين والمؤمنات وقوله في رحمته أي في جنته وقال قتادة في هذه الآية ان الله يدفع بالمؤمنين عن الكفار كما دفع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركي مكة ﴿ اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية ﴾ حين صدوا رسول الله (ص) وأصحابه عن البيت ولم يقرؤا بيسم الله الرحمن الرحيم وأنكروا محمداً رسول الله (ص) والحمية الانفة يقال فلان ذو حمية اذا كان ذا غضب وأنفة قال مقاتل قال أهل مكة قد قتلوا أبناءنا واخواننا ثم يدخلون علينا فتحدث العرب انهم دخلوا علينا على رغم

ابن سلمة عن سهل بن حنيف به ، وفي بعض ألقاظه يأبها الناس أنهموا الرأي فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أقدر على أن أورد على رسول الله (ص) أمره لرددته ، وفي رواية فنزلت سورة الفتح فدعا رسول الله (ص) عمر بن الخطاب (رض) فقرأها عليه

وقال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا حماد عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال : ان قريشاً صالحوا النبي (ص) وفيهم سهيل بن عمرو فقال النبي (ص) لي رضي الله عنه : اكتب باسم الله الرحمن الرحيم « فقال سهيل لاندري ما بسم الله الرحمن الرحيم واسكن اكتب باسمك اللهم فقال (ص) اكتب من محمد رسول الله - قال لو علم أنك رسول الله لاتبعتك ولكن اكتب اسمك واسم أيك فقال النبي (ص) - اكتب من محمد بن عبد الله « واشترطوا على النبي (ص) أنه من جاء منكم لم يرد عليه ومن جاءكم منا ردوه علينا فقال يا رسول الله أنكتب هذا ؟ قال (ص) نعم انه من ذهب منا إليهم فابعد الله « رواه - لم من حديث حماد بن سلمة به

وقال احمد أيضاً حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن عكرمة بن عمار قال حدثني ممالك عن عبد الله ابن عباس (رض) قال لما خرجت الحرورية اعتزلوا فقات لهم ان رسول الله (ص) يوم الحديبية صالح المشركين فقال لي رضي الله عنه « اكتب يا علي هذا ما صالح عليه محمد رسول الله - قالوا لو علم أنك رسول الله ما فاتلناك فقال رسول الله (ص) - امح يا علي اللهم أنك تعلم أي رسولك امح يا علي واكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله « والله ارسول الاخير من علي وقدحما نفسه ولم يكن محوه ذلك ، جاء من النبوة « أخرجت من هذه ؟ قالوا نعم ورواه ابوداود من حديث عكرمة بن عمار البخاري بنحوه

وروي الامام أحمد عن يحيى بن آدم عن زهير بن حرب عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : نحر رسول الله ﷺ يوم الحديبية سبعين بدنة فيها جبل لأبي جهل فلما صدت عن البيت حنت كما نحن إلى أولادها

أنفنا واللات والعزى لا يدخانها علينا فهذه (حمية الجاهلية) التي دخلت قلوبهم (فأرسل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) حتى لم يدخلهم ما دخلهم من الحمية فيعصوا الله في قتالهم (وألهم كلمة التقوى) قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة وعكرمة والسدي وابن زيد وأكثر المفسرين كلمة التقوى لا إله إلا الله وروي عن أبي بن كعب مرفوعاً

وقال علي وابن عمر كلمة التقوى لا إله إلا الله والله أكبر وقال عطاء بن أبي رباح هي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير وقال عطاء الخراساني هي لا إله إلا الله محمد رسول الله وقال الزهري هي بسم الله الرحمن الرحيم (وكانوا أحق بها) من كفار مكة (وأهلها) أي وكانوا أهلها في علم الله لأن الله تعالى اختار لدينه ومحبة نبيه أهل الخير

٥٩٠ تصديق رؤيا النبي (ص) في دخول المسلمين المسجد الحرام (تفسير ابن كثير والبغوي)

أقد صدق الله -رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين

رءوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجمل من دون ذلك فتحا قريبا (٢٧) هو

الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا (٢٨)

كان رسول الله ﷺ قد رأى في المنام أنه دخل مكة وطاف بالبيت فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة فلما ساروا عام الحديبية لم يشك جماعة منهم أن هذه الرؤيا تفسر هذا العام فلما وقع ما وقع من قضية الصلح ورجعوا عنهم ذلك على أن يعودوا من قابل وقم في نفس بعض الصحابة رضي الله عنهم من ذلك شيء حتى سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك فقال له فيما قال أفلم تكن تخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال « بلى فأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا ؟ » قال لا ، قال ﷺ « فانك آتية ومطوف به » وبهذا أجاب الصديق (رض) أيضا حذوا القعدة بالقعدة ولهذا قال تبارك وتعالى (أقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله هذا لتحقيق الخبر وتوكيده وليس هذا من الاستثناء في شيء .

وقوله عز وجل (آمنين) أي في حال دخولكم ، وقوله (محلقين رءوسكم ومقصرين) حال مقدرة لأنهم في حال دخر لهم لم يكونوا محلقين ومقصرين وإنما كان هذا في ثاني الحال كان منهم من حلق رأسه ومنهم من قصره

وأثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « رحم الله المحلقين » قالوا والمقصرين يارسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم « رحم الله المحلقين » قالوا والمقصرين يارسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم « رحم الله المحلقين » قالوا والمقصرين يارسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم « والمقصرين » في الثالثة أو الرابعة

وقوله سبحانه وتعالى (لا تخافون) حال مؤكدة في المعنى فأثبت لهم الامن حال الدخول ونفى عنهم الخوف حال استقرارهم في البلد لا يخافون من أحد وهذا كان في عمرة اقصاء في ذي القعدة سنة سبع فان النبي ﷺ لما رجع من الحديبية في ذي القعدة رجع إلى المدينة فأقام بها ذا الحجة والحرم وخرج في صفر إلى خيبر ففتحها الله عليه بعضها عنوة وبعضها صلحا وهي اقليم عظيم كثير النخل

(وكان الله بكل شيء عليما) أقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين (وذلك ان النبي ﷺ أرى في المنام بالمدينة قبل أن يخرج إلى الحديبية أنه يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام آمنين ومحلقون رءوسهم ومقصرين فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا وحسبوا أنهم داخلوا مكة عنهم ذلك فلما انصرفوا ولم يدخلوا شق عليهم ذلك فأزل الله هذه الآية .

والزروع فاستخدم من فيها من اليهود عليها على الشطر وقسمها بين أهل الحديبية وحدم ولم يشهدا
أحد غيرهم إلا الذين قدموا من الحبشة جعفر بن أبي طالب وأصحابه وأبو موسى الأشعري وأصحابه
رضي الله عنهم ولم يغيب منهم أحد قال ابن زيد إلا أبا دجاجة ممالك بن خرشة كما هو مقرر في موضعه
ثم رجع إلى المدينة سر فلما كان في ذي القعدة من سنة سبع خرج ﷺ إلى مكة معتمراً هو وأهل الحديبية
فأحرم من ذي الحليفة وساق معه الهدي قبل كان ستين بدنة فلبى وسار أصحابه يلبون ، فلما كان
(ص) قريباً من مر الظهران بعث محمد بن سلامة بالخيول والسلاح أمامه ، فلما رآه المشركون رعبوا ربعا
شديداً وظنوا أن رسول الله [ص] يفرهم وأنه قد نكث العهد الذي بينهم وبينه من وضع القتال عشر
سنين فذهبوا فأخبروا أهل مكة فلما جاء رسول الله [ص] فنزل بمر الظهران حيث ينظر إلى أنصاب
الحرم بعث السلاح من القسي والنبل والرماح إلى بطن بأجيج وسار إلى مكة بالسيوف مغمدة في قربها
كما شارطهم عليه فلما كان في أثناء الطريق بعث قريش مكرز بن حفص فقال يا محمد ما عرفناك تنقض
العهد ، فقال [ص] « وما ذاك ؟ » قال دخلت علينا بالسلاح والقسي والرماح ، فقال عليه الصلاة والسلام
« لم يكن ذلك وقد بعثنا به إلى يأجيج ؟ » فقال بهذا عرفناك بالبر والوفا ، وخرجت ردوس الكفار من
مكة لئلا ينظروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أصحابه رضي الله عنهم غيظاً وحناء ، وأما
بقية أهل مكة من الرجال والنساء والولدان فحسوا في الطرق وعلى البيوت ينظرون إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأصحابه فدخلوا عليه الصلاة والسلام وبين يديه أصحابه يلبون والهدي قد بعثه
إلى ذي طوى وهو راكب ناقته القصواء التي كان راكها يوم الحديبية وعبد الله بن رواحة الانصاري
أخذ بزمام ناقة رسول الله [ص] يقودها وهو يقول :

باسم الذي لا دين إلا دينه باسم الذي محمد رسول الله خلوا بني الكفار عن سبيله
اليوم نضربكم على تأويله كما ضربناكم على تنزيله ضرباً بزيل الهام عن مقبله
ويذهل الخليل عن خليله قد أنزل الرحمن في تنزيله في صحف تتلى على رسول
بأن خير القتل في سبيله يارب إني مؤمن بقبله

فهذا مجموع من روايات متفرقة قال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثني عبد الله بن
إبي بكر بن حزم قال لما دخل رسول الله ﷺ مكة في عمرة القضاء مشى عبد الله بن رواحة بين يديه وهو يقول :
خلوا بني الكفار عن سبيله إني شهيد أنه رسول الله خلوا فكل الخير في رسول
يارب إني مؤمن بقبله نحن قتلناكم على تأويله كما قتلناكم على تنزيله

وروي عن مجمل بن حارثة الانصاري قال شهدنا الحديبية مع رسول الله ﷺ فلما انصرفنا عنها إذا
الناس يهزون الأباغر فقال بعضهم ما بال الناس . فقال : أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال :
فخرجنا نوجف فوجدنا النبي (ص) واقفاً على راحلته عند كراع الغميم فلما اجتمع إليه الناس قرأ (إنا نحن

ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله
وقال عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال لما دخل رسول
الله صلى الله عليه وسلم مكة في عمرة القضاء مشى عبد الله بن رواحة رضي الله عنه بين يديه وفي
رواية وابن رواحة أخذ بفرزه وهو (رض) يقول

خلوا بني الكفار عن سبيله قد نزل الرحمن في تنزيله بان خير القتل في سبيله
يارب اتي مؤمن بقبيله نحن قتلناكم على تارياه كما قتلناكم على تنزيله
اليوم نضربكم على تارياه ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله
وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن الصباح حدثنا اسماعيل يعني ابن زكريا عن عبد الله يعني ابن
عثمان عن أبي الطفيل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل
هر الظهران في عمرته بلغ أصحاب رسول الله (ص) ان قريشا تقول ما يتباعثون من العجف فقال أصحابه
لو انتحرننا من ظهراننا فاكلنا من لحمه وحسونا من مرقه أصبحنا غدا حين ندخل على القوم وبنا جماعة
قال (ص) لا تفعلوا ولكن اجمعوا لي من أزوادكم فجاءوا له وبسطوا الانطاع فاكلوا حتى تركوا
وحشا كل واحد منهم في جرابه ثم أقبل رسول الله (ص) حتى دخل المسجد وقعدت قريش نحو
الحجر فاضطجع صلى الله عليه وسلم بردائه ثم قال « لا يرى القوم فيكم غميرة » فاستلم الركن ثم رمل حتى
إذا تغيب بالركن الباني مشى الى الركن الاسود فقالت قريش ما نرضون بالمشي أما إنكم لتنقرون
نقر الظباء ففعل ذلك ثلاثة أشواط فكانت سنة قال أبو الطفيل فاخبرني ابن عباس رضي الله عنهما
أن رسول الله ﷺ فعل ذلك في حجة الوداع

وقال أحمد أيضا حدثنا يونس بن محمد حدثنا هناد بن زيد حدثنا أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال قدم رسول الله ﷺ وأصحابه مكة وقد وهنتهم حتى يثرب ولقوا منها سوا
فقال المشركون إنه يقدم عليكم قوم قد وهنتهم حتى يثرب ولقوا منها شرا وجالس المشركون من
الناحية التي نزل الحجر فأطلع الله تعالى نبيه ﷺ على ما قالوا فأمر رسول الله ﷺ أصحابه أن
يرملوا الأشواط الثلاثة ليرى المشركون جلدكم قال فرملوا ثلاثة أشواط وأمرهم أن يمشوا بين الركنين
حيث لا يرام المشركون ولم يمنع النبي ﷺ أن يرملوا الأشواط كلها إلا إبقاء عليهم فقال المشركون

« لك فتحا مبينا » فقال عمر أوفتح هو يا رسول الله؟ قال « نعم والذي نفسي بيده » ففيه دليل على أن المراد
بالفتح صلح الحديبية ونحقق الرؤيا كان في العام المقبل فقال جل ذكره [لقد صدق الله رسوله الرؤيا
بالحق] أخبر ان الرؤيا التي أراها إياه في مخرجه إلى الحديبية انه يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام
صدق وحق قوله (لندخلان) يعني وقال لندخلان وقال ابن كيسان لندخلان من قول رسول الله (ص)
لأصحابه حكاية عن رؤياه فأخبر الله عن رسول الله (ص) انه قال ذلك وانما استثنى مع علمه بدخولها

أهؤلاء الذين زعمتم ان الحمى قد وهنتهم هؤلاء أجلة من كذا وكذا. أخرجه في الصحيحين من حديث حماد بن زيد به. وفي لفظ قدم النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم صبيحة رابعة يعني من ذي القعدة فقال المشركون إنه يقدم عليكم وقد هنتهم حتى يثرب فأمرهم النبي ﷺ أن يرملوا الاشواط الثلاثة ولم يمنع أن يرملوا الاشواط كلها إلا الابقاء عليهم، قال البخاري وزاد ابن سلمة يعني حماد بن سلمة عن أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما قدم النبي ﷺ امامه الذي استأمن قال ارملوا ليري المشركين قوتهم والمشركون من قبل قينقاع، وحدثنا محمد بن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال إنما سمى النبي (ص) بالبيت وبالصفاء والمروة ليري المشركون قوته، ورواه في مواضع أخر ومسلم والنسائي من طرق عن سفيان بن عيينة به

وقال أيضا حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان حدثنا اسماعيل بن أبي خالد أنه سمع ابن أبي أوفى يقول لما اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سترناه من غلمان المشركين ومنهم أن يؤذوا رسول الله (ص) انفرد به البخاري دون مسلم، وقال البخاري أيضا حدثنا محمد بن رافع حدثنا شريح بن النعمان حدثنا فليح وحدثني محمد بن الحسين بن إبراهيم حدثنا أبي حدثنا فليح بن سليمان عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال ان رسول الله (ص) خرج معتمرا فخال كفار قريش بينه وبين البيت فنحر هديه وحلق رأسه بالحديبية وقاضاهم على أن يعتمر العام المقبل ولا يحمل سلاحا عليهم إلا سيوفا ولا يقيم بها إلا ما أحبوا فاعتمر (ص) من العام المقبل فدخلها كما كان صالحهم فلما أن أقام بها ثلاثا أمره أن يخرج فخرج صلى الله عليه وسلم وهو في صحيح مسلم أيضا

وقال البخاري أيضا حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسرئيل عن أبي إسحاق عن البراء (رض) قال اعتمر النبي ﷺ في ذي القعدة فأبى أهل مكة أن بدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيموا بها ثلاثة أيام فلما كتبوا الكتاب كتبوا هذا : ما قاضى عليه محمد رسول الله قالوا لا نقر بهذا ولو علم أنك رسول الله ما منعناك شيئا ولكن اكتب محمد بن عبد الله قال ﷺ أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله ثم قال ﷺ ائلي بن أبي طالب رضي الله عنه « امح رسول الله » قال رضي الله عنه لا والله لا امحوك أبدا فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب وايسر بحسن يكتب فكتب « هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله أن لا يدخل مكة بالسلاح الا بالسيف في القرباب وأن لا يخرج من أهلها بأحد أراد أن يتبعه

باخبار الله تعالى تأديبا بآداب الله حيث قال له (ولا تقوان لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله) وقال أبو عبيدة ان بمعنى اذ مجازة اذ شاء الله كقوله (ان كنتم مؤمنين)

وقال الحسين بن الفضل يجوز أن يكون الاستثناء من الدخول لان بين الرؤيا وتصديقها سنة ومات في تلك السنة ناس فمجاز الآية لتدخلن المسجد الحرام كلكم إن شاء الله ، وقيل الاستثناء واقم على الامر لاعلى الدخول لان الدخول لم يكن فيه شك كقول النبي (ص) عند دخول المقبرة « وإنا إن

وأن لا يئنه من أصحابه أحدا أن أراد أن يقيم بها، فلما دخلها ومضى لأجل اتوا عليها فقالوا قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الأجل فخرج النبي ﷺ تبعته ابنة حمزة رضي الله عنه تنادي بأعم بأعم فتناولها علي رضي الله عنه فأخذ بيدها وقال انظمة رضي الله عنها : دونك ابنة عمك فحملتها فاختصم فيها علي وزيد وجعفر رضي الله عنهم فقال علي رضي الله عنه أنا أخذتها وهي ابنة عمي وقال جعفر رضي الله عنه ابنة عمي وخالتها تحتي وقال زيد رضي الله عنه ابنة أخي فقضى بها النبي ﷺ لحالتها وقال « الحالة بمنزلة الأم » وقال علي رضي الله عنه « أنت مني وأنا منك » وقال لجعفر رضي الله عنه « أشبهت خلقي وخلقي » وقال ﷺ لزيد رضي الله عنه « أنت أخونا ومولانا » قال علي رضي الله عنه لأن تزوج ابنة حمزة؟ رضي الله عنه قال ﷺ « أنها ابنة أخي من الرضاعة » تفرد به من هذا الوجه

وقوله تعالى (فلم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا) أي فعلم الله عز وجل من الحيرة والمصلحة في صرفكم عن مكة ودخولكم إليها عامكم ذلك ما لم تعلموا أنتم فجعل من دون ذلك أي قبل دخولكم الذي وعدتم به في رؤيا النبي (ص) فتحا قريبا وهو الصلح الذي كان بينكم وبين أعدائكم من المشركين . ثم قال تبارك وتعالى مبشرا للمؤمنين بنصرة الرسول (ص) على عدوه وعلى سائر أهل الأرض (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق) أي بالعلم النافع والعمل الصالح فإن الشريعة تشتمل على شيتين علم وعمل فالعلم الشرعي صحيح والعمل الشرعي مقبول فاخباراتهم أحق وإنشائها عدل (ليظهره على الدين كله) أي على أهل جميع الأديان من سائر أهل الأرض من عرب وعجم وماليين ومشركين (وكفى بالله شبيها) أي أنه رسوله وهو ناصره والله سبحانه وتعالى أعلم

محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ترهبهم ركبما سجداً يبتغون

شاء الله بكم لاحقون « فالاستثناء راجع الى الملقوق ماهر لا إله إلا الله لا إلى الموت (محلفين رؤسكم) كلها (ومقصرين) باخذ بعض شعورها (لا تخافون فعلم ما لم تعلموا) ان الصلاح كان في الصلح وتأخير الدخول وهو قوله (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) الآية (فجعل من دون ذلك) أي من قبل دخولكم المسجد الحرام (فتحا قريبا) وهو صلح الحديبية عند الأكثرين وقيل فتح خيبر (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شبيها) على أنك نبي صالح صادق فيما تنبئ (محمد رسول الله) ثم الكلام هنا

قال ابن عباس شهد له بالرسالة ثم قال مبتدئا (والذين معه) قالوا وفيه واو الاستئناف أي والذين معه من المؤمنين (أشداء على الكفار) غلاظ عليهم كالأسد على فريسته لا تأخذهم فيهم رافة (رحماء بينهم) متعاطفون متوادون بعضهم لبعض كالوالد مع الولد كما قال (أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) (تراهم ركبما سجدا) أخبر عن كثرة صلاتهم ومدادتهم عليها (يبتغون فضلا من الله)

فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود، ذلك مثلهم في التوراة، ومثلهم في الانجيل
كزرع أخرج شطئه فأزده فاستغاث فاستوى على سوقه يُعجب الزارع ايغيب بهم الكفار وعد
الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما (٢٩)

يخبر تعالى عن محمد (ص) انه رسوله حقا بلا شك ولا ريب فقال (محمد رسول الله) وهذا
مبتدأ وخبر وهو مشتمل على كل وصف جميل ثم ثنى بالثناء على أصحابه رضي الله عنهم فقال (والذين
معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) كما قال عز وجل (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على
المؤمنين أعرزة على الكافرين) وهذه صفة المؤمنين أن يكون أحدهم شديدا غنيا على الكفار، رحيا
برأ بالاخيار، فضوا عبوسا في وجه الكافر ضحكا بشوشا في وجه أخيه المؤمن كما قال تعالى (بأيها
الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة) وقال النبي (ص) «مثل المؤمنين في
توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» وقال (ص)
«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» وشبك (ص) بين أصابعه كلا الحديتين في الصحيح

أن يدخلهم الجنة (ورضوانا) أن يرضى عنهم (سيماهم) أي علامتهم (في وجوههم من أثر السجود)
اختلفوا في هذه السيماء فقال قوم هو نور وياض في وجوههم يوم القيامة يعرفون به أنهم سجدوا في
الدنيا وهو رواية عطية العوفي عن ابن عباس

قال عطاء بن أبي رباح والربيع بن أنس استنارت وجوههم من كثرة ما صلوا وقال شهر بن حوشب
تكون مواضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر. وقال آخرون هو السميت الحسن والخشوع
والتواضع وهو رواية الوالبي عن ابن عباس قال ليس بالذي ترون لكنه سيما الاسلام وسجيته وسمته
وخشوعه وهو قول مجاهد، والمعنى ان السجود أورثهم الخشوع والسميت الحسن الذي يعرفون به.
وقال الضحاك هو صفرة الوجه من السهر وقال الحسن إذا رأيتهم حسبتهم مرضى وما هم بمرضى.
قال عكرمة وسعيد بن جبير هو أثر التراب على الجباه قال أبو العالية لانهم بسجدون على التراب
لا على الاثواب. وقال عطاء الخراساني دخل في هذه الآية كل من حافظ على الصلوات الخمس
(ذلك) الذي ذكرت (مثلهم) صفتهم (في التوراة) ههنا ثم الكلام

ثم ذكر نعمهم في الانجيل فقال (ومثلهم) صفتهم (في الانجيل) كزرع أخرج شطاه (قرأ
ابن كثير وابن عامر شطاه بفتح الطاء) وقرأ الآخرون بسكونها وهما لغتان كالنهر والنهر وأراد فراهه
يقال أشطا الزرع فهو مشطي. اذا أفرخ قال مقاتل هو نبت واحد فاذا خرج ما بعده فهو شطاؤه.
وقال السدي هو أن يخرج معه الطاقة الاخرى قوله (فأزده) قرأ ابن عامر فأزده بالقصر والباقون

٥٦٦ وصف المؤمنين بكثرة العمل وكثرة الركوع والسجود ابتغاء رضوان الله (تفسير ابن كثير والبغوي)

وقوله سبحانه وتعالى [تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً] وصفهم بكثرة العمل وكثرة الصلاة وهي خير الاعمال ووصفهم بالاخلاص فيها لله عز وجل والاحتساب عند الله تعالى جزيل الثواب وهو الجنة المشتعلة على فضل الله عز وجل وهو سعة الرزق عليهم ورضاه تعالى عنهم وهو أكبر من الاول كما قال جل وعلا (ررضوان من الله أكبر)

وقوله جل جلاله (سيأثم في وجوههم من أثر السجود) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما سيأثم في وجوههم يعني السمات الحسن وقال مجاهد وغير واحد يعني الخشوع والتواضع وقال ابن أبي حاتم ثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا حسين الجعفي عن زائدة عن منصور عن مجاهد (سيأثم في وجوههم من أثر السجود) قال الخشوع قلت ما كنت أراه الا هذا الاثر في الوجه فقال ربما كان بين عيني من هو أقسى قلباً من فرعون

وقال السدي الصلاة تحسن وجوههم ، وقال بعض السلف من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار ، وقد أسنده ابن ماجه في سننه عن اسماعيل بن محمد الصالح عن ثابت بن موسى عن شريك عن الاعمش عن أبي سفيان عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله (ص) من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار ، والصحيح أنه موقوف

بالد أي قواه وأعانه وشد أزره (فاستغظ) غاظ ذلك الزرع (فاستوى) أي تم وتلاحق نباته وقام (على سوقه) على أصوله (يعجب الزراع) أعجب ذلك زراعه ، هذا مثل ضربه الله عز وجل لأصحاب محمد (ص) في الانجيل انهم يكونون قليلاً ثم يزدادون ويكثرون قال قتادة مثل أصحاب رسول الله (ص) في الانجيل مكتوب انه : سيخرج قوم يثبتون نبات الزرع يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر وقيل الزرع محمد والشط. أصحابه والمؤمنون

وروي عن مبارك بن فضالة عن الحسن قال (محمد رسول الله والذين معه) أبو بكر الصديق رضي الله عنه (أشداء على الكفار) عمر بن الخطاب رضي الله عنه (رحماء بينهم) عثمان بن عفان رضي الله عنه (تراهم ركعاً سجداً) علي بن أبي طالب رضي الله عنه (يبتغون فضلاً من الله) بقية العشرة المبشرين بالجنة وقيل (كمثل زرع) محمد (أخرج شطاء) أبو بكر (فأزره) عمر (فاستغظ) عثمان يعني استغظ عثمان الاسلام (فاستوى على سوقه) علي بن طالب استقام الاسلام بسيفه (يعجب الزراع) قال هم المؤمنون (ليعظ بهم الكفار) قول عمر لاهل مكة بعد ما أسلم لا يعبد الله سراً بعد اليوم

حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد الشجاع السمرخسي إملاء أنا أبو بكر عبد الله بن أحمد القفال ثنا أبو أحمد عبد الله بن محمد الفضل السمرقندي ثنا شيخنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الباخي ثنا أبو رجاء قتيبة بن سعيد ثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن عبد الرحمن بن حميد عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف عن النبي ﷺ

وقال بعضهم ان لحسنة نورا في القلب وضياء في الوجه وسعة في الرزق ومحبة في قلوب الناس
وقال أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ما أمر أحد سريرة الا أبداها الله تعالى على صفحات
وجهه وفنأت لسانه والغرض أن الشيء السكمن في النفس يظهر على صفحات الوجه قالوا من اذا كانت
سريرة صحيحة مع الله تعالى أصلح الله عز وجل ظاهره للناس كما روي عن عمر بن الخطاب (رض)
أنه قال من أصلح سريرة أصلح الله تعالى علانيته

وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا محمود بن محمد المروزي حدثنا حامد بن آدم المروزي حدثنا
الفضل بن موسى عن محمد بن عبيد الله العزمي عن سامة بن كهيل عن جندب بن سفيان البجلي رضي
الله عنه قال : قال النبي ﷺ « ما أمر أحد سريرة الا أبسه الله تعالى رداها إن خيرا فخير
إن شرا فشر » العزمي متروك

وقال الامام احمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي
سعيد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال « لو أن أحدكم يعمل في صحرة صماء ليس لها باب
ولا كوة لخرج عمله للناس كأننا ما كان »

قال « أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطاحنة في الجنة والزبير في الجنة
وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وسعد بن أبي وقاص في الجنة وسعيد بن زيد في الجنة
وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة »

حدثنا أبو المظفر محمد بن احمد النعماني أنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان بن القاسم حدثنا خزيمة
ابن سليمان بن حيدرة الاطرابلسي ثنا احمد بن هاشم الانطاكي ثنا قطبة بن العلاء ثنا سفيان الثوري
عن خالد الخزاعي عن أبي قلابة عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ « قال ارحم أمتي بأمتي أبو بكر
وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأفراهم أبي بن كعب، وأعلمهم
بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » ورواه معمر
عن قتادة مرسلًا وفيه وأقضاهم علي

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعماني أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل
ثنا معلى بن أسد ثنا عبد العزيز المختار قال ثنا خالد بن الحذاء عن أبي عثمان قال « حدثني عمرو بن العاص
أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل قال فأتيته فقلت أي الناس أحب إليك ؟ قال « عائشة »
فقلت ، من الرجال ؟ قال « أبوها » قلت ثم من ؟ قال « عمر » فعد رجالا فسكت خائفًا أن يجعلني في آخرهم
أخبرنا أبو منصور عبد الملك وأبو الفتح نهر بن الحسين أنا علي بن احمد بن منصور بن محمد
ابن الحسين بن شاذويه الطرمي بها قال ثنا أبو الحسن محمد بن يعقوب أنا الحسن بن محمد بن أحمد
ابن كيسان النحوي ثنا أبو اسحاق ابراهيم بن شريك الاسدي ثنا ابراهيم بن اسماعيل هو ابن محمد

وقال الامام احمد حدثنا حسن حدثنا زهير حدثنا قابوس بن أبي ظبيان ان أباة حدثه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال « ان المهدي الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة » ورواه أبو داود عن عبدالله بن محمد النخعي عن زهير به قال الصحابة رضي الله عنهم خلصت نياتهم وحسنت أعمالهم فكل من نظر اليهم أعجبه في سمتهم وهديهم وقال مالك [رض] بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة رضي الله عنهم الذين فتحوا الشام يقولون والله لهؤلاء خير من الخواريين فيما بلغنا، وصدقوا في ذلك فان هذه الامة معظمة في الكتب المتقدمة وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله ﷺ وقد نوه الله تبارك وتعالى بذكرهم في الكتب المتقدمة والاعخبار المتداولة ولهذا قال سبحانه وتعالى ههنا (ذلك مثلهم في التوراة) ثم قال (ومثلهم في الانجيل كزراع أخرج شطاها) أي فراخه (فأزروه) أي شده (فاستغاث) أي شب وطال (فاستوى على سوقه يعجب الزراع) أي فكذلك أصحاب رسول الله ﷺ آزره وأيدوه ونصروه فهم معه كالشطء مع الزرع (ليغيظ بهم الكفار) ومن هذه الآية انتزع الامام مالك رحمة الله عليه في رواية عنه بتكفير الروافض الذين يغيظون الصحابة رضي الله عنهم قال لانهم يغيظونهم ومن غاظ الصحابة رضي الله عنهم فهو كافر لهذه الآية ووافقه طائفة من العلماء رضي الله عنهم على ذلك والاحاديث في فضل الصحابة رضي الله عنهم والنهي عن التعرض لهم بما ويهمهم كثيرة ويكفيهم ثناء الله عليهم ورضاه عنهم

ابن سلمة بن كهيل ثنا أبي عن أبيه عن سلمة عن أبي الزعراء عن ابن مسعود عن النبي ﷺ انه قال « اقتدوا بالذين من بعدي من أصحابي أبي بكر وعمر واهتدوا بهدي عمار وتمسكوا بهدي ابن أم عبد » أخبرنا احمد بن عبد الله الصالحى أنا ابو الحسين علي بن محمد بن بشران أنا اسماعيل بن محمد الصفار ثنا احمد بن منصور الرمادي ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن أبي حازم عن سهل بن سعد أن احدا ارتج عليه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان فقال النبي صلى الله عليه وسلم « اثبت أحد ما عليك الا نبي أو صديق أو شهيدان »

أخبرنا أبو الحسن عبيد الرحمن بن محمد الداودي أنا ابو الحسن احمد بن محمد بن موسى ابن الصلت ثنا ابو اسحاق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي ثنا ابو سعيد الاشج أنا وكيع ثنا الاعمش عن عدي بن ثابت عن زر بن حبيش عن علي قال : عهد إلي النبي صلى الله عليه وسلم : انه لا يحبك إلا مؤمن ولا يفضك إلا منافق .

أخبرنا أبو المظفر التميمي أنا عبيد الرحمن بن عثمان أنا خيثمة بن سليمان ثنا محمد بن عيسى ابن حبان المدائني ثنا محمد بن الفضل بن عطية عن عبد الله بن مسلم عن ابن بريدة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم « قال من مات من أصحابي بأرض كلن نورهم وقائدهم يوم القيامة »

ثم قال تبارك وتعالى (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم) من هذه لبيان الجنس أي . نوبهم (مغفرة وأجر أعظيما) أي ثوابا جزيلًا ورزقا كريما وعد الله حق وصدق لا يخلف ولا يبدل وكل من اتقى أثر الصحابة رضي الله عنهم فهو في حكمهم ولهم الفضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم به أحد من هذه الامة رضي الله عنهم وأرضاهم وجعل جنات الفردوس مأواهم وقد فعل قال مسلم في صحيحه حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة [رض] قال : قال رسول الله ﷺ « لا تنسوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم انفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه »

قوله عز وجل (لينبذ بهم الكفار) أي اتما كثرتهم وقواهم ليكونوا غيظا للكافرين . قال مالك ابن أنس من أصبح وفي قلبه عيب على أصحاب رسول الله (ص) فقد أصابته هذه الآية أخبرنا أبو الطيب طاهر بن محمد بن العلاء البغوي ثنا أبو معمر بن الفضل بن اسماعيل أنا جدي أبو بكر أحمد بن إبراهيم الاسماعيلي أخبرني الحسين بن خلف الدوري ثنا الفضل بن غسان بن الفضل العلالي ثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد ثنا عتبة بن أبي ربيعة عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله ابن مغفل المزني قال قال رسول الله (ص) « الله الله في أصحابي الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا من بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه »

حدثنا أبو المظفر محمد بن أحمد بن حامد التميمي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان بن القاسم أنا أبو الحسن خيشمة بن سليمان ثنا إبراهيم بن عبد الله العبسي القصار بالكوفة أنا وكيع بن الحراح عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله (ص) « لا تنسوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم انفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه »

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو عبد الله محمد بن الحسين الزعرياني ثنا أبو محمد عبد الله بن هروثة ثنا محمد بن الحسين بن محمد بن إسكاف ثنا شبابة بن سوار ثنا فضيل بن مرزوق عن أبي خباب عن أبي سليم الهمداني عن أبيه عن علي قال قال رسول الله ﷺ « إن سرك أن تكون من أهل الجنة فإن قوما ينتحلون حبك يقرؤن القرآن لا يتجاوز تراقيمهم بزعم الرافضة فإن أدركتهم فجاءهم قاتلهم مشركون » في اسناد هذا الحديث نظر

وقوله عز وجل (وعد الله الذين آمنوا منهم) قال ابن جرير يعني من الشطء الذي أخرجه الزرع وهم الداخلون في الاسلام بعد الزرع إلى يوم القيامة ورد الها . والمير على معنى الشطء . لا على لفظه ولذلك لم يقل منه (مغفرة وأجر أعظيما) يعني الجنة والله اعلم

تم الجزء السابع من تفسيري ابن كثير والبغوي وبليغ بعون الله تعالى الجزء الثامن وأوله تفسير سورة الحجرات